

تاريخ الطب

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ

الجزء الثامن

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الخامسة



دار المغارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد الطبرى، ٨٢٩ - ٩٢٣.
تاريخ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك / لأبى جعفر محمد بن جرير
الطبرى، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، ط ٥ - القاهرة:
دار المعارف، [٢٠٠٩].

مج ٢٥، ٨ سم. - (تخاثر العرب، ٢٠)

تدمك ٩ ٧٣٧٥ ٠٢ ٩٧٧ ٠٢ ٩٧٨

١ - التاريخ

٢ - الملوك والحكام

(١) إبراهيم، محمد أبى الفضل (محقق)

(ب) العنوان

ديوى ٩٠٧.٢

١ / ٢٠٠٩ / ٢

رقم الإيداع ٢٠٠٩ / ٢٦٠٧

تصميم الغلاف: الفنان شريف رضا

بيان

يبدأ الجزء الثامن من هذه الطبعة بحوادث سنة ١٤٧ ، وينتهي بحوادث سنة ٢٢١ ؛ مشتملاً على أخبار أشهر الخلفاء العباسيين : أبي جعفر المنصور ، والمهدي ، وموسى الهادي ، وهارون الرشيد ، ومحمد الأمين ، وعبد الله المأمون . وقد امتازت أخبار هؤلاء - بجانب ما وقع في عصرهم من الأحداث التاريخية الهامة ، مثل أخبار أبي مسلم مع أبي جعفر وأخباره مع الطالبين ، وفتنة الأمين والمأمون - بكثرة ما ورد فيها من طرائف القصص وأخبار الشعراء وقصصهم ، مع روائع الخطب ، ومطولات الرسائل ؛ مما يعدّ هذا الكتاب من المصادر الأصيلة فيها .

وقد رجع على المخطوطات التالية :

١ - ما يقابله من الجزء المصور من أصله المخطوط بمكتبة بتة خدابخش بالهند ، وهو الجزء الذي سبق وصفه في مقدمة الجزء السابع من هذه الطبعة ، والذي ذكرت فيه أنه يبدأ بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٢٩ ، وينتهي بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٥٨ ، وقد رمزت إليه بالحرف [هـ] .

٢ - جزء مصور عن أصله المخطوط المحفوظ بمكتبة أحمد الثالث ، برقم ٢٩٢٩ ، وهو الجزء الثالث والعشرون من تجزئة الناسخ لهذه النسخة ؛ وعليه وقفية من المقر الأشرف الجمالي محمود الأستادار ، وهي نص الوقفية التي على غلاف الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث لجميع أجزاء الكتاب . ويبدأ أوله بحوادث سنة ١٦٢ ، وينتهي بحوادث سنة ١٩٧ ، مكتوب بخط نسخي جيد ، مضبوط بالحركات ، وينتهي كل خبر منه بعلامة وقف ، وتغلب عليه الصحة والإتقان ؛ شأنه شأن بقية ما وصل إلينا من أجزاء هذه النسخة ؛ ويبدو أنه كتب في القرن السادس أو السابع الهجري . ويبلغ عدد أوراقه ٢١١ ورقة ، وفي كل صفحة ١٩ سطراً ، وفي كل سطر ١٠ كلمات ، وقد رمزت إليه بالحرف [ا] .

٣ - جزء مخطوط محفوظ بدار الكتب برقم ١٦٠٢ تاريخ ، وهو الجزء الحادى عشر من تجزئة الناسخ لهذه النسخة أيضاً ، ويشتمل على الحوادث التى تبدأ من سنة ٢٠٥ ، وتنتهى إلى قبيل حوادث سنة ٢٤٦ . مكتوب بخط قديم معتاد ، خال من الضبط . ويقع فى ٢٣٣ ورقة ، تشتمل كل صفحة منه على ١٧ سطراً ، وبكل سطر ١١ كلمة تقريباً ، وقد رمزت إليه بالحرف [د] .

هذا عدا ما قمت به من مراجعة ما ورد فيه من نصوص الشعر والخطب والرسائل على دواوين الشعراء وكتب الأدب الأصيلة . مثل : البيان والتبيين ، والكامل ؛ والعقد ، وعيون الأخبار ، وأثبت المقابلات فى الحواشى .

وما هو جدير بالذكر أن مراجعة هذه المخطوطات قد أكملت كثيراً من مواضع النقص فى الطبعة الأوربية ، وصححت الألفاظ المحرفة والنصوص المبهمة فيها ، وإنى أتمنى على الزمان أن تظهر مخطوطات أخرى لهذا الكتاب ، وخاصة مما لم يقع إلينا من نسخة أحمد الثالث ، حتى يستكمل الكتاب تحقيقه فى طبعاته المقبلة إن شاء الله :

واللهم نسألك عوناً وهداية وتيسيراً .

مصر الجديدة فى ١٤ من شعبان ١٣٨٦ هـ .

٢٧ من نوفمبر ١٩٦٦ م .

محمد أبو الفضل إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

ذكر الإخبار عن الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك إغارة إسترخان الخوارزمي في جمّع من الترك على المسلمين بناحية إزمينية وسيه من المسلمين وأهل الذمة خلقاً كثيراً ، ودخولهم تفلّيس ، وقتلهم حرب بن عبد الله الراوندی الذي تنسب إليه الحرية ببغداد . وكان حربٌ هذا - فيما ذكر - مقيماً بالموصل في ألفين من الجُند ، لمكان الخوارج الذين بالجزيرة . وكان أبو جعفر حين بلغه تحزّب^(١) الترك فيما هناك وجهه إليهم لحربهم جبرئيل بن يحيى ، وكتب إلى حرب يأمره بالمسير معه ؛ فسار معه حربٌ ، فقتل حزب وهزم جبرئيل ، وأصيب من المسلمين من ذكرت .

• • •

[ذكر الخبر عن مهلك عبد الله بن علي بن عباس]

وفي هذه السنة كان مهلك عبد الله بن علي بن عباس . واختلفوا في سبب هلاكه ، فقال بعضهم ما ذكره علي بن محمد النوفلي عن أبيه أن أبا جعفر حجّ سنة سبع وأربعين ومائة بعد تقدمته^(٢) المهديّ علي عيسى بن موسى بأشهر ، وقد كان عزل عيسى بن موسى عن الكوفة وأرضها ، وولّى مكانه محمد بن سليمان ابن علي ، وأوفده إلى مدينة السلام ، فدعا به ، فدفع إليه عبد الله بن علي سرّاً في جوف الليل ، ثم قال له : يا عيسى ؛ إنّ هذا أراد^(٣) أن يزيل النعمة عنك ، وأنت وليّ عهدى بعد المهديّ . والخلافة صائرة إليك ، فخذها إليك فاضرب عنقه ، وإياك أن تخور^(٤) أو تضعف ، فتتقضّ عليّ أمرى الذي دبّرت .

(١) ج : « تحرك » . (٢) ج : « تقدمه » .

(٣) ج : « يريد » . (٤) ج : « تخور » .

ثم مضى لوجهه ، وكتب إليه من طريقه ثلاث مرات يسأله : ما فعل في الأمر الذي أوعز إليه فيه ؟ فكتب إليه : قد أنفذت ما أمرت به ؛ فلم يشك أبو جعفر في أنه قد فعل ما أمره به ، وأنه قد قتل عبد الله بن عليّ ؛ وكان عيسى حين دفعه إليه ستره^(١) ؛ ودعا كاتبه يونس بن فروّة ، فقال له : إن هذا الرجل دفع إلى عمّه ، وأمرني فيه بكذا وكذا . فقال له : أراد أن يقتلك ويقتله ، أمرك بقتله سرّاً ، ثم يدّعيه عليك علانية ثم يُقيدك به . قال : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن تستره في منزلك ، فلا تطلع على أمره أحداً ، فإن طلبه منك علانيةً دفعته إليه علانية ، ولا تدفعه إليه سرّاً أبداً ؛ فإنه وإن كان أسرّه إليك ؛ فإن أمره سيظهر . ففعل ذلك عيسى .

وقدم المنصور ودسّ إلى عجمته من يحرّكهم على مسألته هبة عبد الله بن عليّ لهم ، ويطمعهم في أنه سيفعل . فجاءوا إليه وكلموه ورقّقوه ، وذكروا له الرّحيم ، وأظهروا له رقة ، فقال : نعم ، عليّ بعيسى بن موسى ؛ فأثابه فقال له : يا عيسى ؛ قد علمت أني دفعت إليك عمّي وعمك عبد الله بن عليّ قبل خروجي إلى الحجّ ، وأمرتك أن يكون في منزلك ، قال : قد فعلت ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فقد كلمني عمومك فيه ، فرأيت^(٢) الصّفح عنه وتخليّة سبيله ؛ فأثابه . فقال : يا أمير المؤمنين ، ألم تأمرني بقتله فقتلته ! قال : ما أمرتك بقتله ، إنما أمرتك بحبسه في منزلك . قال : قد أمرتني بقتله ، قال له المنصور : كذبت ، ما أمرتك بقتله . ثم قال لعجمته : إن هذا قد أقرّ لكم بقتل أخيكم ، وادّعى أني أمرته بذلك ، وقد كذب ، قالوا : فادفعه إلينا نقتله به ، قال : شأنكم به ، فأخرجوه إلى الرّحبة ، واجتمع الناس ، وشهر الأمر ، فقام أحدهم فشهّر سيفه ، وتقدّم إلى عيسى ليضربه ، فقال له عيسى : أفاعل أنت ؟ قال : إني والله ، قال : لا تعجلوا ، ردوني إلى أمير المؤمنين . فردّوه إليه ، فقال : إنما أردت بقتله أن تقتلني ؛ هذا عمك حيّ سوى ، إن أمرتني بدفعه إليك دفعته . قال : اثنا به ، فأثابه به ، فقال له عيسى : دبّرت عليّ أمراً فخشيتُه ؛ فكان كما خشيت ؛ شأنك وعمك . قال : يدخل حتى

٣٣٠/٣

(١) ج : « سيره » . (٢) ب : « وقد رأيت » .

أرى رأيي. ثم انصرفوا ، ثم أمر به فجعل في بيت أساسه ملح ، وأجرى في أساسه الماء ، فسقط عليه فمات ؛ فكان من أمره ما كان . وتوفيَّ عبد الله بن عليّ في هذه السنة ودفن في مقابر باب الشام ؛ فكان أول من دفن فيها .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور بن بُرَيْه أنه قال : كانت وفاة عبد الله بن عليّ في الحبس سنة سبع وأربعين ومائة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة .

قال إبراهيم بن عيسى : لما توفيَّ عبد الله بن عليّ ركب المنصور يوماً ومعه عبد الله بن عيَّاش ، فقال له وهو يجاريه : أتعرف ثلاثة خلفاء ، أسماؤهم على العين مبدؤها ، قتلوا ثلاثة خوارج مبدأ أسماؤهم العين ؟ قال : لا أعرف إلا ما تقول العامة ؛ إن عليّاً قتل عثمان — وكذبوا — وعبد الملك بن مروان قتل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وعبد الله بن الزبير وعمرو بن سعيد وعبد الله بن عليّ سقط عليه البيت ، فقال له المنصور : فسقط على عبد الله بن عليّ البيت ؛ فأنا ما ذنبي ؟ قال : ما قلت إن لك ذنباً .

• • •

[ذكر خبر البيعة للمهدى وخلع عيسى بن موسى]

وفي هذه السنة خلع المنصور عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى ، وجعله وليّ عهد من بعده . وقال بعضهم : ثم من بعده عيسى بن موسى .

ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه وكيف كان الأمر في ذلك :

اختلف في الذي وصل به أبو جعفر إلى خلعه ، فقال بعضهم : السبب الذي وصل به أبو جعفر إلى ذلك هو أن أبا جعفر أقرَّ عيسى بن موسى بعد وفاة أبي العباس على ما كان أبو العباس ولاه من ولاية الكوفة وسوادها ، وكان له مكرماً مجلاً ، وكان إذا دخل عليه ^(١) أجلسه عن يمينه ، وأجلس المهدى عن يساره ؛ فكان ذلك فعله به ؛ حتى عزم المنصور على تقديم المهدى في الخلافة عليه . وكان أبو العباس جعل الأمر من بعده لأبي جعفر ، ثم من بعد

٣٣٢/٣

(١) ب ، هـ : هـ إليه .

أبى جعفر لعيسى بن موسى : فلما عزم المنصور على ذلك كلم عيسى بن موسى في تقديم ابنه عليه برزق من الكلام ، فقال عيسى : يا أمير المؤمنين ؛ فكيف بالإيمان والمواثيق التي على وعلى المسلمين في من العتق والطلاق وغير ذلك من مؤكد الإيمان ؛ ليس إلى ذلك سبيل يا أمير المؤمنين . فلما رأى أبو جعفر امتناعه ، تغير لونه وباعده بعض المباعضة ؛ وأمر بالإذن للمهدي قبله ؛ فكان يدخل فيجلس عن يمين المنصور في مجلس عيسى . ثم يؤذن لعيسى فيدخل فيجلس دون مجلس المهدي عن يمين المنصور أيضاً ؛ ولا يجلس عن يساره في المجلس الذي كان يجلس فيه المهدي ، فيغتاظ من ذلك المنصور ، ويبلغ منه ، فيأمر بالإذن للمهدي ثم يأمر بعده بالإذن لعيسى بن علي . فيلبث هنيهة . ثم عبد الصمد بن علي ، ثم يلبث هنيهة ، ثم عيسى بن موسى . فإذا كان بعد ذلك قدم في الإذن للمهدي على كل حال ، ثم يخلط في الآخرين ، فيقدم بعض من آخر ويؤخر بعض من قديم ويؤهم عيسى ابن موسى أنه إنما يبدأ بهم لحاجة تعرض ولماذا كرتهم بالتي (١) من أمره . ثم يؤذن لعيسى بن موسى من بعدهم ، وهو في ذلك كله صامت لا يشكو منه شيئاً ، ولا يستعجب (٢) . ثم صار إلى أغلظ من ذلك ؛ فكان يكون في المجلس معه بعض ولده . فيسمع الحفر في أصل الحائط فيخاف أن يخر عليه الحائط ، وينثر عليه التراب ، وينظر إلى الخشبة من سقف المجلس قد حفر عن أحد طرفيها لتقلع فيسقط التراب على قنصوته وثيابه ، فيأمر حينئذ معه من ولده بالتحويل . ويقوم هو فيصلي ، ثم يأتيه الإذن فيقوم فيدخل بهيته والتراب عليه لا ينفذه ؛ فإذا رآه المنصور قال له : يا عيسى ؛ ما يدخل على أحد بمثل (٣) هيثك من كثرة الغبار عليك والتراب ! أفكل (٤) هذا من الشارع ؟ فيقول : أحسب ذلك يا أمير المؤمنين ؛ وإنما يكلمه المنصور بذلك ليستظمه (٥) أن يشكو إليه شيئاً فلا يشكو . وكان المنصور قد أرسل إليه في الأمر الذي

٣٣٢/٣

(١) ج : « الشيء » . (٢) ج : « يستعجب » . (٣) ج : « مثل » .

(٤) ج : « أفكل » . (٥) ج : « يستظمه » .

أراد منه عيسى بن علي . فكان عيسى بن موسى لا يحمد منه مدخله فيه ؛ كأنه كان يغري به . فقليل : إنه دس لعيسى بن موسى بعض ما يتلفه ؛ فنهض من المجلس ، فقال له المنصور : إلى أين يا أبا موسى ؟ قال : أجد غمراً يا أمير المؤمنين ، قال : في الدار إذاً ! قال : الذي أجده أشد مما أقيم معه في الدار . قال : فإلى أين ؟ قال : إلى المنزل ؛ ونهض فصار إلى حراته ، ونهض المنصور في أثره إلى الحراقة منتزعا له ، فاستأذنه عيسى في المسير إلى الكوفة ، فقال : بل تقيم فتعالجها هنا ، فأبى وألح عليه ، فأذن له . وكان الذي جرأه على ذلك طبيبه بخيشوع أبو جبرئيل ، قال : إني والله ما أجترئ على معالجتك بالحضرة ، وما آمن على نفسي . فأذن له المنصور ، وقال له : أنا على الحج في سنتي هذه : فأنا مقيم عليك بالكوفة حتى تفيق إن شاء الله .

وتقارب وقت الحج . فشخص المنصور حتى صار بظهر الكوفة في موضع يدعى الرصافة ، فأقام بها أياماً ، فأجرى هناك الخيل ، وعاد عيسى غير مرة ، ثم رجع إلى مدينة السلام ولم يحج ، واعتل بقله الماء في الطريق . وبلغت البعثة من عيسى بن موسى كل مبلغ ؛ حتى تمتط شعره ، ثم أفاق من علته تلك ، فقال فيه يحيى بن زياد بن أبي حزابة البُرْجُمي أبو زياد :

أفَلتَ من شربة الطبيب كما	أفَلتَ طَبِيءُ الصَّريِّمِ من قُترة
من قانص يُنفِذُ الفَرِيصَ إذا	رَكِبَ سَهْمَ الحُتُوفِ في وَترة
دافعَ عنكَ المَلِكُ صَوْلَةً لِي	مُثِيرِيدُ الأَسَدِ في ذَرَى خَمرة ^(١)
حتى أَتانا وفيه داخِلَةٌ	تُعرفُ في سَمْعِهِ وفي بَصرة
أرعرَ قد طارَ عن مِصارِقِهِ	وحَفُ أَثِيبِ النَّباتِ من شَعرة

وذكر أن عيسى بن علي كان يقول للمنصور : إن عيسى بن موسى إنما يمتنع من البيعة للمهدي لأنه يربص هذا الأمر لابنه موسى . فموسى

الذى يمنعه . فقال المنصور لعيسى بن عليّ : كلّم موسى بن عيسى وخوّفه على أبيه وعلى ابنه ؛ فكلّم عيسى بن عليّ موسى في ذلك ، فأبأسه ، فتهدده وحذّره غضب المنصور . فلما وجل موسى وأشفق وخاف أن يقع به المكره ، أتى العباس بن محمد ، فقال : أيّ عمّ ، إني مكلمك بكلام ، لا والله ما سمعه مني أحد قطّ ، ولا يسمعه أحد^(١) أبداً ؛ وإنما أخرجه مني إليك موضع الثقة بك والطمأنينة إليك ؛ وهو أمانة عندك ؛ فإنما هي نفسي أنزلها^(٢) في يدك . قال : قل يا بنّ أخي ؛ فلك عندي ما تحبّه ، قال : أرى ما يسام أبي من إخراج هذا الأمر من عنقه وتصديره للمهديّ ؛ فهو يؤدّي بصنوف الأذى والمكره ، فيشهد مرة ويؤخّر إذنه مرة ، وتهدّم عليه الحيطان مرة ، وتدسّ إليه الختوف مرة . فأبى لا يعطى على هذا شيئاً ؛ لا يكون ذلك أبداً ؛ ولكنّ هاهنا وجهاً ، فلعلة يعطى عليه إن أعطى وإلا فلا ، قال : فما هو يا بنّ أخي ؟ فإنك قد أصبت ووقفت^(٣) ، قال : يقبل عليه أمير المؤمنين وأنا شاهد فيقول له : يا عيسى ، إني أعلم أنك لست ترضى بهذا الأمر على المهديّ لنفسك ؛ لتعالى سنك وقرب أجلك ؛ فإنك تعلم أنه لا مدّة لك تطول فيه ؛ وإنما ترضى به لكان ابنك موسى ؛ أفراني أدعُ ابنك يبق بعدك ويبقى ابني معه فيلى عليه ! كلا والله لا يكون ذلك أبداً ؛ ولأبى^(٤) على ابنك وأنت تنظر حتى تباأس منه ، وآمن أن يليّ على ابني . أترى ابنك آثر عندي من ابني ! ثم يأمر بي ؛ فيما خنقت وإما شهّر على سيف . فإن أجاب إلى شيء فعسى أن يفعل بهذا السبب ؛ فأما بغيره فلا . فقال العباس : جزاك الله يا بنّ أخي خيراً ، فقد فديت أباك بنفسك ، وآثرت بقاءه على حظك ، نعم الرأى رأيت ، ونعم المسلك سلكت !

٣٣٥/٣

٣٣٦/٣

ثم أتى أبا جعفر فأخبره الخبر ، فجزى المنصور موسى خيراً ؛ وقال : قد أحسن وأجمل ، وسأفعل ما أشاء به إن شاء الله ، فلما اجتمعوا وعيسى ابن عليّ حاضر ، أقبل المنصور على عيسى بن موسى ، فقال : يا عيسى ؛ إني

(١) ج : « ولا اسمه أحد » . (٢) ج : « أبلها » .

(٣) كذا في ب هـ ، وهو الصواب ، وفي ط : « ورققت » ، وفي ج : « ورققت » .

(٤) ب : « لأبى » .

لا أجهل مذهبك الذى تضمره ، ولا مداك الذى تجرى إليه فى الأمر الذى سألتك ؛ إنما تريد هذا الأمر لابنك هذا المشثوم عليك وعلى نفسه ؛ فقال عيسى بن على : يا أمير المؤمنين ، غمزنى البول ، قال : فندعو^(١) لك بإناء تبول فيه ، قال : أفى مجلسك يا أمير المؤمنين ! ذاك ما لا يكون ، ولكن أقرب البلالع منى أدلّ عليها^(٢) فأتيها . فأمر من يدله ، فانطلق . فقال عيسى ابن موسى لابنه موسى : قم مع عمك ، فاجمع عليه ثيابه من ورائه ، وأعطه منديلا إن كان معك ينشّف به ، فلما جلس عيسى يبول جمع موسى عليه ثيابه من ورائه وهو لا يراه ، فقال : من هذا ؟ فقال : موسى بن عيسى ، فقال : بأبى أنت وبأبى أبّ ولدك ! والله إني لأعلم أنه لا خير فى هذا الأمر بعدكما ، وإنكما لأحقّ به ؛ ولكن المرء مغرّى بما تعجّل ، فقال موسى فى نفسه : أمكننى والله هذا من مقاتله ؛ وهو الذى يغرى بأبى ، والله لأقتلنه بما قال لى ، ثم لا أبالى أن يقتلنى أمير المؤمنين بعده ، بل يكون فى قتله عزاء لأبى وسلوّ عنى إن قتلت . فلما رجعا إلى موضعهما قال موسى : يا أمير المؤمنين ، أذكر لأبى أمراً ؟ فسرّه ذلك ، وظنّ أنه يريد أن يذكره بعض أمورهم ، فقال : ٢٢٧/٣ قم ، فقام إليه ، فقال : يا أبت^(٣) ؛ إن عيسى بن على قد قتلك وإيائى قتلات بما يبلغ عنا ، وقد أمكننى من مقاتله ، قال : وكيف ؟ قال : قال لى كيت وكيت ، فأخبر أمير المؤمنين فيقتله ؛ فتكون قد شفيت نفسك وقتله قبل أن يقتلك وإيائى ثم لا نبالى ما كان بعد . فقال : أف لهذا رأياً ومذهباً ! ائتمنك عمك على مقالة أراد أن يسرك بها ، فجعلتها سبباً لمكروهه وتلفه ! لا يسمعن هذا منك أحد ، وعدّ إلى مجلسك . فقام فعاد ، وانتظر أبو جعفر أن يرى لقيامه إلى أبيه وكلامه أثراً فلم يره ، فعاد إلى وعيده الأول وتهدده ، فقال : أما والله لأعجلنّ لك فيه ما يسوءك ويؤسك من بقائه بعدك ، أيا ربيع ، قم إلى موسى فاخنقه بحمائله ، فقام الربيع فضمّ حمائله عليه ، فجعل يخنقه بها خنقاً رويداً ، وموسى يصيح : الله الله يا أمير المؤمنين فى وفى دى ! فلانى لبعيد مما تظنّ بى ، وما يبالى عيسى أن تقتلنى وله بضعة عشر نفراً ذكراً -

(١) ج : « فادعو » . (٢) ب : « عليه » . (٣) ب : « يا أبه » .

كلهم عنده مثلى - أو يتقدمنى ؛ وهو يقول : أشدُّ يا ربيع ، اثت على نفسه ،
والربيع يوم أنه يريد تلفته ، وهو يراخى خنأقه ، وموسى يصيح ، فلما رأى
ذلك عيسى قال : والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الأمر يبلغ منك هذا كله
فمر بالكف عنه ؛ فإننى لم أكن لأرجع إلى أهلى ؛ وقد قتل بسبب هذا الأمر
عبدٌ من عبيدى ، فكيف بابى ! فيها أنا أشهدك أن نسأى طوائق وماليكى
أحرار ، وما أملك فى سبيل الله ، تصرف ذلك فيمن رأيت يا أمير المؤمنين ؛
وهذه يدى بالبيعة للمهدى . فأخذ بيعته له على ما أحب ثم قال : يا أبا موسى ؛
إنك قد قضيت حاجتى هذه كارهًا ، ولى حاجة أحب أن تقضيها طائعًا ؛
فتغسل بها ما فى نفسى من الحاجة الأولى ، قال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟
قال : تجعل هذا الأمر من بعد المهدى لك ، قال : ما كنت لأدخل فيها
بعد إذ خرجت منها . فلم يدعه هو ومن حضره من أهل بيته حتى قال : يا أمير
المؤمنين ؛ أنت أعلم . فقال بعض أهل الكوفة - ومر عليه عيسى فى موكبهِ : هذا
هذا الذى كان غدًا ، فصار بعد غد .

٣٢٨/٣

وهذه القصة - فيما قيل - منسوبة إلى آل عيسى أنهم يقولونها .

• • •

وأما الذى يحكى عن غيرهم فى ذلك ؛ فهو أن المنصور أراد البيعة
للمهدى ، فكلم الجند فى ذلك ، فكانوا إذا رأوا عيسى راكبًا أسمعوه ما كره ،
فشكا ذلك إلى المنصور ، فقال للجند : لا تؤدوا ابن أخى ؛ فإنه جليدة بين
عينى ، ولو كنت تقدمت إليكم لضربت أعناقكم ؛ فكانوا يكفون ثم يعودون ؛
فكث بذلك زمانًا ، ثم كتب إلى عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى
عيسى بن موسى . سلامٌ عليك ؛ فإننى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو .
أما بعد ؛ فالحمد لله ذى المنّ القديم ، والفضل العظيم ، والبلاء الحسن الجميل ،
الذى ابتدأ الخلق بعلمه ، وأنقذ القضاء بأمره ؛ فلا يبلغ مخلوق كنه حقه ،
ولا يتال فى عظمتة كنهه ذكره ، يدبر ما أراد من الأمور بقدرته ، ويصدرها عن
مشيئته ؛ لا قاضٍ فيها غيره ، ولا نفاذ لها إلا به ، يجريها على أذلها ؛ لا يستأمر

٣٢٩/٣

فيها وزيراً^(١) ، ولا يشاور فيها معيناً^(٢) ، ولا يلتبس عليه شيء أرادته ، يمضي قضاؤه فيما أحب العباد وكرهوا^(٣) ، لا يستطيعون منه امتناعاً ، ولا عن أنفسهم دفاعاً ، رب الأرض ومن عليها ، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين .

ثم إنك قد علمت الحال التي كنا عليها في ولاية الظلمة ، كيف كانت قوتنا وحيلتنا ، لما اجترأ عليه أهل بيت اللعنة فيما أحببنا وكرهنا ، فصبرنا أنفسنا على ما دعونا إليه من تسليم الأمور إلى^(٤) من أسندوها إليه ، واجتمع رأيهم عليه ، نسام الخسف ، ونوطاً بالعسف ، لا ندفع ظلماً ، ولا نمنع ضيماً^(٥) ، ولا نعطي حقاً ، ولا ننكر منكراً ، ولا نستطيع لها ولا لأنفسنا نفعا ، حتى إذا بلغ الكتاب أجله ، وانتهى الأمر إلى مدته ، وأذن الله في هلاك^(٦) علوه ، وارتاح بالرحمة لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ، فابتعث الله لهم أنصاراً يطلبون بثأرهم ، ويجاهدون عدوهم ، ويدعون إلى حبهم ، وينصرون دولتهم ، من أرضين متفرقة ، وأسباب مختلفة ، وأهواء متولفة ، فجمعهم الله على طاعتنا ، وألف بين قلوبهم بمردتنا على نصرتنا ، وأعزهم بنصرنا ، لم نلق منهم رجلاً ، ولم نشهر معهم إلا ما قذف الله في قلوبهم ، حتى ابتعثهم لنا من بلادهم ، ببصائر نافذة ، وطاعة خالصة ، يلقون الظفر ، ويعودون^(٧) بالنصر ، وينصرون بالرب ، لا يلقون أحداً إلا هزموه ، ولا واثراً^(٨) إلا قتلوه ، حتى بلغ الله بنا^(٩) بذلك أقصى مدانا وغاية منانا ومنتهى آمالنا وإظهار حقنا ، وإهلاك^(١٠) عدونا ، كرامة من الله جل وعز لنا ، وفضلاً^(١١) منه علينا ، بغير حول منا ولا قوة ، ثم لم نزل من ذلك^(١٢) في نعمة الله وفضله علينا ، حتى نشأ^(١٣) هذا الغلام ، فقذف الله له في قلوب أنصار الدين^(١٤) الذين ابتعثهم لنا مثل ابتدائه لنا أول أمرنا ، وأشرب قلوبهم مودته ، وقسم في صدورهم محبته ، فصاروا

٣٤٠/٣

- | | |
|------------------------|-----------------------------|
| (١) ح : « خلقه » . | (٢) ج : « أحداً في أمره » . |
| (٣) ج : « أو كرهوا » . | (٤) ج : « إلا أن » . |
| (٥) ج : « ظلمنا » . | (٦) ج : « إهلاك » . |
| (٧) ج : « يفوزون » . | (٨) ج : « واثراً » . |
| (٩) ب : « لنا » . | (١٠) ج : « وهلاك » . |
| (١١) ج : « من به » . | (١٢) ب : « من » . |
| (١٣) ج : « شب » . | (١٤) ب : « أصحاب الدين » . |

لا يذكرون إلاّ فضله ، ولا ينوّهون إلاّ باسمه ، ولا يعرفون إلاّ حقه ، فلمّا رأى أمير المؤمنين ما قذف الله في قلوبهم من مودّته ، وأجرى على ألسنتهم من ذكره ، ومعرفتهم إياه بعلاماته واسمه ، ودعاء العامة إلى طاعته ، أيقنت نفس أمير المؤمنين أنّ ذلك أمرتولاه الله وصنّعه ؛ لم يكن للعباد فيه أمر ولا قدرة ، ولا مؤامرة ولا مذاكرة ؛ للذى رأى أمير المؤمنين من اجتماع الكلمة ، وتنازع العامة ؛ حتى ظن أمير المؤمنين أنه لولا معرفة المهديّ بحقّ الأبوة ، لأفضت الأمور إليه . وكان أمير المؤمنين لا يمنع مما اجتمعت عليه العامة ، ولا يجد مناصاً^(١) عن خلاص ما دعوا إليه ، وكان أشدّ الناس على أمير المؤمنين في ذلك الأقرب فالأقرب من خاصّته وثقاته من حرسه وشرطه ؛ فلم يجد أمير المؤمنين بداً من استصلاحهم^(٢) ومتابعتهم ؛ وكان أمير المؤمنين وأهل بيته أحقّ من سارع إلى ذلك وحرص^(٣) عليه ، ورغب فيه وعرف فضله ، ورجأ بركته ، وصدق الرواية فيه ، وحمد الله إذ جعل في ذريّته مثل ما سألت الأنبياء قبله ؛ إذ قال العبد الصالح : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا د يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾^(٤) فوهب الله لأمر المؤمنين وليّاً ، ثم جعله تقيّاً مباركاً مهديّاً^(٥) ، وللنبيّ صلى الله عليه وسلم سميّاً ، وسلب من انتحل هذا الاسم ، ودعا إلى تلك الشبهة التي تحير فيها أهل تلك النية ، وافتتن بها أهل تلك الشقوة ، فانزع ذلك منهم ، وجعل دائرة السوء عليهم ، وأقرّ الحقّ قواره ، وأعلن للمهديّ مناره ، وللدّين أنصاره ، فأحبّ أمير المؤمنين أن يعلمك الذي اجتمع عليه رأى رعيّته ؛ وكنت في نفسه بمنزلة ولده ، يحبّ من سترك ورشدك وزينتك ما يحبّ لنفسه وولده ، ويرى لك^(٦) إذا بلغك من قبلك ، ليعلم أنصارنا من أهل خراسان وغيرهم أنك أسرع^(٧) إلى ما أحبّوا ممّا عليه رأيهم في صلاحهم منهم إلى ذلك من أنفسهم ، وإنّ ما كان

٣٤١/٣

(٢) ج : « استصلاحهم » .

(٤) سورة مريم ٥ ، ٦ .

(٦) ب : « ذلك » .

(١) ج : « ملاحاً » .

(٣) ج : « وحرص » .

(٥) ب : « مهديّاً » .

(٧) بعدها في ب : « الناس » .

عليه من فضل عرفوه للمهدي ، أو أمتلوه فيه ، كنت أحظى الناس بذلك ، وأسرمهم به لمكانه وقربته ؛ فاقبل نصيح أمير المؤمنين لك ، تصلح وترشد . والسلام عليك ورحمة الله .

فكتب إليه عيسى بن موسى جوابها :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين من عيسى بن موسى . سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله . فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه ما أجمعت عليه من خلاف الحق وركوب الإثم في قطيعة^(١) الرحيم ، ونقض ما أخذ الله عليه من الميثاق من العامة بالوفاء للخلافة والعهد لي من بعدك ، لتقطع بذلك ما وصل الله من حبيله ، وتفرق بين ما ألفت الله جمعه^(٢) ، وتجمع بين ما فرق الله أمره ، مكابرة^(٣) لله في سمائه . وحولاً على الله في قضائه ، ومتابعة للشيطان في هواه ؛ ومن كابر الله صرعه ، ومن نازعه قمعه ، ومن ماكره عن شيء خدعه ، ومن توكل على الله منعه . ومن تواضع لله رفعه . إن الذي أسس عليه البناء ، وخط عليه الحذاء من الخليفة الماضي عهد لي من الله ، وأمر نحن فيه سواء ؛ ليس لأحد من المسلمين فيه رخصة دون أحد ؛ فإن وجب وفاء فيه فما الأول بأحق به من الآخر . وإن حل من الآخر شيء فما حرم ذلك من الأول ؛ بل الأول الذي تلاخبره وعرف أثره ، وكشف عما ظن به وأمل فيه أسرع ؛ وكان الحق أولى بالذي أراد أن يصنع أولاً ، فلا يدعوك إلى الأمن من البلاء اغتراراً بالله ، وترخيص للناس في ترك الوفاء ؛ فإن من أجابك إلى ترك شيء وجب لي واستحل ذلك مني ، لم يخرج إذا أمكنته الفرصة وأفتنته الرخصة أن يكون إلى مثل ذاك منك أسرع . ويكون بالذي أسست من ذلك أبخع . فاقبل العاقبة وارض من الله بما صنع ، وخذ ما أوتيت بقوة ؛ وكن من الشاكرين . فإن الله جل وعز زائد^(٤) من شكره ، وعنده منه حقاً لا خلف فيه^(٥) ؛ فمن راقب الله حفظه ، ومن أضمر خلافه خذله ؛ والله يعلم خائنة الأعين وما

(٢) ب : « وجمعه » .

(٤) ط : « زائد » ، وهو خطأ .

(١) ب : « وقطيعة » .

(٣) ج : « مكابدة » .

(٥) ج : « له » .

تخفي الصدور . ولسنا مع ذلك نأمن من جوادث الأمور وبَغْثَاتِ^(١) الموت قبل ما ابتدأت به من قطيعي ؛ فإن تعجلت في أمر كنت قد كُفيت مؤونة ما اغتممت له ، وسرت قُبُح ما أردت إظهاره ؛ وإن بقيت بعدك لم تكن أوغرت صدرى ، وقطعت رحمى ؛ ولا أظهرت أعدائى فى اتباع أثرك ، وقبول أدبك ، وعمل بمثالك^(٢) .

وذكرت أن الأمور كلها بيد الله ؛ هو مدبرها ومقدرها^(٣) ومصدرها عن مشيئته ؛ فقد صدقت ؛ إن الأمور بيد الله ، وقد حق على من عرّف ذلك ووصفه العمل به والانتفاء إليه . واعلم أننا لسنا جبرنا إلى أنفسنا نفعاً ، ولا دفعنا^(٤) عنها ضرراً ، ولا نلنا الذى عرفته^(٥) بحولنا ولا قوتنا ؛ ولو وكّلنا فى ذلك إلى أنفسنا وأهوائنا لضعفت قوتنا ، وعجزت قدرتنا فى طلب ما بلغ الله بنا ؛ ولكن الله إذا أراد عزماً لإتقاد أمره ، وإنجاز وعده ، وإتمام عهده ، وتأكيده عقده ؛ أحكم إبرامه ، وأبرم إحكامه ، ونور إعلانه^(٦) ، وثبت أركانه ، حين أسس بنيانه ؛ فلا يستطيع العباد تأخير ما عجل ، ولا تعجيل ما أخر ؛ غير أن الشيطان عدو مُضِلُّ مُبِين ؛ قد حذر الله طاعته ، وبين عداوته ، ينزع بين ولاية الحق وأهل طاعته ، ليفرق جمعهم ، ويشتت شملهم^(٧) ، ويوقع العداوة والبغضاء بينهم ؛ ويتبرأ منهم عند حقائق الأمور ؛ ومضايق البلايا ؛ وقد قال الله عز وجل فى كتابه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٨) . ووصف الذين اتقوا فقال : ﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾^(٩) ؛ فأعيد^(١٠) أمير المؤمنين بالله من أن يكون نيته وضمير سريره

٣٤٤/٣

(٢) ب : « وعمل مثالك » .

(٤) ب : « نفع » ، ج : « رنعا » .

(٦) ج : « أعلامه » .

(٨) سورة الحج ٥٢ .

(١٠) ب : « وأعيد » .

(١) ج : « نقات » .

(٢) ج : « وموردها » .

(٥) ج : « نحن فيه » .

(٧) ج : « أرمم » .

(٩) سورة الأعراف ٢٠١ .

خلاف ما زين الله به جلّ وعزّ منّ كان قبله ؛ فإنه قد سألتهم أبناؤهم ،
ونازعتهم أهواؤهم ، إلى مثل الذي همّ به أمير المؤمنين ؛ فأثروا الحقّ على ما سواه ،
وعرفوا ^(١) أن الله لا غالب لقضائه ؛ ولا مانع لِعظائه ؛ ولم يأمنوا مع
ذلك تغيير النعم وتعجيل النقم ؛ فأثروا الآجلة ، وقبلوا العاقبة ، وكرهوا
التغيير ، وخافوا التبديل ؛ فأظهروا الجميل ؛ فتمّم الله لهم أمورهم ، وكفاهم
ما أهمّهم ، ومنع سلطانهم ؛ وأعزّ أنصارهم ، وكرّم أعوانهم ، وشرف بنيانهم ؛
فتمتّ النعم ، وتظاهرت المنّ ، فاستوجبوا الشكر ، فتمّ أمر الله وهم كارهون .
والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله .

فلما بلغ أبا جعفر المنصور كتابه أمسك عنه ، وغضب غضباً شديداً ،
وعاد الجند لأشدّ ما كانوا يصنعون ؛ منهم أسد بن المرزبان وعقبة بن سلّم
ونصر بن حرب بن عبد الله ؛ في جماعة ؛ فكانوا يأتون باب عيسى ، فيمنعون
منّ يدخل إليه ؛ فإذا ركب مشوا خلفه ^(٢) وقالوا : أنت البقرة التي قال الله :
﴿ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٣) ، فعاد فشكاهم ، فقال له المنصور :
يا بن أخي ، أنا والله أخافهم عليك وعلى نفسي ؛ قد أشربوا حبّ هذا الفتي ؛
فلو قد متّه بين يديك فيكون بيني وبينك لكفؤوا . فأجاب عيسى إلى
أن يفعل .

مذكّر عن إسحاق الموصليّ . عن الربيع ، أن المنصور لما رجع إليه من عند
عيسى جواب كتابه الذي ذكرنا ، وقع في كتابه : « اسأل عنها تنل منها
عيوضاً في الدنيا ، وتأمين تبعتها في الآخرة » .

وقد ذكر في وجهه ^(٤) خلع المنصور عيسى بن موسى قول غير هذين
القولين ؛ وذلك ما ذكره أبو محمد المعروف بالأسوارى بن عيسى الكاتب ،
قال : أواد أبو جعفر أن يخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد . ويقدم
المهديّ عليه . فأبى أن يحميه إلى ذلك ، وأعيا الأمر أبا جعفر فيه ؛ فبعث
إلى خالد بن برمك ، فقال له : كلّمه يا خالد ؛ فقد ترى امتناعه من البيعة

(١) هـ : « وعلموا » . (٢) ب ، هـ : « حوله » . (٣) سورة البقرة ٧١ (٤) ج : « أمر » .

للمهديّ ؛ وما قد تقدّمنا به في أمره ؛ فهل عندك حيلة فيه ، فقد أعيتنا وجوه الحيل ، وضلّ عنا الرأي ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ تضمّ إلى ثلاثين رجلاً من كبار الشّيعّة ، ممن تختاره . قال : فركب خالد بن برمك ، وركبوا معه ، فساروا^(١) إلى عيسى بن موسى ، فأبلغوه رسالة أبي جعفر المنصور ، فقال : ما كنت لأخلع نفسي وقد جعل الله عزّ وجلّ الأمر لي ؛ فأداره خالد بكلّ وجه من وجوه الحذر والطمع ، فأبى عليه ؛ فخرج خالد عنه وخرجت الشّيعّة بعده ، فقال لهم خالد : ما عندكم في أمره ؟ قالوا : نبليّخ أمير المؤمنين رسالته ونخبره بما كان منّا ومنه ؛ قال : لا ، ولكننا نخبر أمير المؤمنين أنه قد أجاب ، ونشهد عليه إن أنكره ، قالوا له : افعّل ، فإنّا نفعل ، فقال لهم : هذا هو الصّواب . وأبليّخ أمير المؤمنين فيما حاول وأراد .

٢١٦/٣

قال . فساروا إلى أبي جعفر وخالد معهم ، فأعلموه أنه قد أجاب ، فأخرج التوقيع بالبيعة للمهديّ . وكتب بذلك إلى الآفاق ؛ قال : وأتى عيسى ابن موسى لما بلغه الخبر أبا جعفر منكراً لما ادّعى عليه من الإجابة إلى تقديم المهديّ على نفسه ، وذكره الله فيما قد همّ به . فدعاهم أبو جعفر . فسألهم فقالوا : نشهد عليه أنه قد أجاب ؛ وليس له أن يرجع ؛ فأمضى أبو جعفر الأمر ، وشكر لخالد ما كان منه ؛ وكان المهديّ يعرف ذلك له ، ويصف جزالة الرأي منه فيه .

وذُكر عن عليّ بن محمد بن سليمان . قال : حدثني أبي ، عن عبد الله بن أبي سليم مولّي عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : إني لأسيرُ مع سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وقد عزم أبو جعفر على أن يقدّم المهديّ على عيسى بن موسى في البيعة ، فإذا نحن بأبي نُخَيْلَة الشاعر ، ومعه ابناه وعبيداه^(٢) ؛ وكلّ واحد منهما يحمل شيئاً من متاع ، فوقف عليهم سليمان بن عبد الله ، فقال : أبا نُخَيْلَة ، ما هذا الذي أرى ؟ وما هذه الحال التي أنت فيها ؟ قال : كنتُ نازلاً على القعقاع^(٣) — وهو رجل من آل زرارة ، وكان يتولى

٢١٧/٣

(١) ب : « فسار » . (٢) الأغاني : « ومعه ابناه له وعبد » .

(٣) الأغاني : « القعقاع بن معبد ، أحد ولد معبد بن زرارة » .

لعيسى بن موسى الشرطه - فقال لى : اخرج عني ؛ فإن هذا الرجل قد اصطنعني ؛ وقد بلغني أنك قلت شعراً في هذه البيعة للمهدي ، فأخاف إن يبلغه ذلك أن يلزمني لائمة لتزولك علي ، فأزعجني حتى خرجت . قال : فقال لى : يا عبد الله ؛ انطلق بأبي نخيلة فيوثقه في منزلي موضعاً صالحاً ، واستوص به وبمن معه خيراً . ثم خبر سليمان بن عبد الله أبا جعفر بشعر أبي نخيلة الذى يقول فيه :

عيسى فزخلفها إلى محمد حتى تودى من يد إلى يد^(١)
فيكم وتغنى وهى في تزيد فقد رخصنا بالغلام الأمر

قال : فلما كان في اليوم الذى بايع فيه أبو جعفر لابنه المهدي وقدمه على عيسى ، دعا بأبي نخيلة ، فأمره فأنشد الشعر ؛ فكلمه سليمان بن عبد الله ، وأشار عليه في كلامه أن يسجل له العطية ، وقال : إنه شئ يبق لك في الكتب ، ويتحدث الناس به على الدهر ، ويخلد على الأيام ؛ ولم يزل به حتى أمر له بعشرة آلاف درهم^(٢) .

وذكر عن حيّان بن عبد الله بن حبران الحمّاني ، قال : حدثني أبو نخيلة ، قال : قدمت على أبي جعفر ، فأقمت ببابه شهراً^(٣) لا أصل إليه ، حتى قال لى ذات يوم عبد الله بن الربيع الحارثي : يا أبا نخيلة ، إن أمير المؤمنين يرشح ابنه للخلافة والعهد ، وهو على تقدّمته بين يدي عيسى بن موسى ، فلو قلت شيئاً تحثه على ذلك ، وتذكر فضل المهدي ، كنت بالحرى أن تصيب منه خيراً ومن ابنه ، فقلت :

(١) موضوعهما في الأغاني :

ليس ولى عهدنا بالأشعد عيسى فزخلفها إلى محمد
من عند عيسى معهداً عن معهد حتى تودى من يد إلى يد

وفي اللسان : « ويقال : زحف الله عنا شرك ، أى نحى الله عنا شركه » ، واستشهد بالرجز .

(٢) الخبر في الأغاني ١٨ : ١٥٠ - ١٥١ (سامي) ، مع اختلاف في الرواية .

(٣) ج : « أشهره » .

ذَوْنِكَ عَبْدَ اللَّهِ أَهْلَ ذَاكَ حِلَافَةَ اللَّهِ الَّتِي أَعْطَاكَ^(١)
 أَصْفَاكَ أَصْفَاكَ بِهَا أَصْفَاكَ فَقَدْ نَظَرْنَا زَمَنًا أَبَاكَ
 ثُمَّ نَظَرْنَاكَ لَهَا إِيَّاكَ وَنَحْنُ فِيهِمْ وَالْهَيَّ هَوَاكَ
 نَعَمْ ، فَتَسْتَدْرِي إِلَى ذَرَاكَ أَسْنَدُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَصَاكَ
 فَابْنُكَ مَا اسْتَرَعَيْتَهُ كَفَاكَ فَأَحْفَظُ النَّاسَ لَهَا أَذْنَاكَ
 فَقَدْ جَفَلْتُ الرَّجُلَ وَالْأَوْرَاكَ وَحَكْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَحَاكَ
 وَدُرْتُ فِي هَذَا وَذَا وَذَاكَ وَكُلُّ قَوْلٍ قُلْتُ فِي سَوَاكَ
 • زُورٌ وَقَدْ كَفَّرَ هَذَا ذَاكَ •

وَقُلْتُ أَيْضًا كَلِمَتِي الَّتِي أَقُولُ فِيهَا .

إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَاغْمِدِي سِيرِي إِلَى بَحْرِ الْبُحُورِ الْمُزِيدِ^(٢)
 أَنْتَ الَّذِي يَا بَنَ سَمِيَّ أَحْمَدِ وَيَا بَنَ بَيْتِ الْعَرَبِ الدُّشَيْدِ
 بَلْ يَا أَمِينَ الْوَاحِدِ الْمُؤَيَّدِ^(٣) إِنَّ الَّذِي وَاللَّهِ رَبُّ الْمَسْجِدِ
 أَمْسَى وَلِيَّ عَهْدِهَا بِالْأَسْعَدِ عَيْسَى فَزَحَلَفَهَا إِلَى مُحَمَّدِ
 مِنْ قَبْلِ عَيْسَى مَعَهْدًا عَنْ مَعَهْدِ حَتَّى تَوَدَّى مِنْ يَدِي إِلَى يَدِ
 فِيكُمْ وَتَغْنَى وَهِيَ فِي تَزْيِيدِ فَقَدْ رَضِينَا بِالْغَلَامِ الْأَمْرِدِ
 بَلْ قَدْ فَرَعْنَا غَيْرَ أَنْ لَمْ تَشْهَدْ^(٤) وَغَيْرَ أَنَّ الْعَقْدَ لَمْ يُؤَكِّدِ^(٥)
 فَلَوْ سَمِعْنَا قَوْلَكَ^(٦) أَمْدُدْ أَمْدِدْ كَانَتْ لَنَا كَدْعَقَةِ الْوَرْدِ الصَّدِيدِ^(٧)

٣٤٩/٣

(١) انظر الأغانى ١٨ : ١٥٢ .

(٢) الأغانى ١٨ : ١٥١ ، وفي ج : « فاغمدى » ، وفيه في الأغاني :

« إِلَى الَّذِي يَنْدَى وَلَا يَنْدَى نَدَى • »

(٤) ج : « فرعنا » .

(٦) الأغاني : « قولك » .

(٣) ج : « المؤيد » .

(٥) ب : « العهد » .

(٧) كذا في الأغاني ، وفي ط : « لحة » .

فبادر البيعة ورد الحشد تبير من يومئذ هذا أو غد^(١)
 فهو الذي سمى فما من عند وزاد ما شئت فزده يزدد^(٢)
 ورد منك رداك يرتد فهو رداك السابق المقلد
 قد كان يروى أنها كائن قد عادت ولو قد فعلت لم تردد^(٣)
 فهي ترمى فذعدا عن فذعد حيناً ، فلو قد حان ورد الرد
 وحاز تحويل القوى المفسد قال لها الله هلمى وأرشدى
 فأصبحت نازلة بالمعتمد والمجتهد المحتد خير المحتد
 لم يرم تذمار النفوس الحسد بمثل قزم ثابت مؤيد
 لما انتحوا قدحاً يزند مضيد بلوا بمشور القوى المستنجد
 يزاد إيقاطاً على التهديد فداولوا باللين والتعبس
 • صمصامة تأكل كل مبرد •

قال : فرويت وصارت في أفواه الخدم ، وبلغت أبا جعفر ، فسأل عن
 قائلها ، فأخبر أنها لرجل من بني ساعد بن زيد منه ، فأعجبه ، فدعاني فأدخلت
 عليه ، وإن عيسى بن موسى لعن يمينه ، والناس عنده ، ورعوس القواد والجند ،
 فلما كنت بحيث يراني ، ناديت : يا أمير المؤمنين ، أدتني منك حتى أفهيك
 وتسمع مقالتي^(٤) فأرأى بيده ، فأدنيته حتى كنت قريباً منه ، فلما صرت
 بين يديه قلت : ورفعت صوتي - أنشد من هذا المرنع : ثم رجعت إلى أول

(١) الأغانى :

فتاد للبيعة جمعاً نحشد في يومنا الحاضر هذا أو غد

(٢) الأغانى :

• واصنع كما شئت وزده يزدد •

(٣) الأغانى : ٥ روت نقلت .

(٤) ح : « كلامي » .

الأرجوزة ؛ فأنشدتها من أولها إلى هذا الموضع أيضًا ، فأعدت عليه حتى أتيت على آخرها ، والنام منصفون ، وهو يتسار بما أنشده ، مستمعاً له ؛ فلما خرجنا من عنده إذا رجلٌ واضعٌ يده على منكبي ، فالتفت فإذا عقاب بن شبة يقول : أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ؛ فإن التأم الأمر على ما تحب وقلت ، فلعمري لتصيبن منه خيراً . وإن يك غير ذلك ، فابتغ فقاً في الأرض أو سلماً في السماء . قال : فكتب له المنصور بصلة إلى الرّبي ، فوجه عيسى في طلبه ، فلتحق في طريقه ، فذبح وسلخ وجهه .

وقيل : قتل بعد ما انصرف من الرّبي ؛ وقد أخذ الجائزة^(١) .

وذكر عن الوليد بن محمد العنبري أن سبب إجابة عيسى أبا جعفر إلى تقديم المهدي عليه كان أن سلم بن قتيبة قال له : أيها الرجل بايع ، وقدّمه على نفسك ، فإنك لن^(٢) تخرج من الأمر ؛ قد جعل لك الأمر من بعده وترضى أمير المؤمنين . قال : أو ترى ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فإني أفعل ؛ فأتى سلم المنصور فأعلمه إجابة عيسى ، فسُرّ بذلك وعظم قدر سلم عنده . وباع الناس للمهدي ولعيسى بن موسى من بعده . وخطب المنصور خطبته التي كان فيها تقديم المهدي على عيسى ، وخطب عيسى بعد ذلك فقدّم المهدي على نفسه ، ووفى له المنصور بما كان ضمن له .

٣٥١/٣

وقد ذكر عن بعض صحابة^(٣) أبي جعفر أنه قال : تذاكرنا أمر أبي جعفر المنصور وأمر عيسى بن موسى في البيعة وخلعه إياها من عنقه وتقديمه المهدي ، فقال لي رجل من القواد سماه : والله الذي لا إله غيره ؛ ما كان خلعه إياها منه إلا برضاً من عيسى وركون منه إلى الدّراهم ، وقلة علمه بقدر الخلافة ، وطلباً للخروج منها ؛ أتى يوم خرج للخلع فخلع نفسه ؛ وإني لفي مقصورة مدينة السّلام ؛ إذ خرج علينا أبو عبيد الله كاتب المهدي ، في جماعة من أهل خراسان ، فتكلم عيسى ، فقال : إني قد سلّمت ولاية العهد

(٢) ج : « لم » .

(١) الأغاني ١٨ : ١٤٦ (سلي) .

(٣) ج : « أصحاب » .

لمحمد بن أمير المؤمنين ، وقدّمته على نفسه ، فقال أبو عبيد الله : ليس
هكذا أعزّ الله الأمير ؛ ولكن قلّ ذلك بحقه وصدقته ؛ وأخبر بما رغب فيه ؛
فأعطيت ، قال : نعم ، قد بعث نصيبي من تقدمة ولاية العهد من عبد الله
أمير المؤمنين لابنه محمد المهدي بعشرة آلاف ألف درهم وثلاثمائة ألف بين ولدي
فلان وفلان وفلان - سمّاهم - وسبعمائة ألف لفلانة امرأة من نِسائه - سمّاهها -
بطيب نفس مني وحبّ ، لتصيرها إليه ، لأنه أولى بها وأحقّ ، وأقوى عليها
وعلى القيام بها ؛ وليس لي فيها حقّ لتقدمته ، قليل ولا كثير ؛ فما ادّعيته بعد
يومى هذا فأنا فيه مُبْطِلٌ لا حقّ لي فيه ولا دعوى ولا طلبه . قال : والله وهو
في ذلك ؛ ربما نسي (١) الشيء بعد الشيء فيوقفه عليه أبو عبيد الله ؛ حتى
فرغ ، حبّاً للاستيثاق منه . وختم الكتاب وشهد عليه الشهود وأنا حاضر ؛ حتى
وضع عليه عيسى خطّه وخاتمته ، والقوم جميعاً ؛ ثم دخلوا من باب المقصورة
إلى القصر .

٣٥٢/٣

قال : وكسا أمير المؤمنين عيسى وابنه موسى وغيره من ولده كسوة
بقيمة ألف ألف درهم ونيف ومائتي ألف درهم .

وكانت ولاية عيسى بن موسى الكوفة وسوادها وما حولها ثلاث عشرة سنة ؛
حتى عزله المنصور ، واستعمل محمد بن سليمان بن عليّ حين امتنع من تقديم
المهدي على نفسه .

وقيل : إنّ المنصور إنّما ولّى محمد بن سليمان الكوفة حين ولاّه إياها
ليستخفّ بعيسى ؛ فلم يفعل ذلك محمد ، ولم يزل معظماً له مبجلاً .

* * *

وفي هذه السنة ولّى أبو جعفر محمد بن أبي العباس - ابن أخيه - البصرة
فاستغنى منها فأعفاه ، فانصرف عنها إلى مدينة السلام ، فأت بها ، فصرخت
امراته البغوم بنت عليّ بن الربيع : واقتيلاه ! فضربها رجل من الحرس بجلوديز
على عجزيزتها ، فتعاوره خدم محمد بن أبي العباس فقتلوه ؛ فطُلّ دمه .

وكان محمد بن أبي العباس حين شخص عن البصرة استخلف بها عقبه

ابن سلم ، فأقره عليها أبو جعفر إلى سنة إحدى وخمسين ومائة .

• • •

وحجَّ بالناس في هذه السنة المصنور .

٢٥٠/٣

وكان عامله فيها علي مكة والطائف عمه عبد الصمد بن علي . وعلى المدينة
جعفر بن سليمان . وعلى الكوفة وأرضها محمد بن سليمان . وعلى البصرة عتبة
ابن سلم . وعلى قضائها سوار بن عبد الله . وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك توجيه المنصور حميد بن قحطبة إلى إرمينية
لحرب الترك الذين قتلوا حرب بن عبد الله ، وعاثوا بتفليس ، فسار حميد
إلى إرمينية ، فوجدهم قد ارتحلوا ، فانصرف ولم يلق منهم أحداً .

• • •

وفي هذه السنة عسكر صالح بن علي بدابق - فيما ذكر - ولم يتغز .
وحج بالناس فيها جعفر بن أبي جعفر المنصور .

• • •

وكانت ولاية الأمصار في هذه السنة ولاتها في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فيمّا كان فيها من ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة أرض الروم ،
ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث ، فهلك محمد بن الأشعث في
الطريق .

وفي هذه السنة استتم المنصور بناء سور مدينة بغداد ، وفرغ من خندقها
وجميع أمورها .

• • •

وفيهما شخص إلى حديثة^(١) الموصل ، ثم انصرف إلى مدينة السلام .

٣٥٤/٣

• • •

وحجّ في هذه السنة بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله
ابن عباس .

وفي هذه السنة عزّل عبد الصمد بن عليّ عن مكة ، ووليّها محمد بن
إبراهيم .

• • •

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة العمال الذين كانوا عمالها في سنة
سبع وأربعين ومائة وستة ثمان وأربعين ومائة ؛ غير مكة والطائف ؛ فإنّ واليهما كان
في هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس .

(١) ج : « مدينة الموصل » .

ثم دخلت سنة خمسين ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خروج أستاذ سيس]

فما كان فيها من ذلك خروج أستاذسيس في أهل هرة وباذغيس وسجستان وغيرها من عامة خراسان، وساروا حتى التقواهم وأهل مرو والروذ، فخرج إليهم الأجم المروزي في أهل مرو والروذ، فقاتلوه قتالاً شديداً حتى قتل الأجم، وكثر القتل في أهل مرو والروذ، وهزم عدة من القواد، منهم معاذ بن مسلم بن معاذ وجبرئيل بن يحيى وحمام بن عمرو وأبوالتجم السجستاني وداود بن كراز، فوجه المنصور وهو بالبردان خازم ابن خزيمة إلى المهدي، فولاه المهدي محاربة أستاذسيس، وضم القواد إليه.

٣٠٠/٣

فذكر أن معاوية بن عبيد الله وزير المهدي كان يوهن أمر خازم، والمهدي يومئذ بنيسابور، وكان معاوية يخرج الكتب إلى خازم بن خزيمة وإلى غيره من القواد بالأمر والنهي، فاعلن خازم وهو في عسكره، فشرب اللواء ثم ركب البريد، حتى قدم على المهدي بنيسابور، فسلم عليه واستخلاه — وبحضرته أبو عبيد الله — فقال المهدي: لا عييق عليك من أبي عبيد الله، فقل ما بدا لك، فأبى خازم أن يخبره أو يكلمه، حتى قام أبو عبيد الله، فلما خلا به شكاه إليه أمر معاوية بن عبيد الله، وأخبره بعصيته وتحامله، وما كان يرد من كتبه عليه وعلى من قبله من القواد، وما صاروا إليه بذلك من الفساد والتأمر في أنفسهم، والاستبداد بآرائهم، وقلة السمع والطاعة. وأن أمر الحرب لا يستقيم إلا برأس، وألا يكون في عسكره لواء يخفيق على رأس أحد إلا لوائه أو لواء هو عقده. وأعلمه أنه غير راجع إلى قتال أستاذسيس ومن معه إلا بتفويض الأمر إليه وإعفائه من معاوية بن عبيد الله، وأن يأذن

له في حمل ألوية القوَاد الذين معه ، وأن يكتب إليهم بالسمع له والطاعة .
فأجابه المهدي إلى كل ما سأل .

فانصرف خازم إلى عسكره ، فعمل برأيه ، وحلّ لواء مَن رأى حلّ لوائه من القوَاد ، وعقد لواء لمن أراد ، وضمّ إليه مَن كان انهزم من الجنود ، فجعلهم حشواً يكثر بهم ^(١) مَن معه في أخريات الناس ، ولم يقدّمهم لما في قلوب المغلوبين من روعة الهزيمة ؛ وكان من ضمّ ^(٢) إليه من هذه الطبقة اثنين وعشرين ألفاً ، ثم انتخب ستة آلاف رجل من الجُند ، فضمهم إلى اثني عشر ألفاً كانوا معه متخيرين ؛ وكان بكّار بن مسلم ^(٣) العقيليّ فيمن انتخب ، ثم تعباً للقتال وخندق . واستعمل المهيم بن شعبة بن ظهير على ميمته ، ونهار بن حصين السعديّ على ميسرته ؛ وكان بكّار بن مسلم العقيليّ على مقدّمته وترارخدا على سافته ؛ وكان من أبناء ملوك أعاجم خراسان ؛ وكان لوائه مع الزبُرقان وعلمه مع مولاه بسّام ، فكريهم وراوغهم في تنقله من موضع إلى موضع وخندق إلى خندق حتى قطعهم ؛ وكان أكثرهم رجالة ، ثم سار خازم إلى موضع فنزله ، وخندق عليه ، وأدخل خندقه جميع ما أراد ، وأدخل فيها جميع أصحابه ، وجعل له أربعة أبواب ، وجعل على كل باب منها من أصحابه الذين انتخب ، وهم أربعة آلاف ، وجعل مع بكّار صاحب مقدّمته ألفين ؛ تكملة الثمانية عشر ألفاً . وأقبل الآخرون ومعهم المروز ^(٤) والفؤوس والزبّل ، يريدون دفن الخندق ودخولته ، فأتوا الخندق من الباب الذي كان عليه بكّار بن مسلم ، فشدوا عليه شدة لم يكن لأصحاب بكّار نهاية دون أن انهزموا حتى دخلوا عليهم الخندق .

فلما رأى ذلك بكّار رمى بنفسه ^(٥) ، فرجل على باب الخندق ثم نادى أصحابه : يا بني الفواجر ، من قبلي يؤقي المسلمون ! فرجل مَن معه من عشيرته وأهله نحو من خمسين رجلاً ، فنعوا بابهم حتى أجلوا القوم عنه ، وأقبل إلى الباب الذي كان عليه خازم رجل كان مع أستاذيس من أهل سجستان ، يقال له الحريش ؛ وهو الذي كان يدبر أمرهم ؛ فلما رآه خازم

(١) ج : « يكثرهم » . (٢) ج : « انضم » . (٣) ابن الأثير : « مسلم » .
(٤) كذا في « وف » ، « المروز » . (٥) ب : « نفسه » .

مقبلاً بعث إلى الهيثم بن شعبة، وكان في الميمنة - أن اخرج من بابك الذي أنت عليه ؛ فخذ غير الطريق الذي يوصلك إلى الباب الذي عليه بكار ، فإن القوم قد شغلوا بالقتال وبالإقبال إلينا ، فإذا علوت فجرت مبلغ أبعصارهم فأتهم من خلفهم . وقد كانوا في تلك الأيام يتوقعون قدوم أبي عون وعمرو بن سلم ابن قتيبة من طخارستان . وبعث خازم إلى بكار بن مسلم : إذا رأيت رياث الهيثم بن شعبة قد جاءتك من خلفك ، فكبروا وقولوا : قد جاء أهل طخارستان . ففعل ذلك أهل الهيثم ، وخرج خازم في القلب على الحريش السجستاني ، فاجتلدوا بالسيوف جلاداً شديداً ، وضرب بعضهم لبعض ، فبيناهم على تلك الحال إذ نظروا إلى أعلام الهيثم وأصحابه ، فتنادوا^(١) فيما بينهم ، وجاء أهل طخارستان ، فلما نظر أصحاب الحريش إلى تلك الأعلام ، ونظر من كان بإزاء بكار بن مسلم إليها ، شد عليهم أصحاب خازم فكشفوهم ، ولقيهم أصحاب الهيثم ، فطعنوهم بالرماح ، ورموهم بالنشاب ، وخرج عليهم^(٢) نهار بن حصين وأصحابه من ناحية الميسرة ، وبكار^(٣) بن مسلم وأصحابه من ناحيتهم^(٤) ، فهزموهم ووضعوا فيهم السيوف ، فقتلهم المسلمون وأكثروا ، فكان من قتل منهم في تلك المعركة نحواً من سبعين ألفاً ، وأسروا أربعة عشر ألفاً ، ولحق أستاذسيس إلى جبل في عدة من أصحابه يسيرة ، فقدم خازم الأربعة عشر ألف أسير ؛ فضرب أعناقهم ، وسار حتى نزل بأستاذسيس في الحبس الذي كان لجا إليه ، ووافي خازماً بذلك المكان أبو عون وعمرو بن سلم بن قتيبة في أصحابهما ؛ فأنزلهم خازم ناحية ، وقال : كونوا مكانكم حتى نحتاج إليكم . فحصر خازم أستاذسيس وأصحابه حتى نزلوا على حكم أبي عون ، ولم يرضوا إلا بذلك ، فرضى بذلك خازم ، فأمر أبا عون بإعطائهم أن ينزلوا على حكمه ، ففعل ؛ فلما نزلوا على حكم أبي عون حكم فيهم أن يؤثق أستاذسيس وبنوه وأهل بيته بالحديد ، وأن يعتق الباقيون وهم ثلاثون ألفاً ، فأنفذ ذلك خازم من حكم أبي عون ، وكسا كل رجل منهم ثوبين ؛ وكتب

٣٥٨/٣

(٢) ب : « إيهيم » .

(٤) ج : « ناحيته » .

(١) ب : « فتادوا » .

(٣) ب : « وكان بكار » .

خازم بما فتح الله عليه ، وأهلك عدوه إلى المهدي ، فكتب بذلك المهدي إلى أمير المؤمنين المنصور .

وأما محمد بن عمر ، فإنه ذكر أن خروج أستاذسيس والحريش كان في ستة خمسين ومائة ، وأن أستاذسيس هُزم في سنة إحدى وخمسين ومائة .

• • •

وفي هذه السنة عزل المنصورُ جعفر بن سليمان عن المدينة ، وولاه الحسن ابن يزيد بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .

وفيهما توفّي جعفر بن أبي جعفر المنصور ، الأكبرُ بمدينة السلام ، وصلى عليه أبوه المنصور ، وُدُفن ليلاً في مقابر قريش ؛ ولم تكن للناس في هذه السنة صائفة ؛ قيل إن أبا جعفر كان ولّى الصائفة في هذه السنة أسيداً ، فلم يدخل بالناس أرض العدو ، ونزل مرج دابق .

٣٥٩/٣

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وكان العامل على مكة والطائف في هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس — وقيل كان العامل على مكة والطائف في هذه السنة محمد ابن إبراهيم بن محمد — وعلى المدينة الحسن بن زيد العلوي ، وعلى الكوفة محمد ابن سليمان بن علي ، وعلى البصرة عُقبة بن سلم ، وعلى قضائها سَوّار ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إغارة الكُرْك فيها في البحر على جدّة ؛ ذكر ذلك محمد بن عمر .

وفيهما ولّى عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة إفريقية ، وعزّل عن السند وولّى موضعه هشام بن عمرو التغلبي .

• • •

ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وتوليته إياه إفريقية واستعماله على السند هشام بن عمرو

وكان سبب ذلك — فيما ذكر على بن محمد بن سليمان بن عليّ العباسي ٣٦٠/٣ — عن أبيه — أن المنصور ولّى عمر بن حفص الصّفريّ الذي يقال له هزارمردّ السند — فأقام بها حتى خرج محمد بن عبد الله بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ، فوجّه محمد بن عبد الله [إليه] ^(١) ابنته عبد الله بن محمد الذي يقال له الأشتر ، في نفر من الزيدية ^(٢) إلى البصرة ، وأمرهم أن يشتروا مهارة — خيل عتاق بها — ويمضوا بها معهم إلى السند ، ليكون سبيّاً له إلى الوصول إلى عمر بن حفص ، وإنما فعل ذلك به لأنّه كان فيسن بايعه من قوّاد أبي جعفر ، وكان له ميل إلى آل أبي طالب ، فقدّموا البصرة على إبراهيم بن عبد الله ، فاشترّوا منها مهارة — وليس في بلاد السند والهند شيء أنفق من الخيل العتاق — ومضوا في البحر حتى صاروا إلى السند ، ثم صاروا إلى عمر بن حفص ، فقالوا : نحن قوم نخاسرون ، وسعنا خيل عتاق ، فأمرهم أن يعرضوا ^(٣) خيلهم ، فعرضوها عليه ، فلما صاروا إليه ، قال له بعضهم : أدنني منك أذكر لك شيئاً ، فأدناهم منه ، وقال ^(٤) له : إنّنا جئناك بما هو خير لك من الخيل ، وما لك فيه

(٢) ب : « الزيدية » ، ج : « الرندية » .

(١) من ب .

(٤) ب : « فقالوا » .

(٣) ج : « يحضروا » .

خير^(١) الدنيا والآخرة ، فأعطينا الأمان على خلتين : إما أنك قبلت ما أتيناك به ، وإما سترت وأمسكت عن أذانا حتى نخرج من بلادك راجعين . فأعطاهم الأمان ، فقالوا : ما للخيل أتيناك ؛ ولكن هذا ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، أرسله أبوه إليك ، وقد خرج بالمدينة ، ودعا لنفسه بالخِلافة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة وغلب عليها ، فقال : بالرحب والسعة ، ثم بايعهم له ، وأمر به فنوارى عنده ، ودعا أهل بيته وقواده وكبراء^(٢) أهل البلد للبيعة ، فأجابوه ، فقطع الأعلام البيض والأقيسة البيض والقلانس البيض ، وهياً لبسته^(٣) من البيض يصعد فيها إلى المنبر ، ونهياً لذلك يوم خميس ؛ فلما كان يوم الأربعاء إذا حرّاقة^(٤) قد وافت من البصرة ، فيها رسول الخليفة بنت المَعَارِك — امرأة عمر بن حفص — بكتاب إليه تخبره بقتل محمد بن عبد الله ، فدخل على عبد الله فأخبره الخبر ، وعزّاه ، ثم قال له : إنني كنت بايعت لأبيك ، وقد جاء من الأمر ما ترى . فقال له : إن أمرى قد شُهِر ، ومكاني قد عُرِف ، ودمي في عنقك ؛ فانظر لنفسك أودع . قال : قد رأيت رأياً ؛ ها هنا ملك من ملوك السند ، عظيم المملكة كثير التبّع ؛ وهو على شركه أشدّ الناس تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو رجلٌ وفّ ، فأرسل إليه ، فاعقِد بينك وبينه عقداً ، وأوجهك إليه تكون عنده ؛ فليست ترام معه . قال : افعل ما شئت ؛ ففعل ذلك ؛ فصار إليه ، فأظهر إكرامه وبرّه براً كثيراً ، وتسالت إليه الزيدية حتى صار إليه منهم أربعمئة إنسان من أهل البصائر ؛ فكان يركب فيهم فيصيد^(٥) ويتنزّه في هيئة الملوك وآلاتهم ، فلما قتل محمد وإبراهيم انتهى خبر عبد الله الأشتر إلى المنصور ؛ فبلغ ذلك منه ، فكتب إلى عمر بن حفص يخبره بما بلغه ، فجمع عمر بن حفص قرابته ، فقرأ عليهم كتاب المنصور يخبرهم أنه إن أقرّ بالقصة لم ينظره المنصور أن يعزله ، وإن صار إليه قتله ، وإن امتنع حاربه . فقال له رجل من أهل بيته : ألقى الذئب على ، واكتب

٣٦١/٣

(١) ج : « من الدنيا » . (٢) ب : « وكبر » .
 (٣) ب : « لبسه » . (٤) الحراقة : ضرب من السفن فيها مراى فيران ، يرى بها العدو من البحر . وفى ب : « جدافة » (٥) ابن الأثير : « فيتصيد » .

٣٦٢/٣ إليه بخبري ، وخذني الساعة فقبِّلني واحببني ؛ فإنه سيكتب : أحمله إلى ؛ فاحملني إليه ، فلم يكن لي قدم^(١) على لموضعك في السند ، وحال أهل بيتك بالبصرة . قال : إني أخاف عليك خلاف ما تظن ، قال : إن قتلت أنا فنفسى فداؤك^(٢) فإني سخي بها فداء لنفسك ؛ فإن حييت فن الله . فأمر به فقيّد وحبس ، وكتب إلى المنصور يخبره بذلك ؛ فكتب إليه المنصور يأمره بحمله إليه ؛ فلما صار إليه قدمه فضرب عنقه ، ثم مكث يروى من يولّي السند ! فأقبل يقول : فلان فلان ؛ ثم يعرض عنه ؛ فبينما هو يوماً يسير ومعه هشام بن عمرو التغلبي ، والمنصور ينظر إليه في موكب ، إذ انصرف إلى منزله ، فلما ألقى ثوبه دخل الربيع فأذنه بهشام . فقال : أو لم يكن معي آنفاً ! قال : ذكر أن له حاجة عرضت مهمة . فدعا بكرسي فقعده عليه ، ثم أذن له ، فلما مشى بين يديه قال : يا أمير المؤمنين ؛ إني انصرفت إلى منزلي من الموكب ، فلما تقيتني أختي فلانة بنت عمرو ، فرأيت من جمالها وعقلها ودينها ما رضىتها لأمر المؤمنين ، فجئت لأعرضها عليه ؛ فأطرق المنصور ، وجعل ينكت الأرض بخيزرانة في يده ، وقال : اخرج يأتك أمري ؛ فلما ولّى قال : يا ربيع ؛ لولا بيت قاله جرير في بني تغلب لتزوجت أختي وهو قوله :

لا تَطْلُبْنَ خَمُولَةً فِي تَغْلِبٍ فَالزَّنجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَخْوالاً^(٣)

٣٦٣/٣ فأخاف أن تلد لي ولداً ، فيعير بهذا البيت ؛ ولكن اخرج إليه ، فقل له : يقول لك أمير المؤمنين : لو كانت لك لله حاجة إلى لم أعدل عنها غير التزويج ؛ ولو كانت لي حاجة إلى التزويج لقبّلت^(٤) ما أتيتني به ؛ فجزاك الله عما عمّدت له خيراً ، وقد عوضتك من ذلك ولاية السند . وأمره أن يكتب ذلك الملك ؛ فإن أطاعه وسلم^(٥) إليه عبد الله بن محمد ، وإلا حاربه . وكتب إلى عمر بن حفص بولايته إفريقية . فخرج هشام بن عمرو التغلبي إلى السند

(٢) ج : « فدى لك » .

(٤) ج : « لفعلت » .

(١) ب : « يقدم » .

(٣) ديوانه ٤٥٣ .

(٥) ج : « وأسلم » .

فوليها ، وأقبل عمر بن حفص يخوضُ البلاد حتى صار إلى إفريقية ، فلما صار هشام بن عمرو إلى السند كره أخذ عبد الله ، وأقبل يُرى الناس أنه يكتب الملك ويرفُق به ، فاتصلت الأخبار بأبي جعفر بذلك ؛ فجعل يكتب إليه يستحثه ، فبينما هو كذلك إذ خرجت خارجة ببعض بلاد السند ، فوجّه إليهم أخاه سقننجا . فخرج بجراً الجيش وطريقه بمننابات ذلك الملك ؛ فبينما هو يسير إذا هو برهج قد ارتفع من موكب ، فظن أنه مقدمة للعدو الذي يقصد ، فوجّه طلائعَه فرجعت ، فقالت : ليس هذا عدوك الذي تريد ؛ ولكن هذا عبد الله بن محمد الأشتر العلويّ ركب متنزهاً ، يسير على شاطئِ مهران ، فضى يريده ، فقال له نَصّاحه : هذا ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد علمت أن أخاك تركه متعمداً ، مخافة أن يبرء بدمه ، ولم يقصدك ، إنما خرج متنزهاً ، وخرجتَ تريد غيره . فأعرض عنه ، وقال : ما كنت لأدع أحداً يحوزُه ، ولا أدع أحداً يحظي بالتقرب إلى المنصور بأخذه وقتله . وكان في عشرة ، فقصده قصده ، ودمرَ أصحابه ، فحمل عليه ، فقاتله عبدُ الله وقاتل أصحابُه بين يديه حتى قُتِل وقُتِلوا جميعاً ، فلم يُنلِ منهم مخبرٌ ، وسقط بين القتلى ، فلم يشعر به . وقيل : إن أصحابه قذفوه ^(١) في مهران لما قُتِل ، لئلا يؤخذ رأسه ؛ فكتب هشام بن عمرو بذلك كتاب فتّح إلى المنصور ، يخبره أنه قصده قصداً . فكتب إليه المنصور يحمد أمره ، ويأمره بمحاربة الملك الذي آواه ؛ وذلك أن عبد الله كان اتخذ ^(٢) جوارى ، وهو بحضرة ذلك الملك ، فأولدَ منهنَّ واحدة محمد بن عبد الله - وهو أبو الحسن محمد العلويّ الذي يقال له ابن الأشتر - فحاربه حتى ظفر به ، وغلب على مملكته وقتله ، ووجّه بأمّ ولد عبد الله وابنه إلى المنصور ، فكتب المنصور إلى واليه بالمدينة ، يخبره بصحة نسب الغلام ، ويحث به إليه ، وأمره أن يجمع آل أبي طالب ، وأن يقرأ عليهم كتابه بصحة نسب الغلام ، ويسلمه إلى أقربائه .

٣٦٤/٣

* * *

وفي هذه السنة قدم على المنصور ابنُه المهديّ من خراسان ، وذلك في

(٢) ب : « أخذ » .

(١) ج : « قذفوا به » .

شوال منها - فوفد إليه للقائه وتهنئة المنصور بمقدمه عامته أهل بيته، مَنْ كان منهم بالشَّام والكوفة والبصرة وغيرها ، فأجازهم وكساهم وحملهم ، وفعل مثل ذلك بهم المنصور ، وجعل لابنه المهديّ صحابةً منهم ، وأجرى لكل^(١) رجل منهم خمسمائة درهم .

• • •

[ذكر خبر بناء المنصور الرّصافة]

وفي هذه السنة ابتدأ المنصور ببناء الرّصافة في الجانب الشرقيّ من مدينة السلام لابنه محمد المهديّ .

هـ ذكر الخبر عن سبب بنائه ذلك له :

ذكر عن أحمد بن محمد الشَّرويّ ، عن أبيه ، أن المهديّ لما قدم من خراسان أمره المنصور بالمقام بالجانب الشرقيّ ، وبنّى له الرّصافة ، وعمل لها سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً ، وأجرى له الماء ؛ فكان يجري الماء من نهر المهديّ إلى الرّصافة .

وأما خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن خازم ، فإنه ذكر أن محمد ابن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس حدثه ، أن أباه حدثه ، أن الرّاوندية لما شَغَبُوا على أبي جعفر وحاربوه على باب الذّهب ، دخل عليه قُشَم بن العباس بن عبيد الله بن العباس - وهو يومئذ شيخ كبير مُقدّم عند القوم - فقال له أبو جعفر : أما ترى ما نحن فيه من التّيات الجُنْد علينا ! قد خفتُ أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا ، فما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، عندى في هذا رأى إن أنا أظهرته لك ففسد ، وإن تركتني أمضيته ، صلّحت لك خلافتك ، وهابك جندك . فقال له : أفنمضي في خلافتي أمراً لا تعلمني ما هو ! فقال له : إن كنتُ عندك متّهماً على دولتك فلا تشاورني ، وإن كنتُ مأموناً عليها فدعني أمضي رأى . فقال له : فأمضيه . قال : فانصرف قُشَم إلى منزله ، فدعا غلاماً له فقال له :

(١) ج : « على كل » .

إذا كان غداً فتقدمني^(١) ، فاجلس في دار أمير المؤمنين ؛ فإذا رأيته قد دخلت وتوسط أصحاب المراتب ، فخذ بعنان بغلي ، فاستوقفني واستحلفني بحق رسول الله^(٢) ، وحق العباس وحق أمير المؤمنين لما^(٣) وقفت لك ، وسمعت مسألتك وأجبتك عنها ؛ فإني سأنتهرُك ، وأغلظ لك القول ، فلا يهولنك ذلك مني ، وعادني بالمسألة فلأنني سأشتيمك ، فلا يروعنك^(٤) ذلك ، وعادني بالقول والمسألة ، فإني سأضربك بسوطي . فلا يشق ذلك عليك ، فقل لي : أي الحسين أشرف ؟ اليمن أم مضر ؟ فإذا أجبتك فخل عنان بغلي وأنت حر .

٣٦٦/٣

قال : فغداً الغلام ، فجلس حيث أمره من دار الخليفة ، فلما جاء الشيخ فعل الغلام ما أمره به موله ، وفعل للمولى ما كان قاله له ، ثم قال له : قل ، فقال : أي الحسين أشرف ؟ اليمن أم مضر ؟ قال : فقال قُثم : مضر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها كتاب الله عز وجل ، وفيها بيت الله ، ومنها خليفة الله . قال : فامتعضت اليمن إذ لم يذكر لها شيء من شرفها ؛ فقال له قائد من قواد اليمن : ليس الأمر كذلك مطلقاً بغير شرفة ولا فضيلة لليمن ، ثم قال لغلامه : قم فخذ بعنان بغلة الشيخ ، فاكبحها كبحاً عنيفاً تطأ مَنْ به منه ، قال : ففعل الغلام ما أمره به موله حتى كاد أن يُقعِيها على عراقبيها ، فامتعضت من ذلك مضر ، فقالت : أيفعل هذا بشيخنا ! فأمر رجل منهم غلامه ، فقال : اقطع يد العبد ، فقام إلى غلام اليماني فقطع يده ، فنفر الحيان ، وصرف قُثم بغلته ، فدخل على أبي جعفر ، وافترق الجند ، فصارت مضر فرقة ، واليمن فرقة ، والخُرَاسانية فرقة ، وربيعة فرقة ، فقال قُثم لأبي جعفر : قد فرقت بين جندك ، وجعلتهم أحزاباً كل حزب منهم يخاف أن يحدث عليك حدثاً ، فتضربه بالحزب الآخر ، وقد بقي عليك في التدبير بقية ، قال : ما هي ؟ قال : اعبرُ بابنك فأنزله^(٥) في ذلك الجانب قصراً ، وحوله وحول [معلك]^(٦) من جيشك معه قوماً

٣٦٧/٣

(٢) ب : « وحلفني برسول الله » .

(٤) ج : « فلا يروعنك » .

(٦) من ج .

(١) ب : « قدمني » .

(٣) ابن الأثير : « إلا ما » .

(٥) ج : « فابن له » .

فصير ذلك بلدًا ؛ وهذا بلدًا ، فإن فسد عليك أهلُ هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب ، وإن فسد عليك أهل ذلك الجانب ضربتهم بأهل هذا الجانب . وإن فسدت عليك مضر ضربتها باليمن وربيعة والخراسانية ، وإن فسدت عليك اليمن ضربتها بمن أطاعك من مضر وغيرها .

قال : فقبل أمره ورأيه ، فاستوى له مُلكه ؛ وكان ذلك سببَ البناء في الجانب الشرقى وفى الرصافة وأقطاع القوَاد هناك .

قال : وتولى صالح صاحب المصلّى القطائع في الجانب الشرقى . ففعل كفعل أبى العباس الطوسى فى فضول القطائع فى الجانب الغربى . فله بياض البحر وسوق يحجى ومسجد خُصَير وفى الرصافة وطريق الزواريق على دجلة مواضع بناء ، بما استوجب من فضل الإقطاع عن أهله . وصالح رجل من أهل خراسان .

• • •

وفى هذه السنة جدّد المنصور البيعة لنفسه ولابنه محمد المهدى من بعده . ولعيسى بن موسى من بعد المهدى على أهل بيته فى مجلسه فى يوم جمعة ؛ وقد عثمهم بالإذن فيه ؛ فكان كلُّ مَنْ بايعه منهم يقبل يده ويد المهدى ، ثم يمسح على يد عيسى بن موسى ولا يقبل يده .

• • •

وغزا الصّائفة فى هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد .

• • •

[أمر عقبة بن سلم]

وفىها شخص عُقْبَة بن سلم من البصرة واستخلف عليها ابنه نافع بن عقبة إلى البَحْرَيْن ، فقتل سليمان بن حكيم العبدى وسبى أهل البحرين ، وبعث ببعض مَنْ سبى منهم وأسارى منهم إلى أبى جعفر ، فقتل منهم عِدَّة ووهب بقيّتهم للمهدى ، فنّ عليهم وأعتقهم ؛ وكسا كلَّ إنسان منهم ثوبين من ثياب مَرَّو .

ثم عزل عُقْبَةَ بن سلم عن البصرة؛ فذُكِرَ عن إفريك - جارية أسد بن المرزبان - أنها قالت: بعث المنصور أسد بن المرزبان إلى عُقْبَةَ بن سلم إلى البَحْرَيْنِ حين قتل منهم مَن قتل، ينظر في أمره، فإياله ولم يستقص عليه، وورى عنه؛ فبلغ ذلك أبا جعفر، وبلغه أنه أخذ منه مالا، فبعث إليه أبا سويد الخراساني - وكان صديق أسد - وأخاه، فلما رآه مقبلا على البريد فرح، وكان ناحية من عسكر عُقْبَةَ، فتناول له، وقال: صديقي. فوقف عليه فوثب ليقوم إليه، فقال له أبو سويد «بنشين بنشين»، فجلس فقال له: أنت سامع مطيع؟ قال: نعم، قال: مُدَّ يدك، فدَّ يده فضربها فأطنتها، ثم مدَّ رجله، ثم مدَّ يده ثم رجله حتى قطع الأربع، ثم قال: مُدَّ عنقك فدَّ فضرب عنقه. قالت إفريك: فأخذت رأسه فوضعت في حِجْرِي، فأخذه مني فحمله إلى المنصور. فما أكلت إفريك لحما حتى ماتت.

• • •

وزعم الواقدي أن أبا جعفر ولَّى معن بن زائدة في هذه السنة سِجِسْتَانَ.

وحجَّ بالناس في هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس.

وكان العامل على مكة والطائف محمد بن إبراهيم، وعلى المدينة الحسن ابن زيد، وعلى الكوفة محمد بن سليمان بن علي، وعلى البصرة جابر بن تَوْبَةَ الكلابي، وعلى قضائها سَوَّار بن عبد الله، وعلى مِصْرَ يزيد بن حاتم.

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من قتل الخوارج فيها معن بن زائدة الشيباني ببُست سيجستان .

وفيهما غزا حميد بن قحطبة كابل ، وكان المنصور ولّاه خراسان في سنة ثنتين وخمسين ومائة .

وغزا - فيما ذكر - الصائفة عبد الوهاب بن إبراهيم ولم يدرب^(١) .

وقيل إن الذي غزا الصائفة في هذه السنة محمد بن إبراهيم .

وفيهما عزل المنصور جابر بن توبة عن البصرة ، ولّاهما يزيد بن منصور .

وفيهما قتل أبو جعفر هاشم بن الأشثاخنج ، وكان عصي وخالف في إفريقية ، فحمل إليه هو وابن خالد المرورّوذى ، فقتل ابن الأشثاخنج بالقادسية ، وهو متوجه إلى مكة .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة المنصور ؛ فذكر أنه شخص من مدينة السلام في شهر رمضان ، ولا يعلم بشخصه محمد بن سليمان ، وهو عامله على الكوفة يومئذ ، ولا عيسى بن موسى ولا غيرهما من أهل الكوفة حتى قرب منها .

٣٧٠/٣

وفيهما عزل يزيد بن حاتم عن مصر ووليها محمد بن سعيد .

• • •

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال في السنة الحالية^(٢) إلا البصرة فإن عاملها في هذه السنة كان يزيد بن منصور ، وإلا مِصر فإن عاملها كان في هذه السنة محمد بن سعيد .

(١) الدرب : كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وأدرب القوم : إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم . (٢) ج : «الماضية» .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك تجهيز المنصور جيشاً في البحر لحرب الكرك^(١) ، بعد مقدمه البصرة ، منصرفاً من مكة إليها بعد فراغه من حجه ، وكانت الكرك أغارت على جدّة ، فلما قدم المنصور البصرة في هذه السنة جهز منها جيشاً لحربهم ، فتزل الجسر الأكبر حين قدمها - فيما ذكر . وقدّمته هذه البصرة القدمة الآخرة .

وقيل إنه إنما قدمها القدمة الآخرة في سنة خمس وخمسين ومائة ، وكانت قدمته الأولى في سنة خمس وأربعين ومائة ، وأقام بها أربعين يوماً ، وبنى بها قصرًا ثم انصرف منها إلى مدينة السلام .

• • •

وفيها غضب المنصور على أبي أيوب المورياني ، فحبسه وأخاه وبنى أخيه : سعيداً وسعوداً ومُخلدًا ومحمداً ، وطالبهم . وكانت منازلهم المناذر ، وكان سبب غضبه عليه - فيما قيل - سَعَى أَبَان بن صدقة كاتب أبي أيوب إليه .

• • •

وفي هذه السنة قتل عمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة بإفريقية ، قتله أبو حاتم الإباضي وأبو عاد ومن كان معهما من البربر ، وكانوا - فيما ذكر - ثلثمائة ألف وخمسين ألفاً ، الخليل منها خمسة وثلاثون ألفاً ، ومعهم أبو قرّة الصُفريّ في أربعين ألفاً ، وكان يسلم عليه قبل ذلك بالخلافة أربعين يوماً . وفيها حُمِلَ عباد مولى المنصور وهرثمة بن أعين ويوسف بن علوان من خراسان في سلاسل ، لتعصّبهم لعيسى بن موسى .

٣٧١/٣

وفيها أخذ المنصور الناس بلبس القلائنس الطّوال المفرطة الطول ، وكانوا - فيما ذكر - يَحْتَالُون لها بالقصب من داخل ، فقال أبو دلامة :

(١) ج : « الكرك » .

وكنّا نُرجى من إمام زيادةً فزاد الإمام المصطفى في القلائس
 تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جُلّت بالبرانس
 وفيها توفى عبيد بن بنت أبي ليلي قاضي الكوفة ، فاستقضى مكانه شريك
 ابن عبد الله النخعي .

وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحَجُورى ، فصار إلى حصن من
 حصون الروم لبلا ، وأهله نيام ، فسبى وأسر من كان فيه من المقاتلة ، ثم
 صار إلى اللاذقية المحترقة ، ففتحها وأخرج منها ستة آلاف رأس من السبى
 سوى الرجال البالغين .

وفيها ولّى المنصور بكّار بن مسلم العقيليّ على إرمينية .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن أبي جعفر المهديّ .

وكان على مكة والطائف يومئذ محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسن بن
 زيد بن الحسن ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة يزيد بن منصور ،
 وعلى قضائها سوار ، وعلى مصر محمد بن سعيد .

٧٢/٣

وذكر الواقديّ أن يزيد بن منصور كان في هذه السنة والى اليمن من قبل
 أبي جعفر المنصور .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك خروج المنصور إلى الشام ومسيره إلى بيت المقدس ونجيهه يزيد بن حاتم إلى إفريقية في خمسين ألفاً - فيما ذكر - لحرب الخوارج الذين كانوا بها ، الذين قتلوا عامله عمر بن حفص . وذكر أنه أنفق على ذلك الجيش ثلاثة وستين ألف درهم .

وفي هذه السنة عزم المنصور - فيما ذكر - على بناء مدينة الرافقة ، فذكر عن محمد بن جابر ، عن أبيه أن أبا جعفر لما أراد بناءها ، امتنع أهل الرقة ، وأرادوا محاربتة ، وقالوا : تعطل علينا أسواقنا وتذهب بمعاشنا^(١) ، وتضيق منازلنا ، فهم بمحاربتهم ، وبعث إلى راهب في الصوعدة هناك ، فقال له : هل لك علم بأن إنساناً يبني ها هنا مدينة ؟ فقال : بلغني أن رجلاً يقال له مقلاص يبنيها ، فقال : أنا والله مقلاص .

وذكر محمد بن عمر أن صاعقة سقطت في هذه السنة في المسجد الحرام فقتلت خمسة نفر .

وفيها هلك أبو أيوب المورياني وأخوه خالد ، وأمر المنصور موسى بن دينار حاجب أبي العباس الطوسي بقطع أيدي بني أخى أبي أيوب وأرجلهم وضرب أعناقهم ، وكتب بذلك إلى المهدي ، ففعل ذلك موسى وأنفذ فيهم ما أمره به . وفيها ولي عبد الملك بن ظبيان النعمري على البصرة .

وغزا الصائفة في هذه السنة زفر بن عاصم الحلالى فبلغ الثرات .

٢٧٢/٣

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن إبراهيم ، وهو عامل أبي جعفر على مكة والطائف .

(١) ط : « بمعاشنا » . وهو خطأ .

وكان على المدينة الحسن بن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى
البصرة عبد الملك بن أيوب بن ظبيان . وعلى قضائها سوار بن عبد الله
وعلى السند هشام بن عمرو ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد
ابن سعيد .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك افتتاح يزيد بن حاتم لإفريقية وقتله أبا عاد وأبا حاتم ومن كان معهما ، واستقامت بلاد المغرب ، ودخل يزيد بن حاتم القيروان .

وفيهما وجه المنصور ابنه المهدي لبناء مدينة الرافقة ، فشخص إليها ، فبناها على بناء مدينته ببغداد في أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسور سورها وخذقها ، ثم انصرف إلى مدينته .

وفيهما — فيما ذكر محمد بن عمر — خندق أبو جعفر على الكوفة والبصرة ، وضرب عليهما سوراً ، وجعل ما أنفق على سور ذلك وخذقه من أموال أهله .

وعزل فيها المنصور عبد الملك بن أيوب بن ظبيان عن البصرة ، واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكي ، وضم إليه سعيد بن دعلج ، وأمره ببناء سور لها بطيف بها ، وخذق عليها من دون السور من أموال أهلها ، ففعل ذلك .

٣٧٤/٣

وذكر أن المنصور لما أراد الأمر ببناء سور الكوفة وبحفر خندق لها ، أمر بقسمة خمسة دراهم ، على أهل الكوفة ، وأراد بذلك علم عددهم ، فلما عرف عددهم أمر بجبايتهم أربعين درهماً من كل إنسان ، فجبوا ، ثم أمر بإنفاق ذلك على سور الكوفة وحفر الخنادق لها ، فقال شاعرهم :

يَا لِقَوْمٍ مَالَقِينَا • مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

قَسَمَ الْخَمْسَةَ فِتْنًا • وَجَبَانًا الْأَرْبَعِينَ

وفيهما طلب صاحب الروم الصلح إلى المنصور ؛ على أن يؤدي إليه الجزية . وغزا الصائفة في هذه السنة يزيد بن أسيد السلمى .

وفيهما عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة ، وغرّمه مالا ،

وغيظ عليه وجبسه ، فذكر عن بعض بني هاشم ، أنه قال : كان المنصور ولّى العباس بن محمد الجزيرة بعد يزيد بن أسيد ، ثم غضب عليه فلم يزل ساخطاً عليه حتى غضب على بعض عمومته من ولد علي بن عبد الله بن عباس أما إسماعيل بن علي أو غيره فاعتوره أهله وعمومته ونسأؤهم يكلمونه ^(١) فيه ، وضيقوا عليه فرضي عنه ، فقال عيسى بن موسى : يا أمير المؤمنين ؛ إن آل علي بن عبد الله — وإن كانت نعمك عليهم سابعة — فإنهم يرجعون إلى الحسد لنا ^(٢) ؛ فن ذلك أنك غضبت على إسماعيل بن علي منذ أيام ، فضيقوا عليك ^(٣) . وأنت غضبان على العباس بن محمد ، منذ كذا وكذا ؛ فما رأيت أحداً منهم كلمك فيه . قال : فدعا العباس فرضي عنه .

قال : وقد كان يزيد بن أسيد عند عزل العباس إياه عن الجزيرة ، شكاً إلى أبي جعفر العباس ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن أخاك أساء عزلي ، وشتم عيرتي ، فقال له المنصور : اجمع بين إحساني إليك وإساءة أخى . يعتدلاً ، فقال يزيد بن أسيد : يا أمير المؤمنين ؛ إذا كان إحسانكم جزاء بإساءتكم ، كانت طاعتنا تفضلاً منا عليكم . وفيها استعمل المنصور على حرب الجزيرة وخارجها موسى بن كعب .

• • •

وفي هذه السنة عزل المنصور عن الكوفة محمد بن سليمان بن علي ، في قول بعضهم ، واستعمل مكانه عمرو بن زهير أخا المسيّب بن زهير . وأما عمر بن شبة فإنه زعم أنه عزل محمد بن سليمان عن الكوفة في سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وولّاها عمرو بن زهير الضبيّ أخا المسيّب بن زهير في هذه السنة . قال : وهو حفر الخندق بالكوفة .

• • •

ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور محمد بن سليمان بن علي
ذكر أن محمد بن سليمان أتى في عمله على الكوفة بعبد الكريم بن أبي العوجاء

(١) ب : « يطلبونه » . (٢) ب : « لم » .

(٣) بعدها في ابن الأثير : « حتى رضيت عنه » .

— وكان خال معن بن زائدة — فأمر بحبسه . قال أبو زيد : فحدثني قُتَيْبُ بْنُ جَعْفَرٍ والحسين بن أيوب وغيرهما أن شفعاها كَثُرُوا بمدينة السلام ، ثم أُلْحُوا على أبي جعفر ، فلم يتكلم فيه إلا ظنين ، فأمر بالكتاب إلى محمد بالكف عنه إلى أن يأتيه رأيه ، فكلّم ابنُ أبي العوجاء أبا الجبار — وكان منقطعاً إلى أبي جعفر ومحمد ثم إلى أبنائهما بعدهما — فقال له : إنْ أُخْرِجْتِ الْأَمِيرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَهُ مِائَةُ أَلْفٍ ، وَلَكِ أَنْتِ كَذَا وَكَذَا ، فَأَعْلَمَ أَبُو الْجَبَّارِ مُحَمَّدًا ، فَقَالَ : أَذْكَرْتَنِي وَاللَّهِ وَقَدْ كُنْتُ نَسِيْتُهُ ؛ فَلِذَا انصرفت من الجمعة فَأَذْكَرْتَنِي . فَلَمَّا انصرف أذكّره ، فدسّ به وأمر بضرب عنقه ، فلما أيقن أنه مقتول ، قال : أَمَّا وَاللَّهِ لَئِنْ قَاتَلْتُنِي لَقَدْ وَضَعْتُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ حَدِيثٍ أَحْرَمَ فِيهَا الْحَلَالُ ، وَأَحْلَلَ فِيهَا الْحَرَامَ ؛ وَاللَّهِ لَقَدْ فَطَرْتَكُمْ فِي يَوْمِ صَوْمِكُمْ ، وَصَرَّ مَتَكُمْ فِي يَوْمِ فِطَرِكُمْ ، فَضَرَبْتُ عَنْقَهُ .

٢٧٦/٣

وورد على محمد رسول أبي جعفر بكتابه : إياك أن تحدث في أمر ابن أبي العوجاء شيئاً ، فإنك إن فعلتَ فعلتُ بك وفعلتُ... يتهدّده. فقال محمد للرسول : هذا رأس ابن أبي العوجاء وهذا بدنه مصلوباً بالكُنَاسَةِ ، فأخبر أمير المؤمنين بما أعلمتك ؛ فلما بلغ الرسولُ أبا جعفر رسالته ، تغيّظ عليه وأمر بالكتاب بعزله وقال : وَاللَّهِ لَمَحَمْتُ^(١) أَنْ أَقِيدَهُ بِهِ ، ثُمَّ أُرْسَلْ إِلَى عِيسَى بْنِ عَلِيٍّ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : هَذَا عَمَلُكَ أَنْتَ ! أَشَرْتُ بِتَوَلِيَةِ هَذَا الْغُلَامِ ، فَوَلَيْتُهُ غُلَامًا جَاهِلًا لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا يَأْتِي ؛ يُقَدِّمُ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطَّلِعَ رَأْيِي فِيهِ ، وَلَا يَنْتَظِرُ أَمْرِي ! وَقَدْ كَتَبْتُ بِعَزْلِهِ ؛ وَبِاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ بِهِ وَلَأَفْعَلَنَّ... يتهدّده ، فسكت عنه عيسى حتى سكن غضبه ، ثم قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ عَمِدْتُ إِنْمَا قَتَلَ هَذَا الرَّجُلَ عَلَى الزُّنْدَقَةِ ، فَإِنْ كَانَ قَتَلَهُ صَوَابًا فَهُوَ لَكَ ، وَإِنْ كَانَ خَطَاً فَهُوَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَئِنْ عَزَلْتَهُ عَلَى تَفِيَةٍ مَا صَنَعَ لِيْذَهَبَنَّ بِالثَّنَاءِ وَالذِّكْرِ ، وَلَتَرْجَعَنَّ الْقَالَةُ مِنَ الْعَامَةِ عَلَيْكَ . فَأَمَرَ بِالْكِتَابِ فَنَزَّهَتْ وَأَقِرَّ^(٢) عَلَى عَمَلِهِ . وقال بعضهم : إِنْمَا عَزَلَ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ عَنِ الْكُوفَةِ لِأُمُورٍ قَبِيحَةٍ

٢٧٧/٣

(١) ج : « لقد محمت » .

(٢) ج : « وأقر » .

بلغته عنه ، اتهمه فيها ؛ وكان الذي أنهى ذلك إليه المساور بن سوار الجرمي صاحب شرطه ، وفي مساور يقول حماد^(١) .

لحسبك من عجيب الدهر أني^(٢) أخاف وأتقى سلطان جرم .

* * *

وفي هذه السنة أيضاً عزل المنصور الحسن بن زيد عن المدينة . واستعمل عليها عبد الصمد بن علي . وجعل معه فليح بن سليمان مشرفاً عليه .

وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم بن محمد . وعلى الكوفة عمرو بن زهير . وعلى البصرة الهيثم بن معاوية . وعلى إفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سعيد .

(١) هو حماد عجرد ؛ وانظر أخباره في الأغاني ٤ : ٣٢١ - ٣٨١ .

(٢) ب : « بحسبك » .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

• • •

[ذكر الخبر عن مقتل عمرو بن شداد]

فمن ذلك ما كان من ظفّر الهيثم بن معاوية عامل أبي جعفر على البصرة وعمرو بن شداد عامل إبراهيم بن عبد الله على فارس ، فقتل بالبصرة وصلب .
• ذكر الخبر عن سبب الظفّر به :

ذكر عمر أن محمد بن معروف حدثه ، قال : أخبرني أبي ، قال :
ضرب عمرو بن شداد خادماً له ، فأتى عامل البصرة - إما ابن دعلج ، وإما الهيثم
ابن معاوية - فدلّه عليه ، فأخذة فقتله وصلّبه في المسجد في موضع دار إسحاق
ابن سليمان . وكان عمرو مولّى لبني جُمح ، فقال بعضهم : ظفر به الهيثم
ابن معاوية وخرج يريد مدينة السلام ، فنزل بقصر له على شاطئ نهر يعرف
بنهر معقل ، فأقبل يريد من عند أبي جعفر ، ومعه كتاب إلى الهيثم بن معاوية
بدفع عمرو بن شداد إليه ، فدفعه الهيثم إليه ، فأقدمه البصرة ، ثم أتى به لائحة
الرجة ، فخلّاه يسائله ، فلم يظفر منه بشيء ، بحبّ علمه ، فقطع يديه ورجليه ،
وضرب عنقه وصلّبه في سرّيد البصرة .

٣٧٨/٣

• • •

وفي هذه السنة عزل المنصور الهيثم بن معاوية عن البصرة وأعمالها ، واستعمل
سوار بن عبد الله القاضي على الصلاة ، وجمع له القضاء والصلاة . وولّى
المنصور سعيد بن دعلج شُرط البصرة وأحداثها .

وفيهما توفّي الهيثم بن معاوية بعد ما عزل عن البصرة فجاء بمدينة السلام ،
وهو على بطن جارية له ، فصلّى عليه المنصور ، ودفن في مقابر بني هاشم .
وفي هذه السنة غزا الصائفة زُفَر بن عاصم الحلالي .

وحجّ بالناس في هذه السنة العباس بن محمد بن عليّ .

• • •

وكان العامل على مكة محمد بن إبراهيم ، وكان مقيماً بمدينة السلام ، وابنه إبراهيم بن محمد خليفته بمكة ؛ وكان إليه مع مكة الطائف . وعلى الكوفة عمرو بن زهير ، وعلى الأحداث والجوالي والشرط وصدقات أرض العرب بالبصرة سعيد بن دعلج ، وعلى الصلاة بها والقضاء سوار بن عبد الله ، وعلى كُور دِجْلَة والأهواز وفارس عُمارَة بن حمزة ، وعلى كِرمَان والسَّنَد هشام بن عمرو ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سعيد .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك ابتداء المنصور قصره الذى على شاطئ دجلة ؛
الذى يدعى الخلد ، وقسم بناءه على مولاة الربيع وأبان بن صدقة .

وفيهما قُتل يحيى أبو زكرياء المحتسب ؛ وقد ذكرنا قبل سبب قتله إياه .

وفيهما حوّل المنصور الأسواق من مدينة السلام إلى باب الكترخ وغيره
من المواضع ، وقد مضى أيضاً ذكرنا سبب ذلك قبل .

وفيهما ولّى المنصور جعفر بن سليمان على البحرين ، فلم يتم ولايته ، ووجه
مكانه أوبراً عليها سعيد بن دعلج ؛ فبعث سعيد ابنه تميماً عليها .

وفيهما عرض المنصور جندة في السلاح والخيل على عينه في مجلس اتّخذ
على شطّ دجلة دون قطربل ، وأمر أهل بيته وقرايته وصحابه يومئذ بلبس
السلاح . وخرج وهو لابس درعاً وقلنسوة تحت البيضة سوداء لاطئة
مضربة^(١) .

وفيهما توفي عامر بن إسماعيل المسلمي . بمدينة السلام . فصلّى عليه المنصور ،
وُدفن في مقابر بني هاشم . ٣٨٠/٣

وفيهما توفّي سوار بن عبد الله وصلى عليه ابن دعلج ، واستعمل المنصور
مكانه عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري .

وفيهما عقد المنصور الجسر عند باب الشعير ، وجرى ذلك على يد حميد
القاسم الصيرفي ، بأمر الربيع الحاجب .

وفيهما عزّل محمد بن سعيد الكاتب عن مصر ، واستعمل عليها مطر
مولى أبي جعفر المنصور .

(١) كذا في ب ه ؛ وهو الصواب ؛ وفي ط : « مضربة » .

وفيها وُلّيَ معبد بن الخليل السَّند ، وعُزِّلَ عنها هشام بن عمرو ، ومعبد يومئذ بخُرَّاسان ؛ كتب إليه بولايته .

وغزا الصائفة فيها يزيد بن أسيد السُّلَمي ، ووجهً مناناً مولى البطال إلى بعض الحصون ، فسبي وغنم .

وقال محمد بن عمر : الذي غزا الصائفة في هذه السنة زُفر بن عاصم .
وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عليّ بن عبد الله ابن عباس .

قال محمد بن عمر : كان على المدينة - يعني إبراهيم هذا .

وقال غيره : كان على المدينة في هذه السنة عبد الصمد بن عليّ ، وكان على مكة والطائف محمد بن إبراهيم : وعلى الأهواز وفارس عُمارة بن حمزة ، وعلى كَرْمَان والسَّند معبد بن الخليل ، وعلى مصر مطر مولى المنصور .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر الخبر عن تولية خالد بن برمك الموصل]

فما كان فيها من ذلك توجيه المنصور ابنه المهدي إلى الرقة وأمره إياه بعزل موسى بن كعب عن الموصل وتولية يحيى بن خالد بن برمك عليها . وكان سبب ذلك - فيما ذكر الحسن بن وهب بن سعيد عن صالح بن عطية - قال : كان المنصور قد أزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف ، ونذر دمه فيها ، وأجله ^(١) ثلاثة أيام بها ، فقال خالد لابنه يحيى : يا بني ، إني قد أذيت وطولبت بما ليس عندي ، وإنما يراد بذلك دمي ؛ فانصرف إلى حرمتك وأهلك ، فما كنت فاعلا بهم بعد موتى فافعله . ثم قال له : يا بني ، لا يمنعك ذلك من أن تلقى إخواننا : وأن تمر بعُمارة بن حمزة وصالح صاحب المصلّى ومبارك التركي فتعلمهم حالنا .

قال : فذكر صالح بن عطية أن يحيى حدثه ، قال : أتيتهم فنفهم من تجهمني وبعث بالمال سرّاً إلى ^(٢) ، ومنهم من لم يأذن لي ، وبعث بالمال في أخرى . قال : واستأذنت على عُمارة بن حمزة ، فدخلت عليه وهو في صحن داره ، مقابل بوجهه الحائط ؛ فما انصرف إلى بوجهه ، فسلمت عليه ، فردّ عليّ ردّاً ضعيفاً ، وقال : يا بني ، كيف أبوك ؟ قلت : بخير ، يقرأ عليك السلام ويعلمك ما قد لزمه من هذا الغُرْم ، ويستسلفك مائة ألف درهم . قال : فما ردّ عليّ قليلاً ولا كثيراً ، قال : فضاقت بي موضعي ، ومادت بي الأرض . قال : ثم كلمته فيما أتيت له . قال : فقال : إن أمكنني شيء فسيأتيك ، قال يحيى : فانصرفت وأنا أقول في نفسي : لعن الله كل شيء يأتي

(٢) ج : « على » .

(١) ب : « وأجله » .

من تيهك وعُجْبك وكبرك ! وصرت إلى أبي ، فأخبرته ^(١) الخبر ، ثم قلت له : وأراك تثق من عُمارَة بن حمزة بما لا يوثق به ! قال : فوالله إنى لكذلك ؛ إذ طلع رسولُ عُمارَة بن حمزة بالمائة ألف . قال : فجمعنا في يومين أثنى ألف وسبعمائة ألف ، وبقيت ثلثمائة ألف بوجودها يتم ما سعيها له ^(٢) ، وبتعذرها يبطل . قال : فوالله إنى لعلى الخسر ببغداد ماراً مهموماً مغموماً ؛ إذ وثب إلى زاجر ، فقال : فرخ الطائر أخبرك ! قال : فطويته مشغول القلب عنه ، فلحقني وتعلق بلجامي ، وقال لى : أنت والله مهموم ، ووالله ليُفْرَجَنَّ الله همك ، ولتمرنَ غداً فى هذا الموضع واللواء بين يديك . قال : فأقبلتُ أعجب من قوله . قال : فقال لى : إن كان ذلك فلي على عليك خمسة آلاف درهم ؟ قلت : نعم - ولو قال خمسون ألفاً لقلت نعم ، لبعد ذلك عندى من أن يكون - قال : ومضيتُ . وورد على المنصور انتقاضُ الموصل وانتشارُ الأكراد بها ، فقال : مَنْ لها ؟ فقال له المسيب بن زهير - وكان صديقاً لخالد بن برمك : عندى يا أمير المؤمنين رأى ، أرى أنك لا تتصحه ^(٣) ؛ وأنتك ستلقانى بالرد ، ولكنى لا أدع نصحتك فيه والمشورة عليك به ، قال : قل ، فلا أستغشك ، قلت : يا - أمير المؤمنين ما رميتها بمثل خالد ، قال : ويحك ! فيصلح لنا بعد ما أتينا إليه ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ إنما قومته بذلك وأنا الضامن عليه ، قال : فهو لهذا والله ، فليحضرنى غداً . فأحضر ، فصفح له عن الثلثمائة ألف الباقية ، وعقد له .

٣٨٣/٣

قال يحيى : ثم مررتُ بالزاجر ، فلما رآنى قال : أنا ها هنا أنتظرُك منذ غُدوة ، قلت : امض معى ، فضى معى ، فدفعتهُ إليه الخمسة الآلاف . قال : وقال لى أبى : أى بُنى ؛ إن عُمارَة تلزمه حقوق ، وتنوبه نواب فأتيه ، فأقرئه ^(٤) السلام ، وقل له : إن الله قد وهب لنا رأى أمير المؤمنين ، وصفح لنا عما بقى علينا ، ولاتى ^(٥) الموصل ؛ وقد أمر برد ما استسلفت ^(٦) منك . قال : فأتيته فوجدته على مثل الحال التى لقيتهُ عليه ، فسلمت فما رد

(٢) ب : « عليه » .
(٤) ط : « فأقرئه » وهو خطأ .
(٦) ج : « استسلفت » .

(١) ج : « فأعلمته » .
(٣) ج : « تتصحه » .
(٥) ج : « وورد ولانى » .

السلام علىّ ، ولا زادني على أن قال : كيف أبوك ؟ قلت : بخير ، يقول كذا وكذا ، قال : فاستوى جالساً ، ثم قال لي : ما كنتُ إلا قسطاراً^(١) لأبيك : يأخذ مني إذا شاء ، ويردّ إذا شاء ! قم عني لا قمت ! قال : فرجعتُ إلى أبي فأعلمته ، فقال لي أبي : يا بنيّ ، هو عمارة ومن لا يعترض عليه ! قال : فلم يزل خالد على الموصل إلى أن توفّي المنصور ويحيى على أذربيجان ، فذكر عن أحمد بن محمد بن سوار الموصليّ أنه قال : ما هبّنا قطّ أميراً هبّتنا خالد بن برمك من غير أن تشدّ عقوبته ، ولا نرى منه جبريّة ؛ ولكن هيبة كانت له في صدورنا .

وذكر أحمد بن معاوية بن بكر الباهليّ ، عن أبيه ، قال : كان أبو جعفر غضب على موسى بن كعب - وكان عامله على الجزيرة والموصل - فوجه المهدّي إلى الرقة لبناء الرافقة ، وأظهر أنه يريد بيت المقدس ، وأمره بالمرور والمضيّ على الموصل ، فإذا صار بالبلد أخذ موسى بن كعب فقيده ، وولّى خالد بن برمك الموصل مكانه ، ففعل المهدّي ذلك ، وخلف خالداً على الموصل ، وشخص معه أخيراً خالد : الحسن وسليمان ابنا برمك ، وقد كان المنصور من قبل ذلك يحبّ بني خالد ، فقال له : قد أردت لك لأمر مهم من الأمور ، واخترت لك لغر من الثغور ؛ فكن على أهبة ؛ ولا يعلم بذلك أحد حتى أَدْعُو بك . فكنتم أباه الخبر ؛ وحضر الباب فيمن حضر ؛ فخرج الربيع ، فقال : يحيى بن خالد ! فقام فأخذ بيده ، فأدخله على المنصور ، فخرج على الناس وأبوه حاضر واللواء بين يديه على أذربيجان ، فأمر الناس بالضيّ معه ، فصووا في موكله ، وهنّزه وهنّوا أباه خالداً بولايته ، فاتّصل عملهما .

وقال أحمد بن معاوية : كان المنصور معجباً بيحيى ، وكان يقول : ولد الناس ابناً وولد خالد^(٢) أباً .

• • •

وفي هذه السنة نزل المنصور قصره الذي يعرف بالخُلند .

وفيهما سخط المنصور على المسيّب بن زهير وعزلته عن الشرطة ، وأمر

(١) القطار : متقد الدرام . (٢) ط : « يحيى ، وهو خطأ صوابه من ه .

بحبسه وتقييده ، وكان سبب ذلك أنه قتل أبان بن بشير الكاتب بالسياط ،
لأمر كان وجده عليه فيما كان من شركته لأخيه عمرو بن زهير في ولاية الكوفة
وخارجها ، ولتلى مكان المسيب الحكم بن يوسف صاحب الحرب ، ثم كلم المهدي
أباه في المسيب ، فرضى عنه بعد حبسه إياه أياماً ، وأعاد إليه ما كان يلى
من شرطه .

وفيها وجه المنصور نصر بن حرب التميمي والياً على ثغر فارس .

وفيها سقط المنصور عن دابته بجرّجربا ، فانشج ما بين حاجبيه ؛
وذلك أنه كان خرج لما وجه ابنه المهدي إلى الرقة مشيعاً له ، حتى بلغ موضعاً
يقال له جبّ سماًقا ، ثم عدل إلى حولايا ، ثم أخذ على النهرانات فاتهمي
— فيما ذكر — إلى بشق^(١) من النهرانات يصب إلى نهر ديبالي ، فأقام
على سكره^(٢) ثمانية عشر يوماً ، فأعياه ، فضى إلى جرّجربا ، فخرج منها للنظر
إلى ضيعة كانت لعيسى بن علي هناك ، فصرع من يومه ذلك عن برذون له
ديزج^(٣) ، فشج في وجهه ، وقدم عليه وهو بجرّجربا أسارى من ناحية عُمان
من الهند ، بعث بهم إليه تسنيم بن الحواري مع ابنه محمد ، فهم بضرب
أعناقهم ، فساعلم فأخبروه بما التبس به أمرهم عليه ؛ فأمسك عن قتلهم
وقسمهم بين قواده ونوابه .

وفيها انصرف المهدي إلى مدينة السلام من الرقة فنخلها في شهر
رمضان .

وفيها أمر المنصور بمرمة القصر الأبيض ، الذي كان كسرى بناه ،
وأمر أن يغرم كل من وجد في داره شيء من الآجر الحسرواني ، مما نقضه
من بناء الأكاسرة ، وقال : هذا فيء المسلمين ، فلم يتم ذلك ولا ما أمر به
من مرمة القصر .

وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى من درب الحدث ، فلقى العدو
فاقتلوا ثم تحاجزوا .

(١) بنق النهر : كسر شطه لينثيق الماء ، واسم الموضع البثق ، يفتح وبكسر . وفي ج :
« شق » . (٢) سكر النهر : سد فاه . (٣) في اللسان : الدزج ، لا أعرف
معناه ها هنا ؛ إلا أن الديزج معرب ديزه ، وفي لون بين لونين غير خالص .

[ذكر الخبر عن حبس ابن جريج وعباد بن كثير والثوري]

وفي هذه السنة حبس محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ ، وهو أمير مكة — فيما ذكر — بأمر المنصور إياه بحبسهم : ابن جريج وعباد بن كثير والثوري ، ثم أطلقهم من الحبس بغير إذن أبي جعفر ، فغضب عليه أبو جعفر .

٢٨٦/٣

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن عمران مولى محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس حدثه عن أبيه ، قال : كتب المنصور إلى محمد بن إبراهيم — وهو أمير على مكة — يأمره بحبس رجل من آل عليّ بن أبي طالب كان بمكة ، ويحبس ابن جريج وعباد بن كثير والثوري ، قال : فحبسهم ؛ فكان له سمار يسامرونه بالليل ؛ فلما كان وقت سمره جلس وأكبّ على الأرض ينظر إليها ، ولم ينطق بحرف حتى تفرّقوا . قال : فدنوتُ منه فقلت له : قد رأيتُ ما بك ، فما لك ؟ قال : عمدتُ إلى ذي رجم فحبسته ، وإلى عيون من عيون الناس فحبستهم ، فيقدم أمير المؤمنين ولا أدري ما يكون ؛ فلعنهُ أن يأمر بهم فيقتلوا ، فيشتدّ سلطانه وأهلك ديني ؛ قال : فقلت له : فتصنع ماذا ؟ قال : أوثر الله ، وأطلق القوم ؛ اذهب إلى إبل فخذ راحلةً منها ، وخذ خمسين ديناراً فأت بها الطالب وأقرئه السلام ، وقل له : إن ابن عمك يسألك أن تحلّه من ترويعه إياك ، وتركب هذه الراحلة ، وتأخذ هذه النفقة . قال : فلما أحسّ بي جعل يتعوذ بالله من شرّي ، فلما أبلغته قال : هو في حلٍّ ولا حاجة لي إلى الراحلة ولا إلى النفقة . قال : قلت : إن أطيب لنفسه أن تأخذ ، ففعل . قال : ثم جئتُ إلى ابن جريج وإلى سفيان بن سعيد وعباد بن كثير فأبلغتهم ما قال ، قالوا : هو في حلٍّ ، قال : فقلت لهم : يقول لكم : لا يظهرون أحد منكم ما دام المنصور مقيماً . قال : فلما قرب المنصور وجهني محمد بن إبراهيم بالطاف ، فلما أخبر المنصور أن رسول محمد بن إبراهيم قدم ، أمر بالإبل فضربت وجوها .

٢٨٧/٣

قال : فلما صار إلى برّ ميمون لقيه محمد بن إبراهيم ، فلما أخبر بذلك أمر بدوابه فضربت وجوها ، فعدل محمد ، فكان يسير في ناحية . قال :

وعَدِلَ بِأَبِي جَعْفَرٍ عَنِ الطَّرِيقِ فِي الشَّقِّ الْأَيْسَرِ فَأَنْبِخَ بِهِ ، وَمَحَمَّدٌ وَاقِفٌ قَبْلَانْتَهُ ، وَمَعَهُ طَبِيبٌ لَهُ ؛ فَلَمَّا رَكِبَ أَبُو جَعْفَرٍ وَسَارَ ، وَعَدِيلُهُ الرَّبِيعُ أَمَرَ مُحَمَّدَ الطَّبِيبَ فَضَمَّ إِلَى مَوْضِعِ مَنَاخِ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَرَأَى نَجْوَاهُ ، فَقَالَ لِمُحَمَّدٍ : رَأَيْتُ نَجْوَى رَجُلٍ لَا تَطُولُ بِهِ الْحَيَاةُ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ وَسَلِّمَ مُحَمَّدٌ .

• • •

[ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ وَفَاةِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ]

وَفِيهَا شَخْصٌ أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، مُتَوَجِّهًا إِلَى مَكَّةَ ؛ وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ ، فَتَزَلَّ - فِيمَا ذَكَرَ - عِنْدَ قَصْرِ عَبْدِ وَائِنَةَ ، فَانْقَضَتْ فِي مَقَامِهِ هُنَاكَ كَوْكَبٌ ، لِثَلَاثِ بَقِيْنَ مِنْ شَوَّالٍ بَعْدَ إِضَاءَةِ الْفَجْرِ ، فَبَقِيَ أَثَرُهُ بِبَيْتِنَا إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى الْكُوفَةِ ، فَتَزَلَّ الرُّصَافَةَ ، ثُمَّ أَهْلَ مِنْهَا بِالْحُجِّ وَالْعُمْرَةِ ، وَسَاقَ مَعَهُ الْمَهْدَى وَأَشْعَرَهُ وَقَلَّدَهُ ؛ لِأَيَّامٍ خَلَّتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ . فَلَمَّا سَارَ مَنَازِلَ مِنَ الْكُوفَةِ عَرَضَ لَهُ وَجَعٌ الَّذِي تَوَقَّيَ مِنْهُ .

وَاخْتَلَفَ فِي سَبَبِ الْوَجَعِ الَّذِي كَانَتْ مِنْهُ وَفَاتِهِ ؛ فَذُكِرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : كَانَ الْمَنْصُورُ لَا يَسْتَحْرِئُ طَعَامَهُ ؛ وَيَشْكُو مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْمُتَطَبِّبِينَ وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا لَهُ الْجَوَاشِنَاتِ (١) ؛ فَكَانُوا يَكْرَهُونَ ذَلِكَ وَيَأْمُرُونَهُ أَنْ يُقَلَّ مِنَ الطَّعَامِ ، وَيَخْبِرُونَهُ أَنَّ الْجَوَاشِنَاتِ تُهْضِمُ فِي الْحَالِ ، وَتُحْدِثُ مِنَ الْعَلَّةِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ عَلَيْهِ ؛ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ طَبِيبٌ مِنْ أَطِبَّاءِ الْهِنْدِ ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ لَهُ غَيْرُهُ ؛ فَكَانَ يَتَّخِذُ لَهُ سَقُوفًا جَوَاشِنًا يَابِسًا ، فِيهِ الْأَفَاوِيهِ وَالْأَدْوِيَةُ الْحَارَةُ ، فَكَانَ يَأْخُذُ فِيهِضِمُ طَعَامَهُ فَأَحْمَدُهُ . قَالَ : فَقَالَ لِي أَبِي : قَالَ لِي كَثِيرٌ مِنْ مُتَطَبِّبِي الْعِرَاقِ : لَا يَمُوتُ وَاللَّهِ أَبُو جَعْفَرٍ أَبَدًا إِلَّا بِالْبَطْنِ ، قَالَ : قُلْتُ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ ؟ قَالَ : هُوَ يَأْخُذُ الْجَوَاشِنَ فِيهِضِمُ طَعَامَهُ ؛ وَيَخْلُقُ مِنْ زَنْبُرٍ مَعْدَنِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ شَيْئًا ، وَشَحْمَ مَصَارِينِهِ ، فَيَمُوتُ بِبَطْنِهِ . وَقَالَ لِي : اضْرِبْ لَذَلِكَ مَثَلًا ،

(١) فِي السَّلَانِ : « الْجَوَاشِنُ : نَوْعٌ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْمُرَكَّبَةِ ، يَقْوِي الْمَعْدَةَ ، وَهِيضِمُ الطَّعَامَ ، قَالَ : وَلَيْسَتْ اللَّفْظَةُ بِعَرَبِيَّةٍ » .

أرأيت لو أنك وضعت جترًا على مَرَفَعٍ ، ووضعت تحتها آجرة جديدة فقطرت ، أما كان قَطَرُهَا يثقب الآجرة على طول الذهر ! أو ما علمت أن لكل قطرة خدًا ! قال : فمات والله أبو جعفر - كما قال - بالبطن ^(١) .

وقال بعضهم : كان بدءُ وجعه الذي مات فيه من حرِّ أصابه من ركوبه في المواجر ، وكان رجلاً محروراً على سنه ، يغلب عليه المزار الأحمر ، ثم هاض بطنه ، فلم يزل كذلك حتى نزل بستان ابن عامر ، فاشتد به ، فرحل عنه فقصر عن مكة ، ونزل بئر ابن المرتقيع ، فأقام بها يوماً وليلة ، ثم صار منها إلى بئر ميمون ؛ وهو يسأل عن دخوله الحرم ، ويوصي الربيع بما يريد أن يوصيه ، وتوفى بها في السحر أو مع طلوع الفجر ليلة السبت لست خلون من ذي الحجة ، ولم يحضره عند وفاته إلا خدَمه والربيع مولاة ؛ فكم الربيع موته ، ومنع النساء وغيرهن من البكاء عليه والصراخ ، ثم أصبح فحضر أهل بيته كما كانوا يحضرون ، وجلسوا مجالسهم ؛ فكان أول من دعى به عيسى بن علي ، فبكث ساعة ، ثم أذن لعيسى بن موسى - وقد كان فيما خلا يقدم في الإذن على عيسى بن علي ، فكان ذلك مما اريب به - ثم أذن للأكابر وذوي الأسنان من أهل البيت ، ثم لعامتهم ؛ فأخذ الربيع بيعتهم لأمر المؤمنين المهدي ولعيسى بن موسى من بعده ، على يد موسى بن المهدي حتى فرغ من بيعته بني هاشم ؛ ثم دعا بالقواد فبايعوا ولم ينكل منهم عن ذلك رجل إلا على ابن عيسى بن ماهان ؛ فإنه أبا عند ذكر عيسى بن موسى أن يبايع له ، فلطمه محمد بن سليمان ، وقال : ومن هذا العليج ! وأمّصه ^(٢) ، وهم بضرب عنقه ، فبايع ، وتتابع الناس بالبيعة . وكان المسيب بن زهير أول من استثنى في البيعة ، وقال : عيسى بن موسى : إن كان كذلك . فأمّصوه .

وخرج موسى بن المهدي إلى مجلس العامة ، فبايع من بقي من القواد والوجوه ، وتوجه العباس بن محمد ومحمد بن سليمان إلى مكة ليبايع أهلها بها ؛

(١) ب : « بالبطن » .

(٢) يقال : أمّص فلان فلاناً إذا شتمه بالمصان ، والمصان : شتم للرجل يعبر برضع النعم من أخلافها .

٣٩٠/٣

وكان العباس يومئذ المتكلم ، فبايع الناس للمهدي بين الركن والمقام ، وتفرق
 عِدَّة من أهل بيت المهدي في نواحي مكة والعسكر فبايعه الناس ، وأخذ في
 تجهيز المنصور وغسله وكفنه ، وتولى ذلك من أهل بيته العباس بن محمد والربيع
 والريان وعدة من خدّمه ومواليه ، ففرغ من جهازه مع صلاة العصر ، وغطى
 من وجهه وجميع جسده بأكفانه إلى قُصاص شعره ، وأبدى رأسه مكشوفاً من
 أجل الإحرام ، وخرج به أهل بيته والأخص من مواليه ، وصلى عليه - فيما
 زعم الواقدي - عيسى بن موسى في شِعب الخُوز^(١) .

وقيل : إن الذي صُلّي عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عليّ . وقيل : إن
 المنصور كان أوصى بذلك ؛ وذلك أنه كان خليفته على الصلاة بمدينة السلام .

وذكر عليّ بن محمد النوفليّ ، عن أبيه ، أن إبراهيم بن يحيى صلى عليه في
 المضارب قبل أن يُحمل ؛ لأن الربيع قال : لا يصلّي عليه أحد يطمع في الخلافة ،
 فقدّموا إبراهيم بن يحيى - وهو يومئذ غلام حدّث - ودفن في المقبرة التي
 عند ثنيّة المدنيين^(٢) التي تسمّى كذا ، وتسمّى ثنيّة المعلّاة ؛ لأنها بأعلى
 مكة ، ونزل في قبره^(٣) عيسى بن عليّ والعباس بن محمد وعيسى بن موسى ،
 والربيع والريان ومواليه ، ويقطين بن موسى .

• • •

واختلف في مبلغ سنة يوم توفّي ، فقال بعضهم : كان يوم توفّي ابن أربع
 وستين سنة .

وقال بعضهم : كان يومئذ ابن خمس وستين سنة .

وقال بعضهم : كان يوم توفّي ابن ثلاث وستين سنة .

وقال هشام بن الكلبيّ : هلك المنصور وهو ابن ثمان وستين سنة .

(٢) ب : « المدينتين » .

(١) ب : « الحوز » ، ج : « الخوز » .

(٣) ب : « مقبره » .

وقال هشام : ملك المنصور اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين يوماً .
واختلف عن أبي معشر في ذلك ، فحدثني أحمد بن ثابت الرازي عن
ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عنه أنه قال : توفي أبو جعفر قبل يوم التروية
بيوم يوم السبت ، فكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثلاثة أيام .
وروى عن ابن بكّار عنه أنه قال : إلا سبع ليال .
وقال الواقدي : كانت ولاية أبي جعفر اثنتين وعشرين سنة إلا ستة أيام .
وقال عمر بن شبة : كانت خلافته اثنتين وعشرين سنة غير يومين .
وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي .
وفي هذه السنة هلك طاغية الروم .

* * *

ذكر الخبر عن صفة أبي جعفر المنصور
'ذكر أنه كان أسمر طويلاً ، نحيفاً . خفيف العارضين .
وكان وليد بالحميمة .

* * *

ذكر الخبر عن بعض سيره

'ذكر عن صالح بن الوجيه ، عن أبيه ، قال : بلغ المنصور أن عيسى
ابن موسى قتل رجلاً من ولد نصر بن سيار ، كان مستخفياً بالكوفة ، فدُلَّ
عليه ، فضرب عنقه . فأنكر ذلك وأعظمه ، وهمّ في عيسى بأمر كان فيه
هلاكه ، ثم قطعه عن ذلك جهل عيسى بما فعل . فكتب إليه :

أما بعد ، فإنه لولا نظر أمير المؤمنين واستبقاؤه لم يؤخّرْك عقوبة قتل ابن
نصر بن سيار واستبدادك به بما يقطع أطماع العمال في مثله . فأمسك عمن
ولاك أمير المؤمنين أمره ؛ من عرني وأعجمي ، وأحمر وأسود ، ولا تستبدن
على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة في أحد قبْلَه تباعة^(١) ، فإنه لا يرى أن يأخذ

٢٩٢/٣

(١) التباعة ، مثل التبعة .

أحداً بظنّة قد وضعها الله عنه بالتوبة، ولا بحدّث كان منه في حرب أعقبه الله منها سلماً ستر به عن ذى غيلة، وحجز به عن محنة ما في الصدور؛ وليس يئأس أمير المؤمنين لأحدٍ ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر؛ كما أنه لا يأمن إدبار مقبل. إن شاء الله والسلام.

وذكر عن عباس بن الفضل، قال: حدثني يحيى بن سليم كاتب الفضل بن الربيع، قال: لم ير في دار المنصور طوطاً، ولا شيء يشبه الطوط واللعب والعبث إلا يوماً واحداً، فإننا رأينا ابناً له يقال له عبد العزيز أخا سليمان وعيسى ابني أبي جعفر من الطليحة، توفّي وهو حدّث، قد خرج على الناس متنكباً قوساً، متعمماً بعمامة، متردياً ببرد، في هيئة غلام أعرابي، راكباً على قموذ بين جوالقين، فيهما مقتل ونعال ومساويك وما يهديه الأعراب؛ فعجب الناس من ذلك وأنكروه. قال: قضى الغلام حتى عبر البحر، وأتى المهدي بالرفصة فأهدى إليه ذلك، فقيل المهدي ما في الجوالق وملاهما دراهم؛ فانصرف بين الجوالقين؛ فعلم أنه ضرب من عبث الملوك.

وذكر عن حماد التركي، قال: كنت واقفاً على رأس المنصور، فسمع جلبة في الدار، فقال: ما هذا يا حماد؟ انظر، فذهبت فإذا خادم له قد جلس بين^(١) الجوارى، وهو يضرب لمن بالطنبور، وهن يصحكن، فجئت فأخبرته، فقال: وأيّ شيء الطنبور؟ فقلت: خشبة من حالها وأمرها... ووصفتها له؛ فقال لي: أصبت صفته، فإدريك أنت ما الطنبور! قلت: رأيت به خراسان، قال: نعم هناك، ثم قال: هات نعلي، فأتيته بها فقام يمشي رويداً حتى أشرف عليهم فرأهم، فلما بصروا به تفرقوا، فقال: خذوه، فأخذ، فقال: اضرب به رأسه، فلم أزل أضرب به رأسه حتى كسرتة، ثم قال: أخريجه من قصرى، واذهب به إلى حمران بالكرك، وقل له يبيعه.

وذكر العباس بن الفضل عن سلام الأبرش، قال: كنت وأنا وصيف وغلाम آخر نخدم المنصور داخلًا في منزله؛ وكانت له حجرة فيها بيت وفسطاط وفراش ولحاف يخلو فيه، وكان من أحسن الناس خلُقًا ما لم يخرج

(١) ج وابن الأثير: «حوله».

إلى الناس ، وأشدّ احتمالا لما يكون من عبث الصبيان ؛ فإذا لبس ثيابه تغير لونه وتربّد وجهه ، واحمرّت عيناه ، فيخرج فيكون منه ما يكون ، فإذا قام من مجلسه رجع بمثل ذلك ؛ فنستقبله في ممشاه . فربّما عاتبناه .

وقال لي يوماً : يا بنيّ إذا رأيتني قد لبست ثيابي أو رجعت من مجلسي ؛ فلا يدنُون مني أحد منكم مخافة أن أعره بشيء .

وذكر أبو الهيثم خالد بن يزيد بن وهب بن حرير بن حازم ، قال : حدثني عبد الله بن محمد - يلقب بمنقار من أهل خراسان وكان من عمال الرشيد - قال : حدثني معن بن زائدة . قال : كنت في الصحابة سبعائة رجل ؛ فكنّا ندخل على المنصور في كل يوم ، قال : فقلت لأربيع : اجعلني في آخر مَنْ يدخل ، فقال لي : لست بأشرفهم فتكون في أولهم . ولا بأخسهم نسباً فتكون في آخرهم ؛ وإن مرتبتك لتشبه نسبك . قال : فدخلت على المنصور ذات يوم وعلى درّاعة فضفاضة وسيف حنفيّ . أقرع بنعله الأرض . وعمامة قد سدلتها من خلفي وقُدّامي . قال : فسلمت عليه وخرجت ، فلمّا صرت عند السّرّ صاح بي : يا معن . صيحة أنكرتها ! فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : إلى . فدنوت منه . فإذا به قد نزل عن عرشه إلى الأرض . وجثا على ركبتيه ، واستلّ عموداً من بين فراشيين . واستحال لونه ودرّت أوداجه . فقال : إنك لصاحب يوم واسط ؛ لا نجوت إن نجوت مني . قال : قلت يا أمير المؤمنين . تلك نصرتي لباطلهم ، فكيف نصرتي لحقك ! قال : فقال لي : كيف قلت ؟ فأعدت عليه القول . فما زال يستعيدني حتى ردّ العمود في مستقرّه ، واستوى متربّعاً ، وأسفر لونه . فقال : يا معن ، إن لي باليمن هئات ، قلت : يا أمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي . قال : فقال : أنت صاحب . فجلست . وأمر الربيع بإخراج كل مَنْ كان في القصر فخرج ، فقال لي : إن صاحب اليمن قد همّ بمعصيتي . وإني أريد أن آخذه أسيراً ولا يفوتني شيء من ماله . فما ترى ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، ولكنّي اليمن . وأظهر أنك ضممتني إليه . ومرّ الربيع يُزيح عليّ في كلّ ما أحتاج إليه ، ويخرجني من يومى هذا لئلا ينتشر الخبر . قال : فاستلّ عهداً من بين

٣٩٥/٣

فراشيتن ، فوقع فيه اسمي وناولنيه ، ثم دعا الربيع ، فقال : يا ربيع ، إنا قد
ضممنا معننا إلى صاحب اليمن ، فأزح عيلته فيما يحتاج إليه من الكراع
والسلاح ، ولا يمسى ^(١) إلا وهو راحل . ثم قال : ودعني ، فودعته وخرجت
إلى الدهلير ، فلقيني أبو الوالي ، فقال : يا معن ، أعزز علي أن تضم إلى ابن
أخيك ! قال : فقلت : إنه لا غضاضة على الرجل أن يضمه ^(٢) سلطانه
إلى ابن أخيه ، فخرجت إلى اليمن فأتيت الرجل ، فأخذته أسيراً ، وقرأت
عليه العهد ، وقعدت في مجلسه .

وذكر حماد بن أحمد الباني ، قال : حدثني محمد بن عمر الباهلي
أبو الرديني ، قال : أراد معن بن زائدة أن يوفد إلى المنصور قوماً يسئلون
سخيمته ، ويستعطفون قلبه عليه ، وقال : قد أفنيت عمرى في طاعته ،
وأتعبت نفسي وأفنيت رجالي في حرب اليمن ، ثم يسخط علي أن أنفقت المال
في طاعته ! فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة ، فكان فيمن اختار
عجماء بن الأزهر ، فجعل يدعو الرجال واحداً واحداً ، ويقول : ماذا أنت
قائل لأمر المؤمنين إذا وجهتلك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول ، حتى جاءه عجماء
ابن الأزهر ، فقال : أعز الله الأمير ! تسألني عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا
باليمن ! أقصد لحاجتك ؟ حتى أتأتى لها كما يمكن وينبغي ، فقال : أنت
صاحبي ، ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزني ، فقال له : شدت على
عصبة ابن عمك وقدّمه أمامك ؟ فإن سها عن شيء فتلافه . واختار من
أصحابه ثمانية نفر ^(٣) معهما حتى تموا عشرة ، وودعهم ومضوا حتى صاروا
إلى أبي جعفر ، فلما صاروا بين يديه تقدموا ، فابتدأ عجماء بن الأزهر بحمد الله
والثناء عابه والشكر ، حتى ظن القوم أنه إنما قصد لهذا ، ثم كرّ على ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم ، وكيف اختاره الله من بطون العرب ، ونشر من فضله ؛ حتى
تعجب القوم ، ثم كرّ على ذكر أمير المؤمنين المنصور ، وما شرفه الله به ،
وما قلده ، ثم كرّ على حاجته في ذكر صاحبه . فلما انتهى ^(٤) كلامه ، قال

٣٩٦/٣

(٢) ب : « يضم » .

(١) ب : « ولا تمسى » .

(٤) ج : « انقضى » .

(٣) ب : « من قومه نفرا » .

المنصور : أمّا ما وصفت من حمد الله ، فالله أجلّ وأكبر من أن تبلغه الصفات ،
وأما ما ذكرت من النبي صلى الله عليه وسلم فقد فضّله الله بأكثر ١٢ قلت ، وأما
ما وصفت به أمير المؤمنين ؛ فإنه فضّله الله بذلك ، وهو معينه على طاعته
إن شاء الله ، وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت وألّومت ، اخرج فلا يقبل
ما ذكرت . قال : صدق أمير المؤمنين ، والله ما كذبت في صاحبي . فأخرجوا
فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمر برده مع أصحابه ، فقال : ما ذكرت ؟
فكرّ عليه الكلام ؛ حتى كأنه كان في صحيفة يقرؤه ، فقال له مثل القول
الأول ، فأخرجوا حتى برزوا جميعاً ، وأمر بهم فوقوا ، ثم التفت إلى من
حضر من مضر ، فقال : هل تعرفون فيكم مثل هذا ؟ والله لقد تكلمت حتى
حسدته ، وما معنى أن أتم على ردة إلا أن يقال : تعصّب عليه لأنه ربيّمي ،
وما رأيت كاللوم رجلاً أربط جاشاً ، ولا أظهر بياناً ؛ ردة يا غلام . فلما
صار بين يديه أعاد السلام ، وأعاد أصحابه ، فقال له المنصور : اقصد
لجأجتك وحاجة صاحبك . قال : يا أمير المؤمنين ، معن بن زائدة عبّدتك
وسيفك وسهمك ، رميت به عدوك ، فضرب وطعن ورمى ، حتى سهل ماحزن ،
وذلّ ما صعب ، واستوى ما كان معوجاً من اليمن ، فأصبحوا من خول
أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ! فإن كان في نفس أمير المؤمنين هتة من ساع
أو واش أو حاسد فأمر المؤمنين أولى بالفضل^(١) على عبده ، ومن أفنى عمره
في طاعته . فقبل وفادتهم ، وقبل العذر من معن ؛ وأمر بصرفهم إليه ؛ فلما صاروا
إلى معن قرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه ، وخلع عليهم
وأجازهم على إقدامهم ، وأمرهم بالرحيل إلى منصور ، فقال مُجاعة :

٣٩٧/٣

آليت في مجلس من وائل قسماً ألا أبيعك يا معن بأطمار
يامعن إنك قد أوليتني نِعماً عمت لجيماً ونخصت آل مُجَاعِر
فلا أزال إليك الدهر منقطعاً حتى يُشيد^(٢) بهلكي هتفة الناعي

قال : وكانت نِعَم معن على مُجاعة ، أنه سأله ثلاث حوائج ، منها أنه
كان يتعشّى امرأة من أهل بيته ، سيدة يقال لها زهراء لم يتزوجها أحد بعد ؛

(٢) ب : « تشد » .

(١) ج « بالفضل » .

وكانت إذا ذكر لها قالت : بأى شىء يتزوجنى ؟ أجبته الصوف ، أم بكسائه ! فلمّا رجع إلى معن كان أوّل شىء سأله أن يزوجه بها ، وكان أبوها فى جيش معن ، فقال : أريد زهراء ، وأبوها فى عسكر أيتها الأمير ، فزوجه إياها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده . فقال له معن : حاجتك الثانية ، قال : الخائن الذى فيه منزلى بحجر وصاحبه فى عسكر الأمير ، فاشتراه منه وصيّره له ؛ وقال : حاجتك الثالثة ؟ قال : تهب لى مالا . ٣٩٨/٣ . قال : فأمر له بثلاثين ألف درهم ، تمام مائة ألف درهم ، وصرفه إلى منزله .

وذكر عن محمد بن سالم الخوارزمي - وكان أبوه من قواد خراسان - قال : سمعت أبا الفرج خال عبد الله بن جبلة الطالقاني يقول : سمعت أبا جعفر يقول : ما كان أحوجنى إلى أن يكون على بابى أربعة نفر لا يكون على بابى أعف منهم ، قيل له : يا أمير المؤمنين ، من هم ؟ قال : هم أركان المُلْك ، ولا يصلح المُلْك إلا بهم ؛ كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع قوائم ، إن نقصت واحدة وهى ؛ أما أحدهم فقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم ، والآخر صاحب شُرطة ينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فإني عن ظلمها غنى ، والرابع - ثم عضّ على أصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول فى كل مرة : آه آه - قيل له : ومن هو أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصّحة .

وقيل : إن المنصور دعا بعاملٍ من عمّاله قد كسر خراجه ، فقال له : أدّ ما عليك ، قال : والله ما أملك شيئاً ، ونادى المنادى : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : يا أمير المؤمنين ، هبّ ما علىّ لله وشهادة أن لا إله إلا الله ، فخلّى سبيله .

قال : وولّى المنصور رجلاً من أهل الشام شيئاً من الخراج ^(١) ، فأوصاه وتقدّم إليه ، فقال : ما أعرفتنى بما فى نفسك ! الساعة يا أخا أهل الشام ! تخرج من عندى الساعة ، فتقول : ألزم الصّحة ؛ يلزمك العمل .

(١) ج : « خراج الشام » .

قال : وولّى رجلاً من أهل العراق شيئاً من خراج السواد ، فأوصاه ، وتقدّم إليه ، فقال : ما أعرفني بما في نفسك ! تخرج الساعة فتقول : من عالَ بعدها فلا اجتبر^(١) . اخرج عني وامض إلى عملك ؛ فوالله لئن تعرّضتَ لذلك لأبلغن من عقوبتك ما تستحقّه . قال : فولّيا جميعاً وصحّحا وناصحا .

ذكر الصبّاح بن عبد الملك الشيبانيّ ، عن إسحاق بن موسى بن عيسى ؛ أنّ المنصور ولّى رجلاً من العرب حضرموت ، فكتب إليه وإلى البريد أنه يكثر الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدّها ، فعزله وكتب إليه : ثكلتك أمك وعدمتك عشيرتك ! ما هذه العدة التي أعددتها للتكاية في الوحش ! إنا إنما استكفيناك أمور المسلمين ، ولم نستكفك أمور الوحش ؛ سلّم ما كنت تلي من عملنا إلى فلان بن فلان ، والحق بأهلك ملوماً مدحوراً .

وذكر الربيع أنه قال : أدخل على المنصور سهيل بن سالم البصريّ ، وقد ولّى عملاً فعزل ، فأمر بحبسه واستدائه ، فقال سهيل : عبدك يا أمير المؤمنين ، قال : بشس العبد أنت ! قال : لكنك يا أمير المؤمنين نعم المولى ! قال : أمّا لك فلا .

قال : وذكر عن الفضل بن الربيع عن أبيه ، أنه قال : بينا أنا قائم بين يدي المنصور أو على رأسه ؛ إذ أتى بخارجي قد هزم له جيوشاً ، فأقامه ليضرب عنقه ، ثم اقتحمته عينه ، فقال : يابن الفاعلة ، مثلك يهزم الجيوش ! فقال له الخارجيّ : وبيك وسوءة لك ! بيني وبينك أمس السيف والقتل ، واليوم القذف والسب ! وما كان يؤمنك أن أردّ عليك وقد يشتت من الحياة فلا تستقبلها أبداً ! قال : فاستحيا منه المنصور وأطلقه ، فما رأى له وجهاً حولاً .

ذكر عبد الله بن عمرو الملحيّ أن هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي ، قال : حدثني عبد الله بن محمد بن أبي أيوب المكيّ ، عن أبيه ، قال : حدثني عمارة بن حمزة ، قال : كنت عند المنصور ، فانصرفت من عنده في وقت انتصاف النهار ، وبعد أن بايع الناس للمهديّ ، فجاءني المهديّ

في وقت انصرافي ، فقال لي : قد بلغني أن أبي قد عزم أن يبايع لجعفر أخى ، وأعطى الله عهداً لئن فعل لأقتلته ، فضيت من فوري إلى أمير المؤمنين ، فقلت : هذا أمر لا يؤخر ، فقال الحاجب : الساعة خرجت ! قلت : أمر حدث ، فأذن لي ، فدخلت إليه ، فقال لي : هيه يا عمارة ! ما جاء بك ؟ قلت : أمر حدث يا أمير المؤمنين أريد أن أذكره ، قال : فأنا أخبرك به قبل أن تخبرني ، جاءك المهديّ فقال : كيت وكيت ، قلت : والله يا أمير المؤمنين لكأنك حاضر^(١) ثالثنا ، قال : قل له : نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك .

وذكر عن أحمد بن يوسف بن القاسم ، قال : سمعت إبراهيم بن صالح ، يقول : كنا في مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور ، فتذاكرنا الحجاج ، فتنأ من حميده ومنا من ذمه ، فكان ممن حميده معن بن زائدة ، وممن ذمه الحسن بن زيد ، ثم أذن لنا فدخلنا على المنصور ، فانبرى الحسن بن زيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما كنت أحسبني أبقي حتى يذكر الحجاج في دارك وعلى بساطك ، فيشي عليه . فقال أبو جعفر : وما استكرت من ذلك ! رجل استكفاه قوم فكفاهم ؛ والله لوددت أني وجدت مثل الحجاج حتى أستكفيه أمرى ، وأنزله أحد الحرمين . قال : فقال له معن : يا أمير المؤمنين ، إن لك مثل الحجاج عدة لو استكفيتهم كفوك ، قال : وممن هم ؟ كأنك تريد نفسك ! قال : وإن أردتها فلم أبعد من ذلك ، قال : كلاً لست كذاك ؛ إن الحجاج اتتمنه قوم فأدى إليهم الأمانة ، وإننا اتتمنأك فحُنتنا !

ذكر الهيثم بن عدى ، عن أبي بكر المذلى ، قال : سرت مع أمير المؤمنين المنصور إلى مكة ، وسائرته يوماً ، فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تذهب في الأرض ، وعليه جبة خز ، وعمامة عديّة ، وفي يده سوط يكاد يمس الأرض ، سرى الهيئة ، فلما رآه أمرني فدعوته ، فجاء فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولاية الصدقة ، فأحسن الجواب ، فأعجبه ما رأى منه ، فقال : أنشدني ، فأنشده شعراً لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن تميم ، وحدته حتى أتى على شعر لطريف بن تميم العنبري ، وهو قوله :

إِنَّ قَنَاتِي لَنَبْعُ لَا يُوَيْسُهَا غَمَزُ الثَّقَافِ وَلَا دُھَنٌ وَلَا نَارُ
مَتَى أَجِرْ خَائِفًا تَأْمَنُ مَسَارِحُهُ وَإِنْ أَخِيفَ آمِنًا تَقْلَقُ بِهِ الدَّارُ
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أوردَتْهَا صَدَرَتْ إِنَّ الْأُمُورَ لَهَا وَرْدٌ وَإِصْدَارُ

فقال : ويحك ! وما ^(١) كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟ قال :
كان أنقل العرب ^(٢) على عدوه وطأةً وأدركهم بثأراً ، وأيمنهم تقييةً ، وأعساهم ^(٣)
قناة لمن رام هضمه ، وأقراهم لضيفه ، وأحوطهم من وراء جاره ؛ اجتمعت
العرب بعكاظ فكلتهم أقرّ له بهذه الخلال ؛ غير أن امرأاً أراد أن يقصر به ،
فقال : والله ما أنت ببعيد النجعة ، ولا قاصد الرميّة ، فدعاه ذلك إلى أن جعل
على نفسه ألا يأكل إلا لحم قنص يقتنصه ، ولا ينزع كلّ عام عن غزوة
يُبْعِدُ فيها أثره ، قال : يا أخا بني نعيم ؛ لقد أحسنت إذ وصفت صاحبك
ولكني أحقّ ببيتيه منه ؛ أنا الذي وصف لا هو .

٤٠٢/٣

وذكر أحمد بن خالد الفُقَيْمِيّ أن عدّة من بني هاشم حدّثوه أن
المنصور كان شغلّه في صدر نهاره بالأمر والنهي والولايات والعزل وشحن الثغور
والأطراف وأمن السبل والنظر في الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعيّة لطرح
عالتهم والتلطّف لسكونهم وهدوئهم ، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته
إلا من أحبّ أن يسامره ، فإذا صلى العشاء الآخرة نظر فيما ورد عليه من كتب
الثغور والأطراف والآفاق ، وشاور مُستأمره من ذلك فيما أرب ؛ فإذا مضى
ثلث الليل قام إلى فراشه وانصرف مُستأمره ، فإذا مضى الثلث الثاني قام من فراشه ،
فأسبغ وضوءه ، وصَفّ في محرابه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصاُلي
بالناس ، ثم يدخل فيجلس في إيوانه .

قال إسحاق : حدّثت عن عبد الله بن الربيع ، قال : قال أبو جعفر
إسماعيل بن عبد الله : صف لي الناس ، فقال : أهل الحجاز مبتدأ الإسلام

(١) ج : « ومن » . (٢) ج : « الناس » .

(٣) ج : « وأعساه » ، وعسى الشيء ، أى اشتد وصلب .

وبقية العرب ، وأهل العراق ركن الإسلام ومقاتلة عن الدين ، وأهل الشام حصن الأمة وأسنة الأئمة . وأهل خراسان فرسان الهيجاء وأعنة الرجال ، والتترك منابت الصخور وأبناء المغازي ، وأهل الهند حكماء استغنوا ببلادهم فاكشفوا بها عما يليهم ، والروم أهل كتاب وتدّين نحاهم الله من القرب إلى البعد ، والأنباط كان ملئكم قديماً فهم لكل قوم عبيد . قال : فأى الولاة أفضل ؟ قال : الباذل للعتاء ، والمعرض عن السيئة . قال : فأيتهم أخرج ؟ قال : أنهكهم ^(١) للرعية ، وأتعبهم لها بالخرق والعقوبة . قال : فالطاعة على الخوف أبلغ في حاجة الملك أم الطاعة على المحبة ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، الطاعة عند الخوف تُسرّ الغدر وتبالغ عند المعايعة ، والطاعة على المحبة تضمّر الاجتهاد وتبالغ عند الغفلة . قال : فأى الناس أولاهم بالطاعة ؟ قال : أولاهم بالمضرة والمنفعة . قال : ما علامة ذلك ؟ قال : سرعة الإجابة وبذل النفس . قال : فمن ينبغي للملك أن يتّخذ وزيراً ؟ قال : أسلمهم قلباً ، وأبعدهم من الهوى .

وذكر عن أبي عبيد الله الكاتب ، قال : سمعت المنصور يقول للمهديّ حين عهد له بولاية العهد : يا أبا عبد الله ، استدم النعمة بالشكر ، والقدرة بالعمو ، والطاعة بالتألف ^(٢) ، والنصر بالتواضع ، ولا تنس مع نصيبك من الدنيا نصيبك من رحمة الله .

وذكر الزبير بن بكار ، قال : حدثني مبارك الطبري ، قال : سمعت أبا عبيد الله يقول : سمعت المنصور يقول للمهديّ : لا تبرم أمراً حتى تفكر فيه ؛ فإن فكر العاقل مرآته ، تريه حسنه وسيئته .

وذكر الزبير أيضاً ، عن مصعب بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : سمعت أبا جعفر المنصور يقول للمهديّ : يا أبا عبد الله ؛ لا يصلح السلطان إلا بالتقوى ، ولا تصلح رعيته إلا بالطاعة ، ولا تعمّر البلاد بمثل العدل ، ولا تدوم نعمة السلطان وطاعته إلا بالمال ، ولا تقدّم في الحياطة بمثل نقل الأخبار .

(١) ب : « أنهضهم » .

(٢) ج : « التأليف » .

وأقْدَرُ الناس على العفو أقْدَرهم على العقوبة ، وأعجزُ الناس مَنْ ظلمَ مَنْ هو دونه . واعتبرْ عملَ صاحبك وعلمَه باختباره^(١) .

وعن المبارك الطبري أنه سمع أبا عبيد الله يقول : سمعتُ المنصور يقول للمهدي : يا أبا عبد الله ، لا تجلس مجلساً إلا ومعك من أهل العلم مَنْ يحدُّثُك ؛ فإن محمد بن شهاب الزهري قال : الحديث ذكر ولا يحبه إلا ذكُور الرجال ، ولا يُبغضه إلا مؤنثوهم ؛ وصدَّقَ أخو زُهْرَة !

وذكر عن علي بن مجاهد بن محمد بن علي ، أن المنصور قال للمهدي : يا أبا عبد الله ، مَنْ أَحَبَّ الحمد أحسن السيرة ، ومن أَبْغَضَ الحمد أساءها ، وما أَبْغَضَ أحدُ الحمد إلا استنم ، وما استنم إلا كره .

وقال المبارك الطبري : سمعتُ أبا عبيد الله يقول : قال المنصور للمهدي : يا أبا عبد الله ، ليس العاقلُ الذي يَحْتالُ للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه ؛ ولكنه الذي يَحْتالُ للأمر الذي غشيته حتى لا يقع فيه .

وذكر الفقيمي ، عن عتبة بن هارون ، قال : قال أبو جعفر يوماً للمهدي : كم راية^(٢) عندك ؟ قال : لا أدري ، قال : هذا والله التضييع ؛ أنت لأمر الخلافة أشدُّ تضييعاً ؛ ولكن قد جمعتُ لك ما لا يضرُّك معه ما ضيَّعتَ ؛ فاتق الله فيما خَوَّلَكَ .

وذكر علي بن محمد عن حفص بن عمر بن حماد ، عن خالصة ، قالت : دخلتُ على المنصور ؛ فإذا هو يتشكَّى^(٣) وجع ضِرْصِه ؛ فلما سمع حسني ، قال : ادخلي ؛ فلما دخلت إذا هو واضع يده على صدغيه ، فسكت ساعة ثم قال لي : يا خالصة ، كم عندك من المال ؟ قلت : ألف درهم ، قال : ضعي يدك على رأسي واحلني ، قلت : عندي عشرة آلاف دينار ؛ قال : احمليني إلى ، فرجعت فدخلت على المهدي والخيزران فأخبرتُهما ؛ فركلني المهدي برجله ، وقال لي : ما ذهب بك إليه ! ما به من وجع ؛ ولكني سألتُه أمس مالاً فمارض ، احملني إليه ما قلت ؛ ففعلتُ ، فلما أتاه المهدي ، قال :

١٠٥/٣

(١) ج وابن الأثير : « باختباره » . (٢) ج : « دابة » . (٣) ج : « يشتكي » .

يا أبا عبد الله ؛ تشكو الحاجة وهذا عند خالصة !

وقال عليّ بن محمد : قال واضح مولى أبي جعفر ، قال : قال أبو جعفر يوماً : انظر ما عندك من الشّياب الخلقان فاجمعها ، فإذا علمت بمجيء أبي عبد الله فجنّى بها قبل أن يدخل ؛ وليكن معها رقاع . ففعلت ، ودخل عليه المهديّ وهو يقدر الرّقاع ، فضحك وقال : يا أمير المؤمنين ، من هاهنا يقول الناس : نظروا في الدينار والدرهم وما دون ذلك - ولم يقل : دانق - فقال المنصور : إنه لا جديد لمن لا يصلح خلقه ، هذا الشتاء قد حضر ، ونحتاج إلى كسوة للعيال والولد . قال : فقال المهديّ : فعلى كسوة أمير المؤمنين وعياله وولده ، فقال له : دونك فافعل .

وذكر عليّ بن مرثد أبو دعامة الشاعر ، أن أشجع بن عمرو السلميّ حدثه عن المؤمّل بن أميّل - وذكره أيضاً عبد الله بن الحسن الخوارزمي أن أبا قدامة حدثه أن المؤمّل بن أميّل حدثه - قال : قدمت على المهديّ - قال ابن مرثد في خبره : وهو ولي عهد ، وقال الخوارزمي : قدمت عليه الرّى وهو ولي عهد - فأمر لي بعشرين ألف درهم لأبيات امتلحته بها ؛ فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألف درهم ، فكتب إليه المنصور يعدّ له ويلومه ، ويقول له : إنما كان ينبغي لك أن تعطي الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم . قال أبو قدامة : فكتب إلى كاتب المهديّ أن يوجّه إليه بالشاعر ، فطلب فلم يُقدّر عليه ، فكتب إليه أنه قد توجه إلى مدينة السلام ، فوجه المنصور قائداً من قواده ، فأجلسه على جسر النهر وان ، وأمره أن يتصفح الناس رجلاً رجلاً ممّن يمرّ به ؛ حتى يظفر بالمؤمّل ؛ فلما رآه قال له : من أنت ؟ قال : أنا المؤمّل بن أميّل ، من زوّار الأمير المهديّ ، قال : إياك طلبت . قال المؤمّل : فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر ، فقبض عليّ ثم أتى بي باب المقصورة ، وأسلمني إلى الرّبيع ، فدخل إليه الرّبيع ، فقال : هذا الشاعر قد ظفرنا به ، فقال : أدخلوه عليّ ، فأدخلت عليه ، فسلمت فردّ عليّ السلام ، فقلت : ليس ها هنا إلا خير ، قال : أنت المؤمّل بن أميّل ؟

قلت : نعم أصلح الله أمير المؤمنين ! قال : هيه ! أتيت غلاماً غيراً فخذعته !
قال : فقلت : نعم أصلح الله أمير المؤمنين ؛ أتيت غلاماً غيراً كريماً فخذعته
فانخدع ، قال : فكأن ذلك أعجبه ، فقال : أنشدني ما قلت فيه ، فأنشدته :

٤٠٧/٣

هو المهدى إلا أن فيه مشابه صورة القمر المنير
تشابهة ذا وذا فهما إذا ما أنارا مُشكِلان على البصير
فهذا في الظلام سراجٌ ليل^(١) وهذا في النهار سراجٌ نور
ولكن فضل الرحمن هذا على ذا بالمتابير والسرير
وبالمُلك العزيز فذا أميرٌ وما ذا بالأمير ولا الوزير
ونقصُ الشهر يُخمدُ ذا ، وهذا منيرٌ عند نقصانِ الشهور
فيابن خليفة الله المصطفى به تعلو مُفاخرةُ الفخور
لئن قُتَّ الملوك وقد توافوا إليك من السهولة والوعور
لقد سبقَ الملوك أبوك حتى بقوا من بين كابٍ أو حسير
وجئت وراءه تجرى حشياً وما بك حين تجرى من فتور
فقال الناس : ما هذان إلا بمنزلة الخلق من الجدير^(٢)
لئن سبقَ الكبيرُ فأهلُ سبقٍ له فضلُ الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغيرُ مدى كبيرٍ لقد خلقَ الصغيرُ من الكبير

فقال : والله لقد أحسنت ؛ ولكن هذا لا يساوى عشرين ألف درهم .
وقال لي : أين المال ؟ قلت : ها هو ذا ، قال : يا ربيع انزل معه فأعطه أربعة
آلاف درهم ، وخذ منه الباقي . قال ؛ فخرج الربيع فحط ثقلتي ، ووزن
لي أربعة آلاف درهم وأخذ الباقي . قال : فلما صارت الخلافة إلى المهدى ،
ولّى ابن ثوبان المظالم ، فكان يجلس للناس بالرُصافة فإذا ملأ كساءه رقاعاً
رفعها إلى المهدى ، فرفعتُ إليه يوماً رقعة أذكره قصتي ، فلما دخل بها ابن

٤٠٨/٣

(١) الزجاجي : « سراج نار » . (٢) أي هما سيان ، والخلق والجدير بمعنى واحد .

ثوبان ، جعل المهديّ ينظر في الرقاع ؛ حتى إذا نظر في رقعتي ضحك ، فقال له ابن ثوبان : أصلح الله أمير المؤمنين ! ما رأيك ضحكك من شيء من هذه الرقاع إلا من هذه الرقعة ! قال : هذه رقعة أعرف سببها ، ردّها وإليه العشرين الألف الدرهم ، فردت إلىّ وانصرفت^(١) .

وذكر واضح مولى المنصور ، قال : إني لواقفٌ على رأس أبي جعفر يوماً إذ دخل عليه المهديّ ، وعليه قباء أسود جديد ، فسلم وجلس ، ثم قام منصرفاً وأتبعه أبو جعفر بصرة حبّه له وإعجابه به ؛ فلما توسّط الرّواق عثر بسيفه فتخرق سواده ، فقام ومضى لوجهه غير مكترث لذلك ولا حافل به ، فقال أبو جعفر : ردّها وأبأ عبد الله ؛ فرددناه إليه ، فقال : يا أبا عبد الله ، استقلالاً للمواهب ، أم بطراً للنعمة ، أم قلة علم بموضع المصيبة ! كأنك جاهل بما لك وعليك ! وهذا الذي أنت فيه عطاء من الله ، إن شكرته عليه زادك ، فإن عرفت موضع البلاء منه فيه عافاك . فقال المهديّ : لا أعدمنا الله بقاءك يا أمير المؤمنين وإرشادك ؛ والحمد لله على نعمه ، وأسأل الله الشكر على مواهبه ، والخلّاف الجميل برحمته . ثم انصرف .

قال العباس بن الوليد بن مزيرد : قال : سمعت ناعم بن مزيرد ، يذكر عن الوضين بن عطاء ، قال : استراني أبو جعفر — وكانت بيني وبينه خلافة^(٢) قبل الخلافة — فصرت إلى مدينة السلام ، فخلوْنَا يوماً ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، ما مالك^(٣) ؟ قلت : الخبر الذي يعرفه أمير المؤمنين ، قال : وما عيالك ؟ قلت : ثلاث بنات والمرأة وخادم لنّ ، قال : فقال لي : أربع في بيتك ؟ قلت : نعم ، قال : فوالله لردّ عليّ حتى ظننت أنه سيمولني^(٤) ، قال : ثم رفع رأسه إلىّ ، فقال : أنت أيسر العرب ، أربعة مغازيل يدرن في بيتك .

(١) الخبر في الأغاني ١٩ : ١٤٧ - ١٥٠ (سامي) ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١٧٧ - ١٨٠

وأمال الزجاجي ٩٤ - ٩٦ . (٢) ج : « حالة » ، ابن الأثير : « خلة » .

(٣) ج ، وابن الأثير : « مالك » . (٤) ابن الأثير : « سيمولني » .

وذكر بشر المنجسم ، قال : دعاني أبو جعفر يوماً عند المغرب ، فبعثني في بعض الأمر ، فلما رجعت رفع ناحية مصلاه فلذا دينار ، فقال لي : خذ هذا واحتفظ به ، قال : فهو عندي إلى الساعة .

وذكر أبو الجهم بن عطية ، قال : حدثني أبو مقاتل الخراساني ، ورفع غلام له إلى أبي جعفر أن له عشرة آلاف درهم ؛ فأخذها منه ، وقال : هذا مالي ، قال : ومن أين يكون مالك ! فوالله ما وليت لك عملاً قط ، ولا بيني وبينك رحيم ولا قرابة ، قال : بلى ، كنت تزوجت مولاة لعيينة بن موسى ابن كعب فورتك مالا ؛ وكان ذلك قد عصي وأخذ مالي وهو وال علي السند ؛ فهذا المال من ذلك المال !

وذكر مصعب بن سلام ، عن أبي حارثة النهدي صاحب بيت المال ، قال : ولّي أبو جعفر رجلاً باروما ؛ فلما انصرف أراد أن يتعلّل عليه ، لثلا يعطيه شيئاً ، فقال له : أشركك في أمانتي ، وليتك فيئاً من فيء المسلمين فختته ! فقال : أعينك بالله يا أمير المؤمنين ، ما صحبني من ذلك شيء إلاّ درهم ، منه مثقال صرته في كمي ، إذا خرجت من عنلك اكرت به بغلا إلى عيالي ، فأدخل بيتي ليس معي شيء من مال الله ولا مالك . فقال : ما أظنك إلا صادقاً ؛ هلمّ درهمنا^(١) . فأخذه منه فوضعه تحت ليدته ؟ فقال : ما مثلي ومثلك إلا مثل مجير أم عامر ، قال : وما مجير أم عامر ؛ فذكر قصة الضبع ومجيرها ، قال : وإنما غالظه أبو جعفر لثلا يعطيه شيئاً .

٤١٠/٣

وذكر عن هشام بن محمد أن قُسم بن العباس دخل على أبي جعفر ، فكلّمه في حاجة ، فقال له أبو جعفر : دعني من حاجتك هذه ، أخبرني لم سميت قُسم^(٢) ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أدري ، قال : القُسم الذي يأكل ويُرل ، أما سمعت قول الشاعر :

وللكبراء أكلٌ كيف شاءوا وللصفراء أكلٌ واقتشامٌ

(١) ب : « درهمك » .

(٢) ط : « قُسماً » ؛ وهو ممنوع من الصرف .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن المنصور وهب لمحمد بن سليمان عشرين ألف درهم ولجعفر أخيه عشرة آلاف درهم ، فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ، تفضله على وأنا أسن منه ! قال : وأنت مثله ! إنا لا نلتفت إلى ناحية إلا وجدنا من أثر محمد فيها شيئاً ، وفي منزلنا من هداياه بقيّة ؛ وأنت لم تفعل من هذا شيئاً .

وذكر عن سودة بن عمرو السلمي ، عن عبد الملك بن عطاء - وكان في صحابة المنصور - قال : سمعت ابن هُبَيْرَة وهو يقول في مجلسه : ما رأيت رجلاً قط في حرب ، ولا سمعت به في سلّم ، أمكر ولا أبدع ، ولا أشدّ تيقظاً من المنصور ، لقد حصرنى في مدينتي تسعة أشهر ، ومعى فرسان العرب ، فجهدنا كلّ الجهد أن ننال من عسكره شيئاً نكسره به ؛ فإنا تهيتاً ، ولقد حصرنى وما في رأسي بيضاء ؛ فخرجت إليه وما في رأسي سوداء ؛ وإنه لكما قال الأعشى :

يَقُومُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَوْمِهِ فَيَغْضُو إِذَا شَاءَ أَوْ يَنْتَقِمُ
أَخُو الْحَرْبِ لَا ضَرْعُ وَاهِنٌ وَلَمْ يَنْتَعِلْ بِنَعَالِ خَلِيمٍ

وذكر إبراهيم بن عبد الرحمن أن أبا جعفر كان نازلاً على رجل يقال له أزهر السّمان - وليس بالحدّث - وذلك قبل خلافته ؛ فلما وليّ الخلافة صار إليه إلى مدينة السلام ، فأدخل عليه ، فقال : حاجتك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، علىّ دين أربعة آلاف درهم ، ودارى مستهدمة ، وابني محمد يريد البناء بأهله ؛ فأمر له باثني عشر ألف درهم ، ثم قال : يا أزهر ؛ لا تأتينا طالب حاجة ؛ قال : أفعل . فلما كان بعد قليل عاد ، فقال : يا أزهر ، ما جاء بك ؟ قال : جئت مسلماً يا أمير المؤمنين ؛ قال : إنه ليقع في نفسي أشياء ؛ منها أنك أتيتنا لِمَا أتيتنا له في المرّة الأولى ؛ فأمر له باثني عشر ألف درهم أخرى ، ثم قال : يا أزهر ، لا تأتينا طالب حاجة ولا مسلماً ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ ثم لم يلبث أن عاد ، فقال : يا أزهر ، ما جاء بك ؟ قال :

دعاء سمعته منك أحببت أن آخذك عنك ، قال : لا ترده ، فإنه غير مستجاب ؛ لأننى قد دعوت الله به أن يرىحنى من خلفتك^(١) فلم يفعل ، وصرفه ولم يعطه شيئاً .

وذكر الهيثم بن عدي أن ابن عيَّاش حدثه أن ابن هبيرة أرسل إلى المنصور وهو محصور بواسط ، والمنصور بإزائه : إني خارج يوم كذا وكذا وداعبك إلى المبارزة ، فقد بلغنى تجبيبتك إياي ؛ فكتب إليه : يا ابن هبيرة ، إنك امرؤ متعدّ طورك ، جارٍ في عنان غيبتك ، يعدك الله ما هو مصدقه ، وبميتك الشيطان ما هو مكذبه ، ويقرب ما الله مباعده ؛ فرويداً يتم الكتاب أجله ؛ وقد ضربت مثلي ومثلك ؛ بلغنى أن أسداً لقي خنزيراً ، فقال له الخنزير : قاتلني ، فقال الأسد : إنما أنت خنزير ولست لي بكفء ولا نظير ، وميتي فعلت الذي دعوتني إليه فقتلتك . قيل لي : قتلتَ خنزيراً ؛ فلم أعتقد بذلك فخراً ولا ذكراً ، وإن نالني منك شيء كان سببةً عليّ ، فقال : إن أنت لم تفعل رجعت إلى السباع فأعلمتها أنك نكلت^(٢) عني وجبت عن قتالي ، فقال الأسد : احتمال عار كذبك أيسر عليّ من لطمخ شاربي^(٣) بدمك .

٤١٢/٣

وذكر عن محمد بن رباح الجوهري ، قال : ذكر لأبي جعفر تدبير هشام بن عبد الملك في حرب كانت له ، فبعث إلى رجل كان معه ينزل الرصافة - رصافة هشام - يسأله عن ذلك الحرب ، فقدم عليه فقال : أنت صاحب هشام ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأخبرني كيف فعل في حرب دبرها في سنة كذا وكذا ؟ قال : إنه فعل فيها رحمه الله كذا وكذا ، ثم أتبع بأن قال : فعل كذا رضى الله عنه ؛ فأحفظ ذلك المنصور ، فقال : قم عليك غضب الله ! تطأ بساطي وترحم على عدوى ! فقام الشيخ ، وهو يقول : إن لعدوك قلادة في عنق ومنة في رقبتي لا ينزعها عني إلا غاسلي ؛ فأمر المنصور برده ، وقال : اقعد ، هيه ! كيف قلت ؟ فقلت : إنه كفاني الطلب ، وصان وجهي عن السؤال ، فلم أقف على باب عربي ولا أعجمي منذ رأيتُه ، أفلا

(٢) ابن الأثير : « نكلب » .

(١) ب : « خلقتك » .

(٣) ابن الأثير : « شراب » .

يجب على أن أذكره بخير وأتبعه بشئى ! فقال : بلى ، لله أم نهضت عنك ، وليلة أدتلك ، أشهد أنك نهيض حرّة وغراس كريم ؛ ثم استمع منه وأمر له ببرّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما آخذ الحاجة ، وما هو إلا أنى أنشرف بحبائك ، وأتبجّج بصليتك . فأخذ الصلّة وخرج ، فقال المنصور : عند مثل هذا تحسن الصنيعة ، ويوضع المعروف ، ويجاد بالمصون ، وأين في عسكرنا مثله !

وذكر عن حفص بن غياث ، عن ابن عيّاش ، قال : كان أهل الكوفة لا تزال الجماعة منهم قد طعنوا على عاملهم ، وتظلموا على أميرهم ، وتكلّموا كلاماً فيه طعن على سلطانهم ؛ فرُفِع ذلك في الخبر ، فقال للربيع : اخرج إلى مَنْ بالباب من أهل الكوفة ، فقل لهم : إن أمير المؤمنين يقول لكم لئن اجتمع اثنان منكم في موضع لأحلقن رؤوسهما ولحاهما ، ولأضربن ظهورهما ، فالزمو منازلكم ؛ وابقوا على أنفسكم . فخرج إليهم الربيع بهذه الرسالة فقال له ابن عيّاش : يا شبه عيسى بن مريم ، أبلغ أمير المؤمنين عنا كما أبلغتنا^(١) عنه ، فقل له : والله يا أمير المؤمنين ما لنا بالضرب طاقة ، فأما خلق اللّٰهى فإذا شئت - وكان ابن عيّاش متوفاً - فأبلغه ، فضحك ، وقال : قاتله الله ما أدهاه وأخبثه !

وقال موسى بن صالح : حدثني محمد بن عقبة الصيداوى عن نصر بن حرب - وكان في حرس أبي جعفر - قال : رُفِع إلى رجل قد جرى به من بعض الآفاق ، قد سعى في فساد الدولة ، فأدخلته على أبي جعفر ، فلما رآه قال : أصبغ ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : ويلك ! أما اعتقتك وأحسنْتُ إليك ! قال : بلى ، قال : فسعيت في نقض دولتى وإفساد ملكى ! قال : أعطأت أمير المؤمنين أولى بالعفو . قال : فدعا أبو جعفر عمارة - وكان حاضراً - فقال : يا عمارة ؛ هذا أصبغ ، فجعل يشبّت في وجهى ، وكان في عينيه سوءاً ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : على بكيس عطائى ، فأتى بكيس فيه خمسمائة درهم ، فقال : خذها فإنها وضح ، ويلك ، وعليك

بعملك - وأشار بيده يجرّكها - قال عمارة : فقلت لأصبع : ما كان عَسَنِي أمير المؤمنين ؟ قال : كنتُ وأنا غلام أعمل الحبال ، فكان يأكل من كسبي . قال نصر : ثم أتيت به ثانية ، فأدخلته كما أدخلته قبلُ ، فلما وقف بين يديه أحدُ النظر إليه ، ثم قال : أصبع ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فقَصَّ عليه ما فعل به ، وذكره إياه ، فأقرّ به ، وقال : الحق يا أمير المؤمنين ، فقدمه ففُضِرَ عنقه .

وذكر عليّ بن محمد بن سليمان التوفليّ ، قال : حدثني أبي ، قال : كان خِضاب المنصور زعفرانيّاً ، وذلك أن شعره كان لينّاً لا يقبل الخضاب ، وكانت لحيته رقيقة ، فكنت أراه على المنبر يخطُب ويبكى فيسرّع اللمع على لحيته حتى تكفّ لقلة الشعر وليّنه .

وذكر إبراهيم بن عبد السلام ، ابن أخي السندیّ بن شاهك السندیّ ، قال : ظفر المنصور برجل من كبراء بني أمية ، فقال : إني أسألك عن أشياء فاصدُفني ولك الأمان ، قال : نعم ، فقال له المنصور : من أين أتيت بني أمية حتى انتشر أمرهم ؟ قال : من تضييع الأخبار ، قال : فأني الأموال وجدوها أنفع ؟ قال : الجواهر ، قال فعند من وجدوا الوفاء ؟ قال : عند موالئهم ، قال : فأراد المنصور أن يستعين في الأخبار بأهل بيته ، ثم قال : أضع من أقدارهم ، فاستعان بمواليه .

وذكر عليّ بن محمد الهاشميّ أن أباه محمد بن سليمان حدثه ، قال : بلغني أن المنصور أخذ الدواء في يوم شات شديد البرد ، فأتيته أسأله عن موافقة الدواء له ، فأدخلت مدخلا من القَصْر لم أدخله قطّ ، ثم صرتُ إلى حُجيرة صغيرة ، وفيها بيت واحد ورواق بين يديه في عَرْض البيت وعَرْض الصحن ، على أسطوانة ساجٍ ، وقد سدّل على وجه الرواق بوارى^(١) كما يصنع بالمساجد ، فدخلت فإذا في البيت مِسْحَاح ليس فيه شيء غيره إلا فراشه ومراقه ودثاره ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت أربأ بك عنه ، فقال : يا عمّ ، هذا

٤١٥/٣

(١) البوارى : جمع بارية ؛ وهي الحصير المنسوج .

بيت مبيتي ، قلت : ليس هنا غير هذا الذي أرى ، قال : ما هو إلا ما ترى .

قال : وسمعت يقول عمن حدثته ، عن جعفر بن محمد ، قال : قيل إن أبا جعفر يعرف بلباس جبّة هَرَوِيَّة مَرَوَعَة ، وأنه يرقع قميصه ، فقال جعفر : الحمد لله الذي لطف له حتى ابتلاه بفقر نفسه — أو قال : بالفقر في ملكه .

قال : وحدّثنى أبي ، قال : كان المنصور لا يولّي أحداً ثم يعزله إلا ألقاه في دار خالد البطين — وكان منزل خالد على شاطئ دجلة ، ملاصقاً للدار صالح المسكين — فيستخرج من المعزول مالا ، فما أخذ من شيء أمر به فعزّل ، وكُتِبَ عليه اسم من أخذ منه ، وعزل في بيت مال ، وسمّاه بيت مال المظالم ، فكثُر ما في ذلك البيت من المال والمتاع . ثم قال للمهدي : إني قد هيأت لك شيئاً تُرضى به الخلق ولا تغرم من مالك شيئاً ، فإذا أنا بمت فادع هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الأموال التي سميتها المظالم ، فاردد عليهم كل ما أخذ منهم ؛ فإنك تستحمد إليهم وإلى العامة ؛ ففعل ذلك المهدي لما ولى .

٤١٦/٣

قال عليّ بن محمد : فكان المنصور ولّى محمد بن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث البلقاء ، ثم عزله ، وأمر أن يُحمَلَ إليه مع مال وُجِدَ عنده ، فحمَلَ إليه على البريد ، وألْفِيَّ معه ألفا دينار ، فحملت مع ثقله على البريد — وكان مصلّى سوسنجرّد ومضربة ومرفقة وسادتين وطستاً وإبريقاً وأشناندانة نحاس — فوجد ذلك مجموعاً كهيشته ؛ إلا أن المتاع قد تأكّل ، فأخذ ألفي الدينار ، واستحيا أن يخرج ذلك المتاع ، وقال : لا أعرفه ، فتركه ، ثم ولّاه المهدي بعد ذلك اليمن ، وولّى الرشيد ابنه الملقب ربوا المدينة .

وذكر أحمد بن الهيثم بن جعفر بن سليمان بن عليّ ، قال : حدثني صباح ابن خاقان ، قال : كنت عند المنصور حين أتى برأس إبراهيم بن عبد الله ابن حسن ، فوضع بين يديه في ترس ، فأكبّ عليه بعض السيّافة ، فبصق في وجهه ، فنظر إليه أبو جعفر نظراً شديداً ، وقال لي : دقّ أنفه ، قال : فضربت أنفه بالعمود ضربة لو طُلب له أنف بألف دينار ما وجد ، وأخذته

٤١٧/٣

أعمدة الحرس ، فما زال يُهشم بها حتى حميد ، ثم جرّ برجله .

قال الأصمعيّ : حدثني جعفر بن سليمان ، قال : قدّم أشعب أيام أبي جعفر بغداد ، فأطاف به فتيان بني هاشم فغناهم ، فإذا ألحانه طربة وحلقه على حاله ، فقال له جعفر : لمن هذا الشعر ؟

لِمَنْ طَلَلُ بِذَاتِ الْجَيْءِ شِ أُمْسِي دَارِسًا مَخْلَقًا^(١)
عَلَوْنَ بظَاهِرِ الْبَيْدَا ءِ فَاَلْمَحْزُونُ قَدْ قَلِقَا

فقال : أخذت الغناء من معبد ؛ ولقد كنت آخذ عنه اللحن ، فإذا سئل عنه قال : عليكم بأشعب ؛ فإنه أحسن تأدية له مني .

قال الأصمعيّ : وقال جعفر بن سليمان : قال أشعب لابنه عبيدة : إني أراني سأخرجك من منزلي وأنتى منك ، قال : ولِمَ يا أبه ؟ قال : لأنّي أكسب خلق الله لرغيف ، وأنت ابني قد بلغت هذا المبلغ من السن ، وأنت في عيالي ما تكسب شيئاً ، قال : بلى والله ، إني لأكسب ؛ ولكن مثل الموزة لا تحمل حتى تموت أمها .

وذكر عليّ بن محمد بن سليمان الهاشميّ ؛ أن أباه محمداً حدثه أن الأكاسرة كان يُطَيّن لها في الصيف سقْفُ بيت في كلّ يوم ، فتكون قائلة الملك فيه ، وكان يؤتى بأطنان القصب والخلاف طُولاً غلاظاً ، فترصف حول البيت ويؤتى بقطع الثلج العظام فتجعل ما بين أضعافها ؛ وكانت بنو أمية تفعل ذلك ؛ وكان أول من اتخذ الخيش المنصور .

٤١٨/٣

وذكر بعضهم : أن المنصور كان يطَيّن له في أول خلافته بيت في الصيف يَقيّل فيه ؛ فاتخذ له أبو أيوب الخوزيّ ثياباً كثيفة تبلّ وتوضع على سبائك ، فيجد بردها ، فاستظرفها ، وقال : ما أحسبُ هذه الثياب إن اتخذت أكثف من هذه إلا حملت من الماء أكثر مما تحمل ؛ وكانت أبرد ، فاتخذ

(١) الأغاني ٤ : ٣٩ (سأى) ، ونسبها مع ثالث إلى الأحرص . وفي ياقوت ٢ : ١٩٣ ، ونسبها مع بيتين آخرين إلى جعفر بن الزبير بن العوام .

له الخيش ، فكان ينصب على قبة ، ثم اتخذ الخلفاء بعده الشرائح ، واتخذها الناس .

وقال علي بن محمد عن أبيه : إن رجلاً من الراوندية كان يقال له الأباقي ، وكان أبرصاً ، فتكلم بالغلو ، ودعا بالراوندية إليه ، فزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب ، ثم في الأئمة ، في واحد بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد ، وأنهم آلهة ، واستحلوا الحرمات ؛ فكان الرجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته ؛ فبلغ ذلك أسد بن عبد الله ، فقتلهم وصلبهم ، فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم ، فعبدوا أبا جعفر المنصور وصعدوا إلى الخضراء ، فأقبلوا أنفسهم ، كأنهم يطيطون ، وخرج جماعتهم على الناس بالسلاح ، فأقبلوا يصيحون بأبي جعفر : أنت أنت ! قال : فخرج إليهم بنفسه ، فقاتلهم فأقبلوا يقولون وهم يقاتلون : أنت أنت . قال : فحكى لنا عن بعض مشيختنا أنه نظر إلى جماعة الراوندية يرمون أنفسهم من الخضراء كأنهم يطيطون ، فلا يبلغ أحدهم الأرض إلا وقد تفتت ، وخرجت روحه .

٤١٩/٣

قال أحمد بن ثابت مولى محمد بن سليمان بن علي عن أبيه : إن عبد الله ابن علي ، لما توارى من المنصور بالبصرة عند سليمان بن علي أشرف يوماً ومعه بعض مواله ومولى لسليمان بن علي ، فنظر إلى رجل له جمال وكمال ، يمشي التَّعَاجِي ، ويجر أثوابه من الخيلاء ، فالتفت إلى مولى لسليمان بن علي ، فقال : من هذا ؟ قال له : فلان ابن فلان الأموي ، فاستشاط غضباً وصفق بيديه عجباً ، وقال : إن طريقنا لَسَبَك ^(١) بعد ، يا فلان — لمولى له — انزل فأنني برأسه ، وتمثل قول سعد بن

علام ، وفيهم نترُّك عبد شمس لها في كل راعية نغاء !
فما بالرَّمس في حران منها ولو قُتِلَتْ بأجمعها وفاء

(١) النبكة : آكة محددة الرأس ؛ وربما كانت حمراء ؛ ولا تخلو من الحجارة .

وذكر على بن محمد المدائني أنه قدم على أبي جعفر المنصور - بعد انهزام عبد الله بن علي وظفر المنصور به ، وحبسه لإياه ببغداد - وقد من أهل الشام فيهم الحارث بن عبد الرحمن ، فقام عدة منهم فتكلموا ، ثم قام الحارث ابن عبد الرحمن ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! إنا لسنا وفد مباهاة ، ولكننا وفد توبة ، وإنا ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا ، واستخففت حليمنا ، فنحن بما قد منا معترفون ، وبما سلف منا معتذرون ، فإن تعاقبنا فيما أجرمنا ، وإن تعف عنا فبفضلك علينا ، فاصفح عنا إذ ملكت ، وأمنن إذ قدرت ، وأحسن إذ ظفرت ، فطالما أحسنت ! قال أبو جعفر : قد فعلت .

٢٠/٣

وذكر عن الهيثم بن عدى عن زيد مولى عيسى بن نهيك ، قال : دعاني المنصور بعد موت مولاى ، فقال : يا زيد ، قلت : لتبنيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : كم خلف أبو زيد من المال ؟ قلت : ألف دينار أو نحوها ، قال : فأين هي ؟ قلت : أنفقتها الحرّة في مآتمه . قال : فاستعظم ذلك ، وقال : أنفقت الحرّة في مآتمه ألف دينار ! ما أعجب هذا ! ثم قال : كم خلف من البنات ؟ قلت : ستاً ، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه ، وقال : اغد إلى باب المهدي ، فغدوت فقيل لي : أمعك بغال ؟ فقلت : لم أومر بذلك ولا بغيره ؛ ولا أدرى لم دعيت ! قال : فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار ، وأمريت أن أدفع إلى كل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار . ثم دعاني المنصور ، فقال : أقبضت ما أمرنا به لبنات أبي زيد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : اغد على بأكفائهن حتى أزواجهن منهم ؛ قال : فغدوت عليه بثلاثة من ولد العكي وثلاثة من آل نهيك من بنى عمهن ، فزوج كل واحدة منهن على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن تحمّل إليهن صدقاتهن من ماله ، وأمرني أن أشتري بما أمر به لمن ضياعاً ، يكون معاشهن منها ، ففعلت ذلك .

وقال الهيثم : فرق أبو جعفر على جماعة من أهل بيته في يوم واحد عشرة آلاف درهم ، وأمر للرجل من أعمامه بألف ألف ، ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها أحداً من الناس .

٢١/٣

وقال العباس بن الفضل : أمر المنصور لعمومته : سليمان ، وعيسى ،

وصالح ، وإسماعيل ؛ بنى عليّ بن عبد الله بن عباس ، لكلّ رجل منهم بألف ألف معونة له من بيت المال . وكان أول خليفة أعطى ألف ألف من بيت المال ؛ فكانت تجرى في الدواوين .

وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، قال : حدثني الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، قال : جلس أبو جعفر المنصور للمدنيّين مجلساً عاماً ببغداد - وكان وفد إليه منهم جماعة - فقال : ليتسب كلّ من دخل عليّ منكم ، فدخل عليه فيمن دخل شابّة من ولد عمرو بن حزم ، فانتسب ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قال الأحوص فينا شعراً ، منعنا^(١) أموالنا من أجله منذ ستين سنة ، فقال أبو جعفر : فأنشدني ، فأنشده :

لَا تَأْوِينِ لِحَزْمِي رَأَيْتَ بِهِ فَقَرَأُوا لِقَالِي الْحَزْمِي فِي النَّارِ^(٢)
النَّاسِ بِيَمْرَوَانٍ بِذِي خُشْبٍ وَالِدَاخِلِينَ عَلَى عُمَانَ فِي الدَّارِ

قال : والشعر في الملاح للوليد بن عبد الملك ؛ فأنشده القصيدة ، فلما بلغ هذا الموضع قال الوليد : أذكرتني ذنب آل حَزْم ، فأمر باستصفاء أموالهم . فقال أبو جعفر : أعيد عليّ الشعر ، فأعاده ثلاثاً ، فقال له أبو جعفر : لا جرم ، إنك تحتطي بهذا الشعر كما حرمت به ، ثم قال لأبي أيّوب : هات عشرة آلاف درهم فادفعها إليه لغنائته إلينا ، ثم أمر أن يكتب إلى عماله أن تردّ ضياع آل حزم عليهم ، ويُعْطَوْا غلاتها في كل سنة من ضياع بني أمية ، وتقسّم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ ، ومن مات منهم وقّر على ورثته . قال : فانصرف الفتى بما لم ينصرف به أحد من الناس .

٤٢٢/٣

وحدثني جعفر بن أحمد بن يحيى ، قال : حدثني أحمد بن أسد ، قال : أبطأ المنصور عن الخروج إلى الناس والركوب ، فقال الناس : هو عليل ، وكثروا ، فدخل عليه الربيع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لأمر المؤمنين طول البقاء ، والناس يقولون ، قال : ما يقولون ؟ قال : يقولون : عليل ؛ فأطرق قليلاً ثم قال : يا ربيع ، ما لنا وللأمة ! إنما تحتاج العامة إلى ثلاث خلال ، فإذا

(٢) الأغاني ١ : ٢٦ .

(١) ط : « أنعنا » وهو خطأ .

فُعل ذلك بها فما حاجتهم! إذا أقيم لهم مَنْ ينظر في أحكامهم فينصف بعضهم من بعض ، ويؤمن سبلتهم حتى لا يخافوا في ليلهم ولا نهارهم ، ويسدّ ثغورهم وأطرافهم حتى لا يجيئهم عدوهم ؛ وقد فعلنا ذلك بهم . ثم مكث أياماً ، وقال : يا ربيع ، اضرب الطبل ؛ فركب حتى رآه العامة .

وذكر عليّ بن محمد ، قال : حدثني أبي ، قال : وجّه أبو جعفر مع محمد بن أبي العباس بالزنادقة والمُجّان ، فكان فيهم حماد عَجْرَد ، فأقاموا معه بالبصرة يظهر منهم المَجُون ؛ وإنما أراد بذلك أن يبتغضه إلى الناس ، فأظهر محمد أنه يعشق زينب بنت سليمان بن عليّ ، فكان يركب إلى المِرْبَد ، فيتصدّى لها ؛ يطمع أن تكون في بعض المناظر تنظر إليه ؛ فقال محمد لحمّاد : قل لي فيها شعراً ، فقال فيها أبياتاً ، يقول فيها :

يا ساكنَ المِرْبَدِ قد هِجَّتْ لي شَوْفاً فما أنفكُ بالمِرْبَدِ^(١)

قال : فحدثني أبي قال : كان المنصور نازلاً على أبي سنتين ، فعرفت الخصيب المتطبّب لكثرة إتيانه إياه ؛ وكان الخصيب يُظهر النصرانية وهو زنديق معطل لا يبالي مَنْ قتل ، فأرسل إليه المنصور رسولاً يأمره أن يتوخّى قتل محمد بن أبي العباس ، فاتخذ سماً قاتلاً ، ثم انتظر علةً تحدث بمحمد ، فوجد حرارة ، فقال له الخصيب : خذ شربة دواء ، فقال : هيئها لي ، فهيأها ، وجعل فيها ذلك السمّ ثم سقاه إياها ، فمات منها . فكتبت بذلك أمّ محمد بن أبي العباس إلى المنصور تعلمه أن الخصيب قتل ابنها . فكتب المنصور يأمر بحمله إليه ؛ فلما صار إليه ضربه ثلاثين سوطاً ضرباً خفيفاً ، وحبسه أياماً ، ثم وهب له ثلثمائة درهم ، وخلّاه .

٤٢٣/٣

قال : وسمعتُ أبي يقول : كان المنصور شرّط لأمّ موسى الحميرية ألاّ يتزوَّج عليها ولا يتسرّى ، وكتبت عليه بذلك كتاباً أكّدته وأشهدت عليه شهوداً ، فعزب بها عشرين في سلطانه ؛ فكان يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز يستفتيه ، ويحمل إليه الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق

(١) الأغاني ١٤ : ٣٧٤ ، من أبيات ، وروايته : « يا قمر المربد » .

فيعرض عليه الكتاب ليفتيه فيه برخصة ؛ فكانت أم موسى إذا علمت مكانه بادرت به ، فأرسلت إليه بجال جزيل ، فإذا عرض عليه أبو جعفر الكتاب لم يفته فيه برخصة ، حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد ؛ فأتته وفاتها بخلوان ، فأهديت له في تلك الليلة مائة بكّر ؛ وكانت أم موسى ولدت له جعفرًا والمهدي .

وذكر عن علي بن الحنّـد أنه قال : لما قدم بختيشوع الأكبر على المنصور من السوس ، ودخل عليه في قصره بباب الذهب ببغداد ، أمر له بطعام بتغدّى به ، فلما وضعت المائدة بين يديه ، قال : شراب ، فقيل له : إن الشراب لا يُشرب على مائدة أمير المؤمنين ، فقال : لا آكل طعاماً ليس معه شراب . فأخبر المنصور بذلك ، فقال : دعوه ، فلما حضر العشاء فعل به مثل ذلك ، فطلب الشراب ، فقيل له : لا يُشرب على مائدة أمير المؤمنين الشراب ، فتعشّى وشرب ماء دجلة ، فلما كان من الغد نظر إلى مائه ، فقال : ما كنت أحسب شيئاً يجزى من الشراب ، فهذا ماء دجلة يجزى من الشراب .

وذكر عن يحيى بن الحسن أن أباه حدثه ، قال : كتب المنصور إلى عامله بالمدينة أن يبع ثمار الضياع ولا تبعها إلا ممّن نغلبه ولا يغلبنا ؛ وإنما يغلبنا المفلس الذي لا مال له ، ولا رأى لنا في عذابه ، فيذهب بما لنا قبّله ولو أعطاك جزيلًا ، وبعثها من الممكن بدون ذلك ممّن ينصفك ويوفيك .

وذكر أبو بكر الهنـدلي أن أبا جعفر كان يقول : ليس بإنسان من أسدى إليه معروف فنسيه دون الموت .

وقال الفضل بن الربيع : سمعت المنصور يقول : كانت العرب تقول : الغوى القادح خير من الرى الفاضح .

وذكر عن أبان بن يزيد العنبري أن الهيثم القاري البصري قرأ عند المنصور ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾...^(١) ، إلى آخر الآية ، فقال له المنصور ، وجعل يدعو : اللهم جنبني وبني التبذير فيما أنعمت به علينا من عطيتك .

قال : وقرأ الميثم عنده : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ فقال للناس : لولا أن الأموال حصن السلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما وزيتهما ما بت ليلة وأنا أحرز منه ديناراً ولا درهماً ، لما أجد لبذل المال من اللذاذة ؛ ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة .

٤٢٥/٣

ودخل على المنصور رجل من أهل العلم ، فازدراه واقتحمته عينه ، فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده ، فقال له : أننى لك هذا العلم ! قال : لم أبخل بعلمي علمته ، ولم أستح من علم أتعلّمه . قال : فن هناك !

قال : وكان المنصور كثيراً ما يقول : من فعل بغير تدبير ، وقال عن غير تدبير ، لم يعلم من الناس هازئاً أو لاحقاً .

وذكر عن قحطبة ، قال : سمعت المنصور يقول : الملوك تحتل كل شيء من أصحابها إلا ثلاثاً : إفشاء السر ، والتعرض للحُرمة ، والقُدح في الملك .

وذكر علي بن محمد أن المنصور كان يقول : سرّك من دمك ، فانظر من تمسّكه .

وذكر الزبير بن بكار ، عن عمر ، قال : لما حمّل عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي إلى المنصور بعد خروجه عليه ، قال له : يا أمير المؤمنين ، قِتلة كريمة ! قال : تركتها وراءك يابن اللّخناء !

وذكر عن عمر بن شبّة ، أن قحطبة بن غُدانة الجشمي — وكان من الصحابة — قال : سمعت أبا جعفر المنصور يخطب بمدينة السلام سنة اثنتين وخمسين ومائة ، فقال : يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظلمة يوم القيامة ، والله لولا يد خاطئة ، وظلم ظالم ، لمشيت بين أظهركم في أسواقكم ؛ ولو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر مني لأتيته حتى أدفعه إليه .

وذكر إسحاق الموصلي ، عن النضر بن حديد ، قال : حدثني بعض

الصحابه أن المنصور كان يقول : عقوبة الحليم التعريض ، وعقوبة السفيه التصريح .

وذكر أحمد بن خالد ، قال : حدثني يحيى بن أبي نصر القرشي ، أن أبانا القارئ قرأ عند المنصور : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ... ﴾ ^(١) ، الآية فقال المنصور : ما أحسن ما أدبنا ربنا !

قال : وقال المنصور : مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صُنِعَ إِلَيْهِ فَقَدْ كَافَأَ ، وَمَنْ أَضْعَفَ فَقَدْ شَكَرَ ، وَمَنْ شَكَرَ كَانَ كَرِيمًا ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا صَنَعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ لَمْ يَسْتَبْطِ النَّاسَ فِي شُكْرِهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَزِدَّهُمْ مِنْ مَوَدَّتِهِمْ ، فَلَا تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ مَا آتَيْتَهُ إِلَىٰ نَفْسِكَ ، وَوَقَّيْتُ بِهِ عَرْضَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ طَالِبَ الْحَاجَةِ إِلَيْكَ لَمْ يَكْرَمْ وَجْهَهُ عَنْ وَجْهِكَ ، فَأَكْرَمْ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ .

وذكر عمر بن شبّة أن محمد بن عبد الوهاب المهلبی ، حدثه ، قال : سمعت إسحاق بن عيسى يقول : لم يكن أحدٌ من بني العباس يتكلم فيبلغ حاجته على البديهة غير أبي جعفر وداود بن علي والعباس بن محمد .

وذكر عن أحمد بن خالد ، قال : حدثني إسماعيل بن إبراهيم الفهری ، قال : خطب المنصور ببغداد في يوم عرفة - وقال قوم : بل خطب في أيام منى - فقال في خطبته : أيها الناس ؛ إنما أنا سلطان الله في أرضه ؛ أسوسكم بتوقيفه وتسديده ، وأنا خازنه على فيثه ؛ أعمل بمشيئته ، وأقسمه بإرادته ، وأعطيه بإذنه ؛ قد جعلني الله عليه قفلاً ، إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم وقسم فينكم وأرزاقكم فتحنى ، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني ؛ فارغبوا إلى الله أيها الناس ، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه ؛ إذ يقول تبارك وتعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(٢) أن يوقني للصواب ويسدّني للرشاد ، ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، ويفتحني لأعطياتكم

وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم ، إنه سميع قريب .

وذكر عن داود بن رشيد عن أبيه ، أن المنصور خطب فقال : الحمد لله ، أحمدوه وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . فاعترضه معترض عن يمينه ، فقال : أيها الإنسان ، أذكرك من ذكرت به . . . فقطع الخطبة ثم قال : سمعاً سمعاً ؛ لمن حفظ عن الله وذكر به ، وأعوذ بالله أن أكون جباراً عنيداً ، وأن تأخذني العزة بالإثم ، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين . وأنت أيها القائل ؛ فوالله ما أردت بها وجه الله^(١) ؛ ولكنك حاولت أن يقال : قام فقال فعوقب فصبر ، وأهون بها ! ويلك لو هممت ! فاهتبلها إذ غفرت . وإياك وإياكم معشر الناس أختها ؛ فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصلت ؛ فردوا الأمر إلى أهلهم ، توردهم موارد ، وتصدروهم مصادره . . . ثم عاد في خطبته ، فكأنه يقرؤها من كفه ، فقال : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وذكر عن أبي توبة الربيع بن نافع ، عن ابن أبي الجوزاء ، أنه قال : قمت إلى أبي جعفر وهو يخطب ببغداد في مسجد المدينة على المنبر فقرأت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٢) ، فأخذت فأدخلت عليه ، فقال : من أنت ويلك ! إنما أردت أن أفتاك ، فاخرج عني فلا أراك . قال : فخرجت من عنده سليماً . ٤٢٨/٢

وقال عيسى بن عبد الله بن حميد : حدثني إبراهيم بن عيسى ، قال : خطب أبو جعفر المنصور في هذا المسجد — يعني به مسجد المدينة ببغداد — فلما بلغ : اتقوا الله حق تقاته ، قام إليه رجل ، فقال : وأنت يا عبد الله ، شئت أن تقطع أبو جعفر الخطبة ، وقال : سمعاً سمعاً ، لمن ذكر بالله ؛ هات يا عبد الله ، فما تقي الله ؟ فانقطع الرجل فلم يقل شيئاً ، فقال أبو جعفر : الله الله أيها الناس في أنفسكم ، لا تحملونا من أموركم^(٣) ، ما لا طاقة لكم به ،

(١) ابن الأثير : « ما أردت بهذا القول وجه الله » (٢) سورة الصف ٢ .

(٣) ب : « أنفسكم » .

لا يقوم رجل هذا المقام إلا أوجعت ظهره ، وأطابت حبسه . ثم قال : خذه إليك يا ربيع ، قال : فوثقنا له بالنجاة- وكانت العلامة فيه إذا أراد بالرجل مكروهاً قال : خذه إليك يا مسيب- قال : ثم رجع في خطبته من الموضع الذي كان قطعه ، فاستحسن الناس ذلك منه ، فلما فرغ من الصلاة دخل القصر ؛ وجعل عيسى بن موسى يمشي على هيئته^(١) خلفه ، فأحس به أبو جعفر ، فقال : أبو موسى ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : كأنك خفتني على هذا الرجل ! قال : والله لقد سبق إلى قلبي بعض ذلك ؛ إلا أن أمير المؤمنين أكثر علماً ، وأعلى نظراً من أن يأتي في أمره إلا الحق ، فقال : لا تخفني عليه . فلما جلس قال : على بالرجل ، فأتي به ؛ فقال : يا هذا ؛ إنك لما رأيتني على المنبر ؛ قلت ؛ هذا الطاغية لا يسعني إلا أن أكلّمه ، ولو شغلت نفسك بغير هذا لكان أمثل لك ؛ فاشغلها بطماء المهاجر ، وقيام الليل ، وتغيير قدميك في سبيل الله ؛ أنطه^(٢) يا ربيع أربعمائة درهم . واذهب فلا تعد .

وذكر عن عبد الله بن صاعد ، مولى أمير المؤمنين أنه قال : حجّ المنصور بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾^(٣) ، أمرٌ مبهرم ، وقول عدل ، وقضاء فصل ؛ والحمد لله الذي أفلج حجته . وبعداً للقوم الظالمين ؛ الذين اتخذوا الكعبة عَرَضاً^(٤) ، والى إرثا ، وجعلوا القرآن عَضِينَ^(٥) ؛ لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكم ترى من برمعطة وقصير مشيد ؛ أهملهم^(٦) الله حتى بدّلوا السنة ، واضطهدوا العيرة^(٧) ، وعندوا واعتدوا ، واستكبروا وخاب كلُّ جبار عنيد ؛ ثم أخذهم ؛ فهل تحسن منهم من أحديهم أو تسمع لهم ركزاً !

وذكر الهيثم بن عدي ، عن ابن عياش ، قال : إن الأحداث لما تابعت

(١) ط : « هيته » وما أثبتته من ب . (٢) س : « أعطه » ، وهما بمعنى .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٥ .

(٤) ابن الأثير : « عرضاً » .

(٥) عَضِينَ ؛ أى فرقاً .

(٦) س : « أهملهم » .

(٧) ابن الأثير : « وأهملوا العبرة » .

على أبي جعفر ، تمثل :

تفرقت الأطباء على خدائش فما يدري خدائش ما يصيد^(١)

قال : ثم أمر بإحضار القواد والموالي والصحابه وأهل بيته ، وأمر حمادا التركي بإسراج الخليل سليمان بن مجالد بالتقدم والمسيب بن زهير بأخذ الأبواب ، ثم خرج في يوم من أيامه حتى علا المنبر . قال : فأزيم عليه طويلا لا ينطق . قال رجل لشبيب بن شيبة : ما لأمر المؤمنين لا يتكلم ! فإنه والله ممن يهون عليه صعب القول ، فما باله ! قال : فافترع الخطبة ، ثم قال :

٤٢٠/٣

مالى أكفكف عن سعد ويشتمنى ولو شتمت بنى سعد لقد سكنوا^(٢)
جهلا على وجبنا عن عدوهم لبئست الخلطان الجهل والجبن
ثم جلس وقال :

فألقيت عن رأسي القناع ولم أكن لأكشفه إلا لأخذى العظام
والله لقد عجزوا عن أمر قمنا به ، فما شكروا الكافي ؛ ولقد مهتدوا فاستوعروا
وغمطوا الحق وغمصوا ، فإذا حاولوا ! أشرب رنقا على غصص ، أم أقيم
على ضيم ومضض ! والله لا أكرم أحدا بإهانة نفسي ؛ والله لئن لم يقبلوا الحق
ليطلبننه ثم لا يجدونه عندي ؛ والسعيد من وعظ بغيره . قدّم يا غلام ، ثم
ركب

وذكر الفقيمي أن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن مولى محمد بن علي
حدثه ، أن المنصور لما أخذ عبد الله بن حسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه
من أهل بيته ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى
الله عليه وسلم ، ثم قال :

يا أهل خراسان ، أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا
لم تبايعوا من هو خير منا ، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب

(١) الأغاني ١٢ : ٢٢٩ . (٢) من قصيدة لقنب بن أم صاحب في مختارات
ابن الشجري ٦ - ٨ . وفيها : « مال أكفكف عن وهب » .

تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة ، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير ؛
 ٤٣١/٣ فقام فيها عليّ بن أبي طالب فتلطّخ وحكّم عليه الحكمين ؛ فافترقت عنه
 الأمة ، واختلفت عليه الكلمة ، ثمّ وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته
 وثقاته فقتلوه ، ثمّ قام من بعده الحسن بن عليّ ؛ فوالله ما كان فيها برجُل ؛
 قد عرضت عليه الأموال ، فقبلها ، فدرسّ إليه معاوية ؛ إني أجعلك وليّ عهدي
 من بعدى ، فخدعه فانسَلخ له ممّا^(١) كان فيه ، وسلّمه إليه ، فأقبل على النساء
 يتروّج في كلّ يوم واحدة فيطلّقها غدّاً ؛ فلم يزل على ذلك حتى مات علي
 فبراشه ، ثمّ قام من بعده الحسين بن عليّ ، فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة ؛
 أهل الشقاق والنفاق والإغراق^(٢) في الفتن ، أهل هذه المدّرة السوداء — وأشار
 إلى الكوفة — فوالله ما همي بحرب فأحاربها ، ولا سلم فأسلمها ، فرّق الله بيني وبينها ،
 فخذلوه وأسلموه حتى قتل ، ثمّ قام من بعده زيد بن عليّ ، فخدعه أهل الكوفة
 وغرّوه ؛ فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه ؛ وقد كان أتى محمد بن عليّ ، فنأشده
 في الخروج وسأله ألاّ يقبل أقاويل أهل الكوفة ، وقال له : إنا نجد في بعض
 علمنا ، أن بعض أهل بيتنا^(٣) يُصلّب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك
 المصلوب ؛ ونأشده عمي داود بن عليّ وحذرّه غدر أهل الكوفة فلم يقبل ؛
 وأتمّ على خروجه ، فقتل وصُلّب بالكُتّاسة ، ثمّ وثب علينا بنو أميّة ، فأما تروا
 شرفنا ، وأذهبوا عزّنا ؛ والله ما كانت لهم عندنا تيرة يطلبونها ؛ وما كان لهم
 ذلك كله إلاّ فيهم وبسبب خروجهم عليهم ؛ فنفتونا من البلاد ، فصرّنا مرة
 بالطائف ، ومرة بالشام ، ومرة بالشرّاء ؛ حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصاراً ،
 ٤٣٢/٣ فأحيا شرفنا ، وعزّنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بحقّكم أهل الباطل ، وأظهر
 حقنا ، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقرّ الحقّ مقرّة ،
 وأظهر مناره ، وأعزّ أنصاره ، وقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
 العالمين . فلما استقرّت الأمور فينا على قرارها ؛ من فضل الله فيها وحكمه
 العادل لنا ، وثبوا علينا ، ظلماً وحسداً منهم لنا ، وبغيّاً لما فضّلنا الله به عليهم ،
 وأكرمنا به من خلافته وميراث نبيه صلى الله عليه وسلم .

(٢) ب : « والإعراق » .

(١) س : « منها وما » .

(٣) س : « بيت نبينا » .

جَهْلًا عَلَى وَجْهِنا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلْتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة ، بلغني عنهم بعض السقم والتعزيم ، وقد دسست لهم رجالا فقات : قم يا فلان قم يا فلان ، فخذ معك من المال كذا ، وحذوت لهم مثالا يعملون عليه ؛ فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة ، فلدسوا إليهم تلك الأموال ؛ فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ، ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم بيعة ، استحلالت بها دماءهم وأموالهم وحللت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي ، وطلبهم الفتنة ، والتاسهم الخروج على ؛ فلا يرون أني أتيت ذلك على غير يقين . ثم نزل وهو يتلو على درج المنبر هذه الآية : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾ (١) .

٤٢٢/٣

قال : وخطب المنصور بالمدائن عند قتل أبي مسلم ، فقال : أيها الناس ؛ لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تسروا غش الأئمة ، فإنه لم يسر أحد قط منكرا إلا ظهرت في آثاره ، أو فلتات لسانه ، وأبداها الله لإمامه ؛ بإعزاز دينه ، وإعلاء حقه . إنا لن نبخسكم حقوقكم ، ولن نبخس الدين حقه عليكم . إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبيث هذا الغمد . وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا ، على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه ، ثم نكث بنا ، فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا ؛ ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه .

وذكر إسحق بن إبراهيم الموصلي أن الفضل بن الربيع أخبره عن أبيه ، قال : قال المنصور : قال أبي : سمعت أبي ؛ علي بن عبد الله يقول : سادة الدنيا الأسخياء ، وسادة الآخرة الأنبياء .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى ، أن المنصور غضب على محمد بن جُمَيْل الكاتب -- وأصله من الرُبْدَة -- فأمر ببطحه (٢) ، فقام بحجته ، فأمر بإقامته ،

(١) سورة سبا ٥٤ . (٢) بطحه : ألقاه على وجهه .

ونظر إلى سراويله ، فإذا هو كَتَّان ، فأمر ببطحه وضربه خمس عشرة درة ، وقال : لا تلبس سراويل كَتَّان فإنه من السرف .

وذكر محمد بن إسماعيل الهاشمي ، أن الحسن بن إبراهيم حدثه ، عن أشياخه ، أن أبا جعفر لما قتل محمد بن عبد الله بالمدينة وأخاه إبراهيم بيمَاخَمَرِي وخرج إبراهيم بن حسن بن حسن بمصر فحميل إليه ، كتب إلى بني علي بن أبي طالب بالمدينة كتاباً يذكر لهم فيه ^(١) إبراهيم بن الحسن بن الحسن وخروجه بمصر ، وأنه لم يفعل ذلك إلا عن رأيهم ، وأنهم يدأبون في طلب السلطان ، ويلتمسون بذلك القطيعة والعُفُوق ، وقد عجزوا عن عِدَاوَةِ بني أمية لما نازعوا السلطان ، وضعفوا عن طلب ثأرهم ؛ حتى وثب بنو أبيه غضباً لهم على بني أمية ، فطلبوا بثأرهم ، فأدركوا بدمائهم ، وانتزعوا السلطان عن أيديهم ، وتمثل في الكتاب بشعر سُبُيع بن ربيعة بن معاوية اليربوعي :

فَلَوْلَا دِفَاعِي عَنْكُمْ إِذْ عَجَزْتُمْ	وبالله أحمي عنكم وأدافع
لَضَاعَتْ أُمُورُكُمْ لَا أَرَى لَهَا	كفأة وما لا يحفظ الله ضائع
فَسَمُوا النَّاسَ طَحْطَحَ النَّاسِ عَنْكُمْ	ومن ذا الذي تُخَنِّي عليه الأصابع!
وما زال منا قد علمتم عليكم	على الدهر إفضال يرى ومنافع
وما زال منكم أهل غدير وجفوة	وبالله مغتر وللرحم قاطع
وإن نحن غبنا عنكم وشهدتكم	وقائع منكم ثم فيها مقانيع
وإننا لنرعاكم وترعون شأنكم	كذاك الأمور ؛ خافضات روافع
وهل تغلون أقدام قوم صدورهم	وهل تغلون فوق السنام الأكارع!
ودب رجال للرياسة منكم	كما درجت تحت الغدير الضفادع؟

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : كان أوراق الكتاب والعمال أيام أبي جعفر ثلثمائة درهم ؛ فلما كانت كذلك لم تزل ^(٢) على حالها إلى أيام المأمون ، فكان أول من من زيادة الأرزاق الفضل بن سهل . فأما

(٢) من : « ولم يزل كذلك » .

(١) من : « فعل » .

في أيام بني أمية وبني العباس فلم تزل الأرزاق من الظلمات إلى ما دونها ، كان الحجاج يُجبري على يزيد بن أبي مسلم ثلثمائة درهم في الشهر .

وذكر إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى ، أن ولاية البريد في الآفاق كلها كانوا يكتبون إلى المنصور أيام خلافته في كل يوم بسعر القمح والحبوب والأُدْم ، وبسعر كل مأْكول ، وبكل ما يقضى به القاضي في نواحيهم ، وبما يعمل به الوالي وبما يرد بيت المال من المال ، وكل حدث ، وكانوا إذا صلّوا المغرب يكتبون إليه بما كان في كل ليلة إذا صلّوا الغداة ؛ فإذا وردت كتبهم نظر فيها ، فإذا رأى الأسعار على حالها أمسك ، وإن تغير شيء منها عن حاله كتب إلى الوالي والعامل هناك ، وسأل عن العلة التي نقلت ذاك عن سعره ؛ فإذا ورد الجواب بالعلة تلتف لذلك برفقه حتى يعود سعره ذلك إلى حاله ؛ وإن شك في شيء مما قضى به القاضي كتب إليه بذلك ؛ وسأل من بحضرته عن عمله ؛ فإن أنكر شيئا عمل به كتب إليه يوبّخه ويلومه .

وذكر إسحاق الموصلي أن الصباح بن خاقان التميمي ، قال : حدثني رجل من أهلي ، عن أبيه ، قال : ذكر الوليد عند المنصور أيام نزوله بغداد وفروغه من المدينة ، وفراغه من محمد وإبراهيم ابني عبد الله ، فقالوا : لعن الله الملحد الكافر — قال : وفي المجلس أبو بكر الهذلي وابن عياش المتوفى والشرقي ابن القطامي ، وكل هؤلاء من الصحابة — فقال أبو بكر الهذلي : حدثني ابن عم^١ للفرزدق ، عن الفرزدق ، قال : حضرت الوليد بن يزيد وعنده ندماءؤه وقد اصطبج ، فقال لابن عائشة : تغنّ بشعر ابن الزبعرى :

٤٣٦/٣

لَيْتَ أَشْيَاخِي بَبْدَرٍ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ^(١)
وَقَتَلْنَا الضُّعْفَ مِنْ سَادَاتِهِمْ^(٢) وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

فقال ابن عائشة : لا أغنّي هذا يا أمير المؤمنين ؛ فقال : غنّه وإلا جدعت لهواتيك ، قال : فغنّاه ، فقال : أحسنت والله ! إنه لعلي دين ابن الزبعرى يوم قال هذا الشعر . قال : فلعنه المنصور ولعنه جلساؤه ؛ وقال :

(٢) س : « وقتلنا الصيد » .

(١) من أبيات له في ابن هشام ٣ : ٩٧ .

الحمد لله على نعمته وتوحيده .

وذكر عن أبي بكر الهذلي ، قال : كتب صاحب إرمينية إلى المنصور :
إن الجند قد شغبوا عليه ، وكسروا أقفال بيت المال ، وأخذوا ما فيه ، فوقع
في كتابه : اعتزل عملنا مذموماً ، فلو عقلت لم يشغبوا ، ولو قويت لم ينتهبوا .

وقال إسحاق الموصلي ، عن أبيه : خرج بعض أهل العيث على أبي جعفر
بفلسطين ، فكتب إلى العامل هناك : دمه في دمك إلا توجهه إلى ؛ فجده
في طلبه ، فظفر به فأشخص ، فأمر بإدخاله عليه ، فلما مثل بين يديه ،
قال له أبو جعفر : أنت المتوثب على عمالي ! لأنن من لحمك أكثر مما يبقى
منه على عظمك ، فقال له - وقد كان شيخاً كبير السن - بصوت ضعيف
ضئيل غير مستعلٍ :

أَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتُ وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ .

قال : فلم تبين للمنصور مقالته ، فقال : يا ربيع ، ما يقول ؟ فقال :
يقول :

الْعَبْدُ عَبْدُكُمْ وَالْمَالُ مَالُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مُنْصَرِفٌ !

قال : يا ربيع ، قد عفوت عنه ؛ فخلّ سبيله ، واحتفظ به ، وأحسن ولايته .

قال : ورفع رجل إلى المنصور يشكو عامله أنه أخذ حداً من ضيعته .
فأضافه إلى ماله ، فوقع إلى عامله في رقعة المتظلم : إن آثرت العدل صحبتك
السلامة ، فأ نصف هذا المتظلم من هذه الظلّامة .

قال : ورفع رجل من العامة إليه رقعة في بناء مسجد في محله ، فوقع في
رقعته : من أشرط الساعة كثرة المساجد ، فزد في خطاك تردد من الثواب .

قال : وتظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال ، في رقعة رفعها إلى
المنصور ، فوقع فيها : إن كنت صادقاً فجيء به ملبياً فقد أذنّا لك في ذلك .

وذكر عمر بن شبة أن أبا المذيل العلاف حدثه ، أن أبا جعفر قال :
بلغني أن السيد بن محمد مات بالكربلاء - أو قال : بواسط - ولم يدفنه ،
ولئن حق ذلك عندى لأحرقنها . وقيل : إن الصحيح أنه مات في زمان المهدي
بكربلاء ببغداد ، وأنهم تحاموا أن يدفنه ، وأنه بعث بالربيع حتى ولي أمره ،
وأمره إن كانوا امتنعوا أن يحرق عليهم منازلهم ، فدفع ربيع عنهم .

وقال المدائني : لما فرغ المنصور من محمد وإبراهيم وعبد الله بن علي
وعبد الجبار بن عبد الرحمن ، وصار ببغداد ، واستقامت له الأمور ، كان يتمثل
هذا البيت :

تببت من البلوى على حدٍ مُهِفٍ مراراً ويكفي الله ما أنت خائفٌ ٣٨/٣
قال : وأنشدني عبد الله بن الربيع ، قال : أنشدني المنصور بعد قتل
هؤلاء :

وربَّ أمورٍ لا تُضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وللقلب من مخشائهنَّ وجيبٌ^(١)

وقال الهيثم بن عدي : لما بلغ المنصور تفرق ولد عبد الله بن حسن في
البلاد هرباً من عقابه ، تمثّل :

إنَّ قناتِي لَنَبْعُ لا يُؤَيِّسُهَا غَمَزُ الثَّقَافِ ولا دُهنٌ ولا نارُ
مَنى أَجْرَ خائفٍ تَأْمَنُ مَسارِحُهُ وإنَّ أَخِفَ آمِنًا نَقَلَقَ به الدارُ
سِيرُوا إلىَّ وَغُضُّوا بَعْضُ أَغْيُنِكُمْ إلىَّ لكل امرئٍ من جاره جارُ

وذكر علي بن محمد عن واضح مولى أبي جعفر ، قال : أمرني أبو جعفر
أن أشتري له ثوبين ليتين ، فاشتريتهما له بعشرين ومائة درهم ، فأتيته بهما ،
فقال : بكم ؟ فقلت : بثمانين درهماً ، قال : صالحان ، استحيطه ، فإن المتاع
إذا أدخل علينا ثم ردّ علي صاحبه كسره ذلك . فأخذت الثوبين من صاحبهما ،
فلما كان من الغد حملتهما إليهما ، فقال : ما صنعت ؟ قلت : رددتهما

(١) س : « من وحشائهن » .

عليه فحطني عشرين درهما ، قال : أحسنت ؛ اقطع أحدهما قميصاً ، واجعل الآخر رداء لي . ففعلتُ ، فلبس القميص خمسة عشر يوماً لم يلبس غيره .

وذكر مولى لعبد الصمد بن علي ، قال : سمعتُ عبد الصمد يقول : إن المنصور كان يأمر أهل بيته بحسن الهيئة وإظهار النعمة وبلزوم الوشي والطيب ؛ فإن رأى أحداً منهم قد أدخل بذلك أو أقل منه ، قال : يا فلان ، ما أرى وبيص^(١) الغالية في لحيتك ؛ وإنى لأراها تلمع في لحية فلان ؛ فيشحذهم بذلك على الإكثار من الطيب ليتزين بهيئتهم وطيب أرواحهم عند الرعية ، ويزيّنهم بذلك عندهم ؛ وإن رأى على أحد منهم شيئاً طاهراً عضّه بلسانه .

٤٣٩/٣

وذكر عن أحمد بن خالد ، قال : كان المنصور يسأل مالك بن أدهم كثيراً عن حديث عجلان بن سهيل ، أخى حوثة بن سهيل ، قال : كنتُ جلوساً مع عجلان ، إذ مرّ بنا هشام بن عبد الملك ، فقال رجل من القوم : قد مرّ الأحول ، قال : منّ تعني ؟ قال : هشاماً ، قال : تسمي أمير المؤمنين بالنبّز^(٢) ! والله لو لارحمك لضربت عنقك ، فقال المنصور : هذا والله الذي ينفع مع مثله الحيا والمهمات .

وقال أحمد بن خالد : قال إبراهيم بن عيسى : كان للمنصور خادم أصفر إلى الأدمة^(٣) ، ماهر لا بأس به ، فقال له المنصور يوماً : ما جنسك ؟ قال : عربى يا أمير المؤمنين ، قال : ومن أى العرب أنت ؟ قال : من خولان ، سُبَيْتُ من اليمن ، فأخذنى عدو لنا ، فجبّنى فاسترققت ، فصرت إلى بعض بنى أميّة ، ثم صرت إليك . قال : أمّا إنك نعم الغلام ؛ ولكن لا يدخل قصرى عربى يخدم حرّى ؛ أخرج عافاك الله ؛ فاذهب حيث شئت !

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن معاوية بن بكر - وكان من الصحابة - أن المنصور ضمّ رجلاً من أهل الكوفة ، يقال له الفضيل بن عمران ، إلى ابنه جعفر ، وجعله كاتبه ، وولاه أمره ، فكان منه بمثلة أبى عبيد الله

(١) الوبيص : اللسان . (٢) النبز ، بالنحر يك : اللقب ، وقد يعبر به .

(٣) الأدمة : السرة .

من المهديّ ، وقد كان أبو جعفر أراد أن يبايع لجعفر بعد المهديّ ، فنصبت أم عبيد الله حاضنة جعفر للفضيل بن عمران ، فسعت به إلى المنصور ، وأومات إلى أنه يعيث بجعفر . قال : فبعث المنصور الريّان مولاه وهارون بن غَزْوَان مولى عثمان بن نهيك إلى الفضيل - وهو مع جعفر بمدينة الموصل - وقال : إذا رأيتمَا فضيلاً فاقتلاه حيث لقيتمَاه ، وكتب لهما كتاباً منشوراً ، وكتب إلى جعفر يعلمه ما أمرهما به ، وقال : لا تدفعا الكتاب إلى جعفر حتى تفرّغا من قتله . قال : فخرجا حتى قدما على جعفر ، وقعدا على بابهِ ينتظران الإذن ؛ فخرج عليهما فضيل ، فأخذه وأخرج كتاب المنصور ، فلم يعرض لهما أحداً ؛ فضربا عنقه مكانه ، ولم يعلم جعفر حتى فرغا منه - وكان الفضيل رجلاً عفيفاً ديناً - فقبل للمنصور : إن الفضيل كان أبرأ الناس مما رُميَ به ، وقد عجلت عليه . فوجّه رسولا ، وجعل له عشرة آلاف درهم إن أدركه قبل أن يقتل ، فقدم الرسول قبل أن يحفّ دسه .

فلذكر معاوية بن بكر عن سويد مولى جعفر ، أن جعفر أرسل إليه ، فقال : ويلك ! ما يقول أمير المؤمنين في قتل رجل عفيف دين مسلم بلا جرّم ولا جناية ! قال سويد : فقلت : هو أمير المؤمنين يفعل ما يشاء ؛ وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال : يا ماصّ بظُر أمّة ، أكلّمك بكلام الخاصة وتكلّمني بكلام العامة ! خذوا برجله فألقوه في دجلة . قال فأخذت ، فقلت : أكلّمك ، فقال : دعوه ، فقلت : أبوك إنما يُسأل عن فضيل ، ومتى يُسأل عنه ، وقد قتل عمّه عبد الله بن عبد الله بن عليّ ، وقد قتل عبد الله بن الحسن وغيره من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلماً ؛ وقتل أهل الدّنيا ممن لا يحصى ولا يعدّ ! هو قبل أن يُسأل عن فضيل جرّدانه تجبّ خصي فرعون^(١) قال : فضحك ، وقال : دعوه إلى لعنة الله .

وقال قنص بن محرز : أخبرنا محمد بن عائذ مولى عثمان بن عفان أن حفصاً الأمويّ الشاعر ، كان يقال له حفص بن أبي جُمعة ، مولى عبّاد بن زياد ، وكان المنصور صيّرهُ مؤدباً للمهديّ في مجالسه ، وكان مدّاحاً لبني أمية في أيام بني أمية وأيام المنصور ، فلم ينكّر عليه ذلك المنصور ، ولم يزل مع المهديّ

أيام ولايته العهد ، ومات قبل أن يلي المهدي الخلافة . قال : وكان مما مدح به بنى أمية قوله :

أَيْنَ رَوْقًا عَبْدَ شَمْسٍ أَيْنَ هُمْ أَيْنَ أَهْلُ الْبَاغِ مِنْهُمْ وَالْحَسْبُ !
لَمْ تَكُنْ أَيْدٍ لَهُمْ عِنْدَكُمْ مَا فَعَلْتُمْ آلَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ !
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهُمْ أُولُو جُثَّتْ تَلْمَعُ مِنْ فَوْقِ الْخَشْبِ
إِنْ تَجُدُّوا الْأَصْلَ مِنْهُمْ سَفْهًا يَا الْقَوْمُ لِلزَّمَانِ الْمُنْقَلِبِ !
إِنْ فَاحِلَبُوا مَا شِئْتُمْ فِي صَحْنِكُمْ فَسْتَسْقُونَ صَرَى ذَاكَ الْحَلَبِ

وقيل : إن حفصاً الأموي دخل على المنصور ، فكلّمه فاستخبره ، فقال له : من أنت ؟ فقال : مولاي يا أمير المؤمنين ، قال : مولاي لي مثلك لا أعرفه ! قال : مولاي خادم لك عبد مناف يا أمير المؤمنين ؛ فاستحسن ذلك منه ، وعلم أنه مولاي لبنى أمية ، فضمّه إلى المهدي ، وقال له : احتفظ به .

• • •

ومما رُئي به قول سلّام الخاسر :

عَجِبًا لِلَّذِي نَعَى النَّاعِيَانِ كَيْفَ فَاهَتْ بِمَوْتِهِ الشَّفَتَانِ !
مَلِكٌ إِنْ غَدَا عَلَى الدَّهْرِ يَوْمًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ سَاقِطًا لِلْجِرَانِ
لَيْتَ كَفًّا حَثَّتْ عَلَيْهِ تَرَابًا لَمْ تَعُدْ فِي يَمِينِهَا بَيْتَانِ
حِينَ دَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ عَلَى الْعَدِ فِ وَأَغْضَى مِنْ خَوْفِهِ الثَّقَلَانِ
أَيْنَ رَبُّ الزُّورَاءِ قَدْ قَلَدَتْهُ الـ مَلِكٌ ، عَشْرُونَ حِجَّةً وَاثْنَانِ
إِنَّمَا الْمَرْءُ كَالزَّنَادِ إِذَا مَا أَخَذَتْهُ قَوَادِحُ النَّيرَانِ
لَيْسَ يَتْنَى هَوَاهُ زَجْرٌ وَلَا يَقْدُ دَخُ فِي حَبْلِهِ ذَوُو الْأَذْهَانِ
قَلَدَتْهُ أَعْنَتُ الْمُلُوكِ حَتَّى قَادَ أَعْدَاءَهُ بِغَيْرِ عِنَانِ
يُكْسِرُ الطَّرْفُ دُونَهُ وَتَرَى الْآيَ لَيْسَ مِنْ خَوْفِهِ عَلَى الْأَذْقَانِ
ضَمَّ أَطْرَافَ مُلْكِهِ شَمَّ أَصْحَى خَلَفَ أَقْصَاهُمْ وَدُونَ الدَّانِ
هَاشِيئِي التَّشْمِيرِ لَا يَحْمِلُ الثَّقُ لَ عَلَى غَارِبِ الشُّرُودِ الْهَدَانِ

ذو أناة ينسى لها الخائفُ الخَو
فَوعزمَ يُلوي بكلِّ جَنانِ
ذَهَبَتْ دونَه النفوسُ حِذاراً
غيرَ أنَّ الأرواحَ في الأبدانِ

• • •

ذكر أسماء ولده ونسائه

فن ولده المهديّ— واسمه محمد— وجعفر الأكبر، وأمهما أروى بنت منصور
أخت يزيد بن منصور الحميريّ ؛ وكانت تكنى أم موسى ؛ وهلك جعفر
هذا قبل المنصور .

وسليمان وعيسى ويعقوب ؛ وأمهم فاطمة بنت محمد ، من ولد طلحة بن
عبيد الله .

وجعفر الأصغر ، أمّه أمّ ولد كرديّة ، كان المنصور اشتراها فترّاها ،
وكان يقال لابنها : ابن الكرديّة .

وصالح المسكين ، أمّه أم ولد روميّة ، يقال لها قالى الفراشة .

والقاسم ، مات قبل المنصور ، وهو ابن عشر سنين ، وأمّه أم ولد تعرف
بأم القاسم ، ولها بباب الشام بستان يعرف إلى اليوم ببستان أمّ القاسم .

والعالية ، أمّها امرأة من بنى أميّة ، زوجها المنصور من إسحاق بن سليمان
ابن عليّ بن عبد الله بن العباس . وذكر عن إسحاق بن سليمان أنه قال :
قال لي أبي : زوجتك يا بنيّ أشرف الناس ؛ العالبة بنت أمير المؤمنين .
قال : فقلت : يا أباه ، منّ أكفأونا ؟ قال : أعداؤنا من بنى أميّة .

• • •

ذكر الخبر عن وصاياه

ذكر عن الهيثم بن عديّ أن المنصور أوصى المهديّ في هذه السنة لما شخص
متوجّهاً إلى مكة في شتاء ، وقد نزل قصر عبّديّه ، وأقام بهذا القصر أياماً
والمهديّ معه بوصيه ، وكان انقضّ في مقامه بقصر عبديّه كوكبٌ ، لثلاث

بقين من شوال بعد إضاءة الفجر ، وبقى أثره بئيناً إلى طلوع الشمس ، فأوصاد بالماك والسلطان ؛ يفعل^(١) ذلك كل يوم من أيام مقامه بالغداة والعشي ، لا يفتر عن ذلك . ولا يفترقان إلا تحريكاً . فلما كان اليوم الذي أراد أن يرتحل فيه ، دعا المهدي . فقال له : إني لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه ، وسأوصيك بحصال^(٢) . والله ما أظنك تفعل واحدة منها . وكان له سبط في دفاتر عنمه ، وعليه قفل لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً . يصير مفتاحه في كم قميصه . قال : وكان حماد التركي يقدم إليه ذلك السبط إذا دعا به ، فإذا غاب حماد أو خرج كان الذي يليه سلمة الخادم . فقال للمهدي : انظر هذا السبط فاحفظ به ؛ فإن فيه علم آباك ، ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فإن أحزنك^(٣) أمر فانظر في الدفتر الأكبر ؛ فإن أصبت فيه ما تريد ، وإلا فالثاني والثالث ؛ حتى بلغ سبعة ؛ فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ؛ فإنك واجد فيها ما تريد ، وما أظنك تفعل ، وانظر هذه المدينة ؛ فإنك أن تستبدل بها ؛ فإنها بيتك^(٤) وعزك ، قد جمعت لك فيها من الأموال ما إن كسبر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء اندرية ومصلحة الشغور ؛ فاحفظ بها . فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً . وما أظنك تفعل . وأوصيك بأهل بيتك ؛ أن تظهر كرامتهم وتقدمهم^(٥) وتكثر الإحسان إليهم . وتعظم أمرهم . وتوطئ الناس أعقابهم ؛ وتوليهم المنابر ؛ فإن عزك عزهم وذكرهم لك ، وما أظنك تفعل . وانظر مواليك . فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل . وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بدلوا أموالهم في دولتك ، ودماءهم دونك . ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ؛ أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئتهم وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلّف من مات منهم في أهله وولده ، وما أظنك تفعل . وإياك أن تبني مدينة الشرقية فإنك لا تتم بناءها ، وما أظنك تفعل . وإياك أن

(٢) ب : « بخل » .

(٤) ب : « مدينتك » .

(١) س : « يفعل » .

(٣) ب : « حزنك » .

(٥) س : « وقدمهم » .

تستعين برجل من بني سليم ، وأظنك ستفعل . وإياك أن تدخل النساء في مشورتك في أمرك ، وأظنك ستفعل .

وقال غير الهيثم : إن المنصور دعا المهديّ عند مسيره إلى مكة ، فقال : يا أبا عبد الله ، إني سائر وإني غير راجع ؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون ! فاسأل الله بركة ما أقدم عليه ، هذا كتاب وصيتي مختوماً ، فإذا بلغك أني قد مت ، وصار الأمر إليك فانظر فيه ، وعلى دين فأحب أن تقضيه وتضمّنه ، قال : هو عليّ يا أmeer المؤمنين ، قال : فإنه ثلثمائة ألف درهم ونيف ، ولست أستحلّها من بيت مال المسلمين ، فاضمنها عني . وما يفضي إليك من الأمر أعظم منها . قال : أفعل ، هو عليّ . قال : وهذا القصر ليس هو لك ، هو لي ، وقصرى بنيته بمالي ، فأحب أن تصير نصيبك منه لإخوتك الأصغار . قال : نعم ، قال : ورقبتي الخاصة هم لك ، فاجعلهم لهم ، فإنك تصير إلى ما يغنيك عنهم ، وبهم إلى ذلك أعظم الحاجة . قال : أفعل ، قال : أمّا الضياع ، فلست أكلّفك فيها هذا ، ولو فعات كان أحبّ إليّ ، قال : أفعل ، قال : سلّم إليهم ما سألتك من هذا ، وأنت معهم في الضياع . قال : والمتاع والثياب ، سلّمه لهم ، قال : أفعل . قال : أحسن الله عليك الخلافة ولك الصنع ! اتق الله فيما حوّلك وفيما خلّفك عليه .

٤٤٥/٣

ومضى إلى الكوفة ، فنزل الرضاقة ، ثم خرج منها مهلاً بالعمرة والحج . قد ساق هديه من البدن ، وأشعر وقلّد ؛ وذلك لأيام خلت من ذى القعدة .

وذكر أبو يعقوب بن سليمان ، قال : حدثني جَمرة العطّارة - عطّارة أبي جعفر - قالت : لما عزم المنصور على الحج دعا ريّطة بنت أبي العباس امرأة المهديّ - وكان المهديّ بالريّ قبل شخوص أبي جعفر - فأوصاها بما أراد . وعهد إليها ، ودفع إليها^(١) مفاتيح الخزائن ، وتقدّم إليها وأحلفها ، ووكد الأيمان ألاّ تفتح بعض تلك الخزائن ، ولا تُطلع عليها أحداً إلاّ المهديّ ؛ ولا هي ؛ إلاّ أن يصحّ عندها موته ، فإذا صحّ ذلك اجتمعت هي والمهديّ وليس معهما

٤٤٦/٣

ثالث ؛ حتى يفتحاً^(١) الخزانة . فلما قدم المهدي من الرمي إلى مدينة السلام ، دفعت إليه المفاتيح ، وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يُطلع عليه أحداً حتى يصبح عندها موته . فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة ، فتح الباب ومعه ريطة ؛ فإذا أزعج^(٢) كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبين ، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم ؛ وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة ، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى ، وأمر فحُفرت لهم حفيرة فدُفِنوا فيها ، وعُمِلَ عليهم دكان .

وذكر عن إسحاق بن عيسى بن علي ، عن أبيه ، قال : سمعت المنصور وهو متوجه إلى مكة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وهو يقول للمهدي عند وداعه إياه : يا أبا عبد الله ؛ إنني ولدت في ذي الحجة ، ولدت في ذي الحجة ، وقد هجس في نفسي أني أموت في ذي الحجة من هذه السنة ؛ وإنما حداني على الحج ذلك ، فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدى ؛ يجعل لك فيما كثر بك وحرّك مخرجاً — أو قال : فرجاً ومخرجاً — ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحسب . احفظ يا بني محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته يحفظ الله عليك أمورك . وإياك والدم الحرام ، فإنه حَبْوبٌ عند الله عظيم ، وعارٌ في الدنيا لازم مقيم . والزم الحلال ؛ فإن ثوابك في الآجل ، وصلاحك في العاجل . وأقم الحدود ولا تعتد فيها فتور ؛ فإن الله لو علم أن شيئاً أصلح لدينه وأزجر من معاصيه من الحدود لأمر به في كتابه . واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه ، أمر في كتابه بتضعيف العذاب والعقاب على مَنْ سعى في الأرض فساداً ، مع ما ذخّر له عنده من العذاب العظيم ، فقال : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾^(٣) الآية . فالسلطان يا بني حبّل الله المتين ، وعُروته الوثقى ، ودين الله القسيم ، فاحفظه وحطّه وحصّنه ، وذُبْ عنه ، وأوقع بالملاحدين فيه ، واقمّع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم والمشلات بهم ؛ ولا تجاوز ما أمر

(٢) الأزعج : ضرب من الأبتية .

(١) ب : « ففتحت » .

(٣) سورة المائدة ٣٣ .

الله به في محكم القرآن . واحكم بالعدل ولا تَشْطِطْ ؛ فإن ذلك أقطعُ لشعَب ، وأحسم للعدو ، وأنجع في الدواء . وعفَّ عن القىء ؛ فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح عمالك بصلية الرحيم وبرّ القرابة . وإيّاك «الأثرة»^(١) والتبذير لأموال الرعية . واشحن الثغور ، واضبط الأطراف ، وأمن السبل ، وخصّ الواسطة ، ووسّع المعاش ، وسكّن العامة ، وأدخل المرافق عليهم ، وأصرف «المكازر» عنهم ، وأعدّ الأموال واخزنها . وإيّاك والتبذير ؛ فإنّ الثواب غير مأمونة ، والحوادث غير مضمونة ؛ وهى من شيسم الزمان . وأعدّ الرجال والكراع والجند ما استطعت . وإيّاك وتأخير عمل اليوم إلى غد ، فتتدارك^(٢) عليك الأمور وتضيع . جيد^(٣) فى إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولاً فأولاً ، واجتهد وشمّر فيها ، وأعدّد رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل . وباشر الأمور بنفسك ، ولا تضجر ولا تكسل ولا تفشل . واستعمل حسن الظنّ بربك ، وأسى الظنّ بعمّالك وكتّابك^(٤) . وخذ نفسك بالتيقظ ، وتفقد من يبيت على بابك ، وسهل إذنك للناس ، وانظر فى أمر النزاع إليك ، ووكل بهم عيناً غير نائمة ، ونفساً غير لاهية ، ولا تم فإنّ أباك لم يتمّ منذ ولى الخلافة ، ولا دخل عينه غمض إلاّ وقلبه مستيقظ . هذه وصيتى إليك ، والله خليفتى عليك .

٤٤٨/٣

قال : ثم ودّعه وبكى كلّ واحد منهما إلى صاحبه .

وذكر عمر بن شبة عن سعيد بن هريم ، قال : لما حجّ المنصور فى السنة التى توفيت فيها شيعة المهديّ ، فقال : يا بنى ، إني قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلى ، وجمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلى ، وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها ؛ ولست أخاف عليك إلاّ أحدَ رجلين : عيسى بن موسى ، وعيسى بن زيد ؛ فأما عيسى بن موسى

(٢) ابن الأثير : « وادفع » .

(٤) ابن الأثير : « خذ » .

(١) ابن الأثير : « الأثرة » .

(٣) س : « قتال » .

(٥) س : « رجال كفايتك » .

فقد أعطاني من العهود والمواثيق ما قبلته ، ووالله لو لم يكن إلا أن يقول قولاً لما خفته عليك ، فأخرجه من قلبك . وأما عيسى بن زيد فأنفق هذه الأموال واقتل هؤلاء الموالى ، واهدم هذه المدينة حتى تظفر به ، ثم لا أملك . ٤٤٩/٣

وذكر عيسى بن محمد أن موسى بن هارون حدثه ، قال : لما دخل المنصور آخر منزل نزلته من طريق مكة ، نظر في صدر البيت الذى نزل فيه ، فإذا فيه مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم .

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنبوك ، وأمر الله لا بد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم من حر المنيّة مانع !

قال : فدعا بالمتولّى لإصلاح المنازل ، فقال له : ألم آمرك ألا تدخل المنزل أحد من الدعار ! قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما دخلها أحد منذ فرغ منها ، فقال : اقرأ ما فى صدر البيت مكتوباً ، قال : ما أرى شيئاً يا أمير المؤمنين ، قال : فدعا برئيس الحجابة ، فقال : اقرأ ما على صدر البيت مكتوباً ، قال : ما أرى على صدر البيت شيئاً ، فأملى البيتين فكشبا عنه ، فالتفت إلى حاجبه فقال : اقرأ لى آية من كتاب الله جل وعز تشوقنى إلى الله عز وجل ، فتلا : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ (١) ، فأمر بفكشبه فوجئا . وقال : ما وجدت شيئاً تقرأه غير هذه الآية ! فقال : يا أمير المؤمنين ، محيى القرآن من قلبى غير هذه الآية ، فأمر بالرحيل عن ذلك المنزل تطهيراً مما كان ، وركب فرساً ، فلما كان فى الوادى الذى يقال له ستّـر - وكان آخر منزل بطريق مكة - كبها به الفرس ، فدقّ ظهره ، ومات فدفن ببئر ميمون .

وذكر عن محمد بن عبد الله مولى بنى هاشم ، قال : أخبرنى رجل من العلماء وأهل الأدب ، قال : هتف بأبى جعفر هاتف من قصره بالمدينة فسمعه يقول :

أما وربُّ السُّكُونِ وَالْحَرَكِ إِنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرِكِ
 عليكِ يانفُسُ إنْ أَسأتِ وإنِ أَحْسَنْتِ بِالْقَصْدِ، كُلُّ ذَاكَ لَدِكِ^(١)
 ما اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا دَارَتْ نُجُومُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكَ
 إِلَّا بِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ مَلِكٍ إِذَا انْقَضَى مُلْكُهُ إِلَى مَلِكٍ
 حَتَّى يُصِيرَا بِهِ إِلَى مَلِكٍ مَا عِزُّ سُلْطَانِهِ بِمُشْتَرَكِ
 ذَاكَ بِدِيْعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْمَرْءِ سِي الْجِبَالِ الْمُسَخَّرِ الْفَلَكَ
 فقال أبو جعفر : هذا والله أوَانُ أَجَلِكِي .

وذكر عبد الله بن عبيد الله ، أنَّ عبد العزيز بن مُسلم حدثه أنه قال :
 دخلت على المنصور يوماً أسلَّم عليه ؛ فإذا هو باهت لا يُخبر جواباً ، فوثبت
 لما أرى منه ، أريد الانصراف عنه ، فقال لي بعد ساعة : إني رأيت فيما يرى
 النائم ؛ كأن رجلاً ينشدني هذه الأبيات :

أَأَخِيَّ أَخْفِضُ مِنْ مُنَاكَا فَكَأَنَّ يَوْمَكَ قَدْ أَنَاكَا
 وَلَقَدْ أَرَاكَ الدَّهْرُ مِنْ تَصْرِيفِهِ مَا قَدْ أَرَاكَا
 فَإِذَا أَرَدْتَ النَّاقِصَ الـ عِبْدَ الدَّلِيلَ فَأَنْتَ ذَاكَا
 مُلْكُكَ مَا مُلْكُكَهُ وَالْأَمْرُ فِيهِ إِلَى سِوَاكَا

فهذا الذي ترى من قلبي وَغَمِّي لما سمعت ورأيت . فقلت : خيراً رأيتَ
 يا أمير المؤمنين . فلم يلبث إلى أن خرج إلى الحجّ فأت لوجهه ذاك . ٤٥١/٣

• • •

وفي هذه السنة بُويع للمهدي بالخلافة ، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن
 عليّ بن عبد الله بن العباس بمكة ؛ صبيحة الليلة التي توفّي فيها أبو جعفر المنصور

(١) س : « في اليوم كان لك » .

وذلك يوم السبت لستَ ليالِ خلونَ من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ، كذلك قال هشام بن محمد ومحمد بن عمر وغيرهما .

وقال الواقدي : وبويع له ببغداد يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة .

وأمّ المهديّ أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد بن شمّر الحميريّ.

خلافة المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن
علي بن عبد الله بن العباس

ذكر الخبر عن صفة العقد الذي عُقِدَ للمهدي بالخلافة
حين مات والده المنصور بمكة

ذكر علي بن محمد النوفلي أن أباه حدثه ، قال : خرجت في السنة التي
مات فيها أبو جعفر من طريق البصرة ؛ وكان أبو جعفر خرج على طريق
الكوفة ، فلقيناه بذات عيرق ، ثم سرت معه ، فكان كلنا ركب عرضت له
فسلمت عليه ، وقد كان أذنف وأشقى على الموت ، فلما صار بيئر ميمون
نزل به ، ودخلنا مكة ، فقضيتُ عمرتي ، ثم كنت أختلف إلى أبي جعفر إلى
مَضْرِبِهِ ، فأقيم فيه ^(١) إلى قريب من الزوال ، ثم أنصرف — وكذلك كان
يفعل الهاشميون — وأقبلت علته تشتد وتزداد ، فلما كان في الليلة التي مات
فيها ، ولم نعلم ؛ فصليت الصبح في المسجد الحرام مع طلوع الفجر ، ثم ركبْتُ
في ثوبي ^(٢) متقلداً السيف عليهما ، وأنا أساير محمد بن عون بن عبد الله بن
الحارث — وكان من سادة بني هاشم ومشايخهم ؛ وكان في ذلك اليوم عليه
ثوبان مورّدان قد أحرم فيهما ، متقلداً السيف عليهما — قال : وكان مشايخ
بني هاشم يحبّون أن يُحجّروا في المورّد لحديث عمر بن الخطاب وعبد الله بن جعفر
وقول علي بن أبي طالب فيه ^(٣) . فلما صرنا بالأبطح لقيتنا العباس بن محمد
ومحمد بن سليمان في خيل ورجال يدخلان مكة ، فعدّنا إليهما ، فسلمنا عليهما
ثم مضينا ، فقال لي محمد بن عون : ما ترى حال هذين ودخولهما مكة ؟ قلت :
أحسب الرجل قد مات ؛ فأرادا أن يحصّنا مكة ؛ فكان ذلك كذلك ، فبينما

٤٥٢/٣

(٢) ب ، ج : « ثوبي » .

(١) ج : « معه » .

(٣) ج : « في ذلك » .

نحن نسير ، إذا رجل خفي الشَّخص^(١) في طِمْرَيْن ، ونحن بعد في غمْلَس ،
 قد جاء فدخل بين أعناق دابَّتينا ، ثم أقبل علينا ، فقال : مات والله الرجل !
 ثم خفي عنا ، فضينا^(٢) نحن حتى أتينا العسكر ، فدخلنا السُّرادق الذي كنا
 نجلس فيه في كل يوم ؛ فإذا بموسى بن المهدي قد صدرَ عند عمود السرادق ؛
 وإذا القاسم بن منصور في ناحية السُّرادق — وقد كان حين لقينا المنصور بذات
 عِرق ، إذا ركب المنصور بعيرة جاء القاسم فسار بين يديه بينه وبين صاحب
 الشرطة ، ويؤمر الناس أن يرفعوا القصص إليه — قال : فلما رأيته في ناحية السرادق
 ورأيت موسى مصدراً ، علمت أن المنصور قد مات . قال : فينا أنا جالس
 إذ أقبل الحسن بن زيد ، فجلس إلى جنبي ، فصارت فخذ على فخذى ،
 وجاء الناس حتى ملأوا السرادق ، وفيهم ابن عيَّاش المتوفى ، فينا نحن كذلك ،
 إذ سمعنا همساً من بكاء . فقال لى الحسن : أترى الرجل مات ! قلت :
 لا أحسب ذلك ؛ ولكن لعله ثقیل ؛ أو أصابته غَشِيَّة ، فما راعنا إلا بأبى العنبر
 الخادم الأسود خادم المنصور ، قد خرج علينا مشقوق الأقبية من بين
 يديه ومن خلفه ، وعلى رأسه التراب ، فصاح : وا أمير المؤمنين ! فما بقي في
 السرادق أحدٌ إلا قام على رجله ، ثم أهواوا نحو مضارب أبى جعفر يريدون
 الدخول ، فنعهم الخدم ، ودفعوا في صدورهم . وقال ابن عيَّاش المتوفى :
 سبحان الله ! أما شهدت موت خليفة قط ؟ اجلسوا رحمكم الله . فجلس الناس ،
 وقام القاسم فشق ثيابه ، ووضع التراب على رأسه ، وموسى جالس على حاله .
 وكان صبيّاً رطباً ما يتحلحل .

ثم خرج الربيع ، وفي يده قيرطاس ، فألقى أسفله على الأرض ، وتناول
 طرفه ، ثم قرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى
 من خلف بعده من بنى هاشم وشيعته من أهل خراسان وعامة المسلمين —
 ثم ألقى القيرطاس من يده ، وبكى وبكى الناس ، فأخذ القيرطاس ، وقال : قد
 أمكنكم البكاء ، ولكن هذا عهد عهده أمير المؤمنين ، لا بدّ من أن نقرأه
 عليكم ، فأنصتوا رحمكم الله ؛ فسكت الناس ، ثم رجع إلى القراءة — أما بعد :

فإني كتبتُ كتابي هذا وأنا حيٌّ في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة ، وأنا أقرأ عليكم السلام ، وأسأل الله ألاّ يفتنكم بعدي ، ولا يلبسكم شيعةً ، ولا يُؤذيق بعضهم بأس بعض . يا بني هاشم ، ويا أهلَ خراسان ... ثم أخذ في وصيتهم بالمهدى ، وإذكارهم البيعة له ، وحضهم على القيام بدولته ، والوفاء بعهده إلى آخر الكتاب .

قال النوفلي : قال أبي : وكان هذا شيئاً وضعه الربيع ؛ ثم نظر في وجوه الناس ، فدنا من الهاشميين ، فتناول يد الحسن بن زيد ، فقال : قم يا أبا محمد ، فبايع ، فقام معه الحسن ، فانتهى به الربيع إلى موسى فأجلسه بين يديه ، فتناول الحسن يدَ موسى ، ثم التفت إلى الناس ، فقال : يا أيها الناس ، إن أمير المؤمنين المنصور كان ضربني واصطفى مالي ؛ فكلّمه ^(١) المهدى فرضى عني ، وكلّمه في ردّ مالي علىّ فأبى ذلك ، فأخلفه المهدى من ماله وأضعفه مكان كل علق علقين ، فمَن أوّل بأن يبايع لأمرير المؤمنين بصدر منشرح ونفس طيبة وقلب ناصح منّي ! ثم بايع موسى للمهدى ، ثم مسح على يده . ثم جاء الربيع إلى محمد بن عون ، فقدّمه للسنّ فبايع ، ثم جاء الربيع إلىّ فأنهضني ؛ فكنّث الثالث ؛ وبايع الناس ؛ فلما فرغ دخل المضارب ، فكنّث هنيهة ثم خرج إلينا معشر الهاشميين ، فقال : انهضوا ، فنهضنا معه جميعاً ، وكنا جماعة كثيرة من أهل العراق وأهل مكة والمدينة ممن حضر الحج ، فدخلنا فإذا نحن بالمنصور على سريرته في أكفانه ، مكشوف الوجه ؛ فحملناه حتّى أتينا به مكّة ثلاثة أميال ؛ فكأنّي أنظر إليه أدنو من قائمة سريره نحمله ؛ فتحرك الريح ، فتطير شعير صدغيه ؛ وذلك أنه كان قد وفر شعره للحلق ؛ وقد نصل خضابه ؛ حتّى أتينا به حفرتة ، فدلّيناه فيها .

٤٥٥/٣

قال : وسمعت أبي يقول : كان أوّل شيء ارتفع به عليّ بن عيسى بن ماهان ؛ أنه لما كان الليلة التي مات فيها أبو جعفر أرادوا عيسى بن موسى على بيعة مجدّدة للمهدى - وكان القائم بذلك الربيع - فأبى ^(٢) عيسى بن موسى ،

(١) ب : « وكلّمه » .

(٢) ب ، س : « فأبى » .

فأقبل القواد الذين حضروا يقرّبون ويتباعدون^(١)، فنهض على بن عيسى بن ماهان . فاستل سيفه ، ثم جاء إليه ، فقال : والله لتبايعن أو لأضربن عنقك ! فلما رأى ذلك عيسى ، بايع وبايع الناس بعده .

وذكر عيسى بن محمد أن موسى بن هارون حدثه أن موسى بن المهديّ والربيع مولى المنصور وجّتها منارة مولى المنصور بخبر وفاة المنصور وبالبيعة للمهديّ . وبعثا بعدُ بقضيب النبيّ صلى الله عليه وسلم وبرّدته التي يتوارثها الخلفاء مع الحسن الشروى ، وبعث أبو العباس الطوسيّ بخاتم الخلافة مع منارة ؛ ثم خرجوا من مكة ، وسار عبد الله بن المسيّب بن زهير بالحربة بين يدى صالح بن المنصور ، على ما كان يسير بها بين يديه في حياة المنصور^(٢) ، فكسرها القاسم بن نصر بن مالك ؛ وهو يومئذ على شُرطة موسى بن المهديّ ، واندس على بن عيسى بن ماهان لما كان في نفسه من أذى عيسى بن موسى ، وما صنّع به للراوندية ، فأظهر الطعن والكلام في مسيرهم^(٣) . وكان من رؤسائهم أبو خالد المروزيّ . حتى كاد الأسر يعظم ويتفاقم ؛ حتى لبس السلاح . وتحرك في ذلك محمد بن سليمان ، وقام فيه وغيره من أهل بيته : إلا أن محمداً كان أحسنهم قياماً به حتى طفق ذلك وسكن . وكتب^(٤) به إلى المهديّ ، فكتب بعزل على بن عيسى عن حرس موسى بن المهديّ ، وصيّر مكانه أبا حنيفة حرب بن قيس ، وهدأ أمر العسكر ، وتقدم العباس بن محمد ومحمد ابن سليمان إلى المهديّ . وسبق إليه العباس بن محمد . وقدم منارة على المهديّ يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة ، فسلم عليه بالخلافة . وعزّاه ، وأوصل الكتب إليه ، وبايعه أهل مدينة السلام .

وذكر الهيثم بن عديّ عن الربيع ، أن المنصور رأى في حجّته التي مات فيها وهو بالعُدَيْب - أو غيره من منازل طريق مكة - رؤيا - وكان الربيع عديله - وفزع منها . وقال : يا ربيع ، ما أحسنني إلّا ميتاً في وجهي هذا ؛ وأنت تؤكّد^(٥) البسطة لأبي عبد الله المهديّ ، قال الربيع : فقلت له : بل

(١) ج ، س : « وبتباعدون » . (٢) ب ، س : « في حياته » .

(٣) ب : « سيرهم » . (٤) ب : « فكتب » .

(٥) ج : « وإنا تؤكّد » .

يُبقِيكَ اللهُ يا أمير المؤمنين ، وَيَبْلُغْ أَبُو عبد الله محبتك في حياتك إن شاء الله . قال : وثَقِيلَ عند ذلك وهو يقول : بادر بي إلى حَرَمِ ربي ^(١) وأمنه ، هارباً من ذنوبي وإسرافي على نفسي ؛ فلم يزل كذلك حتى بلغ بئر ميمون ، فقلت له : هذه بئر ميمون ، وقد دخلت الحَرَمَ ، فقال : الحمد لله ، وقضى من يومه . قال الربيع : فأمرت بالخَيْمَ فضُربت ، وبالفساطيط فهَيَّيْتُ ، وعمدت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويلة والدَّرَاعَةَ ، وسندته ، وألقيت في وجهه كَلَّةَ رقيقة يُرَى منها شخصه ، ولا يفهم أمره ، وأذنت أهله من الكَلَّةِ حيث لا يُعلم بخبره ، ويُرَى شخصه . ثم دخلت فوقفت بالموضع الذي أُوهمهم أنه بخاطبني ، ثم خرجت فقلت : إن أمير المؤمنين مُفِيقٌ بمنّ الله ، وهو يقرأ عليكم السلام ، ويقول : إني أحب أن يؤكّد الله أمركم ^(٢) ؛ ويكتب عدوكم ، ويسرّ وليّكم ؛ وقد أحببت أن تجدوا بيعة أبي عبد الله المهديّ ؛ لئلا يطمع فيكم عدو ولا باغٍ ، فقال القوم كلهم : وفقّ الله أمير المؤمنين ؛ نحن إلى ذاك أسرع . قال : فدخل فوقف ، ورجع إليهم ، فقال : هلمّوا للبيعة ، فبايع القوم كلّهم ؛ فلم يبق أحدٌ من خاصّته والأولياء ورؤساء من حضره إلا بايع المهديّ ، ثم دخل وخرج باكياً مشقوق الجيب لا طمأ رأسه ، فقال بعض من حضر : ويلي عليك يابن شاة ! يريد الربيع - وكانت أمّه ماتت وهي ترضعه فأرضعته شاة - قال : وحفر للمنصور مائة قَبْرٍ ، ودفن في كلّها ، لئلا يعرف موضع قبره الذي هو ظاهر للناس ، ودفن في غيرها للخوف عليه .

٤٥٧/٣

قال : وهكذا قبور خلفاء ولّد العباس ، لا يعرف لأحد منهم قبر . قال : فبلغ المهديّ ، فلما قدم عليه الربيع قال : يا عبد ؛ ألم تمنعك جلالة أمير المؤمنين أن فعلت ما فعلت به ! وقال قوم : إنّه ضربه ؛ ولم يصحّ ذلك . قال : وذكر من حضر حجة المنصور ، قال : رأيت صالح بن المنصور وهو مع أبيه والناس معه ؛ وإن موسى بن المهديّ لقي تَبَاعَهُ ^(٣) ، ثم رجع الناس وهم خلف موسى ، وأن صالحاً معه .

٤٥٨/٣

(٢) ح : « يوطن الله أمركم » .

(١) ب : « الله » .

(٣) ج : « في تباعد » .

وذكر عن الأصمعي أنه قال : أول من نعى أبا جعفر المنصور بالبصرة خلع الأحرار ، وذلك أننا كنا في حنقة يونس . فرأى بنا فسلم علينا ، فقال ^(١) :
« قد طرقت بيكرها أم طبت ^(٢) » .

قال يونس : وماذا ؟ قال :

تُنَجِّجوها خيرَ أضخم العُنُق موتُ الإمام فليقَ من الفلق

• • •

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، وكان المنصور - فيما ذكر - أوصى بذلك .

وكان العامل في هذه السنة على مكة والطائف إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس ، وعلى المدينة عبد الصمد بن علي ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي أخو المسيب بن زهير - وقيل : كان العامل عليها إسماعيل بن أبي إسماعيل الثقفي . وقيل : إنه مولى لبني نصر من قيس - وعلى قضائها شريك بن عبد الله السخمي ، وعلى ديوان خراجها ثابت بن موسى ، وعلى خراسان حميد بن قحطبة ، وعلى قضاء بغداد مع قضاء الكوفة شريك ابن عبد الله .

وقيل : كان القاضي على بغداد يوم مات المنصور عبيد الله محمد بن صة - وإن الجمحي وشريك بن عبد الله على قضاء الكوفة خاصة . وقيل : إن شريكاً كان إليه قضاء الكوفة ، والصلاة بأهلها .

وكان على الشرط ببغداد يوم مات المنصور - فيما ذكر - عمر بن عبد الرحمن ٤٥٩/٣ أخو عبد الجبار بن عبد الرحمن . وقيل كان موسى بن كعب .

وعلى ديوان خراج البصرة وأرضها عمارة بن حمزة . وعلى قضائها والصلاة عبيد الله بن الحسن العنبري ، وعلى أحداثها سعيد بن دعلج .

وأصاب الناس - فيما ذكر محمد بن عمر - في هذه السنة وباء شديد .

(١) ج ، س : « ثم قال » .

(٢) ج : « طوقت » ، س : « طرفت » ، ب : « طبقت » .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة العباس بن محمد الصائفة فيها حتى بلغ أنقرة ؛ وكان على مقدمة العباس الحسن الوصيف في المولى ، وكان المهديّ ضمّ إليه جماعة من قوّاد أهل خراسان وغيرهم . وخرج المهديّ فعسكر بالبردان وأقام فيه حتى أنفذ العباس بن محمد ، ومن قطع عليه البعث معه ، ولم يجعل للعباس على الحسن الوصيف ولاية في عزل ولا غيره ، ففتح في غزاته ^(١) هذه مدينة للروم ومطمورة معها ، وانصرفوا سالمين لم يُصَبّ من المسلمين أحد .

وهلك في هذه السنة حميد بن قحطبة ، وهو عامل المهديّ على خراسان ، فولّى المهديّ مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد .

وفيهما ولّى حمزة بن مالك سجستان ، ولّى جبرئيل بن يحيى سمرقند .

وفيهما بنى المهديّ مسجد الرّصافة .

٤٦٠/٣

وفيهما بنى حائطها ، وحفر خندقها .

وفيهما عزل المهديّ عبد الصمد بن عليّ عن المدينة ؛ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عن مَوْجدة ، واستعمل عليها مكانه محمد بن عبد الله الكشيّ ثم عزله ، واستعمل عليها مكانه عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان الجُمَحِيّ .

وفيهما وجّه المهديّ عبد الملك بن شهاب المسمي في البَحْر إلى بلاد الهند ، وفرض معه لألّنين من أهل البصرة من جميع الأجناد ، وأشخصهم معه ، وأشخص معه من المطوعة الذين كانوا يلزمون المُرابطات ألفاً وخمسمائة رجل ، ووجّه معه قائداً من أبناء أهل الشّام يقال له ابن الحُباب المذحجيّ في سبعمائة من أهل الشّام ، وخرج معه من مطوعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل ، فيهم

(١) ب : « غزاتهم » .

— فيما ذكر— الربيع بن صبيح ، ومن الأسواريين والسبايجة أربعة آلاف رجل ،
فولى عبد الملك بن شهاب المنذر بن محمد الجارودى الألف الرجل المطوعة من
أهل البصرة ، وولّى ابنه غسان بن عبد الملك الألفى الرجل الذين من فرض
البصرة ، وولّى عبد الواحد بن عبد الملك الألف والخمسمائة الرجل من مطوعة
المرابطات ، وأفرد يزيد بن الحباب فى أصحابه فخرجوا ، وكان المهديّ وجهه
لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم ، فضموا لوجههم ؛ حتى أتوا
مدينة باربد من بلاد الهند فى سنة ستين ومائة .

وفىها توفىّ معبد بن الخليل بالسند ، وهو عامل المهديّ عليها ، فاستعمل
مكانه روح بن حاتم بمشورة أبى عبيد الله وزيره .

وفىها أمر المهديّ بإطلاق مَنْ كان فى سجن المنصور ، إلا من كان
قبله تبيعة من دم أو قتل ، ومَنْ كان معروفًا بالسعى فى الأرض بالفساد ،
أو مَنْ كان لأحد قبيله مظلّمة أو حقّ ، فأطلقوا ، فكان ممن أطلق من
المطبّق يعقوب بن داود مولى بنى سليم ، وكان معه فى ذلك الحبس محبوساً
الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب .

• • •

وفىها حوّل المهديّ الحسن بن إبراهيم من المطبق الذى كان فيه محبوساً إلى
نُصير الوصيف فحبسه عنده .

ذكر الخبر عن سبب تحويل

المهديّ الحسن بن إبراهيم من المطبق إلى نُصير

٤٦٢/٣

ذكر أن السبب فى ذلك ، كان أن المهديّ لما أمر بإطلاق أهل السجون .
على ما ذكرت^(١) ، وكان يعقوب بن داود محبوساً مع الحسن بن إبراهيم فى
موضع واحد ، فأطلق يعقوب بن داود ، ولم يُطلق الحسن بن إبراهيم ، ساء^(٢) ظنه ،
وخاف على نفسه ، فالتمس مخرجاً لنفسه وخلّصاً ، فدسّ إلى بعض ثقاته^(٣) ،

(٢) ب : « فساء » .

(١) ب : « كما ذكرت » .

(٣) س : « على ثقاته » .

فحفر له سَرَبًا من موضع مُسَمَّات للموضع الذى هو فيه محبوس ، وكان يعقوب بن داود بعد أن أطلق يُطَيِّف بابن علانة^(١) - وهو قاضى المهدي بمدينة السلام^(٢) - ويلزمه ، حتى أنس به ، وبلغ يعقوب ما عزم عليه الحسن ابن إبراهيم من الحرب ، فأتى ابن علانة ، فأخبره أن عنده نصيحة للمهدي ، وسأله إيصاله إلى أبى عبيد الله^(٣) ، فسأله عن تلك النصيحة ، فأبى أن يخبره بها ، وحذره فوتها ، فانطلق ابن علانة إلى أبى عبيد الله ، فأخبره خبر يعقوب وما جاء به ، فأمره بإدخاله عليه ، فلما دخل عليه سأله إيصاله إلى المهدي ، ليعلمه النصيحة التى له عنده ، فأدخله عليه ، فلما دخل على المهدي شكر له بلاءه عنده فى إطلاقه إياه ومَنِّه عليه ، ثم أخبره أن له عنده نصيحة ، فسأله عنها بمحضر من أبى عبيد الله وابن علانة ، فاستخلاه منهما ، فأعلمه المهدي نقته بهما ، فأبى أن يبوح له بشيء حتى يقوم ، فأقامهما وأخلاه ، فأخبره خبر الحسن بن إبراهيم وما أجمع عليه^(٤) ، وأن ذلك كائن من ليلته المستقبل ، فوجّه المهدي مَن يثق^(٥) به ليأتيه بخبره ، فأناه بتحقيق ما أخبره به يعقوب ، فأمر بتحويله إلى نُصَيْر ، فلم يزل فى حبسه إلى أن احتال واحتيل له ، فخرج هاربًا ، وافتقِد ، فشاع خبره ، فطلب^(٦) فلم يُظْفَر به ، وتذكر المهدي دلالة يعقوب إياه كانت عليه ، فرجا عنده من الدلالة عليه مثل الذى كان منه فى أمره ، فسأل أبا عبيد الله عنه فأخبره أنه حاضر - وقد كان لزم أبا عبيد الله - فدعا به المهدي خاليًا ، فذكر له ما كان من فعله فى الحسن ابن إبراهيم أولًا ، ونصحه له فيه ، وأخبره بما حدث من أمره ، فأخبره يعقوب أنه لا علم له بمكانه ، وأنه إن أعطاه أمانًا يثق به ضمن له أن يأتيه به ، على أن يتم له على أمانه ، ويصله ويحسن إليه . فأعطاه المهدي ذلك فى مجلسه وضمته له . فقال له يعقوب : فالله يا أمير المؤمنين عن ذكره . ودع طلبه .

١٦٣/٣

(١) اسمه محمد بن عبد الله بن علانة الكلابي ، استقصاه المهدي سنة ١٦١ . انظر تاريخ بغداد ١٢ : ٣٠٧ . (٢) س : « ببغداد » .
(٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار ، من موالى الأشعرين ، كاتب المهدي ونائبه قبل الخلافة وبعدها . وانظر الفخرى ١٦٦ .
(٤) ب ، ج : « وما أجمع به » ، س : « وما أجمع عليه به » .
(٥) ب : « ويوثق » ، ج : « وثق » . (٦) س : « فطلبه » .

فإن ذلك يُوحشه ، ودعى ويزاه حتى أحل فأتيتك به ، فأعطاه المهدي ذلك .
وفال يعقوب : يا أمير المؤمنين ، قد بسطت عدلك لرعيتك ، وأنصفتهم ،
وعمدتهم بخيرك وفضلك . فعظم رجاءهم ، وانفسحت آلامهم ؛ وقد بقيت أشياء
لو ذكرتها لك لم تدع النظر فيها بمثل ما فعلت في غيرها ، وأشياء مع ذلك
خفت بابلك يعمل بها لا تعملها ، فإن جعلت لي السبيل إلى الدخول عليك ،
وأذنت لي في رفعها إليك فعلت . فأعطاه المهدي ذلك ، وجعله إليه ، وصير
سليماً الخادم الأسود خادم المنصور سببه في إعلام المهدي بمكانه كلما أراد
الدخول . فكان يعقوب يدخل على المهدي^(١) ليلاً ، ويرفع إليه النصائح في
الأمر الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وتزويج
العزّاب ، وفكّك الأسارى والمحبّسين والقضاء على الغارمين ، والصدقة على
المتعفين . فحظي بذلك عنده . وبما رجا أن يناله به من الظفر بالحسن بن
إبراهيم ، واتخذ أخا في الله . وأخرج بذلك توقّعاً ، وأثبت في الدواوين ،
فتسبب مائة ألف درهم كانت أول صلة وصلته بها ، فلم تزل منزلته تنمي
وتعلو صعداً ، إلى أن صير الحسن بن إبراهيم في يد المهدي بعد ذلك ؛ وإلى
أن سقطت منزلته ، وأمر المهدي بحبسه ، فقال علي بن الحليل في ذلك :

عجيباً لتصريف الأمو ر مسرة وكرامية^(٢)
والدهر يلعب بالرجسا ل له دوائر جارية^(٣)
رئت بيعقوب بن دا ود جبال معاوية^(٤)
وعدت على ابن علانة ال قاضي بوائق عافية^(٥)
قل للوزير أبي عبيد الله : هل لك باقية !
يعقوب ينظر في الأمو ر وأنت تنظر ناحية

(٢) الأغاني ١٤ : ١٧٨ .

(١) س : « عليه » .

(٣) لم يرد هذا البيت في رواية الأغاني . (٤) معاوية : اسم الوزير أبي عبيد الله .

(٥) عافية بز يزيد الأودي ؛ قاضي المهدي أيضاً .

أدخلته فعلا عليه ك ، كذاك شوْمُ النَّاصِيَةِ^(١)

• • •

وفي هذه السنة عزل المهدي إسماعيل بن أبي إسماعيل عن الكوفة وأحداثها . واختُلفَ فيمن وأتى مكانه ، فقال بعضهم : ولّى مكانه إسحاق بن الصباح الكندي ثم الأشعثي بمشورة شريك بن عبد الله قاضي الكوفة . وقال عمر ابن شبة : ولّى على الكوفة المهدي عيسى بن لقمان بن محمد بن حاطب ابن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمح ، فولّى على شرطه ابن أخيه عثمان بن سعيد بن لقمان . ويقال : إن شريك بن عبد الله كان على الصلاة والقضاء ، وعيسى على الأحداث ، ثم أفرد شريك بالولاية ، فجعل على شرطه إسحاق بن الصباح الكندي ، فقال بعض الشعراء :

لَسْتُ تَعْدُو بَأَنَّ تَكُونَ وَلَوْ نِذًى سُهَيْلاً صَنِيعَةً لِشَرِيكِ

قال : ويزعمون أن إسحاق لم يشكر لشريك ، وأن شريكاً قال له :

صَلَّى وَصَامَ لِدُنْيَا كَانَ يَأْمُلُهَا فَقَدْ أَصَابَ وَلَا صَلَّى وَلَا صَامَا

وذكر عمر أن جعفر بن محمد قاضي الكوفة ، قال : ضمّ المهدي إلى شريك الصلاة مع القضاء ، ولّى شرطه إسحاق بن الصباح ، ثم ولّى إسحاق بن الصباح الصلاة والأحداث بعد . ثم ولّى إسحاق بن الصباح بن عمران ابن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكوفة ، فولّى شرطه النعمان بن جعفر الكندي ، فأت النعمان ، فولّى على شرطه أخاه يزيد بن جعفر .

٤٦٦/٣

وفيها عزل المهدي عن أحداث البصرة سعيد بن دعلج ، وعزل عن الصلاة والقضاء من أهلها عبيد الله بن الحسن ، ولّى مكانهما عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النُميري ، وكتب إلى عبد الملك يأمره بإنصاف مَنْ تظلم

(١) بعده في رواية الأعاني :

وَأَخَذَتْ حَتَفَكَ جَاهِداً بيمينك المتراخية

من أهل البصرة من سعيد بن دعلج ، ثم صُرِفَت الأحداث في هذه السنة عن عبد الملك بن أيوب إلى عُمارة بن حمزة ، فولّاها عُمارَةَ رجلاً من أهل البصرة يقال له المِسْوَر بن عبد الله بن مسلم الباهلي ، وأقرَّ عبد الملك على الصلاة . وفيها عَزِلَ قُثُم بن العباس عن اليمامة عن سخطه ، فوصل كتابُ عزله إلى اليمامة ، وقد تَوَفَّى فاستعمل مكانه بشر بن المنذر البَجَلِي .

وفيها عزل يزيد بن منصور عن اليمن ، واستعمل مكانه رجاء بن رَوْح . وفيها عزل الهَيْثَم بن سعيد عن الجزيرة ، واستعمل عليها الفضل بن صالح . وفيها أعتق المهديّ أمّ ولده الخيزران وتزوَّجها .

وفيها تزوّج المهديّ أيضاً أم عبد الله بنت صالح بن عليّ ، أخت الفضل وعبد الله ابني صالح لأُمّهما .

وفيها وقع الحريق في ذى الحجة في السفن ببغداد عند قصر عيسى بن عليّ ، فاحترق ناس كثير ، واحترقت السفن بما فيها .

وفيها عَزِلَ مطر مولى المنصور عن مصر ، واستعمل مكانه أبو ضمرة محمد بن سليمان .

وفيها كانت حركة من تحرّك من بني هاشم وشيعتهم من أهل خراسان في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وتصيير ذلك لموسى بن المهديّ ؛ فلمّا تبَيَّن ذلك المهديّ كتب - فيما ذكر - إلى عيسى بن موسى في القدوم عليه وهو بالكوفة ، فأحسّ بالذي يُراد به ، فامتنع من القدوم عليه .

وقال عمر : لما أفضى الأمر إلى المهديّ سأل عيسى أن يخرج من الأمر فامتنع عليه ، فأراد الإضرار به ، فولّى على الكوفة رَوْح بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب ، فولّى على شَرْطه خالد بن يزيد بن حاتم ؛ وكان المهديّ يحبّ أن يحمل رَوْح على عيسى بعض الحمل فيما لا يكون عليه به حجة ، وكان لا يجد إلى ذلك سبيلاً ، وكان عيسى قد خرج إلى ضَيْعَة له بالرُّحبة ؛ فكان لا يدخل الكوفة إلّا في شهرين من السنة في شهر رمضان ، فيشهد الجُمُع (١)

والعيد ، ثم يرجع إلى ضيافته . وفي أول ذي الحجة ، فإذا شهد العيد رجع إلى ضيافته ، وكان إذا شهد الجمعة أقبل من داره على دوابه حتى ينتهي إلى أبواب المسجد فينزل على عتبة الأبواب ، ثم يصلّي في موضعه ، فكتب رُوح إلى المهديّ أن عيسى بن موسى لا يشهد الحُصّح ، ولا يدخل الكوفة إلا في شهرين من السنة ؛ فإذا حضر أقبل على دوابه حتى يدخل رحبة المسجد ، وهو مصليّ الناس ، ثم يتجاوزها إلى أبواب المسجد ، فتروث دوابه في مصليّ (١) الناس ؛ وليس يفعل ذلك غيره ؛ فكتب إليه المهديّ أن اتخذ على أفواه السكك التي تلي المسجد خشباً ينزل عنده الناس . فاتخذ رُوح ذلك الخشب في أفواه السكك — فذلك الموضع يسمى الخشبة — وبلغ ذلك عيسى بن موسى قبل يوم الجمعة ، فأرسل إلى ورثة المختار بن أبي عبيدة — وكانت دار المختار (٢) لزيقة (٣) المسجد ، فابتاعها وأثمن بها ، ثم إنه عمرها واتخذ فيها حساناً ، فكان إذا كان يوم الخميس أتاها فأقام بها ، فإذا أراد الجمعة ركب حماراً فدبّ به إلى باب المسجد فصلّي في ناحية ، ثم رجع إلى داره . ثم أوطن الكوفة وأقام بها ، وألحّ المهديّ على عيسى فقال : إنك إن لم تجبني إلى أن تتخلع (٤) منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللت منك عصمتك ما يستحلّ من العاصي ؛ وإن أجبتني عوضتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعاً . فأجابته . فبايعهما وأمر له بعشرة آلاف ألف درهم — وبقال عشرين ألف ألف — وقطائع كثيرة .

٤٦٨/٣

وأما غير عمر فإنه قال : كتب المهديّ إلى عيسى بن موسى لما همّ بخلعه يأمره بالقدوم عليه ، فأحسن بما يرد به ، فاستنع من القدوم عليه ، حتى خيف (٥) انتقاضه ، فأنفذ إليه المهديّ عمه العباس بن محمد ، وكتب إليه كتاباً ، وأوصاه بما أحب (٦) أن يبلغه ، فقدم العباس على عيسى بكتاب المهديّ ورسالته إليه ، فانصرف إلى المهديّ بجوابه في ذلك ، فوجه إليه بعد قدوم العباس عليه محمد بن فروخ أبا هريرة السائي في ألف رجل من أصحابه

٤٦٩/٣

(٢) س : « دارهم » .

(١) س : « مصليّ للناس » .

(٤) ج : « تتخلع » .

(٣) لزيقة المسجد ، أي بجابه .

(٦) ج : « يحب » .

(٥) س : « خاف » .

من ذوى البصرة^(١) في النشيع ، وجعل^(٢) مع كل رجل منهم طبلاً ، وأمرهم أن يضربوا جميعاً بطبولهم عند قدومهم الكوفة . فدخلها ليلاً في وجه الصبح ، فضرب أصحابه بطبولهم ، فراح ذلك عيسى بن موسى روعاً شديداً ، ثم دخل عليه أبو هريرة ، فأمره بالشخوص ، فاعتل بالشكوى فلم يقبل ذلك منه ، وأشخصه من ساعته إلى مدينة السلام .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة يزيد بن منصور - خال المهدي - عند قدومه من اليمن ؛ فحدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ؛ عن أبي معشر . كذلك قال محمد بن عمر الواقدي وغيره . وكان انصراف يزيد بن منصور من اليمن بكتاب المهدي إليه بأمره بالانصراف إليه وتوليته إياه الموسم وإعلامه اشتياقه إليه وإلى قربه .

وكان أمير المدينة في هذه السنة عبيد الله بن صفوان الجُمحى ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندي ، وعلى خراجها ثابت ابن موسى ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله ، وعلى صلاة البصرة عبد الملك ابن أيوب بن ظبيان النميري ، وعلى أحداثها عُمار بن حمزة ؛ وخليفته على ذلك المسور بن عبد الله بن مسلم الباهلي ؛ وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن . وعلى كُور دجلة وكُور الأهواز وكُور فارس عُمار بن حمزة . وعلى السند بسطام بن عمرو ، وعلى اليمن رجاء بن رُوح . وعلى اليمامة بشر بن المنذر ، وعلى خراسان أبوعون عبد الملك بن يزيد ، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد بن سليمان أبو ضمرة .

٤٧٠/٣

(١) ج : « النصره » .

(٢) س : « وحمل » .

ثم دخلت سنة ستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر خروج يوسف البرم]

فمن ذلك ما كان من خروج يوسف بن إبراهيم، وهو الذي يقال له يوسف البرم بخراسان منكراً هو ومن تبعه ممن كان على رأيه على المهدي - فيما زعم - الحال التي هو بها وسيرته التي يسير بها ، واجتمع معه - فيما ذكر - بشر من الناس كثير ، فتوجه إليه يزيد بن مزيد فلقبه ، واقتلا حتى صارا إلى المعانقة فأسره يزيد ، وبعث به إلى المهدي ، وبعث معه من وجوه أصحابه بعدة ؛ فلما انتهى بهم إلى النهر وان حميل يوسف البرم على بعير قد حوّل وجهه إلى ذنب البعير وأصحابه على بعير ، فأدخلوهم الرصافة على تلك الحال ، فأدخلوه على المهدي ، فأمر هرثمة بن أعين فقطع يدَي يوسف ورجليه ، وضرب عنقه وعنق أصحابه ، وصلبهم على جسر دجلة الأعلى ، مما يلي عسكر المهدي ، وإنما أمر هرثمة بقتله ؛ لأنه كان قتل أخا لهرثمة بخراسان .

٤٧١/٣

• • •

[ذكر خبر خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادي]

وفيها قدم عيسى بن موسى مع أبي هريرة يوم الخميس لست خلون من المحرم - فيما ذكر - الفضل بن سليمان فزل داراً كانت لمحمد بن سليمان على شاطئ دجلة في عسكر المهدي ، فأقام أياماً يختلف إلى المهدي ، ويدخل مدخله الذي كان يدخله ؛ لا يكلم بشيء ، ولا يرى جفوة ولا مكروهاً ولا تفصيلاً به ؛ حتى أنس به بعض الأنس ، ثم حضر الدار يوماً قبل جنوس المهدي ، فدخل مجلساً كان يكون للربيع في مقصورة صغيرة ، وعليها باب ، وقد اجتمع رؤساء الشيعة في ذلك اليوم على خلعه والثوب عليه ؛ ففعلوا ذلك

وهو في المقصورة التي فيها مجلس الربيع ، فأغلق دونهم المقصورة ، فضربوا الباب بجرزهم وعمدهم ؛ فهشّموا الباب ، وكادوا يكسرونه ، وشمّوه أقبح الشّمّ ، وحصروه هنالك ؛ وأظهر المهديّ إنكاراً لما فعلوا ، فلم يردعهم ذلك عن فعلهم ؛ بل شدّوا في أمره ؛ وكانوا بذلك هو وهم أياماً ، إلى أن كاشفه ذوو الأسنان من أهل بيته بحضرة المهديّ ، فأبوا إلاّ خلعه ، وشمّوه في وجهه ؛ وكان أشدّهم عليه محمد بن سليمان .

فلما رأى المهديّ ذلك من رأيهم وكرهتهم لعيسى وولايته ؛ دعاهم إلى العهد لموسى ، فصار إلى رأيهم وموافقتهم ، وألح على عيسى في إجابته وإياهم إلى الخروج ممّا له من العهد في أعناق الناس وتحليلهم منه ؛ فأبى ؛ وذكر أن عليه أيماناً محرّجة في ماله وأهله ؛ فأحضر له من الفقهاء والقضاة عدّة ، منهم محمد بن عبد الله بن علّانة والزنجيّ بن خالد المكيّ وغيرهما ؛ فأتوه بما رأوا ، وصار إلى المهديّ ابتياع ماله من البيعة في أعناق الناس بما يكون له فيه رضا وعيوض ، ممّا يخرج له من ماله لما يلزمه من الخنث في يمينه ؛ وهو عشرة آلاف ألف درهم ، وضياح بالزّاب الأعلى وكسكسّ . فقبل ذلك عيسى ، وبقي منذ فواضه المهديّ على الخلع إلى أن أجاب محتسباً عنده في دار الديوان من الرّضافة إلى أن صار إلى الرضا بالخلع والتسليم ، وإلى أن خلّع يوم الأربعاء بقيّن من المحرّم بعد صلاة العصر ، فبايع للمهديّ ولموسى من بعده من الغد يوم الخميس لثلاث بقيّن من المحرّم لارتفاع النهار . ثم أذن المهديّ لأهل بيته ، وهو في قبة كان محمد بن سليمان أهداها له مضروبة في صحن الأبواب ، ثم أخذ بيعتهم رجلاً رجلاً لنفسه ولموسى بن المهديّ من بعده ؛ حتى أتى إلى آخرهم .

ثم خرج إلى مسجد الجماعة بالرّضافة فقمعد على المنبر ، وصعد موسى حتى كأنه دونه . وقام عيسى على أوّل عتبة من المنبر ، فحمد الله المهديّ وأثنى عليه ، وصلى على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأخبر بما أجمع عليه أهل بيته وشيعته وقوّاده وأنصاره وغيرهم من أهل خراسان من خلّع عيسى بن موسى وتصير الأمر الذي كان عقد له في أعناق الناس لموسى بن أمير المؤمنين ؛ لاختيارهم له ورضاهم به ؛ وما رأى من إجابتهم إلى ذلك ؛ لما رجا من مصلحتهم وألفتهم ، وخاف مخالفتهم في نيّاتهم واختلاف كلمتهم ، وأن عيسى قد

خلع تقدّمه ، وحلّهم مما كان له من البيعة في أعناقهم ، وأنّ ما كان له من ذلك فقد صار لموسى بن أمير المؤمنين ؛ بعقد من أمير المؤمنين وأهل بيته وشيعته في ذلك ؛ وأنّ موسى عاملٌ فيهم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم بأحسن السيرة وأعدلها ، فبايعوا معشر من حضر ، وسارعوا إلى ما سارع إليه غيركم ؛ فإنّ الخير كله في الجماعة ، والشرّ كله في الفرقة . وأنا أسأل الله لنا ولكم التوفيق برحمته ، والعمل بطاعته وما يرضيه ، وأستغفر الله لي ولكم .

وجلس موسى دونه معتزلاً للمنبر ؛ لئلا يحول بينه وبين من صعد إليه ، يبايعه ويمسح على يده ، ولا يستر وجهه ، وثبت عيسى قائماً في مكانه ، وقرئ عليه كتاب ذكر الخلع له ، وخروجه مما كان إليه من ولاية العهد وتحليله جماعة من كان له في عنقه بيعة ، مما عقدوا له في أعناقهم ؛ وأنّ ذلك من فعله وهو طائعٌ غير مكره ، راضٍ غير ساخط ، محبٌ غير مجبر . فأقرّ عيسى بذلك ، ثم صعد فبايع المهديّ ، ومسح على يده ، ثم انصرف ، وبايع أهل بيت المهديّ على أسمانهم ؛ يبايعون المهديّ ثم موسى . ويمسحون على أيديهما ؛ حتى فرغ آخرهم ؛ وفعل من حضر من أصحابه ووجوه القوادر والشّيعه مثل ذلك ، ثم نزل المهديّ ، فصار إلى منزله ، ووكل ببيعتة من بقي من الخاصّة والعامة خاله يزيد بن منصور ، فتولّى ذلك حتى فرغ من جميع الناس ، ووقى المهديّ لعيسى بما أعطاه وأرضاه مما خلعه منه من ولاية العهد ، وكتب عليه بخلعه إياه كتاباً أشهد عليه فيه جماعة أهل بيته وصحابته وجميع شيعته وكتّابه وجنده في الدّواوين ؛ ليكون حجة على عيسى ، وقطعاً لقوله ودعواه فيما خرج منه .

٤٧٤/٣

وهذه نسخة الشرط الذي كتبه عيسى على نفسه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله المهديّ محمد أمير المؤمنين ولولّى عهد المسلمين موسى بن المهديّ ، ولأهل بيته وجميع قوادره وجنوده من أهل خراسان وعامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؛ حيث كان كائن منهم ، كتبته للمهديّ محمد أمير المؤمنين ، ولولّى عهد المسلمين موسى بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عليّ ؛ فيما جعل إليه من العهد إذ كان إلى ، حتى اجتمعت كلمة المسلمين ، وانسّق أمرهم ، واثلت أرواؤهم ، على الرضا بولاية موسى بن المهديّ

محمد أمير المؤمنين ، وعرفت الخط في ذلك على الخط فيه لي ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون من الرضا بموسى بن أمير المؤمنين ، والبيعة له ، والخروج مما كان لي في رقابهم من البيعة ، وجعلتكم في حيل من ذلك وسعة ، من غير حرج يدخل عليكم ، أو على أحد من جماعتكم وعامة المسلمين ، وليس في شيء من ذلك ، قديم ولا حديث لي دعوى ولا طلبية ولا حجة ولا مقالة ولا طاعة على أحد منكم ، ولا على عامة المسلمين ولا بيعة في حياة المهدي محمد أمير المؤمنين ولا بعده ولا بعد ولي عهد المسلمين موسى ، ولا ما كنت حياً حتى أموت . وقد بايعت محمد المهدي أمير المؤمنين وموسى بن أمير المؤمنين من بعده ، وجعلت لهما ولعامة المسلمين من أهل خراسان وغيرهم الوفاء بما شرطت على نفسي في هذا الأمر الذي خرجت منه ، والتمام^(١) عليه . على بذلك عهد الله وما اعتقد أحد من خلقه من عهد أو ميثاق أو تغليظ أو تأكيد على السمع والطاعة والنصيحة للمهدي محمد أمير المؤمنين وولي عهده موسى ابن أمير المؤمنين ، في السر والعلانية ، والقول والفعل ، والنية والشدة والرجاء والسر والضرء والموالة لهما ولمن والاهما ، والمعادة لمن عاداهما ، كائناً من كان في هذا الأمر الذي خرجت منه . فإن أنا نكبت^(٢) أو غيرت أو بدلت أو دغلت^(٣) أو نويت غير ما أعطيت عليه هذه الإيمان ، أو دعوت إلى خلاف شيء مما حملت على نفسي في هذا الكتاب للمهدي محمد أمير المؤمنين وولي عهده موسى ابن أمير المؤمنين ولعامة المسلمين ، أو لم أف بذلك ؛ فكل زوجة عندي يوم كتبت هذا الكتاب - أو أترّجها إلى ثلاثين سنة - طالق ثلاثاً ألبنة^(٤) طلاق الحرج^(٥) وكل مملوك عندي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحراراً لوجه الله ، وكل مال لي نقصد أو عترض^(٦) أو قرض أو أرض ، أو قليل أو كثير ، تالذ أو طارف^(٧) أو أستفيده فيما بعد اليوم إلى ثلاثين سنة صدقة على المساكين ، يضع ذلك

(١) تم على الأمر وتم عليه : استمر . (٢) نكبت : عدلت .

(٣) دخل في الشيء : دخل فيه دخول المريب . (٤) يقال لا أفله بنته ، أو ألبنة ، لكل أمر لا رجعة فيه ، وفي قطع الهمة خلاف . ونظر شرح القاموس والصالح .

(٥) طلاق الحرج ، أي طلاق التحريم .

(٦) العرض : المناع ، وكل شيء عرض إلا الدراهم والدينار فإنها فقد .

(٧) التالذ : المال الأصلي القديم . والطارف : المال المستحدث .

الوالى حيث يرى . وعلى من مدينة السلام المشى حافياً إلى بيت الله العتيق الذى بمكة نذراً واجباً ثلاثين سنة ، لا كفارة لى ولا مخرج منه ؛ إلا الوفاء به . والله على الوفاء بذلك راعٍ كفيل شهيد ، وكفى بالله شهيداً . وشهيد على عيسى ابن موسى بإقراره بما فى هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بنى هاشم ومن الموالى والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة .

٤٧٦/٣

وكتب فى صفر سنة ستين ومائة . وختم عيسى بن موسى .

فقال بعض الشعراء :

كَرِهَ الموتَ أبو موسى وقد كان فى الموت نجاءً وكرمٌ
خَلَعَ الملكَ وأضحى مُلبساً ثوبَ لومٍ ما تُرى منه القدم

* * *

وفى سنة ستين ومائة وافى عبد الملك بن شهاب المسمى مدينة باربد بمن توجه معه من المطوّعة وغيرهم ، فنامضوها بعد قدومهم بيوم ، وأقاموا عليها يومين ، فنصبوا المنجنيق وناهضوها بجميع الآلة . وتحاشد الناس ، وحضر بعضهم بعضاً بالقرآن والتذكير ، ففتحها الله عليهم عنوة ، ودخلت خيلهم من كل ناحية ؛ حتى أبلجهم إلى بدّهم ، فأشعلوا فيها النيران والنّقط ، فاحترق منهم من احترق ، وجاهد بعضهم المسلمين . فقتلهم الله أجمعين ، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلاً . وأفاءها الله عليهم . وهاج البحر فلم يقدرُوا على ركوبه والانصراف . فأقاموا إلى أن يطيب ، فأصابهم فى أفواههم داءٌ يقال له حُمَامٌ قُرٌّ ، فمات نحو من ألف رجل ، منهم الربيع بن صبيح . ثم انصرفوا لما أمكنهم الانصراف حتى بلغوا ساحلاً من فارس ، يقال له بحر حرمان ، فعصفت عليهم فيه الريح ليلاً ، فكسرت عامة مراكبهم ، فغرق منهم بعض ونجا بعض ، وقدموا معهم بسبي من مبييهم — فيهم بنت ملك باربد — على محمد بن سليمان ، دهر يومئذ والى البصرة .

٤٧٧/٣

وفيها صيّر أبان بن صدقة كاتباً لحارون بن المهدي وزيراً له .

وفيها عزل أبرعون عن خراسان عن سَخْطَلَة ، وولى مكانه معاذ بن مسلم .

وفيهما غزا ثمامة بن الوليد العبسي الصائفة .
وفيهما غزا الغمر بن العباس الخثعمي بحر الشام .

• • •

[ذكر خبر ردّ نسب آل بكرة وآل زياد]

وفيهما ردّ المهديّ آل بكرة من نسبهم في ثقيف إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان سبب ذلك أن رجلاً من آل أبي بكر رفع ظُلامة إلى المهديّ ، وتقرّب إليه فيها بولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المهديّ : إن هذا نسب واعتزاء ، ما تقرّون به إلّا عند حاجة تعرض لكم ، وعند اضطراركم إلى التقرّب به إلينا . فقال الحكمم : يا أمير المؤمنين ، من جحد ذلك فإننا سنقرّ ؛ أنا أسألك أن تردّني ومعشر آل أبي بكر إلى نسبنا من ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : وتأمّر بآل زياد بن عبيد فيخرجوا من نسبهم الذي ألحقهم به معاوية رغبة عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الولد للفراس وللعاهر الحجر » ، فيردّوا إلى نسبهم من عبيد في موالي ثقيف . فأمر المهديّ في آل أبي بكر وآل زياد أن يردّ كلّ فريق منهم إلى نسبه ، وكتب إلى محمد بن سليمان كتاباً ، وأمره أن يقرأ في مسجد الجماعة على الناس ، وأن يردّ آل أبي بكر إلى ولائهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبهم إلى ثقيف ابن مسروح ، وأن يردّ على من أقرّ منهم ما أمر بردّه عليهم من أموالهم بالبصرة مع نظرانهم ، من أمر بردّ ماله عليه ، وألاّ يردّ على من أنكر منهم ، وأن يجعل الممتحن منهم والمستبرئ لما عندهم الحكمم بن سمرقند . فأنفذ محمد ما أتاها في آل أبي بكر إلّا في أناس منهم غيب^(١) عنهم .

وأما آل زياد فإنّه مما قوّى رأى المهديّ فيهم — فيما ذكر عليّ بن سليمان — أن أباه حدّثه ، قال : حضرت المهديّ وهو ينظر في المظالم إذ قدم عليه رجل من آل زياد يقال له الصغدّي بن سلم بن حرب ، فقال له : من أنت ؟ قال : ابن عمك ، قال : أيّ ابن عمي أنت ؟ فانتسب إلى زياد ، فقال له المهديّ : يا بن سميّة الزانية ، متى كنت ابن عمي ! وغضب وأمر به فوجئ في عنقه ، وأخرج ، ونهض الناس .

(١) يقال : قوم غيب ، بالتحريك ، أي غائبون .

قال : فلمّا خرجت لحقني عيسى بن موسى - أو موسى بن عيسى - فقال : أردتُ والله أن أبعثَ إليك ، أن أمير المؤمنين التفت إلينا بعد خروجك ، فقال : من عنده علم من آل زياد ؟ فوالله ما كان عند أحد منا من ذلك شيء ، فما عندك يا أبا عبد الله ؟ فما زلت أحدثه في زياد وآل زياد حتى صرنا إلى منزله بباب المحوّل ، فقال : أسألك بالله والرحم لما كتبت لي هذا كله حتى أروح به إلى أمير المؤمنين ، وأخبره عنك . فأنصرفت فكتبت ، وبعثت به إليه . فراح إلى المهديّ ، فأخبره ، فأمر المهديّ بالكتاب إلى هارون الرشيد ؛ وكان والي البصرة من قبله يأمره أن يكتب إلى واليها يأمره أن يخرج آل زياد من قريش وديوانهم والعرب ، وأن يعرض ولد أبي بكرّة على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن أقرّ منهم ترك ماله في يده ، ومن انتمى إلى ثقيف اصطفى ماله . فعرضهم ، فأقرّوا جميعاً بالولاء ، إلا ثلاثة نفر ، فاصطفيت أموالهم . ثم إن آل زياد بعد ذلك رشّوا صاحب الديوان حتى ردّهم إلى ما كانوا عليه ، فقال خالد النجار في ذلك :

٧٩/٣

إن زياداً ونافعاً وأباً بكرةً عندي من أعجب العجَبِ
ذا قرشيٍّ كما يقولُ ، وذا مولىً ، وهذا - بزعمه - عَرَبِيٌّ

* * *

نسخة كتاب المهديّ إلى والي البصرة في ردّ

آل زياد إلى نسبهم

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ؛ فإنّ أحقّ ما حمّل عليه ولاية المسلمين أنفسهم وخواصّهم وعوامّهم في أمورهم وأحكامهم ، العمل بينهم بما في كتاب الله والاتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصبر على ذلك ، والمواظبة عليه ، والرضا به فيما وافقهم وخالفهم ؛ للذي فيه من إقامة حدود الله ومعرفة حقوقه ، واتباع مرضاته ، وإحراز جزائره وحسن ثوابه ، ولما في مخالفة ذلك والصدود عنه وغلبة الهوى لغيره من الضلال والخسار في الدنيا والآخرة .

٨٠/٣

وقد كان من رأى معاوية بن أبي سفيان في استلحاقه زياد بن عبيد عبد آل علاج من ثقيف ، وادّعائه ما أباه بعد معاوية عامة المسلمين وكثير

منهم في زمانه ، لعلمهم بزياد وأبي زياد وأمه من أهل الرضا والفضل والورع والعلم ، ولم يدع معاوية إلى ذلك ورع ولا هدى ، ولا اتباع سنة هادية ، ولا قدوة من أئمة الحق ماضية ، إلا الرغبة في هلاك دينه وآخرته ، والتصميم على مخالفة الكتاب والسنة . والعجب بزياد في جسدده ونفاذه ، وما رجا من معونته وموازرتة إياه على باطل ما كان يركن إليه في سيرته وآثاره وأعماله الخبيثة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الولد للفراش ولأعماله الحجر» ، وقال : «مَنْ ادَّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه لا صرفاً ولا عدلاً»^(١) .

ولعمري ما وُلد زياد في حجر أبي سفيان ولا على فراشه ، ولا كان عبداً لأبي سفيان ، ولا سمية أمة له ، ولا كانا في ملكه ، ولا صارا إليه لسبب من الأسباب . ولقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للأحاديث عند كلام نصر بن الحجاج بن عُلَاط السُّلَمي ومَنْ كان معه من موالى بني المغيرة المخزوميين وإرادتهم استلحاقه وإثبات دعوته ، وقد أعد لهم معاوية حجراً تحت بعض فرشه فألقاه إليهم ، فقالوا له : نسوخ لك ما فعلت في زياد ، ولا تسوخ لنا ما فعلنا في صاحبنا ، فقال : قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لكم من قضاء معاوية . فخالف معاوية بقضائه في زياد واستلحاقه إياه وما صنَّع فيه وأقدم عليه ، أمر الله جل وعزّ وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واتَّبِع في ذلك هواه رغبة عن الحق ومجانبة له ، وقد قال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيَرٌ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) ، وقال لداود صلى الله عليه وسلم وقد آتاه الحكم والنبوة والمال والخلافة : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) ... الآية إلى آخرها .

فأمير المؤمنين يسأل الله أن يعصم له نفسه ودينه ، وأن يعيذه من غلبة الهوى ، ويوفقه في جميع الأمور لما يحب ويرضى : إنه سميع قريب .

(١) الصرف : التوبة . والعدل : القديرة .

(٢) سورة القصص ٥٠ .

(٣) سورة ص ٢٦ .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يردّ زياداً ومَنْ كان من ولده إلى أمّهم ونسبهم المعروف ويلحقهم بأبيهم عبيد؛ وأمهم سمّية، ويتبع في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه الصالحون وأئمة الهدى، ولا يجيز معاوية ما أقدم عليه مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان أمير المؤمنين أحقّ مَنْ أخذ بذلك وعمل به؛ لقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتباعه آثاره وإحيائه سنته، وإبطاله سنن غيره الزائغة الجائرة عن الحق والهدى، وقد قال الله جلّ وعزّ: ﴿فَمَاذَا بَعُدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾^(١).

فاعلم أن ذلك من رأى أمير المؤمنين في زياد، وما كان من ولد زياد فألحقهم بأبيهم زياد بن عبيد، وأمهم سمّية، واحملهم عليه، وأظهره لمن قبلك من المسلمين حتى يعرفوه ويستقيم فيهم؛ فإن أمير المؤمنين قد كتب إلى قاضي البصرة وصاحب ديوانهم بذلك. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب معاوية بن عبيد الله في سنة تسع وخمسين ومائة.

فلما وصل الكتاب إلى محمد بن سليمان وقع بإنقاده، ثم كلّم فيهم، فكف عنهم؛ وقد كان كتب إلى عبد الملك بن أيوب بن ظَبْيَان النُمَيْرِيّ بمثل ما كتب به إلى محمد، فلم ينفذه لموضعه من قيس، وكراهته أن يخرج أحد من قومه إلى غيرهم.

٨٢/٣

• • •

وفيها كانت وفاة عبيد الله بن صفوان الجَمَحِيّ، وهو وال على المدينة، فولّى مكانه محمد بن عبد الله الكثيريّ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عُزِلَ وولّى مكانه زُفَر بن عاصم الهَلَالِيّ. وولّى المهديّ قضاء المدينة فيها عبد الله بن محمد بن عمران الطَّلَحِيّ.

وفيها خرج عبد السلام الخارجي، فقتل.

وفيها عزّل بَسْطَام بن عمرو عن السُّنْد، واستعمل عليها رَوْح بن حاتم.

وحجّ بالناس في هذه السنة المهديّ، واستخلف على مدينته حين شخص

عنها ابنته موسى ، وخلف معه يزيد بن منصور خال المهديّ وزيراً له ومدبراً لأمره .

وشخص مع المهديّ في هذه السنة ابنه هارون وجماعة من أهل بيته ؛ وكان ممّن شخص معه يعقوب بن داود ، على منزلته التي كانت له عنده ؛ فأتاه حين وافى مكة الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الذي استأمن له يعقوب من المهديّ على أمانه ، فأحسن المهديّ صلته وجازته ، وأقطعها مالا من الصّوافي بالحجاز .

وفيها نزع المهديّ كسوة الكعبة التي كانت عليها ، وكساها كسوة جديدة ؛ وذلك أن حجابة الكعبة — فيما ذكر — رفعوا إليه أنهم يخافون على الكعبة أن تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة ، فأمر أن يكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجردة ، ثم طلي البيت كله بالخلق ، وذكر أنهم لما بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجاً ثخيناً جيداً ، وجدوا كسوة من كان قبله عامتها من متاع اليمن .

وقسم المهديّ في هذه السنة بمكة في أهلها — فيما ذكر — مالا عظيماً ، وفي أهل المدينة كذلك ؛ فذكر أنه نظّر فيما قسم في تلك السفرة فوجد ثلاثين ألف ألف درهم ، حُمِلت معه ، ووصلت إليه من مصر ثلثائة ألف دينار ، ومن اليمن مائتا ألف دينار ، فقسم ذلك كله . وفرّق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ، ووسّع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر بنزع المقصورة التي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فترعت ، وأراد أن ينقص منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيدّه إلى ما كان عليه ، ويلقى منه ما كان معاوية زاد فيه ؛ فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور في ذلك ، فقيل له : إن المسامير قد سلكت في الخشب الذي أحدثه معاوية ، وفي الخشب الأول وهو عتيق ، فلا تأمن إن خرجت المسامير التي فيه وزعزعت أن يتكسر ، فركه المهديّ .

وأمر أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرساً له بالعراق وأنصاراً ، وأجرى عليهم أرزاقاً سوى أعطياتهم ، وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم .

وتزوج في مقامه بها برقيّة بنت عمرو العُمانيّة .
 وفي هذه السنة حمل محمد بن سليمان الثلج للمهدى ، حتى وافى به مكة ،
 فكان المهدىّ أوّل من حُمِلَ له الثلج إلى مكة من الخلفاء .
 وفيها ردّ المهدىّ على أهل بيته وغيرهم قطائعهم التي كانت مقبوضة عنهم .

« » «

وكان على صلاة الكوفة وأحداثها في هذه السنة إسحاق بن الصباح الكندي ،
 وعلى قضائها شريك . وعلى البصرة وأحداثها وأعمالها المفردة وكُور دجلة والبحرين
 وُعثمان وكُور الأهواز وفارس محمد بن سليمان . وكان على قضاء البصرة فيها
 عبيد الله بن الحسن . وعلى خراسان معاذ بن مسلم ، وعلى الجزيرة الفضل بن
 صالح ، وعلى السُّند رَوْح بن حاتم . وعلى إفريقية يزيد بن حاتم . وعلى مصر
 محمد بن سليمان أبو ضمرة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان من ذلك خروج حكيم المقتنع بخراسان من قرية من قرى مرو ، وكان -- فيما ذكر -- يقول بتناسخ الأرواح ، يعود ذلك إلى نفسه ، فاستغوى بشراً كثيراً ، وقوى وصار إلى ما وراء النهر ، فوجه المهدي لقتاله عدة من قواده : فيهم معاذ بن مسلم : وهو يومئذ على خراسان ، ومعه عتبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وليث مولى المهدي . ثم أفرد المهدي لمحاربته سعيداً الحرشي ، وضم إليه القواد ، وابتدأ المقتنع بجمع الطعام عدةً للحصار في قلعة بكش .

* * *

وفيها ظفر نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي بعبد الله بن مروان بالشأم ، فقدم به على المهدي قبل أن يوليّه السند ، فحبسه المهدي في المطبق ؛ فذكر أبو الخطاب أن المهدي أتى بعبد الله بن مروان بن محمد -- وكان يكنى أبا الحكم -- فجلس المهدي مجلساً عاماً في الرصافة ، فقال : من يعرف هذا ؟ فقام عبد العزيز بن مسلم العقيلي : فصار معه قائماً ، ثم قال له : أبو الحكم ؟ قال : نعم ابن أمير المؤمنين ، قال : كيف كنت بعدى ؟ ثم التفت إلى المهدي ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هذا عبد الله بن مروان . فعجب الناس من جرأته ، ولم يعرض له المهدي بشيء .

قال : ولما حبس المهدي عبد الله بن مروان احتيل عليه ، فجاء عمرو بن سهلة الأشعري فادعى أن عبد الله بن مروان قتل أباه . فقدمه إلى عافية القاضي ، فتوجه عليه الحكم أن يقاد به ، وأقام عليه البيعة ، فلما كاد الحكم يبرم جاء عبد العزيز بن مسلم العقيلي إلى عافية القاضي يتخطى رقاب الناس : حتى صار إليه ، فقال : يزعم عمرو بن سهلة أن عبد الله بن مروان قتل أباه ، كذب والله ما قتل أباه غيري ؛ أنا قتلته بأمر

مروان ، وعبدُ الله بن مروان من دمه برىء . فزالَت عن عبد الله بن مروان ، ولم يعرض المهديّ لعبد العزيز بن مسلم لأنه قتله بأمر مروان .

• • •

وفيهَا غزا الصّائفة ثمانية بن الوليد . فنزل دابق ، وجاشت الرّوم وهو مغترّ ، فأنتت طلائعه وعيونه بذلك ، فلم يحفل بما جاءوا به ، وخرج إلى الرّوم ، وعليها ميخائيل بسرّعان الناس^(١) ، فأصيب من المسلمين عدّة ، وكان عيسى بن عليّ مرابطاً بحصن مرّعش يومئذ ، فلم يكن للمسلمين في ذلك العام صائفة من أجل ذلك .

٤٨٦/٣

وفيهَا أمر المهديّ ببناء القصور في طريق مكة أوسع من القصور التي كان أبو العباس بناها من القادسيّة إلى زُبالة ، وأمر بالزيادة في قصور أبي العباس ، وترك منازل أبي جعفر التي كان بناها على حالها ، وأمر باتّخاذ المصانع في كلّ منهل ، وبتجديد الأميال والبرك ، وحفر الرّكايا مع المصانع ، وولّى ذلك يقطين بن موسى ، فلم يزل ذلك إليه إلى سنة إحدى وسبعين ومائة ، وكان خليفة يقطين في ذلك أخوه أبو موسى .

وفيهَا أمر المهديّ بالزيادة في مسجد الجامع بالبصرة ، فزيد فيه من مقدّمه ممّا يلي القبلة ، وعن يمينه ممّا يلي رجة بني سليم ، وولّى بناء ذلك محمد بن سليمان وهو يومئذ والي البصرة .

وفيهَا أمر المهديّ بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المناير وتقصيرها إلى المقدار الذي عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب بذلك إلى الآفاق فعُمل به .

وفيهَا أمر المهديّ يعقوب بن داود بتوجيه الأمناء في جميع الآفاق ، فعَمِلَ به ، فكان لا ينفذ للمهديّ كتاب إلى عامل فيجوز حتّى يكتب يعقوب بن داود إلى أمينه وثقته بإنفاذ ذلك .

وفيهَا اتّضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهديّ ، وضمّ يعقوب إليه من متفكّهة البصرة وأهل الكوفة وأهل الشّام عدداً كثيراً ، وجعل رئيس البصريين والقائم بأمرهم إسماعيل بن عُلَيّة الأسديّ ومحمد بن ميمون العنبريّ ، وجعل رئيس أهل الكوفة وأهل الشّام عبد الأعلى بن موسى الحلبيّ .

٤٨٧/٣

(١) سرعان الناس : أوائلهم .

ذكر السبب الذي من أجله
تغيرت منزلة أبي عبيد الله عند المهديّ

قد ذكرنا سبب اتصاله به الذي كان قبلُ في أيام المنصور وضمّ المنصور إياه إلى المهديّ حين وجهه إلى الرّميّ عند خلّع عبد الجبار بن عبد الرحمن المنصور ، فذكر أبو زيد عمر بن شبّة ، أنّ سعيد بن إبراهيم حدثه أنّ جعفر بن يحيى حدثه أنّ الفضل بن الرّبيع أخبره ، أنّ الموالى كانوا يشنعون على أبي عبيد الله عند المهديّ ، ويسعون عليه عنده ؛ فكانت كتب أبي عبيد الله تنفذ عند المنصور بما يريد من الأمور ، وتتخلّص الموالى بالمهديّ ؛ فيبلغونه عن أبي عبيد الله ، ويحرّضونه عليه .

قال الفضل : وكانت كتب أبي عبيد الله تصل إلى أبي تشرّفى ، يشكو الموالى وما يلحق منهم ، ولا يزال يذكره عند المنصور ويخبره بقيامه ، ويستخرج الكتب عنه إلى المهديّ بالوصاة به ، وترك القبول^(١) فيه . قال : فلمّا رأى أبو عبيد الله غلبة الموالى على المهديّ ، وخلّصوهم به نظر إلى أربعة رجال من قبائل شتى من أهل الأدب والعلم ، فضمّهم إلى المهديّ ، فكانوا في صحابته ، فلم يكونوا يدعون الموالى يتخلّصون به .

ثمّ إنّ أبا عبيد الله كلّم المهديّ في بعض أمره إذ اعترض رجل من هؤلاء الأربعة في الأمر الذي تكلم فيه ، فسكت عنه أبو عبيد الله ، فلم يرادّه ، وخرج فأمر أن يحجب عن المهديّ فحجبه عنه ؛ وبلغ ذلك من خبره أبى .

• • •

قال : وحجّ أبى مع المنصور في السنة التي مات فيها ، وقام أبى من أمر المهديّ بما قام به من أمر البيعة وتجديدها على بيت المنصور والقواد والموالى ؛ فلما قدم تلقّيته بعد المغرب ، فلم أزل معه حتى تجاوز منزله ، وترك دار المهديّ ، ومضى إلى أبى عبيد الله ، فقال : يا بنى ؛ هو صاحب الرجل ؛ وليس ينبغي أن نعامله على ما كنّا نعامله عليه ؛ ولا أن نحاسبه بما كان منا في أمره من نصرتنا له . قال : فضينا حتى أتينا باب أبى عبيد الله ؛ فما زال واقفاً حتى صليتُ

(١) أى ترك قبول القول فيه .

العَثمَة ، فخرج الحاجب ، فقال : ادخل : ففنى رجله وثبت رجله . قال : إنما استأذنت لك يا أبا الفضل وحدك . قال : اذهب فأخبره أن الفضل معي . قال : ثم أقبل على ، فقال : وهذا أيضًا من ذلك ! قال : فخرج الحاجب ، فأذن لنا جميعًا . فدخلنا أنا وألى . وأبو عبيد الله في صدر المجلس ، على مصلّى متكئ على وسادة ، فقلت : يقوم إلى أبى إذا دخل إليه ، فلم يقم إليه ، فقلت : يستوى جالسًا إذا دنا ، فلم يفعل ، فقلت : يدعوله بمصلى ، فلم يفعل . فتعد أبى بين يديه على البساط وهو متكئ ، فجعل يسأله عن مسيره وسفره وحاله ، وجعل أبى يتوقع أن يسأله عما كان منه في أمر المهديّ وتجديد بيعته . فأعرض عن ذلك ، فذهب أبى يبتدئه بذكره . فقال : قد بلغنا نبؤكم . قال : فذهب أبى لينهض . فقال : لا أرى الدروب إلا وقد غلقت . فلو أقمت ! قال : فقال أبى : إن الدروب لا تغلق دوني ، قال : بلى قد أغلقت . قال : فظنّ أبى أنه يريد أن يحتسبه ليسكن من مسيره ، ويريد أن يسأله ، قال : فأقيم . قال : يا فلان ، اذهب فهيتي لأبى الفضل في منزل محمد بن أبى عبيد الله مبيتًا . فلما رأى أنه يريد أن يخرج من الدار ، قال : فليس تغلق الدروب دوني فأعترم . ثم قام : فلما خرجنا من الدار أقبل على فقال : يا بني ، أنت أحق ، قلت : وما حمى أنا ! قال : تقول لي : كان ينبغي لك ألاّ تجيء : وكان ينبغي إذا جئت فحجبنا ألاّ تقيم حتى صليت العثمَة ، وأن تصرف ولا تدخل ؛ وكان ينبغي إذا دخلت فلم يقم إليك أن ترجع ولا تقيم عليه ؛ ولم يكن الصواب إلاّ ما عملت كله ؛ ولكن والله الذي لا إله إلاّ هو - واستنق في اليمين - لأخلعن جاهي ، ولأنفقن مالي حتى أبلغ من أبى عبيد الله .

٤٨٩/٣

قال : ثم جعل يضطرب بجهده ، فلا يجد مساعًا إلى مكروهه ؛ ويحتال الجدل إذ ذكر القشيريّ الذي كان أبو عبيد الله حجبته ، فأرسل إليه فجاءه ،

(١ - ١) في ابن الأثير : « فلما خرج من عنده قال له ابنه الفضل : لقد بلغ فعل هذا بك ما فعل ، وكان الرأي ألاّ تأتيه ، وحيث أتيتك وحجبتك أن تعود ، وحيث دخلت عليه فلم يقم لك أن تعود ؛ فقال لابنه : أنت أحق » .

فقال : إنك قد علمت ما ركبك به أبو عبيد الله ، وقد بلغ منى كل غاية من المكروه ، وقد أرغمت^(١) أمره بجهدى ؛ فما وجدت عليه طريقاً ، فعندك حيلة فى أمره ؟ فقال : إنما يؤتى أبو عبيد الله من أحد وجوه أذكرها لك ... يقال : هو رجل جاهل بصناعته وأبو عبيد الله أحذق الناس ، أو يقال : هو ظنين فى الدين بتقليده ، وأبو عبيد الله أعف الناس ؛ لو كان بنات المهديّ فى حجره لكان لمن موضع ؛ أو يقال : هو يميل إلى أن يخالف السلطان فليس يؤتى أبو عبيد الله من ذلك ؛ إلا أنه يميل إلى التمدد ببعض الميول ؛ وليس يتسلق عليه بذاك أن يقال : هو متهم ؛ ولكن هذا كله مجتمع لك فى ابنه ؛ قال : فتناوله الربيع ، فقبل بين عينيه ، ثم دب لابن أبي عبيد الله ؛ فوالله ما زال يحتال ويدس إلى المهديّ ويتهمه ببعض حُرْمِ المهديّ ؛ حتى استحکم عند المهديّ الظلّة بمحمد بن أبي عبيد الله ، فأمر فأحضر ، وأخرج أبو عبيد الله . فقال : يا محمد اقرأ ، فذهب ليقرا ، فاستعجم عليه القرآن ، فقال : يا معاوية^(٢) ألم تعلمنى أن ابنك جامع للقرآن ؟ قال : أخبرتك يا أمير المؤمنين ، ولكن فارقتى منذ سنين ؛ وفى هذه المدة التى نأى فيها عني نسي القرآن ، قال : قم فتقرب إلى الله فى دمه ، فذهب ليقوم فوقع ، فقال العباس بن محمد : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تغنى الشيخ ! قال : ففعل ، وأمر به فأخرج ، فضربت عنقه .

قال : فاتهمه المهديّ فى نفسه ، فقال له الربيع : قتلت ابنه ، وليس ينبغى أن يكون معك ، ولا أن تثق به . فأوحش المهديّ ؛ وكان الذى كان من أمره وبلغ الربيع ما أراد ، واشتفى وزاد .

وذكر محمد بن عبد الله^(٣) يعقوب بن داود ، قال : أخبرنى أبى ، قال : ضرب المهديّ رجلاً من الأشعرين ، فأوجعه ، فتعصب أبو عبيد الله — وكان مولى لهم ، فقال : القتل أحسن من هذا يا أمير المؤمنين ، فقال له المهديّ : يا يهودى ، اخرج من عسكرى لعنك الله . قال : ما أدرى إلى أين أخرج

(١) أرغمت : ظلمت . (٢) معاوية بن يسار ، اسم أبي عبيد الله كاتب المهدي .

(٣) ط . « أبى عبد الله » ، وانظر الفهرس .

٤٩١/٣ : إلّا إلى النار ! قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، أحرّ بهذا أن مثلها يتوقع ،
قال : فقال لي : سبحان الله يا أبا عبيد الله !

• • •

وفيها غزا الغمر بن العباس في البحر .

وفيها ولّى نصر بن محمد بن الأشعث السند مكان رّوح بن حاتم ، وشخص
إليها حتى قدمها ثم عزّل : وولّى مكانه محمد بن سليمان ، فوجّه إليها عبد الملك
ابن شهاب المسمعي ، فقدمها على نصر ، فبغته ، ثم أذن له في الشخوص ،
فشخص حتى نزل الساحل على ستة فراسخ من المنصورة ؛ فأتى نصر بن محمد
عهده على السند ، فرجع إلى عمله ؛ وقد كان عبد الملك أقام بها ثمانية عشر
يوماً ، فلم يعرض له ، فرجع إلى البصرة .

وفيها استقضى المهديّ عافية بن يزيد الأزديّ ؛ فكان هو وابنُ علانة
يقضيان في عسكر المهديّ في الرّصافة ؛ وكان القاضي بمدينة الشرقية عمر بن
حبیب العدويّ .

وفيها عزّل الفضل بن صالح عن الجزيرة ، واستعمل عليها عبد الصمد
ابن عليّ .

وفيها استعمل عيسى بن لقمان على مصر .

وفيها ولّى يزيد بن منصور سواد الكوفة وحسان الشروى الموصل وبسطام
ابن عمرو التغلبيّ أذربيجان .

وفيها عزل أبا أيوب المسمى سليمان المكيّ عن ديوان الخراج ، وولّى مكانه
أبو الوزير عمر بن مطرف .

وفيها توفّي نصر بن مالك من فالح أصابه ، ودفن في مقابر بني هاشم
وصلّى عليه المهديّ .

٤٩٢/٣ وفيها صرف أبان بن صدقة عن هارون بن المهديّ إلى موسى بن المهديّ ،
وجعله له كاتباً ووزيراً ، وجعل مكانه مع هارون ابن المهديّ يحيى بن خالد
ابن برمك .

وفيها عزل محمد بن سليمان أبا ضَمْرَةَ عن مصرف ذى الحجة المهدى
وولّاها سلمة بن رجاء .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة موسى بن محمد بن عبد الله الهادى ، وهو
ولىّ عهد أبيه .

وكان عامل الطائف ومكة واليامة فيها جعفر بن سليمان ، وعلى صلاة
الكوفة وأحداثها إسحاق بن الصباح الكندى ، وعلى سوادها يزيد بن منصور .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[خبر مقتل عبد السلام الخارجي]

فمن ذلك ما كان من مقتل عبد السلام الخارجي بِقَنَسَرِينَ .
ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر أن عبد السلام بن هاشم اليشكريّ هذا خرج بالجزيرة ، وكثر بها أتباعه ، واشتدّت شوكته ، فلتيه من قوَاد المهديّ عِدَّة ، منهم عيسى بن موسى القائد ، فقتله في عدّة ممّن معه ، وهزم جماعة من القوَاد ، فوجّه إليه المهديّ الجنود ، فنكب غير واحد من القوَاد ، منهم شبيب بن واج المروزيّ ، ثم ندب إلى شبيب ألف فارس ، أعطى كلّ رجل منهم ألف درهم معونة ، وألحقهم بشبيب فوافوه ، فخرج شبيب في أثر عبد السلام ، فهرب منهم حتى أتى قَنَسَرِينَ ، فلحقه بها فقتله .

• • •

وفيها وضع المهديّ دواوين الأزمّة^(١) ، وولّى عليها عمر بن بزّيع موله ، فولّى عمر بن بزّيع التّعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق .
وفيها أمر المهديّ أن يجرى على المخذّمين وأهل السجون في جميع الآفاق .
وفيها ولّى ثُمّامة بن الوليد العبسيّ الصّائفة ، فلم يتمّ ذلك .
وفيها خرجت الروم إلى الحدّث ، فهدموا سورها .

وغزا الصّائفة الحسن بن قحطبة في ثلاثين ألف مرتزق سوى المطوّعة ، فبلغ حمّة أذروليّة : فأكثر التّخريب والتّحريق في بلاد الروم من غير أن يفتح حصنًا ، ويلقى جمعًا ، وسمّته الروم التّنين . وقيل : إنه إنما أتى

(١) أي يكون لكل ديوان زمام ؛ وله رجل يضبطه .

هذه الحمة الحسنُ ليستنقع فيها للوضح^(١) الذي كان به ؛ ثم قفل بالناس سالمين .
وكان على قضاء عسكره وما يجتمع من الفىء حَقْصُ بن عامر السُّلَمي .

قال : وفيها غزا يزيد بن أسيد السُّلَمي من باب قاليقلا ، فغنم وفتح
ثلاثة حصون ، وأصاب سببياً كثيراً وأسرى .

وفيها عزل علي بن سليمان عن اليمن ، وولّى مكانه عبد الله بن سليمان .
وفيها عزل سلمة بن رجاء عن مصر ، ووليها عيسى بن لقمان ، في
الحرم ، ثم عزل في جمادى الآخرة ، ووليها واضح مولى المهدي ، ثم عزل
في ذى القعدة ووليها يحيى الحرشي .

وفيها ظهرت المحمرة بجرجان ، عليهم رجل يقال له عبد القهار ، فغلب
على جرجان ، وقتل بشراً كثيراً ، فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان . فقتل
عبد القهار وأصحابه .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن جعفر بن المنصور ؛ وكان العباس
ابن محمد استأذن المهدي في الحجّ بعد ذلك ؛ فعاتبه على ألا يكون استأذنه
قبل أن يولّى الموسم أحداً فيوليه إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عمداً أخرتُ
ذلك لأنّي لم أرد الولاية .

* * *

وكانت عمال الأمصار عمالها في السنة التي قبلها . ثم إن الجزيرة كانت
في هذه السنة إلى عبد الصمد بن علي وطبرستان والرويان إلى سعيد بن
دعلج ، وجرجان إلى مهلهل بن صفوان .

(١) الوضح : يكتن به عن البرص .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان فيها من هلاك المقنّع ؛ وذلك أن سعيداً الحرّشيّ حصره بكش ، فاشتدّ عليه الحصار ، فلما أحسّ بالهلكة شرب سُمّاً ، وسقاه نساءه وأهله ، فمات وماتوا - فيما ذكر - جميعاً ، ودخل المسلمون قلعته ، واحتزّوا رأسه ، ووجّهوا به إلى المهديّ وهو بحلب .

• • •

[ذكر خبر غزو الروم]

وفيهما قطع المهديّ البعوث للصائفة على جميع الأجناد من أهل خراسان وغيرهم ، وخرج فمسكر بالبرّدان ، فأقام به نحواً من شهرين يتعباً فيه ويتهيأ ، ويعطي الجنود ، وأخرج بها صلات لأهل بيته الذين شخّصوا معه ، فتوفّي عيسى بن عليّ في آخر جمادى الآخرة ببغداد . وخرج المهديّ من الغد إلى البرّدان متوجّهاً إلى الصائفة ، واستخلف ببغداد موسى بن المهديّ ، وكاتبه يومئذ أبان بن صدقة ؛ وعلى خاتمه عبد الله بن علاثة ، وعلى حرسه عليّ بن عيسى ، وعلى شُرطه عبد الله بن خازم^(١) ؛ فذكر العباس بن محمد أنّ المهديّ لما وجهه الرشيد إلى الصائفة سنة ثلاث وستين ومائة خرج يشيعة وأنا معه ؛ فلما حاذى قصر مسلمة ، قلت : يا أمير المؤمنين ، إن لمسلمة في أعناقنا مينة ؛ كان محمد بن عليّ مرّ به ، فأعطاه أربعة آلاف دينار ، وقال له : يا بن عمّ هذان ألفان لديّك ، وألفان لمعونتك ، فإذا نفدت فلا تحتشمنّا . فقال لما جدّته الحديث : أحضروا منّ هاهنا من ولد مسلمة ومواليه ، فأمر لهم بعشرين ألف دينار ، وأمر أن تُجرى عليهم الأرزاق ، ثم قال : يا أبا الفضل ، كافأنا مسلمة وقضينا حقّه ؟ قلت : نعم ، وزدت يا أمير المؤمنين .

٤٩٥/٣

(١) ط : « خازم » ، تصحيف ، صوابه من ١ ، وانظر الفهرس .

وذكر إبراهيم بن زياد ، عن الهيثم بن عدى ، أن المهديّ أغزى هارون الرشيد بلاد الروم ، وضم إليه الربيع الحاجب والحسن بن قحطبة .

قال محمد بن العباس : إنني لقاعد^(١) في مجلس أبي في دار أمير المؤمنين وهو على الحرّس ؛ إذ جاء الحسن بن قحطبة ، فسلم عليّ ، وقعد على الفراش الذي يقعد أبي عليه ، فسأل عنه فأعلمته أنه ركب ، فقال لي : يا حبيبي أعلمه أني جئت ، وأبلغه السلام عنى ، وقل له : إن أحبّ أن يقول لأمر المؤمنين : يقول الحسن بن قحطبة : يا أمير المؤمنين ؛ جعلني الله فداك ! أغزيت هارون ، وضممتي والربيع إليه ، وأنا قريع قوادك ، والربيع قريع مواليك ، وليس تطيب نفسي بأن نُخلّي^(٢) جميعاً بابك ؛ فلما أغزيتني مع هارون وأقام الربيع ، ولما أغزيت الربيع وأقمتُ ببابك . قال : فجاء أبي فأبلغته الرسالة ، فدخل على المهديّ فأعلمه ، فقال : أحسن والله الاستعفاء ؛ لا كما فعل الحجام ابن الحجام - يعنى عامر بن إسماعيل - وكان استعفى^(٣) من الخروج مع إبراهيم فغضب عليه ، واستصفي ماله .

وذكر عبد الله بن أحمد بن الوضّاح ، قال : سمعت جدى أبا بُدَيل ، قال : أغزى المهديّ الرشيد ، وأغزى معه موسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح بن عليّ ومولايي أبيه : الربيع الحاجب والحسن الحاجب ؛ فلما فصل دخلت عليه بعد يومين أو ثلاثة ، فقال : ما خلّفك عن ولىّ العهد ، وعن أخويك خاصة ؟ يعنى الربيع والحسن الحاجب . قلت : أمر أمير المؤمنين ومقامي بمدينة السلام حتى يأذن لي . قال : فسرّ حتى تلحق به وبهما ؛ واذكر ما تحتاج إليه . قال : قلت : ما أحتاج إلى شيء من العُدّة ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ودّاعه ! فقال لي : متى تراك خارجا ؟ قال : قلت من غدٍ ، قال : فودّعته وخرجت ، فلحق القوم . قال : فأقبلتُ أنظر إلى الرشيد يخرج ، فيضرب بالصّوالة ، وأنظر إلى موسى بن عيسى وعبد الملك ابن صالح ؛ وهما يتصاحكان منه .

(٢) ج : « نخل » .

(١) س : « لما قعدت » .

(٣) س : « يستعفى » .

قال : فصرت إلى الربيع والحسن - وكنت لا تفرق - قال : فقلت : لاجزا كما
الله عمن وجهكما ولا عمن وجهكما معه خيراً ؟ فقالا : إيه ، وما الخبر ؟ قال :
قلت : موسى بن عيسى وعبد الملك بن صالح يتضاحكان من ابن أمير المؤمنين ،
أوما كنتما تقدرا أن تجعلاهما مجلساً يدخلان عليه ولمن كان معه من
القواد في الجمعة يدخلون^(١) عليه ويخلّوه في سائر أيامه لما يريد^(٢) ! قال : فبينا
نحن في ذلك المسير إذ بعثنا إلى في الليل . قال : فجئت وعندهما رجل ، فقالا
لى : هذا غلام الغمر بن يزيد ، وقد أصبنا^(٣) معه كتاب الدولة . قال :
ففتحت^(٤) الكتاب ، فنظرت فيه إلى سني المهدي فإذا هي عشر سنين .
قال : فقلت : ما في الأرض أعجب منكما ! أتريان أن خبر هذا الغلام
يخفى ، وأن هذا الكتاب يستر ! قالوا : كلا ، قلت : فإذا كان أمير المؤمنين
قد نقص من سنيه ما نقص ، أفلسم أول من نعى إليه نفسه ؟ قال : فتبليدوا
والله ، وسقط في أيديهما ، فقالا : فما الحيلة ؟ قلت : يا غلام على بعنسة
- يعني الوراق الأعرابي مولى آل أبي بديل - فأتي به ، فقلت له : خط مثل
هذا الخط ، وورقة مثل هذه الورقة ، وصير مكان عشر سنين أربعين سنة ،
وصيرها في الورقة ، قال : فوالله لولا أني رأيت العشر في تلك والأربعين في
هذه ما شككت أن الخط ذلك الخط ، وأن الورقة تلك الورقة .

٤٩٧/٣

قال : ووجه المهدي خالد بن برمك مع الرشيد وهو ولي العهد حين
وجه لغزو الروم ، وتوجه معه الحسن وسليمان ابنا برمك ، وجهه معه على أمر
العسكر ونفقاته وكتابته والتسيام بأمره يحيى بن خالد - وكان أمر هارون كله
إليه - وصير الربيع الحاجب مع هارون يغزو عن المهدي ، وكان الذي^(٥) بين
الربيع ويحيى^(٥) على حسب ذلك ؛ وكان يشاورهما ويعمل برأيهما ؛ ففتح
الله عليهم فتوحاً كثيرة ، وأبلاهم في ذلك الوجه بلاءً جميلاً ، وكان لخالد
في ذلك بسمالو أثر جميل لم يكن لأحد ، وكان منجمهم يسمى البرمكي تبركاً

٤٩٨/٣

(١-١) كذا وردت العبارة في ١ . (٢) س : « وجدنا » .

(٣) س : « ففتحت » . (٤) ج : « ذلك » .

(٥) د ، س : « ويحيى » .

به ، ونظراً إليه . قال : ولما نذب المهديّ هارون الرشيد لما نذبه له ^(١) من الغزو ، أمر أن يدخل عليه ^(٢) كتاب أبناء الدّعوة لينظر إليهم ويختار له منهم رجلاً . قال يحيى : فأدخلوني عليه معهم ، فوقفوا بين يديه ، ووقفت آخرهم ، فقال لي : يا يحيى ، ادنُ ، فدنوت ، ثم قال لي : اجلس ، فجلست فجثوتُ بين يديه ، فقال لي : إني قد تصفحت أبناء شيعتي وأهل دولتي ، واخترت منهم رجلاً لهارون ابني أضمه إليه ليقوم بأمر عسكره . ويتولى كتابته ، فوقعتُ عليك خيرتي له ، ورأيتك أولّتي به ؛ إذ كنت مربّيته وخاصته ، وقد ولّيتك كتابته وأمر عسكره . قال : فشكرتُ ذلك له . وقبّلت يده ، وأمر لي بمائة ألف درهم معونةً على سفري ^(٣) ، فوجّهت في ذلك العسكر لما وجّهت له ^(٤) .

قال : وأوفد الربيعُ سليمانَ بن برمك إلى المهديّ ، وأوفد معه وفداً ، فأكرم المهديّ وفادته وفضله ، وأحسن إلى الوفد الذين كانوا معه ، ثم انصرفوا من وجههم ذلك .

* * *

[عزل عبد الصمد بن عليّ عن الجزيرة وتولية زفر بن الحارث]

وفي هذه السنة ؛ سنة مسير المهديّ مع ابنه هارون ، عزل المهديّ عبد الصمد ابن عليّ عن الجزيرة ، وولّى مكانه زفر بن عاصم الهلاليّ .

• ذكر السبب في عزله إياه :

ذكر أن المهديّ سلك في سفيرته هذه طريق الموصل ، وعلى الجزيرة عبد الصمد بن عليّ ، فلما شخّص المهديّ من الموصل ، وصار بأرض الجزيرة ، لم يتلقّه عبد الصمد ولا هيباً له نُزلاً ، ولا أصليح له قناطر . فاضطغن ذلك عليه المهديّ ، فلما لقيه تجهّمه وأظهر له جفاءً ، فبعث إليه عبد الصمد باللطاف لم يرضها ، فردّها عليه ، وازدّاد عليه سخطاً ، وأمر بأخذه بإقامة النزل له ، فتعبّث في ذلك ، وتقتنع ، ولم يزل يربّي ما يكرهه إلى أن نزل حصن

(١) س : « إليه » .

(٢) ج : « إليه » .

(٣) س : « في سفري » .

(٤) ساقطة من ط ، وأثبتها من ا .

مسلمة ، فدعا به ، وجرى بينهما كلامٌ أغلظ له فيه القول المهدى ، فردّ عليه عبد الصمد ولم يحتمله ، فأمر بحبسه وعزّله عن الجزيرة ، ولم يزل في حبسه في سفره ذلك وبعد أن رجع إلى أن رضى عنه . وأقام له العباس بن محمد النّزل ، حتى انتهى إلى حلب ، فأنته البشرى بها بقتل المقتنع ، وبعث وهو بها عبد الجبار المحتسب لحلب من بتلك الناحية من الزنادقة . ففعل ، وأتاه بهم ، وهو بدابق ، فقتل جماعة منهم وصلّ بهم ، وأُتيَ بكتب من كتبهم فقطعت بالسكاكين ثم عرض بها جندّه ، وأمر بالرحلة ، وأشخص جماعة من وافاه من أهل بيته مع ابنه هارون إلى الروم ، وشيخ المهدى ابنه هارون حتى قطع الدّرب ، وبلغ جيحان ، وارتاد بها المدينة التي تسمى المهدية ، وودع هارون على نهر جيحان . فسار هارون حتى نزل رستاقاً من رساتيق أرض الروم فيه قلعة ، يقال لها سمالو ، فأقام عليها ثمانية وثلاثين ليلة ، وقد نصب عليها المجانيق ، حتى فتحها الله بعد تخريب لها ، وعطش وجوع أصاب أهلها ، وبعد قتل وجراحات كانت في المسلمين ، وكان فتحها على شروط شرطوها لأنفسهم : لا يُقتلوا ولا يُرحلوا ، ولا يُفرّق بينهم ، فأعطوا ذلك ، فزّلوا ، ووفى لهم ، وقفل هارون بالمسلمين ^(١) سالمين إلا من كان أصيب منهم بها .

٥٠٠/٣

* * *

وفي هذه السنة وفي سقّرتة هذه ، صار المهدى إلى بيت المقدس ، فصلّى فيه ^(٢) ، ومعه العباس بن محمد والفضل بن صالح وعلى بن سليمان وخاله يزيد ابن منصور .

وفيها عزل المهدى إبراهيم بن صالح عن فلسطين ، فسأله يزيد بن منصور حتى رده عليها .

وفيها ولّى المهدى ابنه هارون المغرب كله وأذربيجان وإرمينية ، وجعل كاتبه على الخراج ثابت بن موسى ، وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك .

(٢) س : « به » .

(١) س : « وقفل بهم هارون » .

وفيهما عزل زُفَر بن عاصم عن الجزيرة، وولّى مكانه عبد الله بن صالح ابن عليّ، وكان المهديّ نزل عليه في مسيره^(١) إلى بيت المقدس، فأعجب بما رأى من منزله بسكّمية.

وفيهما عزل معاذ بن مسلم عن خراسان وولاهما المسيّب بن زهير. وعزل فيها يحيى الحرّشيّ عن أصبهان، وولّى مكانه الحكم بن سعيد. وعزل فيها سعيد بن دعلج عن طبرستان والرويان، وولاهما عمر ابن العلاء.

وفيهما عزل مُهلhel بن صفوان عن جرجان، وولاهما هشام بن سعيد. ٥٠١/٣

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة عليّ بن المهديّ.

وكان عليّ اليّامة والمدينة ومكة والطائف فيها جعفر بن سليمان، وعلى الصلاة والأحداث بالكوفة إسحاق بن الصباح، وعلى قضائها شريك، وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمّان والفرّص وكور الأهواز وكور فارس محمد بن سليمان، وعلى خراسان المسيّب بن زهير، وعلى السّند نصر بن محمد ابن الأشعث.

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحدث ، فأقبل إليه ميخائيل البطريرق - فيما ذكر - في نحو من تسعين ألفاً ، فيهم طازاذ الأرمني البطريرق ، فقتل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف ، فأراد المهديّ ضرب عنقه ، فكلّم فيه فحبسه في المطبق .

وفيها عزل المهديّ محمد بن سليمان عن أعماله ، ووجه صالح بن داود على ما كان إلى محمد بن سليمان ، ووجه معه عاصم بن موسى الخراسانيّ الكاتب على الحراج ، وأمره بأخذ حمّاد بن موسى كاتب محمد بن سليمان وعبيد الله بن عمر خليفته وعماله وتكليفهم .

٥٠٢/٣

وفيها بنى المهديّ بعيساباذ الكبرى قصرًا من لبنين ، إلى أن أسس قصره الذي بالآجر : الذي سماه قصر السلامة ؛ وكان تأسيسه إياه يوم الأربعاء في آخر ذي القعدة .

وفيها شخص المهديّ حين أسس هذا القصر إلى الكوفة حاجبًا ، فأقام برُصافة الكوفة أيامًا ، ثم خرج متوجهًا إلى الحجّ ، حتى انتهى إلى العقبة ، فغلاّ عليه وعلى من معه الماء . وخاف ألاّ يحمله ومن معه ما بين أيديهم . وعرضت له مع ذلك حمى ، فرجع من العقبة ، وغضب على يقطين بسبب الماء ؛ لأنه كان صاحب المصانع . واشتدّ على الناس العطش في منصرفهم وعلى ظهرهم^(١) حتى لُشفوا على الهلكة .

وفيها توفّي^(٢) نصر بن محمد بن الأشعث بالسند .

وفيها عزل عبد الله بن سليمان عن اليمن عن سخطه . ووجه من يستقبله

(٢) س : « مات » .

(١) س : « دوابهم » .

ويفتش متاعه ، ويخصى ما معه ، ثم أمر بحبس^(١)ه عند الربيع حين قدم .
حتى أقر من المال والجوهر والعنبر بما أقر به . فردّه إليه ، واستعمل مكانه
منصور بن يزيد بن منصور .

وفيها وجّه المهديّ صالح بن أبي جعفر المنصور من العسقية عند انصرافه
عنها إلى مكة ليحجّ بالناس . فأقام صالح للناس الحجّ في هذه السنة .

• • •

وكان العامل على المدينة ومكة والطائف واليامة فيها جعفر بن سليمان ،
وعلى اليمن منصور بن يزيد بن منصور ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها هاشم
ابن سعيد بن منصور ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله ، وعلى صلاة البصرة
وأحداثها وكُور دجلة والبحرين وعمان والقرض وكُور الأهواز وفارس صالح
ابن داود بن عليّ ، وعلى السند سطّيح بن عمر ، وعلى خراسان المسيّب بن
زهير ، وعلى الموصل محمد بن الفضل . وعلى قضاء البصرة عبيد الله بن الحسن ،
وعلى مصر إبراهيم بن صالح ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى طبرستان
والرويان وجرجان يحيى الحرثيّ ، وعلى دَنْبَاوَنْد وقوميس فراشة مولى
أمير المؤمنين ، وعلى الرّيّ خلّاف بن عبد الله ، وعلى سِجِسْتَان سعيد
بن دَعْلَج .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

» • «

[غزوة هارون بن المهدي الصائفة ببلاد الروم]

فمن ذلك غزوة هارون بن محمد المهدي الصائفة ، ووجهه أبوه — فيما ذكر — يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة غازياً إلى بلاد الروم ، وضم إليه الربيع مولاة ، فوغل هارون في بلاد الروم ، فافتتح ماجدة ، ولقيته خيول نقيطا قوميس القوامسة ، فبارزه يزيد بن مزيد ، فأرجل يزيد ، ثم سقط نقيطا ، فضربه يزيد حتى أثخنه ، وانهزمت الروم ، وغلب يزيد على عسكرهم . وسار إلى الدُمُسْتَقْ بِنَقْمُودِيَّة وهو صاحب المسالح ، وسار هارون في خمسة وتسعين ألفاً وسبعمائة ^(١) وثلاثة وتسعين رجلاً ، وحمل لهم من العيّن مائة ألف دينار وأربعة ^(٢) وتسعين ألفاً وأربعمائة وخمسين ديناراً ، ومن الورق أحداً وعشرين ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم . وسار هارون حتى بلغ خليج البحر الذي على القسطنطينية ، وصاحب الروم يومئذ أغسطه امرأة أليون ؛ وذلك أن ابنها كان صغيراً قد هلك أبوه وهو في حجرها ، فجرت بينهما وبين هارون بن المهدي الرّسل والسفراء في طلب الصلح والموادة وإعطائه القديّة ، فقبل ذلك منها هارون ، وشرط عليها الوفاء بما أعطت له ، وأن تقيم له الأدلاء والأسواق في طريقه ؛ وذلك أنه دخل مدخلا صعباً ^(٣) مخوّفاً على المسلمين ، فأجابته إلى ما سأل ، والذي وقع عليه الصلح بينه وبينها تسعون أو سبعون ألف دينار ، تؤديها في نيسان الأول في كل سنة ، وفي حزيران ، فقبل ذلك منها ، فأقامت له الأسواق في منصرفه ، ووجهت معه رسولا إلى المهدي بما بذلت على أن تؤدى ما تيسر من الذهب والفضة والعَرَض ، وكتبوا

٥٠٤/٢

(٢) ابن الأثير : « ثلاثة » .

(١) ابن الأثير : « وتسعمائة » .

(٣) س : « ضيقاً » .

٥٥٥/٣

كتاب الهدنة إلى ثلاث سنين ، وسُلِّمَت الأسارى . وكان الذى أفاء الله على هارون إلى أن أذعنت الروم بالجزية خمسة آلاف رأس وستائة وثلاثة وأربعين رأساً ، وقتل من الروم فى الوقائع أربعة وخمسون ألفاً ، وقتل من الأسارى صبراً ألفان وتسعون أسيراً . وما أفاء الله عليه من الدوابِّ الذَّلُّل بأدراتها عشرون ألف دابة ، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس . وكانت المرتزقة سوى المطوعة وأهل الأسواق مائة ألف ، وبيع البرذون بدرهم ، والبغل بأقل من عشرة دراهم ، والدَّرْع بأقل من درهم وعشرين سيفاً بدرهم ، فقال مروان بن أبى حفصة فى ذلك :

أَطْفَتَ بِقُسْطَنْطِينَةِ الرُّومِ مُسْنِدًا إِلَيْهَا الْقَنَاحَتِى اكْتَسَى الذَّلَّ سَوْرَهَا (١)
وَمَا رِمَتْهَا حَتَّى أَتَتْكَ مُلُوكُهَا بِجَزِيَّتِهَا ، وَالْحَرْبُ تَغْلِي قَدُورَهَا

* * *

وفىها عزل خلف بن عبد الله عن الرى ، وولَّاهَا عيسى مولى جعفر .

وحجَّ بالناس فى هذه السنة صالح بن أبى جعفر المنصور .

وكانت عمَّال الأمصار فى هذه السنة هم عمَّالها فى السنة الماضية ؛ غير أن العامل على أحداث البصرة والصلاة بأهلها كان رَوْح بن حاتم ، وعلى كُور دِجْلَةَ والبحرين عُثْمَان وكِسْكُور وكُور الأهراس وفارس وكرمان كان المعلى مولى أمير المؤمنين المهديّ ، وعلى السند الليث مولى المهديّ .

(١) الذَّل بالكسر : اللين .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٥٠٦/٣

فمن ذلك قتل هارون بن المهدي ، ومن كان معه من خليج قسطنطينية في المحرم ثلاث عشرة ليلة بقيت منه ، وقدمت الروم بالجزية معهم ، وذلك — فيما قيل — أربعة وستون ألف دينار عدد الرومية^(١) ، وألفان وخسمائة دينار عربية ، وثلاثون ألف رطل مَرَعَزِي^(٢) .

وفيهما أخذ المهدي البيعة على قواده هارون بعد موسى بن المهدي ، وسماه الرشيد .

وفيهما عزل عبيد الله بن الحسن عن قضاء البصرة ، وولّى مكانه خالد بن طليق بن عمران بن حصين الخزاعي ، فلم تُحْمَد^(٣) ولايته ، فاستعفى أهل البصرة منه .

وفيهما عزل جعفر بن سليمان عن مكة والمدينة . وما كان إليه من العمل .

• • •

وفيهما سخط المهدي على يعقوب بن داود .

ذكر الخبر عن غضب المهدي على يعقوب

ذكر علي بن محمد النوفلي . قال : سمعت أبي يذكر : قال : كان داود بن طهّمان — وهو أبو يعقوب بن داود — وإخوته كتاباً لنصر بن سيار . وقد كتب داود قبله لبعض ولاة خراسان ، فلما كانت أيام يحيى بن زيد كان يدس^١ إليه وإلى أصحابه بما يسمع من نصر ، ويحدّثهم ، فلما خرج أبو مسلم يطلب بدم يحيى بن زيد ويقتل قتلتته والمعينين عليه من أصحاب نصر ، أتاه داود ابن طهّمان مطمئناً لما كان يعلم مما جرى بينه وبينه ، فأمنه أبو مسلم . ولم

(١) المرهزي : اللين من الصوف .

(١) م : « عدداً رومية » .

(٢) م : « فلم يحموا » .

٥٠٧/٣

يعرض له في نفسه ، وأخذ أمواله التي استفاد أيام نصر ، وترك منازلَه وصيغته التي كانت له ميراثاً بمرور ، فلما مات داود خرج ولده أهلّ أدب وعلم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم ، ونظروا فإذا ليست لهم عند بني العباس منزلة ، فلم يطسعوها في خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر ، فلما رأوا ذلك أظهروا مقالة الزيدية ، ودنوا من آل الحسين ، وطمعوا أن يكون لهم دولة فيعيشوا فيها . فكان يعقوب يحول البلاد منفرداً بنفسه ، ومع إبراهيم بن عبد الله أحياناً ، في طلب البيعة لمحمد بن عبد الله ، فلما ظهر محمد وإبراهيم بن عبد الله كتب على ابن داود - وكان أسنّ من يعقوب - لإبراهيم بن عبد الله ، وخرج يعقوب مع عدة من إخوانه مع إبراهيم ، فلما قتل محمد وإبراهيم تواروا من المنصور ، فطلبهم ، فأخذ يعقوب وعلياً فحبسهما في المطبق أيام حياته ، فلما توفى المنصور من عليهما المهديّ فيمن منّ عليه بتخلية سبيله ، وأطلقهما . وكان معهما في المطبق إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن - وكانا لا يفارقانه - وإخوانه الذين كانوا محتبسين معه ، فجرت بينهم بذلك الصداقة . وكان إسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن يرى أنّ الخلافة قد تجوز في صالحى بنى هاشم جميعاً ، فكان يقول : كانت الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلح إلا في بنى هاشم ، وهى في هذا الدهر لا تصلح إلا فيهم ، وكان يكثر في قوله الأكبر من بنى عبد المطلب ، وكان هو ويعقوب بن داود يتجاربان ذلك ، فلما خلّى المهديّ سبيل يعقوب مكث المهديّ برهة من دهره يطلب عيسى بن زيد والحسن ابن إبراهيم بن عبد الله بعد هرب^(١) الحسن من حبسه . فقال المهديّ يوماً : لو وجدت رجلاً من الزيدية له معرفة بآل حسن وبعيسى بن زيد ، وله فقه فأجلبه إلى على طريق الفقه ، فيدخل بينى وبين آل حسن وعيسى بن زيد ! فدُلّ على يعقوب بن داود ، فأُتي به فأدخل عليه ، وعليه يومئذ قُرُوءٌ وخُفٌّ كَبَل^(٢) وعمامة كَرَابِيس وكِسَاء أبيض غليظ . فكلّمه وفتح له ، فوجده رجلاً كاملاً ، فسأله عن عيسى بن زيد ، فزعم الناس أنه وعده الدخول بينه وبينه ، وكان يعقوب ينتفى من ذلك ؛ إلا أن الناس قد رموه بأن منزله عند المهديّ إنما

٥٠٨/٣

(٢) في اللسان : « فرو كبل كثير الصوف ثقيل » .

(١) ج : « هروب » .

كانت للسعاية بآل عليّ . ولم يزل أمره يرتفع عند المهديّ ويعلو حتى استوزره ، وفوّض إليه أمر الخلافة ؛ فأرسل إلى الزيدية ، فأقّى بهم مَنْ كلّ أوب ، وولاهم من أمور الخلافة في المشرق والمغرب كلّ جليل وعمل نفيس ، والدنيا كلها في يديه ، ولذلك يقول بشار بن برد :

بَنَى أُمِّيَّةً هُبُوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمَ فَاطْلُبُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الدُّفِّ وَالْعُودِ^(٢)

قال : فحسده موالى المهديّ ، فسعوا عليه .

وبما حظي به يعقوب عند المهديّ ، أنه استأمنه للحسن بن إبراهيم بن عبد الله ، ودخل بينه وبينه حتى جمع بينهما بمكة . قال : ولما علم آل الحسن بن عليّ بصنيعة استوحشوا منه ، وعلم يعقوب أنه إن كانت لهم دولة لم يعيش فيها ، وعلم أن المهديّ لا يناظره لكثرة السعاية به إليه ، فال يعقوب إلى إسحاق بن الفضل ، وأقبل يربص له الأمور وأقبلت السعايات تردّ على المهديّ بإسحاق حتى قيل له : إن المشرق والمغرب في يد يعقوب وأصحابه ؛ وقد كاتبهم ؛ وإنما يكفيه أن يكتب إليهم فيثوروا في يوم واحد على ميعاد ، فيأخذوا الدنيا لإسحاق بن الفضل ؛ فكان ذلك قد ملأ قلب المهديّ عليه .

٥٠٩/٣

قال عليّ بن محمد النوفليّ : فذكر لي بعض خدام المهديّ أنه كان قائماً على رأسه يوماً يذب عنه ، إذ دخل يعقوب ، فجثا بين يديه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت اضطراب أمر مصر ، وأمرتني أن ألتبس لها رجلاً يجمع أمرها ، فلم أزل أرتاد حتى أصبت لها رجلاً يصلح لذلك . قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمك إسحاق بن الفضل ، فرأى يعقوب في وجهه التغير^(٣) ، فنهض فخرج ، وأتبعه المهديّ طرفه ، ثم قال : قتلى الله إن لم أقتلك ! ثم رفع رأسه إلى وقال : اكتم عليّ ويحك ! قال : ولم يزل مواليه بحرّضونه عليه ويوحشونه منه ، حتى عزم^(٤) على إزالة النعمة عنه .

(٢) ابن الأثير : « بين الناي والعود » .

(٤) ج : « خرج » .

(١) ابن الأثير : « فالتسوا » .

(٣) ج : « التغير » .

وقال موسى بن إبراهيم المسعودي: قال المهدي: وُصف لي يعقوب بن داود في منامي، فقيل لي أن اتخذه وزيراً. فلما رآه، قال: هذه والله الحلقة التي رأيتها في منامي، فاتخذه وزيراً، وحظي عنده غاية الحظوة، فكث حيناً حتى بنى عيساباذ، فأناه خادماً من خدامه - وكان حظياً عنده - فقال له: إن أحمد بن إسماعيل بن عليّ، قال لي: قد بنى منزلاً أنفق عليه خمسين ألف ألف من بيت مال المسلمين، فحفظها عن الخادم، ونسي أحمد ابن إسماعيل، وتوهمها على يعقوب بن داود، فبينما يعقوب بين يديه إذ لبسه، فضرب به الأرض، فقال: مالي ولك يا أمير المؤمنين! قال: ألسن القائل: إني أنفقت على منزله لي خمسين ألف ألف! فقال يعقوب: والله ما سمعته أذناً، ولا كتبه الكرام الكاتبون؛ فكان هذا أول سبب أمره.

قال: وحدثني أبي، قال: كان يعقوب بن داود قد عرف عن المهدي خلعتاً واستهتاراً بذكر النساء والجماع، وكان يعقوب بن داود يصف من نفسه في ذلك شيئاً كثيراً، وكذلك كان المهدي، فكانوا يخلون بالمهدي ليلاً فيقولون: هو على أن يصبح فيثور بيعقوب؛ فإذا أصبح غداً عليه يعقوب وقد بلغه الخبر، فإذا نظر إليه تبسم، فيقول: إن عندك خيراً! فيقول: نعم، فيقول: أقعد بحياتي فحدثني، فيقول: خلوت بجاريي البارحة، فقالت وقلت، فيصنع لذلك حديثاً، فيحدث المهدي بمثل ذلك، ويفترقان على الرضا، فيبلغ ذلك من يسعى على يعقوب، فيتعجب منه.

قال: وقال لي الموصلي: قال يعقوب بن داود للمهدي في أمر أراد: هذا والله السرف، فقال: ويلك! وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف! ويئلك يا يعقوب، لولا السرف لم يعرف المكثرون من المقترين!

وقال عليّ بن يعقوب بن داود عن أبيه، قال: بعث إلى المهدي يوماً، فدخلت عليه، فإذا هو في مجلس مفروش بفرش مؤرد متناه في السرور^(١) على بستان فيه شجر، وروعوس^(٢) الشجر مع صحن المجلس، وقد اكتسى

ذلك الشجر بالأوراد^(١) والأزهار من الخوخ والتفاح ، فكل ذلك مورد يشبه فرش المجلس الذي كان فيه ، فما رأيت شيئاً أحسن منه ؛ وإذا عنده جارية مارأيت أحسن منها ، ولا أشطّ قواماً ، ولا أحسن اعتدالاً ، عايتها فحوتلك الثياب ، فما رأيت أحسن من جملة ذلك . فقال لي : يا يعقوب ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قلت : على غاية الحسن ، فتع الله أمير المؤمنين به ، وهنأه إياه ، فقال : هو لك ، أحمله بما فيه وهذه الجارية^(٢) ليم سرورك به . قال : فدعوت له بما يجب^(٣) . قال : ثم قال : يا يعقوب ، ولي إليك حاجة ، قال : فوثبت قائماً ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، ما هذا إلا من مودة^(٤) ، وأنا أستعين بالله من سخط أمير المؤمنين ! قال : لا ، ولكن أحب أن تضمن لي قضاء هذه الحاجة فأني لم أسألها من حيث تنوهم ، وإنما قلت ذلك على الحقيقة ، فأحب أن تضمن لي هذه الحاجة وأن تقضيها لي ، فقلت : الأمر لأمر المؤمنين وعلى السمع والطاعة ، قال : — والله — قلت والله ثلاثاً — قال : وحياة رأسي ! قلت : وحياة رأسك ، قال : فضع يدك عليه واحلف به ، قال : فوضعت يدي عليه ، وحلفت له به لأعملن بما قال ، ولأقضي حاجته . قال : فلما استوثق مني في نفسه ، قال : هذا فلان بن فلان ، من ولد علي ، أحب أن تكفيته مؤونته ، وترحني منه ، وتعجل ذلك . قال : قلت : أفعل ، قال : فخذ إليك ، فحوته لي ، وحوته الجارية وجميع ما كان في البيت من فرش وغير ذلك ، وأمر لي معه بمائة ألف درهم .

٥١٢٣

قال : فحملت ذلك جملة ، ومضيت به ، فلشدة سروري بالجارية صيرتها في مجلس بيني وبينها ستر ، وبعثت إلى العلوي ، فأدخلته على نفسي ، وسألته عن حاله ، فأخبرني بها ، ويحسّل منها ، وإذا هو ألب الناس وأحسنهم إبانة .

قال : وقال لي في بعض ما يقول : وَيَحْكُ يَا يَعْقُوبُ ! تَلَى اللَّهَ بَدْمِي ، وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد ! قال : قلت : لا والله ، فهل فيك خير ؟

(٢) س : « وخذ الجارية » .

(٤) ا : « لمودة » ، س : « بمودة » .

(١) ج : « بالأوراد » .

(٣) ا ، ج : « يجب » .

قال : إن فعلتَ خيراً شكرتُ ولكَ عندى دعاء واستغفار . قال : فقلتُ له
 أى الطريق أحبُّ إليك ؟ قال : طريق كذا وكذا ، قلتُ : فسنُ هنالك ممّن
 تأنس به وتثق بموضعه ؟ قال : فلان وفلان ، قلتُ : فابعث إليهما ، ونحذُ
 هذا المال ، وامض معهما مصاحباً فى ستر الله ، وموعذك وموعدهما للخروج
 من دارى إلى موضع كذا وكذا — الذى اتفقوا عليه — فى وقت كذا وكذا من
 الليل ، وإذا البخارية قد حفظت على قولى ؛ فبعثتُ به مع خادم لها إلى المهديّ ،
 وقالت : هذا جزاؤك من الذى آثرته على نفسك ؛ صنع وفعل كذا وكذا ؛
 حتى ساقط الحديث كلّهُ . قال : وبعث المهديّ من وقته ذلك ، فشحن تلك
 الطرق والمواضع التى وصفها يعقوب والعلوى برجاله ، فلم يلبث أن جاءوه بالعلوى
 بعينه وصاحبيه والمال ، على السجّية التى حكيتها البخارية . قال : وأصبحتُ من
 غدٍ ذلك اليوم ، فإذا رسولُ المهديّ يستحضرنى — قال : وكنتُ خالى الذرع
 غيرُ ملقٍ إلى أمر العلوى بالأل^(١) حتى أدخل على المهديّ ، وأجده على كرسيّ
 بيده مخضرة — فقال : يا يعقوب ، ما حال الرجل ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ،
 قد أراحك الله منه ، قال : مات ؟ قلتُ : نعم ، قال : والله ، ثم قال : قم فضع
 يدك على رأسى ؛ قال : فوضعت يدى على رأسه . وحلفتُ له به . قال :
 فقال : يا غلام . أخرج إليّ ما فى هذا البيت^(٢) . قال : ففتحتُ بابهُ عن العلوى
 وصاحبيه والمال بعينه . قال : فبقيتُ متحيراً . وسقط^(٣) فى يدى ، وامتنع
 منى الكلام ، فما أدري ما أقول ! قال : فقال المهديّ : لقد حلّ لى دمك
 لو آثرتُ إراقته ، ولكن احبسوه فى المطبق ؛ ولا أذكرُ به ، فحبستُ فى المطبق ؛
 واتخذ لى فيه بئرٌ فدُلّيتُ فيها ، فكنتُ كذلك أطولَ مدّة لا أعرف عدد
 الأيام^(٤) وأصِبتُ ببصرى ، وظال شعرى ؛ حتى استرسل كهيفة شعور البهائم .
 قال : فإننى لكذلك ، إذ دُعِى بى فُضِى بى إلى حيث لا أعلم أين هو ، فلم
 أعُدْ أن قيل لى : سلّم على أمير المؤمنين ، فسلمت ، فقال : أى أمير المؤمنين
 أنا ؟ قلتُ : المهديّ ، قال : رحم الله المهديّ ، قلتُ : فالهادى ؟ قال :
 رحم الله الهادى ، قلتُ : فالرشيد ؟ قال : نعم ؛ قلتُ : ما أشك فى وقوف^(٥)

٥١٣/٣

(١) كذا فى م . (٢) من فى هذا البيت . (٣) ج : « وأسقط » .

(٤) ١ : « طول مدّة لا أعدها » . (٥) ١ : « وقوف » .

أمير المؤمنين على خبري وعلّتي وما تناهت إليه حالي ، قال : أجل ، كل ذلك عندي قد عرف أمير المؤمنين ، فسَلَّ حاجتَكَ ، قال : قلت : المقام بمكة ، قال : نفعل ذلك ، فهل غير هذا ؟ قال : قلت : ما بقي في مستمتع لشيء ولا بلاغ ، قال : فراشداً . قال : فخرجت فكان وجهي إلى مكة . قال ابنه : ولم يزل بمكة فلم تطُل أيامه بها حتى مات .

٥١٤/٣

قال محمد بن عبد الله : قال لي أبي : قال يعقوب بن داود : وكان المهدي لا يشرب النبيذ إلاّ تحرّجاً^(١) ؛ ولكنه كان لا يشتهيهِ ؛ وكان أصحابه : عمر بن بزيع والمعلّي مولاة والمفضل ومواليه يشربون عنده بحيث يراهم ، قال : وكنت أعِظُهُ في سَقْيِهِم النبيذ وفي السماع ، وأقول : إنه ليس على هذا استوزرتني ولا علّني هذا صحبتك ؛ أبعد الصلوات الخمس^(٢) في المسجد الجامع ، يشرب عندك النبيذ وتسمع السماع ! قال : فكان يقول : قد سمع عبدُ الله بن جعفر ، قال : قلت : ليس هذا من حسناته ؛ لو أنّ رجلاً سمع في كل يوم كان ذلك يزيده قربة من الله أو بعداً !

وقال محمد بن عبد الله : حدثني أبي ، قال : كان أبي يعقوب بن داود قد ألح على المهدي في حَسْمِهِ عن السماع وإسقائه النبيذ حتى ضيق عليه ؛ وكان يعقوب قد ضجّر بموضعه ، فتأب إلى الله مما هو فيه ؛ واستقبل وقدم النية في تركه موضعه . قال : فكنت أقول للمهدي : يا أمير المؤمنين ؛ والله لشربة خمر أشربها أتوب إلى الله منها أحبّ إلىّ مما أنا فيه ؛ وإنّي لأركب إليك فأتني يداً خاطئة تصيبني في الطريق ، فأعفني وولّ غيري مَنْ شئت ؛ فإنّي أحبّ أن أسلمّ عليك أنا وولدي ؛ والله إنّي لأنفزع في النوم ؛ ولتيتني أمور المسلمين^(٣) وإعطاء الجند ، وليس دنياك عوضاً من آخرتي . قال : فكان يقول لي : اللهم غفرّاً ! اللهم أصلح قلبه ، قال : فقال شاعر له :

فَدَعْ عَنْكَ يَعْقُوبَ بْنَ دَاوُدَ جَانِباً وَأَقْبِلْ عَلَى صَهْبَاءِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

(١) كذا في ١ ، س ، وفي ط : « لا تحرجا » .

(٢) س : « صلاة الخمس » ، ابن الأثير : « بعد الصلوات الخمس » .

(٣) ج : « الناس » .

قال عبد الله بن عمر : وحدّثني جعفر بن أحمد بن زيد العلوي ، قال :
 قال ابن سلام : وهب المهديّ لبعض ولد يعقوب بن داود جاريةً ، وكان بضَعف^(١)
 قال : فلمّا كان بعد أيام ، سأله عنها ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما رأيتُ
 مثلها ، ما وضعتُ بيني وبين الأرض مطيّةً أوطأ منها حاشا سامع . فالتفت
 المهديّ إلى يعقوب ، فقال له : من تراه يتعنى ؟ يعنني أو يعنك ؟ فقال له
 يعقوب : من كلّ شيء تحفظ الأحقّق إلا من نفسه .

وقال عليّ بن محمد النوفليّ : حدّثني أبي ، قال : كان يعقوب بن داود
 يدخلُ على المهديّ فيخلو به ليلاً يحادثه ويسامره ؛ فبينما هو ليلةً عنده ؛
 وقد ذهب من الليل أكثره ، خرج يعقوب من عنده ، وعليه طيلسان مصبوغ
 هاشميّ ؛ وهو الأزرق الخفيف ؛ وكان الطيلسان قد دقّ دقّاً شديداً فهو
 يتقعقع^(٢) ، وغلام أخذ بعنان دابة له شهباء^(٣) ، وقد نام الغلام ، فذهب
 يعقوب يسوّى طيلسانه فتقعقع ، فنفر البرذونُ ، ودنا منه يعقوب ، فاستدبره
 فضربه ضربة على ساقه فكسرها ، وسمع المهديّ الوجبةً ، فخرج حافياً ؛ فلما
 رأى ما به أظهر الجزع والفرزع ، ثم أمر به فحمل في كرسى إلى منزله ، ثم
 غدا عليه المهديّ مع القجر ؛ وبلغ ذلك الناس ، فغدوا عليه ، فعاده
 أياماً ثلاثة متتابعة ، ثم قعد عن عيادته^(٤) ، وأقبل يرسل^(٥) إليه يسأله عن حاله ؛
 فلما فقد وجهه ، تمكن الساعة من المهديّ ، فلم تأت عليه عشرة حتى أظهر
 السخط عليه ، فتركه في منزله يعالج ، ونادى في أصحابه : لا يوجد
 أحدٌ عليه طيلسان يعقوبيّ ، وقلنسوة يعقوبية إلا أخذت ثيابه . ثم أمر بـيعقوب
 فحبس في سجن نصر .

قال النوفليّ : وأمر المهديّ بعزل أصحاب يعقوب عن الولايات في الشّرق
 والغرب ، وأمر أن يؤخذ أهل بيته ، وأن يُحبسوا ففعل ذلك بهم .

وقال عليّ بن محمد : لما حبس يعقوب بن داود وأهل بيته ، وتفرّق عماله

(١) ج : « لضعف » . ١ : « يضعف » . (٢) يتقعقع ، أى يحدث صوتاً .

(٣) ١ : « أشهب » . (٤) ج : « عادته » .

(٥) ج : « وارسل » .

واختفوا وتشرّدوا ، أذكّر المهديّ قصّته وقصة إسحاق بن الفضل ، فأرسل إلى إسحاق ليلاً وإلى يعقوب ، فأتيّ به من محبسه ، فقال : ألم تخبرني بأنّ هذا وأهل بيته يزعمون أنّهم أحنّ بالخلافة منا أهل البيت ؛ وأنّ لهم الكبر علينا ! فقال له يعقوب : ما قلتُ لك هذا قطّ ، قال : وتكذّبنّي وتردّ عليّ قولي ! ثمّ دعا له بالسيّاط فضربه اثني عشر سوطاً ضرباً مبرحاً ، وأمر به فردّ إلى الحبس .

قال : وأقبل إسحاق يحلف أنّه لم يقلّ هذا قطّ ، وأنّه ليس من شأنه . وقال فيما يقول : وكيف أقول هذا يا أمير المؤمنين . وقد مات جدّي في الجاهليّة وأبوك الباقي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه ! فقال : أخرجوه ، فلما كان من الغد دعا يعقوب ، فعاوده الكلام الذي كلمه في ليلته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تعجل عليّ حتّى أذكّرك ، أتذكر وأنت في طارمة^(١) على النّهر ؛ وأنت في البستان وأنا عندك ؛ إذ دخل أبو الوزير — قال عليّ : وكان أبو الوزير خسن يعقوب بن داود على ابنة صالح بن داود — فعخّرك هذا الخبر عن إسحاق ؟ قال : صدّقت يا يعقوب ، قد ذكرتُ ذلك ، فاستحى المهديّ ، واعتذر إليه من ضربه . ثمّ رده إلى الحبس ، فكثّ محبوساً أيام المهديّ وأيام موسى كلّها حتّى أخرجه الرّشيد بميله كان إليه في حياة أبيه .

٥١٧/٣

* * *

وفيها خرج موسى الهادي إلى جرجان ، وجعل على قضائه أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم .

وفيها تحوّل المهديّ إلى عيساباذ فنزلها ، وهي قصر السلامة ، ونزل الناس بها معه ، وضرب بها الدنانير والدراهم .

وفيها أمر المهديّ بإقامة البريد بين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مكّة واليمن ؛ بغالاً وإبلًا ؛ ولم يُقَمّ هنالك بريدٌ قبل ذلك .

وفيها اضطربت خراسان على المسيّب بن زهير ، فولّاهما الفضل بن سليمان

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة ، وهو دخيل أعجمي مغرب .

الطوسيّ أبا العباس ، وضمّ إليه معها سجستان ، فاستخلف على سجستان
تميم بن سعيد بن دعلج بأمر المهديّ .

وفيها أخذ داود بن روح بن حاتم وإسماعيل بن سليمان بن مجالد ومحمد
ابن أبي أيوب المكي ومحمد بن طيفور في الزندقة ، فأقروا ، فاستتابهم المهديّ
وخلّى سبيلهم ، وبعث بداود بن روح إلى أبيه روح ؛ وهو يومئذ بالبصرة
عاملا عليها ، فنّ عليه ، وأمره بتأديبه .

وفيها قدم الوضّاح الشروىّ بعبد الله بن أبي عبيد الله الوزير — وهو معاوية
ابن عبيد الله الأشعريّ من أهل الشام — وكان الذي يسعى به ابن شبّابة وقد
رمي بالزندقة . وقد ذكرنا أمره ومقتله قبل .

وفيها ولي إبراهيم بن يحيى بن محمد على المدينة ؛ مدينة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وعلى الطائف ومكة عبيد الله بن قُشَم .

وفيها عزل منصور بن يزيد بن منصور عن اليمّسن ، واستعمل مكانه
عبد الله بن سليمان الرّبّعيّ .

٥١٨/٣

وفيها خلّى المهديّ عبد الصمد بن عليّ من حبسه الذي كان فيه .

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد .

وكان عامل الكوفة في هذه السنة على الصلاة وأحداثها هاشم بن سعيد ، وعلى
صلاة البصرة وأحداثها روح بن حاتم ، وعلى قضائها خالد بن طليق ، وعلى
كوردجلة وكسكر وأعمال البصرة والبحرين وكور الأهواز وفارس وكرمان
المعلّى مولى أمير المؤمنين ، وعلى خراسان وسجستان الفضل بن سليمان الطوسيّ ،
وعلى مصر إبراهيم بن صالح ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم ، وعلى طبرستان
والرّويان وجرجان يحيى الحرثيّ . وعلى دنباوند وقويس قرّاشة مولى المهديّ ،
وعلى الرّيّ سعد مولى أمير المؤمنين .

ولم يكن في هذه السنة صائفة ؛ للهدنة التي كانت فيها .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من توجيه المهديّ ابنه موسى في جمّع كثيف من الجنّد، وجهاز لم يُجهز - فيما ذكر - أحد بمثله، إلى جرجان لحرب ونداهرمز وشرّوين صاحبيّ طبرستان، وجعل المهديّ حين جهز موسى إليها أبان بن صدقة على رسائله، ومحمد بن جميل على جنده، ونصّيعاً مولد المنصور على حجابته، وعلى بن عيسى بن ماهان على حرسه، وعبد الله بن خازم^(١) على شرّطه؛ فوجه موسى الجنود إلى ونداهرمز وشرّوين، وأمر عليهم يزيد بن مزّيد، فحاصرها.

وفيها توفّي عيسى بن موسى بالكوفة، وولى الكوفة يومئذ روح بن حاتم، فأشهد روح بن حاتم على وفاته القاضي جماعة من الوجوه، ثم دُفن. وقيل إن عيسى بن موسى توفّي وروح على الكوفة، لثلاث بقين من ذى الحجة، فحضر روح جنازته، فقبل له: تقدّم فأنت الأمير، فقال: ما كان الله ليبري روحاً يصلّي على عيسى بن موسى؛ فليقدّم أكبر ولده. فأبوا عليه وأبى عليهم، فتقدم العباس بن عيسى، فصلّى على أبيه. وبلغ ذلك المهديّ، فغضب على روح، وكتب إليه:

قد بلغني ما كان من نكوصك عن الصلّاة على عيسى؛ أبغضك، أم بأبيك، أم يجدّك كنت تصلّي عليه! أوليس إنما ذلك مقامى لو حضرت. فاذا غبت كنت أنت أولى به لموضعك من السلطان!

وأمر بمحاسبته؛ وكان يلي الخراج مع الصلّاة والأحداث. وتوفّي عيسى والمهديّ وأجدّ عليه وعلى ولده؛ وكان يكره التقدّم عليه بلجلالته.

(١) ت « خازم » ، وهو خطأ ، صوابه من أ .

وفيها جدّ المهديّ في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم ، وولّي أمرهم عمر الكلواذيّ ، فأخذ يزيد بن الفيض كاتب المنصور ، فأقر - فيما ذكر - فحبس ، فهرب من الحبس ، فلم يقدر عليه .

وفيها عزل المهديّ أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل ، وولّاه الربع الحاجب ، فاستخلف عليه سعيد بن واقد ؛ وكان أبو عبيد الله يدخل على مرتبته .

وفيها فشا الموت ، وسعال شديد ووباء شديد ببغداد والبصرة .

وفيها توفّي أبان بن صدقة بجرّجان ، وهو كاتب موسى على رسائله ، فوجّه المهديّ مكانه أبا خالد الأحول يزيد خليفة أبي عبيد الله .

وفيها أمر المهديّ بالزيادة في المسجد الحرام ؛ فدخلت فيه دور كثيرة . وولّي بناء ما زيد فيه يقطين بن موسى ، فكان في بنائه إلى أن توفّي المهديّ . وفيها عزل يحيى الحرّشيّ عن طبرستان والرّويان ؛ وما كان إليه من تلك الناحية ، وولّيها عمر بن الغلاء ، وولّي جرّجان فرّاشة مولى المهديّ ، وعزل عنها^(١) يحيى الحرّشيّ .

وفيها أظلمت الدنيا ليالٍ بَقَيْن من ذى الحجة ، حتّى تعالى النهار . ولم يكن فيها صائفة ، للهدنة التي كانت بين المسلمين والرّوم .

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد وهو على المدينة ، ثم توفّي بعد فراغه من الحجّ وقدمه المدينة بأيام ، وولّي مكانه إسحاق بن عيسى ابن عليّ .

وفيها طعن عقبة بن سلم الهنّائيّ بعيساباذ ، وهو في دار عمر بن بزيع ؛ اغتاله رجل ، فطعنه بخنجر ، فمات فيها .

٥٢١/٣

وكان العامل على مكة والطائف فيها عبيد الله بن قُشَم ، وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثي ، وعلى اليمامة عبد الله بن مُصعب الزُّبيري ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها رَوْح بن حاتم ، وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان ، وعلى قضائها عمر بن عثمان التيمي ، وعلى كُور دجلة وكُسْكِر وأعمال البصرة والبحرين وعمان وكُور الأهواز وفارس وكَرَمَان المَعْلِي مولى المهدي .

وعلى خراسان وسجستان الفَضْل بن سليمان الطوسي .

وعلى مصر موسى بن مصعب . وعلى إفريقية يزيد بن حاتم .

وعلى طبرستان والرويان عمر بن العلاء ، وعلى جرجان ودنباوند وقوميس

فراشة مولى المهدي ، وعلى الرّي سعد مولى أمير المؤمنين .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من نقض الروم الصلح الذي كان جرى بينهم وبين هارون بن المهدي الذي ذكرناه قبل وغدرهم ؛ وذلك في شهر رمضان من هذه السنة ؛ فكان بين أول الصلح وغدر الروم ونكثهم به اثنان وثلاثون شهراً ؛ فوجه على بن سليمان وهو يومئذ على الجزيرة وقتسرين يزيد بن بدر بن البطال في سرية^(١) إلى الروم فغنموا وظفروا .

وفيهما وجه^(٢) المهدي سعيداً الحرشي إلى طبرستان في أربعين ألف رجل .

وفيهما مات عمر الكلواذي صاحب الزنادقة . وولّى مكانه حمدويه ، وهو محمد بن عيسى من أهل ميسان .

وفيهما قتل المهدي الزنادقة ببغداد .

وفيهما ردّ المهدي ديوانه وديوان أهل بيته إلى المدينة ونقله من دمشق إليها . وفيها خرج المهدي إلى نهر الصلة أسفل واسط - وإنما سُمّي نهر الصلة فيما ذكر لأنه أراد أن يقطع أهل بيته وغيرهم غلّته ؛ يصلهم بذلك .

وفيهما ولّى المهدي على بن يقطين ديوان زمام الأزمة على عمر بن بزيع . وذكر أحمد بن موسى بن حمزة ، عن أبيه ، قال : أول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع في خلافة المهدي ؛ وذلك أنه لما جُمعت له الدواوين تفكّر ؛ فإذا هو لا يضبطها إلا بزمام يكون له على كل ديوان ؛ فاتخذ دواوين الأزمات ، وولّى كل ديوان رجلاً ، فكان واليه على زمام ديوان الخراج إسماعيل ابن صبيح ؛ ولم يكن لبني أمية دواوين أزمة .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة على بن محمد المهدي الذي يقال له ابن ريطة .

(١) في القاموس : « السرية من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة » ، وفي س : « في خيل » .

(٢) ج : « أوفد » .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

• • •

[ذكر الخبر عن خروج المهديّ إلى ماسبّدان]

فمّا كان فيها من ذلك خروج المهديّ في المحرم إلى ما سبّدان .

• ذكر الخبر عن خروجه إليها :

٥٢٢/٣

ذكر أن المهديّ كان في آخر أمره قد عزم على تقديم هارون ابنه على ابنه موسى الهادي ، وبعث إليه وهو بجرجان بعض أهل بيته ليقطع أمر البيعة ، ويقدم الرّشيد فلم يفعل ، فبعث إليه المهديّ بعض الموالى ، فامتنع عليه موسى من القدوم ، وضرب الرّسول ، فخرج المهديّ بسبب موسى وهو يريد به بجرجان فأصابه ما أصابه .

وذكر الباهليّ أن أبا شاکر أخبره — وكان من كتّاب المهديّ على بعض دواوينه — قال : سأل عليّ بن يقطين المهديّ أن يتغدّى عنده ، فوعده أن يفعل ، ثم اعتزم على إتيان ما سبّدان ؛ فوالله لقد أمر بالرحيل كأنه يُساق إليها سوقاً ، فقال له عليّ : يا أمير المؤمنين ؛ إنك قد وعدتني أن تتغدّى عندي غدّاً ، قال : فاحمل غدّاءك إلى النّهر وان . قال : فحمله فتغدّى بالنّهر وان ، ثم انطلق . وفيها توفيّ المهديّ .

• • •

[ذكر الخبر عن موت المهديّ]

• ذكر الخبر عن سبب وفاته :

اختلف في ذلك ، فذكر عن واضح قهرمان المهديّ ، قال : خرج المهديّ يتصيد بقرية يقال لها الرّذّ بماسبّدان ، فلم أزل معه إلى بعد العصر ،

وانصرفت إلى مضرى - وكان بعيداً من مضره - فلما كان في السحر الأكبر ركبت لإقامة الوظائف ، فإني لأسير في بريّة ، وقد انقردت عمن كان معي من غلمانى وأصحابى ؛ إذ لقينى أسود عريان على قشَد (١) رَحَل ، فدنا منى ؛ ثم قال لى : أبا سهل ، عظم الله أجرك فى مولاك أمير المؤمنين ! فهمت أن أعلوه بالسوط ، فغاب من بين يدى ؛ فلما انتهيت إلى الرواق لقينى مسرور ، فقال لى : أبا سهل ، عظم الله أجرك فى مولاك أمير المؤمنين ! فخلعت فإذا أنا به مسجى فى قبّة ، فقلت : فارقتكم بعد صلاة العصر ؛ وهو أسراً ما كان حالاً وأصحته بدنأ ، فما كان الخبر ؟ قال : طردت الكلابُ ظلياً ، فلم يزل يتبعها ، فافتحم الظبي باب خربة ، فافتحمت الكلاب خلفه ، واقتحم القوس خلف الكلاب ، فدُقّ ظهره فى باب الخربة ، فأت من ساعته .

٥٢٤/٣

وذكر أن على بن أبى نعيم المروزى ، قال : بعثت جارية من جوارى المهديّ إلى ضرة لها بلباً (٢) فيه سم ؛ وهو قاعد فى البستان ، بعد خروجه من عيساباذ ، فدعا به فأكل منه ، ففرقت الجارية أن تقول له : إنه مسموم .

وحدثني أحمد بن محمد الرازى ، أن المهديّ كان جالساً فى عليّة فى قصر بماسبندان ، يشرف من منظره فيها على سفله ، وكانت جاريته حسنة ، قد عمدت إلى كُمثرتين كبيرتين (٣) ، فجعلتهما فى صينية ، وضمت واحدة منهما وهى أحسنهما وأنضجهما فى أسفلها ، وردّت القمّع فيها ، ووضعتها فى أعلى الصينية - وكان المهديّ يعجبه الكُمثرى - وأرسلت بذلك مع وصيفة لها إلى جارية للمهديّ - وكان يتحفظها - تريد بذلك قتلها ، فرت الوصيفة بالصينية التى فيها تلك الكُمثرى ، تريد دفعها إلى الجارية التى أرسلتها حسنة إليها ، بحيث يراها المهديّ من المنظره ، فلما رآها ورأى معها الكُمثرى ؛ دعا بها ، فدّ يده إلى الكُمثراة التى فى أعلى الصينية وهى المسمومة ، فأكلها ، فلما وصلت إلى جوفه صرخ : جوفى ! وسمعت حسنة الصوت ، وأخبرت الخبر ، فجاءت

٥٣٥/٣

(١) القند : من أدوات الرجل .

(٢) البيا : أول اللبن .

(٣) ١ : إلى كُمثرى كبير .

تَلَطَّمُ وَجْهَهَا^(١) وَتَبْكِي ، وَتَقُولُ : أَرَدْتُ أَنْ أَفْرِدَ بَكَ ، فَقَتَلْتُكَ يَا سَيِّدِي ! فَهَلْكَ مِنْ يَوْمِهِ .

وذكر عبد الله بن إسماعيل صاحب المراكب ، قال : لما صرنا إلى ماسَبَدَانِ دَنَوْتُ إِلَى عَنَانِهِ ، فَأَمْسَكَتْ بِهِ^(٢) وَمَا بِهِ عِلَّةٌ ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَصْبَحَ إِلَّا مَيِّتًا ، فَرَأَيْتُ حَسَنَةً وَقَدْ رَجَعَتْ ؛ وَإِنْ عَلَى قُبَّتِهَا الْمَسْرُوحُ ، فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي ذَلِكَ :

رُحْنٌ فِي الْوُثَى وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ^(٣)
كُلَّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْرِ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ^(٤)
لَسْتُ بِالْبَاقِي وَلَوْ عُمِّرْتُ مَا عُمِّرَ نُوحُ
فَعَلَى نَفْسِكَ نُحْ إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ تَنُوحُ

وذكر صالح القارئ أن عليَّ بن يقطين ، قال : كُنَّا مَعَ الْمُهَدِيَّ بِمَاسَبَدَانِ فَأَصْبَحَ يَوْمًا فَقَالَ : إِنِّي أَصْبَحْتُ جَائِعًا ، فَأَتَيْتُ بِأَرْغِفَةٍ وَلَحْمٍ بَارِدٍ مَطْبُوخٍ بِالْحُلِّ ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ : إِنِّي دَاخِلٌ إِلَى الْبَهْوِ وَنَاقِمٌ فِيهِ ، فَلَا تَنْبَهُونِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَتْبِعُهُ ، وَدَخَلَ الْبَهْوُ فَنَامَ ، وَنَمْنَا نَحْنُ فِي الدَّارِ فِي الرِّوَاقِ ؛ فَانْتَبَهْنَا بِكَائِهِ ؛ فَقَمْنَا إِلَيْهِ مُسْرِعِينَ ، فَقَالَ : أَمَّا رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ ؟ قُلْنَا : مَا رَأَيْنَا شَيْئًا ، قَالَ : وَقَفَ عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ ، لَوْ كَانَ فِي أَلْفٍ أَوْ فِي مِائَةِ أَلْفٍ رَجُلٌ مَا خَفِيَ عَلَى ، فَأَنْشَدَ يَقُولُ^(٥) :

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَأَوْحَشَ مِنْهُ رَيْعُهُ وَمَنَازِلُهُ^(٦)
وَصَارَ عَمِيدُ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ بَهْجَةٍ وَمُلْكٌ إِلَى قَبْرِ عَلَيْهِ جَنَادُهُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهُ وَحَدِيثُهُ تُنَادِي عَلَيْهِ مَعُولَاتٌ حَلَالُهُ

٥٢٦/٣

(٢) ج : « فَأَمْسَكَتْهُ » .

(١) س : « تَلَطَّمْ عَلَى وَجْهَهَا » .

(٣) الْأَغْنَى ٤ : ١٠٣ .

(٤) مَوْضِعُهُ فِي رِوَايَةِ الْأَغْنَى :

نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسَّ كَبِينُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ

(٥) س : « فَأَنَّا » ؛ ابْنُ الْأَثَرِ : « وَقَفَ عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ فَقَالَ » .

(٦) ج : « مَنَازِلُهُ » .

قال : فما أُتت عليه عاشرة حتى مات .

وكانت وفاته - فيما قال أبو معشر والواقدي - في سنة تسع وستين ومائة ، ليلة الخميس لثمان بقين من المحرم ؛ وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ونصف شهر .

وقال بعضهم : كانت خلافته عشر سنين وتسعة وأربعين يوماً ، وتوفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

وقال هشام بن محمد : ملك أبو عبد الله المهدي محمد بن عبد الله سنة ثمان وخمسين ومائة ، في ذى الحجة لست ليالٍ خلون منه ؛ فلك عشر سنين وشهراً واثنين وعشرين يوماً ، ثم توفي سنة تسع وستين ومائة ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

* * *

ذكر الخبر عن الموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه

ذكر أن المهدي توفي بقرية من قرى ماسبندان ، يقال لها الرُذْ ؛ وفي ذلك يقول بكّار بن ربّاح :

أَلَا رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ عَلَى رَمَّةٍ رَمَتْ بِمَاسَبِدَانِ
لَقَدْ غَيَّبَ الْقَبْرُ الَّذِي تَمُّو دَا وَكَفَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ تَبْتَدِرَانِ

وصلّى عليه ابنه هارون ؛ ولم توجد له جنازة يُحمَل عليها ، فحُمِل على باب ، ودفن تحت شجرة جَوَز كان يجلس تحتها .

وكان طويلاً مُضْمَر الخلق ، جَعْدًا . واختلف في لونه ، فقال بعضهم : كان أسمر ، وقال بعضهم : كان أبيض .

وكان في عينه اليمنى - في قول بعضهم - نُكْة بياض . وقال بعضهم : كان ذلك بعينه اليسرى .
وكان وُلد بِلْدَج .

ذكر بعض سير المهدي وأخباره

ذكر عن هارون بن أبي عبيد الله ، قال : كان المهدي إذا جلس للمظالم ، قال : أدخلوا عليّ القضاة ؛ فلو لم يكن ردّي للمظالم إلا للحياء منهم لكتبت .
 وذكر الحسن بن أبي سعيد ، قال : حدثني عليّ بن صالح ، قال : جلس المهدي ذات يوم يعطي جوائز تقسم بحضرته في خاصته ^(١) من أهل بيته والقواد ؛ وكان يُقرأ عليه الأسماء ، فيأمر بالزيادة ؛ العشرة الآلاف والعشرين الألف ، وما أشبه ذلك ، فعرّض عليه بعض القواد ، فقال : يُحطّ ^(٢) هذا خمسمائة ، قال : لم حططتني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنّي وجهتُك إلى عدوّ لنا فانهزمت . قال : كان يسرك أن أقتل ؟ قال : لا ، قال : فوالذي أكرمك بما أكرمك به من الخلافة لو ثبتت لقلت ، فاستحيا المهديّ منه ، وقال : زده خمسة آلاف .

قال الحسن : وحدثني عليّ بن صالح ، قال : غضب المهديّ على بعض القواد - وكان عتب عليه غير مرة - فقال له : إلى متى تذهب إلى وأعفو ؟ قال : إلى أبد ^(٣) نسيء ، ويبقيلك الله فتفزعنا ؛ فكررها ^(٤) عليه مرات ، فاستحيا منه ورضي عنه ^(٥) . ٥٢٨/٣

وذكر محمد بن عمر ، عن حفص مولى مزينة ، عن أبيه ، قال : كان هشام الكابيّ صديقاً لي ، فكنا نتلاق فتحدث ونتناشد ؛ فكنت أراه في حال رثة وفي أخلاق ^(٦) على بغلة هزيل ^(٧) ، والضّر فيه بين وعلى بقلته ؛ فإراعيّ إلاّ وقد لقيني يوماً على بغلة شقراء من بغال الخلافة ، وسرّج ولجام من سروج الخلافة ولُجُمها ، في ثياب جياد ورائحة طيبة ، فأظهرت السرور ، ثم قلت له : أرى نعمة ظاهرة ، قال لي : نعم ، أخبرك عنها ، فاكم ؛ فبينما

(١) س : « خاصه » .

(٢) ج : « يحط » .

(٣) س : « أبداً » .

(٤) س : « يكررها » .

(٥) س : « صفعا عنه » .

(٦) ثوب أخلاق : إذا كانت الخلقة بيّنة فيه كله .

(٧) هزيل ، على فعيل مما يستوي فيه المذكر والمؤنث .

أنا في منزلي منذ أيام بين الظهر والعصر؛ إذ أتاني رسول المهديّ فسرّت^(١) إليه، ودخلت عليه وهو جالس خالٍ ليس عنده أحد؛ وبين يديه كتاب، فقال: ادنُ يا هشام، فدنوتُ فجلستُ بين يديه، فقال: خذ هذا الكتاب فاقراه. ولا يمنعك^(٢) ما فيه مما تستفظعه أن تقرأه. قال: فنظرت في الكتاب؛ فلما قرأت بعضه استفظعته، فألقيته من يدي^(٣)، ولعنت كاتبه، فقال لي: قد قلت لك: إن استفظعته فلا تلقه؛ اقرأه بحقي عليك حتى تأتي على آخره^(٤)! قال: فقرأته فإذا كتاب قد ثلثه فيه كتابه ثلثياً عجيباً، لم يبقَ له فيه شيئاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، مَنْ هذا الملعون الكذاب؟ قال: هذا صاحب الأندلس، قال: قلت: فالثاب والله يا أمير المؤمنين فيه وفي آبائه وفي أمهاته. قال: ثم اندرأت^(٥) أذكر مثالبهم، قال: فسُرَّ بذلك، وقال: أقسمت عليك لما أملت مثالبهم كلها على كاتب. قال: ودعا بكاتب^(٦) من كتاب السر^(٧)، فأمره فجلس ناحية، وأمرني فصرت إليه، فصدّر الكاتب من المهديّ جواباً، وأملت عليه مثالبهم فأكثرت؛ فلم أبقَ شيئاً حتى فرغت من الكتاب، ثم عرضته عليه، فأظهر السرور، ثم لم أبرح حتى أمر بالكتاب فحُتِمَ، وجُمِلَ في خريطة، ودُفع إلى صاحب البريد، وأمر بتعجيله إلى الأندلس. قال: ثم دعا بمندبل فيه عشرة أثواب من جياذ الثياب وعشرة آلاف درهم، وهذه البغلة بمرجها ولحامها، فأعطاني ذلك، وقال لي: اكتم ما سمعت.

قال الحسن: وحدّثني مسور بن مساور، قال: ظلمني وكيل للمهديّ^(٨)، وغصبني ضيعةً لي، فأنتيت سلاًماً صاحب المظالم، فظلمت منه وأعطيته رقعة مكتوبة، فأوصل الرقعة إلى المهديّ، وعنده عمه العباس بن محمد وابن علّالة وعافية القاضي. قال: فقال لي المهديّ: ادنُه، فدنوت، فقال: ما تقول؟ قلت: ظلمتني، قال: فترضى بأحد هذين؟ قال: قلت: نعم،

(١) س: «فصرت» .

(٢) ج: «بين يدي» .

(٣) س: «كاتباً» .

(٤) ج: «النثر» .

(٥) س: «لا أمتك» .

(٦) ج: «عليه» .

(٧) س: «كاتباً» .

(٨) س: «وكيل المهديّ» .

قال : فادنُ مني ، فدنوت منه حتى التزقت بالفراش ، قال : تكلم ، قلت :
أصلح الله القاضي ! إنه ظلمني في ضيعتي هذا ، فقال القاضي : ما تقول
يا أمير المؤمنين ؟ قال : ضيعتي وفي يدي ، قال : قلت : أصلح الله القاضي !
سكته ، صارت الضيعة إليه قبل الخلافة أو بعدها ؟ قال : فسأله : ما تقول
يا أمير المؤمنين ؟ قال : صارت إلي بعد الخلافة . قال : فأطلقها له ،
قال : قد فعلت ، فقال العباس بن محمد : والله يا أمير المؤمنين لهذا المجلس
أحب إلي من عشرين ألف ألف درهم .

قال : وحدثنني عبد الله بن الربيع ، قال : سمعت مجاهدًا الشاعر يقول :
خرج المهدي متنزهاً ، ومعهم عمر بن بزيع مولاة ، قال : فانقطعنا عن العسكر ،
والناس في الصيد ، فأصاب المهدي جوع ، فقال : ويحك ! هل من شيء ؟
قال : ما من شيء ، قال : أرى كوخاً وأظنها مبقلة ، فقصدنا قصده ، فإذا
نبتطي في كوخ ومبقلة ، فسلمنا عليه ، فرد السلام ، فقلنا له : هل عندك
شيء نأكل ؟ قال : نعم عندي ربيشاء^(١) وخبز شعير . فقال المهدي : إن
كان عندك زيت فقد أكلت ، قال : نعم ، قال : وكراث ؟ قال : نعم ،
ما شئت وتمر . قال : فعدا نحو المبقلة ، فأناهم ببقل وكراث وبصل ،
فأكلا أكلاً كثيراً ، وشبعوا . فقال المهدي لعمر بن بزيع : قل في هذا شعراً ،
فقال :

٥٣٠/٣

إِنَّ مَنْ يُطْعِمُ الرُّبَيْشَاءَ بِالزَّيْدِ وَخُبِزَ الشَّعِيرِ بِالْكُرَاثِ
لِحَقِيقٍ بِصَفْعَةٍ أَوْ بِثِنْتِيَةٍ نِ لِسُوءِ الصَّنِيعِ أَوْ بِثَلَاثِ

فقال المهدي : بنس ما قلت ، ليس هكذا ...

لِحَقِيقٍ بِبَسْدَرَةٍ أَوْ بِثِنْتِيَةٍ نِ لِحَسَنِ الصَّنِيعِ أَوْ بِثَلَاثِ

قال : ووافي العسكر والخزائن والخدم فأمر للنبتطي بثلاث بدر وانصرف .
وذكر محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني أبو غانم ، قال : كان ريد

(١) في حاشية ط : « وهو نوع من الصحناء » ، وفي القاموس : « الصحناء والصحناء :
إدام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للمعدة » .

الهلاليّ رجلاً شريفاً سخيّاً مشهوراً من بني هلال ؛ وكان نقشُ خاتمه :
«أفلح يا زيد من زكا عمله» ، فبلغ ذلك المهديّ ، فقال زيد الهلاليّ :
زَيْدُ الْهِلَالِيّ نَقَشَ خَاتَمَهُ أَفْلَحَ يَا زَيْدُ مِنْ زَكَا عَمَلِهِ^(١)

قال : وقال الحسن الوصيف : أصابتنا ريح في أيام المهديّ حتى ظننّا
أنّها تسوقنا إلى المخشّر ، فخرجتُ أطلب أمير المؤمنين ، فوجدته واضعاً خدّه
على الأرض ، يقول : اللهم احفظ محمداً في أمته ، اللهم لا تُشمت بنا
أعداءنا من الأمم ، اللهم إن كنت أخذت هذا العالم بذنبي فهذه ناصيتي بين
يديك ؛ قال : فابلشنا إلا يسيراً حتى انكشفت الريح وانجلى ما كنا فيه .

وقال الموصلي : قال عبد الصمد بن عليّ : قلت للمهديّ : يا أمير المؤمنين ،
إنّا أهل بيت قد أشرب قلوبنا حبّ موالينا وتقدّمهم ؛ وإنك قد صنعت
من ذلك ما أفرطت فيه ؛ قد ولّيتهم أمورك كلّها ، وخصصتهم في ليلك
ونهارك ، ولا آمن تغيير قلوب جنّدك وقوّادك من أهل خراسان ، قال :
يا أبا محمد ، إنّ الموالى يستحقّون ذلك ؛ وليس أحدٌ يجتمع لى فيه أن أجلس
للعمامة فأدعوه به فأرفعه حتى تحكّ ركبته ركبتي ، ثم يقوم من ذلك المجلس ،
فأستكفيه سياسةً دابتي ، فيكفيها ، لا يرفع نفسه عن ذلك إلاّ مولى هؤلاء ،
فإنهم لا يتعاظمهم ذلك ؛ ولو أردت هذا من غيرهم لقال : ابن دولتيك
والمُتقدّم في دعوتك ، وابن من سبق إلى بيعتك^(٢) ، لا أدفعه عن ذلك .

قال عليّ بن محمد : قال الفضل بن الربيع : قال المهديّ لعبد الله بن
مالك : صارخٌ مولاى هذا ، فصارعهُ ؛ فأخذ بعنقه^(٣) ، فقال المهديّ : شدّ ،
فأما رأى ذلك عبد الله أخذ برجله فسقط على رأسه فصرعه . فقال عبد الله
للمهديّ : يا أمير المؤمنين ، قمتُ من عندك وأنا أحبّ الناس إليك^(٤) ، فلم
تسرّ عليّ مع مولاك . قال : أما سمعت قول الشاعر^(٥) :

(١) ورد هذا البيت في ط محرراً على هيئة النثر ، وصوابه من أ .
(٢-٢) كذا في ا و ق ط : « أين وليك والمتقدم في دعوتك ، وابن من سبق إلى دعوتك » .
(٣) ج : « بعضه » .
(٤) ج : « عندك » .
(٥) ج : « أما سمعت للشاعر » .

وَمَوْلَاكَ لَا يُهْضَمُ لَدَيْكَ فَإِنَّمَا هَضِيمَةُ مَوْلَى الْقَوْمِ جَدُّعُ الْمَنَاقِبِ

قال أبو الخطاب : لما حضرت القاسم بن مجاشع التميمي - من أهل مرو بقرية يقال لها باران - الوفاة أوصى إلى المهدي ، فكتب : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ... ﴾ ^(١) ، إلى آخر الآية . ثم كتب : والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك ، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن علي بن أبي طالب وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارث الإمامة بعده . قال : فعرضت الوصية على المهدي ، فلما بلغ هذا الموضع روى بها ولم ينظر فيها ^(٢) . قال أبو الخطاب : فلم يزل ذلك في قلب أبي عبيد الله الوزير ؛ فلما حضرته الوفاة كتب في وصيته هذه الآية .

قال : وقال الهيثم بن عدي : دخل على المهدي رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن المنصور شتمني وقذف أمي ؛ فلما أمرتني أن أحلّه ؛ وإلاّ عوضتي واستغفرت الله له . قال : ولم شتمك ؟ قال : شتمت عدوّه بحضرته ؛ فغضب ، قال : ومن عدوّه الذي غضب لثمة ؟ قال : إبراهيم بن عبد الله ابن حسن ، قال : إن إبراهيم أمسّ به رحيماً وأوجب عليه حقاً ، فإن كان شتمك كما زعمت ، فمن رحيمة ذبّ ، وعن غير ضمه دفع ؛ وما أساء من انتصر لابن عمه . قال : إنه كان عدوّاً ^(٣) له ، قال : فلم ينتصر للعداوة ؛ وإنما انتصر للرحيم ؛ فأسكت الرجل ، فلما ذهب ليولّي ، قال : لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعة عنك أبلغ من هذه الدعوى ! قال : نعم ، قال : فتبتم وأمر ^(٤) له بخمسة آلاف درهم .

قال : وأتت المهديّ برجل قد تنبأ ، فلما رآه ، قال : أنت نبي ؟ قال : نعم ، قال : وإلى من تبعث ؟ قال : وتركموني أذهب إلى من بعثت إليه !

(٢) س : « إليها » .

(١) سورة آل عمران ١٨ ، ١٩ .

(٤) س : « ثم أمر » .

(٢) ج : « علواً » .

وَجْهَت بِالْفِدَاةِ فَأَخَذَتْنِي بِالْعَشَى ، وَوَضَعْتَنِي فِي الْحَبْسِ ! قال : فضحك المهديّ منه ، وخلق سبيله .

وذكر أبو الأشعث الكندي ، قال : حدثني سليمان بن عبد الله ، قال : قال الربيع : رأيت المهديّ يصلّي في بهو له في ليلة مُقَمَّرَة ؛ فما أدرى أهو أحسن ، أم البهو ، أم القمر ، أم ثيابه ! قال : فقرأ هذه الآية : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ^(١) ، قال : فتمّ صلاته والتفت إلى فقال : يا ربيع ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : عليّ بموسى ، وقام إلى صلاته ، قال : فقلت : من موسى ؟ ابنه موسى ، أو موسى بن جعفر ، وكان محبوساً عندي ! قال : فجعلت أفكر ، قال : فقلت : ما هو إلا موسى بن جعفر ، قال : فأحضرت ، قال : فقطع صلاته ، وقال : يا موسى ، إني قرأت هذه الآية : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ ^(١) ، فخنيت أن أكون قد قطعت رحمك ، فوثق لي أنك لا تخرج عليّ . قال : فقال : نعم ، فوثق له وخلّاه .

وذكر إبراهيم بن أبي عليّ ، قال : سمعت سليمان بن داود ، يقول : سمعت المهديّ يحدثنا ^(٢) في محراب المسجد على اللحن اليتيم ^(٣) : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ ﴾ ^(٤) ، في سورة النساء .

وذكر عليّ بن محمد بن سليمان ، قال : حدثني أبي ، قال : حضرت المهديّ وقد جلس للمظالم ، فتقدّم إليه رجل من آل الزبير ؛ فذكر ضيعة اصطفاها عن أبيه بعض ملوك بني أميّة ؛ ولا أدرى : الوليد ، أم سليمان ! فأمر أبا عبيد الله أن يخرج ذكرّها من الديوان العتيق ، ففعل ، فقرأ ذكرها على المهديّ ؛ وكان ذلك أنها عرضت على عِدّة منهم لم يروا ردّها ؛ منهم عمر ابن عبد العزيز . فقال المهديّ : يا زبيرى ، هذا عمر بن عبد العزيز ؛ وهو منكم معشر قريش كما علمتم لم ير ردّها . قال : وكلّ أفعال عمر تُرضى ؟

(١) سورة محمد ٢٤ . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « يحدثنا » .

(٣) كذا في ط ، وفي ١ : على لحن خدّاش اللحن اليتيم ، وفي ج : « لحن خدّاش اليتيم » .

(٤) سورة النساء ٥١ .

وهو غير واضح .

قال : وأى أفعاله لا تُرضى ؟ قال : منها أنه كان يفرض للسقط^(١) من بنى أمية في خيرة في الشرف من العطاء ، ويفرض للشيخ من بنى هاشم في ستين . قال : يا معاوية أكذلك كان يفعل عمر ؟ قال : نعم ؛ قال : اردد على الزبيرى ضيعته .

وذكر عمر بن شبة أن أبا سلمة الغفارى حدثه ، قال : كتب المهدي إلى جعفر بن سليمان وهو عامل المدينة أن يحمل إليه جماعة اتهموا بالقدر ، فحمل إليه رجالا ؛ منهم عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، وعبد الله بن يزيد بن قيس الهذلي ، وعيسى بن يزيد بن دأب الليثي ، وإبراهيم ابن محمد بن أبي بكر الأسامي ؛ فأدخلوا على المهدي ، فانبرى له عبد الله ابن أبي عبيدة من بينهم ؛ فقال : هذا دين أبيلك ورأيه ؟ قال : لا ، ذاك عمي داود . قال : لا ، إلا أبوك ، على هذا فارقنا وبه كان يدين . فأطلقهم .

وذكر علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، قال : حدثني أبي ، عن محمد ابن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال : رأيت فيما يرى النائم في آخر سلطان بني أمية ، كأني دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفعت رأسي ، فنظرت في الكتاب الذي في المسجد بالفسيفساء^(٢) فإذا فيه : مما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ؛ وإذا قائل يقول : يمحو هذا الكتاب ويكتب مكانه اسمه رجل من بني هاشم يقال له محمد . قال : قلت : أنا محمد ، وأنا من بني هاشم ؛ فابن من ؟ قال : ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ، فابن من ؟ قال : ابن محمد ، قلت : فأنا ابن محمد ، فابن من ؟ قال : ابن علي ، قلت : فأنا ابن علي ، فابن من ؟ قال : ابن عبد الله ، قلت : فأنا ابن عبد الله ؛ فابن من ؟ قال : عباس ؛ فلو لم أكن بلغت العباس ما شككت أني صاحب الأمر . قال : فتحدثت بهذه الرؤيا في ذلك الدهر ونحن لا نعرف المهدي ؛ فتحدث الناس بها حتى ولي المهدي ، فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع رأسه

٥٣٥/٣

(١) السقط : الولد لغير تمام .

(٢) كذا في أوائل الأثير ، والفسيفساء : ألوان من الخرز تتركب في الحيطان .

فنظر فرأى اسم الوليد، فقال: وإني لأرى اسم الوليد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، فدعا بكرسى فألقى له في صحن المسجد وقال: ما أنا ببارح حتى يُمحي ويكتب اسمي مكانه. وأمر أن يحضر العمّال والساكنين وما يحتاج إليه، فلم يبرح حتى غير وكتب اسمه.

وذكر أحمد بن أبيه القُرشي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عطاء، قال: خرج المهديّ بعد هدأة من الليل يطوف بالبيت، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهي تقول: قومي مقترون، نبت عنهم العيون، وفدحتهم الديون، وعصّتهم السنون؛ بادت^(١) رجالهم، وذبحت أموالهم، وكثر عيالهم؛ أبناء سبيل، وأنضاء طريق؛ وصية الله ووصية الرسول؛ فهل من أمر^(٢) لي بخير، كالأه الله في سفره، وخلائقه في أهله! قال: فأمر نُصيراً الخادم، فدفع إليها خمسمائة درهم.

وذكر عليّ بن محمد بن سليمان، قال: سمعتُ أبي يقول: كان أول من افترش الطبريّ المهديّ؛ وذلك أن أباه كان أمره بالمقام بالرّيّ، فأهديّ إليه الطبريّ من طبرستان، فافترشه، وجعل الثلج والحلاف حوله؛ حتى فُتّح لهم الخيش، فطاب لهم الطبريّ فيه.

وذكر محمد بن زياد، قال: قال المفضل: قال لي المهديّ: اجمع لي الأمثال مما سمعتها من البدو، وما صحّ عندك. قال: فكتبت له الأمثال وحروب العرب مما كان فيها؛ فوصلني وأحسن إليّ.

قال عليّ بن محمد: كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمرة أراد الوثوب بالشأم، فحمّل إلى المهديّ فخلّى سبيله وأكرمه، وقرب مجلسه. فقال له يوماً: أنشدني قصيدة زهير التي هي على الراء، وهي:

• لِمَنِ الدِّيَارُ بِقَنَةِ الْحِجْرِ^(٣) •

(٢) ج: «من أمر لي».

(١) م: «مات».

(٣) ديوانه ٨٦، وبقية:

• أَقْوَيْنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ •

فأنشده ، فقال السَّمُرِيُّ : ذهب والله من يقال فيه مثل هذا الشعر ؛ فغضب المهديّ واستجھله ، ونحّاه ولم يعاقبه ، واستحمله الناس .

وذكر أن أبا عون عبد الملك بن يزيد مريض ، فعاده المهديّ ؛ فإذا منزل رثّ وبناء سوء ؛ وإذا طاق صُفَّتْهُ التي هو فيها لَبِين . قال : وإذا مضربة ^(١) ناعمة في مجلسه ، فجلس المهديّ على وسادة ، وجلس أبو عون بين يديه ، فبَرَهَ المهديّ ، وتوجَّعَ لعلته . وقال أبو عون : أرجو عافية الله يا أمير المؤمنين ؛ وألا يميتني على فراشي حتى أقتل في طاعتك ؛ وإني لوائق بالألأ ^(٢) أموت حتى أبليّ الله في طاعتك ما هو أهله ؛ فلإنا قد رُؤِينَا . قال : فأظهر له المهديّ رأيا جميلا ، وقال : أوصني بحاجتك ، وسأنتي ما أردت ، واحتكم في حياتك ^(٣) وماتك ؛ فوالله لئن عجز مائلك عن شيء توصي به لأحمله ^(٤) كائنًا ما كان ؛ فقل وأوص . قال : فشكر أبو عون ودعا ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ حاجتي أن ترضى عن عبد الله بن أبي عون ، وتدعوه به ، فقد طالمت موجدتك عليه . قال : فقال : يا أبا عون ، إنه على غير الطريق ، وعلى خلاف رأينا ورأيك ؛ إنه يتقمّ في الشيخين أبي بكر وعمر ، ويسيء القول فيهما . قال : فقال أبو عون : هو والله يا أمير المؤمنين على الأمر الذي خرجنا عليه ، ودعونا إليه ؛ فإن كان قد بدا لكم فرؤنا بما أحبيتم حتى نُطيعكم . قال : وانصرف المهديّ ، فلما كان في الطريق قال لبعض من كان معه من ولده وأهله ^(٥) : مالكم لا تكونون مثل أبي عون ! والله ما كنت أظنُّ منزله إلا مبيتًا بالذهب والفضة ؛ وأنتم إذا وجدتم درهمًا بنيتم بالسَّاج والذهب .

وذكر أبو عبد الله ، قال : حدثني أبي ، قال : خطب المهديّ يوماً ؛ فقال : عباد الله ؛ اتقوا الله ؛ فقام إليه رجل ، فقال : وأنت فاتق الله ؛ فإنك تعمل بغير الحق . قال : فأخذه فحُمِلَ ، فجعلوا يتلقَّونه بنعال سيوفهم ؛ فلما أدخل عليه قال : يابن النفاعلة ، تقول لي وأنا على المنبر ؛ اتق الله ! قال : سوءة لك ! لو كان هذا من غيرك كنتُ المستعدي بك عليه ، قال : ما أراك

٥٣٧/٣

٥٣٨/٣

(٢) ج : « ألا » .
(٤) س : « لأحمله » .

(١) المضربة : اللقطة من القطن .
(٢) س : « حاجتك » .
(٥) س : « إخوته » .

إلا نَبَطِيًّا^(١) ، قال : ذاك أوكد للحجة عليك أن يكون نَبَطِيًّا يأمرك بتقوى الله . قال : فرئى الرجل بعد ذلك ؛ فكان يحدث بما جرى بينه وبين المهدي . قال : فقال أبي : وأنا حاضره ، إلا أنى لم أسمع الكلام .

وقال هارون بن ميمون الخُزَاعِيّ : حدثنا أبو خزيمة البادغيسيّ ، قال : قال المهديّ : ما توسّل إلىّ أحد بوسيلة ، ولا تذرّع بذريعة هي أقرب من تذكيره لىأى بدءاً سلفت منى إليه أتبعها أختها ، فأحسن ربّها ؛ لأن منع الأواخر يقطع شكر الأوائل .

قال : وذكر خالد بن يزيد بن وهب بن جرير ، أن أباه حدثه ، قال : كان بشار بن برد بن يَرْجُوح هجا صالح بن داود بن طهمان - أخا يعقوب ابن داود - حين ولّى البصرة ، فقال :

هُمْ حَمَلُوا فَوْقَ الْمَنَابِرِ صَالِحاً أَخَاكَ فَضَجَّتْ مِنْ أَخِيكَ الْمَنَابِرُ
فبلغ يعقوب بن داود هجاؤه ، فدخل على المهديّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنّ هذا الأعمى المشرك قد هجا أمير المؤمنين ، قال : ويلك ! وما قال ؟ قال : يعفني أمير المؤمنين من إنشاده ذلك ، قال : فأبى عليه إلا أن ينشده ، فأنشده :

خَلِيفَةُ يَزْنِي بِعَمَاتِهِ يَلْعَبُ بِالذَّبُوقِ وَالصُّولِجَانِ^(٢)
أَبْدَلْنَا اللَّهَ بِهِ غَيْرَهُ وَدَسَّ مُوسَى فِي حَرِّ الْخِيزَرَانِ^(٣)

قال : فوجه في حمله ، فخاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهديّ ، فيمتدحه فيعفو عنه ، فوجه إليه من يلقيه في البَطِيحَةِ^(٤) في الحرّارة^(٥) . ٥٣٩/٣
وذكر عبد الله بن عمر : حدثني جدّي أبو الحىّ العبسيّ ، قال : لما دخل مروان بن أبي حفصة على المهديّ ، فأنشده شعره الذي يقول فيه :

(١) ج : « قبطيا » .

(٢) الذبوق : لعبة من لعب الصبيان .

(٣) الخيزران : جادياً من جوارى المهديّ ، وهي أم ولديه موسى وهارون .

(٤) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

(٥) والخبر في الأغاني ٣ : ٢٤٣ .

أَنْتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ لِبَنَى الْبِنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ^(١)

فأجازه بسبعين ألف درهم ، فقال مروان :

بِسَبْعِينَ أَلْفًا رَأْسِي مِنْ جِبَائِهِ وَمَا نَالَهَا فِي النَّاسِ مِنْ شَاعِرٍ قَبْلِي^(٢)

وذكر أحمد بن سليمان ، قال : أخبرني أبو عبدان السلمي ، قال : قال المهديّ
لعُمارة بن حمزة : من أرقّ الناس شعراً ؟ قال : والبة بن الحُباب الأسديّ ،
وهو الذي يقول :

وَلَهَا وَلَا ذَنْبٌ لَهَا حُبٌّ كَأَطْرَافِ الرَّمَاكِ
فِي الْقَلْبِ يَقْدَحُ وَالْحَشَا فَالْقَلْبُ مَجْرُوحُ التَّوْحَى

قال : صدقت والله ، قال : فما يمنعك من منادته يا أمير المؤمنين ، وهو
عربيّ شريف شاعر ظريف ؟ قال : يمنعني والله من منادته ، قوله :

قُلْتُ لِسَاقِينَا عَلَى خَلْوَةٍ أَذِنَ كَذَا رَأْسَكَ مِنْ رَأْسِي
وَنَمَ عَلَى وَجْهِكَ لِي سَاعَةٌ إِنِّي أَمْرُؤُ أَنْكِحُ جُلَاسِي

أفتريد أن يكون جلّاسه على هذه الشريطة^(٣) !

وذكر محمد بن سلام أنه كان في زمان المهديّ إنسان ضعيف يقول الشعر
إلى أن مدح المهديّ . قال : فأدخل عليه فأنشده شعراً يقول فيه : « وَجَوَارِ
زَفَرَاتِ » ، فقال له المهديّ : أى شيء زفرات ؟ قال : وما تعرفها أنت
يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا والله ، قال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المسلمين
وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعرفها ، أعرفها أنا ! كلا والله .

قال ابن سلام : أخبرني غير واحد أن طُريج بن إسماعيل الثقفيّ دخل
على المهديّ فانتسب له ، وسأله أن يسمع منه ، فقال : أأنت الذي يقول
للوليد بن يزيد :

(١) الأغاني ١٠ : ٨٩ . (٢) س : « مثل » .

(٣) الأغاني ١٦ : ١٤٣ (سأسى) . وفي ج : « جليسه » .

أَنْتَ ابْنُ مُسْلِمٍ طَحِ الْبِطَاحِ وَلَمْ تُطَرِّقْ عَلَيْكَ الْخَيْ وَالْوَلَجُ^(١)
 والله لا تقول لى فى مثل هذا أبداً ، ولا أسمع منك شعراً ، وإن شئت
 وصلتك .

وذكر أن المهدي أمر بالصوم سنة ست وستين ليستسقى للناس فى اليوم
 الرابع ، فلما كان فى الليلة الثالثة أصابهم الثلج ، فقال لقيط بن بكير
 المحاربي فى ذلك :

يا إمام الهدى سقىنا بك الغي	مَ زالت عَنَّا بِكَ السَّلاوَاءُ
بِتَّ تُعْنَى بِالْحَفِظِ وَالنَّاسُ نَوَا	مُ عَلَيْهِم مِّنَ الظَّلَامِ غِطَاءُ ^(٢)
رَقَدُوا حَيْثُ طَالَ لَيْلُكَ فِيهِمْ	لَكَ خَوْفٌ تَضْرَعُ وَبِكَاءُ
قَدْ عَنَتِكَ الْأُمُورُ مِنْهُمْ عَلَى الْغَف	لَمَ مِنْ مَعْشَرٍ عَصَا وَأَسَاءُوا
وُسْقِينَا وَقَدْ قُحِطْنَا وَقَلْنَا	سَنَةً قَدْ تَنَكَّرَتْ حَمْرَاءُ
بِدُعَاءِ أَخْلَصْتَهُ فِى سَوَادِ الْ	لَيْلِ لِلَّهِ فَاسْتَجِيبِ الدُّعَاءُ
بِشُلُوجٍ تُحْيَا بِهَا الْأَرْضَ حَتَّى	أَصْبَحَتْ وَهَى زَهْرَةٌ خَضْرَاءُ

٥٤١/٣

وذكر أن الناس فى أيام المهدي صاموا شهر رمضان فى صميم الصيف ،
 وكان أبو دلامة إذ ذاك يطالب بجائزة وعدها إياه المهدي ، فكتب إلى المهدي
 رقعة يشكو إليه فيها ما لقى من الحر والصوم ، فقال فى ذلك :

أَدْعُوكَ بِالرَّجْمِ الَّتِي جَمَعْتَ لَنَا	فِى الْقُرْبِ بَيْنَ قَرِينَا وَالْأَبْعَدِ ^(٣)
إِلَّا سَمِعْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ مَشَى	مِنْ مُنْشِدٍ يَرْجُو جَزَاءَ الْمُنْشِدِ
حَلَّ الصَّيَامُ فَصَمْتُهُ مُتَعَبِدَا	أَرْجُو ثَوَابَ الصَّائِمِ الْمُتَعَبِدِ
وَسَجَدْتُ حَتَّى جَبْهَتِي مَشْجُوجَةٌ	مِمَّا أَكْلَفُ مِنْ نَطَاحِ الْمَسْجِدِ

(١) الأغاني ٤ : ٣١٦ . المائلطح : ما اتسع سطحه . وتطرق : تضييق . والمنى : ما انخفض
 من الأرض . والولج : كل ما اتسع فى الرأى .

(٢) ج : « والناس قوام » .

(٣) الأغاني ١٠ : ٢٥٤

قال : فلمّا قرأ المهدي الرقعة دعا به ، فقال : أرى قرابة بيني وبينك
يا بن اللخناء ! قال : رَحِمَ آدم وحواء . فضحك منه وأمر له بجائزة .

وذكر عليّ بن محمد ، قال : حدثني أبي ، عن إبراهيم بن خالد المعيطي
قال : دخلت على المهديّ - وقد وُصف له غنائى - فسألني عن الغناء وعن
علمي به ، وقال لي : تُغنّي النواقيس ؟ قلت : نعم والصليب يا أمير المؤمنين !
فصرقني ؛ وبلغني أنه قال : مُعيطي ، ولا حاجة لي إليه فيمن أدنيه من خلوتي ^(١)
ولا آنس به ^(٢) .

ولمبعد المغنى النواقيس في هذا الشعر :

٥٤٢/٣

مَلَا دَارَ لَيْلِي هَلْ تُجِيبُ فَتَنْطِقُ وَأَنْتَى تَرُدُّ الْقَوْلَ بَيْدَاءُ سَمَلَقُ ^(٣)
وَأَنْتَى تَرُدُّ الْقَوْلَ دَارُ كَأَنهَا لِيُطَوِّلَ بِلَاهَا وَالتَّقَادُمُ مُهَرَّقُ

وذكر قَعْنَب بن محرز أبو عمرو الباهليّ أن الأصمعيّ حدثه ، قال :
رأيت حكماً الوادي حين مضى المهديّ إلى بيت المقدس ، فعرض له في
الطريق ، وكان له شعيرات ^(٤) ، وأخرج دُفّاً له يضربه ، وقال : أنا القاتل :

فَعَمَى تَخْرُجُ العُرو مُسْ فَقَدْ طَالَ حَبْسُهَا
قَدْ دَنَا الصَّبِيحُ أَوْ بَدَا وَهِيَ لَمْ تَقْضِ لُبْسَهَا

فتسرع إليه الحرّس فصيح بهم : كُفُّوا ^(٥) ، وسأل عنه فقيل : حكم
الوادي ، فأدخله إليه ووصله ^(٦) .

وذكر عليّ بن محمد أنه سمع أباه يقول : دخل المهديّ بعضَ دوره يوماً
فإذا جارية له نصرانيّة ، وإذا جيبُها واسع وقد انكشف عما بين ثدييها ؛ وإذا
صليب من ذهب معلق في ذلك الموضع ؛ فاستحسنه ، فمدّ يده إليه فجذبه ،

(١) الأغاني : « ولا حاجة لي إلى أن أدنيه من خلوتي » .

(٢) الأغاني ٣ : ٣٠٤ .

(٣) الأغاني ٣ : ٣٠٤ ، وفيه : « هل تبين » . (٤) الأغاني : « وله شعيرات على رأسه » .

(٥) الأغاني : « وله شعيرات على رأسه » . (٦) ج : « كُفُّوا » .

(٧) الأغاني ٦ : ٢٨٦ .

فأخذه^(١) ، فولولت على الصليب ، فقال المهديّ في ذلك :

يَوْمَ نَازَعْتُهَا الصَّلِيبَ فَقَالَتْ وَيَحْ نَفْسِي أَمَا تُجِلُّ الصَّلِيبَا !

قال : وأرسل إلى بعض الشعراء فأجازه ، وأمر به فغنى فيه ، وكان معجباً بهذا الصوت .

قال : وسمعت أبي يقول : إنَّ المهديّ نظر إلى جارية له عليها تاج فيه نرجس من ذهب وفضة ، فاستحسنه فقال :

• يا حبذا النرجس في التاج •

• ٤٢/٣ •

فأرتجّ عليه ، فقال : مَنْ بالحضرة ؟ قالوا : عبد الله بن مالك ، فدعاه ، فقال : إني رأيت جارية لي فاستحسنْتُ تاجاً عليها فقلت :

• يا حبذا النرجس في التاج •

فستطيع أن تزيد فيه ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ ولكن دَعْنِي أخرج فأفكّر ، قال : شأنك ، فخرج وأرسل إلى مؤدّب لولده^(٢) فسأله إجازته ، فقال :

• على جبينٍ لَحَّ كالعاج •

وأتمها أبياتاً أربعة ، فأرسل بها عبد الله إلى المهديّ ، فأرسل إليه المهديّ بأربعين ألفاً ، فأعطى المؤدّب منها أربعة آلاف ، وأخذ الباقي لنفسه ، وفيها غناء معروف .

وذكر أحمد بن موسى بن مضر أبو عليّ ، قال : أنشدني التوزي في حسنة جاريته :

أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
أَمَّا يَكْفِيكَ أَنَّكَ تَمْلِكُنِي وَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَبِيدِي
وَأَنَّكَ لَوْ قَطَعْتَ يَدِي وَرَجَلِي لَقُلْتُ مِنَ الرِّضَا أَحْسَنْتَ زَيْدِي

(١) ج : « فأخذه فجذبه » .

(٢) س : « ولده » .

وذكر علي بن محمد ، عن أبيه ، قال : رأيت المهدي وقد دخل البصرة من قبل سكة قريش . فرأيت يسير والبانوق بين يديه ، بينه وبين صاحب الشرطة ، عليها قباء أسود ، متقلدة سيفاً في هيئة العلمان . قال : وإنى لأرى في صدرها شيئاً من ثدييها .

قال علي : وحدثنى أبي ، قال : قدم المهدي إلى البصرة ، فرأى في سكة قريش ، وفيها منزلنا ، وكانت الولاة لا تمر فيها إذا قدم الوالي ، كانوا يتشاءمون بها - قل وال مَرَّ فيها ^(١) فأقام في ولايته إلا يسيراً حتى يعزل - ولم يمر فيها خليفة قط إلا المهدي ، كانوا يمرّون في سكة عبد الرحمن بن سمرة ، وهي تساوي سكة قريش ، فرأيت المهدي يسير ، وعبد الله بن مالك على شرطه يسير أمامه ، في يده الحربة ، وابنته البانوق تسير بينه وبين يديه وبين صاحب الشرطة في هيئة الفتيان ، عليها قباء أسود ومنطقة وشاشية ، متقلدة السيف ، وإنى لأرى ثدييها قد رفعا لثوبهما .

٥٤٤/٣

قال : وكانت البانوق سمراء حسنة القد حلوة . فلما ماتت - وذلك ببغداد - أظهر عليها المهدي جزعاً لم يسمع بمثله ، فجلس للناس يعزّونه ، وأمر ألاّ يحجب عنه أحد ، فأكثر الناس في التعازي ، واجتهدوا في البلاغة ، وفي الناس من ينتقد هذا عليهم من أهل العلم والأدب ، فأجمعوا ^(٢) على أنهم لم يسمعوا تعزية أوجز ولا أبلغ من تعزية شبيب بن شيبة ، فإنه قال : يا أمير المؤمنين ، الله خيرٌ لها منك ، وثواب الله خيرٌ لك منها ، وأنا أسأل الله ألاّ يحزنك ولا يفتنك .

وذكر صباح بن عبد الرحمن ، قال : حدثنى أبي ، قال : توفيت البانوق بنت المهدي ، فدخل عليه شبيب بن شيبة ، فقال : أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً ، وأعقبك صبياً ، لا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خيرٌ لك منها ، ورحمة الله خيرٌ لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى ردّه .

خلافة الهادي

وفي هذه السنة بويج لموسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بالخلافة ، يوم توفّي المهديّ ، وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان ؛ وكانت وفاة المهديّ بماسبذان ومعه ابنه هارون ، ومولاه الربيع ببغداد خلفه بها ؛ فذكر أن المولى والقواد لما توفّي^(١) المهديّ اجتمعوا إلى ابنه هارون ، وقالوا له : إن عليم الجند بوفاة المهديّ لم تأمن الشغب ، والرأى أن يُحمل ، وتنادى في الجند بالقفل حتى تواريته ببغداد . فقال هارون : ادعوا إلى أبي يحيى بن خالد البرمكيّ — وكان المهديّ ولّي هارون المغرب كلّهُ ؛ من الأنبار إلى إفريقية ، وأمر يحيى بن خالد أن يتولّى ذلك ، فكانت إليه أعماله ودواوينه يقوم بها ويخلفه على ما يتولى منها إلى أن توفّي — قال : فصار يحيى بن خالد إلى هارون ، فقال له : يا أبت ، ما تقول فيما يقول عمر بن بزيع ونُصير والمفضل^(٢) ؟ قال : وما قالوا ؟ فأخبره ، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولم ؟ قال : لأن هذا ما لا يخفى ، ولا آمن إذا علم الجند أن يتعلّقوا بمحملة ، ويقولوا : لا نُخلّيه حتى نعطي ثلاث سنين وأكثر ، ويتحكّموا ويشتطّوا ؛ ولكن أرى أن يُسوّى رحمه الله هاهنا ، وتوجّه نصيراً إلى أمير المؤمنين الهادي بالخاتم والقضيب والتهنئة والتعزية ؛ فإنّ البريد إلى نصير ؛ فلا يُسكّر خروجه أحدٌ إذ كان على بريد الناحية ، وأن تأمر لمن معك من الجند بجوائز ؛ مائتين مائتين ، وتنادى فيهم بالقفل ؛ فإنهم إذا قبضوا الدراهم لم تكن لهم همة سوى أهاليهم وأوطانهم ؛ ولا عَرَجَة على شيء دون بغداد . قال : نفعل ذلك . وقال الجند لما قبضوا الدراهم : بغداد بغداد ! يتبادرون إليها ، ويبعثون على الخروج من ماسبذان ؛ فلما وافوا ببغداد ، وعلموا خبر الخليفة ، ساروا^(٣) إلى باب الربيع فأحرقوه ، وطالبوا^(٤) بالأرزاق ، وضجّوا . وقدم هارون ببغداد ،

(٢) ١ ، ج : « الفضل » .

(٤) ابن الاثير : « وطلبوا الأرزاق » .

(١) س : « مات » .

(٣) س : « ساروا » .

فبعث الخيزان إلى الربيع وإلى يحيى بن خالد تشاورهما في ذلك ؛ فأما الربيع فدخل عليها ، وأما يحيى فلم يفعل ذلك لعلمه بشدة غيرة موسى .

قال : وجمعت الأموال حتى أعطى الجند لستين ، فسكتوا ؛ وبلغ الخبر الهادي ، فكتب إلى الربيع كتاباً يتوعده فيه بالقتل ، وكتب إلى يحيى بن خالد ينجزيه الخير ، ويأمره أن يقوم من أمر هارون بما لم يزل يقوم به ، وأن يتولّى أموره وأعماله على ما لم يزل يتولاه . قال : فبعث الربيع إلى يحيى بن خالد - وكان يودّه ، ويثق به ، ويعتمد على رأيه : يا أبا عليّ ، ما ترى ؟ فإنه لا صبر لي على جرّ^(١) الحديد . قال : أرى ألاّ تبرح موضعك ، وأن توجه ابنك الفضل يستقبله ومعه من الهدايا والطرف^(٢) ما أمكنك ؛ فإني لأرجو ألاّ يرجع إلاّ وقد كفيت ما تخاف إن شاء الله . قال : وكانت أم الفضل ابنة بحيث تسمع منهما مناجاتهما ؛ فقالت له : نصحك والله . قال : فإني أحبّ أن أوصي إليك ؛ فإني لا أدري ما يحدث . فقال^(٣) : لست أنفرد لك بشيء ، ولا أدع ما يجب^(٤) ، وعندى في هذا وغيره ما تحبّ ؛ ولكن أشرك معي في ذلك الفضل ابنك وهذه المرأة ؛ فإنها جزلة مستحقة لذلك منك . ففعل الربيع ذلك ، وأوصى إليهم .

٥٤٧/٣

قال الفضل بن سليمان : ولما شغّب الجند على الربيع ببغداد وأخرجوا من كان في حبسه ، وأحرقوا أبواب دوره في الميدان ، حضر العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح ومحرز بن إبراهيم ذلك ؛ فرأى العباس أن يرضوا ، وتطيب أنفسهم ، وتفرّق جماعتهم بإعطائهم أرزاقهم ؛ فبذل ذلك لهم فلم يرضوا ، ولم يثقوا مما ضُمن لهم من ذلك ؛ حتى ضمنه محرز بن إبراهيم ، فقتلوا بضمانه وتفرّقوا ، فوفّي لهم بذلك ، وأعطوا رزق ثمانية عشر شهراً ؛ وذلك قبل قدوم هارون . فلما قدم - وكان هو خليفة موسى الهادي - ومعه الربيع وزيراً له ، وجّه الوفود إلى الأمصار ، ونعى إليهم المهديّ ، وأخذ بيعتهم لموسى الهادي ؛ وله بولاية العهد من بعده ؛ وضبط أمر بغداد . وقد كان نصير

(٢) س : « اللطف » .

(٤) أ : « تحب » .

(١) س : « حد » .

(٣) ط : « فقلت » .

الوصيف شخص من ماسبندان من يومه إلى جرجان ب وفاة المهدي والبيعة له ؛ فلما صار إليه نادى بالرحيل ، وخرج من فتوره على البريد جواداً^(١) ومعه من أهل بيته إبراهيم وجعفر ، ومن الوزراء عبيد الله بن زياد الكاتب صاحب رسائله ، ومحمد بن جميل كاتب جنده . فلما شارف مدينة السلام استقبله الناس من أهل بيته وغيرهم ؛ وقد كان احتمال^(٢) على الربيع ما كان منه وما صنع من توجيه الوفود وإعطائه الجنود قبل قدومه ؛ وقد كان الربيع وجه ابنه الفضل ؛ فطلقاه بما أعد له من الهدايا ؛ فاستقبله بهمدان ، فأدناها وقربه ، وقال : كيف خلقت مولاي ؟ فكتب بذلك إلى أبيه ، فاستقبله الربيع ، فعاتبه الهادي ، فاعتذر إليه . وأعلمه السبب الذي دعاه إلى ذلك ، فقبله ، وولاه الوزارة مكان عبيد الله بن زياد بن أبي ليلى ، وضم إليه ما كان عمر بن بزيع يتولاه من الزمام ، وولى محمد بن جميل ديوان خراج العراقيين ، وولى عبيد الله بن زياد خراج الشام ومما يليه ، وأقر على حرسه على بن عيسى بن ماهان ، وضم إليه ديوان الجند ، وولى شرطه عبد الله بن مالك مكان عبد الله بن خازم ،^(٣) وأقر الخاتم في يد علي بن يقطين .

وكانت موافاة موسى الهادي بغداد عند منصرفه من جرجان لعشرين بقين من صفر من هذه السنة ، سار - فيما ذكر عنه - من جرجان إلى بغداد في عشرين يوماً ، فلما قدمها نزل القصر الذي يسمى الخلد ؛ فأقام به شهراً^(٤) ، ثم تحول إلى بستان أبي جعفر ، ثم تحول إلى عيساباذ .

وفي هذه السنة هلك الربيع مولى أبي جعفر المنصور .

وقد ذكر علي بن محمد النوفلي أن أباه حدثه أنه كانت لموسى الهادي جارية ، وكانت حظية عنده ، وكانت تحبه وهو يجرجان حين وجهه إليها المهدي ، فقالت أبياتاً ، وكتبت إليه وهو مقيم بجرجان ، منها :

يا بَعِيدَ المَحَلِّ أَمْ سَيَ مَجْرَجَانَ نَازِلَا

(١) جواداً ، أى سريعاً كالفرس الجواد . (٢) س : « يحتمل » .

(٣) ط : « حازم » ، تصحيف . (٤) ج : « شهرين » .

قال : فلما جاءته البَيْسَةُ وانصرف إلى بغداد ؛ لم تكن له همة غيرها ، فدخل عليها وهي تغنى بأبياتها ، فأقام عندها يومه ولياته قبل أن يظهر لأحد من الناس .

٥٤٩/٣

وفي هذه السنة اشتد طلب موسى الزنادقة ؛ فقتل منهم فيها جماعة ؛ فكان ممن قتل منهم يزدان بن باذان كاتب يقطين ، وابنه علي بن يقطين من أهل النهران ؛ ذكر عنه أنه حج فنظر إلى الناس في الطواف يهتروا ولون ، فقال : ما أشبههم إلا ببقر تدوس في البَيْدَر . وله يقول العللاء بن الحداد الأعمى :

أيا أمين الله في خلقه ووراث الكعبة والمنبر
ماذا ترى في رجل كافر يشبه الكعبة بالبيدر
ويجعل الناس إذا ما سعوا حمرا تدوس البر والدوسر !

فقتله موسى ثم صلبه ، فسقطت خشبته على رجل من الحاج فقتلته وقتلت حماره . وقتل من بني هاشم يعقوب بن الفضل .

وذكر عن علي بن محمد الهاشمي ، قال : كان المهدي أتى بابن داود ابن علي زنديقا ، وأتى يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب زنديقا ، في مجلسين متفرقين ، فقال لكل واحد منهما كلاما واحدا ، وذلك بعد أن أقرأ له بالزندقة ، أما يعقوب بن الفضل فقال له : أقر بها بيني وبينك ؛ فأما أن أظهر ذلك عند الناس فلا أفعل ولو قرضني بالمقاريض ، فقال له : ويلك ! لو كشفت لك السموات ، وكان الأمر كما تقول ، كنت حقيقا أن تغضب^(١) لمحمد ، ولولا محمد صلى الله عليه من كنت ! هل كنت إلا إنسانا من الناس ! أما والله لولا أني كنت جعلت لله علي عهدا إذا^(٢) ولا تني هذا الأمر ألا أقتل هاشميا لما ناظرتك ولقتلتك .

٥٥٠/٣

ثم التفت إلى موسى الهادي ، فقال : يا موسى ، أقسمت عليك بحق إن وليت هذا الأمر بعدي ألا تناظرهما ساعة واحدة . فأت ابن داود بن علي في الحبس قبل وفاة المهدي ؛ وأما يعقوب فبقى حتى مات المهدي . وقدم موسى من جرجان

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « تعصب » . (٢) ١ : « إن » .

فساعة دخل، ذكر وصية المهدي، فأرسل إلى يعقوب من ألقى عليه فراشاً، وأقعدت الرجال عليه حتى مات. ثم لها عنه ببيعته وتشديد خلافته؛ وكان ذلك في يوم شديد الحر، فبقى يعقوب حتى مضى من الليل هده^(١)، فقبل لموسى: يا أمير المؤمنين، إن يعقوب قد انتفخ وأروح. قال: ابعثوا به إلى أخيه إسحاق ابن الفضل، فخبروه أنه مات في السجن^(٢). فجعل في زورق وأتى به إسحاق، فظفر فلما ليس فيه موضع للغسل، فدفنه في بستان له من ساعته، وأصبح فأرسل إلى الهاشميين يخبرهم^(٣) بموت يعقوب ويدعوهم إلى الجنازة، وأمر بخشبة فعملت في قديم الإنسان فغشيت قطناً، وألبسها أكفاناً، ثم حملها على السرير، فلم يشك من حضرها أنه شيء مصنوع.

وكان ليعقوب ولد من صلبه: عبد الرحمن والفضل وأروى فاطمة، فأما فاطمة فوجدت حبلى منه، وأقرت بذلك.

قال علي بن محمد: قال أبي: فأدخلت فاطمة وامراً^(٤) يعقوب بن الفضل—وليست بهاشمية، يقال لها خديجة—على الهادي—أو على المهدي من قبل— فأقرت بالزندقة، وأقرت فاطمة أنها حامل من أبيها، فأرسل بهما إلى ريطة بنت أبي العباس، فرأتها مكتحلتين مختصبتين، فعذلتها، وأكثرت على الابنة خاصة، فقالت: أكرهني، قالت: فما بال الخضاب والكحل والسرور؛ إن كنت مكروهة! ولعنتهما. قال: فخبرت أنهما فترعتا فأتتا فزعا، ضرب على رأسيهما بشيء يقال له الرعوب^(٥). ففرعتا منه، فأتتا. وأما أروى فبقيت فتزوجها ابن عمها الفضل بن إسماعيل بن الفضل؛ وكان رجلاً لا بأس به في دينه.

وفيهما قدم وندا هرمز صاحب طبرستان إلى موسى بأمان، فأحسن صلته، وردّه إلى طبرستان.

• • •

(٢) ج: «الحبس» .
(٤) أ، س: «ليعقوب» .

(١) الهدى: أول الليل .
(٣) ج: «فأخبرهم» .
(٥) ج: «الرعب» .

ذكر بقية الخبر

عن الأحداث التي كانت سنة تسع وستين ومائة

• • •

[خروج الحسين بن علي بن الحسن بفتح]

وما كان فيها خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المقتول بفتح .

• ذكر الخبر عن خروجه ومقتله :

ذكر عن محمد بن موسى الخوارزمي أنه قال : كان بين موت المهدي وخلافة الهادي ثمانية أيام . قال : ووصل إليه الخبر وهو بجرجان ، وإلى أن قدم مدينة السلام إلى خروج الحسين بن علي بن الحسن ، وإلى أن قتل الحسين ، تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً .

وذكر محمد بن صالح ، أن أبا حفص السلمي حدثه ، قال : كان إسحاق بن عيسى بن علي بن علي المدينة ، فلما مات المهدي ، واستخلف موسى ، شخص إسحاق وافداً إلى العراق إلى موسى ، واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمي أن إسحاق بن عيسى بن علي استغنى الهادي وهو على المدينة ، واستأذنه في الشُّخص إلى بغداد ، فأعفاه ، وولّى مكانه عمر بن عبد العزيز . وأن سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن كان أن عمر بن عبد العزيز لما تولى المدينة — كما ذكر الحسين بن محمد عن أبي حفص السلمي — أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندب الشاعر الهنلي وعمر بن سلام مولى آل عمر على شراب لهم ، فأمر بهم فضربوا جميعاً ، ثم أمر بهم فجعل في أعناقهم حبال وطيف بهم في المدينة ، فكلمهم فيهم ، وصار إليه الحسين بن علي فكلمه ، وقال : ليس هذا عليهم وقد ضربتهم ، ولم يكن لك أن تضربهم ؛ لأن أهل العراق لا يرون به بأساً ، فلم تطوف بهم ! فبعث إليهم وقد بلغوا البلاط فردّهم ، وأمر بهم إلى الحبس ، فحبسوا يوماً وليلة ، ثم كلم فيهم فأطلقهم جميعاً ؛ وكانوا

٥٥٢/٣

يُعرَضُونَ ، فقُتِلَ الحسن بن محمد ، وكان الحسين بن عليّ كفيّله .

قال محمد بن صالح : وحدَّثني عبد الله بن محمد الأنصاريّ أن العُمريّ

كان كَقَتْلِ بعضهم من بعض^(١) ؛ فكان الحسين بن عليّ بن الحسن ويحيى بن

عبد الله بن الحسن كفيّلين بالحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ؛ وكان

قد تزوّج مولاةً لهم سوداء ابنة أبي لَبِث مولى عبد الله بن الحسن ؛ فكان يأتيها

فيستقيم عندها ، فغاب عن العرض يوم الأربعاء والخميس والجمعة ، وعرضهم ٥٥٣/٣

خليفة العُمريّ عشية الجمعة ، فأخذ الحسين بن عليّ ويحيى بن عبد الله ؛

فسألهما عن الحسن بن محمد ؛ فغلّظ عليهما بعض الغليظ ، ثم انصرف إلى

العُمريّ فأخبره خبرهم ، وقال له : أصلحك الله ! الحسن بن محمد غائب مذ

ثلاث ، فقال : اثنى بالحسين ويحيى ؛ فذهب فدعاهما ، فلما دخلا عليه ،

قال لهما : أين الحسن بن محمد ؟ قالا : والله ما ندري ؛ إنما غاب عنا يوم

الأربعاء ، ثم كان يوم الخميس ؛ فبلغنا أنه اعتلّ ، فكنا نظن أن هذا اليوم

لا يكون فيه عرض ؛ فكلّمهما بكلام أغلظ لهما فيه ، فحلف يحيى بن عبد الله

ألاّ ينام حتى يأتيه به أو يضرب عليه باب داره ؛ حتى يعلم أنه قد جاءه به .

فلما خرجا قال له الحسين : سبحان الله ! ما دعاك إلى هذا ؟ ومن أين تجد

حسناً ! حلفت له بشيء لا تقدر عليه . قال : إنما حلفتُ على حسن ، قال :

سبحان الله ! فعلى أيّ شيء حلفت ! قال : والله لا نمتُ حتى أضرب عليه

باب داره بالسيف . قال : فقال حسين : تكسر بهذا ما كان بيننا وبين

أصحابنا من الصلة^(٢) ، قال : قد كان الذي كان فلا بدّ منه .

وكانوا قد تواعدوا على أن يخرجوا بمنى أو بمكة في الموسم — فيما ذكروا —

وقد كان قوم من أهل الكوفة من شيعتهم — ومن كان بايع الحسين — متكتمين

في دار ، فانطلقوا فعملوا في ذلك من عشيّتهم ومن ليلتهم ، حتى إذا كان في

آخر الليل خرجوا . وجاء يحيى بن عبد الله حتى ضرب باب دار مروان على

العُمريّ ، فلم يجده فيها ، فجاء إلى منزله في دار عبد الله بن عمر فلم يجده أيضاً ٥٥٤/٣

فيها ، وتوارى منهم ، فجاءوا حتى اقتحموا المسجد حين أذّنوا بالصبح ؛

(١) ١ : « لبعض » .

(٢) ١ : « من الميصاد » .

فجالس الحسين على المنبر وعليه عمامة بيضاء ؛ وجعل الناس يأتون المسجد ؛ فإذا رأوهم رجعوا ولا يصلُّون ، فلما صلى الغداة جعل الناس يأتونه ، ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمرتضى من آل محمد . وأقبل خالد البربري ؛ وهو يومئذ على الصوافي بالمدينة قائد على مائتين من الجند مقيمين بالمدينة ، وأقبل فيمن معه ، وجاء العمرى ووزير ابن إسحاق الأزرق ومحمد بن واقد الشروى ؛ ومعهم ناس كثير ؛ فيهم الحسين بن جعفر بن الحسين بن الحسين بن علي حمار ، واقتحم خالد البربري الرِّحبة ، وقد ظاهر بين درعين ، وبيده السيف ، وعمود في منطقته ، مصلِّتاً سيفه ، وهو يصيح بحسين : أنا كسكاس ، قتلى الله إن لم أقتلك ! وحمل عليهم حتى دنا منهم ؛ فقام إليه ابنا عبد الله بن حسن : يحيى وإدريس ، فضربه يحيى على أنف البيضة فقطعها وقطع أنفه ، وشرقت عيناه بالدم فلم يبصر ، فبرك يذّيب عن نفسه بسيفه وهو لا يبصر ، واستدار له إدريس من خلفه فضربه وصرعه ، وعلّواه بأسيا فهما حتى قتلاه ، وشدّ أصحابهما على درعيه فخلعهما عنه ، وانتزعوا سيفه وعموده ، فجاءوا به . ثم أمروا به فجُرّ إلى البلاط ، وحملوا على أصحابه فانهزموا . قال عبد الله بن محمد : هذا كله بعينى .

٥٥٥/٣

وذكر عبد الله بن محمد أن خالداً ضرب يحيى بن عبد الله ، فقطع البرنس ، ووصلت^(١) ضربته إلى يد يحيى فأثرت فيها^(٢) ، وضربه يحيى على وجهه ، واستدار رجل أعور من أهل الجزيرة فأثاه من خلفه ، فضربه على رجليه ، واعتدروه بأسيا فقتلوه .

قال عبد الله بن محمد : ودخل عليهم المسودة المسجد حين دخل الحسين ابن جعفر على حمارة ، وشدّت المبيضة فأخرجوهم ، وصاح بهم الحسين : ارفقوا بالشيوخ - يعنى الحسين بن جعفر - وانتهب بيت المال ، فأصيب فيه بضعة عشر ألف دينار ، فضلت من العطاء - وقيل : إن ذلك كان سبعين ألف دينار كان بعث بها عبد الله بن مالك ، يفرض بها من خزاعة - قال : وتفرّق الناس ، وأغلق أهل المدينة عليهم أبوابهم ؛ فلما كان من الغد اجتمعوا واجتمعت شيعة ولد العباس ، فقاتلوه بالبلاط فيما بين رحبة دار الفضل والزّوراء ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « خلعت » . (٢) ساقطة من ط وهي في ١ .

وجعل المسودة يحملون على المبيتة حتى يبلغوا بهم رجة دار الفضل ، وتحمل المبيتة عليهم حتى يبلغهم الزوراء . وفشت الجراحات بين الفريقين جميعاً ، فاقتتلوا إلى الظهر ، ثم افترقوا ، فلما كان في آخر النهار من اليوم الثاني يوم الأحد ، جاء الخبر بأن مباركاً التركى ينزل بئر المطلب ، فنشط الناس ، فخرجوا إليه فكلّموه أن يجيء ، فجاء من الغد حتى أتى الثانية ، واجتمع إليه شيعة بنى العباس ومن أراد القتال ، فاقتتلوا بالبلاط أشد قتال إلى انتصاف النهار ، ثم تفرقوا . وجاء هؤلاء إلى المسجد ، ومضى الآخرون إلى مبارك التركى ، إلى دار عمر بن عبد العزيز بالثنية يقيم فيها ، وواعد^(١) الناس الرواح ، فلما غفلوا عنه ، جلس على رواقه فانطلق ، وراح الناس فلم يجدوه ، فناوشوهم شيئاً من القتال إلى المغرب ، ثم تفرقوا ، وأقام حسين وأصحابه أياماً يتجهزون . وكان مقامهم بالمدينة أحد عشر يوماً ، ثم خرج يوم أربعة وعشرين لست بقيين من ذى القعدة ، فلما خرجوا من المدينة عاد المؤذنون فأذنوا ؛ وعاد الناس إلى المسجد ، فوجدوا فيه العظام التى كانوا يأكلون وآثارهم ، فجعلوا يدعون الله عليهم ، ففعل^(٢) الله بهم وفعل .

قال محمد بن صالح : فحدثني نصير بن عبد الله بن إبراهيم الجهمسى ، أن حسينا لما انتهى إلى السوق متوجّهاً إلى مكة التفت إلى أهل المدينة ، وقال : لا خلف الله عليكم بخير ! فقال الناس وأهل السوق : لا بل أنت ؛ لا خلف الله عليك بخير ، ولا ردك ! وكان أصحابه يُحدّثون في المسجد ، فقلّوه قدرًا وبولا ؛ فلما خرجوا غسل الناس المسجد .

قال : وحدثني ابن عبد الله بن إبراهيم ، قال : أخذ أصحاب الحسين ستور المسجد ، فجعلوها خفّاتين لهم ، قال : ونادى أصحاب الحسين بمكة : أيما عبد أتانا فهو حرّ ؛ فأناه العبيد ، وأناه عبد كان لأبى ؛ فكان معه ؛ فلما أراد الحسين أن يخرج أناه أبى فكلّسه ، وقال له : عمدت إلى ممالك لم تملكهم فأعتقتهم ، بم تستحلّ ذلك ! فقال حسين لأصحابه : اذهبوا به ، فأبى عبد عرقه فادفعوه إليه ؛ فذهبوا معه ، فأخذ غلامه وغلامين لجيران لنا . وانتهى خبر الحسين إلى الهادى ، وقد كان حجّ في تلك السنة رجال من أهل

بيته؛ منهم محمد بن سليمان بن عليّ والعباس بن محمد وموسى بن عيسى، سوى من حجّ من الأحداث . وكان على الموسم سليمان بن أبي جعفر ، فأمر المخادى بالكتاب بتولية محمد بن سليمان على الحرب ، فقبل له : عمّك العباس بن محمد ! قال : دعوني ، لا والله لا أخذع عن ملكي ؛ فنفذ الكتاب بولاية محمد بن سليمان بن عليّ على الحرب ، فلقبهم الكتاب وقد انصرفوا عن الحجّ . وكان محمد بن سليمان قد خرج في عدّة من السلاح والرجال ؛ وذلك لأن الطريق كان مخوفاً معوراً من الأعراب ؛ ولم يَحْتَشِدْ لهم حسين ؛ فأثابه خبرهم ، فهم بصوبه ، فخرج بخدّمه وإخوانه . وكان موسى بن عليّ بن موسى قد صار ببطن نخل ، على الثلاثين من المدينة ، فأنهى إليه الخبر ومعه إخوانه وجواريه ، وانتهى الخبر إلى العباس بن محمد بن سليمان وكاتبهم ، وساروا إلى مكة فدخلوا ، فأقبل محمد بن سليمان ، وكانوا أحرموا بعُمرة . ثم صاروا إلى ذى طُوًى ؛ فعسكروا بها ، ومعهم سليمان بن أبي جعفر ؛ فانضمّ إليهم من وافى في تلك السنة من شيعة ولد العباس ومواليهم وقوّادهم . وكان الناس قد اختلفوا في تلك السنة في الحجّ وكثروا جداً . ثم قدّم محمد بن سليمان قدامه تسعين حافراً ما بين قُرس إلى بغل ، وهو على نجيب عظيم ، وخلفه أربعون راكباً على النجائب عليها الرّحال وخلفهم مائتا^(١) راكب على الحمير ، سوى من كان معهم من الرّجالة وغيرهم ، وكثروا في أعين الناس جداً وملئوا صدورهم^(٢) فظنّوا أنهم أضعافهم ، فطافوا بالبيت ، وسعّوا بين الصّفا والمروة ، وأحلّوا من عمرتهم ، ثم مضوا فأتوا ذا طُوًى ونزلوا ، وذلك يوم الخميس . فوجّه محمد بن سليمان أباً كامل — مولّى لإسماعيل بن عليّ — في نيّف وعشرين فارساً ؛ وذلك يوم الجمعة فلقبهم . وكان في أصحابه رجل يقال له زيد . كان انقطع إلى العباس ، فأخرجه معه حاجّاً لما رأى من عبادته ، فلما رأى القوم قلب ترسه وسيفه ، وانقلب إليهم ؛ وذلك ببطن مرّ ، ثم ظفروا به بعد ذلك مشدّخاً بالأعمدة ؛ فلما كان ليلة السبت وجهّوا خمسين فارساً ، كان أوّل من ندبوا صباح أبو الذّيال ، ثم آخر ثم آخر ؛ فكان أبو خلوة الخادم مولى محمد خامساً ،

٥٥٨/٣

(١) كذا في ١ ، و في ط : « ما بين » . (٢) ساقطة من ط وهي مثبتة في ١ .

فأتوا المفضل مولى المهديّ ، فأرادوا أن يصيروه عليهم ، فأبى وقال : لا ، ولكن صيروا عليهم غيري وأكون أنا معهم ، فصيروا عليهم عبد الله بن حميد بن رزين السمرقنديّ - وهو يومئذ شاب ابن ثلاثين سنة - فذهبوا وهم خمسون فارساً ؛ وذلك ليلة السبت . فدنا القوم ، وزحفت ^(١) الخيل ، وتعباً الناس ؛ فكان العباس بن محمد وموسى بن عيسى في الميسرة ؛ ومحمد بن سليمان في الميمنة ؛ وكان معاذ بن مسلم فيما بين محمد بن سليمان والعباس بن محمد ، فلما كان قبل طلوع الفجر جاء حسين وأصحابه فشدّ ثلاثة من موالى سليمان بن عليّ - أحدهم زنجويه غلام حسان - فجاءوا برأس فطرحوه قدام محمد بن سليمان - وقد كانوا قالوا : من جاء برأس فله خمسمائة درهم - وجاء أصحاب محمد فحرقبوا الإبل ، فسقطت محاملها . فقتلوهم وهزمهم ؛ وكانوا خرجوا من تلك الثنايا ، فكان الذين خرجوا ممّا يلي محمد بن سليمان أقلّتهم ، وكان جلّهم خرجوا ممّا يلي موسى بن عيسى وأصحابه ؛ فكانت الصدمة بهم ؛ فلما فرغ محمد بن سليمان ممّن يليه وأسفروا ، نظروا إلى الذين يلون موسى بن عيسى ؛ فإذا هم مجتمعون كأنهم كبة غزل ، والتفت الميمنة والقلب عليهم ، وانصرفوا نحو مكة لا يدرون ما حال الحسين ؛ فما شعروا وهم بذي طوى أو قريباً منها إلا برجل من أهل خراسان ، يقول : البشرى البشرى ! هذا رأس حسين ، فأخرجه وبجبهته ضربة طولاً ، وعلى قفاه ضربة أخرى ؛ وكان الناس نادوا بالأمان حين فرغوا ، فجاء الحسن بن محمد أبو الزّقت مغميضاً إحدى عينيه ، قد أصابها شيء في الحرب ، فوقف خلف محمد والعباس ، واستدار به موسى بن عيسى وعبد الله ابن العباس . فأمر به فقتل ، فغضب محمد بن سليمان من ذلك غضباً شديداً . ودخل محمد بن سليمان مكة من طريق والعباس بن محمد من طريق ، واحتزّت الرؤوس ؛ فكانت مائة رأس ونيّفاً ؛ فيها رأس سليمان بن عبد الله بن حسن وذلك يوم التروية ، وأخذت أخت الحسين ، وكانت معه فصيرت عند زينب بنت سليمان ، واختلطت المنهزمة بالحجّاج ، فذهبوا ، وكان سليمان بن أبي جعفر شاكياً فلم يحضر القتال ، ووافى عيسى بن جعفر الحجّ تلك السنة ؛ وكان مع أصحاب حسين رجل "أعمى يقصّ عليهم فقتل ، ولم يقتل أحد منهم صبراً .

قال الحسين بن محمد بن عبد الله : وأسر موسى بن عيسى أربعة نفر من أهل الكوفة ، ومولى لبني عجل وآخر .

قال محمد بن صالح : حدثني محمد بن داود بن عليّ ، قال : حدثنا موسى بن عيسى ، قال : قدمتُ معي بستة أسارى فقال لي الهادي : هيه ! تقتل أسيرى ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنني فكرت فيه فقلت : تجيء عائشة وزينب إلى أمّ أمير المؤمنين ، فتبكيان عندها وتكلمانهما ، فتكلم له أمير المؤمنين فيطلقه . ثم قال : هات الأسرى ، فقلت : إنني جعلت لهم العهد والمواثيق بالطلاق والعتاق ، فقال : اثنى بهم ، وأمر باثنين يقتلا ، وكان الثالث منكراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ هذا أعلم الناس بآل أبي طالب ؛ فإن استيقنته ذلك على كل بغية لك ، فقال : نعم والله يا أمير المؤمنين ؛ إنني أرجو أن يكون بقائى صنعاً لك . فأطرق ثم قال : والله لإفلاتك^(١) من يدى بعد أن وقعت في يدى لشديد ؛ فلم يزل يكلمه حتى أمر به أن يؤخر ، وأمره أن يكتب له طلبته ، وأما الآخر فصنع عنه ، وأمر بقتل عذافر الصيرفي وعليّ بن السابق القلاس الكوفي ، وأن يصلبها ، فصلبوهما بباب الجسر ، وكانا أسيراً بفتح . وغضب على مبارك التركي ، وأمر بقبض أمواله وتصديره في ساسة الدواب ، وغضب على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد ، وأمر بقبض أمواله .

وقال عبد الله بن عمرو الثلجيّ : حدثني محمد بن يوسف بن يعقوب الهاشمي ، قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى ، قال : أفلت إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب من وقعة فسخ في خلافة الهادي ، فوقع إلى مصر ، وعلى بريد مصر واضح مولى لصالح بن أمير المؤمنين المنصور ، وكان رافضياً خبيثاً ، فحمله على البريد إلى أرض المغرب ، فوقع بأرض طنجة بمدينة يقال لها وكيلة ، فاستجاب له من بها وبأعراضها من البربر ، فضرب الهادي عنق واضح وصلبه .

ويقال : إن الرّشيد الذي ضرب عنقه ، وأنه دس إلى إدريس الشياخ اليامي مولى المهديّ ، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية ،

(١) : « إن إفلاتك » .

فخرج حتى وصل إلى ليلة وذكر أنه متطبب ، وأنه من أوليائهم ، ودخل على إدريس فأنس به واطمأن إليه ؛ وأقبل الشماخ يريه الإعظام له والميل إليه والإيثار له فنزل عنده بكل منزلة . ثم إنه شكاً إليه علة في أسنانه ، فأعطاه سنوناً^(١) مسموماً قاتلاً ، وأمره أن يستن به عند طلوع الفجر ليلته ؛ فلما طلع الفجر استن إدريس بالسنون ، وجعل يرده في فيه ، ويكثر منه ، فقتله . وطُلب الشماخ فلم يُظفر به ، وقدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره بما كان منه ، وجاءته بعد مقدمه الأخبار بموت إدريس ؛ فكتب ابن الأغلب إلى الرشيد بذلك ، فولّى الشماخ بريد مصر وأجاره^(٢) ، فقال في ذلك بعض الشعراء - أظنه الهنازي :
 أَتَظُنُّ يَا إِدْرِيسُ أَنَّكَ مُفْلِتٌ كَيْدَ الْخَلِيفَةِ أَوْ يُفِيدُ فِرَارُ
 فَلْيُدْرِكْكَ أَوْ تَحِلَّ بِبِلْدَةٍ لَا يَهْتَدِي فِيهَا إِلَيْكَ نَهَارُ
 إِنَّ السُّيُوفَ إِذَا انتَاضَاهَا سَخَطُهُ طَالَتْ وَقَصَرَ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
 مَلِكٌ كَانَ الْمَوْتُ يَتَّبِعُ أَمْرَهُ حَتَّى يَقَالَ : تُطِيعُهُ الْأَقْدَارُ

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمي أن الحسين بن علي لما خرج بالمدينة وعليها العُمري لم يزل العمري متخفياً مقام الحسين بالمدينة ، حتى خرج إلى مكة . وكان الهادي وجه سليمان بن أبي جعفر لولاية الموسم ، وشخص معه من أهل بيته ممن أراد الحج العباس بن محمد وموسى بن عيسى وإسماعيل بن عيسى ابن موسى في طريق الكوفة ، ومحمد بن سليمان وعدة من ولد جعفر بن سليمان على طريق البصرة ، ومن الموالى مبارك التركي والمفضل الوصيف وصاعد مولى الهادي - وكان صاحب الأمر سليمان - ومن الوجوه المعروفين يقطين بن موسى وعبيد ابن يقطين وأبو الوزير عمر بن مطرف ؛ فاجتمعوا عند الذي بلغهم من توجه الحسين ومن معه إلى مكة ؛ ورأسوا عليهم سليمان بن أبي جعفر لولايته ؛ وكان قد جعل أبو كامل مولى إسماعيل على الطلائع ، فلقوه بفتح ، وخطفوا عبيد الله بن قُشَم بمكة للقيام بأمرها وأمر أهلها ؛ وقد كان العباس بن محمد أعطاهم الأمان على ما أحدثوا ، وضمن لهم الإحسان إليهم والصلوة لأرحامهم ؛

(١) السنون : ما اشتكت به .

(٢) ط : « وأخبره » .

وكان رسولهم في ذلك المفضل الخادم، فأبوا قبول ذلك، فكانت الواقعة، فقتل من قتل، وانهزم الناس، ونودي فيهم بالأمان، ولم يتبع هارب، وكان فيمن هرب يحيى وإدريس ابنا عبد الله بن حسن، فأما إدريس فلاحق بتاهرت من بلاد المغرب، فلجأ إليهم فأعظموه؛ فلم يزل عندهم إلى أن تلطّف له، واحتيل عليه، فهلك، وخلّفه ابنه إدريس بن إدريس؛ فهم^(١) إلى اليوم بتلك الناحية مالكين لها، وانقطعت عنهم البعوث.

٥٦٣/٣

قال المفضل بن سليمان: لما بلغ العمرى وهو بالمدينة مقتل الحسين بفتح وثب على دار الحسين ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين، فهدمها وحرّق النخل، وقبض ما لم يحرقه، وجعله في الصوافي المقبوضة^(٢). قال: وغضب الهادي على مبارك التركي لما بلغه من صدوده عن لقاء الحسين بعد أن شارف المدينة، وأمر بقبض أمواله وتصديره في سياسة دوابه؛ فلم يزل كذلك إلى وفاة الهادي، وسخط على موسى بن عيسى لقتله الحسن بن محمد بن عبد الله أبي الزت؛ وترّكه أن يقدم به أسيراً، فيكون المحكم في أمره، وأمر بقبض أمواله، فلم تزل مقبوضة إلى أن توفّي موسى. وقدم على موسى من أسير بفتح الجماعة، وكان فيهم عذافر الصيرفي وعلى بن سابق القلاص الكوفي، فأمر بضرب أعناقهما وصلبهما بباب الجسر ببغداد؛ ففعل ذلك. قال: ووجهه مهرويه مولاه إلى الكوفة، وأمره بالتغليظ عليهم لخروج من خرج معهم مع الحسين.

وذكر علي بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، قال: حدثني يوسف البرم مولى آل الحسن - وكانت أمه مولاة فاطمة بنت حسن - قال: كنت مع حسين أيام قدم على المهدي، فأعطاه أربعين ألف دينار، ففرّقها في الناس ببغداد والكوفة؛ والله ما خرج من الكوفة وهو يملك شيئاً يلبسه إلا فرواً ما تحته قميص وإزار الفراش؛ ولقد كان في طريقه إلى المدينة؛ إذا نزل استقرض من مواليه ما يقوم بمؤونتهم في يومهم قال علي: وحدثني السري أبو بشر، وهو حليف بني زهرة، قال: صليت الغداة في اليوم الذي خرج فيه الحسين بن علي بن الحسن صاحب فتح، فصلّى

٥٦٤/٣

(٢) ط: «والمقبوضة»، وما أثبت من أ.

(١) ط: «فهو».

بنا حسين ، وصعد المنبر منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وعليه قميص وعمامة بيضاء قد سدّلتا من بين يديه ومن خلفه ، وسيفه مسلول قد وضعه بين رجليه ؛ إذ أقبل خالد البربري في أصحابه ؛ فلماً أراد أن يدخل المسجد بدّره يحيى بن عبد الله ، فشدّ عليه البربري ؛ وإني لأنظر إليه ، فبدّره يحيى بن عبد الله ، فضربه على وجهه ، فأصاب عينيه وأنفه ؛ فقطع البيضة والقلنسوة ، حتى نظرتُ إلى قَحْفِهِ طائراً عن موضعه ، وحمل على أصحابه فانهزموا . ثم رجع إلى حسين ، فقام بين يديه وسيفه مسلول يقطر دماً ، فتكلّم حسين ، فحمد الله وأثنى عليه ، وخطب الناس ، فقال في آخر كلامه :
يأيها النّاس ، أنا ابن رسول الله في حرم رسول الله ، وفي مسجد رسول الله ، وعلى منبر نبيّ الله ، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فإن لم أفِ لكم بذلك فلا بيعة لي في أعناقكم . قال : وكان أهل الزيارة في عامهم ذلك كثيراً ، فكانوا قد ملئوا المسجد ؛ فإذا رجل قد نهض ، حسن الوجه ، طويل القامة ، عليه رداء ممشّق ، أخذ بيد ابن له شابّ جميل جلد ، فتخطى رقاب الناس ؛ حتى انتهى إلى المنبر ، فدنا من حسين ، وقال : يا بن رسول الله ، خرجتُ من بلد بعيد وابني هذا معي ، وأنا أريد حجّ بيت الله وزيارة قبر نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وما يخطر ببالي هذا الأمر الذي حدث منك ؛ وقد سمعتُ ما قلت ، فعندك وفاء بما جعلت على نفسك ؟ . قال : نعم ، قال : ابسط يدك فأبايعك ، قال : فبايعه ، ثم قال لابنه : ادن فبايع . قال : فرأيتُ والله رءوسهما في الرءوس بمنى ، وذلك أني حججت في ذلك العام .

٥٦٥/٣

قال : وحدّثني جماعة من أهل المدينة أن مباركاً التركي أرسل إلى حسين ابن عليّ : والله لأن أسقط من السماء فتخطفني الطير ، أو تهوى بي الريح في مكان سحيق ، أيسر عليّ من أن أشوكك بشوكة ، أو أقطع من رأسك شعرة ؛ ولكن لا بدّ من الإعذار ؛ فبَيّنتُني فإني منهزم عنك . فأعطاه بذلك عهد الله وميثاقه . قال : فوجّه إليه الحسين — أو خرج إليه — في نفر يسير ، فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبّروا ، فانهزم أصحابه حتى لحق بموسى بن عيسى .

وذكر أبو المِضْرَحِيّ الكلابي ، قال : أخبرني المفضل بن محمد بن المفضل

ابن حسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ، أن الحسين بن علي بن حسن بن حسن ، قال يومئذ في قوم لم يخرجوا معه — وكان قد وعدوه أن يوافوه ، فتخلّصوا عنه — متمشياً :

من عاذ بالسيفِ لاقى فرصةً عجباً موتاً على عجل أو عاش منتصفاً^(١)
لا تقربوا السهل إن السهل يفسدكم لن تدركوا المجد حتى تضربوا عنقاً^(٢)

وذكر الفضل بن العباس الهاشمي أن عبد الله بن محمد المقرئ حدثه عن أبيه ، قال : دخل عيسى بن دأب على موسى بن عيسى عند منصرفه من فتح ، فوجده خائفاً يلتمس عذراً من قتل من قتل ، فقال له : أصلح الله الأمير ! أنشدك شعراً كتب به يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة يعتذر فيه من قتل الحسين بن علي رضي الله عنه ؟ قال : أنشدني ، فأنشده ، فقال :

٥٦٦/٣

يأيها الراكبُ الغادي لطيفته على عذافرة في سيرها فحمة
أبلغ قريشاً على شحط المزار بها بيني وبين الحسين الله والرحمة
وموقف يفتاء البيت أنشده عهد الإله وما ترعى له الذمة
عنتم قومكم فخراً بأممكم أم حصان لعمرى برة كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد بنت النبي وخير الناس قد علموا
وفضلها لكم فضلٌ وغيركم من قومكم لهم من فضلها قسم
إني لأعلم أو ظناً كعالمه والظن يصدق أحياناً فينتظم
أن سوف يترككم ما تطلبون بها قتلى تهاداكم العقبان والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ خمدت ومسكوا بحبال السلم واعتصموا
لا تركبوا البغي إن البغي مضرعة وإن شارب كأس البغي يتخيم
قد جرب الحرب من قد كان قبلكم من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً فرب ذى بذخ زلت به القدم

٥٦٧/٣

(١) ١: س : « أو مات » .

(٢) ١، ج : « حتى تدركوا » .

قال : فسرّى عن موسى بن عيسى بعض ما كان فيه .

وذكر عبد الله بن عبد الرحمن بن عيسى بن موسى أن العلاء حدثه أن الهادى أمير المؤمنين لما ورد عليه خلع أهل فخّ خلا ليله يكتب كتاباً بخطه ، فاغتم بخلوته مواليه وخاصته ، فلدسوا غلاماً له ، فقالوا : اذهب حتى تنظر إلى أى شئ انتهى الخبر ، قال : فدنا من موسى ، فلما رآه قال : ما لك ؟ فاعتلّ عليه ، قال : فأطرق ثم رفع رأسه إليه ، فقال :

رَقَدَ الْأَلَى لَيْسَ السَّرَى مِنْ شَأْنِهِمْ وَكَفَاهُمُ الْإِذْلَاجَ مَنْ لَمْ يَرْقُدِ

وذكر أحمد بن معاوية بن بكر الباهلى ؛ قال : حدثنا الأصمعى ، قال : قال محمد بن سليمان ليلة فخّ لعمر بن أبى عمرو المذنبى - وكان يرى بين يديه بين الهدفين : ارم ، قال : لا والله لا أرى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إني إنما صحبتك لأرى بين يديك بين الهدفين ، ولم أصحبك لأرى المسلمين .

قال : فقال المخزومى : ارم ، ^(١) فرى فامات إلا بالبرص .

قال : ولما قتل الحسين بن على وجاء ^(٢) برأسه يقطين بن موسى ، فوضّع بين يدى الهادى ، قال : كأنكم والله جئتم برأس طاغوت من الطواغيت ! إن أقلّ ما أجزىكم به أن أحرمكم جوائزكم . قال : فحرمهم ولم يعطهم شيئاً .

وقال موسى الهادى : لما قُتل الحسين متمثلاً :

قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا ^(٣) إِنَّا إِذَا مَا فُتَّةً نَلْقَاهَا

٥٦٨/٣

• نَرُدُّ أَوْلَاهَا عَلَى أَخْرَاهَا •

وغزا الصائفة في هذه السنة معيوف بن يحيى من درّب الراهب ، وقد كانت الروم أقبلت مع البطريق إلى الحدث ^(٤) ؛ فهرب الوالى والجند وأهل الأسواق ،

(١ - ١) ج : « فات بالبرص » . (٢) ج : « وجاء » .

(٣) الامان ٦ : ٤٣٦ . (٤) ابن الأثير : « الحديث » .

فدخلها العدو ، ودخل أرض العدو معيوف بن يحيى ، فبلغ مدينة أشنة ، فأصابوا سبايا وأسارى وغنموا .

وحجّ بالناس فى هذه السنة سليمان بن أبى جعفر المنصور .

وكان على المدينة عمر بن عبد العزيز العمرى ، وعلى مكة والطائف عبيد الله بن قُثَم ، وعلى اليمن إبراهيم بن سَلَم بن قتيبة ، وعلى اليمامة والبحرين سُويد بن أبى سُويد القائد الخراسانى ، وعلى عُمان الحسن بن تسنيم^(١) الخوارى ، وعلى صلاة الكوفة وأحداثها وصدقاتها ويَهْقُبَاد الأسفل موسى بن عيسى ، وعلى صلاة البصرة وأحداثها محمد بن سليمان . وعلى قضائها عمر بن عثمان ، وعلى جرجان الحجاج مولى الهادى ، وعلى قوميس زياد بن حسان ، وعلى طَبَرِستان والرُويان صالح بن شيخ بن عُميرة الأسدى ، وعلى أصبهان طيفور مولى الهادى .

(١) ابن الاثير : « نسيم » .

ثم دخلت سنة سبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وفاة يزيد بن حاتم بإفريقية فيها ، ووليها بعده رَوْح بن حاتم . ٥٦٩/٣
وفيهما مات عبد الله بن مروان بن محمد في المطبق .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة موسى الهادي]

وفيهما توفي موسى الهادي بعيساباذ . واختلّف في السبب الذي كان به وفاته ، فقال بعضهم : كانت وفاته من قُرْحَةٍ كانت في جوفه . وقال آخرون : كانت وفاته من قِبَلِ جوارٍ لأمّه الخيزران ؛ كانت أمرتهنّ بقتله لأسباب فلذكر بعضها .

* ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله كانت أمرتهنّ بقتله :

ذكر يحيى بن الحسن أن الهادي نأبذ أمه ونافرها ؛ لما صارت إليه الخلافة ، فصارت خالصةً إليه يوماً ، فقالت : إن أمك تستكسيك ، فأمر لها بخزانة مملوءة كِسْوة . قال : ووُجِدَ للخيزران في منزلها من قَرَارٍ (١) اللوشى ثمانية عشر ألف قَرَرٍ . قال : وكانت الخيزران في أوّل خلافة موسى تفتت عليه في أموره ، وتسلك به مسلك أبيه من قبله في الاستبداد بالأمر والنهي ، فأرسل إليها ألا تخرجي من خفَر الكفاية إلى بدادة التبذّل ؛ فإنه ليس من قَدَر النساء الاعتراض في أمر الملك ؛ وعليك بصلاتك وتسيحك (٢) وتبتلك ؛ ولك بعد هذا طاعة مثلك فيما يجب لك . قال : وكانت الخيزران في خلافة موسى كثيراً ما تكلمه في الحوائج ؛ فكان يجيبها إلى كلّ ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته ، واثّال الناس عليها ، وطعموا فيها ؛ فكانت المواكب تغدو إلى بابها ؛ قال : فكلّمته يوماً في أمرٍ لم يجد إلى إجابتها (٣) إليه سبيلا ،

(١) القَرَر : من لباس المرأة . (٢) « وسبحتك » (٣) س : « في إجابتها » .

فاعتلت بعلة ، فقالت : لا بدّ من إجابتي ، قال : لا أفعل ، قالت : فإنّي قد تضمّنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك . قال : فغضب موسى ، وقال : ويل على ابن الفاعلة ! قد علمتُ أنه صاحبها ؛ والله لا قضيتها لك ، قالت : إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً ، قال : إذاً والله لا أبالي . وحسبي وغضب . فقامت مغضبة ، فقال : مكانك تستوعى^(١) كلامي والله ، وإلا فأنا نبيّ من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن بلغني أنه وقف بابك أحد من قوّادى أو أحد من خاصّتي أو خدمني لأضربنّ عنقه ؛ ولأقبضنّ ماله ؛ فمن شاء فليلزم ذلك . ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كلّ يوم ! أما لك مغزل يشغلك ، أو مصحف يُذكرك ، أو بيت يصونك ! إياك ثمّ إياك ؛ ما فتحت بابك للىّ أو لذمّي . فانصرفت ما تعقل ما تطأ ؛ فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرّة بعدها .

قال يحيى بن الحسن : وحدّثني أبي ، قال : سمعت خالصة تقول للعباس ابن الفضل بن الربيع : بعث موسى إلى أمّه الخيزُران بأرزّة ، وقال : استطبّتها فأكلتُ منها ، فكلى منها . قالت خالصة : فقلت لها : أمسكي حتى تنظري ؛ فإنّي أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه ، فجاءوا بكلب فأكل منها ، فتساقط لحمه ؛ فأرسل إليها بعد ذلك : كيف رأيت الأرزّة ؟ فقالت : وجدتّها طيبة ، فقال : لم تأكلي ؛ ولو أكلت لكنتُ قد استرحتُ منك ، متى أفلح خليفة له أمّ !

٥٧١/٣

قال وحدّثني بعضُ الهاشمين ، أن سبب موت الهادي كان أنه لمّا جدّ في خلع هارون والبيعة لابنه جعفر ، وخافت الخيزُران على هارون منه ، دسّت إليه من جواربها لمّا مرض ممّن قتله بالغمّ والجلوس على وجهه ، ووجّهت إلى يحيى بن خالد : إن الرجل قد توفّي ، فاجدّد في أمرك ولا تقصّر .

وذكر محمد بن عبد الرحمن بن بشار أن الفضل بن سعيد حدّثه ، عن أبيه ، قال : كان يتصل بموسى ووصول القوّاد إلى أمّه الخيزُران ، يؤمّلون بكلامها

(١) ج : « تستوي » . ا : « تستوي » .

في قضاء حوائجهم عنده ، قال : وكانت تريد أن تغلب على أمره كما غلبت على أمر المهدي ؛ فكان يمنعها من ذلك ويقول : ما للنساء والكلام في أمر الرجال ! فلما كثر عليه مصير من يصير إليها من قواده ، قال يوماً وقد جمعهم : أيما خير ؟ أنا أو أنتم ؟ قالوا : بل أنت يا أمير المؤمنين ؛ قال : فأيما خير ، أمي أو أمهاتكم ؟ قالوا : بل أمك يا أمير المؤمنين ، قال : فأياكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه ، فيقولوا : فعلت أم فلان ، وصنعت أم فلان ، وقالت أم فلان ؟ قالوا : ما أحد منا يحب ذلك ، قال : فما بال الرجال يأتون أمي فيتحدثون بحديثها ! فلما سمعوا ذلك انتطعوا عنها ألبتة ، فشق ذلك عليها فاعتزلته ، وحلفت ألا تكلمه ؛ فما دخلت عليه حتى حضرته الوفاة .

• • •

[ذكر الخبر عما كان من خلع الهادي للرشيدي]

وكان السبب في إرادة موسى الهادي خلع أخيه هارون حتى اشتد عليه في ذلك وجد - فيما ذكر صالح بن سليمان - أن الهادي لما أفضت إليه الخلافة أقر يحيى بن خالد على ما كان يلي هارون من عمل المغرب ؛ فأراد الهادي خلع هارون الرشيد والبيعة لابنه جعفر بن موسى الهادي ، وتابعه على ذلك القواد ؛ منهم يزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وعلى بن عيسى ومن أشبههم ؛ فخلعوا هارون ، وبايعوا لجعفر بن موسى ، ودسوا إلى الشيعة ^(١) ؛ فتكلموا في أمره ، وتنقصوه في مجلس الجماعة ، وقالوا : لا نرضى به ، وصعب أمرهم حتى ظهر ؛ وأمر الهادي ألا يسار قدّام الرشيد بحرية ، فاجتنبه الناس وتركوه ؛ فلم يكن أحد يجترئ أن يسلم عليه ولا يقربه .

وكان يحيى بن خالد يقوم بإنزال الرشيد ولا يفارقه هو وولده - فيما ذكر . قال صالح : وكان إسماعيل بن صبيح كاتب يحيى بن خالد ، فأحب أن يضعه موضعاً يستعلم له فيه الأخبار ، وكان إبراهيم الحرّاني في موضع الوزارة لموسى ، فاستكتب إسماعيل ، ورفع الخبر إلى الهادي ؛ وبلغ ذلك يحيى بن خالد ، فأمر إسماعيل أن يشخص إلى حرّان ، فسار إليها ؛ فلما كان بعد أشهر سأل

(١) ا : « إلى الشيعة » .

الهادي إبراهيم الحراني : مَنْ كاتبك ؟ قال : فلان كاتب ، وسمّاه ، فقال : أليس بلغني أن إسماعيل بن صُبَيْح كاتبك ؟ قال : باطلٌ يا أمير المؤمنين ؛ إسماعيل بحرّان .

قال : وسُعيّ إلى الهادي يحيى بن خالد ، وقيل له : إنه ليس عليك من هارون خلاف ؛ وإنما يفسده يحيى بن خالد ، فأبعث إلى يحيى ، وتهدّدّه بالقتل ؛ وارمِه بالكفر ؛ فأغضب ذلك موسى الهادي على يحيى بن خالد .

وذكر أبو حفص الكرماني أن محمد بن يحيى بن خالد حدّثه ، قال : بعث الهادي إلى يحيى ليلاً ، فأيس من نفسه ، وودّع أهله ، وتحنّط وجدّد ثيابه ، ولم يشك أنه يقتله ؛ فلمّا أدخل عليه ، قال : يا يحيى ، مالي ولك ! قال : أنا عبدك يا أمير المؤمنين ؛ فما يكون من العبد إلى مولاه إلا طاعته . قال : فلم تدخل بيني وبين أخى وتفسده عليّ ! قال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ أنا حتى أدخل بينكما ! إنما صيرني المهديّ معه ، وأمرني بالقيام بأمره ؛ فقامت بما أمرني به ، ثم أمرتني بذلك فأنتهيت إلى أمرك . قال : فما الذي صنع هارون ؟ قال : ما صنع شيئاً ، ولذلك فيه ولا عنده . قال : فسكن غضبه . وقد كان هارون طاب نفساً بالخلع ، فقال له يحيى : لا تفعل ، فقال : أليس يترك لي الهنيء والمرىء ، فهما يسعاني وأعيش مع ابنة عمي ! وكان هارون يجحدُ بأمّ جعفر وجنداً شديداً ، فقال له يحيى : وأين هذا من الخلافة ! ولعلك ألا يُشرك هذا في يدك حتى يخرج أجمع ؛ ومنعه من الإجابة .

٥٧٣/٣

قال الكرماني : فحدّثني صالح بن سليمان ، قال : بعث الهادي إلى يحيى بن خالد وهو بعيساباذ ليلاً ، فراه ذلك ، فدخل عليه وهو في خلوة ، فأمر بطلب رجل كان أخافه^(١) ، فتغيّب عنه ؛ وكان الهادي يريد أن ينادمه ويمنعه مكانه من هارون ، فنادمه وكلّمه يحيى فيه ، فأمنه وأعطاه خاتم ياقوت أحمر في يده ، وقال : هذا أمانه^(٢) ، وخرج يحيى فطلب الرجل ، وأتى الهادي به فسرّ بذلك .

(٢) ط : « أمانة » .

(١) س : « خافه » .

قال : وحدتني غير واحد أن الرجل الذي طلبه كان لإبراهيم الموصلي .

قال صالح بن سليمان : قال الهادي يوما للربيع : لا يدخل عليّ يحيى بن خالد إلا آخر الناس . قال : فبعث إليه الربيع ، وتفرغ له . قال : فلما جلس من غد أذن حتى لم يبق أحد ، ودخل عليه يحيى ، وعنده عبد الصمد ابن عليّ والعبّاس بن محمد وجيلةُ أهله وقواده ، فما زال يُدنيه حتى أجلسه بين يديه ، وقال له : إني كنت أظلمك وأكفرك ، فاجعلني في حلّ ، فتعجب الناس من إكرامه إياه وقوله ؛ فقبّل يحيى يده وشكر له ، فقال له الهادي : من الذي يقول فيك يا يحيى :

لَوْ يَمَسُّ الْبَخِيلُ رَاحَةَ يَحْيَى لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِبَذْلِ النَّوَالِ

قال : تلك راحتك يا أمير المؤمنين لا راحة عبدك !

قال : وقال يحيى للهادي في خلع الرّشيد لما كلمه فيه : يا أمير المؤمنين ؛ إنك إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم ؛ وإن تركتهم على بيعة أخيك ثم بايعت لجعفر من بعده كان ذلك أوكداً لبيعته ، فقال : صدقت ونصحت ؛ ولى في هذا تدبير .

قال الكيرمانى : وحدثنى خزيمة بن عبد الله ، قال : أمر الهادي بجبس يحيى بن خالد على ما أَرادَه عليه من خلع الرّشيد ، فرفع إليه يحيى رقعة : إن عندى نصيحة ، فدعا به ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أخليّني ، فأخلاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ رأيت إن كان الأمر — أسأل الله ألاّ نبلغه ، وأن يقدرنا قبله — أتظنّ أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر ؛ وهو لم يبلغ الخُلُم ، ويرضون به لصلاتهم وحسبهم وغزاهم ! قال : والله ما أظنّ ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ، أفتأمن أن يسموا إليها أهلكت وجلّتهم مثل فلان وفلان ، ويطمع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أبيك ؟ فقال له : نبهتني يا يحيى — قال : وكان يقول : ما كلّمت أحداً من الخلفاء كان أعقل من موسى — قال : وقال له : لو أن هذا الأمر لم يعقد لأخيك ، أما كان ينبغي أن تعقده له ، فكيف بأن تحله عنه ، وقد عقده المهديّ ! ولكن أرى أن تُقرّ هذا الأمر يا أمير المؤمنين

على حاله ؛ فإذا بلغ جعفر ، وبلغ الله به ، أتيتته بالرّشيد فخلع نفسه ، وكان أول من يبایعه ويعطيه صفقة يده . قال : فقبل الهادي قوله ورأيت ، وأمر بإطلاقه .

وذكر الموصلي عن محمد بن يحيى ، قال : عزم الهادي بعد كلام أبي له على خلّع الرّشيد ، وحملته عليه جماعة من مواليه وقوّاده ؛ أجابه إلى الخلع أولم يُحييه ، واشتد غضبه منه ، وضيق عليه . وقال يحيى لهارون : استأذنه في الخروج إلى الصّيد . فإذا خرجت فاستبعد ودافع الأيام ، فرفع هارون رقعة يستأذن فيها ، فأذن له ؛ فضى إلى قصر مقاتل^(١) ، فأقام به أربعين يوماً حتى أنكر الهادي أمره وعمّه احتباسه ، وجعل يكتب إليه ويصرفه ، فتعلل عليه حتى تفاقم الأمر ، وأظهر شتمه ، وبسط مواليه وقوّاده ألستهم فيه ؛ والفضل ابن يحيى إذ ذاك خليفة أبيه ، والرّشيد بالباب ؛ فكان يكتب إليه بذلك ، وانصرف وطال الأمر .

قال الكرمانى : فحدثني يزيد مولى يحيى بن خالد ، قال : بعثت الحيزران عاتكة - ظنّاً كانت لهارون - إلى يحيى ، فشقت جيبيها بين يديه ، وتبكي إليه وتقول له : قالت لك السيدة : الله الله في ابني لا تقتله . ودعه يحيب أخاه إلى ما يسأله ويريده منه ، فبقاؤه أحبّ إلى من الدنيا بجمع ما فيها . قال : فصاح بها ، وقال لها : وما أنت وهذا ! إن يكن ما تقولين فإني وولدى وأهلي سنقتل قبله ، فإن اتهمت عليه فلست بمتهم على نفسي ولا عليهم . قال : ولما لم ير الهادي يحيى بن خالد يرجع عما كان عليه لهارون بما بذل له من إكرام وإقطاع وصلة ، بعث إليه يتهدده بالقتل إن لم يكف عنه . قال : فلم تنزل تلك الحال من الخوف والخطر ، وماتت أم يحيى وهو في الخلد ببغداد ؛ لأن هارون كان ينزل الخلد ، ويحيى معه ، وهو ولي العهد ، نازل في داره يلقاه في ليله ونهاره .

٥٧٦/٣

وذكر محمد بن القاسم بن الرّبيع ، قال : أخبرني محمد بن عمرو الرومي ،

(١) : « قصر بني مقاتل » .

قال : حدثني أبي ، قال : جلس موسى الهادي بعد ما ملك في أول خلافته جلوساً خاصاً ، ودعا بإبراهيم بن جعفر بن أبي جعفر وإبراهيم بن سلم بن قتيبة والحَرَانيّ ، فجلسوا عن يساره ، ومعهم خادم له أسود يقال له أسلم ، ويكنى أبا سليمان ؛ وكان يثيق به ويقدمه ؛ فبينما هو كذلك ، إذ دخل صالح صاحب المصلّى ، فقال : هارون بن المهديّ ، فقال : ائذن له ، فدخل فسلم عليه ، وقبل يديه ، وجلس عن يمينه بعيداً من ناحية ، فأطرق موسى بنظر إليه ، وأدمن ذلك ، ثم التفت إليه ، فقال : يا هارون ، كأنني بك تحدث نفسك بآم الرؤيا ، وتؤمّل ما أنت منه بعيد ، ودون ذلك خرّط القناد ؛ تؤمّل الخلافة ! قال : فبرك هارون على ركبتيه ، وقال : يا موسى ؛ إنك إن تجبرت وُضعت ، وإن تواضعت رُفعت ؛ وإن ظلمت خُتلت ^(١) ؛ وإني لأرجو أن يفضي الأمر إلى ؛ فأُصِفَ مَنْ ظلمت ، وأُصِلَ مَنْ قطعت ، وأُصيرَ أولادك أعلى من أولادي ، وأزوجهم بناتي ، وأبلغ ما يجب ^(٢) من حق الإمام المهديّ . قال : فقال له موسى : ذلك الظن بك يا أبا جعفر ؛ ادن مني ، فدنا منه ، فقبل يديه ، ثم ذهب يعود إلى مجلسه ، فقال له : لا والشيخ الجليل ، والملك النبيل - أعني أباك المنصور - لا جلست إلاّ معي ، وأجلسه في صدر المجلس معه ، ثم قال : يا حرّانيّ ، احمل إلى أخي ألف ألف دينار ؛ وإذا افتتح الخراج فاحمل إليه النصف منه ، واعرض عليه ما في الخزائن من مالنا ، وما أخذ من أهل بيت اللعنة ؛ فيأخذ جميع ما أراد . قال : ففعل ذلك . ولما قام قال لصالح : أدن دابته إلى البساط . قال عمرو الروميّ : وكان هارون يأنس بي ، فقمّت إليه فقلت : يا سيدي ، ما الرؤيا التي قال لك أمير المؤمنين ؟ قال : قال المهديّ : أريت في منامي كأنني دفعت إلى موسى قضيباً وإلى هارون قضيباً ، فأورق من قضيب موسى أعلاه قليلاً ؛ فأما هارون فأورق قضيبه من أوله إلى آخره . فدعا المهديّ الحكم بن موسى الضمريّ - وكان يكنى أبا سفيان - فقال له : عبّر هذه الرؤيا ، فقال : يملكان جميعاً ، فأما موسى فقتل أيامه ، وأما هارون فيبلغ مدى ما عاش خليفة ؛ وتكون أيامه

٥٧٧/٣

(٢) ابن الأثير : « ما تعب » .

(١) ابن الأثير : « قتلت » .

أحسن أيام ، ودهره أحسن دهر . قال : ولم يلبث إلا أياماً يسيرة ، ثم اعتل موسى ومات ، وكانت علته ثلاثة أيام .

قال عمرو الرومي : أفضت الخلافة إلى هارون ، فزوّج حمدونة من جعفر ابن موسى ، وفاطمة من إسماعيل بن موسى ؛ ووَفِّي بكلّ ما قال ؛ وكان دهره أحسن الدهور .

٥٧٨/٣

وذكر أن الهادي كان قد خرج إلى الحديث ، حديثه الموصل ؛ فرض بها ، واشتد مرضه ، فانصرف . فذكر عمرو الشكري - وكان في الخدم - قال : انصرف الهادي من الحديث بعد ما كتب إلى جميع عمّاله شرقاً وغرباً بالقدوم عليه ؛ فلما ثقل اجتمع القوم الذين كانوا بايعوا لجعفر ابنه ، فقالوا : إن صار الأمر إلى يحيى قتلنا ولم يستبقنا ، فتأمروا على أن يذهب بعضهم إلى يحيى بأمر الهادي ، فيضرب عنقه . ثم قالوا : لعل أمير المؤمنين يفتق من مرضه ، فما عُدّنا عنده ! فأمسكوا . ثم بعث الخيزران إلى يحيى تعليمه أن الرجل لما به ، وتأمره بالاستعداد لما ينبغي ؛ وكانت المستولية على أمر الرشيد وتدير الخلافة إلى أن هلك ؛ فأحضِر الكتاب وجُمِعوا في منزل الفضل بن يحيى ، فكتبوا للبتهم كتباً من الرشيد إلى العمّال بوفاة الهادي ، وأنهم قد ولاهم الرشيد ما كانوا يلدّون ؛ فلما مات الهادي أنفذوها على البرد .

وذكر الفضل بن سعيد ، أن أباه حدثه أن الخيزران كانت قد حلفت ألا تكلم موسى الهادي ، وانتقلت عنه ، فلما حضرته الوفاة ، وأتاها الرسول فأخبرها بذلك ، فقالت : وما أصنع به ؟ فقالت لها خالصة : قومي إلى ابنك أيتها الحرّة ؛ فليس هذا وقت تعتب ولا تغضب . فقالت : أعطوني ماءً أتوضأ للصلاة ، ثم قالت : أما إنّنا كنا نتحدث أنه يموت في هذه الليلة خليفة . ويملك خليفة ، ويولد خليفة ؛ قال : فمات موسى ، وملك هارون ، وولد المؤمن .

قال الفضل : فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عبيد الله ، فساقه لي مثل ما حدثني أبي ، فقلت : فمن أين كان للخيزران هذا العلم ؟ قال : إنها كانت قد سمعت من الأوزاعي .

٥٧٩/٣

ذكر يحيى بن الحسن أن محمد بن سليمان بن عليّ حدثه ، قال : حدثتني عمّتي زينب ابنة سليمان ، قالت : لما مات موسى بعيساباذ ، أخبرتنا الخيزران الخبر ، ونحن أربع نسوة ؛ أنا وأختي وأمّ الحسن وعائشة ، بُنِيَّات سليمان ، ومعنا رِبْطَةٌ أمّ عليّ ، فجاءت خالصة ، فقالت لها : ما فعل الناس ؟ قالت : يا سيدتي ، مات موسى ودفنوه ؛ قالت : إن كان مات موسى ، فقد بقي هارون ، هات لي سَوِيْقًا ، فجاءت بسَوِيْقٍ ، فشربت وسقّتنا ، ثم قالت : هات لساداتي أربعمئة ألف دينار ، ثم قالت : ما فعل ابني هارون ؟ قالت : حلف ألاّ يُصَلِّيَ الظهْرَ إلا ببغداد . قالت : هاتوا الرّحائل ، فما جلوسى ها هنا ؛ وقد مضى ! فالحقته ببغداد .

• • •

ذكر الخبر عن وقت وفاته

ومبلغ سنه وقدر ولايته ومَنّ صلى عليه

قال أبو معشر : تُوَفِّيَ موسى الهادي ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول ؛ حدثنا بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق .

وقال الواقديّ : مات موسى بعيساباذ للنصف من شهر ربيع الأول .

وقال هشام بن محمد : هلك موسى الهادي لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ليلة الجمعة في سنة سبعين ومائة .

وقال بعضهم : تُوَفِّيَ ليلة الجمعة لسته عشر يوماً منه ؛ وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر .

وقال هشام : ملك أربعة عشر شهراً ، وتُوَفِّيَ وهو ابن ستّ وعشرين سنة . ٥٨٠/٣

وقال الواقديّ : كانت ولايته سنة وشهراً واثنين وعشرين يوماً .

وقال غيرهم : تُوَفِّيَ يوم السبت ، لعشر خَلَّتْ من ربيع الأول — أول ليلة الجمعة — وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكانت خلافته سنة وشهراً وثلاثة وعشرين يوماً ، وصلى عليه أخوه هارون بن محمد الرشيد . وكان كنيته أبا محمد ، وأمّه الخيزران أم ولد ، ودفن بعيساباذ الكبّرى في بُستانه .

وذكر الفضل بن إسحاق أنه كان طويلًا جسيمًا جميلًا أبيض ، مشربًا حُمْرَةً ؛ وكان بشفته العليا تَقْلُصُ ، وكان يلقب موسى أظْبَقُ^(١) ؛ وكان ولد بالسَّيْرَوَانِ من الرِّى .

° ° °

ذكر أولاده

وكان له من الأولاد تسعة ؛ سبعة ذكور وابنتان . فأما الذكور فأحدهم جعفر — وهو الذى كان يرشحه للخلافة — والعباس وعبد الله وإسحاق وإسماعيل وسليمان وموسى بن موسى الأعمى ؛ كلهم من أمهات أولاد . وكان الأعمى — وهو موسى — ولد بعد موت أبيه . والابنتان ؛ إحداهما أم عيسى كانت عند المأمون ، والأخرى أم العباس بنت موسى ، تَلَقَّبَ نُوتَةَ .

° ° °

ذكر بعض أخباره وسيره

ذكر إبراهيم بن عبد السلام ، ابن أخى السندى أبو طوطة ، قال : حدثني السندى بن شاهر ، قال : كنت مع موسى بجرجان ، فأتاه نعي المهدي والخلافة ، فركب البريد إلى بغداد ؛ ومعه سعيد بن سَكْمٍ ، ووجهني إلى خراسان ؛ فحدثني سعيد بن سَكْمٍ ، قال : سررتنا بين أبيات جرجان وبساتينها ، قال : فسمع صوتًا من بعض تلك البساتين من رَجُلٍ يتغنى ، فقال لصاحب شرطته : على بالرجل الساعة ، قال : فقلت يا أمير المؤمنين ، ما أشبه قصة هذا الخائن بقصة سليمان بن عبد الملك ! قال : وكيف ؟ قال : قلت له : كان سليمان بن عبد الملك في متنزه له ومعه حُرْمَةٌ ؛ فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنى ، فدعا صاحب شرطته ، فقال : على بصاحب الصوت ؛ فأتي به ؛ فلما مثل بين يديه ، قال له : ما حَمَمَكَ على الغناء وأنت إلى جنبي ومعى حُرْمَتِي ! أما علمت أن الرَّمَاكَ^(٢) إذا سمعت صوت الفحل حنَّ إليه ! يا غلام جبَّهْ ؛ فجُذِبَ الرجل . فلما كان في العام المقبل رجَّع سليمان إلى ذلك المتنزه ، فجلس مجلسه الذى فيه ، فذكر الرجل وما صنع به ، فقال لصاحب

٥٨١/٣

(١) : « موسى الحقيق » .

(٢) : في القاموس : « الرمكة محرمة : الفرس أو البرذونة ، تتخذ للنسل » .

شُرطته : على بالرجل الذى كنا جيبناه ، فأخضره ، فلما مشى بين يديه . قال له : إماماً بيعت فوفيتناك ، وإماماً وهبت فكافأناك ، قال : فوالله ما دعاه بالخلافة ، ولكنّه قال له : يا سليمان ؛ الله الله ! إنك قطعت نسلى ، فذهبت بماء وجهى ، وحرمتنى لذتى ، ثم تقول : إماماً وهبت فكافأناك ، وإماماً بيعت فوفيتناك ! لا والله حتى أتف بين يدي الله . قال : فقال موسى : يا غلام ، ردّ صاحب الشرطة ، فردّه ، فقال : لا تعرض للرجل .

وذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادى ؛ أنّ على ابن صالح حدثه ؛ أنه كان يوماً على رأس الهادى وهو غلام — وقد كان جفا المظالم عامّة ثلاثة أيام — فدخل عليه الحرّانيّ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ إن العامة لا تنقاد على ما أنت عليه ، لم تنظر في المظالم منذ ثلاثة أيام ؛ فالتفت إلى ، وقال : يا على ، ائذن للناس ، على بالحقّ لا بالنقّرى^(١) ، فخرجت من عنده أطير على وجهى . ثم وقفت فلم أدر ما قال لي ، فقلت : أراجع أمير المؤمنين ، فيقول : أتحنّيني ولا تعلم كلامي ! ثم أدركني ذهني ، فبعثت إلى أعرابيّ كان قد وفد ، وسألته عن الحقّ والحقّ ، فقال : الحقّ جوفالة ، والنقّرى ينقّر خواصّهم^(٢) . فأمرت بالستور فرفعت وبالأبواب ففتحت ، فدخل الناس على بكثرة أبيهم ؛ فلم يزل ينظر في المظالم إلى الليل ، فلما تقوّض المجلس مثلت بين يديه ، فقال : كأنك تريد أن تذكر شيئاً يا على ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كلّمتني بكلام لم أسمع قبل يومى هذا ، وخفت مراجعتك ، فتقول : أتحنّيني وأنت لم تعلم كلامي ! فبعثت إلى أعرابيّ كان عندنا . ففسّر لي الكلام ؛ فكافئه عني يا أمير المؤمنين ، قال : نعم مائة ألف درهم تحمّل إليه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ؛ إنه أعرابيّ جليّف ، وفي عشرة آلاف درهم ما أغناه وكفاه ، فقال : ويذك يا على ! أجدود وتبخل !

قال : وحدّثني على بن صالح ، قال : ركب الهادى يوماً يريد عيادة أمّه الخيزران من علّة كانت وجدتها ، فاعترضه عمر بن بزيع ، فقال له :

(١) يقال : دعاهم الحقّ ، أى دعاهم بجماعتهم ، والنقّرى : الدعوة الخاصة ، والحقّالة : الجماعة من الناس .

يا أمير المؤمنين ؛ ألا أدلك على وجه هو أعود عليك من هذا ؟ فقال : وما هو يا عمر ؟ قال : المظالم لم تنتظر فيها منذ ثلاث ، قال : فأوماً إلى المطرقة أن يميلوا إلى دار المظالم ، ثم بعث إلى الخيزران بخادم من خدمه يعتذر إليها من تخلفه ، وقال : قل لها إن عمر بن بزيع أخبرنا من حق الله بما هو أوجب علينا من حقلك ، فلنا إليه ونحن عائدون إليك في غد إن شاء الله .

٥٨٣/٣

وذكر عن عبد الله بن مالك ، أنه قال : كنت أتولّى الشرطة للمهدى ، وكان المهديّ يبعث إلى ندماء الهادي ومغنييه ، ويأمرني بضربهم ؛ وكان الهادي يسألني الرفق بهم والترفيه لهم ؛ ولا ألتفت إلى ذلك ، وأمضي لما أمرني به المهديّ . قال : فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف ؛ فبعث إلى يوماً ، فدخلت عليه متكفناً محتشطاً ؛ وإذا هو على كرسيّ ، والسيف والنطع بين يديه ، فسلمت ، فقال : لا سلم الله على الآخر ! تذكر يوم بعثت إليك في أمر الحرّانيّ ، وما أمر أمير المؤمنين به من ضربه وحبسه فلم تجبني ؛ وفي فلان وفلان - وجعل يعدد ندماءه - فلم تلتفت إلى قولي ، ولا أمرى ! قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أفتأذن لي ^(١) في استيفاء الحجّة ؟ قال : نعم ، قلت : ناشدتك بالله يا أمير المؤمنين ، أيسرك أنك وليتني ما وليتني أبوك ، فأمرتني بأمر ، فبعث إلى بعض بنيك بأمر يخالف به أمرك ، فاتبعته أمره وعصيت أمرك ؟ قال : لا ، قلت : فكذلك أنا لك ، وكذا كنت لأبيك . فاستدنانى ، فقبلت يديه ، فأمر بخلع فصبّت عليّ ، وقال : قد وليتك ما كنت تتولاه ، فامض راشداً . فخرجت من عنده فصرت إلى منزلي مفكراً في أمرى وأمره ، وقلت : حدّث يشرب ، والقوم الذين عصيته في أمرهم ندماءؤه ووزراؤه وكتّابه ؛ فكأنى بهم حين يغلب عليهم الشراب قد أزالوا رأيته فيّ ، وحملوه من أمرى على ما كنت أكره وأتخوفه . قال : فإتني لجالس وبين يدي بنية لي في وقتي ذلك ، والكانون بين يدي ، ورقاق أشطره بكامخ وأسخته وأضعه للصبيّة ؛ وإذا ضجة عظيمة ، حتى توهمت أن الدنيا قد اقلعت وتزلزلت بوقع الخوافر وكثرة الضوضاء ، فقلت : هاه ! كان والله ما ظننت ، ووافاني من أمره ما تخوّفت ؛ فإذا الباب قد فتح ، وإذا الخدم قد دخلوا ، وإذا أمير المؤمنين الهادي على حمار في وسطهم ؛ فلما

٥٨٤/٣

رأيته وثبتت عن مجلسي مبادراً ، فقبلت يده ورجله وحافر حماره ، فقال لي : يا عبد الله ، إني فكرت في أمرك ، فقلت : يسبق إلى قلبك أني إذا شربت وحولى أعداؤك ، أزالوا ما حسن من رأيي فيك ، فأقلقتك وأوحشتك ، فصرت إلى منزلك لأونسك وأعلمك أن السخيمة قد زالت عن قلبي لك ، فهات فأطعمني مما كنت تأكل ، وافعل فيه ما كنت تفعل ؛ لتعلم أني قد تحرمت بطعامك ، وأنست بمنزلك ؛ فيزول خوفك ووحشتك . فأدنيته إليه ذلك الرقاق والسكرجة التي فيها الكامنخ ، فأكل منها ثم قال : هاتوا الزلّة التي أزلتها لعبد الله من مجلسي . فأدخلت إلى أربعمئة بغل مؤقرة دراهم ، وقال : هذه زلتك ، فاستعين بها على أمرك ، واحفظ لي هذه البغال عندك ؛ لعل أحتاج إليها يوماً لبعض أسفاري ، ثم قال : أظلك الله بخير ، وانصرف راجعاً .

فذكر موسى بن عبد الله أن أباه أعطاه بستانه الذي كان وسط داره ، ثم بنى حوله معالف لتلك البغال ؛ وكان هو يتولّى النظر إليها والقيام عليها أيام حياة الهادي كلها .

٥٨٥/٣

وذكر محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود بن طهمان السلمى . قال : أخبرني أبي ، قال : كان عليّ بن عيسى بن ماهان يغضب غضب الخليفة ، ويرضى رضا الخليفة ؛ وكان أبي يقول : ما لعربي ولا لعجمي عندي ما لعليّ ابن عيسى ؛ فإنه دخل إلى الحبس وفي يده سوط ، فقال : أمرني أمير المؤمنين موسى الهادي أن أضربك مائة سوط ، قال : فأقبل يضعه على يدي ومنكبي ؛ يمستني به مستاً إلى أن عدّ مائة ، وخرج . فقال له : ما صنعت بالرجل ؟ قال : صنعت به ما أمرت . قال : فما حاله ؟ قال : مات ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وبلك ! فضحكتي والله عند الناس ؛ هذا رجل صالح ، يقول الناس : قتل يعقوب بن داود ! قال : فلما رأى شدة جزعه ، قال : هو حيّ يا أمير المؤمنين لم يمست ، قال : الحمد لله على ذلك .

قال : وكان الهادي قد استخلف على حجابته بعد الربيع ابنه الفضل ، فقال له : لا تحجب عني الناس ؛ فإن ذلك يزيل عني البركة ، ولا تُلّق إلى أمراً إذا كشفته أصبته باطلا ؛ فإن ذلك يوقع الملك ، ويضرّ بالرعيّة .

وقال موسى بن عبد الله : أتيت موسى برجل : فجعل يقرّعه بذنوبه ويتهدده ، فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين : اعتذارى ثمة تُقرّعني به ردّ عليك ، وإقرارى يوجب علىّ ذنباً ، ولكنى أقول : فإن كنت ترجو فى العقوبة رحمةً فلا تزهدن عند المعافاة فى الأجر قال : فأمر بإطلاقه .

٥٨٦/٣

وذكر عمر بن شبة أن سعيد بن سلم كان عند موسى الهادى ، فدخل عليه وفد الروم وعلى سعيد بن سلم قملنسوة -- وكان قد صلّع وهو حدث - فقال له موسى : ضع قملنسوتك حتى تتشايخ بصلعتك .

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أن أباه حدثه ، قال : خرجت إلى عيساباذ أريد الفضل بن الربيع . فلقيت موسى أمير المؤمنين وهو خليفة ، وأنا لا أعرفه ، فإذا هو فى غلالة على فرس ، وبيده قناة لا يدرك أحداً إلا طعنه . فقال لى : يابن الفاعلة ! قال : فرأيت إنساناً كأنه صم ، وكنت رأيته بالشأم ، وكان فخذه كفخذى بعير : فضربت يدى إلى قائم السيف ، فقال لى رجل : ويلك ! أمير المؤمنين ، فحرّكت دابتي - وكان شهريئاً^(١) حملنى عليه الفضل بن الربيع ، وكان اشتراه بأربعة آلاف درهم - فدخلت دار محمد بن القاسم صاحب الحرس ، فوقف على الباب ، وبيده القناة ، وقال : اخرج يابن الفاعلة ! فلم أخرج ، ومرّ فضى . قلت للفضل : فإني رأيت أمير المؤمنين ، وكان من القصّة كذا وكذا ، فقال : لا أرى لك وجهاً إلا ببغداد ، إذا جئت أصابى الجمعة فالقيني ، قال : فما دخلت عيساباذ حتى هلك الهادى .

وذكر الهيثم بن عروة الأنصارى أن الحسين بن معاذ بن مسلم - وكان رضيع موسى الهادى - قال : لقد رأيتنى أخلو مع موسى ، فلا أجد له هبةً فى قلبى عند الخلوة ، لما كان يبسطنى . وربما^(٢) صارعنى فأصرعه غير هائب له ، وأضرب به الأرض ، فإذا تلبس لبسة الخلافة ثم جلس مجلس الأمر والنهى

(١) فى القاموس : « الشبهة : ضرب من البراذين » . (٢) كذا فى ١ ، وفى نسخة من ط .

قمتُ على رأسه ؛ فوالله ما أملك نفسي من الرعدة والهَيْبَةِ له .

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق أن محمد بن سعيد بن عمر بن مِهْرَآن ، حدثه عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كانت المرتبة لإبراهيم بن سلّم ابن قتيبة عند الهادي ، فأت ابنٌ لإبراهيم يقال له سلّم ، فأناه موسى الهادي يعزّيه عنه على حمار أشهب ، لا يُمنع مُقبِلٌ ولا يُردّ عنه مُسلّمٌ ؛ حتى نزل في رواقه ، فقال له : يا إبراهيم ، سرّك وهو عدوٌّ^(١) وقتنة ، وحزّرتك وهو صلاة ورحمة . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما بقي مني^(٢) جزء كان فيه حزن إلّا وقد امتلأ عزاء . قال : فلما مات إبراهيم صارت المرتبة لسعيد بن سلّم بعده .

وذكر عمر بن شبة أن عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب كان يلقب بالجزري^(٣) ، تزوج رُقيّة بنت عمرو العُمانيّة — وكانت تحت المهديّ — فبلغ ذلك موسى الهادي في أوّل خلافته ، فأرسل إليه فجّهله^(٤) وقال : أعيالك النساء إلّا امرأة أمير المؤمنين ، فقال : ما حرّم الله على خلقه إلّا نساء جدّي صلى الله عليه وسلم ؛ فأما غيرهنّ فلا ولا كرامة . فشجّه بمخصّرة كانت في يده ، وأمر بضربه خمسمائة سوط ، فضرّب ، وأراد^(٥) أن يطلّقها فلم يفعل ، فحمل من بين يديه في نِطْعٍ فألقى ناحية ؛ وكان في يده خاتم سرّي^(٦) قرّاه بعضُ الخدم وقد غُشِيَ عليه من الضرب ، فأهوى إلى الخاتم ، فقبض على يد الخادم فدقّها ، فصاح . وأتى موسى فأراه يده ، فاستشاط وقال : يُفعل هذا بخادمي ، مع استخفافه^(٧) بأبي ، وقوله لي ! وبعث إليه : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : قُلْ له وسلّمه ، ومُرّه أن يضع يده على رأسك وليصدّقك . ففعل ذلك موسى ، فصدّقه الخادم ، فقال : أحسن والله ، أنا أشهدُ أنه ابنُ عمّي ؛ لو لم يفعل لانتفيتُ منه . وأمر بإطلاقه .

وذكر أبو إبراهيم المؤذن ، أن الهادي كان يشب على الدابة وعليه درعان ، وكان المهديّ يسمّيه ريّحانتي .

(١) س : « عدوّك » .

(٣) ج : « الحزري » .

(٥) ج : « وأداره » .

(٧) س : « استخفافك » .

(٢) س : « في » .

(٤) س : « فحمل إليه » .

(٦) ابن الأثير : « نفيس » .

وذكر محمد بن عطاء بن مقدّم الواسطيّ، أن أباه حدثه أن المهديّ قال لموسى يوماً - وقد قدّم إليه زنديق، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فضرب عنقه وأمر بصلبه : يا بنيّ ، إن صار لك ^(١) هذا الأمر فتجرّد لهذه العصابة - يعني أصحاب ماني - فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعسل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومسّ الماء الطهور ^(٢) وترك قتل الهوامّ تحرّجاً وتحويّلاً، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين : أحدهما النور والآخر الظلمة ، ثم تُبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرُق . لتتقدم من ضلال الظلمة إلى هداية النور ؛ فأرفع فيها الخشب ، وجردّ فيها السيف ، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له ؛ فأبى رأيتُ جدّك العباس في المنام قلّديني بسيفين ، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين . قال : فقال موسى بعد أن مضت من أيامه عشرة أشهر : أما والله لئن عشتُ لأقتلنّ هذه الفرقة كلّها حتى لا أترك منها عيناً تطرّف .

ويقال : إنه أمر أن يهيباً له ألف جذع ، فقال : هذا في شهر كذا ، ومات بعد شهرين .

وذكر أيوب بن عناية أن موسى بن صالح بن شيخ ، حدثه أن عيسى ابن دأب كان أكثر أهل الحجاز أدباً وأعدبهم ألفاظاً ؛ وكان قد حظيَ عند الهادي حُظوةً لم تكن عنده لأحد؛ وكان يدعو له بمكأ ^(٣) ، وما كان يفعل ذلك بأحد غيره في مجلسه . وكان يقول : ما استطلتُ بك يوماً ولا ليلة ، ولا غبت ^(٤) عن عيني إلاّ تمنّيتُ ألا أرى غيرك . وكان لذيذ المفاكهة طيب المسامرة ، كخير النادرة ، جيد الشعر حسن الانتزاع له . قال : فأمر له ذات ليلة بثلاثين ألف دينار ؛ فلما أصبح ابنُ دأب وجهه قهراً إلى باب موسى ، وقال له : التّق الحاجب ، وقُلْ له : يوجه إلينا بهذا المال ، فليّ الحاجب ، فأبلغه رسالته ؛ فتبسم وقال : هذا ليس إليّ ، فانطلق إلى صاحب

٥٨٩/٣

(١) س : « إليك » .

(٢) س : « الطهور » .

(٣) ابن الأثير : « بما يتكى عليه » .

(٤) س : « وما غبت » .

التوقيع ليُخرج له كتاباً إلى الديوان ، فتدبره هناك ثم تفعل فيه كذا وكذا .
فرجع إلى ابن دأب فأخبره ، فقال : دعها ولا تعرض لها ، ولا تسأل عنها .
قال : فينا موسى في مستشرق له ببغداد ، إذ نظر إلى ابن دأب قد أقبل ،
وليس معه إلا غلام واحد ! فقال لإبراهيم الحراني : أما ترى ابن دأب ؟
ما غير من حاله ، ولا تزين لنا ؛ وقد برزناه بالأمس ليُرى أثرنا عليه ! فقال
له إبراهيم : فإن أمرني أمير المؤمنين عرضت له بشيء من هذا ؛ قال : لا ،
هو أعلم بأمره ؛ ودخل ابن دأب ، فأخذ في حديثه إلى أن عرض له موسى
بشيء من أمره . فقال : أرى ثوبك غميلاً ، وهذا شتاء يُحتاج فيه إلى الحديد
اللين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، باعني قصير عمّا أحتاج ^(١) إليه ، قال : وكيف
وقد صرنا إليك من برنا ما ظننا أن فيه صلاح شأنك ! قال : ما وصل إلى
ولا قبضته ، فدعا صاحب بيت مال الخاصة ، فقال : عجل له ^(٢) الساعة
ثلاثين ألف دينار ، فأحضرت وحملت بين يديه .

٥٩٠/٣

وذكر علي بن محمد ، أن أباه حدثه عن علي بن يقطين ، قال : إني لعند
موسى ليلة مع جماعة من أصحابه ؛ إذ أتاه خادم فسارّه بشيء ، فنهض
سريعاً ^(٣) ، وقال : لا تبرحوا ، ومضى فأبطأ ، ثم جاء وهو يتنفس ، فألقى
بنفسه على فراشه يتنفس ساعة حتى استراح ، ومعه خادم يحمل طبقاً مغطى
بمنديل ، فقام بين يديه ، فأقبل يُرعّد ، فعجبنا من ذلك . ثم جلس وقال
للخادم : ضع ما معك ، فوضع الطبق . وقال : ارفع المنديل ، فرفعه فإذا
في الطبق رأساً جاريتين ؛ لم أر والله أحسن من وجوههما قط ولا من شعورهما ،
وإذا على رؤوسهما الجواهر منظوم على الشعر ، وإذا رائحة طيبة تفوح ، فأعظمتنا
ذلك ، فقال : أتدرون ما شأنهما ؟ قلنا : لا ، قال : بلغنا أنهما تتحايان
قد اجتمعتا على الفاحشة ، فوكلت هذا الخادم بهما ينهي إلّا أخبارهما ، فجاءني
فأخبرني أنهما قد اجتمعتا ، فجنبت فوجدتهما في لحاف واحد على الفاحشة

(١) س : « يحتاج » .

(٢) س : « إليه » .

(٣) س : « سريعاً » .

فقتلتها ، ثم قال : يا غلامُ ، ارفع الرأسين^(١) قال : ثم رجع في حديثه كأن لم يصنع شيئاً .

وذكر أبو العباس بن أبي مالك الهامى أن عبد الله بن محمد البواب ، قال : كنت أحجب الهادى خليفة للفضل بن الربيع ، قال : فإنه ذات يوم جالس وأنا في داره ، وقد تغدّى ودعا بالنبيذ . وقد كان قبل ذلك دخل على أمه الحيزران ، فسألته أن يوتئى خاله الخطريف اليمن ، فقال : أذكيرنى به قبل أن أشرب ، قال : فلما عزم على الشرب وجهت إليه منيرة - أو زهرة - تذكيره ، فقال : ارجعى فقولى : اختارى له طلاق ابنته عبيدة أو ولاية اليمن ، فلم تفهم إلا قوله : « اختارى له » فرت ، فقالت : قد اخترت له ولاية اليمن ، فطلق ابنته عبيدة ، فسمع الصباح ، فقال : ما لكم ؟ فأعلمته الخبر ، فقال : أنت اخترت له ، فقالت : ما هكذا أديت إلى الرسالة عنك . قال : فأمر صالحاً صاحب المصلى أن يقف بالسيف على رموس الندماء ليطلقوا نساءهم ، فخرج إلى ذلك الخدم ليعلمونى ألا آذن لأحد . قال : وعلى الباب رجل واقف متلفع بطيلسانه ، براوح بين قدميه^(٢) ، فعن لي بيتان ، فأشدتهما وهما :

خَلِيلِي مِنْ سَعْدٍ أَلِمَّا فَسَلَّمَا^(٣) عَلَى مَرِيَمَ ، لَا يُبْعِدُ اللَّهُ مَرِيَمًا
وَقُولًا لَهَا : هَذَا الْفِرَاقُ عَزَمْتِهِ فَهَلْ مِنْ نَوَالٍ بَعْدَ ذَاكَ فَيُعَلِّمَا!^(٤)

قال : فقال لي الرجل المتلفع بطيلسانه : فنعلمنا ، فقلت : ما الفرق بين « يعلمنا » و « نعلمنا » ؟ فقال : إن الشعر يصلحه معناه ويفسده معناه ، ما حاجتنا إلى أن يعلم الناس أسرارنا ! فقلت له : أنا أعلم بالشعر منك ، قال : فلمن الشعر ؟ قلت : للأسود بن عمارة النوفلى ، فقال لي : فأنا هو ؛ فدنوت منه فأخبرته خبر موسى ، واعتلرت إليه من مراجعتي إياه . قال : فصرفت دابته ، وقال : هذا أحق منزل بأن يترك^(٥) .

(٢) الأغاني : « رجليه » .

(٤) الأغاني : « قبل ذلك » .

(١) س : « ارجع بالرأسين » .

(٣) ج : « من سدى » .

(٥) الخبر في الأغاني ١٤ : ١٧١ ، ١٧٢ .

قال مصعب الزبيري : قال أبو المعافى : أنشدت العباس بن محمد سندجاً
في موسى وهارون :

يا خَيْرُ زُرَّانَ هَناكَ ثُمَّ هَناكَ إِنَّ العِبادَ يَسوُسُهُمُ إِبْناكَ ٥٩٢/٣

قال : فقال لى : إني أنصحك . قال اليماني : لا تذكر أمة بخير ولا بشر .
وذكر أحمد بن صالح بن أبي فتن ، قال : حدثني يوسف الصيقل
الشاعر الواسطي ، قال : كنا عند الهادي بجرجان قبل الخلافة ودخوله بغداد ،
فصعد مستشفراً له حسناً ، فغننى بهذا الشعر :

واستَقَلَّتْ رجالُهُم^(١) بالرُّدَيْنِ شُرْعاً

فقال : كيف هذا الشعر ؟ فأنشدوه ، فقال : كنت أشتهي أن يكون
هذا الغناء في شعر أرق من هذا ، اذهبوا إلى يوسف الصيقل حتى يقول فيه ،
قال : فأتوني فأخبروني الخبر ، فقلت :

لا تَلْمَنِي أَنْ أَجْزَعَا سَيِّدِي قَدْ تَمَنَّعا
وابْلائي إِنْ كانَ ما بَيْنَنا قَدْ نَقَطَّعا
إِنَّ مُوسَى بِفَضْلِهِ جَمَعَ الفَضْلَ أَجْمَعَا

قال : فنظر^(٢) فإذا بعير أمامه^(٣) ، فقال : أوقروا هذا دراهم ودنانير ،
واذهبوا بها إليه . قال : فأتوني بالبعير موقراً^(٤) .

وذكر محمد بن سعد ، قال : حدثني أبو زهير ، قال : كان ابن دأب
أحظى الناس عند الهادي ، فخرج الفضل بن الربيع يوماً ، فقال : إن
أمير المؤمنين يأمر من ببابه بالانصراف ؛ فأما أنت يابن دأب فادخل ، قال
ابن دأب : فدخلت عليه وهو منبطح على فراشه ؛ وإن عيسيه لحمراوان من
السَّيْهر وشرب الليل ، فقال لى : حدثني بمديث في الشراب ، فقلت : نعم ٥٩٢/٣

(١) س : « واستهلت رحاهم » ، الأغاني - واستدارت رحاهم .
(٢) ج : « فنظرت » .
(٣) ج : « قائم » .
(٤) الخبر في الأغاني ٢٠ : ٩٣ ، ٩٤ .

يا أمير المؤمنين ، خرجت رجلة^(١) من كنانة ينتجعون الخمر من الشام ، فأت
أخ لأحدهم ، فجلسوا عند قبره يشربون ، فقال أحدهم :

لا تُصَرِّدْ هَامَةً مِنْ شَرِّهَا أَسْقِهِ الخمرَ وَإِنْ كَانَ قَيْرٌ
أَسْقِ أَوْصَالاً وَهَاماً وَصَدَى قَاشِعاً يَفْشَعُ قَشَعِ الْمُبْتَكِرِ^(٢)
كَانَ حُرّاً فَهَوَى فِيمَنْ هَوَى كُلُّ عُرْدٍ وَفُنُونٍ مِنْكَسِرٍ

قال : فدعا بدواة فكتبها ، ثم كتب إلى الحراني بأربعين ألف درهم ،
وقال : عشرة آلاف لك ، وثلاثون ألفاً للثلاثة الأبيات . قال : فأتيت
الحراني ، فقال : صالحنا على عشرة آلاف ، على أنك تحلف لنا ألا تذكرها
لأمير المؤمنين ، فحلفت ألا أذكرها لأمير المؤمنين حتى يبدأني ، فأت ولم
يذكرها حتى أفضت الخلافة إلى الرشيد .

وذكر أبو دعامة أن سلم بن عمرو الخاسر مدح موسى الهادي ، فقال :

بَعِيسَابَادَ حُرٌّ مِنْ قَرِيشٍ عَلَى جَنْبَاتِهِ الشَّرْبُ الرُّوَاءُ
يَعُودُ الْمُسْلِمُونَ بِحَقَّقَاتِهِ إِذَا مَا كَانَ خَوْفٌ أَوْ رَجَاءُ
وَبِالْمَيْدَانِ دُورٌ مُشْرِفَاتٍ يُشِيدُهُنَّ قَوْمٌ أَدْعِيَاءُ
وَكَمْ مِنْ قَائِلٍ إِنِّي صَحِيحٌ وَتَأْبَاهُ الْإِخْلَاقُ وَالرُّوَاءُ
لَهُ حَسْبٌ يَضُنُّ بِهِ لِيَبْقَى وَلَيْسَ لِمَا يَضُنُّ بِهِ بَقَاءُ
عَلَى الضُّبَى لَوْمْ لَيْسَ يَخْفَى يُغْطِيهِ فَيَنْكَشِفُ الْغَطَاءُ
لَعَمْرِي لَوْ أَقَامَ أَبْرَ خَدِيجٍ بِنَاءَ الدَّارِ مَا انْهَدَمَ الْبِنَاءُ

٥٩٤/٣

قال : وقال سلم الخاسر لما تولّى الهادي الخلافة بعد المهدي :

لَقَدْ فَازَ مُوسَى بِالْخِلَافَةِ وَالْهُدَى وَمَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ
فَمَاتَ الَّذِي عَمَّ الْبَرِيَّةَ فَقَدُهُ وَقَامَ الَّذِي يَكْفِيكَ مَنْ يَتَفَقَّدُ

(١) رجلة : جمع راجل ؛ وهو الذي ليس له ظهر يركبه .

(٢) ج : « المتكر » .

وقال أيضاً :

تَحْفَى المَلُوكُ لِمُوسَى عِنْدَ طَلْعَتِهِ مِثْلَ النُّجُومِ لِقَرْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَا
وَلَيْسَ خَلْقٌ يَرَى بِدَرًا وَطَلْعَتُهُ مِنْ الْبَرِيَّةِ إِلَّا ذَلَّ أَوْ خَضَعَا

وقال أيضاً :

لَوْلَا الْخَلِيفَةُ مُوسَى بَعْدَ وَالِدِهِ مَا كَانَ لِلنَّاسِ مِنْ مَهْدِيَّهِمْ خَلْفُ
أَلَا تَرَى أُمَّةَ الْأُمَمِ وَارِدَةً كَأَنَّهَا مِنْ نَوَاجِي الْبَحْرِ تَعْتَرِفُ
مِنْ رَاحَتِي مَلِكٍ قَدْ عَمَّ نَائِلُهُ كَانَ نَائِلُهُ مِنْ جُودِهِ سَرَفُ

وذكر إدريس بن أبي حفصة أن مروان بن أبي حفصة حدثه ، قال :
لما ملك موسى الهادي دخلت عليه فأنشدته :

إِنْ خُلِدَتْ بَعْدَ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ نَفْسِي لَمَّا فَرِحْتَ بِطُولِ بَقَائِهَا

قال : ومدحت فقلت فيه :

بِسَبْعِينَ أَلْفًا شَدَّ ظَهْرِي وَرَاشَنِي أَبُوكَ وَقَدْ عَايَنْتُ مِنْ ذَلِكَ مَشْهَدَا
وَإِنِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوَاتِقُ بَأَلَا يُرَى شَرْنِي لَدَيْكَ مُصْرَدَا^(١)

فلما أنشدته قال : ومن يبلغ مدى المهدي ! ولكننا سنبلغ رضاك .
قال : وعاجلته المنية فلم يعطني شيئاً ، ولا أخذت من أحد درهماً حتى
قام الرشيد .

وذكر هارون بن موسى الفسروى^(٢) ، قال : حدثني أبو غزيرة ، عن
الضحاك بن معن السلمى ، قال : دخلت على موسى فأنشدته :

يَا مَنْزِلِي شَجْوِ الْفَوَادِ تَكَلَّمَا فَلَقَدْ أَرَى بِكُمَا الرِّبَابَ وَكُلُّمَا
مَا مَنْزِلَانِ عَلَى التَّقَادُمِ وَالْبَلَى أَبْكِي لِمَا تَحْتَ الْجَوَانِحِ مِنْكُمَا
رُدًّا السَّلَامَ عَلَى كَبِيرِ شَاقِهِ طَلَلَانِ قَدْ دَرَسَا فَهَاجَ فَسَلَّمَا

(١) شرب مسرود ، أى قليل . (٢) ط : « القروى » وصوابه من ١ ، وانظر التفهرس .

قال : ومدحته فيها ، فلما بلغت :

سَبَّطُ الْأَنَامِلِ بِالْفَعَالِ أَخَالُهُ أَنْ لَيْسَ يَتْرُكُ فِي الْخَزَائِنِ دِرْهَمًا
التفت إلى أحمد الخازن ، فقال : ويحك يا أحمد ! كأنه نظر إلينا البارحة ،
قال : وكان قد أخرج تلك الليلة مالاً كثيراً ففترقه .

وذُكِرَ عن إسحاق الموصلي - أو غيره - عن إبراهيم ، قال : كنا يوماً
عند موسى ، وعنده ابن جامع ومُعَاذُ بْنُ الطَّيِّبِ - وكان أول يوم دخل علينا
مُعَاذُ ؛ وكان مُعَاذُ حَازِقًا بِالْأَغَانِي ، عارفاً بقديحها - فقال : مَنْ أَطْرَبُنِي
منكم فله حُكْمُهُ ؛ فغناه ابنُ جامع غِنَاءً فلم يحرّكه ، وفهمتُ غرضه في
الأغاني ، فقال هات يا إبراهيم ، فغَنَيْتُهُ :

سُلَيْمَى أَجْمَعَتْ بَيْنَا فَأَيْنَ نَقُولُهَا أَيَّنَا !

فطرب حتى قام من مجلسه ، ورفع صوته ، وقال : أعِدْ ، فأعدتُ ،
فقال : هذا غرضي فاحْتَكِمْ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، حائط عبد الملك
وعينه الحرارة ، فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جَمْرَتَانِ ، ثم قال :
يا ابن اللّخناء ، أردت أن تُسمع العامة أنك أطربتنني وأنتى حكمتك فأقتلعتك !
أما والله لولا بادرةُ جهلك التي غلبتُ على صحيح عقلك لضربتُ الذي فيه
عينك . ثم أطرق هُنيئة ^(١) ، فرأيت ملك الموت بيني وبينه ينتظر أمره .
ثم دعا إبراهيم الحرّانيّ فقال : خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت المال ، فليأخذ
منه ما شاء ، فأدخلني الحرّانيّ بيتَ المال ، فقال : كم تأخذ ؟ قلت : مائة
بدرّة ، قال : دعني أوامره ^(٢) ، قال : قلت : فثمانين ، قال : حتى أوامره ،
فعملت ما أراد ، فقلت : سبعين بدرّةً لي ، وثلاثين لك ، قال : الآن جئت
بالحق ، فشأنك . فانصرفتُ بسبعمئة ألف وانصرف ملك الموت عن وجهي .

٥٩٦/٣

وذكر عليّ بن محمد ، قال : حدثني صالح بن عليّ بن عطية الأضخمي
عن حكيم الوادعي ، قال كان الهادي يشتغل من الغناء الوسط الذي يقل

(١) كذا في أ وفي القاموس : الهنيئة ، أي شيء يسير ، وصوابه ترك الهزمة .

(٢) أوامره ، أي أشاورة .

ترجيئُهُ ، ولا يبلغ أن يستخفَّ به جدًّا . قال : فيينا نحن ليلة عنده ، وعنده ابنُ جامع والموصليّ والزبير بن دَحْمَانَ والعَنَوِيُّ إذ دعا بثلاثِ بُدُورٍ وأمرَ بهنَّ فوَضِعْنَ في وسطِ المجلس ، ثم ضمَّ بعضَهنَّ إلى بعض ، وقال : مَنْ غنائى صوتًا في طريقى الذى أشتيهيه ، فهنَّ له كلهنَّ . قال : وكان فيه خُلُقٌ حسنٌ ؛ كان إذا كره شيئًا لم يوقِفْ عليه ، وأعرض عنه . فغناه ابنُ جامع ، فأعرض عنه ، وغنّى القوم كلهم ؛ فأقبل يعرض حتى تغنيت ، فوافقت ما يشتهى ؛ فصاح : أحسنت أحسنت ! اسقونى ، فشرب وطرب ، فقمت فجلست على البُدُور ، وعلمت أنى قد حَوَيْتها ، فحضر ابنُ جامع ، فأحسن المحضر ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، هو^(١) والله كما قلت ؛ وما منّا أحد إلا وقد ذهب عن طريقك غيره ، قال : هـى لك ، وشرب حتى بلغ حاجته على الصوت ، ونهض ، فقال : مُرُّوا ثلاثة من الفَرَاشِينَ يحملونها معه ، فنخل وخرجنا نمشى في الصحن منصرفين ، فلحقننى ابنُ جامع ، فقلت : جعلت فداك يا أبا القاسم ! فعلت ما يفعل مثلك في نسبك ؛ فانظر فيها بما شئت . فقال : هناك الله ، ودِدنا أنا زِدناك . ولحقننا الموصليّ ، فقال : أجزنا^(٢) ، فقلت : ولِمَ لم تحسن محضرك ! لا والله ولا درهمًا واحدًا^(٣) .

وذكر محمد بن عبد الله ، قال : قال لى سعيد القارئ العلاف — وكان صاحبَ أبان القارئ : إنه كان عند موسى جلساؤه ، فيهم الحرّاني وسعيد ابن سلم وغيرهما ؛ وكانت جارية لموسى تسقيهم ؛ وكانت ماجنةً ، فكانت تقول لهذا : يا جليّ^(٤) ؛ وتعبث بهذا وهذا ؛ ودخل يزيد بن مزيد فسمع ما تقول لهم ، فقال لها : والله الكبير ؛ لئن قلت لى مثل ما تقولين لهم لأضربنك ضربة بالسيف ، فقال لها موسى : ويلك ! إنه والله يفعل ما يقول ؛ فإياك . قال : فأسكت عنه ولم تعايشه قط . قال : وكان سعيد العلاف وأبان القارئ إياضيّين .

(١) س : « هذا » ، الأغاني : « أحسن » .

(٢) الأغاني : « آخذ يا حكم من هذا ؟ » .

(٣) الخبر في الأغاني ٦ : ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٤) قال في اللسان : والحلف : الجاني في خلقه وخلقه » .

وذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب ، قال : حدثني ابن القداح ، قال : كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز ، فائقة الجمال ، ناهضة الثديين ، حسنة القوام ، فأحداها إلى المهدي ، فلما رأى جمالها وهبتها ، قال : هذه لموسى أصلح ، فوهبها له ؛ فكانت أحب الخلق إليه ، وولدت له بنين الأكابر . ثم إن بعض أعداء الربيع قال لموسى : إنه سمع الربيع يقول : ما وضعتُ بيني وبين الأرض مثل أمة العزيز ، فغار موسى من ذلك غيرة شديدة ، وحلف لَيْتَقَتُلْنَ الربيع ، فلما استخلف دعا الربيع في بعض الأيام ، فتغدى معه وأكرمه ، وناولته كأساً فيها شراب عسل ؛ قال : فقال الربيع : فعلمت أن نفسي فيها ، وأنني إن رددتُ الكأس ضرب عني ؛ مع ما قد علمت أن في قلبه عليّ من دخولي على أمه ، وما بلغه عني ، ولم يسع مني عذراً . فشربتها . وانصرف الربيع إلى منزله ، فجمع ولده ، وقال لهم : إني ميت في يوم هذا أو من غد ، فقال له ابنه الفضل : ولم تقول هذا جعلت فداك ! فقال : إن موسى سقاني شربة سم بيده ، فأنا أجد عملها في بدني ، ثم أوصي بما أراد ، ومات في يومه أو من غده . ثم تزوج الرشيد أمة العزيز بعد موت موسى الهادي ، فأولدها عليّ بن الرشيد .

٥٩٨/٣

وزعم الفضل بن سليمان بن إسحاق الهاشمي أن الهادي لما تحول إلى عيساباذ في أول السنة التي ولي الخلافة فيها ، عزل الربيع عما كان يتولاه من الوزارة وديوان الرسائل ، وولّى مكانه عمر بن بزيع ، وأقر الربيع على الزمام ؛ فلم يزل عليه إلى أن توفّي الربيع ، وكانت وفاته بعد ولاية الهادي بأشهر ؛ وأوذن بموته فلم يحضر جنازته ، وصلى عليه هارون الرشيد ؛ وهو يومئذ وليّ عهد ، وولّى موسى مكان الربيع إبراهيم بن ذكوان الحراني ، واستخلف على ما تولاه إسماعيل بن صبيح ، ثم عزله واستخلف يحيى بن سليم ، وولّى إسماعيل زمام ديوان الشام وما يليها .

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، خال الفضل بن الربيع ، أن أباه حدثه ، أن موسى الهادي قال : أريد قتل الربيع ؛ فما أدري كيف أفعل به ! فقال له سعيد بن سلم : تأمر رجلاً باتخاذ سكين مسموم ، وتأمره بقتله ، ثم

٥٩٩/٣

تأمر بقتل ذلك الرجل . قال : هذا الرأى ، فأمر رجلاً فجلس له فى الطريق ، وأمره بذلك ، فخرج بعض خلفاء الربيع ، فقال له : إنّه قد أمر فيك بكذا وكذا ، فأخذ فى غير ذلك الطريق ، فدخل منزله ، فمارض ، فمرض بعد ذلك ثمانية أيام ؛ فمات ميتة نفسه . وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة ؛ وهو الربيع ابن يونس .

خلافة هارون الرشيد

بُويِعَ للرشيد هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس بالخلافة ليلة الجمعة الليلة التي تُوُفِّيَ فيها أخوه موسى الهادي . وكانت سنة يوم ولّى اثنتين وعشرين سنة . وقيل كان يوم بُويِعَ بالخلافة ابنَ إحدى وعشرين سنة . وأمّه أم ولد بمانية جُرَشِيَّة يقال لها خَيْرُزَّان ، وولد بالريّ ثلاث بقينَ من ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة في خلافة المنصور . وأما البرامكة فإنها — فيما ذُكِرَ — تزعم أن الرشيد وُلِدَ أول يوم من المحرم سنة تسع وأربعين ومائة ؛ وكان الفضل بن يحيى ولد قبله بسبعة أيام ، وكان مولد الفضل لسبع بقين من ذى الحجة سنة ثمان وأربعين ومائة ، فجعلت أم الفضل ظمراً للرشيد ، وهى زينب بنت منير ، فأرضعت الرشيد بلبان^(١) الفضل ، وأرضعت الخيزران الفضل بلبان الرشيد .

وذكر سليمان بن أبي شيخ أنه لما كان الليلة التي تُوُفِّيَ فيها موسى الهادي أخرج هَرَّثَمَةُ بن أعين هارون الرشيد ليلاً فأقعدته للخلافة ، فدعا هارونُ يحيى بن خالد بن برمك — وكان محبوباً ، وقد كان عزم موسى على قتله وقتل هارون الرشيد في تلك الليلة — قال : فحضر يحيى . وتقلد الوزارة ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب فأحضره ، وأمره بإنشاء الكتب ؛ فلما كان غداة تلك الليلة ، وحضر التواد قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم تكلم بكلام أبلغ فيه ، وذكر موت موسى وقيام هارون بالأمر من بعده ، وما أمر به للناس من الأعطيات . وذكر أحمد بن القاسم ، أنه حدثه عمه عليّ بن يوسف بن القاسم هذا الحديث ، فقال : حدثني يزيد الطبري مولانا أنه كان حاضراً يحمل دواة أبي يوسف ابن القاسم ، فحفظ الكلام . قال : قال بعد الحمد لله عز وجلّ والصلوة على النبيّ صلى الله عليه وسلم :

(١) في اللسان : « يقال : هو أخوه بلبان أمه ، بكسر اللام ؛ ولا يقال : بلبان أمه ؛ إنما اللبن الذي يشرب من ناقة أو شاة أو غيرها » .

إن الله بمنه ونطفه من عليكم معاشر أهل بيت نبيه بيت الخلافة ومعدن الرسالة ، وأتاكم أهل الطاعة من أنصار الدولة وأعوان الدعوة ، من نعمته التي لا تحصى بالعدد ، ولا تنقضي مدى الأبد ، وأياديه التامة ، أن جمع ألفتكم وأعلى أمركم ، وشد عضدكم ، وأوهن عدوكم ، وأظهر كلمة الحق ؛ وكنتم أولى بها وأهلها ، فأعزكم الله وكان الله قوياً عزيزاً ؛ فكنتم أنصار دين الله المرتضى والذابين بسيفه المنتضى ؛ عن أهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم . وبكم استنقذهم من أيدي الظلمة ، أئمة الجور ، والناقضين عهد الله ، والسافكين الدم الحرام ، والآكلين النوى ، والمستأثرين به ؛ فاذكروا ما أعطاكم الله من هذه النعمة ، واحذروا أن تغيروا فيغير بكم . وإن الله جل وعز استأثر بخليفته موسى الخادى الإمام ، فقبضه إليه ؛ وولّى بعده رشيداً مرضياً أمير المؤمنين روفاً بكم رحيماً ، من محسنكم قبولاً ، وعلى سيئكم بالعفو^(١) عطوفاً ؛ وهو - أمتعه الله بالنعمة وحفظ^(٢) له ما استرعاه إياه من أمر الأمة - وتولاه بما تولى به أوليائه وأهل طاعته - يعيدكم من نفسه الرأفة بكم ، والرحمة لكم . وقسم أعطياتكم فيكم عند استحقاقكم ، ويبدل لكم من الجائزة مما أفاء الله على الخلفاء مما في بيوت الأموال ما ينوب عن رزق كذا وكذا شهراً ، غير مقاص لكم بذلك فيما تستقبلون من أعطياتكم ، وحامل باقى ذلك ؛ للدفع عن حريمكم ، وما لعله أن يحدث في الدواحي والأقطار من العصاة المارقين إلى بيوت الأموال ؛ حتى تعود الأموال إلى جوامعها وكثرتها ، والحال التي كانت عليها ؛ فاحمدوا الله وجدّدوا شكراً يوجب لكم المزيد من إحسانه إليكم ؛ بما جدّد لكم من رأى أمير المؤمنين ، وتفضل به عليكم ؛ أيده الله بطاعته . وارغبوا إلى الله له في البقاء ؛ ولكم به في إدامة النعماء ، لعلكم ترحمون . وأعطوا صفة أيمانكم ، وقوموا إلى بسيعتكم ، حاطكم الله وحاط عليكم ، وأصلح بكم^(٣) وعلى أيديكم . وتولاكم ولاية عباده الصالحين

وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدثني محمد بن هشام

(٢) س : « وحفظ الله » .

(١) ج : « بالمطف » .

(٣) ج : « لكم » .

المخزومي ، قال : جاء يحيى بن خالد إلى الرشيد وهو قائم في لحاف بلا إزار ؛
 لمّا تَوَقَّفى موسى ، فقال : قم يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : كم تروغني
 إعجاباً منك بخلافتي ! وأنت تعلم حالي عند هذا الرجل ؛ فإن بلغه هذا ،
 فما تكون حالي ! فقال له : هذا الحرّاني وزير موسى وهذا خاتمه . قال : فقعد
 في فراشه ، فقال : أشر على ، قال : فبينما هو يكلمه إذ طلع رسول آخر ،
 فقال : قد وُلِدَ لك غلام ، فقال : قد سمعته عبد الله ، ثم قال ليحيى : أشر
 على ، فقال : أشير عليك أن تقعد للحالك على إرمينية ، قال : قد فعلت ؛ ولا
 والله لا صليت بعيساباذ إلاّ عليها ، ولا صليت الظهر إلا ببغداد ؛ وإلا ورأس
 أبي عصمة بين يدي . قال : ثم لبس ثيابه ، وخرج فصلى عليه ، وقدّم
 أبا عصمة . فضرب عنقه ، وشدّ جُمُته في رأس قناة ، ودخل بها بغداد ؛
 وذلك أنه كان مضى هو وجعفر بن موسى الهادي راكبين . فبلغا إلى قنطرة من
 قناطر عيساباذ ، فالتفت أبو عصمة إلى هارون ، فقال له : مكانك حتى يجوز
 ولي العهد ، فقال هارون : السمع والطاعة للأمير ؛ فوقف حتى جاز جعفر ؛
 فكان هذا سبب قتل أبي عصمة .

٦٠٢/٣

قال : ولما صار الرشيد إلى كرميّ الجسر دعا بالغواصين ، فقال : كان
 المهديّ وهب لي خاتماً شراؤه مائة ألف دينار يسميّ الجبل^(١) ، فدخلتُ على
 أخني وهو في يدي ؛ فلما انصرفت لحقني سليم الأسود على الكرسيّ ، فقال :
 يأمرُك أمير المؤمنين أن تعطيني الخاتم ، فرميت به في هذا الموضع . فغاصوا ،
 فأخرجوه ، فسُرّ به غاية السرور .

قال محمد بن إسحاق الهاشميّ : حدثني غير واحد من أصحابنا ، منهم
 صباح بن خاقان التميميّ ، أن موسى الهادي كان خلع الرشيد وبائع لابنه
 جعفر ؛ وكان عبد الله بن مالك على الشرط ، فلما تَوَقَّفى الهادي هجم خزيمة
 ابن خازم في تلك الليلة ، فأخذ جعفرأ من فراشه ؛ وكان خزيمة في خمسة
 آلاف من مواله معهم السلاح ، فقال : والله لأضربنّ عنقك أو تخذعها ،
 فلما كان من الغد ، ركب الناس إلى باب جعفر ، فأتي به خزيمة ، فأقامه

(١) : « الحيل » .

على باب الدار في العلوة، والأبواب مغلقة، فأقبل جعفر ينادي: يا معشر المسلمين، من كانت لي في عتقه بيعة فقد أحللتها منها؛ والخلافة لعمي هارون؛ ولاحق لي فيها.

وكان سبب مشي عبد الله بن مالك الخزاعي إلى مكة على اللبوة؛ لأنه كان شاور الفقهاء في أيمانه التي حلف بها لبيعة جعفر، فقالوا له: كل يمين لك تخرج منها إلا المشي إلى بيت الله؛ ليس فيه حيلة. فحج ماشياً. وحظي خزيمة بذلك عند الرشيد.

وذكر أن الرشيد كان ساخطاً على إبراهيم الحرائي وسلام الأبرش يوم مات موسى، فأمر بحبسهما وقبض أموالهما، فحبس إبراهيم عند يحيى بن خالد في داره، فكلّم فيه محمد بن سليمان هارون، وسأله الرضا عنه وتخليّة سبيله، والإذن له في الانحدر معه إلى البصرة، فأجابه إلى ذلك.

* * *

وفي هذه السنة عزل الرشيد عمر بن عبد العزيز العمري عن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وما كان إليه من عملها، وولّى ذلك إسحاق بن سليمان ابن علي.

وفيها ولد محمد بن هارون الرشيد، وكان مولده — فيما ذكر أبو حفص الكرماني عن محمد بن يحيى بن خالد — يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة، وكان مولد المأمون قبله في ليلة الجمعة النصف من شهر ربيع الأول.

وفيها قلّد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة، وقال له: قد قلّدتك أمر الرعيّة، وأخرجته من عني إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وأمض الأمور على ما ترى. ودفع إليه خاتمه؛ ففى ذلك يقول إبراهيم الموصلي:

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولي هارون أشرق نورها
بيمن أمين الله هارون ذى الندى فهارون واليها ويحيى وزيرها

وكانت الخيزران هي الناطرة في الأمور ، وكان يحجي يعرض عليها ويصدر
عن رأيها .

وفيها أمر هارون بسهم ذوى القربى ، فقسم بين بنى هاشم بالسوية .
وفيها آمن من كان هارباً أو مستخفياً ، غير نفر من الزنادقة ؛ منهم
يونس بن فروة ويزيد بن الفيض .

وكان ممن ظهر من الطالبين طباطباً ؛ وهو إبراهيم بن إسماعيل ، وعلى بن
الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن .
وفيها عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقتسرين ، وجعلها حيزاً واحداً
وسميت العواصم .

وفيها عمرت طرسوس على يدى أبى سليم فرج الخادم التركى ونزلها الناس .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة هارون الرشيد من مدينة السلام ، فأعطى أهل
الحرمتين عطاء كثيراً ، وقسم فيهم مالا جليلاً .

٦٠٥/٣

وقد قيل : إنه حج في هذه السنة وغزا فيها ، وفي ذلك يقول داود بن رزيق :
بهارون لاح النور في كل بلدة وقام به في عدل سيرته النهج
إمام بذات الله أصبح شغلته وأكثر ما يعنى به الغزو والحج
تضيق عبود الناس عن نور وجهه إذا ما بدا للناس منظره البلج
وإن أمين الله هارون ذا الندى ^(١) ينيل الذي يرجوه أضعاف ما يرجو

وغزا الصائفة في هذه السنة سليمان بن عبد الله البعكاثي .

وكان العامل فيها على المدينة إسحاق بن سليمان الهاشمي ، وعلى مكة
والطائف عبيد الله بن قشم ، وعلى الكوفة موسى بن عيسى ، وخليفته عليها
ابنه العباس بن موسى ، وعلى البصرة والبحرين والفرص وعمان واليامة وكوور
الأهواز وفارس محمد بن سليمان بن علي .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك قدوم أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي مدينة السلام منصرفاً عن خراسان ، وكان خاتم الخلافة حين قدم مع جعفر بن محمد بن الأشعث ، فلما قدم أبو العباس الطوسي أخذ الرشيده منه ، فدفعه إلى أبي العباس ، ثم لم يلبث أبو العباس إلا يسيراً حتى توفى . فدفع الخاتم إلى يحيى بن خالد ، فاجتمعت ليحيى الوزارتان .

٦٠٦/٣

وفيهما قتل هارون أبا هريرة محمد بن فروخ - وكان على الجزيرة - فوجه إليه هارون أبا حنيفة حرث بن قيس ، فقدم به عليه مدينة السلام ، فضرب عنقه في قصر الخلد .

وفيهما أمر هارون بإخراج من كان في مدينة السلام من الطالبين إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، خلا العباس بن الحسن بن عبد الله بن علي ابن أبي طالب ، وكان أبوه الحسن بن عبد الله فيمن أشخص .

وخرج الفضل بن سعيد الحروري فقتله أبو خالد المروزي .

وفي هذه السنة كان قدوم روح بن حاتم إفريقية ، وخرجت في هذه السنة الخيزران إلى مكة في شهر رمضان ، فأقامت بها إلى وقت الحج فحجّت .

وحج بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك شخوص الرشيد فيها إلى مَرَج القلعة مرتاداً بها منزلاً ينزله .
 * ذكر السبب في ذلك :

٦٠٧/٣

ذكر أن الذي دعاه إلى الشخوص إليها أنه استقل مدينة السلام ، فكان
 يسميها البُخار ، فخرج إلى مَرَج القلعة ، فاعتلَّ بها ، فانصرف ، وُسِّيت تلك
 السفرة سَفْرَةُ المرتاد .

* * *

وفيها عزل الرشيد يزيد بن يزيد عن إرمينية ، وولّاها عبيد الله بن
 المهدي .

* * *

وغزا الصائفة فيها إسحاق بن سليمان بن علي .
 وحجَّ بالناس في هذه السنة يعقوب بن أبي جعفر المنصور .
 وفيها وضع هارون عن أهل السواد العُشْر الذي كان يؤخذ منهم بعد
 النصف .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر وفاة محمد بن سليمان]

من ذلك وفاة محمد بن سليمان بالبصرة، ليلال بقين من جمادى الآخرة منها. وذكر أنه لما مات محمد بن سليمان وجه الرشيد إلى كل ما خلفه رجلاً أمره باصطفائه، فأرسل إلى ما خلف من الصّامت من قبل صاحب بيت ماله رجلاً، وإلى الكسوة بمثل ذلك، وإلى الفُرُش والرقيق والدواب من الخيل والإبل، وإلى الطيب والجوهر وكل آلة برجل من قبل الذى يتولى كل صنف من الأصناف، فقد مو البصرة، فأخذوا جميع ما كان لمحمد مما يصلح للخلافة، ولم يتركوا شيئاً إلا الحرثي^(١) الذى لا يصلح للخلفاء، وأصابوا له ستين ألف ألف، فحملوها مع ما حُمِل، فلما صارت فى السفن أخير الرشيد بمكان السفن التى حملت ذلك؛ فأمر أن يدخل جميع ذلك خزائنه إلا المال؛ فإنه أمر بصكاك فكتبت للندماء. وكتبت للمغنين صكاك صغار لم تُدر فى الديوان، ثم دفع إلى كل رجل صكاً بما رأى أن يهَب^(٢) له، فأرسلوا وكلاءهم إلى السفن، فأخذوا المال على ما أمر لهم به فى الصكاك أجمع؛ لم يدخل منه بيت ماله دينار ولا درهم، واصطفى ضياعه؛ وفيها ضيعة يقال لها برشيد بالأهواز لها غلة كثيرة.

وذكر على بن محمد، عن أبيه، قال: لما مات محمد بن سليمان أصيب فى خزانة لباسه مذ كان صبيّاً فى الكتّاب إلى أن مات مقادير السنين؛ فكان من ذلك ما عليه آثار النقّس^(٣). قال: وأخرج من خزانته ما كان يُهدى له من بلاد السند ومكران وكيرمان وفارس والأهواز واليامة والرىّ وعمان؛ من الألطاف والأدهان والسّمك والحبيب والجبن، وما أشبه ذلك، ووجد أكثره فاسداً. وكان من ذلك خمسمائة كسعة^(٤) ألقيت من دار جعفر

(٢) ج: «أن يجب».

(٤) الكند: ضرب من السمك.

(١) الحرثي: أردا المتاع.

(٣) النقش: الخبر.

ومحمد في الطريق ؛ فكانت بلاءً . قال : فكثنا حيناً لا نستطيع أن نمرّ بالمربد من نَتْنِها .

• • •

[ذكر وفاة الخيزران أم الهادي والرشد]

وفيها تُوفيت الخيزران أم هارون الرشد وموسى الهادي .

• ذكر الخبر عن وقت وفاتها :

ذكر يحيى بن الحسن أن أباه حدثه ، قال : رأيت الرشد يوم ماتت الخيزران ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وعليه جبة سعيدية وطيلسان خرق أزرق ، قد شدّ به وسطه ، وهو آخذ بقائمة السرير حافياً يعدو في الطين ؛ حتى أتى مقابر قريش فغسل رجله ، ثم دعا بخُفّ وصلّى عليها ، ودخل قبرها ، فلما خرج من المقبرة وُضع له كرسيّ فجلس عليه ، ودعا الفضل بن الربيع ، فقال له : بحق المهديّ - وكان لا يحلف بها إلا إذا اجتهد - إني لأهمّ لك من الليل بالشئ من التولية وغيرها ، فتمنعني أمي فأطيع أمرها ، فخذ الخاتم من جعفر . فقال الفضل بن الربيع لإسماعيل بن صُبَيح : أنا أجّلّ أبا الفضل عن ذلك ؛ بأن أكتب إليه وأخذه ؛ ولكن إن رأى أن يبعث به !

٦٠٩/٣

قال وولى الفضل نفقات العامة والخاصة وبأدوريا والكوفة ، وهي خمسة طساسيج ، فأقبَلَتْ حاله تنمى إلى سنة سبع وثمانين ومائة .

وقيل إن وفاة محمد بن سليمان والخيزران كانت في يوم واحد .

• • •

وفيها أقدم الرشد جعفر بن محمد بن الأشعث من خراسان ، وولّاها ابنه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث .

وحجّ بالناس فيها هارون ؛ ودُكِرَ أنه خرج محرّماً من مدينة السلام .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان بالشام من العصبية فيها .

وفيهما ولّى الرشيد إسحاق بن سليمان الهاشمي السند ومكران .

وفيهما استقضى الرشيد يوسف بن أبي يوسف ، وأبوه حي .

وفيهما هلك روح بن حاتم .

وفيهما خرج الرشيد إلى باقردي وبازبدي ، وبني بباقردي قصرآ ، ٦١٠/٣
فقال الشاعر في ذلك :

بِقَرْدَى وَبِازِبْدَى مَصِيفٌ وَمَرْبَعٌ وَعَذْبٌ يُحَاكِي السِّلْسَبِيلَ بَرُودٌ
وَبَغْدَادُ ، مَا بَغْدَادُ ، أَمَا تُرَابُهَا فَخُرٌّ ، وَأَمَا حَرَّهَا فَشَدِيدٌ
وَغَزَا الصَّائِفَةَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ .

* * *

وحج بالناس فيها هارون الرشيد ، فبدأ بالمدينة ، فقسم في أهلها مالا عظيما ، ووقع الوباء في هذه السنة بمكة ، فأبطأ عن دخولها هارون ، ثم دخلها يوم التروية ، ف قضى طوافه وسعيته ولم ينزل بمكة .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر الخبر عن البيعة للأمين]

فمن ذلك عقد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام من بعده ولاية عهد المسلمين وأخذه له بذلك بيعة القواد والجنود ، وتسميته إياه الأمين ، وله يومئذ خمس سنين ، فقال سلم الحاسر :

قد وفقَّ اللهُ الخليفةَ إذ بنى بيتَ الخليفةِ للهجانِ الأزهرِ
فهو الخليفةُ عن أبيه وجدِّه شهداً عليه بمنظرٍ وبمخيرِ
قد بايعَ الثقلانِ في مهدي الهدى لمحمدٍ بن زبيدة ابنة جعفر

• ذكر الخبر عن سبب بيعة الرشيد له :

وكان السبب في ذلك — فيما ذكر رَوْح مولى الفضل بن يحيى بن خالد — أنه رأى عيسى بن جعفر قد صار إلى الفضل بن يحيى ، فقال له : أنشدك الله لما عملت في البيعة لابن أختي — يعني محمد بن زبيدة بنت جعفر بن المنصور — فإنه ولدٌ لك وخلافته لك ؛ فوعده أن يفعل ، وتوجه الفضل على ذلك ؛ وكانت جماعة من بني العباس قد مدّوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الرشيد ؛ لأنه لم يكن له وليّ عهد ؛ فلما بايع له ، أنكروا بيعته لصغر سنه .

٦١١/٣

قال : وقد كان الفضل لما تولى خراسان أجمع على البيعة لمحمد ؛ فذكر محمد بن الحسين بن مصعب أن الفضل بن يحيى لما صار إلى خراسان ، فرق فيهم أموالاً ، وأعطى الجنود أعطياتٍ متتابعاتٍ ، ثم أظهر البيعة لمحمد بن الرشيد ؛ فبايع الناس له وسماه الأمين ، فقال في ذلك النعماني :

أَمَسْتُ بِمِرْوَةٍ عَلَى التَّوْفِيقِ قَدْ صَفَقْتُ عَلَى يَدِ الْفَضْلِ أَيْدِي الْعُجَمِ وَالْعَرَبِ

ببيعةٍ لولّى العهد أحكمها بالنصح منه وبالإشفاقِ والحدبِ
قدوكد الفضلُ عقداً^(١) لانتقاض له لمصطفى من بنى العباسِ مُنتخب

قال : فلما تناهى الخبرُ إلى الرشيد بذلك ، وباع له أهل المشرق ، بايع
لمحمد ، وكتب إلى الآفاق ، فبوع له في جميع الأمصار ، فقال أبان اللاحق
في ذلك :

عَزَمْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الرَّشِيدِ بِرَأْيِ هُدًى ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْحَمْدِ

• • •

وعزل فيها الرشيد عن خراسان العباس بن جعفر ، وولاها خاله الغطريف
ابن عطاء .

وفيهما صار يحيى بن عبد الله بن حسن إلى الدّيلم ، فتحرك هناك .

وغزا الصائفة فيها عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ إقريطية .

وقال الواقدي : الذي غزا الصائفة في هذه السنة عبد الملك بن صالح ،

قال : وأصابهم في هذه الغزاة برد قطع أيديهم وأرجلهم .

• • •

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد .

(١) س : « عهداً » .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية الرشيد الفضل بن يحيى كُور الجبال وطبرستان ودُنْبَاوند وقوميس وإرمينية وأذرَبيجان .

وفيها ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب بالدَّيْلَم .

ذكر الخبر عن مخرج يحيى بن عبد الله وما كان من أمره

٦١٣/٣

ذكر أبو حفص الكرماني ، قال : كان أول خبر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب أنه ظهر بالدَّيْلَم ، واشتدَّت شوكته ، وقوى أمره ، ونزع إليه الناس من الأمصار والكُور ، فاعتمَ لذلك الرشيد ، ولم يكن في تلك الأيام يشرب النسيب ، فندب إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل ، ومعه صناديد القواد ، وولاه كور الجبال والرَّيَّ وجُرْجان وطبرستان وقوميس ودُنْبَاوند والرَّوِيان ، وحملت معه الأموال ، ففرَّق الكور على قواد ، فولَّى المثنى بن الحجاج بن قتيبة بن مسلم طبرستان ، وولَّى علي بن الحجاج الخُزَاعِيَّ جُرْجان ، وأمر له بخمسمائة ألف درهم ، وعسكر بالنَّهْرَيْن ، وامتدحه الشعراء ، فأعطاهم فأكثر ، وتوسل إليه الناس بالشعر ، ففرَّق فيهم أموالا كثيرة . وشخص الفضل بن يحيى ، واستخلف منصور بن زياد بباب أمير المؤمنين ، تجرَّى كتبه على يديه ، وتنفَّذ الجوابات عنها إليه ، وكانوا يثقون بمنصور وابنه في جميع أمورهم ؛ لتقديم صحبته لهم ، وحرمة بهم . ثم مضى من معسكره ، فلم تزل كتب الرشيد تنابح إليه بالبِرِّ واللطف والجوائز والخلع ؛ فكاتب يحيى ورفق به واستماله ، وناشده وحذره ، وأشار عليه ، وبسط أمله . ونزل الفضل بطالقان الرِّيّ ودسَّتْ بي بموضع يقال له أشب ؛ وكان شديد البرد كثير الثلوج ؛ ففى ذلك يقول أبان بن عبد الحميد اللاحق :

٦١٤/٣

لَدُورُ أَمَسَ بِالْأُولَا بِ حَيْثُ السَّبَبُ يَنْعَرُجُ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دُورِ أَشْبُ إِذَا هُمْ ثَلَجُوا

قال : فأقام الفضل بهذا الموضع ، وواتر كتبه على يحيى ، وكاتب صاحب الديلم ، وجعل له ألف ألف درهم ؛ على أن يسهل له خروج يحيى إلى ما قبله ، وحملت إليه ، فأجاب يحيى إلى الصلح والخروج على يديه ، على أن يكتب له الرشيد أماناً بخطه على نسخة يبعث بها إليه . فكتب الفضل بذلك إلى الرشيد ، فمسرّه وعظم موقعه عنده ، وكتب أماناً ليحيى بن عبد الله ، وأشهد عليه الفقهاء والقضاة وحيلة بنى هاشم ومشايخهم ؛ منهم عبد الصمد بن علي والعباس ابن محمد ومحمد بن إبراهيم وموسى بن عيسى ومن أشبههم ، ووجه به مع جوائز وكرامات وهدايا ، فوجه الفضل بذلك إليه ، فقدم يحيى بن عبد الله عليه ، وورد به الفضل بغداد ، فلقبه الرشيد بكل ما أحب ، وأمر له بمال كثير ، وأجرى له أرزاقاً سنية ، وأنزله منزلاً سرياً بعد أن أقام في منزل يحيى بن خالد أياماً ، وكان يتولّى أمره بنفسه ، ولا يكيل ذلك إلى غيره ، وأمر الناس بإتيانه بعد انتقاله من منزل يحيى والتسليم عليه ، وبلغ الرشيد الغاية في إكرام الفضل ؛ ففي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة :

ظَفِرَتْ فَلَا سَلَتْ يَدُ بَرْمَكِيَّةٍ رَتَقَتْ بِهَا الْفَتَقَ الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ
عَلَى حِينِ أَعْيَا الرَّاثِقِينَ التِّثَامُ فَكَفُّوا وَقَالُوا لَيْسَ بِالْمَثَلِثِ ٦١٥/٣
فَأَصْبَحَتْ قَدْ فَازَتْ يَدَاكَ بِخُطَّةٍ مِنْ الْمَجْدِ بَاقٍ ذَكَرَهَا فِي الْمَوَاسِمِ
وَمَا زَالَ قَدَحُ الْمُلْكِ يَخْرُجُ فَائِزاً لَكُمْ كُلَّمَا ضُمَّتْ قِدَاحُ الْمُسَاهِمِ

قال : وأنشدني أبو ثمامة الخطيب لنفسه فيه :

لِلْفَضْلِ يَوْمُ الطَّالِقَانِ وَقَبْلَهُ يَوْمُ أَنَاخَ بِهِ عَلَى خَاقَانَ
مَا مِثْلُ يَوْمَيْهِ اللَّذَيْنِ تَوَالِيَا فِي غَزَوَتَيْنِ تَوَالَتَا يَوْمَانِ
سَدَّ الثُّغُورَ وَرَدَّ أَلْفَةَ هَاشِمٍ بَعْدَ الشَّتَاتِ ، فَشَغَبَهَا مُتَدَانِ

عَصَمَتْ حُكُومَتُهُ جَمَاعَةَ هَاشِمٍ مِنْ أَنْ يُجَرَّدَ بَيْنَهَا سَيْفَانِ
تِلْكَ الْحُكُومَةُ لَا الَّتِي عَنْ لَبْسِهَا عَظُمَ النَّبَا وَتَفَرَّقَ الْحُكَمَانِ

فأعطاه الفضل مائة ألف درهم ، وخلع عليه ، وتغنى إبراهيم به .

وذكر أحمد بن محمد بن جعفر^(١) ، عن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن ، قال : لما قدم يحيى بن عبد الله من الديلم أتيته ، وهو في دار علي بن أبي طالب ، فقلت : يا عم ، ما بعدك ؟ فحدثني ولا^(٢) بعدى مختبر ؟ فأخبرني خبرك ، فقال : يا ابن أخي ، والله إن كنت إلا كما قال حسيّ ابن أخطب :

لَعَمْرُكَ مَا لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَخْذُلِ اللَّهِ يُخْذَلُ
لِجَاهَدٍ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ حَمَلَهَا^(٣) وَقَلْقَلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مَقْلَقَلٍ

وذكر الضبيّ أن شيخاً من النوفليين ، قال : دخلنا على عيسى بن جعفر ، وقد وُضِعَتْ له وسائل بعضها فوق بعض ؛ وهو قائم متكئ عليها ؛ وإذا هو يضحك من شيء في نفسه ، متعجباً منه ، فقلنا : ما الذي يضحك الأمير أدام الله سروره ! قال : لقد دخلني اليوم سرورٌ ما دخلني مثله قط ، فقلنا : نعم الله للأمير سروره^(٤) ، وزاده سروراً . فقال : والله لا أحدثكم به إلا قائماً — واتكأ على الفرش وهو قائم — فقال : كنت اليومَ عند أمير المؤمنين الرشيد ، فدعا بيحيى بن عبد الله ، فأخرج من السجن مكبلاً في الحديد ، وعنده بكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير — وكان بكّار شديد البغض لآل أبي طالب ، وكان يبلغ هارون عنهم ، ويسىء^(٥) بأخبارهم ، وكان الرشيد ولاء المدينة ، وأمره بالتضييق عليهم — قال : فلما دُعِيَ بيحيى قال له الرشيد : هيه هيه ! متضاحكاً ، وهذا يزعم أيضاً أنا سمعنا ! فقال يحيى : ما معنى يزعم ؟ ها هو ذا لسانى — قال : وأخرج لسانه أخضر

٦١٦/٣

(٢) ج : « وما » .

(٤) س : « السرور » .

(١) ج : « حفص » .

(٣) أ : « مجاهد » .

(٥) ط : « ويشئ » .

مثل السلق — قال : فترى هارون ! واشتد غضبه ، فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ؛ إن لنا قرابة ورحيماً ، ولنا بترك ولا ديناً ، يا أمير المؤمنين ؛ إننا وأنتم أهل بيت واحد ، فأذكرك الله وقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! علام تحببني وتعدبني ؟ قال : فرق له هارون ، وأقبل الزبيرى على الرشيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يترك كلام هذا ؛ فإنه شاق عاصي ؛ وإنما هذا منه مكر وخبث ؛ إن هذا أفسد علينا مدينتنا ، وأظهر فيها العصيان . قال : فأقبل يحيى عليه ؛ فوالله ما استأذن أمير المؤمنين في الكلام حتى قال : أفسد عليكم مدينتكم ! ومن أنتم عافاكم الله ! قال الزبيرى : هذا كلامه قد أملك ؛ فكيف إذا غاب عنك ! يقول : ومن أنتم ! استخفافاً بنا . قال : فأقبل عليه يحيى ، فقال : نعم ، ومن أنتم عافاكم الله ! المدينة كانت مهاجرة عبد الله ابن الزبير أم مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن أنت حتى تقول : أفسد علينا مدينتنا ! وإنما بآبائى وآباء هذا هاجر أبوك إلى المدينة . ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما الناس نحن وأنتم ؛ فإن خرجنا عليكم قلنا : أكلتم وأجعمتمونا ولبستم وأعريتمونا ، وركبتم وأرجلتمونا ؛ فوجدنا بذلك مقلاً فيكم ، ووجدتم بخروجنا عليكم مقلاً فينا ؛ فتكافأ فيه القول ، ويعود أمير المؤمنين على أهله^(١) بالفضل . يا أمير المؤمنين ، فلم يجترئ هذا وضرباًه على أهل بيتك ؛ يسعى بهم عندك ! إنه والله ما يسعى^(٢) بنا إليك نصيحة منه لك ؛ وإنه يأتينا فيسعى بك عندنا عن غير نصيحة منه لنا ؛ إنما يريد أن يباعد بيننا ، ويشتنى من بعض ببعض . والله يا أمير المؤمنين ؛ لقد جاء إلى هذا حيث قُتِل أخى محمد بن عبد الله ، فقال : لعن الله قاتله ! وأنشدني فيه مراثية قالها نحواً من عشرين بيتاً ، وقال : إن تحركت في هذا الأمر فأنا أول من يبائعك ، وما يمنعك أن تلحق بالبصرة ، فأيدينا مع يلك !

قال : فتغير وجه الزبيرى واسود ، فأقبل عليه هارون ، فقال : أى شيء يقول هذا ؟ قال : كاذب يا أمير المؤمنين ؛ ما كان مما قال حرف . قال : فأقبل على يحيى بن عبد الله ، فقال : تروى القصيدة التى رثاه بها ؟ قال :

(١) بعدها فى س : « فيه » .

(٢) س : « سعى » .

نعم يا أمير المؤمنين ، أصلحك الله ! قال : فأنشدنا إياه ، فقال الزبيرى :
والله يا أمير المؤمنين الذى لا إله إلا هو — حتى أتى على آخر اليمين الغموس —
ما كان مما قال شيء ؛ ولقد تقول على ما لم أقل . قال : فأقبل الرشيد على يحيى
ابن عبد الله ، فقال : قد حلف ، فهل من بيعة سمعوا هذه المروية منه ؟ قال :
لا يا أمير المؤمنين ؛ ولكن أستحلفه بما أريد ، قال : فاستحلفه ، قال : فأقبل
على الزبيرى ، فقال : قل : أنا برىء من حول الله وقوته موكل إلى حولي وقوتي ،
إن كنت قلته . فقال الزبيرى : يا أمير المؤمنين ، أى شيء هذا من الحلف !
أحلف له بالله الذى لا إله إلا هو ، ويستحلفنى بشيء لا أدرى ما هو ! قال
يحيى بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ، إن كان صادقاً فما عليه أن يحلف بما
أستحلفه^(١) به ! فقال له هارون : احلف له ويلك ! قال : فقال : أنا برىء من
حول الله وقوته موكل إلى حولي وقوتي ؛ قال : فاضطرب منها وأرعِد ، فقال
يا أمير المؤمنين ، ما أدرى أى شيء هذه اليمين التى يستحلفنى بها ، وقد
حلفت له بالله العظيم أعظم الأشياء ! قال : فقال هارون له : لتحلفن له أو
لأصدقن عليك ولأعاقبتك ، قال : فقال : أنا برىء من حول الله وقوته ،
موكل إلى حولي وقوتي إن كنت قلته . قال : فخرج من عند هارون فضربه
الله بالفالج ، فمات من ساعته .

قال : فقال عيسى بن جعفر : والله ما يسرتنى أن يحىي نقصه حرفاً
مما كان جرى بينهما ، ولا قصر فى شيء من مخاطبته إياه .

قال : وأما الزبيريون فيزعمون أن امرأته قتلتها ؛ وهى من ولد عبد الرحمن
ابن عوف .

وذكر إسحاق بن محمد النخعى أن الزبير بن هشام حدثه عن أبيه ، أن
بكتار بن عبد الله تزوج امرأة من ولد عبد الرحمن بن عوف ، وكان له من
قلبها موضع ، فاتخذ عليها جارية ، وأغارها ؛ فقالت لغلامين له زنجيين :
إنه قد أراد قتلكما هذا الفاسق — ولا طفتكما^(٢) — فتعاوناني على قتله ؟ قالوا :

(١) س : « استحلفته » .

(٢) ح ، س : « ولطفتهما » .

نعم ، فدخلت عليه وهو نائم ، وهما جميعاً معها ، فقعدا على وجهه حتى مات . قال : ثم إنها سقتهما نبيذاً حتى تهوعا^(١) حول الفراش ، ثم أخرجهما ووضعت عند رأسه قنينة ، فلما أصبح^(٢) اجتمع أهله ، فقالت : سكر فقاء فشرق فمات . فأخذ الغلامان ؛ فضرباً ضرباً مبرحاً ، فأقرأ بقتله ، وأنها أمرتهما بذلك ؛ فأخرجت من الدار ولم توترث .

وذكر أبو الخطاب أن جعفر بن يحيى بن خالد حدثه ليلة وهو في ستمره ، قال : دعا الرشيد اليوم بيحيى بن عبد الله بن حسن ، وقد حضره أبو البختري النضاي ومحمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي يوسف ، وأحضر الأمان الذي كان أعطاه يحيى ، فقال لمحمد بن الحسن : ما تقول في هذا الأمان ؟ صحيح هو ؟ قال : هو صحيح ، فحاجته في ذلك الرشيد ، فقال له محمد بن الحسن : ما تصنع بالأمان ؟ لو كان محارباً ثم ولّى كان آمناً . فاحتملها الرشيد على محمد بن الحسن ، ثم سأل أبا البختري أن ينظر في الأمان ، فقال أبو البختري : هذا منتقض من وجه كذا وكذا ، فقال الرشيد : أنت قاضي القضاة ؛ وأنت أعلم بذلك ؛ فزق الأمان ، وتفل فيه أبو البختري — وكان بكّار بن عبد الله بن مصعب حاضراً المجلس — فأقبل على يحيى بن عبد الله بوجهيه ، فقال : شققت العصا ، وفارقت الجماعة ، وخالفت كلمتنا ، وأردت خليفتنا ؛ وفعلت بنا وفعلت . فقال يحيى : ومن أنتم رحمكم الله ! قال جعفر : فوالله ما تمالك الرشيد أن ضحك ضحكاً شديداً . قال : وقام يحيى ليمضي إلى الحبس ، فقال له الرشيد : انصرف ، أما ترون به أثر علة هذا الآن إن مات قال الناس : ستموه . قال يحيى : كلا ما زلتُ عليلاً منذ كنت في الحبس ؛ وقبل ذلك أيضاً كنت عليلاً . قال أبو الخطاب : فما مكث يحيى بعد هذا إلا شهراً حتى مات .

وذكر أبو يونس إسحاق بن إسماعيل ، قال : سمعتُ عبد الله بن العباس ابن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي ، الذي يعرف بالخطيب ، قال : كنتُ يوماً على باب الرشيد أنا وأبي ، وحضر ذلك اليوم من الحُند والقواد ما لم أر مثلهم على باب خليفة قبله ولا بعده ، قال : فخرج الفضل بن الربيع

(١) تهوعا ، أى تقيّنا .

(٢) س : « أصبحت » .

إلى أبي ، فقال له : ادخل ، ومكث ساعة ثم خرج إلى ، فقال : ادخل ، فدخلتُ ، فإذا أنا بالرشيد معه امرأة يكلمها ، فأومأ إلى أبي أنه لا يريد أن يدخل اليوم أحد ، فاستأذنتُ لك لكثرة مَنْ رأيتُ حضر الباب ؛ فإذا دخلتُ هذا المدخل زادك ذلك نُبلاً عند الناس . فما مكثنا إلا قليلاً حتى جاء الفضل ابن الربيع ، فقال : إن عبد الله بن مصعب الزبيرى يستأذن فى الدخول ، فقال : لئنّى لا أريد أن أدخل اليوم أحداً ، فقال : قال : إن عندى شيئاً أذكره^(١) . فقال : قل له يَقُلْهُ لك ، قال : قد قلت له ذلك ، فزعم أنه لا يقوله إلا لك ، قال : أدخله . وخرج ليُدخله ، وعادت المرأة وشغل بكلامها ، وأقبل على أبي ، فقال : إنّه ليس عنده شيء يذكره ؛ وإنما أراد الفضل بهذا ليوم مَنْ على الباب^(٢) أن أمير المؤمنين لم يدخلنا لخاصة خُصصنا بها ؛ وإنما أدخلنا لأمرٍ نُسأل عنه كما دخل هذا الزبيرى .

٦٢١/٣

وطلع الزبيرى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ها هنا شيء أذكره ، فقال له : قل ، فقال له : إنه سرٌّ ، فقال : ما من العباس^(٣) سرٌّ ، فنهضت ، فقال : ولا منك يا حبيبي ، فجلست ، فقال : قُلْ ، فقال : إني والله قد خفت على أمير المؤمنين من امرأته وبنته وجاريتها التى تنام معه ، وخادمه الذى يناوله ثيابه وأخصّ خلق الله به من قواده ، وأبعدهم منه . قال : فرأيتُه قد تغيّر لونه ، وقال : مما ذا^(٤) ؟ قال : جاءتني دعوة يحيى بن عبد الله بن حسن ، فعلمت أنها لم تبلغني مع العداوة بيننا وبينهم ، حتى لم يُبْقِ على بابك أحداً إلا وقد أدخله فى الخلاف عليك . قال : فتقول له هذا فى وجهه ! قال : نعم ، قال الرشيد : أدخله ، فدخل ، فأعاد القول الذى قال له ، فقال يحيى بن عبد الله : والله يا أمير المؤمنين لقد جاء بشيء لو قيل لمن هو أقلّ منك فيمن هو أكبر مني ، وهو مقتدر عليه لما أقلت منه أبداً ، ولِ رَحمٍ وقربة ، فلم لا تؤخّر هذا الأمر ولا تعجل ، فلعلك أن تكفى مؤنتي بغير يدك ولسانك ، وعسى بك أن تقطع رَحمك من حيث لا تعلمه ! أباهله^(٥) بين يدبك وتصبر قليلاً . فقال :

(١) س : « يذكر » . (٢) س : « بالباب » .

(٣) ج : « من بنى العباس » . (٤) كذا فى ١ ، وهو الصواب ، وقطع : « فإذا قال » .

(٥) المبالغة : التلاعن .

٦٢٢/٣

يا عبد الله ، قم فصلاً إن رأيت ذلك ، وقام يحيى فاستقبل القبلة ، فصلّى ركعتين خفيفتين ، وصلّى عبد الله ركعتين ، ثم برك يحيى ، ثم قال : ابرك ، ثم شبك يمينه في يمينه ، وقال : اللهم إن كنت تعلم أنى دعوت عبد الله بن مصعب إلى الخلاف على هذا - ووضع يده عليه ، وأشار إليه - فاسحطني بعذاب من عندك وكلني إلى حولى وقوتى ، وإلا فكله إلى حوله وقوته ، واسحته بعذاب من قبلك ، آمين رب العالمين . فقال عبد الله : آمين رب العالمين ، فقال يحيى بن عبد الله لعبد الله بن مصعب : قل كما قلت ، فقال عبد الله : اللهم إن كنت تعلم أن يحيى بن عبد الله لم يدعني إلى الخلاف على هذا فكلني إلى حولى وقوتى واسحطني بعذاب من عندك ، وإلا فكله إلى حوله وقوته ، واسحته بعذاب من عندك . آمين رب العالمين !

٦٢٣/٣

وتفرقا ، فأمر يحيى فحبس في ناحية من الدار ؛ فلما خرج وخرج عبد الله ابن مصعب أقبل الرشيد على أبي ، فقال : فعلتُ به كذا وكذا ، وفعلتُ به كذا وكذا ، فعدد (١) أبياديه عليه ، فكلّمه أبي بكلمتين لا يُدفع بهما عن عصفور ، خوفاً على نفسه ، وأمرنا بالانصراف فانصرفنا . فدخلت مع أبي أنزعُ عنه لباسه من السواد - وكان ذلك من عادتي - فبينما أنا أحلّ عنه منطقتي ، إذ دخل عليه الغلام ، فقال : رسولُ عبد الله بن مصعب ، فقال : أدخله ، فلما دخل قال له : ما وراءك (٢) ؟ قال : يقول لك مولاي ، أنشدك الله إلّا بلغت إلى ! فقال أبي للغلام : قل له : لم أزل عند أمير المؤمنين إلى هذا الوقت ، وقد وجهتُ إليك بعبد الله ، فما أردت أن تلقيه إلى فألقه إليه ، وقال للغلام : اخرج فإنه يخرج في أثرك ؛ وقال لي : إنما دعاني ليستعين بي على ما جاء به من الإفك ؛ فإن أعنته قطعت رجلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خالفته سعى بي ؛ وإنما يتدّرق الناس بأولادهم ، ويتقون بهم المكاره ؛ فاذهب إليه ، فكل ما قال لك فليكن جوابك له : أخبيرُ أبي ؛ فقد وجهتك

(١) م : « يعدد » .

(٢) ج : « وما وراءك » .

وما آمن عليك ، وقد كان قال لى أبى حين انصرفنا - وذلك أنا احتبسنا عند الرشيد : أمّا رأيت الغلام المعترض فى الدار ! لا والله ما صرّفنا حتى فرغ منه - يعنى يحى - إنا لله وإنا إليه راجعون ! وعند الله نحتسب أنفسنا . فخرجت مع الرسول ، فلما صرّْتُ فى بعض الطريق وأنا مغموم بما أقدم عليه : قلت للرسول : وبحك ! ما أمره ! وما أزعه بالإرسال إلى أبى فى هذا الوقت ! فقال : إنّه لما جاء من الدار ، فساعة نزل عن الدابة صاح : بطنى بطنى !

قال عبد الله بن عباس : فما حلفت بهذا الكلام من قول الغلام : ولا التفت إليه ، فلما صرنا على باب الدرب - وكان فى درب لا منفذ له - فتح البابين ؛ فإذا النساء قد خرجن منشورات الشعور محتزمات^(١) بالحبال ، يلطمن وجوههن وينادين بالويل ، وقد مات الرجل ، فقلت : والله ما رأيتُ أمراً أعجب من هذا ! وعظفت دابّتى راجعةً أركض ركضاً لم أركض مثله قبل ولا بعده إلى هذه الغاية ، والعلمان والحشم ينظروننى لتعلق قلب الشيخ بى : فلما رأونى دخلوا يتعاولون ، فاستقبلنى مرعوباً فى قميص ومنديل ، ينادى : ما وراءك يا بنى ؟ قلت : إنّه قد مات ، قال : الحمد لله الذى قتله وأراحك وإيتانا منه ؛ فما قطع كلامه حتى ورد خادم الرشيد بأمر أبى بالركوب وإيتاى معه . فقال أبى ونحن فى الطريق نسير : لو جاز أن يدعى ليحى نبوة لادّعاها أهلّه ، رحمة الله عليه ، وعند الله نحتسبه ! ولا والله ما نشكّ فى أنه قد قتل . فضمينا حتى دخلنا على الرشيد ؛ فلما نظر إلينا قال : يا عباس بن الحسن ؛ أما علمت بالخبر ؟ فقال أبى : بلى يا أمير المؤمنين ؛ فالحمد لله الذى صرعه بلسانه ، ووقاك الله يا أمير المؤمنين قَطْع أرحامك . فقال الرشيد : الرجل والله سليم على ما يحب ، ورفع السر ، فدخل يحى . وأنا والله أتبين الارتياح فى الشيخ ، فلما نظر إليه الرشيد صاح به : يا أبا محمد ، أما علمت أن الله قد قتل عدوك الجبار ! قال : الحمد لله الذى أبان لأمر المؤمنين كذب عدوّه عني ، وأعفاه من قطع رحمه ، والله يا أمير المؤمنين ؛ لو كان هذا الأمر مما أطلبه وأصلح له وأريده فكيف وأسست بطلب له ولا مُريده ، ولو لم يكن الظفر به إلا بالاستعانة به ،

١٢٤/٣

ثم لم يبق^(١) في الدنيا غيري وغيرك وغيره ما تقويت به عليك أبداً ! وهذا والله من إحدى آفاتك - وأشار إلى الفضل بن الربيع - والله لو وهبت له عشرة آلاف درهم ، ثم طمع منى في زيادة ثمرة لباعك بها . فقال : أما العباسي فلا تقل له إلا خيراً ، وأمر له في هذا اليوم بمائة ألف دينار ، وكان حبسه بعض يوم . قال أبو يونس : كان هارون حبسه ثلاث حبات مع هذه الحبسة ، وأوصل إليه أربعمائة ألف دينار

» . . .

[ذكر الفتنة بين اليمانية والنزارية]

وفي هذه السنة ، هاجت العصبيّة بالشأم بين النزارية واليمانية ، ورأس النزارية يومئذ أبو الهيثم .

٦٢٥/٣

« ذكر الخبر عن هذه الفتنة :

ذكر أن هذه الفتنة هاجت بالشأم وعامل السلطان بها موسى بن عيسى ، فقتل بين النزارية واليمانية على العصبيّة من بعضهم لبعض بشرٌ كثير ، فواتى الرشيدُ موسى بن يحيى بن خالد الشأم ، وضمّ إليه من القوادر والأجناد ومشايخ الكتّاب جماعة . فلما ورد^(٢) الشأم أحلتْ لدخوله إلى صالح بن علي الهاشمي ، فأقام موسى بها حتى أصلح بين أهلها ، وسكنت الفتنة ، واستقام أمرها ، فأنتهى الخبر إلى الرشيد بمدينة السلام ، وردّ الرشيد الحكم فيهم إلى يحيى ، فغفا عنهم ، وعمّا كان بينهم ، وأقدمهم بغداد ، وفي ذلك يقول إسحاق بن حسان الخزيميّ :

مَنْ مُبْلَغٌ يَحْيَى وَدُونُ لِقَائِهِ	زَارَاتُ كُلِّ خَنَائِسٍ هَمَّهُامِ
يَا رَاعِيَ الْإِسْلَامِ غَيْرَ مُفَرِّطٍ	فِي لَيْنٍ مُقْتَبِطٍ وَطِيبِ مَشَامِ
تَعْدَى مَشَارِبُهُ وَتُسْقَى شَرْبُهُ	وَيَبِيتُ بِالرَّبَوَاتِ وَالْأَعْلَامِ
حَتَّى تَنْخَنَخَ ضَارِباً بِجِرَانِهِ	وَرَسَتْ مَرَاسِيهِ بَدَارِ سَلَامِ
فَلِكُلِّ ثَغْرِ حَارِسٍ مِنْ قَلْبِهِ	وَشُعَاعُ طَرْفٍ مَا يُفَقِّرُ سَامِ

(٢) : ١ « دخل » .

(١) : ١ « يكن » .

وقال في موسى غير أبي يعقوب :

قد هاجت الشأم هيجاً يُشيب راس وليده
فَصُبَّ موسى عليها بخيله وجنوده
فَدَانَتْ الشأم لما أتى نسيج وحيدة
هو الجواد الذي بُدَّ كلُّ جود بجوده
أعداه جود أبيه يحيى وجود جدوده
فجاء موسى بن يحيى بطارف وتليده
ونال موسى ذرى المجىد وهو حشو مهوده
خصضته بمدبحي منشوره وقصيدة
من البرامك عود له فأكرم بعوده
حووا على الشعر طراً خفيفه ومديده

٦٢٦/٣

وفيها عزل الرشيد الخطريف بن عطاء عن خراسان ، ولأها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي ، وكان حمزة يلقب بالعروس .

• • •

وفيها ولّى الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك مصر ، فولّاه عمر بن مهران .

ذكر الخبر عن سبب

تولية الرشيد جعفرأ مصر وتولية جعفر عمر بن مهران إياها

ذكر محمد بن عمر أن أحمد بن مهران حدثه أن الرشيد بلغه أن موسى ابن عيسى عازم على الخلع - وكان على مصر - فقال : والله لا أعزله إلا بأخص من على بابي. انظروا لي رجلا ، فذكر عمر بن مهران - وكان إذ ذاك يكتب للخيزران ، ولم يكتب لغيرها ، وكان رجلا أحول مشوه الوجه ، وكان

٦٢٧/٣

لباسه لباساً خسيساً ، أرفع ثيابه طيلسانه ، وكانت قيمته ثلاثين درهماً ، وكان يشمر ثيابه ويقصر أكامه ، ويركب بغلاً وعليه رَسَنٌ ولجام حديد ، ويرُدِف غلامه خلفه - فدعاه به ، فولاه مصر ؛ خراجها وضياعها وحرابها . فقال : يا أمير المؤمنين ، أتولاهما على شريطة ، قال : وما هي ؟ قال : يكون إذنى إلى ، إذا أصلحت البلاد انصرفت . فجعل ذلك له ، فضى إلى مصر ، واتصلت ولاية عمر بن مهران بموسى بن عيسى ؛ فكان يتوقع قدومه ، فدخل عمر بن مهران مصر على بغل ، وغلامه أبو دُرَّة على بغل ثقل ، فقصد دار موسى بن عيسى والناس عنده ، فدخل فجلس في أخريات الناس ، فلما تفرق أهل المجلس ، قال موسى بن عيسى لعمر : ألك حاجة يا شيخ ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! ثم قام بالكتب فدفعها إليه ، فقال : يقدم أبو حفص ، أبقاه الله ! قال : فأنا أبو حفص ، قال : أنت عمر بن مهران ؟ قال : نعم ، قال : لعن الله فرعون حين يقول : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ ﴾ ^(١) ، ثم سلم له العمل ورحل ، فتقدم عمر بن مهران إلى أبي دُرَّة غلامه ، فقال له : لا تقبل من الهدايا إلا ما يدخل في الحراب ، لا تقبل دابة ولا جارية ولا غلاماً ؛ فجعل الناس يبعثون بهداياهم ، فجعل يرد ما كان من الألفاف ، ويقبل المال والثياب ، ويأتى بها عمر ؛ فيوقع عليها أسماء من بعث بها ، ثم وضع الجبابية ؛ وكان بمصر قومٌ قد اعتادوا المظل وكسّر الخراج ، فبدأ برجل منهم ، فلواه ، فقال : والله لا تؤدى ما عليك من الخراج إلا في بيت المال بمدينة السلام إن سلمت ، قال : فأنا أؤدى ، فتحمل عليه ، فقال : ٢٢٨/٣ قد حلفت ولا أحنث ، فأشخصه مع رجلين من الجند - وكان العمال إذ ذاك يكتبون الخليفة - فكتب معهم إلى الرشيد : إننى دعوت بفلان بن فلان ، وطالبته بما عليه من الخراج ؛ فلوانى واستنظرنى ، فأنظرتهم ثم دعوته ، فدافع ومال إلى الإلطاء ^(٢) ، فأليت ألا يؤدّيه إلا في بيت المال بمدينة السلام ، وجملة ما عليه كذا وكذا . وقد أنفذته مع فلان بن فلان وفلان بن فلان ، من جند أمير المؤمنين ، من قيادة فلان بن فلان ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب

(٢) الإلطاء : الجحد .

(١) سورة الزخرف ٥١ .

إلى بوصوله فعل إن شاء الله تعالى .

قال : فلم يلوه أحدٌ بشيء من الخراج ، فاستأدى الخراج ، النجم الأول والنجم الثاني ، فلما كان في النجم الثالث ، وقعت المطالبة والمطل ، فأحضر أهل الخراج والتجار فطالبهم ، فدافعوه وشكوا الضيقة ، فأمر بإحضار تلك الهدايا التي بُعث بها إليه ، ونظر في الأكياس وأحضر الجيهنبد ؛ فوزن ما فيها وأجزاها عن أهلها ، ثم دعا بالأسقاط ، فنأدى على ما فيها ، فباعها وأجزى أثمانها عن أهلها . ثم قال : يا قوم ، حفظت عليكم هداياكم إلى وقت حاجتكم إليها ، فأدثوا إلينا ما لنا ؛ فأدثوا إليه حتى أغلق مال مصر ؛ فأنصرف ولا يُعلم أنه أغلق مال مصر غيره ، وأنصرف ، فخرج على بغل ، وأبو درّة على بغل — وكان إذنه إليه .

• • •

وغزا الصائفة في هذه السنة عبدُ الرحمن بن عبد الملك ، فافتتح حصناً .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة سليمان بن أبي جعفر المنصور ، وحجت معه — فيما ذكر الواقدي — زُبيدة زوجة هارون وأخوها معها .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك عزّل الرشيد - فيما ذكر - جعفر بن يحيى عن مصر وتولّيته إياها إسحاق بن سليمان ، وعزّله حمزة بن مالك عن خراسان وتولّيته إياها الفضل بن يحيى ؛ إلى ما كان يليه من الأعمال من الرّى وسجستان .

* * *

وغزا الصائفة فيها عبدُ الرزاق بن عبد الحميد انتغلبى .

وكان فيها - فيما ذكر الواقدي - ريع وظلمة وحُمرة ليلة الأحد لأربع ليال بقين من المحرم ، ثم كانت ظلمة ليلة الأربعاء ، لليلتين بقيتا من المحرم من هذه السنة ؛ ثم كانت ريع وظلمة شديدة يوم الجمعة ليلة خلت من صفر .

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك وثوب الحوْفِيَّة بمصر ؛ من قيس وقضاة وغيرهم
بعامل الرشيد عليهم إسحاق بن سليمان ، وقتلهم إياه ، وتوجه الرشيد إليه هرْثمة
ابن أعين في عدة من القواد المضمومين إليه مدداً لإسحاق بن سليمان ؛ حتى
أدعن أهل الحوْف ، ودخلوا في الطاعة ، وأدوا ما كان عليهم من وظائف
السُّلطان - وكان هرْثمة إذ ذاك عامل الرشيد على فلسطين - فلما انقضى
أمر الحوْفِيَّة صرف هارون إسحاق بن سليمان عن مصر ، وولّاها هرْثمة نحواً من
شهر ، ثم صرّفه وولّاها عبد الملك بن صالح .

٦٢٠/٣

وفيهما كان وثوب أهل إفريقية بعبدويه الأنباري ومن معه من الجند
هنالك ، فقتل الفضل بن رُوْح بن حاتم ، وأخرج من كان بها من
آل المهلب ، فوجه الرشيد إليهم هرْثمة بن أعين ، فرجعوا إلى الطاعة .

وقد ذكر أن عبديوه هذا لما غلب على إفريقية ، وخلع السلطان ، عظم شأنه
وكثر تبعه ، ونزع إليه الناس من النواحي ، وكان وزير الرشيد يومئذ يحيى بن خالد
ابن برمك ، فوجه إليه يحيى بن خالد بن برمك يقطين بن موسى ومنصور بن زياد
كاتبه ؛ فلم يزل يحيى بن خالد يتابع على عبديوه الكتب بالترغيب في الطاعة
والتخويف للمعصية والإعذار إليه والإطماع والعدة حتى قبل الأمان ، وعاد
إلى الطاعة وقدم بغداد ، فوفى له يحيى بما ضمن له وأحسن إليه ، وأخذ له أماناً
من الرشيد ، ووصله ورأسه .

وفي هذه السنة فوّض الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك .

٦٢١/٣

وفيهما خرج الوليد بن طريف الشاري بالجزيرة ، وحكم بها ، ففتك إبراهيم^(١)
ابن خازم بن خزيمة بسبببين ، ثم مضى منها إلى إرمينية .

(١) س : « فتك إبراهيم » .

[ولاية الفضل بن يحيى على خراسان وسيرته بها]

وفيهما شخص الفضل بن يحيى إلى خراسان والياً عليها ، فأحسن السيرة بها ، وبني بها المساجد والرباطات ، وغزا ما وراء النهر ، فخرج إليه خاراخره ملك أشروسنة ؛ وكان ممتنعاً .

وذكر أن الفضل بن يحيى اتخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسية ، وجعل ولاءهم لهم ، وأن عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل ، وأنه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل ، فسموا ببغداد الكرتبية ، وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم ؛ وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة :

ما الفضلُ إلا شهاب لا أفول له عند الحروب إذا ما تأفلُ الشُّهبُ
حَامٍ على مُلكِ قوم عزَّ سَهْمُهُمُ منَ الوراثَةِ في أيديهم سببُ
أَمَسَتْ يَدُ لَبْنِي ساقِ الحَجِيجِ بها كَتائِبُ ما لها في غيرهم أَرَبُ
كَتائِبُ لَبْنِي العَبَّاسِ قد عَرَفَتْ ما أَلَّفَ الفضلُ منها العِجْمَ والعَرَبُ
أَثَبَتْ خَمْسَ مِثْنِ في عِدَادِهِمُ من الأُلُوفِ الَّتِي أَحْصَتْ لَكَ الكُتُبُ
يُقَارِعُونَ عن القومِ الذين همُ أَوَّلُ بِأَحْمَدَ في الفرقانِ إن تُسَبِّحُوا
إن الجوادَ ابنَ يحيى الفضلَ لا ورقُ يَبْقَى على جُودِ كَفْيِهِ ولا ذَهَبُ
ما مرَّ يومَ له مُدٌّ شَدَّ مِثْرَهُ إلَّا تَمَوَّلَ أَقْوامَ بما يَهَبُ
كم غايَةٍ في الندي والبأسِ أحرَزَها لِلطَّالِبِينَ مَدَاها دونها تَعَبُ
يُعْطَى اللُّهُى حِينَ لا يُعْطَى الجَوَادُ ولا يَنْبُو إذا مُلَّتِ الهِنْدِيَّةُ القُضْبُ
ولا الرِّضَا والرِّضَا لله غايَتُهُ إلى سِوى الحَقِّ يَدْعُوهُ ولا الغُضْبُ
قَدْ فاضَ عُرْفُكَ حَتَّى ما يُعَادِلُهُ غَيْثٌ مُغِيثٌ ولا بَحْرٌ له حَدَبُ

قال : وكان مروان بن أبي حفصة قد أنشد الفضل في معسكره قبل

خروجه إلى خراسان :

ألم ترَ أَنَّ الجودَ مِن لَدُنْ آدَمَ تَحَلَّرَ حَتَّى صَارَ فِي رَاحَةِ الْفَضْلِ
إِذَا مَا أَبَوَالْعَبَاسِ رَاحَتِ سَمَاوُهُ فَيَا لَكَ مِنْ هَظْلٍ وَبَا لَكَ مِنْ وَبَلٍ
إِذَا أُمُّ طِفْلٍ رَاعَهَا جَوْعُ طِفْلِهَا دَعَتْهُ بِأَسْمِ الْفَضْلِ فَاسْتَعَصَمَ^(١) الطِّفْلُ
لِيَحْيَا بِكَ الْإِسْلَامُ إِنَّكَ عِزُّهُ وَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ صَغِيرُهُمْ كَهْلُ

٦٢٣/٣

وذكر محمد بن العباس أن الفضل بن يحيى أمر له بمائة ألف درهم ،
وكساه وحمله على بغلة. قال : وسمعه يقول : أصبْتُ في قَدَمَيَّ هذه سبعمائة
ألف درهم . وفيه يقول :

تَخَيَّرْتُ لِلْمَدْحِ ابْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَحَسْبِي وَلَمْ أَظْلِمَ بِأَنْ أَتَخَيَّرَا
لَهُ عَادَةٌ أَنْ يَبْتَسِطَ الْعَدْلَ وَالنَّدَى لِمَنْ سَاسَ مِنْ قَحْطَانَ أَوْ مَنْ تَنَزَّرَا
إِلَى الْمُنْبَرِ الشَّرْقِيِّ سَارَ وَلَمْ يَزَلْ لَهُ وَاللَّهِ يَعْلُو سَرِيرًا وَمُنْبَرَا
يُعَدُّ وَيَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ وَلَا يُرَى لَدَى الدَّهْرِ إِلَّا قَائِدًا أَوْ مُؤَمِّرَا

وملحه سلم الخاسر ، فقال :

وَكَيْفَ تَخَافُ مِنْ بَوَاسِ بَدَارٍ تَكْنَفُهَا الْبَرَامِكَةُ الْبُحُورُ
وَقَوْمٌ مِنْهُمْ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى نَفِيرُ مَا يُوَازِنُهُ نَفِيرُ
لَهُ يَوْمَانِ : يَوْمَ نَدَى وَبَاسٍ كَانَ الدَّهْرُ بَيْنَهُمَا أَسِيرُ
إِذَا مَا الْبَرْمَكِيُّ غَدَا ابْنَ عَشِيرٍ فَهَيْمَتُهُ وَزِيرُ أَوْ أَمِيرُ

٦٢٤/٣

وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمي أن إبراهيم بن جبريل خرج مع الفضل
ابن يحيى إلى خراسان وهو كاره للخروج ، فأحفظ ذلك الفضل عليه . قال
إبراهيم : فدعاني يوماً بعد ما أغفلني حيناً ، فدخلت عليه ؛ فلما صرت بين
يديه سلّمت ، فاردّ عليّ ، فقلت في نفسي : شرّ والله - وكان مضطجعاً ،
فاستوى جالساً - ثم قال : ليفرخ روعك يا إبراهيم ، فإن قدرني عليك تمنني
منك ؛ قال : ثم عقد لي على سجستان ، فلما حملت خراجها ، وهبه لي

(١) كذا في أ ، ج ، وفي ط : « فاعتصم » .

وزادني خمسمائة ألف درهم . قال : وكان لإبراهيم على شُرطه وحرّمه ، فوجته إلى كابل ، فافتتحها وغنم غنائم كثيرة هـ

قال : وحدّثني الفضل بن العباس بن جبريل - وكان مع عمه إبراهيم - قال : وصل إلى إبراهيم في ذلك الوجه سبعة آلاف ألف ، وكان عنده من مال الخراج أربعة آلاف ألف درهم ، فلما قدم بغداد وبني داره في البغيين استزار الفضل ليريه نعمته عليه ، وأعدّ له الهدايا والطُرف وآنية الذهب والفضة ، وأمر بوضع الأربعة الآلاف ألف في ناحية من الدار .

قال : فلما قعد الفضل بن يحيى قدّم إليه الهدايا والطُرف ، فأبى أن يقبل منها شيئاً ، وقال له : لم آتكَ لأَسْلُبَكَ ^(١) ، فقال : إنها نعمتك أيها الأمير . قال : ولك عندنا مزيد ، قال : فلم يأخذ من جميع ذلك إلا سوطاً سيجزياً ، وقال : هذا من آلة الفرسان ، فقال له : هذا المال من مال الخراج ، فقال : هو لك ، فأعاد عليه ، فقال : أما لك بيت يسعه ! فسوّغه ذلك ، وانصرف .

قال : ولما قدم الفضل بن يحيى من خراسان خرّج الرشيد إلى بستان أبي جعفر يستقبله ، وتلقاه بنو هاشم والناس من القواد والكتّاب والأشراف ، فجعل يصلّ الرجل بالألف ألف ^(٢) وبالحمسمائة ألف ، وملحه مروان بن أبي حفصة ، فقال :

حَمِدْنَا الَّذِي أَدَّى ابْنُ يَحْيَى فَاَصْبَحَتْ	بِمَقْدَمِهِ تَجْرَى لَنَا الطَّيْرُ أَسْعُدَا
وَمَا هَجَعَتْ حَتَّى رَأَتْهُ عُيُونُنَا	وَمَا زَلَنْ حَتَّى آبَ بِالِدَّمْعِ حُشْدَا
لَقَدْ صَبَحْتَنَا خَيْلُهُ وَرَجَالُهُ	بَارَوْعَ بَدَّ النَّاسَ بِأَسَا وَسُودَا
نَفَى عَن خُرَاسَانَ الْعَدُوَّ كَمَا نَفَى	ضَحَى الصَّبْحِ جِلْبَابَ الدَّجَى فَتَعَرَّدَا ^(٣)
لَقَدْ رَاعَ مَنْ أَمْسَى بِمَرَوْ مَسِيرُهُ	إِلَيْنَا ، وَقَالُوا شَعْبُنَا قَدْ تَبَدَّدَا
عَلَى حِينٍ أَلْقَى قُفْلَ كُلِّ ظَلَامَةٍ	وَأَطْلَقَ بِالْعَفْوِ الْأَمِيرَ الْمُقَيَّدَا

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « إلا لأسليك » ، والوجه ما أثبت .

(٢) : « بألف ألف » . (٣) تعمد ، أي تجردوا ونكشف .

وَأَفْتَى بِلَا مَنْ مَعَ الْعَدْلِ فِيهِمْ
فَأَذْهَبَ رَوْعَاتِ الْمَخَافِ عَنْهُمْ ١٣٦/٣
وَأَجْدَى عَلَى الْإِثْمِ فِيهِمْ بِعُورِهِ
إِذَا النَّاسُ رَأَوْا غَايَةَ الْفَضْلِ فِي النَّدَى
سَمَا صَاعِدًا بِالْفَضْلِ يَحْيَى وَخَالِدٌ
يَلِينُ لِمَنْ أَعْطَى الْخَلِيفَةَ طَاعَةً
أَذَلَّتْ مَعَ الشَّرِكِ التَّفَاقُ سُيُوفُهُ
وَشَدَّ الْقُوَى مِنْ بَيْعَةِ الْمُصْطَفَى الَّذِي
سَمَّى النَّبِيُّ الْفَاتِحِ الْخَاتِمِ الَّذِي
أَبْحَثَ جِبَالَ الْكَابِلِيِّ وَلَمْ تَدَعْ
فَاطَلَعَتْهَا خَيْلًا وَطِئْنَ جُمُوعُهُ
وَعَادَتْ عَلَى ابْنِ الْبَرِّمْ نَعْمَاكَ بَعْدَمَا ١٣٧/٣

أَيَادِي عُرْفِ بَاقِيَاتٍ وَعُودًا
وَأُضْدَرَ بَاغِي الْأَمْنِ فِيهِمْ وَأُورِدَا
فَكَانَ مِنَ الْآبَاءِ أَحْنَى وَأَعُودَا
وَفِي الْبَاسِ الْقَوَاهِمِ النَّجْمِ أَبْعَدَا
إِلَى كُلِّ أَمْرٍ كَانَ أَسْنَى وَأَمْجَدَا
وَيُسْقَى دَمَ الْعَاصِي الْحَسَامِ الْمَهْنَدَا
وَكَانَتْ لِأَهْلِ الدِّينِ عِزًّا مُؤَبَّدَا
عَلَى فَضْلِهِ عَهْدُ الْخَلِيفَةِ قُلْدَا
بِهِ اللَّهُ أَعْطَى كُلَّ خَيْرٍ وَسَدَّدَا
بِهِنَّ لِنِيرَانِ الضَّلَالَةِ مُوقَدَا
قَتِيلَا وَمَأْسُورًا وَقَلًّا مُشْرِدَا
تَحُوبٌ مَخْذُولًا يَرَى الْمَوْتَ مُفْرَدَا

وذكر العباس بن جرير ، أن حفص بن مسلم - وهو أخو رزام بن مسلم ، مولى
خالد بن عبد الله القسري - حدثه أنه قال : دخلت على الفضل بن يحيى مقدّمه
خراسان ، وبين يديه يدٌ رُتُفَرَّقَ بِخَوَاتِيمِهَا ، فَمَا فُضِّتَ بَدْرَةٌ مِنْهَا ، فَقُلْتُ :
كُفَى اللَّهُ بِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَجُودَ يَدَيْهِ بِخُلِّ كُلِّ بَخِيلٍ
قال : فقال لي مروان بن أبي حفصة : وددت أننى سبقتك إلى هذا البيت .
وأن على غرم عشرة آلاف درهم .

• • •

وغزا فيها الصائفة معاوية بن زُفَر بن عاصم ، وغزى الشّاتبة فيها سليمان
ابن راشد ، ومعه البعيد بطريق صقلية .
وحجّ بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ ، وكان على مكة .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك انصرافُ الفضل بن يحيى عن خراسان واستخلافه عليها عمرو بن شُرْحَبِيل .

وفيهما ولّى الرشيدُ خراسانَ منصورَ بن يزيد بن منصور الحميري . ٦٣٨/٣

وفيهما شَرَى^(١) بخراسان حمزة بن أترك السجستاني .

وفيهما عزّل الرشيد محمد بن خالد بن برمك عن الحجبة ، وولّاها الفضل بن الربيع .

وفيهما رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدّت شوكته ، وكثّر تبعه ، فوجّه الرشيد إليه يزيد بن يزيد الشيباني ، فراوغه يزيد ، ثم لقيه وهو مغترّ فوق هيت ، فقتله وجماعة كانوا معه ، وتفرّق الباقيون ، فقال الشاعر :

وانلُ بَعْضُهَا يَقْتُلُ بَعْضًا لا يَفْلُ الحَديدُ إِلَّا الحَديدُ

وقالت الفارعة أخت الوليد :

أَيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُحِبُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّبَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنَ قَنَأِ وَسُيُوفٍ

واعتمر الرشيدُ في هذه السنة في شهر رمضان، شكرًا لله على ما أبلاه في الوليد بن طريف ، فلما قضى عمرته انصرف إلى المدينة ، فأقام بها إلى وقت الحج ، ثم حج بالناس ، فشى من مكة إلى منى ، ثم إلى عرفات ، وشهد المشاهد والمشاعر ماشيًا ، ثم انصرف على طريق البصرة .

وأما الواقدي فإنه قال : لما فرغ من عمرته أقام بمكة حتى أقام للناس حجّهم . ٦٣٩/٣

(١) شرى : صار من الثراء ؛ ويم الخوارج . سموا بذلك لأنهم شروا ، أى غضبوا .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر الخبر عن العصبية التي هاجت بالشام]

فما كان فيها من ذلك ، العصبية التي هاجت بالشام بين أهلها .

• ذكر الخبر عما صار إليه أمرها :

ذكر أن هذه العصبية لما حدثت بالشام بين أهلها ، وتفاقم أمرها ، اغتم بذلك من أمرهم الرشيد ، فعقد جعفر بن يحيى على الشام ، وقال له : إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا ، فقال له جعفر : بل أقيك بنفسى ؛ فشخص في جيلة القواد والكراع والسلاح ، وجعل على شرطه العباس بن محمد بن المسيب بن زهير ، وعلى حرسه شبيب بن حميد بن قحطبة ، فأتاهم فأصلح بينهم ؛ وقتل زواقيهم^(١) ، والمتلصصة منهم ، ولم يدع بها رُحماً ولا فرساً ، فعادوا إلى الأمن والطمأنينة ؛ وأطفأ تلك النائرة ، فقال منصور النمرى لما شخص جعفر :

لَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالشَّامِ نِيرَانِ فِتْنَةٍ فهِذَا أَوَّانُ الشَّامِ تُخَمِّدُ نَارَهَا
إِذَا جَاشَ مَوْجُ الْبَحْرِ مِنْ آلِ بَرْمَلِكٍ عَلَيْهَا ، خَبَتْ شُهْبَانُهَا وَشَرَارُهَا
رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِجَعْفَرٍ وَفِيهِ تَلَاقَى صَدْعُهَا وَانْجِبَارُهَا
رَمَاهَا بِمَيْمُونِ النَّقِيبَةِ مَاجِدٍ تَرْضَى بِهِ قَحْطَانُهَا وَيَزَارُهَا
تَدَلَّكَتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةُ بَرْمَكِيَّةٍ دَمَوْعُ لِهَامِ النَّاكِثِينَ انْحِدَارُهَا
عَدَوْتَ تَزْجِي غَابَةً فِي رُءُوسِهَا نُجُومُ الثَّرِيَّا وَالْمَنَايَا ثَمَارُهَا
إِذَا خَفَقَتْ رَايَاتُهَا وَتَجَرَّسَتْ^(٢) بِهَا الرِّيحُ هَالِ السَّامِعِينَ انْبِهَارُهَا
فَقُولُوا لِأَهْلِ الشَّامِ : لَا يَسْلُبُنَاكُمْ حِجَاكُمُ طَوِيلَاتُ الْمُنَى وَقِصَارُهَا

٦٤٠/٣

فَإِنَّ أَهْبَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَفْسِهِ
 هُوَ الْمَلِكُ الْمَأْمُولُ لِلْبَرِّ وَالتَّقَى
 وَزِيرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّفُهُ
 وَمَنْ قُطِرَ أَشْرَارُ الْخَلِيفَةِ دُونَهُ
 وَفَيْتَهُ فَلَمْ تَغْدِرْ لِقَوْمٍ بِذِمَّةِ
 طَبِيبٍ بِأَحْيَاءِ الْأُمُورِ إِذَا التَوَتَّ
 إِذَا مَا ابْنُ يَحْيَى جَعْفَرٌ قَصَدَتْ لَهُ
 لَقَدْ نَشَأَتْ بِالشَّامِ مِنْكَ غَمَامَةٌ
 فَطَوَّبَى لِأَهْلِ الشَّامِ يَا وَيْلَ أُمَّهَا
 فَإِنْ سَالُوا كَانَتْ غَمَامَةً نَائِلِ
 أَبوكَ أَبُو الْأَمْلاكِ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ
 كَأَيِّنْ تَرَى فِي الْبَرَمَكِيِّينَ مِنْ نَدَى
 غَدَا بِنَجُومِ السَّعْدِ مَنْ حَلَّ رَحْلُهُ
 عَذِيرَى مِنَ الْأَقْدَارِ هَلْ عَزَمَاتُهَا
 فَعَيْنُ الْأَسَى مَطْرُوفَةٌ لِفِرَاقِهِ

وَأَمَّا مَا ابْنُ يَحْيَى جَعْفَرٌ قَصَدَتْ لَهُ
 لَقَدْ نَشَأَتْ بِالشَّامِ مِنْكَ غَمَامَةٌ
 فَطَوَّبَى لِأَهْلِ الشَّامِ يَا وَيْلَ أُمَّهَا
 فَإِنْ سَالُوا كَانَتْ غَمَامَةً نَائِلِ
 أَبوكَ أَبُو الْأَمْلاكِ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ
 كَأَيِّنْ تَرَى فِي الْبَرَمَكِيِّينَ مِنْ نَدَى
 غَدَا بِنَجُومِ السَّعْدِ مَنْ حَلَّ رَحْلُهُ
 عَذِيرَى مِنَ الْأَقْدَارِ هَلْ عَزَمَاتُهَا
 فَعَيْنُ الْأَسَى مَطْرُوفَةٌ لِفِرَاقِهِ

وَوَلَّى جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى صَالِحُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْبُلْقَاءَ وَمَا يَلِيهَا ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى
 الشَّامِ عَيْسَى بْنُ الْعَكِّيِّ وَانصَرَفَ ، فَازْدَادَ الرُّشِيدُ لَهُ إِكْرَامًا . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى
 الرُّشِيدِ دَخَلَ عَلَيْهِ - فَمَا ذَكَرَ - فَقَبَّلَ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ ^(٤) ، ثُمَّ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
 فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي آتَانِي وَحْشَتِي ، وَأَجَابَ دَعْوَتِي ،
 وَرَحِمَ تَضَرُّعِي ، وَأَنْسَأَ فِي أَجْلِي ، حَتَّى أَرَانِي ^(٥) وَجْهَ سَيِّدِي ، وَأَكْرَمَنِي

(٢) م : « حيارها » .

(٤) م : « ثُمَّ رَجْلَيْهِ » .

(١) م : « وَإِذَا » .

(٢) م : « وَنَفْسِ » .

(٥) م : « أَرَى » .

بقربه ، وامنّ عليّ بتقبيل يده ، وردّني إلى خدمته ؛ فوالله إن كنت لأذكر غيبتي عنه ومخرجي ، والمقادير التي أزعجتني ؛ فأعلم أنها كانت بمعاصي لحقتني وخطايا^(١) أحاطت بي ؛ ولو طال مُقامي عنك يا أمير المؤمنين - جعلني الله فداك - لحفت أن يذهب عقلي إشفاقاً على قربك ، وأمساً على فراقك ، وأن يعجل بي عن إذتك الاشتياقُ إلى رؤيتك ؛ والحمد لله الذي عصمني في حال الغيبة ، وأمنني بالعافية ، وعرفني الإجابة ومسكني بالطاعة ، وحال بني وبين استعمال المعصية ؛ فلم أشخص إلاّ عن رأيك ، ولم أقدم إلاّ عن إذتك وأمرك ؛ ولم يخترمني أجل^(٢) دونك . والله يا أمير المؤمنين - ولا أعظم من اليمين بالله - لقد عاينت ما لو تُعرّض لي الدنيا كلّها لاخترت عليها قربك ، ولما رأيتها عوضاً من المقام معك . ثم قال له بعقب هذا الكلام في هذا المقام : إنّ الله يا أمير المؤمنين - لم يزل يبليكَ في خلافتك بقدر ما يعلم من نيتك ، ويريك في رعيّتك غاية أمنيّتك ، فيصلح لك جماعتهم ، ويجمع ألفتهم ، ويلمّ شعثهم ؛ حفظاً لك فيهم ، ورحمةً لهم ؛ وإنما هذا للتمسك بطاعتك ، والاعتصام بجبل مرضاتك ؛ والله المحمود على ذلك وهو مستحقّه . وفارقتُ يا أمير المؤمنين أهل كور الشام وهم متقادون لأمرك ، نادمون على ما فرط من معصيتهم لك ، متمسكون^(٣) بجبلك ، نازلون على حكمك ، طالبون لعفوك ، واثقون بحلمك ، مؤمنون فضلك ، آمنون بادرّتك ، حالّهم في اتّلافهم كحالهم كانت في اختلافهم ، وحالّهم في ألفتهم كحالهم كانت في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم وتغمّده لهم سابق لمعذرتهم ، وصلة أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم متقدّم^(٤) عنده لمسألته .

٦١٣/٣

وإم الله يا أمير المؤمنين لئن كنتُ قد شخصتُ عنهم ، وقد أحمَد الله شرارهم وأطفأ نارهم ، ونفى مرّاقهم ، وأصلح دهماءهم ، وأولاني الجميلَ فيهم ، ورزقني الانتصار منهم ؛ فما ذلك كله إلا ببركتك وُيُمنك ، وريحك ودوام دولتك السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوفهم منك ، ورجائهم لك . والله يا أمير

(٢) س : « أجل » .

(٤) بعدها في س : « عليهم » .

(١) س : « أو خطايا » .

(٣) س : « متمسكون » .

المؤمنين ما تقدمتُ إليهم إلا بوصيتك ، وما عاملتهم إلا بأمرك ، ولا سرت فيهم إلا على حدٍّ ما مثلته لي ورسمته ، ووقفْتَنِي عليه ؛ والله ما انقادوا إلا لدعوتك ، وتوحد الله بالصنع لك ، وتخوفهم من سطوتك . وما كان الذي كان مني - وإن كنت بذلت جهدي ، وبلغت مجهودي - قاضياً ببعض حقلك علي ؛ بل ما ازدادت نعمتك عليّ عظماً ؛ إلا ازددت عن شكرك عجزاً وضعفاً ، وما خلق الله أحداً من رعيّتك أبعد من أن يُطمع نفسه في قضاء حقلك مني ، وما ذلك إلا أن أكون باذلاً مهجتي في طاعتك ، وكلّ ما يقرب إلى موافقتك ؛ ولكنني أعرف من أياديك عندي ما لا أعرف مثلها^(١) عند غيري ؛ فكيف بشكري^(٢) وقد أصبحتُ واحد أهل دهري فيما صنعتَه فيّ وبني ! أم كيف بشكري^(٣) وإنما أقوى على شكرى بإكرامك أياي ! وكيف بشكري^(٤) ولو جعل الله شكرى في إحصاء ما أوليتني لم يأت على ذلك عدّى^(٥) وكيف بشكري^(٦) وأنت لا ترضي لي ما أَرْضاه لي ! وكيف بشكري وأنت تجدد من نعمتك عندي ما^(٧) يستغرق^(٨) كل ما سلف عندك لي ! أم كيف بشكري وأنت تُنسني^(٩) ما تقدم من إحسانك إليّ بما تجدده لي ! أم كيف بشكري^(١٠) وأنت تقدمني بطولك^(١١) على جميع أكفائي ! أم كيف بشكري^(١٢) وأنت وليّي ! أم كيف بشكري وأنت المكرم لي ! وأنا أسأل الله الذي رزقني ذلك منك من غير استحقاق له ؛ إذا كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شقص^(١٣) من عشر عشيره^(١٤) ، أن يتولى مكافأتك عنّي بما هو أوسع له ، وأقدر عليه ، وأن يَقْضِيَ عني حَقَّكَ ، وجليل مِنتِكَ ؛ فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه !

• • •

وفي هذه السنة أخذ الرشيد الخاتم من جعفر بن يحيى ، فدفعه إلى أبيه يحيى بن خالد .

(٢) ا : « تشكرني » .

(٤) ج : « بما » .

(٦) ج : « نسيتني » .

(٨) س : « بشكرك » .

(١٠) س : « عشرة » ؟

(١) س : « ما لا أعرفها » .

(٣) ا ، س : « عددي » .

(٥) س : « استغرق » .

(٧) س : « بطولك » .

(٩) النقص : النصيب .

وفيها ولَّى جعفر بن يحيى خُراسان وسجستان ، واستعمل جعفرَ هليهما
محمد بن الحسن بن قحطبة .

وفيها شخص الرشيد من مدينة السلام مريداً الرقة على طريق الموصل ،
فلما نزل البركان ، ولَّى عيسى بن جعفر خُراسان ، وعزل عنها جعفر بن يحيى ؛
فكانت ولاية جعفر بن يحيى إياها عشرين ليلة .
وفيها ولَّى جعفر بن يحيى الحرس .

وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب الخوارج الذين خرجوا منها ،
ثم مضى إلى الرقة فنزلها واتخذها وطناً .

٦٥٥/٣

وفيها عزل هُرَثة بن أعين عن إفريقية ، وأقله إلى مدينة السلام ،
فاستخلفه جعفر بن يحيى على الحرس .

وفيها كانت بأرض مصر زلزلة شديدة ، فسقط رأس منارة الإسكندرية .
وفيها حكم خُرَاشة الشيباني وشَرِيَّ بالجزيرة ، فقتله مسلم بن بكار بن
مسلم العقيلي .

وفيها خرجت الحمرة بجرجان ، فكتب على بن عيسى بن ماهان أن الذي
هتج ذلك عليه عمرو بن محمد العمركي ، وأنه زنديق ، فأمر الرشيد بقتله ،
فقتل بمرو .

وفيها عزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والنرؤيان ، ولَّى ذلك عبد الله
ابن خازم . وعزل الفضل أيضاً عن الرى ، وولَّيها محمد بن يحيى بن
الحارث بن شخير ، وولَّى سعيد بن سلم^(١) الجزيرة .

وغزا الصائفة فيها معاوية بن زفر بن عاصم .

وفيها صار الرشيد إلى البصرة مُنصرفه من مكة ، فقدمها في الحرم منها ،
فنزل المحدثات أياماً ، ثم تحول منها إلى قصر عيسى بن جعفر بالحريرية ، ثم
ركب في نهر سيحان الذي احتفره يحيى بن خالد ؛ حتى نظر إليه ، وسكر^(٢)
نهر الأبله ونهر معقل ، حتى استحكم أمر سيحان ، ثم شخص عن البصرة

(٢) سكر النهر : سدفاه .

(١) : « مسلم » .

لاثنى عشرة ليلة بقيت من المحرم ، فقدم مدينة السلام ، ثم شخص إلى الحيرة ، فسكنها وابتنى بها المنازل ، وأقطع مَن معه الخِطَط ، وأقام نحواً من أربعين يوماً ، فوثب به أهل الكوفة ، وأسأوا مجاورته ، فارتحل إلى مدينة السلام ، ثم شخص من مدينة السلام إلى الرقة ، واستخلف بمدينة السلام حين شخص إلى الرقة محمداً الأمين ، وولاه العراقيين .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فكان فيها غزو الرشيد أرض الروم ، فافتتح بها عنوة حصن الصفصاف ، فقال مروان بن أبي حفصة :

إن أمير المؤمنين المصطفى قد ترك الصفصاف قاعاً صفصفاً

وفيهما غزا عبد الملك بن صالح الروم ، فبلغ أنقرة وافتتح مطمورة .

وفيهما توفى الحسن بن قحطبة وحمزة بن مالك .

وفيهما غلبت الحمرة على جرجان .

وفيهما أحدث الرشيد عند نزوله الرقة في صدور كتبه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة هارون^(١) الرشيد ، فأقام للناس الحج ، ثم صدر معجلاً . وتخلّف عنه يحيى بن خالد ، ثم لحقه بالغمرة فاستعفاه من الولاية فأعفاه ، فردّ إليه الخاتم . وسأله الإذن في المقام فأذن له ، فانصرف إلى مكة .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فكان فيها انصراف الرشيد من مكة ومسيره إلى الرقة ، وبيعت به لابنه عبد الله المأمون بعد ابنه محمد الأمين ، وأخذ البيعة له على الجند بذلك بالرقة ، وضمت إياه إلى جعفر بن يحيى ، ثم توجهه إياه إلى مدينة السلام ، ومعه من أهل بيته جعفر بن أبي جعفر المنصور وعبد الملك بن صالح ، ومن القواد على بن عيسى ، فبُوع له بمدينة السلام حين قدمها ، وولاه أبوه خراسان وما يتصل بها إلى همدان ، وسماه المأمون .

وفيهما حملت ابنة خاقان ملك الخزر إلى الفضل بن يحيى ، فأتت ببرذعة ، وعلى إرمينية يومئذ سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي ، فرجع من كان فيها من الطراخنة إلى أبيها . فأخبروه أن ابنته قتلت ^(١) غيلة ، فحقق لذلك ، وأخذ في الأهبة لحرب المسلمين .

وانصرف فيها يحيى بن خالد إلى مدينة السلام .

وغزا فيها الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح ، فبلغ دفسوس مدينة أصحاب الكهف .

وفيهما سملت الروم عبيد ملكيهم قسطنطين بن أليون ، وأقرؤا أمه ريني ، وتلقب أغسطه .

وحج بالناس فيها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخنزير بسبب ابنة خاقان من باب الأبواب وإيقاعهم بالمسلمين هنالك وأهل الذمة ، وسبيهم — فيما ذكر — أكثر من مائة ألف . فانتبهكوا أمراً عظيماً لم يُسمع في الإسلام بمثله ، فولّى الرشيد إرمينية يزيد بن مزيد مع أذربيجان ، وقوّاه بالهند ؛ ووجهه ، وأنزل خزيمه بن خازم نصيين رداء لا أهل إرمينية .

وقد قيل في سبب دخول الخنزير إرمينية غير هذا القول ؛ وذلك ما ذكره محمد بن عبد الله ، أن أباه حدثه أن سبب دخول الخنزير إرمينية في زمان هارون كان أن سعيد بن سلم ضرب عنق المنجم السلمي بفأس ، فدخل ابنه بلاد الخنزير ، واستجاشهم على سعيد ، فدخلوا إرمينية من الثلثة ، فانهزم سعيد ، ونكحوا المسلمات ، وأقاموا فيها — أظن — سبعين يوماً ، فوجه هارون خزيمه بن خازم ويزيد بن مزيد إلى إرمينية حتى أصلحها ما أفسد سعيد ، وأخرجوا الخنزير ، وسدّت الثلثة .

وفيهما كتب الرشيد إلى عليّ بن عيسى بن ماهان وهو بخراسان بالمصير إليه ؛ وكان سبب كتابه إليه بذلك ؛ أنه كان حُمل عليه ، وقيل له : إنه قد أجمع^(١) على الخلاف ، فاستخلف عليّ بن عيسى ابنه يحيى على خراسان ، فأقره الرشيد ، فوافاه عليّ ، وحمل إليه مائة عظيماً ، فردّه الرشيد إلى خراسان من قبل ابنه المأمون لحرب أبي الحصب ، فرجع .

وفيهما خرج بنسباً من خراسان أبو الحصب وهيب بن عبد الله النسائي مولى الخريش .

وفيها مات موسى بن جعفر بن محمد ببغداد ومحمد بن السماك القاضي .

* * *

وفيها حج بالناس العباس بن موسى الهادي بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن علي .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها قدم هارون مدينة السلام في جمادى الآخرة منصوراً إليها من الرقة في القُرات في السفن ، فلما صار إليها أخذ الناس بالبقايا .

ووليّ استخراج ذلك - فيما ذكر - عبدُ الله بن الهيثم بن سام بالحبس والضرب ، ووليّ حماد البربري مكة واليمن ، ووليّ داود بن يزيد بن حاتم المهلبيّ السند ، ويحيى الحرثيّ الجبل ، ومهرويه الرازي طبرستان ، وقام بأمر إفريقية إبراهيم الأغلب ، فولّاه إياه الرّشيد .

وفيها خرج أبو عمرو الشاري فوجّه إليه زهير القصاب فقتله بشَهْرَزُور .
وفيها طلب أبو الحصيب الأمان ، فأعطاه ذلك عليّ بن عيسى ، فوافاه بمَرَرٍ فأكرمه .

* * *

وحجّ بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عليّ .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قتل أهل طبرستان مَهْرُويَه الرازي وهو واليها ، فولّى الرشيد مكانه عبد الله بن سعيد الحرّشي .

وفيهما قتل عبدالرحمن الأبناعي^(١) أبان بن قحطبة الخارجي بمِرج القلعة .

وفيهما عاث حمزة الشاري بباذغيس من خراسان ، فوثب عيسى بن علي ابن عيسى على عشرة آلاف من أصحاب حمزة فقتلهم ، وبلغ كابل وزابلستان والقندهار ، فقال أبو العداfer^(٢) في ذلك :

كَأَدَّ عَيْسَى يَكُونُ ذَا الْقَرْنَيْنِ بَلَغَ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ
لَمْ يَدْعُ كَابِلًا وَلَا زَابِلِسْتَا نَ فَمَا حَوَّلَهَا إِلَى الرُّخَجَيْنِ

وفيهما خرج أبو الحصيب ثانية بنّسا ، وغلب عليها وعلى أبيورد وطوس ونيسابور ، وزحف إلى مرو ، فأحاط بها ، فهزم ، ومضى نحو سرخس ، وقوى أمره .

وفيهما مات يزيد بن يزيد ببَرْدعة ، فولّى مكانه أسد بن يزيد .

وفيهما مات يقطين بن موسى ببغداد .

وفيهما مات عبد الصمد بن علي ببغداد في جمادى الآخرة ، ولم يكن تُغِير^(٣) قطّ ؛ فأدخل القبر بأسنان الصبي ، وما نقص له سنّ .

٦٤١/٣

وشخص فيها الرشيد إلى الرقة على طريق الموصل .

واستأذنه فيها يحيى بن خالد في العمرة والحوار ، فأذن له ، فخرج في

(١) ط : « الأنباري » ، وهو « عبد الرحمن بن جبلة الأبناعي » .

(٢) ط : « العداfer » ، وانظر الفهرس .

(٣) ثغر : سقطت رواضه ، والرواضع : أسنان الصبي .

شعبان ، واعتمر عمرة شهر رمضان ، ثم رابط بجدة إلى وقت الحج ، ثم حج .
ورفعت في المسجد الحرام صاعقة فقتلت رجلين .

• • •

وحجّ بالناس فيها منصور بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عليّ .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان خروجُ عليّ بن عيسى بن ماهان من مرو والحربُ إلى الحصب
إلى نسا ، فقتله بها ، وسبي نساءه وذرائه ، واستقامت خراسان .

وفيها حبس الرشيدُ ثمامة بن أشرس لوقوفه على كذبه في أمر أحمد بن
عيسى بن زيد .

وفيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور عند هَرَمَةِ . وتوفي العباس بن
محمد ببغداد .

• • •

[ذكر حجّ الرشيد ثم كتابته العهد لأبنائه]

وحجّ بالناس فيها هارون الرشيد ؛ وكان شخوصه من الرقة للحجّ في شهر
رمضان من هذه السنة ، فرّ بالأنبار ، ولم يدخل مدينة السلام ؛ ولكنه نزل
منزلاً على شاطئ الفرات يدعى الدّارات ، بينه وبين مدينة السلام سبعة فراسخ ،
وخلف بالرقّة إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، وأخرج معه ابنه : محمداً الأمين
وعبد الله المأمون ؛ وليّ عهده ؛ فبدأ بالمدينة ؛ فأعطى أهلها ثلاثة أعطية ؛
كانوا يقدمون إليه فيعطيههم عطاء ، ثم إلى محمد فيعطيههم عطاءً ثانياً ،
ثم إلى المأمون فيعطيههم عطاء ثالثاً ، ثم صار إلى مكة فأعطى أهلها ، فبلغ
ذلك ألف دينار وخمسين ألف دينار .

٢٥٢/٣

وكان الرشيد عمّد لابنه محمد ولاية العهد — فيما ذكر محمد بن يزيد عن
إبراهيم بن محمد الحَجَبِيّ — يوم الخميس في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وسماه
الأمين ، وضمّ إليه الشام والعراق في سنة خمس وسبعين ومائة ، ثم بايع لعبد الله
المأمون بالرقّة في سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وولّاه من حدّ همدان إلى آخر
المشرق ، فقال في ذلك سلّم بن عمرو الخاسر :

بَايَعَ هَارُونَ إِمَامُ الْهُدَى لِيَذِيَ الْحِجَى وَالْخُلُقِ الْفَاضِلِ
 الْمُخْلِيفِ الْمُتَلَفِ أَمْوَالَهُ وَالضَّامِنِ الْأَثْقَالَ لِلْحَامِلِ
 وَالْعَالِمِ النَّافِذِ فِي عِلْمِهِ وَالْحَاكِمِ الْفَاضِلِ وَالْعَادِلِ
 وَالرَّائِقِ الْفَاتِقِ حَلَفَ الْهُدَى^(١) وَالْقَائِلِ الصَّادِقِ وَالْفَاعِلِ
 لِخَيْرِ عَبَاسٍ إِذَا حُصِّلُوا وَالْمُفْضِلِ الْمَجْدَى عَلَى الْعَائِلِ^(٢)
 أَبْرَهُمْ بَرًّا وَأَوْلَاهُمْ بِالْعُرْفِ عِنْدَ الْحَدَثِ النَّازِلِ
 لِمُشْبِهِ الْمَنْصُورِ فِي مَلِكِهِ إِذَا تَدَجَّتْ ظُلُمَةُ الْبَاطِلِ
 فَتَمَّ بِالْمَأْمُونِ نَوْرُ الْهُدَى وَانْكَشَفَ الْجَهْلُ عَنِ الْجَاهِلِ

وذكر الحسن بن قريش أن القاسم بن الرشيد، كان في حِجْر عبد الملك ابن صالح ، فلما بايع الرشيدُ لمحمد والمأمون ، كتب إليه عبد الملك بن صالح :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَوْ كَانَ نَجْمًا كَانَ سَمْعِدَا
 اعْقِدْ لِقَاسِمَ بَيْعَةٍ وَاقْدَحْ لَهُ فِي الْمُلْكِ زَنْدَا
 اللَّهُ فَرْدٌ وَاحِدٌ فَاجْعَلْ وَلَاَةَ الْعَهْدِ فَرْدَا

فكان ذلك أول ما حضّر الرشيد على البيعة للقاسم . ثم بايع للقاسم ابنه ، وسماه المؤتمن ، وولاه الجزيرة والثغور والعواصم ، فقال في ذلك :

حُبُّ الْخَلِيفَةِ حُبٌّ لَا يَكْدِينُ بِهِ مَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصٍ يَعْمَلُ الْفِتْنَا
 اللَّهُ قَلَدٌ هَارُونَ سِيَاسَتَنَا لَمَّا اصْطَفَاهُ فَأَخِيَا الدِّينَ وَالسَّنَا
 وَقَلَدٌ الْأَرْضَ هَارُونُ لِرَأْفَتِهِ بَنَا أَمِينًا وَمَأْمُومًا وَمَوْتَمَنَا

قال : ولما قسم الأرض بين أولاده الثلاثة ، قال بعض العامة^(٣) : قد أحكم أمر الملك ، وقال بعضهم : بل ألقى بأسَهُم بينهم ، وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية ، وقالت الشعراء في ذلك ، فقال بعضهم :

(٢) س : « العامل » .

(١) س : « الهدى » .

(٣) س : « الناس » .

أَقُولُ لَغْمَةً فِي النَّفْسِ مِنِّي
خُذِي لِلْهَوْلِ^(١) عُدَّتُهُ بِحَزْمٍ
فَلَمَّا نَكَحَ ابْنُ بَقِيَّةٍ رَأَيْتُ أَمْرًا
رَأَى الْمَلِكُ الْمَهْدَبُ شَرًّا رَأَى
رَأَى مَا لَوْ تَعَقَّبَهُ بِعِلْمٍ^(٢)
أَرَادَ بِهِ لِيَقْطَعَ عَنْ بَنِيهِ
فَقَدْ غَرَسَ الْعِدَاوَةَ غَيْرَ آلٍ
وَأَلْقَحَ بَيْنَهُمْ حَرْبًا عَوَانًا
فَوَيْلٌ لِلرَّعِيَّةِ عَنْ قَلِيلٍ
وَأَلْبَسَهَا بِلَاءً غَيْرَ فَنٍ
سَتَجْرَى مِنْ دِمَائِهِمْ بِحُورٍ
فَوْزَرُ بِلَائِهِمْ أَبَدًا عَلَيْهِ

وَدَمَعُ الْعَيْنِ يَطْرُدُ أَطْرَادًا
سَنَلَقَى مَا سَيَمْنَعُكَ الرُّقَادَا
يُطِيلُ لَكَ الْكَاتِبَةَ وَالسَّهَادَا
بِقِسْمَتِهِ الْخِلَافَةَ وَالْبِلَادَا
لَبِيضَ مِنْ مَفَارِقِهِ السُّودَا
خِلَافَهُمْ وَيَبْتَذِلُوا الرُّودَا
وَأَوْرَثَ شَمْلَ أَلْفَتِهِمْ بَدَا
وَسَلَّسَ لاجْتِنَابِهِمُ الْقِيَادَا^(٣)
لَقَدْ أَهْدَى لَهَا الْكَرْبَ الشَّدَادَا
وَأَلْزَمَهَا التَّضَعُّضَ وَالْفَسَادَا
زَوَاخِرُ لَا يَرَوْنَ لَهَا نِفَادَا
أَغْيَا كَانَ ذَلِكَ أَمَّ رَشَادَا

٦٥٤/٣

قال : وحجَّ هارون ومحمد وعبد الله معه وقواده ووزرائه وقضاته في سنة ست وثمانين ومائة ، وخلف بالرقّة إبراهيم بن عثمان بن نهيك العكّي على الحرم والخزائن والأموال والعسكر ، وأشخص القاسم ابنه إلى منبج ، فأنزله إياها بمن ضمّ إليه من القواد والجنود ، فلما قضى مناسكته كتب لعبد الله المأمون ابنه كتابين ، أجهد الفقهاء والقضاة آراءهم فيهما ، أحدهما على محمد بما اشترط عليه من الوفاء بما فيه من تسليم ما وليّ عبد الله من الأعمال ، وصيّره إليه من الضياع والغلات والجواهر والأموال ، والآخر نسخة البيعة التي أخذها على الخاصة والعامة والشروط لعبد الله على محمد وعليهم ، وجعل الكتابين في البيت الحرام بعد أخذه البيعة على محمد ، وإشهاده عليه بها الله وملائكته

(١) ١ ، س : « للقول » .

(٢) س : « رأى برأى » .

(٣) ج : « لاجتنابهم » .

ومَن كان في الكعبة معه من سائر ولده وأهل بيته ومواليه وقُوداه ووزرائه وكتابه وغيرهم .

وكانت الشهادة بالبَيْعَة والكتاب في البيت الحرام ، وتقدّم إلى الحَجَبَة في حفظهما ، ومنع من أراد إخراجهما والذهاب بهما ، فذكر عبدُ الله بن محمد ومحمد بن يزيد التميمي وإبراهيم الحنفي ، أن الرّشيد حضر وأحضر وجوه بني هاشم والقُدُود والتقهاء ، وأدخلوا البيت الحرام ، وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمد ، وأشهد عليهما جماعة مَن حضر ، ثم رأى أن يعلّق الكتاب في الكعبة ، فلما رُفِع ليعلّق وقع ، فقبل إن هذا الأمر سريع انتفاضه قبل تمامه . وكانت نسخة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين ، في صحة من عقله ، وجواز من أمره ، طائعاً غير مكره . إن أمير المؤمنين ولأني العهد من بعده ، وصير البيعة لي في رقاب المسلمين جميعاً ، ولّي عبد الله بن هارون العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدى ، برضاً مني وتسليم ، طائعاً غير مكره ، وولاية خراسان وثورها وكُورها وحربها وجندّها وخراجها وطرزها ^(١) وبسريدها ، وبيوت أموالها ، وصدقاتها وعشرها وعشورها ، وجميع أعمالها ، في حياته وبعده . وشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين برضاً مني وطيب نفسي ، أن لأخني عبد الله بن هارون علىّ الوفاء بما عَقَدَ له هارون أمير المؤمنين من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعاً بعدى ، وتسليم ذلك له ؛ وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلّها ، وما أقطعه أمير المؤمنين من قطعية ، أو جعل له من عقدة ^(٢) أو ضيعة من ضياعه ، أو ابتاع من الضياع والعقود ، وما أعطاه في حياته وصحته من مال أو حلّي أو جوهر ، أو متاع أو كسوة ، أو منزل أو دواب ، أو قليل أو كثير ؛ فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، موفراً مسلماً إليه . وقد عرفت ذلك كله شيئاً شيئاً .

٦٥٥/٣

(١) - نظائر : ما ينسج من الثياب للسلطان ، ويطلق على الموضوع الذي تنسج فيه الثياب الجياد ؛ وكان نظائر دور كدور ضرب النقود . وانظر النسان .

(٢) - العقدة : الضيعة والعقار الذي استقده صاحبه ملكاً . واعتدت الضيعة والمال : اقتنأها .

٢٥٦/٣

فلما حدث بأمر المؤمنين حدث الموت ، وأفضت الخلافة إلى محمد ابن أمير المؤمنين ، فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين في تولية عبد الله ابن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ومن ضم إليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقرمسين ، وإن يمضي عبد الله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان والري والكور التي سماها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله ابن أمير المؤمنين من معسكر أمير المؤمنين وغيره من سلطان أمير المؤمنين وجميع من ضم إليه أمير المؤمنين حيث أحب ، من لدن الري إلى أقصى عمل خراسان . فليس محمد ابن أمير المؤمنين أن يحول عنه قائداً ولا مقوداً ولا رجلاً واحداً ممن ضم إليه من أصحابه الذين ضمهم إلى أمير المؤمنين ، ولا يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التي ولأه إياها هارون أمير المؤمنين من ثغور خراسان وأعمالها كلها ، ما بين عمل الري مما يلي همدان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها ، وما هو منسوب إليها ، ولا يشخصه ^(١) إليه ، ولا يفرق أحداً من أصحابه وقواده عنه ، ولا يول عليه أحداً ، ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره بشاراً ، ولا محاسباً ولا عاملاً ، ولا يدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ضرراً ، ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كله برأيه وتديره ، ولا يتعرض لأحد من ضم إليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته وقضاته وعماله وكتابه وقواده وخدمه ومواليه وجنده ، بما يتسبب لإدخال الضرر والمكروه عليهم في أنفسهم ولا قراباتهم ولا مواليتهم ، ولا أحد بسبيل ^(٢) منهم ، ولا في دمايتهم ولا في أموالهم ولا في ضياعهم وشورهم ورباعهم وأمتعتهم وديقتهم ودوابهم شيئاً من ذلك صغيراً ولا كبيراً ، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه ، وبترخيصه في ذلك وإدهان منه فيه لأحد من ولد آدم ، ولا يحكم في أمرهم ولا أحد من قضاته ومن عماله وممن كان بسبب منه بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأى قضاته . وإن نزع إليه أحد من ضم أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته وقواده وعماله وكتابه وخدمه ومواليه وجنده ، ورفض اسمه ومكتبته ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين عاصياً له أو مخالفاً

٢٥٧/٣

(٢) كذا في ١ .

(١) ط : « شخصه » ، والصواب ما أثبتته من ١ .

عليه : فعلى محمد بن أمير المؤمنين رده إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين بصغير له وقماء^(١) حتى يتفقد فيه رأيه وأمره .

فإن أراد محمد بن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده ، أو عزل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وتغورها وأعمالها ، والذي من حد عملها مما يلي همدان والكور التي سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا أو صرف أحد من قواده الذين ضمهم أمير المؤمنين إليه ممن قدم قرامسين ، أو أن ينتقصه قليلاً أو كثيراً مما جعله أمير المؤمنين له بوجه من الوجوه ، أو بحيلة من الحيل ؛ صغرت أو كبرت ؛ فلعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين ، وهو المقدم على محمد ابن أمير المؤمنين ، وهو ولي الأمر بعد أمير المؤمنين والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين في جميع الأجناد والأمصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، والقيام معه ، والمجاهدة لمن خالفه ، والنصر له والذب عنه ؛ ما كانت الحياة في أبدانهم . وليس لأحد منهم جميعاً من كانوا ، أو حيث كانوا ، أن يخالفه ولا يعصيه ، ولا يخرج من طاعته ، ولا يطعم^(٢) محمد ابن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين وصرف العهد عنه من بعده إلى غيره ، أو ينتقصه شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون في حياته وصحته ، واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام في هذا الكتاب . وعبد الله ابن أمير المؤمنين المصدق في قوله ، وأنتم في حل من البيعة التي في أعناقكم لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون إن نقص شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن يتقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ويسلم له الخلافة .

وليس لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون ، ولا يقدما عليه أحداً من أولادهما وقربائهما ولا غيرهم من جميع البرية ؛ فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، فالأمر إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده ، أو صرف

٦٥٨/٣

٦٥٩/٣

(٢) ١ : « يطعم » .

(١) الصنبر : الرضا بالذل . والقماء : الذلة .

ذلك عنه إلى مَنْ رَأَى من ولده وإخوته ، وتقديم مَنْ أراد أن يقدم قبله ، وتصيير القاسم ابن أمير المؤمنين بعد مَنْ يقدم قبله ، يحكم في ذلك بما أحب ورأى .
 فعليكم معشر المسلمين إقناذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا ، وشرط عليهم وأمر به ، وعليكم السمع والطاعة لأمر المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، وعهد الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذم المسلمين والعهود والمواثيق التي أخذ الله على الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين ، ووكدّها في أعناق المؤمنين والمسلمين ، لتَقُنَّ لعبد الله أمير المؤمنين بما سَمَى ، ولمحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سَمَى وكتب في كتابه هذا ، واشترط عليكم وأقرتم به على أنفسكم ؛ فإن أنتم بدلتُم من ذلك شيئاً ، أو غيرتم ، أو نكثتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، واشترط عليكم في كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذم المؤمنين والمسلمين ، وكلُّ مالٍ هو اليوم لكلِّ رجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين ، وعلى كلِّ رجل منكم المشى إلى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجّة ، نذراً واجباً لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك ؛ وكلِّ مملوك لأحد منكم — أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة — حرّ ، وكلِّ امرأة له فهي طالق ثلاثاً ألبنة طلاق الحرج ، لامثنوية^(١) فيها . والله عليكم بذلك كفيل وراعٍ ، وكفى بالله حسيباً .

١٦٠/٣

نسخة الشرط الذي كتب عبد الله
 ابن أمير المؤمنين بخط يده في الكعبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، في صحّة من عقله ، وجوازٍ من أمره ، وصدق نية فيما كتب في كتابه هذا ، ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين . إن أمير المؤمنين هارون ولأني العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين في سلطانه بعد أخى محمد بن هارون ، ولأني في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لي من الخلافة

(١) حلف يميناً لامثنوية فيها ، أى لا استثناء .

وولاية أمور المباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض
لى فيه شئ . مما أقطعنى أمير المؤمنين ، أو ابتاع لى من الضياع والعقود والرباع
أوابتعت منه من ذلك ، وما أعطانى أمير المؤمنين من الأموال والجواهر والكساء
والمناجى والدواب والرقيق وغير ذلك ، ولا يعرض لى ولا لأحد منهم أبداً ، ولا يُلْخَلْ على
بسبب محاسبة ، ولا يشجع لى فى ذلك ولا لأحد منهم أبداً ، ولا يُلْخَلْ على
ولا عليهم ولا على من كان معى ومن استعنت به من جميع الناس مكروهاً ؛
فى نفسى ولا دم ولا شعراً ولا بشراً ولا مال ، ولا صغير من الأمور ولا كبير .
فأجابه إلى ذلك ، وأقر به وكتب له كتاباً ، أكد فيه على نفسه ورضى به
أمير المؤمنين هارون وقيله ، وعرف صدق نيته فيه . فشرطتُ لأمر المؤمنين
وجعلت له على نفسى أن أسمع لمحمد وأطيع ولا أعصيه ، وأنصحه ولا أغشه ،
وأوفى ببعته وولايته ، ولا أغدر ، ولا أنكث ، وأنفذُ كتبه وأموره ، وأحسن
موازرتة وجهاد عدوه فى ناحيتى ، ما وقى لى بما شرطُ لأمر المؤمنين فى أمرى ،
وسمى فى الكتاب الذى كتبه لأمر المؤمنين ، ورضى به أمير المؤمنين ، ولم يتبعنى
بشئ من ذلك ، ولم ينقض أمراً من الأمور التى شرطها أمير المؤمنين لى عليه .

٦٦١/٣

فإن احتاج محمد بن أمير المؤمنين إلى جند ، وكتب إلى يأمرنى بإشخاصه
إليه ، أو إلى ناحية من النواحي ، أو إلى عدو من أعدائه ؛ خالفه أو أراد
نقص شئ من سلطانه أو سلطانى الذى أسنده أمير المؤمنين إلينا ولانا إياه ؛
فعلى أن أنفذ أسره ولا أخافه ، ولا أقصر فى شئ كتب به لى . وإن أراد
محمد أن يركبى رجلاً من ولده العهد والخلافة من بعدى ؛ فذلك له ما وقى لى
بما جعله أمير المؤمنين إلى واشترطه لى عليه ، وشرط على نفسه فى أمرى ، وعلى
إنفاذ ذلك والوفاء له به ؛ ولا أنقص من ذلك ولا أغيره ولا أبدله ، ولا أقدم قبله
أحداً من ولدى ، ولا قريباً ولا بعيداً من الناس أجمعين ؛ إلا أن يولئى
أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدى ، فيلزمنى ومحمداً الوفاء له .

٦٦٢/٣

وجعلتُ لأمر المؤمنين ومحمد على الوفاء بما شرطت وسميت فى كتابى
هذا ، ما وقى لى محمد بجميع ما اشترط لى أمير المؤمنين عليه فى
نفسى ، وما أعطانى أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة فى هذا

الكتاب الذى كتبه لى ، وعلى عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتى وذم أبائى وذم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين ، من عهوده ومواريقه ، والأيمان المؤكدة التى أمر الله بالوفاء بها ، ونهى عن نقضها وتبديلها ؛ فإن أنا نقضتُ شيئاً مما شرطت وسميت فى كتابى هذا أو غيرت أو بدلت ، أو نكثت أو غدرت ، فبرئت من الله عز وجل ومن ولايته ودينه ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقيتُ الله يوم القيامة كافراً مشركاً ، وكل امرأة هى لى اليوم أو أتزوجها لى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً ألبنة طلاق الحرج ؛ وكل مملوك هو لى اليوم أو أملكه لى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله ، وعلى المشى لى بيت الله الحرام الذى بمكة ثلاثين حجة ، نذراً واجباً على قى عنى حاقباً راجلاً ؛ لا يقبل الله منى إلا الوفاء بذلك ، وكل مال لى أو أملكه لى ثلاثين سنة هدمى بالغ الكعبة ؛ وكل ما جعلت لأمر المؤمنين وشرطت فى كتابى هذا لازم لا أضمر غيره ، ولا أنوى غيره .

وشهد سليمان بن أمير المؤمنين وفلان وفلان . وكتب فى ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائة .

• • •

نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد فإن الله ولى أمير المؤمنين وولى ما ولاه ، والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه ، والصانع له فيما قدّم وأخّر من أموره ، والمنعم عليه بالنصر والتأييد فى مشارق الأرض ومغاربها ، والكاظم والحافظ والكافى من جميع خلقه ؛ وهو المحمود على جميع آلائه ، المستول تمام حسن^(١) ما أمضى من قضائه لأمر المؤمنين ، وعادته الجميلة عنده ، وإلهام ما يرضى به ، ويوجب له عليه أحسن المريد من فضله . وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله ابنى أمير المؤمنين ، من تبليغه بهما أحسن ما أمّلت الأمة ، ومدّت إليه أعناقها ، وقذف الله لهما فى قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون إليهما

(١) س : « أحسن » .

والثقة بهما ، لعماد دينهم ، وقوام أمورهم ؛ وجمع^(١) ألفتهم ، وصلاح دَهمائهم ، ودفع المخذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم ؛ حتى ألقوا إليهما أزمتهما ، وأعطوهما بيعتهما وصفقات إيمانهم ، بالعهود والمواثيق ووکید الإيمان المخلطة عليهم . أراد الله فلم يكن له مردّ ، وأمضاه فلم يقلد أحد من العباد على نقضه ولا إزالته ، ولا صرّف له عن محبته ومشيته ، وما سبق في علمه منه . وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما في ذلك وعلى الأمة كافة ؛ لا عاقب لأمر الله ولا رادّ لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

١٦٤/٣

ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين ، يُعمل فكره ورأيه ونظّره ورويّته^(٢) فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية والجمع للكلمة ، واللمّ للشعث ، والدفع للشتات والفرقة ، والحسم لكيد أعداء النعم ؛ من أهل الكفر والنفاق والغلّ والشقاق ، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما . ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك ، ويسأله العزيمة له على ما فيه الحيرة لهما ولجميع الأمة ، والقوة في أمر الله وحقه وإتلاف أهوائهما ، وصلاح ذات بينهما ، وتحصينهما من كيد أعداء النعم ، وردّ حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما .

فغزم الله لأمر المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله ، وأخذ البيعة منهما لأمر المؤمنين بالسمع والطاعة والإنفاذ لأمره ، واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمر المؤمنين ولهما بأشدّ المواثيق والعهود ، وأغلظ الإيمان والتوكيد ، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتهم^(٣) ومودّتهما وتواصلهما وموازرتهما ومكانفتهم على حسن النظر لأنفسهما ولرعية أمير المؤمنين التي استراهما ، والجماعة لدين الله عز وجلّ وكتابه وسنن نبيّه صلى الله عليه وسلم ، والجهاد لعدو المسلمين ؛ من كانوا وحيث كانوا ، وقطع طمع كل عدوّ مظهر للعداوة ، ومسرّها لها ، وكل منافق

(١) ج : « جميع » .

(٢) ط : « رويته » .

(٣) س : « كلمتهما » .

٦٦٥/٣

ومارق، وأهل الأهواء الضالة المضلّة من تكيد بكيد وتوقعه^(١) بينهما، وبدحس^(٢) يُدحس به لهما ، وما يلتبس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة ، والسعى بالفساد في الأرض ، والدعاء إلى البدع والضلالة ؛ نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومناصحة^(٣) الله ولجميع المسلمين ، وذنباً عن سلطان الله الذي قدره ، وتوحد فيه للذي حملته إياه ، والاجتهاد في كل^(٤) ما فيه قرّة إلى الله ، وما ينال به رضوانه ، والوسيلة عنده .

فلما قدّم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيه في ذلك ، وما نظر فيه لهما ، فقبلاً كلّ ما دعاهما إليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله ، وكتباً لأمير المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما ، بمحضّر ممّن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقوّاده وصحابته وقضاته وحجّبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجّبة ، وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة .

فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كلّهُ في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة ، أمر قضاته الذين شهدوا عليهما ، وحضروا كتابهما ، أن يعلموا جميع ممّن حضر الموسم من الحاجّ والعُمّار وفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما ، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعبّوه ، ويعرفوه ويحفظوه ، ويؤدّوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم ، ففعلوا ذلك ، وقرّئ عليهم الشّرطان جميعاً في المسجد الحرام ، فانصرفوا . وقد اشتهر ذلك عندهم ، وأثبتوا الشهادة عليه^(٥) ، وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحيهم وحقن دمائهم ، ولمّ شعبيهم وإطفاء جَمرة أعداء الله ؛ أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم ، وأظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشكر لما كان منه في ذلك .

٦٦٦/٣

وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبتهما لأمير المؤمنين ابنه محمد وعبد الله في بطن الكعبة في أسفل كتابه ؛ هذا فاحمد الله عزّ

(٢) الدحس : انفساد .

(١) س : « توقّعه » ، ح : « وتوقّعه » .

(٤) س : « عليهم » .

(٣) س : « على كل » .

وجلّ على ما صنع لمحمد وعبد الله وليّ عهد المسلمين حمداً كثيراً ، واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليّ عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمه محمد صلى الله عليه وسلم كثيراً .

وأقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من المسلمين ، وأفهمهم إياه وقمّ به بينهم ، وأثبت في الديوان قبلك وقبل قواد أمير المؤمنين ورعيته قبلك واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك ، إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وبه الحول والقوة والطول .

وكتب إسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بتمين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة .

قال : وأمر هارون الرشيد لعبد الله المأمون بمائة ألف دينار ، وحملت له إلى بغداد من الرقة .

• • •

قال وكان الرشيد بعد مقتل جعفر بن يحيى بالعُمرّ ، صار إلى الرقة ، ثم قدم بغداد ، وقد كانت توالى عليه الشكاية من عليّ بن عيسى بن ماهان من خراسان وكثر عليه القول عنده ، فأجمع على عزّله من خراسان ، وأحبّ أن يكون قريباً منه . فلما صار إلى بغداد شخص بعد مدة منها إلى قمر ماسين ، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائة ، وأشخص إليها عدّة رجال من القضاة وغيرهم ، وأشهدهم أن جميع ما له في عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وما سواه أجمع لعبد الله المأمون ، وأنه ليس فيه قليل ولا كثير بوجه ولا سبب ، وجدّد البيعة له على من كان معه ، ووجه هرثمة بن أعين صاحب حرّسه إلى بغداد ، فأعاد أخذ البيعة على محمد بن هارون أمير المؤمنين وعلى من كان بحضرته لعبد الله والقاسم على النسخة التي كان أخذها عليه الرشيد بمكة ، وجعل أمر القاسم في خلعه وإقراره إلى عبد الله إذا أفضت إليه الخلافة ، فقال : إبراهيم الموصليّ في بيعة هارون لابنيه في الكعبة :

٦٦٧/٣

خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَةٌ وَآخَرُ الْأُمُورِ بِالْتِمَامِ
أَمْرٌ قَضَى إِحْكَامَهُ الرَّحْمَنُ حَمَانٌ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر الخبر عن إيقاع الرشيد بالبرامكة]

فما كان فيها من ذلك قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد وإيقاعه بالبرامكة .

• ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف كان قتله وما فعل به وبأهل بيته :

أما سبب غضبه عليه الذى قتله عنده ، فإنه مختلف فيه ، فمن ذلك ما ذكر عن بختيشوع بن جبريل ، عن أبيه أنه قال : إني لقاعد في مجلس الرشيد ، إذ طلع يحيى بن خالد - وكان فيما مضى يدخل بلا إذن - فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد وسلم ردّ عليه ردّاً ضعيفاً ، فعلم يحيى أن أمرهم قد تغير .

قال : ثم أقبل على الرشيد ، فقال : يا جبريل ، يدخل عليك وأنت في منزلك أحدٌ بلا إذنك ! فقلت : لا ، ولا يطمع في ذلك . قال : فما بالنا بدأ دخل علينا بلا إذن ! فقام يحيى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد منى الله قبلك ، والله ما ابتدأت ذلك الساعة ، وما هو إلا شيء كان خصصني ^(١) به أمير المؤمنين ، ورفع به ذكرى ؛ حتى أن كنت لأدخل وهو في فراشه مجرداً حيناً ، وحيناً في بعض إزاره ؛ وما علمت أن أمير المؤمنين كره ^(٢) ما كان يحب ^(٣) ، وإذ قد علمت فإننى أكون عنده في الطبقة الثانية من أهل الإذن ، أو الثالثة إن أمرنى سيدي بذلك . قال : فاستحيا - قال : وكان من أرق الخلقاء وجهاً - وعيناه في الأرض ، ما يرفع إليه طرفه ، ثم قال : ما أردت ما تكره ؛ ولكن الناس يقولون . قال : فظننت أنه لم يسبح له جواب يرتضيه فأجاب بهذا القول

٦٦٨/٣

ثم أمسك عنه ، وخرج يحيى .

وذُكر عن أحمد بن يوسف أنَّ ثُمَامَةَ بنَ أَشْرَسَ ؛ قال : أوَّل ما أنكر يحيى بن خالد من أمره ، أن محمد بن الليث رفع رسالة إلى الرشيد يعظه فيها ، ويذكر أن يحيى بن خالد لا يغني عنك من الله شيئاً ، وقد جعلته فيما بينك وبين الله ؛ فكيف أنت إذا وقفت بين يديه ، فسألك عما عملت في عبادته وبلاده ، فقلت : يا ربِّ إني استكفيتُ يحيى أمورَ عبادك ! أنراك تحتاج بحجة يرضى بها^(١) ! مع كلام فيه توبيخ وتقرير . فدعا الرشيد يحيى — وقد تقدم إليه خبر الرسالة — فقال: تعرف محمد بن الليث ؟ قال : نعم ، قال : فأتى الرجال هو ؟ قال : متهم على الإسلام ، فأمر به فوضع في المطبق دهرأ ؛ فلما تنكر الرشيد للبرامكة ذكره فأمر بإخراجه ، فأحضر ، فقال له بعد مخاطبة طويلة : يا محمد ، أتجنبي ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : تقول هذا ! قال : نعم ، وضعت في رجلى الأكبال ، وحملت بيني وبين العيال بلا ذنب أتيت ، ولا حدث أحدثت ، سوى قول حاسد يكيد الإسلام وأهله ، ويجب الإلحادَ وأهله ؛ فكيف أحبُّك ! قال : صدقت ، وأمر بإطلاقه ، ثم قال : يا محمد ، أتجنبي ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ ولكن قد ذهب ما في قلبي ، فأمر أن يعطى مائة ألف درهم ، فأحضرت ، فقال : يا محمد ، أتجنبي ؟ قال : أما الآن فنعم ؛ قد أنعمت عليّ ، وأحسنتم إليّ . قال : انتقم الله ممن ظلمك ، وأخذ لك بحقك ممن بعثني عليك . قال : فقال الناس في البرامكة فأكثروا ، وكان ذلك أوَّل ما ظهر من تغيير حالهم .

٦٦٩/٣

قال : وحدثنى محمد بن الفضل بن سنيان ، مولى سليمان بن أبي جعفر . قال : دخل يحيى بن خالد بعد ذلك على الرشيد ، فقام الغلمان إليه ، فقال الرشيد لمسرور الخادم : مر الغلمان ألاّ يقوموا ليحيى إذا دخل الدار . قال : فدخل فلم يقم إليه أحدٌ ، فأربد لونه . قال : وكان الغلمان والحجاب بعد إذا رأوه أعرضوا عنه . قال : فكان ربّما استسقى الشربة من الماء أو غيره ، فلا يسقونه ، وبالحرى إن سقوه أن يكون ذلك بعد أن يدعوا بها مراراً .

(١) س : « يرضاها » .

وذكر أبو محمد اليزيدى - وكان فيما قيل من أعلم الناس بأخبار القوم - قال : مَنْ قال إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله ابن حسن فلا تصدّقه ؛ وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه ، ثم دعا به ليلة من الليالي فسأله عن شيء من أمره ، فأجابه ، إلى أن قال : اتق الله في أمري ، ولا تتعرّض أن يكون خصمك غداً محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فوالله ما أحدثتُ حدثاً ، ولا أويتُ محدثاً . فرقّ عليه ، وقال له : اذهب حيث شئت من بلاد الله . قال : وكيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ بعد قليل فأردّ إليك أو إلى غيرك ! فوجّهته معه مَنْ أدّاه إلى مأمنه . وبلغ الخبر الفضل بن الربيع ، من عين كانت له عليه من خاص خدمه ، فعلا الأمر ، فوجده حقاً ، وانكشف عنده ؛ فدخل على الرشيد فأخبره ، فأراه أنه لا يعبأ بخبره . وقال : وما أنت وهذا لا أمّ لك ! فلعن ذلك عن أمري ؛ فانكسر الفضل ؛ وجاءه جعفر فدعا بالغداء فأكل ، وجعل يلقّمه ويحادثه ، إلى أن كان آخر ما دار بينهما أن قال : ما فعل يحيى بن عبد الله ؟ قال : بحاله ^(١) يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والأكبال . قال : بحياتي ! فأحجم جعفر - وكان من أدقّ الخلق ذهنًا ، وأصحّهم فكراً - وهجس في نفسه أنه قد علم بشيء من أمره ، فقال : لا وحياتك يا سيّدى ولكن أطلقته وعلمتُ أنه لا حياة به ولا مكروه عنده . قال : نعيم ما فعلت ؛ ما عدوت ما كان في نفسي . فلما خرج أتبعه بصره حتى كاد أن يتوارى عن وجهه ، ثم قال : قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك ! فكان من أمره ما كان .

٦٧١/٣

وحدث إدريس بن بدر ، قال : عرض رجل للرشيد وهو يناظر يحيى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نصيحة ؛ فادعُ بي إليك ، فقال لهزيمة : خذ الرجل إليك ، وسلّه عن نصيحته هذه ، فسأله ، فأبى أن يخبره وقال : هي سرّ من أسرار الخليفة ، فأخبر هزيمة الرشيد بقواه ، قال : فقل له لا يبرح الباب حتى أفرغ له ، قال : فلما كان في الهجرة انصرف مَنْ كان عنده ، ودعا به ؛ فقال : أخليني ، فالتفت هارون إلى بنيه ، فقال : انصرفوا يا فتيان ؛

(١) ابن الأثير : « هو بحاله » .

فوثبوا وبقي خاقان وحسين على رأسه ؛ فنظر إليهما الرجل ، فقال الرشيد :
 تَسَحَّيَا عَنِّي ، ففعلا ، ثم أقبل على الرجل ، فقال : هات ما عندك ، فقال :
 على أن تؤمّنتني ! قال : على أن أؤمّنك وأحسن إليك . قال : كنت بحلوان
 في خان من خاناتها ، فإذا أنا ببيحيى بن عبد الله في دُرّاعة صوف غليظة
 وكساء صوف أخضر غليظ ، وإذا معه جماعة ينزلون إذا نزل ، ويرحلون إذا
 رحل ، ويكونون منه بصدد يوهمون مَنْ رَأَوْهُمْ أنهم لا يعرفونه وهم من أعوانه ،
 ومع كل واحد منهم منشور يأمن به إن عُرِضَ له . قال : أو تعرف بيحيى
 ابن عبد الله ؟ قال : أعرفه قديماً ، وذلك الذى حقّق معرفتي به بالأمس ،
 قال : فصفه لي ، قال : مربوع أسمر رقيق السمرة ، أجلع^(١) ، حسن العينين ،
 عظيم البطن . قال : صدقت ؛ هو ذاك . قال : فما سمعته يقول ؟ قال :
 ما سمعته يقول شيئاً ؛ غير أنى رأيته يصلّى ، ورأيت غلاماً من غلمانه أعرفه
 قديماً جالساً على باب الخان ، فلما فرغ من صلاته أتاه بثوب غسيل ،
 فألقاه في عنقه ونزع جبّة الصوف ، فلما كان بعد الزوال صلى صلاة ظننتها
 العصر ، وأنا أرمقه ؛ أطال في الأوليين ، وخفف في الآخرين ، فقال : لله
 أبوك ! لحاد ما حفظت عليه ، نعم تلك صلاة العصر ؛ وذلك وقتها عند القوم ،
 أحسن الله جزاءك ، وشكر سعيتك ! فمن أنت ؟ قال : أنا رجل من أعقاب
 أبناء هذه الدّولة ، وأصلّى من مَسَرُّو ، ومولدى مدينة السلام ، قال : فنزلك
 بها ؟ قال : نعم ؛ فأطرق مليّاً ، ثم قال : كيف احتمالك لمكروه تُمتحن
 به في طاعتي ! قال : أبلغ من ذلك حيث أحبّ أمير المؤمنين ، قال : كن
 بمكانك حتى أرجع . ففطر في حجرة^(٢) كانت خلف ظهره ، فأخرج كيساً
 فيه ألفا دينار ، فقال : خذ هذه ، ودعنى وما أدبر فيك ، فأخذها ، وضمّ
 عليها ثيابه ، ثم قال : يا غلام ، فأجابه خاقان وحسين ، فقال : اصفنا ابن
 اللخناء ، فصفّعهما نحواً من مائة صَفْعَةٍ ، ثم قال : أخرجاه إلى مَنْ بقي
 في الدار ، وعمامته في عنقه ، وقولا : هذا جزاء من يسعى بباطنة أمير المؤمنين
 وأوليائه ! ففعلا ذلك ؛ وتحدّثوا بخبره ؛ ولم يعلم بحال الرجل أحد ، ولا بما

٦٧٢/٣

(١) الجلع : النحسار الشمر عن جانبي الرأس . (٢) ط . « ففطر في حجرة » .

كان ألقى إلى الرشيد ؛ حتى كان من أمر البرامكة ما كان .

وذكر يعقوب بن إسحاق أن إبراهيم بن المهدي حدثه . قال : أتيتُ جعفر بن يحيى في داره التي ابتناها ، فقال لي : أمّا تعجب من منصور بن زياد ؟ قال : قلت فماذا ؟ قال : سألتُه : هل ترى في دارى عيباً ؟ قال : نعم ؛ ليس فيها لبنة ولا ضؤيرة ، قال إبراهيم : فقلت : الذي يعيبها عندي أنك أنفقت عليها نحواً من عشرين ألف ألف درهم ، وهو شيء لا آمنه عليك غداً بين يدي^(١) أمير المؤمنين ، قال : هو يعلم أنه قد وصلني بأكثر من ذلك وضعف ذلك ، سوى ما عرضني^(٢) له . قال : قلت : إن العدو إنما يأتيه في هذا من جهة أن يقول : يا أمير المؤمنين ، إذا أنفق على دار عشرين ألف ألف درهم ، فأين نفقاته ! وأين صلاته ! وأين النواصب التي تنوبه ! وما ظنك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك ! وهذه جملة سريعة إلى القلب ، والموقف^(٣) على الحاصل منها صعب . قال : إن سمع مني قلتُ : إن لأمر المؤمنين نعماً على قوم قد كفروها بالستر لها أو بإظهار القليل من كثيرها^(٤) ؛ وأنا رجل نظرت إلى نعمته عندي ، فوضعتها في رأس جبل ، ثم قلت للناس : تعالوا فانظروا .

وذكر زيد بن علي بن حسين بن زيد أن إبراهيم بن المهدي حدثه أن جعفر بن يحيى ، قال له يوماً - وكان جعفر بن يحيى صاحبته عند الرشيد ، وهو الذي قرّبه منه : إني قد استربت بأمر هذا الرجل - يعني الرشيد - وقد ظننتُ أن ذلك لسابق سبق في^(٥) نفسي منه ، فأردتُ أن أعتبر ذلك بغيري ، فكنت^(٦) أنت ؛ فارمق ذلك^(٧) في يومك هذا ، وأعلمني ما ترى منه . قال : ٦٧٤/٣

ففعلتُ ذلك في يومى ؛ فلما نهض الرشيد من مجلسه كنتُ أول أصحابه نهض عنه ، حتى صرت إلى شجر في طريقى ، فدخلتها ومنّ معي ، وأمرتهم بإطفاء الشمع ، وأقبل الندماء يرمون بي واحداً واحداً ، فأراهم ولا يروني ؛ حتى إذا لم

(٢) أ ، س : « عرضني » .

(٣) س : « سبها » .

(٤) س : « فكيف » .

(١) س : « عند » .

(٢) س : « والتوقف » .

(٣) س : « إلى » .

(٤) س : « إلى » .

يبقى منهم أحد ؛ إذا أنا بجعفر قد طلع ، فلما جاوز الشجر^(١) قال : اخرج يا حبيبي ، قال : فخرجت ، فقال : ما عندك^(٢) ؟ فقلت : حتى تعلمني كيف علمت أني ها هنا ؛ قال : عرفت عنايتك بما أعنى به ، وأنت لم تكن لتنصرف أو^(٣) تعلمني ما رأيت منه ؛ وعلمت أنك تكره أن تُرَى واقفاً في مثل هذا الوقت ، وليس في طريقك موضع أستر من هذا الموضع ، فقضيت بأنك فيه ، قلت : نعم ؛ قال : فهات ما عندك ، قلت : رأيت الرجل يهزل إذا جددت ، ويجدد إذا هزلت . قال : كذا هو عندي ، فانصرف يا حبيبي . قال : فانصرفت .

قال : وحدتني عليّ بن سليمان أنه سمع جعفر بن يحيى يوماً يقول : ليس لدارنا هذه عيب ؛ إلا أن صاحبها فيها قليل البقاء — يعني نفسه .

وذكر عن موسى بن يحيى ، قال : خرج أبي إلى الطواف في السنة التي أصيب فيها ، وأنا معه من بين ولده ، فجعل يتعلق بأستار الكعبة ، ويردد الدعاء ، ويقول : اللهم ذنوبى جمّة عظيمة لا يحصيها غيرك ، ولا يعرّفها سواك . اللهم إن كنت تعاقبني فاجعل عقوبتي في الدنيا ؛ وإن أحاط ذلك بسمعي وبصري ، ومالي وولدي ، حتى تبلغ رضاك ، ولا تجعل عقوبتي في الآخرة .

قال : وحدتني أحمد بن الحسن بن حرب ، قال : رأيت يحيى وقد قابل البيت ، وتعلق بأستار الكعبة ، وهو يقول : اللهم إن كان رضاك في أن تسلبني نعمتك عندي فاسلبني ، اللهم إن كان رضاك في أن تسلبني أهلي وولدي فاسلبني ؛ اللهم إلا الفضل . قال : ثم ولّى ليحضى ؛ فلما قرب من باب المسجد كثر مسرعاً ، ففعل مثل ذلك ، وجعل يقول : اللهم إنه سيج بمثل أن يرغب إليك ثم يستثنى عليك ... اللهم والفضل . قال : فلما انصرفوا من الحج نزلوا الأنبار ، ونزل الرشيد بالعمُر ومعه وليّ العهد ؛ الأمين والمأمون ، ونزل الفضل مع الأمين ، وجعفر مع المأمون ، ويحيى في منزل خالد بن عيسى كاتبه ، ومحمد بن

٦٧٥/٣

(١) س : « جاز في الشجر » . ١ : « حاذى الشجر » . (٢) س : « ما عندهم » .

(٣) س : « حتى » .

يحيى في منزل ابن نوح صاحب الطراز ، ونزل محمد بن خالد مع المأمون بالعمر مع الرشيد ، قال : وخلا الرشيد بالفضل ليلا ، ثم خلع عليه وقلّده ، وأمره أن ينصرف مع محمد الأمين ، ودعا بموسى بن يحيى فرضي عنه وكان غضب عليه بالخيرة في بدأته ، لأن علي بن عيسى بن ماهان اتهمه عند الرشيد في أمر خراسان وأعلمه طاعة أهلها له ، ومحبّتهم إياه ، وأنه يكتبهم ويعمل على الانسلا^(١)ل إليهم والوثوب به معهم ؛ فوقر ذلك في نفس الرشيد عليه وأوحشه منه ؛ وكان موسى أحد الفرسان الشجعان ، فلما قدح علي بن عيسى فيه أسرع ذلك في الرشيد ، وعمل فيه القليل منه ، ثم ركب موسى ديب^(٢)ن ، واختفى من غرمائه ، فتوهم الرشيد أنه صار إلى خراسان ؛ كما قيل له ، فلما صار إلى الخيرة في هذه الحجة وافاه^(٣) موسى من بغداد ، فحبسه الرشيد عند العباس بن موسى بالكوفة ؛ فكان ذلك أول ثلثة ثلّموا بها ؛ فركبت أم الفضل بن يحيى في أمره ، ولم يكن يردّها في شيء ، فقال : يضمّنه أبوه فقد رُفِعَ إلى فيه ، فضمّنه يحيى ودفعه إليه ، ثم رضي عنه ، وخلع عليه ، وكان الرشيد قد عتب على الفضل ابن يحيى ، ونقل مكانه عليه لتركه الشرب معه ؛ فكان الفضل يقول : لو علمت أن الماء ينقص من مروي ما شربته ؛ وكان مشغوفًا بالسماع . قال : وكان جعفر يدخل في منادمة الرشيد ؛ حتى كان أبوه ينهاه عن منادمته ، ويأمره بترك الأنس به ، فيترك أمر أبيه ، ويدخل معه فيما يدعوه إليه .

وذكر عن سعيد بن هريم أن يحيى كتب إلى جعفر حين أعيته حيلته فيه : إني إنما أهملتك ليعثر الزمان بك عشرة تعرف بها أمرك ؛ وإن كنت لأخشى أن تكون التي لا شوى لها^(٣) . قال : وقد كان يحيى قال للرشيد : يا أمير المؤمنين ، أنا والله أكره مداخلة جعفر معك ؛ ولست آمن أن ترجع العاقبة في ذلك على منك ، فلو أعفيت^(٤)ه واقتصرت به على ما يتولاه من جسم أعمالك ، كان ذلك واقعا بموافقتي ، وآمن لك علي . قال الرشيد : يا أبت ليس بك هذا ؛ ولكنك إنما تريد أن تقدّم عليه الفضل .

(٢) ج : « وآتاهم » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٤) ط : « أعفيت » .

(١) من : « الانسلا » .

(٣) لا شوى لها : لا برة معها .

وقد حدثني أحمد بن زهير - أحسبه عن عمته زاهر بن حرب - أن سبب هلاك جعفر والبرامكة أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسية بنت المهدي ، وكان يُحضرهما إذا جلس للشرب ؛ وذلك بعد أن أعلم جعفرًا قلة صبره عنه وعنهما ، وقال لجعفر : أزوجهما ليحل لك النظر إليهما إذا أحضرتهما مجلسي ، وتقدم إليه ألا يمسها ، ولا يكون منه شيء مما يكون للرجل إلى زوجته ؛ فزوجها منه على ذلك ، فكان يُحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب ، ثم يقوم عن مجلسه ويخليهما ، فيشملان من الشراب ، وهما شابان ، فيقوم إليها جعفر فيجامعها ، فحملت منه وولدت غلامًا ، فخافت على نفسها من الرشيد إن علم بذلك ، فوجهت بالمولود مع حواضن له من ممالكها إلى مكة ، فلم يزل الأمر مستورًا^(١) عن هارون ، حتى وقع بين عباسية وبين بعض جواريتها شر ، فأنهت أسرها وأمر الصبي إلى الرشيد ، وأخبرته^(٢) بمكانه ؛ ومع من هو من جواريتها ، وما معه من الحلوى الذي كانت زينتته به أمه ؛ فلما حج هارون هذه الحجة ، أرسل إلى الموضع الذي كانت الجارية أخبرته أن الصبي به من يأتيه بالصبي وبمن معه من حواضنه ، فلمّا أحضروا سأل الاواق معهن الصبي ، فأخبرته بمثل القصة التي أخبرته بها الرافعة على عباسية ، فأراد - فيما زعم قتل الصبي - ، ثم تحوّب من ذلك .

وكان جعفر يتخذ للرشيد طعامًا كلما حجّ بعُسفان فيقرّيه^(٣) إذا انصرف شاخصًا من^(٤) مكة إلى العراق ؛ فلما كان في هذا العام ، اتخذ الطعام جعفر كما كان يتخذ هنالك ، ثم استزاره فاعتلّ عليه الرشيد ، ولم يحضر طعامه ، ولم يزل جعفر معه حتى نزل منزله^(٥) من الأنبار ؛ فكان من أمره وأمر أبيه ما أنا ذاكره إن شاء الله تعالى .

ذكر الخبر عن مقتل جعفر

ذكر الفضل بن سليمان بن عليّ أن الرشيد حجّ في سنة ست وثمانين ومائة

٦٧٨/٣

(١) ج : « مستورًا » . (٢) ج : « أخبرته » . (٣) س : « فيعدي » .

(٤) س : « حج » . (٥) س : « نزل منزله » .

وأنه انصرف من مكة، فوافى الحيرة في المحرم من سنة سبع وثمانين ومائة عند انصرافه من الحج، فأقام في قصر عون العبادي أياماً، ثم شخص في السفن حتى نزل العمُر الذي بناحية الأنبار، فلما كان ليلة السبت لانسلاخ المحرم، أرسل مسروراً الخادم معه حمّاد بن سالم أبو عصمة في جماعة من الجند، فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلاً، ودخل عليه مسرور وعنده ابن بختيشوع المتطبب وأبوزكّار الأعمى المغني الكلوزاني، وهو في لهوه، فأخرجه إخراجاً عنيفاً يقوده، حتى أتى به المنزل الذي فيه الرشيد، فحبسه وقيّده بقيد حمار، وأخبر الرشيد بأخذه إياه ومجيئه به، فأمر بضرب عنقه، ففعل ذلك.

وذكر عن علي بن أبي سعيد أن مسروراً الخادم، حدثه قال: أرسلني الرشيد لآتيه بجعفر بن يحيى لَمَّا أراد قتله، فأتيته وعنده أبو زكّار الأعمى المغني وهو يغني:

فلا تَبْعَدُ فكلُّ فتى سِيَّانِي عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغَادِي

قال: فقلت له: يا أبا الفضل، الذي جئت له من ذلك قد والله طرقت، أجب أسير المؤمنين، قال: فرفع يديه، ووقع على رجليّ يقبلهما، وقال: حتى أدخل فأوصي، قلت: أما الدخول فلا سبيل إليه، ولكن أوص بما شئت، ففقدت في وصيته بما أراد، وأعتق مماليكه، ثم أتتني رسل أمير المؤمنين تستحثني به، قال: فغضبتُ به إليه فأعلمته، فقال لي وهو في فراشه: ٦٧٩/٣
أتتني برأسه، فأتيت جعفر فأخبرته، فقال: يا أبا هاشم، الله الله! والله ما أمرك بما أمرك به إلا وهو سكران، فدافع بأمرى حتى أصبح أؤامره في ثانية، فعدت لأؤامره، فلما سمع حسبي، قال: يا ماضٍ بَطْطُرْ أَمَتَهُ، أتتني برأس جعفر! فعدت^(١) إلى جعفر، فأخبرته، فقال: عاوده في ثالثة، فأتيته، فحالفني بعمود ثم قال: نُفِيت من المهدي إن أئت جشسي ولم تأتني برأسه، فأتتني^(٢) بذلك سبي^(٣) وأتيت برأسه أولاً، ثم برأسه آخرأً، قال: فخرجت فأتيته برأسه.

قال : وأمر الرشيد في تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ، ومن كان منهم ^(١) بسبيل ، فلم يفلت منهم أحد كان حاضراً ، وحوّل الفضل بن يحيى ليلاً فحبس في نلحية من منازل الرشيد ، وحبس يحيى ابن خالد في منزله ، وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام أو إلى غيرها ، ووجه من ليلته رجاء الخادم إلى الرقة في قبض أموالهم وما كان لهم ؛ وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم ، ولأه أمورهم ، وفرق الكتب من ليلته إلى جميع العمال في نواحي البلدان والأعمال بقبض أموالهم ، وأخذ وكلائهم . فلما أصبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفائي وهرثمة بن أعين وإبراهيم بن حميد المروزي ، وأتبعهم عدة من خدمه وثقاته منهم مسرور الخادم إلى منزل جعفر بن يحيى ، وإبراهيم بن حميد وحسين الخادم إلى منزل الفضل بن يحيى ، ويحيى بن عبد الرحمن ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد ابن يحيى ، وجعل معه هرثمة بن أعين ، وأمر بقبض جميع ما لهم ، وكتب إلى السدي الحرشي بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السلام ، ونصب رأسه على الجسر الأوسط وقطع جثته ، وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل . ففعل السدي ذلك ، وأمضى الخدم ما كانوا وجتوا فيه ، وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصغر إلى الرشيد ، فأمر بإطلاقهم ، وأمر بالنداء في جميع البرامكة : ألا أمان إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه ؛ فإنه استثناهم ؛ لما ظهر من نصيحة محمد له ، وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة . وخلّى سبيل يحيى قبل شخوصه من العمر ، ووكل بالفضل ومحمد وموسى بن يحيى ، وبأبي المهدي صهرهم حفظة من قبل هرثمة بن أعين ، إلى أن وافى بهم الرقة ، فأمر الرشيد بقتل أنس بن أبي شيخ يوم قدم الرقة ، وتولّى قتله إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، ثم صلب . وحبس يحيى بن خالد مع الفضل ومحمد في دير القائم ، وجعل عليهم حفظة من قبل مسرور الخادم وهرثمة بن أعين ، ولم يفرق بينهم وبين عدة

٦٨٠/٣

٦٨١/٣ من خدمهم ، ولا ما يحتاجون إليه ، وصير معهم زبيدة بنت منير أم الفضل ودنانير جارية يحبي وعدة من خدمهم وجواريهم . ولم تزل حالهم سهلة إلى أن سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح ، فعمهم بالثقيف^(١) بسخطه ، وجدد له ولم التهمة عند الرشيد ، فضيق عليهم .

وذكر الزبير بن بكار أن جعفر بن الحسين اللهيبي حدثه أن الرشيد أتى بأنس ابن أبي شيخ صبح اليلة التي قتل فيها جعفر بن يحيى ، فدار بينه وبينه كلام ، فأخرج الرشيد سيفاً من تحت فراشه ، وأمر أن تضرب عنقه ، وجعل يتمثل بيت قيل في قتل أنس قبل ذلك :

تَلَمَّظَ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنْسٍ فَالسَّيْفُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

قال : فضرب عنقه ، فسبق السيف الدم ، فقال الرشيد : رحم الله عبد الله ابن مصعب . وقال الناس : إن السيف كان سيف الزبير بن العوام .

وذكر بعضهم أن عبد الله بن مصعب كان على خبر الناس للرشيد ، فكان أخبره عن أنس أنه على الزندقة ، فقتله لذلك ، وكان أحد أصحاب البرامكة .

وذكر محمد بن إسحاق أن جعفر بن محمد بن حكيم الكوفي ، حدثه قال : حدثني السدي بن شاهك ، قال : إني لجالس يوماً ، فإذا أنا بخادم قد قدم على البريد ، ودفع إلى كتاباً صغيراً ، ففضضته ، فإذا كتاب الرشيد بخطه فيه :

٦٨٢/٣ بسم الله الرحمن الرحيم : يا سدي ، إذا نظرت في كتابي هذا ، فإن كنت قاعداً فقم ، وإن كنت قائماً فلا تقعد حتى تصير إلى . قال السدي : فدعوت بدواي ، ومضيت . وكان الرشيد بالعمر ، فحدثني العباس بن الفضل بن الربيع ، قال : جلس الرشيد في الزو^(٢) في الفرات ينتظر ، وارتفعت غبرة ، فقال لي : يا عباس ، ينبغي أن يكون هذا السدي وأصحابه ! قلت : يا أمير المؤمنين ،

(١) عمهم بالثقيف بسخطه ، أي أخذهم بذلك .

(٢) الزو : نوع من السفن .

ما أشبهه أن يكون هو ! قال : فطلعت . قال : السندی : فنزلت عن دابتي ^(١) ، ووقفت ، فأرسل إلى الرشيد فصرت إليه ، ووقفت ساعة بين يديه ، فقال لمن كان عنده من الخدم : قوموا ، فقاموا فلم يبق إلا العباس بن الفضل وأنا ، ومكث ساعة ، ثم قال للعباس : اخرج ومُر برفع التختاتج المطروحة على الزوّ ، ففعل ذلك ، فقال لي : ادنُ مني ، فدنوت منه ، فقال لي : تدري فيم أرسلت إليك ؟ قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : قد بعثت إليك في أمر لو علم به زرّ قميصي رميتُ به في الفرات ، يا سندی مَنْ أوثق قوادي عندي ؟ قلت : هرثة ، قال : صدقت ، فن أوثق خدي عندي ؟ قلت : مسرور الكبير ، قال : صدقت ، امض من ساعتك هذه وجدّ في سيرك حتى توافي مدينة السلام ، فاجمع ثقات أصحابك وأرباعك ، ومُرهم أن يكونوا وأعوانهم على أهبة ^(٢) فإذا انقطعت الزّجّل ^(٣) ، فصر إلى دور البرامكة ، فوكل بكلّ باب من أبوابهم صاحب ربع ، ومُرّه أن يمنع مَنْ يدخل ويخرج - خلا باب محمد بن خالد - حتى يأتيك أمرى . قال : ولم يكن حرك البرامكة في ذلك الوقت . قال السندی : فجئت أركض ، حتى أتيت مدينة السلام ، فجمعت أصحابي ، وفعلت ما أمرني به . قال : فلم ألبث أن أقدم على هرثة ابن أعين ، ومعه جعفر بن يحيى على بغل بلا أكاف ، مضروب العنق ، وإذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني أن أشطره باثنين ؛ وأن أصلبه على ثلاثة جسور . قال : ففعلت ما أمرني به .

٦٨٣/٣

قال محمد بن إسحاق : فلم يزل جعفر مصلوباً حتى أراد الرشيد الخروج إلى خراسان ، فضيقت فنظرت إليه ، فلما صار بالجانب الشرقى على باب خزيمة بن خازم ، دعا بالوليد بن جُشم الشّاري من الحبس ، وأمر أحمد بن الجعيد الحُتلي - وكان سيّافه - فضرب عنقه ، ثم التفت إلى السندی ، فقال : ينبغي أن يحرق هذا - يعني جعفرًا - فلما مضى ، جمع السندی له شوكة وحطباً وأحرقه .

(٢) ج : « على أهبة وأعوانهم » .

(١) ١ ، من : « دوابي » .
(٣) الزّجّل : الجماعة من الناس .

وقال محمد بن إسحاق : لما قتل الرشيد جعفر بن يحيى ، قيل ليحيى بن خالد : قتل أمير المؤمنين ابنك جعفرًا ، قال : كذلك يُقتل ابنه ، قال : فقيل له : خربت ديارك ، قال : كذلك تُخرب دورهم .

وذكر الكرماني أن بشارًا الترمكي حدثه أن الرشيد خرج إلى الصيد وهو بالعُصم في اليوم الذي قتل جعفرًا في آخره ؛ فكان ذلك اليوم يوم الجمعة ، وجعفر ابن يحيى معه ، قد خلا به دون ولاية العهد ؛ وهو يسير معه ، وقد وضع يده على عاتقه ؛ وقبل ذلك ما غلغله بالغالية بيد نفسه ؛ ولم يزل معه ما يفارقه حتى انصرف مع المغرب ، فلما أراد الدخول ضمّه إليه ، وقال له : لولا أني على الجلوس الليلة مع النساء لم أفارقك ، فأقم أنت في منزلك ، واشرب أيضًا واطرب ؛ لتكون أنت في مثل حالي ، فقال : لا والله ما^(١) أشتي ذلك إلا معك ، فقال له : بحياتي لما شربت ؛ فانصرف عنه إلى منزله ؛ فلم تزل رسل الرشيد عنده ساعة بعد ساعة تأتيه بالأنفال والأبخرة والرياحين ؛ حتى ذهب الليل . ثم بعث إليه مسرورًا فحبس عنده ، وأمر^(٢) بقتله وحبس الفضل ومحمد وموسى ، ووكل سلامًا الأبرش بباب يحيى بن خالد ، ولم يعرض لمحمد بن خالد ولا لأحد من ولده وحبسه .

قال : فحدثني العباس بن بزيع عن سلام ، قال : لما دخلت على يحيى في ذلك الوقت - وقد هتكت الستور وجُمع المتاع - قال لي : يا أبا سلمة ؛ هكذا تقوم الساعة ! قال سلام : فحدثت بذلك الرشيد بعد ما انصرفت إليه ؛ فأطرق مفكرًا .

قال وحدثني أيوب بن هارون بن سليمان بن علي ، قال : كان سكني إلى يحيى ، فلما نزلوا الأنبار خرجت إليه فأنا معه في تلك العشيّة التي كان آخر أمره ، وقد صار إلى أمير المؤمنين في حرّاقته ، فدخل إليه من باب صاحب الخاصّة ، فكلّمه في حوائج الناس وغيرها من إصلاح الثغور وغزو البحر ، ثم خرج ، فقال للناس : قد أمر أمير المؤمنين بقضاء حوائجكم ، وبعث إلى

(٢) ج : « ثم أمره » .

(١) س : « لا » .

أبي صالح يحيى بن عبد الرحمن يأمره بإتفاذ ذلك، ثم لم يزل يحدّثنا عن أبي مسلم وتوجيه معاذ بن مسلم حتى دخل منزله بعد المغرب ، ووافانا في وقت السحر خبر مقتل جعفر وزوال أمرهم . قال : فكتب إلى يحيى أعزيه ، فكتب إلى : أنا بقضاء الله راض ، وبالحيار منه علم ، ولا يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم ، وما ربك بظلام للعبيد . وما يعفو الله أكثر ، والله الحمد .

٦٨٥/٣

قال : وقتل جعفر بن يحيى في ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة - وفي ذلك يقول الرقاشي :

أَيَا مَبْنَتْ يَا شَرَّ السُّبُوتِ صَبِيحَةً وَيَا صَفْرُ الْمَشْثُومِ مَا جِئْتَ أَشْأَمًا
أَتَى السُّبُوتُ بِالْأَمْرِ الَّذِي هَدَّ رُكْنَنَا وَفِي صَفْرِ جَاءَ الْبَلَاءُ مُصَمَّمًا

قال : وذكر عن مسرور أنه أعلم الرشيد أن جعفرًا سأله أن تقع عينه عليه ، فقال : لا ، لأنه يعلم إن وقعت عيني عليه لم أقتله .

* * *

[ما قيل في البرامكة من الشعر بعد زوال أمرهم]

قال : وفيهم يقول الرقاشي ، وقد ذكر أن هذا الشعر لأبي نواس :

أَلَا نَ اسْتَرْحَنَا وَاسْتَرْاحْتَ رِكَابَنَا وَأَمْسَكَ مِنْ يُجْدِي وَمَنْ كَانَ يَجْتَدِي
فَقُلْ لِلْمَطَايَا قَدْ أَمِنْتَ مِنَ السَّرَى وَطَى الْفِيَا فِي فِدْفَدًا بَعْدَ فِدْفَدٍ
وَقُلْ لِلْمَنَايَا قَدْ ظَفِرْتَ بِجَعْفَرٍ وَلَنْ تَظْفِرِي مِنْ بَعْدِهِ بِمُسَوْدٍ
وَقُلْ لِلْعَطَايَا بَعْدَ فَضْلِ نَعَطَلِي وَقُلْ لِلرَّزَايَا كُلَّ يَوْمٍ تَجْدَدِي
وَدُونَكَ صَيْفًا بِرَمَكِيًّا مُهَنْدًا أَصِيبَ بِسَيْفٍ هَاشِمِيٍّ مُهَنْدٍ

٦٨٦/٣

وفيهم يقول في شعر له طويل :

إِنْ يَغْدِرِ الزَّمَنُ الْخَثُونُ بِنَا فَقَدْ غَدَرَ الزَّمَانُ بِجَعْفَرٍ وَمُحَمَّدٍ
حَتَّى إِذَا وَضَحَ النَّهَارُ تَكَشَّفَتْ عَنْ قَتْلِ أَكْرَمِ هَالِكٍ لَمْ يُلْحَدِ

وَالْبَيْضُ لَوْلَا أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ
يَا آلَ بَرْمَكٍ كَمْ لَكُمْ مِنْ نَائِلٍ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ - لَا يَشْكُ - أَخَوَكُمْ
نَازَعْتُمُوهُ رِضَاعَ أَكْرَمِ حُرَّةٍ
مَلِكُ لَهُ كَانَتْ يَدُ فَيَاضَةٍ
كَانَتْ يَدًا لِلْجُودِ حَتَّى غَلَّهَا

وفيهم يقول سيف بن إبراهيم :

هُوتَ أَنْجُمُ الْجَدَوَى وَشَلَّتْ يَدُ النَّدَى
هُوتَ أَنْجُمُ كَانَتْ لِأَبْنَاءِ بَرْمَكٍ

وقال ابن أبي كريمة :

كُلُّ مُعِيرٍ أُعِيرَ مَرْتَبَةً
صَالَتْ عَلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ يَدٌ

وقال العطوى أبو عبد الرحمن :

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا قَوْلُ وَائِشٍ
لَطَفْنَا حَوْلَ جِذْعِكَ وَاسْتَلَمْنَا
عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا جَمِيعًا

وفى قتل جعفر قال أبو العتاهية :

قُولًا لِمَنْ يَرْتَجِي الْحَيَاةَ أَمَّا
كَانَا وَزَيْرَى خَلِيفَةَ اللَّهِ هَا
فَذَاكُمْ جَعْفَرُ بَرْمَتِهِ

مَا قُلَّ حَدُّ مُهَنْدٍ بِمُهَنْدٍ
وَنَدَى ، كَعَدَّ الرَّمْلَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ
لَكِنَّهُ فِي بَرْمَكٍ لَمْ يُوَلَّدِ
مَخْلُوقَةٍ مِنْ جَوْهَرٍ وَزَبَرْجِدٍ
أَبَدًا تَجُودُ بِطَارِفٍ وَبِمُتَلَدٍ
قَدَرُ فَأُضْحَى الْجُودِ مَغْلُولَ الْيَدِ

١٨٧/٣

وَعَاضَتْ بِحُورِ الْجُودِ بَعْدَ الْبَرَامِكِ
بِهَا يَعْرِفُ الْحَادِي طَرِيقَ الْمَسَالِكِ

بَعْدَ فَتَى بَرْمَكٍ عَلَى غَرَرٍ
كَانَ بِهَا صَائِلًا عَلَى الْبَشَرِ

وَعَيْنُ لِلْخَلِيفَةِ لَا تَنَامُ
كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجَرِ اسْتِلَامُ
وَدَوْلَةِ آلِ بَرْمَكٍ السَّلَامُ

فِي جَعْفَرٍ عِبْرَةٌ وَيَحْيَاهُ !
رَوْنَ هَمَا مَا هُمَا خَلِيلَاهُ
فِي حَالِ رَأْسِهِ وَنِصْفَاهُ

والشيخ يحيى الوزير أصبح قد نحاه عن نفسه وأقصاه
 شئت بعد التجميع شملهم فأصبحوا في البلاد قد تاهوا
 كذلك من يُسَخِّطُ الإله بما يرضى به العبد يجزره الله
 سبحانه من دانت الملوك له أشهد أن لا إله إلا هو
 طوبى لمن تاب بعد غرته فتاب قبل الممات، طوباه!

٦٨٨/٣

قال: وفي هذه السنة هاجت العصبية بدمشق بين المضريّة والبيانية، فوجّه الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم .

وفيها زُلزِلَتِ المَصْبِيصة فانهدم بعض سورها ، ونضب ماؤهم ساعة الليل .

وفيها خرج عبد السلام بآمِد ، فحكّم ، فقتله يحيى بن سعيد العُقَيْلِيّ .

وفيها مات يعقوب بن داود بالرقّة .

وفيها أغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة ، فوهبه لله ، وجعله قرباناً له ووسيلة ، وولاه العواصم .

* * *

[ذكر الخبر عن غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح]

وفيها غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح وحبيه .

* ذكر الخبر عن سبب غضبه عليه وما أوجب حبه :

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أن عبد الملك بن صالح كان له ابن يقال له عبد الرحمن ، كان من رجال الناس ، وكان عبد الملك يكنى به ؛ وكان لابنه عبد الرحمن لسان ، على فأفأة فيه ، فنصب لأبيه عبد الملك وقمّامة^(١) ، فسعيا به إلى الرشيد ، وقال له : إنه يطلب الخلافة ويطمع فيها ، فأخذه وحبه عند الفضل بن الربيع ؛ فدُكر أن عبد الملك بن صالح أدخل على الرشيد حين سخط عليه ، فقال له الرشيد : أكفراً بالنعمة ، وجحوداً لجليل المنّة

٦٨٩/٣

(١) ابن الأثير : « فسمى بأبيه هو وقامة كاتب أبيه » .

والتكرمة! فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد بؤتُ إذًا بالندم، وتعرّضت لاستحلال النِّقَم ؛ وما ذاك إلا بغىُ حاسد نافسى فيك مودة القرابة وتقديم الولاية. إنك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته، وأمينه على عثرته ، لك فيها فرض^(١) الطاعة وأداء النصيحة ، ولها عليك العدل في حكمها والتثبت في حادتها ، والغفران لذنوبها . فقال له الرشيد : أتضع لى من لسانك، وترفع لى من جنانك ! هذا كاتبك قُمامة يخبر بقلبك، وفساد نيتك ، فاسمع كلامه . فقال عبد الملك : أعطاك ما ليس فى عقده ؛ ولعله لا يقدر أن يعصهنى ولا يبهتنى بما لم يعرفه منى . وأحضر قُمامة ، فقال له الرشيد : تكلم غير هائب ولا خائف ، قال : أقول : إنه عازم على الغدر بك والخلاف عليك ، فقال عبد الملك : أهو كذاك يا قمامة ! قال قمامة : نعم ، لقد أردتَ ختل أمير المؤمنين، فقال عبد الملك : كيف لا يكذب على من خلقى وهو يبهتنى فى وجهى ! فقال له الرشيد : وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرنى بعثوك^(٢) وفساد نيتك ، ولو أردتُ أن أحتج عليك بحجة لم أجد أعدل من هذين لك ، فم تدفعهما عنك؟ فقال عبد الملك بن صالح : هو مأمور، أو عاق مجبور^(٣) ؛ فإن كان مأموراً فعدور^(٤) ، وإن كان عاقاً ففاجر كفور ؛ أخبر الله عز وجل بعبادته ، وحذر منه بقوله : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاسْتَخْذَرُوهُمْ ﴾^(٥) .

قال : فنهض الرشيد ، وهو يقول : أمّا أمرك فقد وضح ، ولكنى لا أعجل حتى أعلم الذى يرضى الله فىك ؛ فإنه الحكم بينى وبينك . فقال عبد الملك : رضيتُ بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً ؛ فإنى أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه .

قال : فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر، فسلم لما دخل، فلم يرد عليه ، فقال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ، ولا أجاذب منازعاً

(٢) ج : « بئلك » .

(٤) ج : « فغور » .

(١) س : « علينا فرض الطاعة » .

(٢) س : « مجنون » .

(٥) سورة التغابن ١٤ .

وخصماً . قال : ولم يم ؟ قال : لأنَّ أوله جرى على غير السنَّة ؛ فأنا أخاف آخره .
قال : وما ذاك ؟ قال : لم تردَّ على السلام ، أنصفَ نصفَ العوام . قال :
السلام عليكم ؛ اقتداء بالسنة ، وإيثاراً للعدل ، واستعمالاً للتحية . ثم التفت
نحو سليمان بن أبي جعفر ، فقال وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :
أريدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي البيت ^(١) .

ثم قال : أما والله لكأني أنظرُ إلى شُرُوبِهَا ^(٢) قد همع ، وعارضها ^(٣)
قد لمع ؛ وكأني بالوعيد قد أوري نارا تَسْطَعُ ، فأقلع ^(٤) عن براجم بلا معاصم ^(٥)
ورءوس بلا غلاصم ^(٦) ؛ فهلاً ؛ فبسي والله سهلاً لكم الوعر ، وصفا لكم
الكدر ، وألقت إليكم الأمور أثناء أزمَّتْها ، فنذار لكم نذار ، قبل حلول
داهية خبوط باليد ، لبوط بالرجل . فقال عبد الملك : اتق الله يا أمير المؤمنين
فيما ولأك ، وفي رعيته التي استرعاك ؛ ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا
العقاب موضع الثواب ، فقد نخلتُ لك النصيحة ، ومحضتُ لك الطاعة ،
وشددت أواخِي ملكك بأنقل من رُكْنِي يَلْمَلَمُ ، وتركتُ عدوك مشتغلا .
فإنَّ الله في ذى رحمك أن تقطعه ، بعد أن بليتته بظن أفصح الكتاب لي
بعضه ، أو يبغى باغ ينهس اللحم ، ويألغ الدم ^(٨) ، فقد والله سهلتُ لك
الوعور ، وذلت لك الأمور ، وجمعت على طاعتك القلوب في الصدور ؛
فكم من ليلٍ تمام فيك كابدته ، ومقام ضيق قمته ؛ كنت كما قال أخو
بنى جعفر بن كلاب :

وَمَقَامُ ضَيْقِ فَرَجْتُهُ بَيْنَانِي وَلِسَانِي وَجَدَلُ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَّالُهُ زَلٌّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلُ

٦٩٢/٣

(١) لعمرو بن معدى كرب ، اللؤلؤ ١٢٨ ، وبقية :

• عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ •

- (٢) الشُّبُوبُ : الدفعة من المطر . (٣) المارض : السحاب المتعرض في الأفق .
(٤) ج : « فنقل » . (٥) البراجم : مفاصل الأصابع . والمعصم : اليد ؛
وجمه معاصم . (٦) الفلصمة : اللحم بين الرأس والعنق ؛ وجهه غلاصم .
(٧) أعضه فلاناً : بهت وقال ما ليس فيه .
(٨) ولغ الكلب في الإناء ، يلغ ويألغ ، أى شرب منه .

قال : فقال له الرشيد : أما والله لو لا الإبقاء على بنى هاشم لضربت عنقك .

وذكر زيد بن عليّ بن الحسين العلويّ، قال : لما حبس الرشيد عبد الملك ابن صالح ، دخل عليه عبد الله بن مالك— وهو يومئذ على شرطه— فقال : أقي إذن أنا فأتكلم ؟ قال : تكلم ، قال : لا ، والله العظيم يا أمير المؤمنين ، ما علمتُ عبد الملك إلا ناصحاً ، فعلام حبسته ! قال : ويحك ! بلغني عنه ما أوحشني ولم آمنه أن يضرب بين^(١) ابنيّ هذين — يعني الأمين والمأمون — فإن كنت ترى أن نطلقه^(٢) من الحبس^(٣) أطلقناه . قال : أمّا إذ حبسته يا أمير المؤمنين ، فليست أرى في قرب المدة أن تطلقه ؛ ولكن أرى أن تحبسه محبساً كريماً يشبه محبس^(٤) مثلك مثله . قال : فأني أفعل . قال : فدعا الرشيد الفضل بن الربيع ، فقال : امض إلى عبد الملك بن صالح إلى محبسه ، فقل له : انظر ما تحتاج إليه في محبسك فأمرّ به حتى يقام لك ؛ فذكر قصته وما سأل .

قال : وقال الرشيد يوماً لعبد الملك بن صالح في بعض ما كلمه : ما أنت لصالح ! قال : فلمن أنا ؟ قال : لمروان الجعديّ ، قال : ما أبالي أيّ الفحلين غلب عليّ ؛ فحبسه الرشيد عند الفضل بن الربيع ؛ فلم يزل محبوساً حتى توفّي الرشيد ، فأطلقه محمد ، وعقد له على الشام ؛ فكان مقيماً بالرقّة ، وجعل محمد عهد الله وميثاقه : لئن قتل وهو حي لا يعطى المأمون طاعة أبداً . فمات قبل محمد ، فدُفن في دار من دور الإمارة ، فلما خرج المأمون يريد الروم أرسل إلى ابن له : حول أباك من داري ، فنُبشت عظامه وحوّلت . وكان قال لمحمد : إن خفت فاجلأ إلىّ ، فوالله لأصوننك .

وذكر أن الرشيد بعث في بعض أيامه إلى يحيى بن خالد : إن عبد الملك ابن صالح أراد الخروج ومنازعتي في الملك ، وقد علمت ذلك ، فأعلمني ما عندك فيه ، فإنك إن صدقتني أعدتُك إلى حالك ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما اطلعت من عبد الملك على شيء من هذا ؛ ولو اطلعت عليه لكنت صاحبه

(٢) س : « أطلقه » .

(٤) س : « حبس » .

(١) س : « بين وبين ابني » .

(٣) س : « السجن » .

دونك ؛ لأن ملكك كان ملكي ، وسلطانك كان سلطاني ، والخير والشر كان فيه عليّ ولي ؛ فكيف يجوز لعبد الملك أن يطمع في ذلك مني ! وهل كنت إذا فعلت ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك ! أعيذك بالله أن تظنّ بي هذا الظنّ ؛ ولكنّه كان رجلاً محتلاً ، يسرّني ^(١) أن يكون في أهلك مثله ، فوليتّه ، لما أحمدت من مذهبه ، وملت إليه لأدبه واحتماله . قال : فلما أتاه الرسول بهذا أعاد إليه ، فقال : إن أنت لم تقرّ عليه قتلت الفضل ابنك ^(٢) ، فقال له : أنت مسلّط علينا فافعل ما أردت ؛ عليّ أنه إن كان من هذا الأمر شيء فالذنب فيه لي ، فبم ^(٣) يدخل الفضل في ذلك ^(٤) ! فقال الرسول للفضل : قم ؛ فإنه لا بدّ لي من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيك ؛ فلم يشكّ أنه قاتله ، فودّع أباه ، وقال له : ألسنت راضياً عني ؟ قال : بلى ، فرضى الله عنك . ففرّق بينهما ثلاثة أيام ؛ فلما لم يجد عنده من ذلك شيئاً جمعهما كما كانا . وكان يأتيهم منه أغلظ رسائل ، لما كان أعداؤهم يقرّونهم به عنده ، فلما أخذ مسرور بيد الفضل كما أعلمه ^(٥) ، بلغ من يحبي ، فأخرج ما في نفسه ، فقال له : قل له : يُقتل ابنك مثله . قال مسرور : فلما سكن عن الرشيد الغضب ، قال : كيف قال ؟ فأعدت عليه القول ، قال : قد خفت والله قوله ؛ لأنه قلّما قال لي شيئاً إلا رأيت تأويله .

٦٩٤/٣

وقيل : بينما الرشيد يسير وفي موكبه عبد الملك بن صالح ، إذ هتف به هاتف وهو يساير عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، طأطى من إشرافه وقصّر من عنانه ، واشدّد من شكائمه ؛ وإلاّ أفسد عليك ناحيته . فالتفت إلى عبد الملك ، فقال : ما يقول هذا يا عبد الملك ؟ فقال عبد الملك : مقال باغ ودسيس حاسد ؛ فقال له هارون : صدقت ، نَقَصَ القوم فضلتهم ، وتَحَلَّسُوا وتقدّمتهم ؛ حتى برز شأوك ، فقصّر عنه غيرك ؛ ففي صدورهم جمرات التخالف ، وحزازات النقص . فقال عبد الملك : لا أطفأها الله وأصرمها عليهم حتى تورثهم كمدّاً دائماً أبداً .

(٢) س : « يعني ابنه » .

(٤) س : « هذا » .

(١) س : « فسر » .

(٣) أ ج : « فادخل الفضل » .

(٥) كذا في الوقط : « لما أعلمه » .

وقال الرشيد لعبد الملك بن صالح وقد مرّ بمنبج، وبها مستقرّ عبد الملك :
هذا منزلك ؟ قال : هو لك يا أمير المؤمنين ، ولى بك . قال : كيف هو ؟
قال : دون بناء أهليّ وفوق منازل منبج ، قال : فكيف ليها ؟ قال : سحرّ
كله .

° ° °

[ذكر الخبر عن دخول القاسم بن الرشيد أرض الروم]

وفي هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم في شعبان ، فأناخ
على قرّة وحاصرها ، ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث ، فأناخ
على حصن سنان حتى جهدوا ، فبعثت إليه الروم تبذل له ثلثمائة وعشرين
رجلا من أسارى المسلمين ؛ على أن يرحل عنهم ؛ فأجابهم إلى ذلك ، ورحل
عن قرّة وحصن سنان صلحا .

ومات على بن عيسى بن موسى في هذه الغزاة بأرض الروم ، وهو مع
القاسم .

° ° °

[ذكر الخبر عن نقض الروم الصلح]

وفي هذه السنة نقض صاحب الروم الصلح الذي كان جرى بين الذي
قبله وبين المسلمين ، ومنع ما كان ضمنه الملك لهم قبله .
° ذكر الخبر عن سبب نقضهم ذلك :

وكان سبب ذلك أن الصلح كان جرى بين المسلمين وصاحب الروم
وصاحبته يومئذ رينى - وقد ذكرنا قبل سبب الصلح الذي كان بين المسلمين
وبينها - فعادت الروم على رينى فخلعتها ، وملكّت عليها نفقور . والروم
تذكر أن نفقور هذا من أولاد جفنة من غسان ، وأنه قبل الملك كان يلي
ديوان الخراج ، ثم ماتت رينى بعد خمسة أشهر من خلع الروم إياها ؛ فذكر
أن نفقور لما ملك واستوسقت له الروم بالطاعة ، كتب إلى الرشيد :

من نفقور ملك الروم ، إلى هارون ملك العرب : أما بعد ؛ فإن الملكة
التي كانت قبلى ، أقامت مقام الرّخ ، وأقامت نفسها مقام البسّدى ، فحملت

إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها ؛ لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن ؛ فإذا قرأت كتابي فأردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتر نفسك بما يقع به المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك .

قال : فلما قرأ الرشيد الكتاب ، استغزه الغضب حتى لم يمكن أحداً أن ينظر إليه دون أن يخاطبه ؛ وتفرق جلساؤه خوفاً من زيادة قول أو فعل يكون منهم ؛ واستعجم الرأي على الوزير من أن يشير عليه أو يتركه يستبد برأيه دونة ، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من هارون أمير المؤمنين إلى تقفور كلب الروم ؛ قد قرأت كتابك يابن الكافرة ، والجواب ما تراه دون أن تسمعه . والسلام .

٦٩٦/٣

ثم شخص من يومه ، وصار حتى أناخ بباب هرقلة ، ففتح وغنم ، واصطلى وأفاد ، وخرب وحرق ، واصطلم . فطلب تقفور المودة على خراج يؤديه في كل سنة ، فأجابه إلى ذلك ، فلما رجع من غزوته ، وصار بالرقعة تقض تقفور العهد ، وخان الميثاق . وكان البرد شديداً ، فبش تقفور من رجعتة إليه ، وجاء الخبر بارتداده عما أخذ عليه ؛ فها تهيأ لأحد إخباره بذلك إشفاقاً عليه وعلى أنفسهم من الكرة في مثل تلك الأيام ، فاحتيل له بشاعر من أهل خيرة^(١) يكنى أبا محمد عبدالله بن يوسف - ويقال : هو الحجاج بن يوسف التيمي ، فقال :

نَقَضَ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ نِقْفُورُ	وَعَلَيْهِ دَائِرَةُ الْبَوَارِ تَدُورُ ^(٢)
أَبَشِرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ	غُنِمٌ أَتَاكَ بِهِ الْإِلَهُ كَبِيرُ
فَلَقَدْ تَبَاشَرَتِ الرَّعِيَّةُ أَنَّ أَقَى	بِالنَّقْضِ عَنْهُ وَافِدٌ وَبَشِيرُ
وَرَجَعَتْ يَمِينُكَ أَنْ تَعَجَلَ غَزْوَةً	تَشْنِي النُّفُوسَ مَكَانَهَا مَذْكُورُ
أَعْطَاكَ جِزْيَتَهُ وَطَاطَأَ خَدَّهُ	حَذَرَ الصَّوَارِمِ وَالرَّدَى مَحْذُورُ

(١) ط : « جنده » ، وما أثبتته من أ .

(٢) بعله في ابن الأثير :

فتح يزيد على الفتح يؤمنا بالنصر فيه لواءك المنصور

فَأَجْرَتْهُ مِنْ وَقْعِهَا وَكَانَهَا (١)
وَصَرَفَتْ بِالطُّولِ الْعَسَاكِرَ قَافِلًا (٢)
نِقْفُورُ إِنَّكَ حِينَ تَغْدِرُ إِنْ نَأَى
أُظُنُّنْتَ حِينَ غَدَرْتَ أَنَّكَ مُفْلَتٌ (٣)
أَلْقَاكَ حَيْثُكَ فِي زَوَاجِرِ بَحْرِهِ
إِنَّ الْإِمَامَ عَلَى اقْتِسَارِكَ قَادِرٌ
لَيْسَ الْإِمَامُ وَإِنْ غَفَلْنَا غَافِلًا
مَلِكٌ تَجَرَّدَ لِلْجِهَادِ بِنَفْسِهِ
يَا مَنْ يُرِيدُ رِضَا الْإِلَهِ بِسَعْيِهِ
لَا نَضْحَ يَنْفَعُ مَنْ يَغْشَى إِمَامَهُ
نَضْحُ الْإِمَامِ عَلَى الْأَنَامِ فَرِيضَةٌ

بَأَكْفُنَا سُعْلُ الضَّرَامِ تَطِيرُ (٤)
عَنْهُ وَجَارُكَ آمِنٌ مَسْرُورٌ
عِنْدَكَ الْإِمَامُ لَجَاهِلٍ مَغْرُورٌ
هَبْلَتَكَ أَمَكَ مَا ظَنَنْتَ غُرُورًا!
فَطَمَتَ عَلَيْكَ مِنَ الْإِمَامِ بُحُورٌ
قَرُبْتَ دِيَارَكَ أَمْ نَأَتْ بِكَ دُورٌ
عَمَّا يَسُومُ بِحَزْمِهِ وَيُدِيرُ
فَعْدُوَّهُ أَبَدًا بِهِ مَقْهُورٌ
وَاللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ ضَمِيرٌ
وَالنَّضْحُ مِنْ نَصْحَائِهِ مَشْكُورٌ
وَلَا أَهْلِيهَا كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ

وفي ذلك يقول إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية :

إِمَامُ الْهَدَى أَصْبَحْتَ بِالْدِّينِ مَعْنِيًّا
لَكَ ائْتِمَانٍ شُقًّا مِنْ رِشَادٍ وَمِنْ هُدَى
إِذَا مَا سَخِطْتَ الثَّقِيَّ كَانَ مُسَخِّطًا
بَسَطْتَ لَنَا شَرْقًا وَغَرْبًا يَدَا الْعُلَا
وَوَشَّيْتَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْجُودِ وَالنَّدَى
قَضَى اللَّهُ أَنْ يَصْفُو لَهَارُونَ مُلْكُهُ (٥)
تَحَلَّبْتَ الدُّنْيَا لَهَارُونَ بِالرِّضَا

وَأَصْبَحْتَ تَسْقِي كُلَّ مُسْتَمْطِرٍ رِيًّا
فَأَنْتَ الَّذِي تَدْعِي رَشِيدًا وَمَهْدِيًّا
وَلِنْ تَرَضَّ شَيْئًا كَانَ فِي النَّاسِ مَرَضِيًّا
فَأَوْسَعْتَ شَرْقِيًّا وَأَوْسَعْتَ غَرْبِيًّا
فَأَصْبَحَ وَجْهُ الْأَرْضِ بِالْجُودِ مَوْشِيًّا
وَكَانَ قَضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَقْضِيًّا
فَأَصْبَحَ نِقْفُورُ لَهَارُونَ ذِمِّيًّا

(٢) ج : « تدور » .

(٤) س : « حين غلوت » .

(١) ج : « وكأنا » .

(٣) ج : « فصرفت » .

(٥) س : « أن يبتى لهارون » .

وقال التيمي :

لَجَّتْ يَنْقُفُورَ أَسْبَابُ الرَّدَى عَبْدًا لَمَّا رَأَتْهُ بِغِيلِ اللَّيْلِ قَدْ عَبَا
وَمَنْ يَزُرُّ غَيْلَهُ لَا يَخْلُ مِنْ فَرْعٍ إِنْ فَاتَ أَنْيَابُهُ وَالْمُخْلِيبَ الشَّيْبَا
خَانَ الْعُهُودَ وَمَنْ يَنْكُثُ بِهَا فَعَلَى حَوْبَائِهِ ، لَا عَلَى أَعْدَائِهِ نَكْثَا
كَانَ الْإِمَامُ الَّذِي تُرْجَى فَوَاضِلُهُ أَذَاقَهُ ثَمَرَ الْجَلْمِ الَّذِي وَرَثَا
فَرَدَّ أُلْفَتَهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ عَطَفَتْ أَزْوَاجُهُ مَرِهًا يَبْكِيْنُهُ شِعْبَا

فلما فرغ من إنشاده ، قال : أو قد فعل نقفور ذلك ! وعلم أن الوزراء قد احتالوا له في ذلك ، فكرّر راجعاً في أشدّ محنة وأغلظ كلفة ، حتى أناخ بفنائه ، فلم يبرح حتى رضى وبلغ ما أراد ، فقال أبو العتاهية :

أَلَا نَادَتْ هِرْقَلَةُ بِالْخَرَابِ مِنَ الْمَلِكِ الْمُوقِي بِالصَّوَابِ
غدا هَارُونَ يَرْعُدُ بِالْمَنَايَا وَيَبْرِقُ بِالْمَذَكَّرَةِ الْقِضَابِ
وَرَايَاتٍ يَحِجِّلُ النَّصْرُ فِيهَا تَمُرَّ كَأَنَّهَا قِطْعُ السَّحَابِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَفِرَتْ فَاسْلَمَ وَأَبْشُرَ بِالْغَنِيمَةِ وَالْإِيَابِ

٦٩٩/٣

* * *

[خبر مقتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك]

وفيها قُتِلَ - في قول الواقدي - إبراهيم بن عثمان بن نهيك . وأما غير الواقدي ؛ فإنه قال : في سنة ثمان وثمانين ومائة .

• ذكر الخبر عن سبب مقتله :

ذُكِرَ عن صالح الأعمى - وكان في ناحية إبراهيم بن عثمان بن نهيك - قال : كان إبراهيم بن عثمان كثيراً ما يذكر جعفر بن يحيى والبرامكة ، فيبكي جزعاً عليهم ، وجباً لهم ، إلى أن خُرج من حدّ البكاء ، ودخل في باب طالبي الثأر والإحسان ، فكان إذا خلا بجواريه وشرب وقوى عليه النبيذ ، قال : يا غلام .

سبى ذا المنية - وكان قد سمي سيفه ذا المنية - فيجيئه غلامه بالسيف فينتضيه ،
ثم يقول : واجعفره ! واسيده ! والله لأقتلن قاتلك ، ولأثأرن بدمك عن
قليل ! فلما كثر هذا من فعله ، جاء ابنه عثمان إلى الفضل بن الربيع ، فأخبره
بقوله ، فدخل الفضل فأخبر الرشيد ، فقال : أدخله ، فدخل ، فقال :
ما الذى قال الفضل عنك ؟ فأخبره بقول أبيه وفعله ، فقال الرشيد : فهل سمع
هذا أحدٌ معك ؟ قال : نعم خادمه نوال . فدعا خادمه سرّاً فسأله : فقال :
لقد قال ذاك غير مرّة ولا مرتين ، فقال الرشيد : ما يحلّ لى أن أقتل ولياً من
أوليائى بقول غلام وخصى ، لعلهما تواصيا على هذه المنافسة ^(١) ، الابن على
المرتبة ، ومعاداة الخادم لطول الصحبة ، فترك ذلك أياماً ، ثم أراد أن يمتحن
إبراهيم بن عثمان بمحنة تزيل الشكّ عن قلبه ، والخطر عن وهمه ، فدعا
الفضل بن الربيع . فقال : إني أريد محنة إبراهيم بن عثمان فيما رفع ابنه
عليه : فإذا رُفِع الطعام قادع بالشراب ، وقل له : أجب أمير المؤمنين
فيئادملك ؛ إذ كنت منه بالمحلّ الذى أنت به ، فإذا شرب فاخرج وخلصني
وإياه ، ففعل ذلك الفضل بن الربيع : وقعد إبراهيم للشراب ، ثم وثب حين
وثب الفضل بن الربيع للقيام ، فقال له الرشيد : مكانك يا إبراهيم ، فقعده ، فلما
طابت نفسه ، أوما الرشيد إلى الغلمان فتنحّوا عنه ، ثم قال : يا إبراهيم ،
كيف أنت وموضع السرّ منك ؟ قال : يا سيدى إنما أنا كأخصّ عبيدك ، وأطوع
خدمك ؛ قال : إن فى نفسى أمراً ^(٢) أريد أن أودعك ، وقد ضاق صدرى
به ، وأسهرت به ليلي ، قال : يا سيدى إذا لا يرجع عنى إليك أبداً ، وأخفيه
عن جنبي أن يعلمه ، ونفسي أن تديعه . قال : ويحك ! إني ندمت على قتل
جعفر بن يحيى ندامة ما أحسن أن أصفها ؛ فوددت أني خرجت من ملكي
وأنته كان بقى لى ؛ فما وجدت طعم النوم منذ فارقتك ، ولا لذة العيش منذ قتلته !
قال : فلما سمعها إبراهيم أسبل دمعته ^(٣) ، وأذرى عبرته . وقال : رحم الله
أبا الفضل ، وتجاوز عنه ! والله يا سيدى لقد أخطأت فى قتله . وأوطئت

(١) ١ ، ج : « بمنافسة لابن » .

(٢) بعدها ١ ، س : « من الأمور » .

(٣) ج وابن الأثير : « دموعه » .

العَشْوَةُ في أمره ! وأين يوجد في الدنيا مثله ! وقد كان منقطع القرين في الناس
أجمعين ديناً^(١) . فقال الرشيد : قم عليك لعنة الله يا ابن اللخناء ! فقام ما يعقل
ما يبطأ ، فانصرف إلى أمه ، فقال : يا أمّ ، ذهبت والله نفسي ، قالت :
كلاً إن شاء الله ، وما ذاك يا بني ؟ قال : ذاك أن الرشيد امتحنني بمحنة والله ؛
ولو كان^(٢) لي ألف نفس لم أنجُ بواحدة منها . فما كان بين هذا وبين أن
دخل عليه ابنه — فضربه بسيفه حتى مات — إلا ليالٍ قلائل .

٧٠١/٣

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبيد الله بن العباس بن محمد بن عليّ .

(١) ساقطة من ا .

(٢) ج : « ولو كانت » .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر غزو إبراهيم بن جبريل الصائفة]

فمما كان فيها من ذلك غزو إبراهيم بن جبريل الصائفة، ودخوله أرض الروم من درب الصفصاف، فخرج للقائه نيقفور، فورد عليه من ورائه أمر صرفه عن لقائه، فانصرف، ومرّ يقوم من المسلمين، فخرج ثلاث جراحات، وانهزم. وقتل من الروم فيما ذكر - أربعون ألفاً وسبعمائة، وأخذ أربعة آلاف دابة.

* * *

وفيهما رابط القاسم بن الرشيد بدآبق.

وحجّ بالناس فيها الرشيد، فجعل طريقه على المدينة، فأعطى أهلها نصف العطاء؛ وهذه الحجّة هي آخر حجّة حجّها الرشيد؛ فيما زعم الواقدي وغيره.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر شخص الرشيد إلى الرئ]

فمن ذلك ما كان من شخص هارون الرشيد أمير المؤمنين فيها إلى الرئ .
 ذكر الخبر عن سبب شخصه إليها وما أحدث في خرجته تلك في سفره :
 ذكر أن الرشيد كان استشار يحيى بن خالد في تولية خراسان على بن
 عيسى بن ماهان ، فأشار عليه ألا يفعل ، فخالفه الرشيد في أمره ، وولاه
 إياها ، فلما شخص على بن عيسى إليها ظلم الناس ، وعسر^(١) عليهم ،
 وجمع مالا جليلا ، ووجه إلى هارون منها هدايا لم ير مثيها قط من الخيل والرقيق
 والثياب والمسلك والأموال ، فقعد هارون بالشَّماسية على دكان مرتفع حين وصل
 ما بعث به على إليه ، وأحضرت تلك الهدايا فعرضت عليه ، فعظمت في
 عينه ، وجلّ عنده قدرها ، وإلى جانبه يحيى بن خالد ، فقال له : يا أبا على ؛
 هذا الذي أشرت علينا ألا نوليّه هذا الثغر ، فقد خالفناك فيه ، فكان في خلافك
 البركة — وهو كالمأزح معه إذ ذاك — فقد ترى ما أنتج رأينا فيه ، وما كان من
 رأيك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ! أنا وإن كنت أحب أن
 أصيب في رأيي وأوفق^(٢) في مشورتي ، فأنا أحب من ذلك أن يكون رأي
 أمير المؤمنين أعلى ، وفراسته أثق ، وعلمه أكثر من علمي ، ومعرفته فوق معرفتي ؛
 وما أحسن هذا وأكثره إن لم يكن وراءه ما يكره أمير المؤمنين ، وما أسأل الله
 أن يعينه ويُعفيه من سوء عاقبت ونائج مكروهه ، قال : وما ذاك ؟ فأعلمه ،
 قال : ذاك أني أحسب أن هذه الهدايا ما اجتمعت له حتى ظلم فيها الأشراف ،
 وأخذ^(٣) أكثرها ظلماً وتعدياً ؛ ولو أمرني أمير المؤمنين لأتيت به بضعتها الساعة
 من بعض تجار الكرخ ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : قد ساومنا عوداً

٧٠٢/٣

٧٠٣/٣

(٢) أذ «أوافق» .

(١) أذ «عسر» .

(٣) «أخذ» : «وأخذها» ، وما أثبت من .

على السَّفَط الذي جاءنا به من الجوهر ، وأعطيناه به سبعة آلاف ألف ، فأبى أن يبيعه ، فأبعثُ إليه الساعة بحاجتي فأمره^(١) أن يردّه إلينا ؛ لنعيد فيه نظرنّا ؛ فلإذا جاء به جسدناه ، وربحنا سبعة آلاف ألف ، ثم كنا نفعل بتاجرين من كبار التجار مثل ذلك . وعلى أن هذا أسلم عاقبة ، وأسرّ أمرًا من فعل عليّ بن عيسى في هذه الهدايا بأصحابها ، فأجمعُ لأمر المؤمنين في ثلاث ساعات أكثر من قيمة هذه الهدايا بأهون سعي ، وأيسر أمر ، وأجمل جباية ؛ ممّا جمع عليّ في ثلاث سنين .

فوقرت في نفس الرشيد وحفظها ، وأمسك عن ذكر عليّ بن عيسى عنده ، فلما عاث عليّ بن عيسى بخراسان ووتر أشرفها ، وأخذ أموالهم ، واستخفّ برجالهم ، كتب رجال من كبرائها ووجهها إلى الرشيد ، وكتبت جماعة من كورها إلى قرّباتها وأصحابها ، تشكو سوء سيرته ، وخبث طعمته ، ورداءة مذهبه ، وتسال أمير المؤمنين أن يبدّلها به من أحبّ من كفاته وأنصاره وأبناء دولته وقوّاده . فدعا يحيى بن خالد ، فشاورة في أمر عليّ بن عيسى وفي صرفه ، وقال له : أشر عليّ برجل ترضاه لذلك الثغر يُصلح ما أفسد الفاسق ، ويرتق ما فتن . فأشار عليه بيزيد بن مزيّد ، فلم يقبل مشورته .

وكان قيل للرشيد : إن عليّ بن عيسى قد أجمع^(٢) على خلافك ، فشخص إلى الرّي من أجل ذلك ، منصرفه من مكة ، فعسكر بالنهر وان ثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ومعه ابنه عبد الله المأمون والقاسم ، ثم سار إلى الرّي ، فلما صار بقرّ ماسين أشخص إليه جماعة من القضاة وغيرهم ، وأشهدهم أن جميع ما له في عسكره ذلك من الأموال والخزائن والسلاح والكرّاع وما سوى ذلك لعبد الله المأمون ، وأنه ليس له فيه قليل ولا كثير . وجدّد البيعة له على من كان معه ، ووجّهه رثمة بن أعين صاحب حرسه إلى بغداد ، فأعاد أخذ البيعة على محمد بن هارون الرشيد وعليّ من بحضورته لعبد الله والقاسم ، وجعل أمر القاسم في خلعه وإقراره إلى عبد الله ؛ إذا أفضت الخلافة

٧٠٤/٣

(١) كذا في ا - وهو الصواب - وفي ط « يأمره » .

(٢) ج : « أجمع » .

إليه . ثم مضى الرشيد عند انصراف هرثمة إليه إلى الرىّ، فأقام بها نحواً من أربعة أشهر ؛ حتى قدم عليه على بن عيسى من خراسان بالأموال واخذايا والطرف، من المتاع^(١) والمسك والجوهر وآنية الذهب والفضة والسلاح والدواب ، وأهدى بعد ذلك إلى جميع مَنْ كان معه من ولده وأهل بيته وكتابه وخدمه وقواده على قَدَر طبقاتهم ومراتبهم ، ورأى منه خلاف ما كان ظنّ به وغير ما كان يقال فيه . فرضى عنه ، وردّه إلى خراسان ، وخرج وهو مشيع له ؛ فذكر أن البيعة أخذت للمأمون والقاسم بولاية العهد بعد أخويه محمد وعبد الله ، وُسِّمَ المؤتمن حينَ وجّه هارون هرثمة لذلك بمدينة السلام^(٢) يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة ، فقال الحسن بن هانئ في ذلك :

تَبَارَكَ مَنْ سَاسَ الْأُمُورَ بِعِلْمِهِ وَقَضَلَ هَارُونَاً عَلَى الْخُلَفَاءِ
نَزَالَ بِخَيْرٍ مَا أَنْطَوَيْنَا عَلَى الثُّمَى وَمَا سَاسَ دُنْيَانَا أَبُو الْأُمْنَاءِ ٧٠٥/٣

وفي هذه السنة — حين صار الرشيد إلى الرىّ — بعث حسيناً الخادم إلى طبرستان ، فكتب له ثلاثة كتب ؛ من ذلك كتاب فيه أمان لشروين وأبي قارن ، والآخرفيه أمان لونداهرمز، جدّ مازيار ، والثالث فيه أمان لمزبان ابن جستان ، صاحب الديلم . فقدم عليه صاحب الديلم ، فوهب له وكساه وردّه . وقدم عليه سعيد الحرشيّ بأربعمائة بطل من طبرستان ، فأسلموا على يد الرشيد ، وقدم ونداهرمز ، وقبل الأمان ، وضمن السمع والطاعة وأداء الخراج ، وضمن على شروين مثل ذلك ؛ فقبل ذلك منه الرشيد وصرفه ، ووجّه معه هرثمة فأخذ ابنه وابن شروين رهينة . وقدم عليه الرىّ أيضاً خزيمة بن خازم ، وكان وإلى إرمينية ، فأهدى هدايا كثيرة .

• • •

وفي هذه السنة ولّى هارون عبد الله بن مالك طبرستان والرىّ والرويان

(١) ج : « والمتاع » .

(٢) س : « إلى مدينة السلام » .

ودُنْبَاوَنَد وَقُومِيس وَهَمْدَان . وقال أبو العتاهية في خَرَجَةِ هَارُونَ هذه —
وكان هَارُونَ وَلِدَ بالرِّي :

إِنَّ آمِينَ اللَّهَ فِي خَلْقِهِ حَنٌّ بِهِ الرِّىُّ إِلَى مَوْلِدِهِ
لِيُصْلِحَ الرِّىُّ وَأَقْطَارَهَا وَيُمِطِرَ الْخَيْرَ بِهَا مِنْ يَدِهِ

وولّى هَارُونَ في طريقه محمد بن الجعيد الطريقَ ما بين هَمْدَان والرِّي ، ٧٠٦/٣
وولّى عيسى بن جعفر بن سليمان عُثْمَانَ ، ففُتِحَ البحر من ناحية جزيرة ابن
كاوان ، فافتتح حصناً بها وحاصر آخر ، فهجم عليه ابن مخلد الأزديّ
وهو غارٌّ ، فأُسِرَ وَحَمَلَهُ إِلَى عُثْمَانَ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وانصرف الرشيد بعد
ارتحال عليّ بن عيسى إلى خُرَاسَانَ عَنِ الرِّيِّ بِأَيَّامٍ ، فَأَدْرَكَهُ الْأَصْحَى بِقَصْرِ
الْأُصُوصِ ؛ فَضَحَّتْ بِهَا ، ودخل مدينة السلام يوم الاثنين ، ليلتين بقيتا من
ذِي الْحِجَّةِ ، فلما مرَّ بِالْجَسْرِ أَمَرَ بِإِحْرَاقِ جُثَّةِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، وطوى بغداد
ولم ينزلها ، ومضى من فَوْرِهِ متوجّهاً إِلَى الرِّقَّةِ ، فنزل السَّيْلَحِينَ .

* * *

وذكر عن بعض قوَادِ الرّشيد أنّ الرّشيد قال لما ورد بغداد : والله إنّي
لَأَطْوَى مَدِينَةً مَا وُضِعَتْ بِشَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ مَدِينَةُ أَيْمَنٍ وَلَا أَيْسَرٍ مِنْهَا ؛ وإنّها
لوطْنِي ووطن آبائي ، ودار مملكة بني العباس ما بقُوا وحافظوا عليها ؛ وما رأى
أَحَدٌ مِنْ آبَائِي سُوءاً وَلَا نَكْبَةً مِنْهَا ، وَلَا سِيءَ بِهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ ، ولنعم الدّار
هِيَ ! وَلَكِنِّي أُرِيدُ الْمَنَاخَ عَلَى نَاحِيَةِ أَهْلِ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَالْبَغْضِ لِلْأُمَّةِ الْهَدَى
وَالْحَبِّ لِشَجَرَةِ اللَّعْنَةِ — بَنِي أُمِيَّةٍ — مَعَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَارَقَةِ وَالْمُتَلَصِّصَةِ وَغَيْبِ
السَّبِيلِ ؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا فَارَقْتُ بَغْدَادَ مَا حَيَّيْتُ وَلَا خَرَجْتُ عَنْهَا أَبَدًا .

وقال العباس بن الأحنف في طيِّ الرّشيد ببغداد :

مَا أَنْخَنَّا حَتَّى ارْتَحَلْنَا فَمَا نَفُّ رِقُّ بَيْنَ الْمَنَاخِ وَالْارْتِحَالِ
سَاعِلُونَا عَنْ حَالِنَا إِذْ قَدِمْنَا فَقَرْنَا وَدَاعَهُمْ بِالسَّوَالِ

* * *

٧٠٧/٣ وفي هذه السنة كان الفداء بين المسلمين والروم ، فلم يبق بأرض الروم^(١) مسلم إلا فودى به - فيما ذكر - فقال مروان بن أبي حفصة في ذلك :

وَفُكَّتْ بِكَ الْأَسْرَى الَّتِي تُسَيِّدَتْ لَهَا مُحَابِسُ مَا فِيهَا حَيِّمٌ يَزُورُهَا
عَلَى حِينِ أَعْيَا الْمُسْلِمِينَ فِكَاكُهَا وَقَالُوا : سُجُونُ الْمُشْرِكِينَ قَبُورُهَا

ورابطَ فيها القاسم بدآبيق .

وحجَّ بالناس فيها العباس بن موسى بن عيسى بن موسى .

ثم دخلت سنة تسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر خبر ظهور خلاف رافع بن ليث]

فمن ذلك ما كان من ظهور رافع بن ليث بن نصر بن سيار بسمرقند ، مخالفاً لهارون وخلعه إياه ، ونزعه يده من طاعته .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر لنا - أن يحيى بن الأشعث بن يحيى الطائي تزوج ابنة لعمته أبي النعمان ، وكانت ذات يسار^(١) ، فأقام بمدينة السلام ، وتركها بسمرقند ، فلما طال مقامه بها ، وبلغها أنه قد اتخذ أمهات أولاد ، التمس سبباً للتخلص منه ، فعى عليها ، وبلغ رافعاً خبرها ، فطمع فيها وفي مالها ، فدرس إليها من قال لها : إنه لا سبيل لها إلى التخلص من صاحبها ؛ إلا أن تشرك بالله ، وتحضر لذلك قوماً عدولاً ، وتكشف شعرها بين أيديهم ، ثم تنوب فتحل للأزواج ؛ ففعلت ذلك وتزوجها رافع . وبلغ الخبر يحيى بن الأشعث ، فرفع ذلك إلى الرشيد ، فكتب إلى علي بن عيسى يأمره أن يفرق بينهما ، وأن يعاقب رافعاً ويجلده الحد ، ويقيده ويطوف به في مدينة سمرقند مقيداً على حمار ؛ حتى يكون عظة لغيره . فدرأ سليمان بن حميد الأزدي عنه الحد ، وحمله على حمار مقيداً حتى طلقها ، ثم حبسه في سجن سمرقند ، فهرب من الحبس ليلاً من عند حميد بن المسيخ - وهو يومئذ على شرط سمرقند - فلاحق بعلي بن عيسى ببلخ ، فطلب الأمان فلم يجبه علي إليه ، وهم بضرب عنقه ، فكلّمه فيه ابنه عيسى بن علي ، وجدّد طلاق المرأة ، وأذن له في الانصراف إلى سمرقند ، فانصرف إليها ، فوثب سليمان ابن حميد عامل علي بن عيسى فقتله . فوجه علي بن عيسى إليه ابنه ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « سار » .

فقال الناس إلى سباع بن مسعدة ، فرأى سواه عليهم ، فوثب على رافع فقيده ، فوثبوا على سباع ، فقيده ورأسوا رافعاً وبايعوه ، وطابقه من وراء النهر ، ووافاه عيسى بن علي ، فلقبه رافع فهزمه ، فأخذ علي بن عيسى في قترض الرجال والتأهب للحرب .

• • •

وفي هذه السنة غزا الرشيد الصائفة ، واستخلف ابنه عبد الله المأمون بالرقعة ٧٠٩/٣ وفوض إليه الأمور ، وكتب إلى الآفاق بالسَّمْع له والطاعة ، ودفع إليه خاتم المنصور يتيمّن به ؛ وهو خاتم الخاصة ، نقشه : « الله ثقتي آمنت به » .

وفيهما أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون .

وفيهما خرجت الروم إلى عين زربة وكنيسة السّوداء ، فأغارت وأسرت ، فاستنقذ أهل المصيصة ما كان في أيديهم .

• • •

[فتح الرشيد هرقله]

وفيهما فتح الرشيد هرقله ، وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم ؛ وكان دخلها - فيما قيل - في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق ؛ سوى الأتباع وسوى المطوعة وسوى من لا ديوان له ، وأناخ عبد الله بن مالك على ذي الكلاع ووجه داود بن عيسى بن موسى سائحاً في أرض الروم في سبعين ألفاً ، وافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ودبسة ، وافتتح يزيد بن مخلد الصنفصاف وملقوبية - وكان فتح الرشيد هرقله في شوال - وأخربها وسبي أهلها بعد مقام ثلاثين يوماً عليها ، وولّى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام إلى ميسر ، فبلغ حميد قُبُرس ، فهدم وحرق وسبي من أهلها^(١) ستة عشر ألفاً ، فأقدمهم الرافقة ، فتولّى بيعهم أبو البخترى القاضي ، فبلغ أسقف قُبُرس ألفي دينار .

وكان شخوص هارون إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب ؛ واتخذ

(١) س : « أهل قبرس » .

قلنسوة مكتوباً عليها « غاز حاج » ، فكان يلبسها ، فقال أبو المعالي ٧١٠/٣
الكلابي :

فَمَنْ يَطْلُبُ لِقَاءَكَ أَوْ يُرِدهُ فَيَا حَرَمِينَ أَوْ أَقْصَى الشُّغُورِ
فَمَنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ عَلَى طَيْرٍ وَفِي أَرْضِ التَّرَفِ فَوْقَ كُورٍ^(١)
وَمَا حَازَ الشُّغُورَ سِوَاكَ خَلَقَ مِنْ الْمُتَخَلِّفِينَ عَلَى الْأُمُورِ

ثم صار الرشيد إلى الطَّوَّانَةِ ، فمسكر بها ، ثم رحل عنها ، وخلف عليها
عقبة بن جعفر ، وأمره ببناء منزل هنالك ، وبعث تقفور إلى الرشيد بالخراج
والجزية ، عن رأسه وولى عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار ،
منها عن رأسه أربعة دنانير ، وعن رأس ابنه استبراق ديناوين . وكتب تقفور
مع بطريقين من عظماء بطارقته في جارية من سبئي هرقله كتاباً نسخته :
لعبد الله هارون أمير المؤمنين من تقفور ملك الروم . سلام عليكم ، أما بعد
أيها الملك ، فإن لي إليك حاجة لا تنصرك في دينك ولا دنيائك ، هيئة سيرة ؛
أن تهب لابني جارية من بنات أهل هرقله ، كنت قد خطبْتُها على ابني ،
فإن رأيت أن تسعفني بحاجتي فعلت . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .
واستهداه أيضاً طيباً وسرادقا من سرادقاته ؛ فأمر الرشيد بطلب الجارية ،
فأحضرت وزُيِّنَتْ وأجْلِسَتْ على سرير^(٢) في مضربه الذي كان نازلاً فيه ،
وسلَّمت الجارية والمضرب بما فيه من الآنية والمتاع إلى رسول تقفور ، وبعث
إليه بما سأل من العطر ، وبعث إليه من التمور^(٣) والأخبصة والزبيب والترياق ،
فسلم ذلك كله إليه رسول الرشيد ، فأعطاه تقفور وقر دراهم إسلامية على
٧١١/٣ برزون كُئِيت كان مبلغه خمسين ألف درهم ، ومائة ثوب ديباج ومائتي
ثوب بُزْيُون^(٤) ، واثني عشر بازياً ، وأربعة أكلب من كلاب الصيد ، وثلاثة
برازين . وكان تقفور اشترط ألا يخرب ذا الكلاع ولا صمله ولا حصن سنان ،

(١) ١ : س : « في أرض البرية » . (٢) ج : « فراش » .

(٣) س : « التمر » .

(٤) البزبون : ضرب من نسج البز أو من رقيق الديباج ، مركب من « بز » ومن « يون » ،
أى يشبه البز . وانظر الألفاظ الناصية لأدى شر ٢٢ .

واشترط الرشيد عليه ألا يعمر هرقله ، وعلى أن يحمل تقفوز ثمانية ألف دينار .
 وخرج في هذه السنة خارجي من عبد القيس يقال له سيف بن بكر ،
 فوجه إليه الرشيد محمد بن يزيد بن مزيد ، فقتله بعين السورة .
 ونقض أهل قبرس العهد ، فغزاهم معيوف بن يحيى فسبي أهلها .

* * *

وحج بالناس فيها عيسى بن موسى الهادي .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج خارجي يقال له ثروان بن سيف بناحية حولايا ؛ فكان يتنقل بالسواد ، فوجه إليه طوق بن مالك فهزمه طوق وجرحه ، وقتل عامة أصحابه ، وظن طوق أن قد قتل ثروان ، فكتب بالفتح ، وهرب ثروان مجروحاً .

وفيهما خرج أبو النداء بالشام^(١) فوجه الرشيد^(٢) في طلبه يحيى بن معاذ ، وعقد له على الشام .

وفيهما وقع الثلج بمدينة السلام .

وفيهما ظفر حماد البربري بهيصم الباني .

وفيهما غلظ أمر رافع بن ليث بسمرقند .

وفيهما كتب أهل نيسف إلى رافع يعطونه الطاعة ، ويسألونه أن يوجه إليهم من يعينهم على قتل عيسى بن علي ، فوجه صاحب الشاش في إترাকে قائدًا من قواده ، فأتوا عيسى بن علي ، فأحذقوا به وقتلوه في ذي القعدة ، ولم يعرضوا لأصحابه .

وفيهما ولي الرشيد حمويه الخادم بريد خراسان .

وفيهما غزا يزيد بن مخلد الهيري أرض الروم في عشرة آلاف ، فأخذت الروم عليه المضيق ، فقتلوه على مرحلتين من طرسموس في خمسين^(٣) رجلاً ، وسلم الباقيون .

وفيهما ولي الرشيد غزو الصائفة هرثة بن أعين ، وضم إليه ثلاثين ألفاً من جند خراسان ، ومعه مسرور الخادم ؛ إليه النفقات وجميع الأمور ، خلا الرياسة .

(١ - ١) ج : « فوجه إليه الرشيد » .

(٢) ١ : « سبعين » .

ومضى الرشيد إلى درّب الحُدث^(١) ، فرتّب هنالك عبدالله بن مالك ، ورتّب سعيد بن سلم بن قتيبة بمرّ عَشْ ، فأغارَت الروم عليها ، وأصابوا من المسلمين وانصرفوا وسعيد بن سلم مقيم بها ، وبعث محمد بن يزيد بن مزيد إلى طَرَسُوس ، فأقام الرشيد بدرّب الحُدث ثلاثة أيام من شهر رمضان ، ثم انصرف إلى الرّقة .

٧١٣/٣

وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور ، وكتب إلى السندیّ بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذّمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم .

* * *

وفيها عزّل الرشيد علىّ بن عيسى بن ماهان عن خراسان وولاه هَرَمَة .

ذكر الخبر عن سبب عزل الرشيد علىّ بن

عيسى وسخطه عليه

قال أبو جعفر : قد ذكر قبلُ سبب هلاك ابن علىّ بن عيسى وكيف قُتِل . ولَمَّا قتل ابنه عيسى خرج علىّ عن بلخ حتى أتى مَرَوْ مخافة أن يسير إليها رافع بن الليث ، فيستولى عليها . وكان ابنه عيسى دفن في بستان داره ببليخ أموالا عظيمة — قيل إنها كانت ثلاثين ألف ألف — ولم يعلم بها علىّ بن عيسى ولا اطلع على ذلك إلا جارية كانت له ، فلما شخص علىّ عن بلخ أطلعت الجارية على ذلك بعض الحُدم ، وتحدّث به الناس ، فاجتمع قُرّاء أهل بلخ ووجوهها ، فدخلوا البستان فانتهبوه وأباحوه للعامة ، فبلغ الرشيد الخبر ، فقال : خرج علىّ من بلخ عن غير أمرى ، وخلف مثل هذا المال ؛ وهو يزعم أنه قد أفضى إلى حاكمي نساته فيما أنفق على محاربة رافع ! فعزله عند ذلك ، وولّى هَرَمَة بن أعين ، واستصنى أموال علىّ بن عيسى ، فبلغت أمواله ثمانين ألف ألف .

وذكر عن بعض الموالى أنه قال : كنّا بجُرْجان مع الرشيد وهو يريد

(١) : ١ : « حرب الحُدث » .

خُرَّاسَان، فوردت خزائن عليّ بن عيسى التي أخذت له على ألف وخمسمائة
بغير ، وكان عليّ مع ذلك قد أذلّ الأعالى من أهل خُرَّاسَان وأشرافهم .

٧١٤/٣

وذكر أنه دخل عليه يوماً هشام بن فرخسرو والحسين بن مصعب ،
فسلّمَا عليه ، فقال للحسين : لا سلّمَ الله عليك يا ملحد يا ابن الملحد! والله إنّي
لأعرف ما أنتَ عليه من عداوتك للإسلام وطعنك في الدين ، وما أنتظر بقتلك
إلا إذن الخليفة فيه ، فقد أباح الله دمك ، وأرجو أن يسفكه الله على يدي
عن قريب ، ويعجلك ^(١) إلى عذابه . ألسنَ المرجف بي في منزلي هذا بعد
ما ثملت من الخمر ، وزعمت أنه ^(٢) جاءتك كتب من مدينة السلام بعزلي !
اخرج ^(٣) إلى سخط الله ، لعنك الله ، فعن قريب ما تكون من أهلها ! فقال
له الحسين : أعيذ بالله الأمير أن يقبل قول واشٍ ، أو سعاية باغٍ ، فإني يرى
مما قُرفت ^(٤) به . قال : كذبت لا أمّ لك ! قد صحّ عندي أنك ثملت من
الخمر ، وقلت ما وجب عليك به أغلظ ^(٥) الأدب ؛ ولعلّ الله أن يعاجلك
ببأسه ونقمته ^(٦) ؛ اخرج عني غير مستور ولا مصاحب . فجاء الحاجب فأخذ
بيده فأخرجه ، وقال لهشام بن فرخسرو : صارت دار الندوة ؛ يجتمع ^(٧)
فيها إليك السفهاء ، وتطعن على الولاة ! سفك الله دمي إن لم أسفك دمك !
فقال هشام : جعلت فداء الأمير ! أنا والله مظلوم مرحوم ؛ والله ما أدعُ في
تقريظ الأمير جهداً ، وفي وصفه قولاً إلاّ خصصته به وقلته فيه ؛ فإن كنت
إذا ^(٨) قلتُ خيراً نقل إليك شراً ^(٩) ، فما حيلتي ! قال : كذبت لا أمّ لك ؛
لأنّا أعلم بما تنطوى عليه جوانحك من ولدك وأهلك ، فأخرج فعن قريب أريح
منك نفسى . فخرج . فلمّا كان في آخر الليل دعا ابنته عاليةً — وكانت من
أكبر ولده — فقال لها : أىّ بنيةً ، إني أريد أن أفضيَ إليك بأمر إن أنت
أظهرته قتلتي ؛ وإن حفظته سلمتُ ، فاخترى بقاء أبيك على موته ، قالت :

٧١٥/٣

(٢) س : « أنك » .

(٤) ج ، أ : « قتلتي » .

(٦) ج : « ونقمه » .

(٨) ج : « إذ » .

(١) ج : « ويجهلك » .

(٣) ف : « فأخرج » .

(٥) ج ، أ : « غليظ » .

(٧) ج : « تجتمع » .

(٩) س : « إليه شراً » .

وما ذاك^(١) جعلت فذاك ! قال : إني أخاف هذا الفاجر عليّ بن عيسى على دمي ، وقد عزمت على أن أظهر أن الفالاج أصابني ، فإذا كان في السحر فاجمعي جواريك ، وتعالى إلى فراشي وحركيني ؛ فإذا رأيت حركتي قد ثقلت ، فصيحى أنت وجواريك : وابعثي إلى إخوانك فأعلميهم عنتي . وإياك ثم إياك أن تطلعي^(٢) على صحة بدني أحداً من خلق الله من قريب أو بعيد . ففعلت — وكانت عاقلة حازمة — فأقام مطروحاً على فراشه حيناً لا يتحرك إلا إن حرك ، فيقال إنه لم يعلم من أهل خراسان أحد من عزل عليّ بن عيسى بخبر ولا أثر غير هشام ؛ فإنه توهم عزله ، فصحّ توهمه .

ويقال : إنه خرج في اليوم الذي قدم فيه هزيمة لتلقيه . فراه في الطريق رجل من قواد عليّ بن عيسى ، فقال : صحّ الجسم ؟ فقال : ما زال صحيحاً بحمد الله ! وقال بعضهم : بل رآه عليّ بن عيسى ، فقال : أين بك ؟ فقال : أتلقى أميرنا أبا حاتم ، قال : ألم تكن عليلاً ؟ قال : بلى ؛ فوهب الله العافية ، وعزل الله الطاغية في ليلة واحدة .

وأما الحسين بن مصعب فإنه خرج إلى مكة مستجيراً بالرشيد من عليّ بن عيسى ، فأجازه .

ولما عزم الرشيد على عزل عليّ بن عيسى دعا — فيما بلغني — هزيمة بن أعين مستخلياً به فقال : إني لم أشاور فيك أحداً ، ولم أطلع على سرّي فيك ، وقد اضطرب عليّ ثغور المشرق ، وأنكر أهل خراسان أمر عليّ بن عيسى ؛ إذ خالف عهدي ونبذته وراء ظهره ؛ وقد كتب يستمد ويستجيش ، وأنا كاتب إليه ، فأخبره أني أمدّه بك ، وأوجه إليه معك من الأموال والسلاح والقوة والعدة ما يطمئن إليه قلبه ، وتطلع إليه نفسه . وأكتب معك كتاباً بخطي فلا تفضّته ، ولا تطلعن فيه حتى تصل^(٣) إلى مدينة نيسابور ؛ فإذا نزلتها فاعمل بما فيه ، وامثله ولا تجاوزه ، إن شاء الله ، وأنا موجه معك رجاء الخادم بكتاب أكتبه إلى عليّ بن عيسى بخطي ؛ ليتعرف ما يكون منك ومنه ؛ وهون عليه أمر

(٢) س : « يطلع » .

(١) ج : « وما هو » .

(٣) س : « نصير » .

على فلا تظهرته عليه، ولا تعلمته ما عزمته عليه، وتأهب للمسير، وأظهر
لخاصتك وعامتك أني أوجهك مدداً لعل بن عيسى وعوناً له. قال: ثم
كتب إلى علي بن عيسى بن ماهان كتاباً بخطه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم. يابن الزانية، رفعت من قدرك، ونوّعت باسمك،
وأوطأت سادة^(١) العرب عقيبك، وجعلت أبناء ملوك العجم خولك وأتباعك؛
فكان جزائي أن خالفت عهدي، وفبذت وراء ظهرك أمري؛ حتى عشت في
الأرض، وظلمت الرعية، وأسخطت الله وخليفته^(٢)؛ بسوء سيرتك، ورداءة
طعنك، وظاهر خيانتك، وقد وليت هرثمة بن أعين مولاى نغرخراسان،
وأمرته أن يشدّ وطأته عليك وعلى ولدك وكتائبك وعمالك، ولا يترك وراء ظهوركم
درهماً، ولا حقاً لمسلم ولا معاهداً إلا أخذكم به؛ حتى تردّه إلى أهله؛ فإن
أبيت ذلك وأباه ولدك وعمالك فله أن يسط عليكم العذاب، ويصب
عليكم السباط، ويحلّ بكم ما يحلّ بمن فكّ وغير، وبدّل وخالف، وظلم
وتعدّى وغشم. انتقاماً لله عزّ وجلّ بادنّا، ونخليفته ثانياً، وللمسلمين
والمعاهدين ثالثاً؛ فلا تعرض نفسك التي لا شوى لها، واخرج مما يلزمك
طائعاً أو مكرهاً.

وكتب عهد هرثمة بخطه:

هذا ما عهد هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى هرثمة بن أعين حين ولاه
نغرخراسان وأعماله وخراجه؛ أمره بتقوى الله وطاقته ورعاية أمر الله
ومراقبته^(٣)، وأن يجعل كتاب الله إماماً في جميع ما هو بسبيله، فيحلّ حلاله
ويحرّم حرّامه، ويقف عند متشابهه؛ ويسأل عنه أولي الفقه في دين الله وأولي
العلم بكتاب الله، أو يردّه إلى إمامه ليريه الله عزّ وجلّ فيه رأيه، ويعزم له
على رشدّه، وأمره أن يستوثق من الفاسق على بن عيسى وولده وعماله وكتابه،
وأن يشدّ عليهم وطأته، ويحلّ بهم سطوته، ويستخرج منهم كلّ مال

(١) رج: «سادات».

(٢) من: «في خطبته».

(٣) ر: «ومراقبته».

يصحّ عليهم من خراج أمير المؤمنين وفيء المسلمين ؛ فإذا استنظف ما عندهم وقبّلهم من ذلك ، نظر في حقوق المسلمين والمعاهدين ، وأخذهم بحقّ كلّ ذى حقّ حتى يردّوه إليهم ؛ فإن ثبت قبّلهم حقوق لأمر المؤمنين وحقوق للمسلمين ؛ فدافعوا بها وجحدوها ، أن يصبّ عليهم سوط عذاب الله وأليم نقمته ؛ حتى يبلغ بهم الحال التي إن تخطّأها بأدنى أدب ، تلفت أنفسهم ، وبطلت أرواحهم ؛ فإذا خرجوا من حقّ كلّ ذى حقّ ، أشخصهم كما تشخص العصاة من خُشونة الوِطاء وخُشونة المطعم والمشرب وغلظ الملابس ، مع الثقات من أصحابه إلى باب أمير المؤمنين ، إن شاء الله . فاعمل يا أبا حاتم بما عهدتُ إليك ، فإنّي آثرتُ الله ودينى على هواى وإرادتى ، فكذلك فليكن عملك ، وعليه فليكن أمرك ، ودبّر في عمال الكُور الذين تمرّبهم في صُعودك ما لا يستوحشون معه إلى أمرٍ يريهم وظنّ يربّهم . وابسط من آمال أهل ذلك الثغر ومن أمانهم وعذرهم ، ثم اعمل بما يرضى الله منك وخليفته ، ومنّ ولاك الله أمره إن شاء الله . هذا عهدى وكتابى بخطّى ، وأنا أشهد الله وملائكته وحملته عرشه وسكان سمواته وكفى بالله شهيداً .

وكتب أمير المؤمنين بخطّ يده لم يحضره إلا الله وملائكته .

ثم أمر أن يكتب كتاب هرثمة إلى عليّ بن عيسى في معاونته وتقوية أمره والشدّ على يديه ؛ فكتب وظهر الأمر بها ؛ وكانت كتب حَمَوِيّه وردت على هارون : إنّ رافعاً لم يخلع ولا نزع السّواد ولا من شايعه ، وإنما غايتهم عزل عليّ بن عيسى الذى قد سامهم المكروه .

• • •

[خبر شخص هُرْثَمَة بن أعين إلى خراسان والياً عليها]

ومن ^(١) ذلك ما كان من شخص هُرْثَمَة بن أعين إلى خراسان والياً عليها .

* ذكر الخبر عما كان من أمره في شخصه إليها وأمر عليّ بن عيسى

وولده :

(١) قبل هذه الكلمة في ا ، ج : « ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة » .

ذكر أن هرثمة مضى في اليوم السادس من اليوم الذي كتب له عهده الرشيد وشيَّعه الرشيد، وأوصاه بما يحتاج إليه، فلم يعرج هرثمة على شيء، ووجهه إلى علي بن عيسى في الظاهر أموالاً وسلاحاً، وخليعاً وطيباً؛ حتى إذا نزل نيسابور جمَعَ جماعة من ثقات أصحابه وأولى السن والتجربة منهم؛ فدعا كل رجل منهم سرّاً، وخلا به، ثم أخذ عليهم العهود والمواثيق أن يكتموا أمره، ويطوؤا ميرة، وولّى كل رجل منهم كورة^(١)، على نحو ما كانت حاله عنده؛ فولّى جرجان ونيسابور والطبسين ونسا وسرخس، وأمر كل واحد^(٢) منهم، بعد أن دفع إليه عهده بالمسير^(٣) إلى عمله الذي ولاه على أخفى الحالات وأسترها، والتشبه بالمتجازين في ورودهم الكور ومقامهم فيها إلى الوقت الذي سماه لهم، وولّى إسماعيل بن حفص بن مصعب جرجان بأمر الرشيد، ثم مضى حتى إذا صار من مرو على مرحلة، دعا جماعة من ثقات أصحابه، وكتب لهم أسماء ولد علي بن عيسى وأهل بيته وكتبابه وغيرهم في رقاع، ودفع إلى كل رجل منهم رقعة باسم من وكله بحفظه إذا هو دخل مرو، خوفاً من أن يهربوا إذا ظهر أمره. ثم وجهه إلى علي بن عيسى: إن أحب الأمير أكرمه الله أن يوجهه ثقاته لقبض ما معي من أموال فععل؛ فإنه إذا تقدّم المال أمامي كان أقوى للأمير، وأفت في عضد أعدائه. وأيضاً فإنّي لا آمن عليه إن خلّفته وراء ظهري؛ أن يطمع فيه بعض من تسمو إليه نفسه إلى أن يقطع بعضه، ويفرض غفلتنا عند دخول المدينة. فوجهه علي بن عيسى جهابذته وقهارته لقبض المال، وقال هرثمة لخزانة: اشغلهم هذه الليلة، واعتلوا عليهم في حمل المال بعلّة تقرب من أطماعهم، وتزيل الشك عن قلوبهم، ففعلوا. وقال لهم الخزان: حتى تؤامروا أبا حاتم في دواب المال والبغال. ثم ارتحل نحو مدينة مرو، فلما صار منها على ميلين تلقاه علي بن عيسى في ولده وأهل بيته وقواده بأحسن لقاء ونسبه؛ فلما وقعت عين هرثمة عليه، ننسّى رجله لينزل عن دابته فصاح به علي: والله لئن نزلت لأنزلن، فثبت على سرجه، ودنا كل^(٤) منهما من صاحبه فاعتنقا، وسارا، وعلي يسأل هرثمة عن

(١) ج: «كورة».

(٢) ج: «رجل».

(٣) س: «المسير».

(٤) ج: «كل واحد».

أمر الرشيد وحاله وهيبته وحال خاصته وقواده وأنصار دوائته : وهرثة يُجيبه ، حتى صار إلى قنطرة لا يجوزها إلا فارس ، فحبس هرثة لحام دابته ، وقال لعلّي : سر على بركة الله ، فقال عليّ : لا والله لا أفعل حتى تمضي أنت ، فقال : إذاً والله لا أمضي ، فأنت الأمير وأنا الوزير : فضى وتبعه هرثة حتى دخلاً مَرَوْ ، وصارا إلى منزل عليّ ، ورجاء الخادم لا يفارق هرثة في ليل ولا نهار ، ولا ركوب ولا جلوس : فدعا عليّ بالعشاء فطعما ، وأكلَ معهما رجاء الخادم ، وكان عازماً على ألا يأكل معهما ، فغمزه هرثة وقال : كُلْ فإنك جائع ، ولا رَأَى بلانع ولا حاقن ؛ فلما رُفِع الطعام قال له عليّ : قد أمرت أن يفرغ لك قصر على الماشان ؛ فإن رأيت أن تصير إليه فعلت . فقال له هرثة : إن معي من الأمور ما لا يتحمل تأخير المناظرة فيها ؛ ثم دفع رجاء الخادم كتاب الرشيد إلى عليّ ، وأبلغه رسالته . فلما فُضَّ الكتاب فنظر إلى (١) أول حرف منه سَقِط في يده ، وعلم أنه قد حلَّ به ما يخافه ويتوقعه ، ثم أمر هرثة بتقييده وتقييد ولده وكتابه وعماله—وكان رجل (٢) ومعه قُر من قيود وأغلال— فلما استوسق منه صار إلى المسجد الجامع ، فخطب وبسط من آمال الناس ، وأخبر أن أمير المؤمنين ولّاه ثغورهم لما انتهى إليه من سوء سيرة الفاسق عليّ ابن عيسى ، وما أمره به فيه وفي عماله وأعوانه ، وأنه بالغ من ذلك ومن إنصاف العامة والخاصة ، والأخذ لهم بحقوقهم أقصى مواضع الحق . وأمر بقراءة عهده عليهم . فأظهروا السرور بذلك ، وانفسحت آمالهم ، وعظم رجائهم ، وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم ، وكثر الدعاء لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء . ثم انصرف ، فدعا بعليّ بن عيسى ولده وعماله وكُتَّابَه ، فقال : اكفوني مؤنتكم ، واعفوني من الإقدام بالملكروه عليكم . ونادى في أصحاب ودائعهم ببراءة الذمة من رجل كانت لعلّي عنده ودیعة أو لأحد من ولده أو كتابه أو عماله وأخفاها ولم يظهر عليها ؛ فأحضره الناس ما كانوا يؤذون إلا رجلاً من أهل مَرَوْ — وكان من أبناء انجوس — فإنه لم يزل يتألف للأوصول (٣) إلى عليّ بن عيسى حتى صار إليه ، فقال له سرّاً : لك عندى مال ؛ فإن احتجت

٧٢١/٣

(٢) س : « دخل » .

(١) س : « ف »

(٣) ج : « بالوصل »

إليه حملته إليك أولاً فأولاً ، وصبرت للقتل فيك ؛ إيثاراً للوفاء وطلباً للحميل
 الثناء ، وإن استغنييت عنه حبسته عليك حتى ترى فيه رأيك . فعجب على
 منه ، وقال : أو اصطنعتُ مثلك ألف رجل ما طمع في السلطان ولا الشيطان أبداً .
 ثم سأله عن قيمة ما عنده ، فذكر له أنه أودعه مالا وثياباً ومِسْكاً ، وأنه لا يدري
 ما قدر ذلك ؛ غير أنه أودعه بخطئه ، وأنه محفوظ لم يشذ منه شيء ، فقال له :
 دعه ؛ فإن ظهر عليه سلّمته ونجوت بنفسك ، وإن سلّمته به رأيت فيه رأيي .
 وجزاه الخير ، وشكر له فعله ذلك أحسن شكر ، وكافأه عليه وبره . وكان
 يُضرب به المثل بوفائه ؛ فذكر أنه لم يتسرّع عن^(١) هَرْمَة من مال عليّ إلا ما كان
 أودعه هذا الرجل - وكان يقال له : العلاء بن ماهان - فاستنظف هَرْمَة ما وراء
 ظهورهم حتى حلتى نسايتهم ؛ فكان الرجل يدخل إلى المنزل فيأخذ جميع
 ما فيه ؛ حتى إذا لم يبق فيه إلا صوف أو خشب أو ما لا قيمة له قال للمرأة :
 هاتي ما عليك من الحلّى ، فتقول للرجل إذا دنا منها لينزع ما عاها : يا هذا ،
 إن كنت محسناً فاصرف بصرّك عني ، فوالله لا تركتُ شيئاً من بغيتك عليّ
 إلا دفعته إليك ؛ فإن كان الرجل يتحوّب من الدتّوا إليها أجابها إلى ذلك
 حتى ربما نبذت إليه بالحاتم والخلخال وما قيمته عشرة دراهم ، ومن كان
 بخلاف هذه الصفة ، قال : لا أرضى حتى أفتشك ؛ لا تكونين قد خبأت ذهباً
 أو درّاً أو ياقوتاً ؛ فيضرب يده إلى مغابنها وأرفاعها ؛ فيطلب فيها ما يظن
 أنها قد سترته عنه ؛ حتى إذا ظن أنه قد أحكم هذا كله وجهه على بعير بلا
 وطاء تحته ، وفي عنقه سلسلة ، وفي رجله قيود ثقّال ما يقلر معها على نهوض
 واعتماد .

٧٢٢/٣

فذكر عمن شهد أمر هَرْمَة وأمره ؛ أن هَرْمَة لما فرغ من مطالبة عليّ بن
 عيسى وولده وكتابه وعمّاله بأموال أمير المؤمنين ، أقامهم لمظالم الناس ،
 فكان إذا برّد الرجل عليه أو على أحد من أصحابه حق ، قال : اخرج
 للرجل من حقّه ، وإلا بسطت عليك ، فيقول عليّ : أصلح الله الأمير !

(١) : « لم ينذ علي هَرْمَة » .

أَجَلَنِي يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ، فيقول : ذلك إلى صاحب الحق ، فإن شاء فعل . ثم يُقْبِلُ عَلَى الرَّجُلِ ، فيقول : أَسَرَّيْ أَنْ تَدْعَهُ ؟ فإن قال : نعم ، قال : فانصرف وَعُدْ إِلَيْهِ ، فيبعث عَلَى إِلَى الْعَلَاءِ بْنِ مَاهَانَ ، فيقول له : صَالِحٌ فَلَنَا عَنِّي ^(١) مِنْ كَذَا وَكَذَا عَلَى كَذَا وَكَذَا ، أَوْ عَلَى مَا رَأَيْتَ ، فيصالحه وَيُصْلِحُ أَمْرَهُ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ قَامَ إِلَى هَرْمَةِ رَجُلٍ ، فقال له : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! إِنْ هَذَا الْفَاجِرُ أَخَذَ مِنِّي دَرَقَةً ^(٢) ثَمِينَةً لَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ مِثْلَهَا ، فَاسْتَرَاهَا عَلَى كُرْسِيِّهِ مَنِي وَلَمْ أَرِدْ بَيْعَهَا بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَأَتَيْتُ قَهْرْمَانَهُ أَطْلَبُ ثَمَنَهَا ، فَلَمْ يُعْطِنِي شَيْئًا ، فَأَقَمْتُ حَوْلًا أَنْتَظِرُ رُكُوبَ هَذَا الْفَاجِرِ ، فَلَمَّا رَكِبَ عَرَضْتُ لَهُ وَصِيحَتِي بِهِ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَنَا صَاحِبُ الدَّرَقَةِ ، وَلَمْ أَخْذْ لَهَا ثَمَنًا إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، فَقَدْ أَفْأَمْتِي وَلَمْ يُعْطِنِي حَتَّى ، فَخَذَلَنِي بِحَقِّي مِنْ مَالِي ^(٣) وَقَدْ فَهِ أُمِّي ، فَقَالَ : لَكَ بَيْتَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، جَمَاعَةٌ حَضَرُوا كَلَامَهُ ، فَأَحْضَرَهُمْ فَأَشْهَدَهُمْ ^(٤) عَلَى دَعْوَاهُ ، فَقَالَ هَرْمَةُ : وَجِبَ عَلَيْكَ الْحَدُّ ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لَقَدْ فَكَّ أَمَّ هَذَا ، قَالَ : مَنْ فَفَقَّهَكَ ^(٥) وَعَلَّمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا دِينُ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَأَشْهَدُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَدْ فَكَّكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ قَذَفْتَ بَنِيكَ مَا لَا أَحْصِي ، مَرَّةً حَاتِمًا وَمَرَّةً أَعِينُ ؛ فَمَنْ يَأْخُذُ لِهَؤُلَاءِ بِمُحْدُودِهِمْ مِنْكَ ؟ وَمَنْ يَأْخُذُ لَكَ مِنْ مَوْلَاكَ ! فَالْتَفَتَ هَرْمَةُ إِلَى صَاحِبِ الدَّرَقَةِ ، فَقَالَ : أَرَى لَكَ أَنْ تَطَالِبَ هَذَا الشَّيْطَانَ بِسَرَقَتِكَ أَوْ ثَمَنِهَا ، وَتَتْرِكَ مَطَالِبَتَهُ بِقَذْفِهِ أُمَّكَ .

٧٢٤/٣

* * *

[كِتَابُ هَرْمَةِ إِلَى الرَّشِيدِ فِي أَمْرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى]

وَلَمَّا حَمَلَ هَرْمَةُ عَلِيًّا إِلَى الرَّشِيدِ ، كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُخْبِرُهُ مَا صَنَعَ ؛ نَسَخْتُهُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ يَبْلِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَا قَلْبُهُ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَاسْتَرْعَاهُ مِنْ أُمُورٍ ^(٦) عِبَادَهُ وَبِلَادِهِ أَجْمَلِ

(١) س : « عَل » .

(٢) الدَّرَقَةُ : التَّرْسُ مِنْ جِلْدِ بِلَا خَشَبٍ وَلَا عَقَبٍ ، وَتُسَمَّى الْحِجْفَةُ أَيْضًا .

(٣) (٤) س : « مَالِهِ » .

(٥) ج : « فَهَمَكَ » .

(٦) س : « أَمْر » .

البلاء وأكلمته ، ويعرفه في كل ما حضره ونأى عنه من خاص أموره وعامتها ، ولطيفها وجليلها أتم الكفاية وأحسن الولاية ، ويعطيه في ذلك كله أفضل الأمانة ، ويبلغه فيه أقصى غاية المهمة ، امتناناً منه عليه ، وحفظاً لما جعل إليه ، مما تكفل بإعرازه وإعزاز أوليائه وأهل حقه وطاعته ؛ فيستتم الله أحسن ما عوده وعودنا من الكفاية في كل ما يؤدنا إليه ، ونسأله توفيقنا لما نقضى به المقرض من حقه في الوقوف عند أمره ، والاقتصار على رأيه .

ولم أزل أعز الله أمير المؤمنين ، مذ فصلت عن معسكر أمير المؤمنين ممثلاً ما أمرني به فيما أنهضني له ؛ لا أجاوز ذلك ولا أتعده إلى غيره ، ولا أتعرف اليأس والبركة إلا في امثاله ؛ إلى أن حلت أوائل خراسان ؛ صائناً للأمر الذي أمرني أمير المؤمنين بصيافته وسره ؛ لا أفضي ذلك إلى خاصي ولا إلى عامي ، ودبرت في مكتبة أهل الشاش وفرغانة وخزلهما^(١) عن الخائن ، وقطع طمعه وطمع من قبله عنهما ، ومكتبة من يبلغ بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين وفسترت له ، فلما نزلت نيسابور عملت في أمر الكور التي اجترت عليها بتولية من وليت عليها ، قبل مجاوزتي إياها ؛ كجرجان ونيسابور ونسأ ومسرخس ، ولم آل الاحتياط في ذلك ، واختيار الكفاة وأهل الأمانة والصحة من ثقات أصحابي ، وتقدمت إليهم في ستر^(٢) الأمر وكنهانه ، وأخذت عليهم بذلك أيمان البيعة ، ودفعت إلى كل رجل منهم عهداً بولايته ، وأمرتهم بالمسير^(٣) إلى كور أعمالهم على أخفى الحالات وأسترها ، والتشبه بالاحتجازين في ورودهم الكور ومقامهم بها إلى الوقت الذي سميت لهم ؛ وهو اليوم الذي قدرت فيه دخولي إلى مرو ، والتقائي وعلى بن عيسى ، وعملت في استكفائي^(٤) لإسماعيل بن حفص بن مصعب أمر جرجان بما كنت كتبت به إلى أمير المؤمنين ، فنفذ^(٥) أولئك العمال لأمرى ، وقام كل رجل منهم في الوقت الذي وقفت له بضبط عمله وإحكام ناحيته ، وكفى الله أمير المؤمنين المؤنة في ذلك ، بلطيف^(٦) صنعه .

(١) حزهما عن الخائن ، أي إيمادهما عنه . (٢) س : « بستر » .

(٣) ١ ، س : « بالمسير » . (٤) ١ ، س : « استكفاء » .

(٥) س : « فنفذ » . (٦) ١ ، ج : « بلطف » .

ولما صرتُ من مدينة مَرَوْ عَلَى منزل، اخترتُ عِدَّةً من ثقات أصحابي، وكتبتُ بتسمية ولد عليّ بن عيسى وكتّابه وأهل بيته وغيرهم رقاعاً، ودفعتُ إلى كلِّ رجلٍ منهم رُقعةً باسمِ مَنْ وكتّبه بحفظه في دخولي، ولم آمن لوقصرتُ في ذلك وأخترته أن يصيروا عند ظهور الخبر وانتشاره إلى التغيّب والانتشار، فعملوا بذلك، ورحلتُ عن^(١) موضعي إلى مدينة مَرَوْ، فلما صرتُ منها على ميلين تلقّاني عليّ بن عيسى في ولده وأهل بيته وقواده، فلقيته^(٢) بأحسن لقاء، وآنسته^(٣)، وبلغتُ من توقيره وتعظيمه والتماس التزول إليه أوّل ما بصرتُ به ما ازداد به أنساً وثقة، إلى ما كان ركن إليه قبل ذلك؛ مما كان يأتيه من كتب؛ فإنها لم تنقطع عنه بالتعظيم والإجلال مني له والالتباس، لإلقاء سوء الظنّ عنه؛ لئلا يسبق إلى قلبه أمرٌ ينتقض به ما دبر أمير المؤمنين في أمره، وأمرني به في ذلك. وكان الله تبارك وتعالى هو المنفرد بكفاية أمير المؤمنين الأمر فيه إلى أن ضمتي وإياه مجلسه، وصرتُ إلى الأكل معه، فلما فرغنا من ذلك بدلاني بسألني المصير إلى منزل كان ارتاده لي؛ فأعلمته ما معي من الأمور التي لا تحتمل تأخير المناظرة فيها. ثم دفع إليّ رجاء الخادم كتاب أمير المؤمنين وأبلغه رسالته، فعلم عند ذلك أن قد حلّ به الأمر الذي جناه على نفسه، وكسبه يداه؛ من سخط أمير المؤمنين، وتغيّر^(٤) رأيه بخلافه أمره وتعدّيه سيرته.

ثم صرتُ إلى التوكيل به، ومضيتُ إلى المسجد الجامع، فبسطتُ آمال الناس ممن حضر، وافتتحتُ القول بما حملني أمير المؤمنين إليهم، وأعلمتهم إعظام أمير المؤمنين ما أثناه، ووضح عنده من سوء سيرة عليّ، وما أمرني به فيه وفي عمّاله وأعوانه؛ وإني بالغ من ذلك ومن إنصاف العامة والخاصة والأخذ لهم بحقوقهم أقصى غايتهم. وأمرتُ بقراءة عهدي عليهم، وأعلمتهم أن ذلك مثالي وإمامي؛ وأنني به أقتلني، وعليه أحتلني؛ فتي زلتُ عن باب واحد من أبوابه فقد ظلمتُ نفسي، وأحلتُ بها ما يحلّ بمن خالف

(١) ١ : من : هـ .

(٢-٢) ٢ : بأحسن اللقاء وأنه .

(٣) ٣ : وتغيّره له .

رأى أمير المؤمنين وأمره ؛ فأظهروا السرور بذلك والاستبشار ، وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم ، وكثر دعاؤهم لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء .
 ثم انكفأت إلى المجلس الذي كان على بن عيسى فيه ، فصرت إلى تقييده وتقييد ولده وأهل بيته وكتابه وعماله والاستيثاق منهم جميعاً ؛ وأمرتهم بالخروج إلى من الأموال التي احتجوها من أموال أمير المؤمنين وفي المسلمين ، وإعقائي بذلك من الإقدام عليهم بالمكره والضرب ، وفاديت في أصحاب ودائعهم بإخراج ما كان عندهم . فحملوا إلى إليّ أن كتبت إلى أمير المؤمنين صديقاً صالحاً من الورق والعين^(١) ، وأرجو أن يعين الله على استيفاء ما قبلهم ، واستنظاف ما وراء ظهورهم ، ويسهل الله من ذلك أفضل ما لم يزل يعود به أمير المؤمنين من الصنع في مثله من الأمور التي يعنى بها إن شاء الله تعالى .

ولم أدع عند قدومي مرّو التقدّم في توجيه الرسل وإفناء الكتب ابانة في الإعذار والإنذار ، والتبصير والإرشاد ، إلى رافع^(٢) . ومن قبيله من أهل سمرقند ، وإلى من يبلغ ، على حسن ظني بهم في الإجابة ، ولزوم الطاعة والاستقامة ؛ ومهما تنصرف به رسل إليّ يا أمير المؤمنين من أخبار القوم في إجاباتهم وامتناعهم ، أعمل على حسبه من أمرهم ، وأكتب بذلك إلى أمير المؤمنين على حقه وصدقه . وأرجو أن يعرف الله أمير المؤمنين في ذلك من جميل صنعه ولطيف كفايته ؛ ما لم تزل عادته جارية به عنده ، بمنه وطوله وقوته والسلام .

الجواب من الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك بقدمك مرّو في اليوم الذي سميت ، وعلى الحال التي وصفت وما فسرّت ، وما كنت قدّمت من الخيل قبل ورودك إليها ؛ وعملت^(٣) به في أمر الكور التي سميت وتولية من وليت عليها قبل نفوذك عنها . ولطقت له من الأمر الذي استجمع لك به ما أردت من أمر الخائن على بن عيسى وولده وأهل بيته ، ومن صار في

(١) الورق : النعام المضروبة . والعين : الديثار .

(٢) هو رافع بن ليث بن نصر بن سيار .

(٣) ج : « وعملت » .

يدك من عماله وأصحاب أعماله واحتذائك في ذلك كله ما كان أمير المؤمنين مثل لك ووقفك عليه، وفهم أمير المؤمنين كل ما كتبت به، وحمد الله على ذلك كثيراً وعلى تسديده إياك وما أعانك به من توفيقه، حتى بلغت إرادة أمير المؤمنين، وأدركت طلبته، ^(١) وأحسن ما كان يحب بك وعلى يدك إحكامه^(٢)، مما كان اشتد به اعتناؤه، ولج به اهتمامه، وجزاك الخير على نصيحتك وكفائتك، فلا أعدم الله أمير المؤمنين أحسن ما عرفه منك في كل ما أهاب بك إليه، واعتمد بك عليه^(٣).

وأمير المؤمنين يأمرك أن تزداد جدًّا واجتهاداً فيما أمرك^(٤) به من تتبع أموال الخائن على بن عيسى وولده وكتابه وعماله ووكلائه وجهابذته والنظر فيما اختانوا به أمير المؤمنين في أمواله، وظلموا به الرعية في أموالهم، وتتبع ذلك واستخراجه من مظائنه ومواضعه، التي صارت إليه، ومن أيدي أصحاب الودائع التي استودعها إياهم، واستعمال الذين والشدة في ذلك كله؛ حتى تصير إلى استنظاف ما وراء ظهورهم؛ ولا تبقى من نفسك في ذلك بقية^(٥)، وفي إنصاف الناس منهم في حقوقهم ومظالمهم؛ حتى لا تبقى لمظلم منهم قبيلتهم وظلامة إلا استقصيت^(٦) ذلك له، وحملته وإياهم على الحق والعدل فيها، فإذا بلغت أقصى غاية الإحكام والمبالغة في ذلك، فأشخص الخائن وولده وأهل بيته وكتابه وعماله إلى أمير المؤمنين في وثاق، وعلى الحال^(٧) التي استحقوها من التغيير والتنكيل^(٨) بما كسبت أيديهم؛ وما الله بظلام للعبيد.

٧٢٩/٣

ثم اعمل بما أمرك به أمير المؤمنين من الشخوص إلى سمرقند، ومحاولة ما قبل خامل، ومن كان على رأيه ممن أظهر خلافاً وامتناعاً من أهل كور ما وراء النهر وطُخارستان بالدعاء إلى الفسنة والمراجعة، وبسط أمانات أمير المؤمنين التي حملتها إليهم؛ فإن قبلوا وأنابوا وراجعوا ما هو أملاك بهم، وفرقوا جموعهم، فهو ما يحب أمير المؤمنين أن يعاملهم به من العفو عنهم والإقالة

(١-١) س: «وأحكمت ما كان تحت يدك ويجب عليك إحكامه».

(٢) س: «يأمرك».

(٣) ج: «منك عليه».

(٤) س: «استصفيت».

(٥) س: «باقية».

(٦) ج: «التنير والتنكيل».

(٧) س: «على الحال».

لهم ؛ إذ كانوا رعيته ؛ وهو الواجب على أمير المؤمنين لهم إذ أجابهم إلى طلبتهم ،
وآمن روعهم ، وكفاهم ولاية من كرهوا ولايته ، وأمر بإنصافهم في حقوقهم
وظلاماتهم — وإن خالفوا ما ظنّ أمير المؤمنين ، فحاكمهم إلى الله إذ طغوا
وبغوا ، وكرهوا العافية وردّها ؛ فإنّ أمير المؤمنين قد قضى ما عليه ، فغيّر
ونكّل ، وعزل واستبدل ، وعفا عمن أحدث ، وصفح عمن اجترم ؛ وهو يشهد
الله عليهم بعد ذلك في خلاف إن آثروه ، وعذود^(١) إن أظهروه . وكفى بالله
شهيداً ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، عليه يتوكل وإليه ينب. والسلام .
وكتب إسماعيل بن صبيح بين يدي أمير المؤمنين .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن عليّ ، وكان
والى مكة .

ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين .

(١) عند عن الطريق — كنصر ومع وكرم — عذودا ، مال .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان الفداء بين المسلمين والروم على يدى ثابت بن نصر بن مالك.

* * *

[ذكر الخبر عن مسير الرشيد إلى خراسان]

وفيها وفى الرشيد من الرقة فى السنن مدينة السلام ، يريد^(١) الشخص
إلى خراسان لحرب رافع ؛ وكان مصيره ببغداد يوم الجمعة لخمس ليال يقين
من شهر ربيع الآخر ، واستخلف بالرقة ابنه القاسم ، وضم إليه خزيمة بن
خازم ، ثم شخص من مدينة السلام عشية^(٢) الاثنين ، لخمس خلون من شعبان
بعد صلاة العصر ، من الخيزرانية ، قبات فى بستان أبى جعفر ، ثم سار^(٣) من
غد إلى النهروان ، فمسكر هنالك ، ورد حماداً البربرى إلى أعماله ، واستخلف
ابنه محمداً بمدينة السلام .

وذكر عن ذى الرياستين أنه قال : قلت للمأمون لما أراد الرشيد الشخص إلى
خراسان لحرب رافع : لست تدري ما يحدث بالرشيد وهو خارج إلى خراسان ،
وهى ولايتك ، ومحمد المتقدم عليك ! وإن أحسن ما يصنع بك أن يخلعك ؛
وهو ابن زبيدة ، وأخواله بنو هاشم ، وزبيدة وأمواها ، فاطلب إليه أن يشخصك
معه . فسأله الإذن فأبى عليه ، فقلت له : قل له : أنت خليل ؛ وإنما أردت أن
أخلعك ، ولست أكلفك شيئاً . فأذن له وسار .

٧٢١/٣

فذكر محمد بن الصباح الطبرى أن أباه شيع الرشيد حين خرج إلى خراسان ،
فخصى معه إلى النهروان ، فجعل يحادثه^(٤) فى الطريق إلى أن قال له : يا صباح ،
لا أحسبك ترائى أبداً . قال : فقلت : بل يدرك الله سالماً . قد فتح^(٥) الله

(٢) س : « يريد » .
(٤) ج : « يحادثه » .

(١) س : « يريد » .
(٣) ج : « سار » .
(٥) س : « قد يفتح » .

عليك ، وأراك في عدوك أملك . قال : يا صباح ، ولا أحسبك تدري ما أجدر ! قلت : لا والله ، قال : فتعال حتى أريك ، قال : فانحرف عن الطريق قدّر مائة ذراع ، فاستظلّ بشجرة ، وأومأ إلى خدمه الخاصة فتنحّوا ، ثم قال : أمانة الله يا صباح أن تكتم^(١) عليّ ، فقلت : يا سيدي ، عبدك الذليل تخاطبه مخاطبة الولد ! قال : فكشف عن بطنه ؛ فإذا عصابة حرير حوالى بطنه ، فقال : هذه علّة أكتمها الناس كلّهم ؛ ولكلّ واحد من ولدى على رقيب ، فسرور رقيب المأمون ، وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين - وسمي الثالث فذهب عنى اسمه - وما منهم أحد إلا وهو يحصى أنفاسي ، وبعد أيام ، ويستطيل عمري^(٢) ، فإن أردت أن تعرف ذلك فالساعة أدعو بدابة ، فيجيئوني يبرذون أعجف قطوف^(٣) ، ليزيد في علىّ ، فقلت : يا سيدي ٧٣٢/٣ ما عندى في الكلام جواب ؛ ولا في ولاية اليهود ؛ غير أنى أقول : جعل الله من يشنؤك من الجنّ والإنس والقريب والبعيد فذاك ؛ وقدّمهم إلى تلك قبلك ، ولا أرانا فيك مكروهاً أبداً ، وعمر بك الله الإسلام ، ودعم ببقائك أركانه ، وشدّ بك أرجاءه ، وردّك الله مظفراً مفلحاً ، على أفضل أمّلك في عدوك ، وما رجوت من ربك . قل : أمّا أنت فقد تخلّصت من الفريقين .

قال : ثم دعا يبرقين ، فجاءوا به كما وصف ، فنظر إلى فركه ، وقال انصرف غير مودّع ؛ فإن لك أشغالا ، فودّعه وكان آخر العهد به .

• • •

وفيها تحرك الحرّمية بناحية أذربيجان ، فوجه إليهم الرشيد عبد الله بن مالك في عشرة آلاف فارس ، فأسر وسبى ، ووافاه بقرمّاسين ، فأمر بقتل الأسارى وبيع السبى .

وفيها مات علىّ بن ظبيان القاضي بقصر النصوص .

وفيها قدم يحيى بن معاذ بأبى النداء^(٤) على الرشيد وهو بالرقّة فقتله .

(٢) س : « دهرى » .

(٤) س : « الندى » .

(١) ج : « إن كنت » .

(٣) دابة قطوف : ضاق مشياً .

وفيهما فارق عُجَيف بن عنبسة والأحوص بن مهاجر في عدّة من أبناء الشّعبة رافع بن ليث ، وصاروا إلى هرّمة .

وفيهما قُدِمَ بابن عائشة وبعده من أهل أحواف مصر .

وفيهما ولّى ثابت بن نصر بن مالك الثّغور^(١) وغزا ، فافتتح مظمورة .

وفيهما كان الفداء بالبُدّندون .

وفيهما تحرّك ثروان الحروريّ ، وقتل عامل السلطان بطفّ البصرة .

وفيهما قُدِمَ بعليّ بن عيسى بغداد ، فحبس في داره .

وفيهما مات عيسى بن جعفر بطارستان^(٢) - وقيل بالدّسكرة - وهو يريد اللّحاق بالرّشيد . ٧٣٣/٣

وفيهما قتل الرّشيد الهيصم اليمايّ^(٣) .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور .

(١) ج : « الثغر » .

(٢) ج : « بطبرستان » .

(٣) ابن الأثير : « الهيصم الكنانى » .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر الخبر عن وفاة الفضل بن يحيى]

فمن ذلك وفاة الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في الحبس بالرقعة في المحرم ، وكان بدمه علقته — فيما ذكر — من ثقل أصابه في لسانه وشقيقه ؛ وكان يقول : ما أحب أن يموت الرشيد ، فيقال له : أما تحب أن يفرج الله عنك ! فيقول : إن أمرى قريب من أمره . ومكث يعالج أشهراً ، ثم صلح ، فجعل يتحدث ، ثم اشتد عليه فعقد لسانه وطرفه ، ووقع لمآبه ، فكث في تلك الحال يوم الخميس ويوم الجمعة ، وتوفي مع أذان الغداة ، قبل وفاة الرشيد بخمسة أشهر ؛ وهو في خمس وأربعين سنة ، وجزع الناس عليه ، وصلى عليه إخوانه في القصر الذي كانوا فيه قبل إخراجهم ، ثم أخرج فصلى الناس على جنازته .

• • •

وفيهما مات سعيد الطبري المعروف بالجوهرى .

• • •

[ذكر الخبر عن مقام الرشيد بطوس]

وفيهما وافى هارون جرجان في صفر ، فوافاه بها خزائن على بن عيسى على ألف بعير وخمسمائة بعير ، ثم رحل من جرجان — فيما ذكر — في صفر ، وهو عليل ، إلى طوس ؛ فلم يزل بها إلى أن توفي — واتهم هرثة ، فوجده ابنه المأمون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلى مَرَو ، ومعه عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن يزيد بن مزيد والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسندى ابن الحرشي ونعيم بن حازم ؛ وعلى كتابته ووزارته أيوب بن أبي سمير ، ثم اشتد بهارون الوجع حتى ضعف عن السير .

وكانت بين هرثة وأصحاب رافع فيها وقعة ، فتح فيها بخارى ، وأسر

أنخا رافع بشير بن الليث، فبعث به إلى الرشيد وهو بطوس؛ فذكر عن ابن جامع المروزي، عن أبيه، قال: كنت فيمن^(١) اجاء إلى الرشيد بأخي رافع. قال: فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذراع، وعليه فرش بقدر ذلك - أو قال أكثر - وفي يده مرآة ينظر إلى وجهه. قال: فسمعتة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! ونظر إلى أخي رافع، فقال: أما والله يا ابن اللئيم؛ إني لأرجو ألا يفوتني خامل^(٢) - يريد رافعاً - كما لم تفوتني. فقال له: يا أمير المؤمنين، قد كنت لك حرباً، وقد أظفرك الله بي فافعل ما يحب الله، أكن لك مسلماً؛ ولعل الله أن يلين لك قلب رافع إذا علم أنك قد مننت على! فغضب وقال: والله لو لم يبق من أجلك إلا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت: اقتلوه. ثم دعا بقصّاب، فقال: لا تشحذ مُدّاك، اتركها على حالها، وفصل هذا الفاسق ابن الفاسق، وعجل؛ لا يحضرن أجلى وعضوان من أعضائه في جسمه. ففصله حتى جعله أشلاء. فقال: عند أعضاءه،^(٣) فعددت له أعضاءه^(٤)، فإذا هي أربعة عشر عضواً، فرفع يديه إلى السماء، فقال: اللهم كما مكنتني من نارك وعدوك، فبلغت فيه رضاك، فكنتني من أخيه. ثم أغشى عليه، وتفرق من حضره.

٧٣٥/٣

* * *

[ذكر الخبر عن موت الرشيد]

وفيها مات هارون الرشيد.

• ذكر الخبر عن سبب وفاته والموضع الذي توفّي فيه :

ذكر عن جبريل بن بختيشوع أنه قال: كنت مع الرشيد بالرقّة، وكنت أول من يدخل عليه في كل غداة، فأتعرّف^(١) حاله في ليلته؛ فإن كان أنكر شيئاً وصفه، ثم ينسبط فيحدثني بحديث جواريه وما عمل في مجلسه، ومقدار شربه، وساعات جلوسه، ثم يسألني عن أخبار العامة وأحوالها؛ فدخلت عليه في غداة يوم، فسلمت فلم يكلم يرفع طرفه؛ ورأيتة عابساً، ففكرت

(٢) س : « حائل » .

(١) س : « عن » .

(٤) ج : « فأعرف » .

(٣ - ٢) س : « فعددت أعضائه » .

مهموماً ، فوقفت بين يديه ملياً من النهار ، وهو على تلك الحال ؛ فلما طال ذلك أقدمتُ عليه ، فقلت : يا سيدى ، جعلنى الله فداك ! ما حالك هكذا ، أعلتْ فأخبرنى بها ؛ فلعله يكون عندى دواؤها ، أو حادثة فى بعض مَنْ تحبُّ فذاك ما لا يُدفع ولا حيلة فيه إلا التسليم والغم ، لادرك فيه ، أو فسَنقُ ورد عليك فى مُلكك ، فلم تخلُ الملوك من ذلك ؛ وأنا أولى من أفضيت إليه بالخبر ، وتروحت إليه بالمشورة . فقال : ويحك يا جبريل ! ليس غمى وكرى لشيء مما ذكرت ، ولكن لرؤيا رأيتها فى ليلتى هذه ، وقد أفرغتني وملأت صدرى ، وأقرحت^(١) قايى ، قلت : فرجت عني يا أمير المؤمنين ؛ فدنوتُ منه ، فقبِلت رجليه ، وقلت : أهذا الغم كله لرؤيا ! الرؤيا إنما تكون من خاطر أو بخارات رديئة أو من تهاويل السوداء ؛ وإنما هى أضغاث أحلام بعد هذا كله . قال : فأقصها عليك ، رأيت كأنى جالس على سريرى هذا ؛ إذ بدت من تحتى ذراع أعرفها وكفّ أعرفها ، لا أفهم اسم صاحبها ، وفى الكفّ تربة حمراء ، فقال لى قائل أسععه ولا أرى شخصه : هذه التربة التى تُدفن فيها ، فقلت : وأين هذه التربة ؟ قال : بطوس . وغابت اليد وانقطع الكلام ، وانتبهت . فقلت : يا سيدى ، هذه والله رؤيا بعيدة ملتبسة ، أحسبك أخذت مضجعك ، ففكرت فى خراسان وحروبها وما قد ورد عليك من انتقاض بعضها . قال : قد كان ذاك ، قال : قلت : فلذلك^(٢) الفكر خائطك فى منامك ما خائطك ، فولد هذه الرؤيا ، فلا تحفيل بها جعلنى الله فداك ! وأتبع هذا الغم^(٣) سروراً ، يخرج من قلبك لا يولد علة . قال : فما برحت أطيّب نفسه بضروب من الحيل ، حتى سلا وانبسط^(٤) ، وأمر بإعداد ما يشتهي ، ويزيد فى ذلك اليوم فى لهوه . ومرت الأيام فنسى ، ونسينا تلك الرؤيا ، فما خطرت لأحد منا ببال ، ثم قدر مسيره إلى خراسان حين خرج^(٥) رافع ، فلما صار فى بعض الطريق ، ابتدأت به العلة فلم تزل تتزايد^(٦) حتى دخلنا طوس ، فتركنا فى منزل الجنيد بن

(١) كذا فى ج ، وفى ط : « أفرجت » .

(٢) س : « فقلت لذلك » .

(٣) ج : « الغم » .

(٤) س : « فانبسط » .

(٥) س : « تزويد » .

(٦) ج : « تحرك » .

عبد الرحمن في ضيعة له تعرف بستانآباد ، فبيتنا هو يمرض في بستان له في ذلك القصر إذ ذكر تلك الرؤيا ، فوثب متحاملًا يقوم ويسقط ؛ فاجتمعنا إليه ؛ كلّ يقول : يا سيدي ما حالك ؟ وما دهالك ؟ فقال : يا جبريل ، تذكر رؤياي بالرفقة في طُوس ؟ ثم رفع رأسه إلى مسرور ، فقال : جئني من تربة هذا البستان ، فضي مسرور ، فأني بالتربة في كفه حاسراً عن ذراعه ، فلما نظر إليه قال : هذه والله الذراع التي رأيته في منامي ، وهذه والله الكف بعينها ، وهذه والله التربة الحمراء ما خرمت شيئاً ؛ وأقبل على البكاء والنحيب . ثم مات بها والله بعد ثلاثة ، ودفن^(١) في ذلك البستان .

٧٢٧/٣

وذكر بعضهم أن جبريل بن بختيشوع كان غلط على الرشيد في علته في علاج عاجله به ، كان سبب منيته ؛ فكان الرشيد همّ ليلة مات بقتله ، وأن يفصله كما فصل أخا رافع ، ودعا بجبريل ليفعل ذلك به ، فقال له جبريل : أنظرنى إلى غدٍ يا أمير المؤمنين ، فإنك ستصبح في عافية . فمات في ذلك اليوم .

وذكر الحسن بن عليّ الرّبيعيّ أن أباه حدثه عن أبيه — وكان جملاً معه مائة جمل ، قال : هو حمل^(٢) الرشيد إلى طُوس — قال : قال الرشيد : احضروا لي قبراً قبل أن أموت ، فحفروا له ، قال : فحملته في قبة أقود به ؛ حتى نظر إليه . قال ، فقال : يابن آدم تصير إلى هذا !

وذكر بعضهم أنه لما اشتدت به العلة أمر بقبوره فحيفر في موضع من الدار التي كان فيها نازلاً ، بموضع يسمى المثقب ، في دار حميد بن أبي غانم الطائي ، فلما فرغ من حفر القبر ، أنزل فيه قومًا فقرعوا فيه القرآن حتى ختموا ، وهو في محفة على شفير القبر .

وذكر محمد بن زياد بن محمد بن حاتم بن عبيد الله بن أبي بكر ، أن سهل بن صاعد حدثه ، قال : كنت عند الرشيد في بيته الذي قبض فيه ، وهو يجود بنفسه ، فدعا بمحففة غليظة فاحتجى بها ، وجعل يقاسي

٧٢٨/٣

(٢) ج : « حال » .

(١) س : « ثم دفن » .

ما يقاسى ؛ فنهضت فقال لى : اقعد يا سهل ، فقعدت وطال^(١) جلوسى لا يكلمنى ولا أكلمه ، والمليحة تنحل فيعيد الاحتباء بها ، فلما طال ذلك نهضت ، فقال لى : إلى أين يا سهل ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، ما يسع^(٢) قلبي أن أرى أمير المؤمنين يعانى من العلة ما يعانى ؛ فلو اضطجعت يا أمير المؤمنين كان أروح^(٣) لك ! قال : فضحك ضحك صحيح ، ثم قال : يا سهل إني أذكر في هذه الحال قول الشاعر :

وَلَأَنَّى مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ يَزِيدُهُمْ شِمَاماً وَصَبْرًا شِدَّةَ الْحَدَثَانِ

وذكر عن مسرور الكبير ، قال : لما حضرت الرشيد الوفاة ، وأحسن بالموت ، أمرني أن أنشر^(٤) الوشي فأتيت به بأجود ثوب أقدر عليه وأغلاه قيمة ، فلم أجد ذلك في ثوب واحد ، ووجدت ثوبين أغلى شئ قيمة ، وجدتهما متقاربين في أثمانهما ، إلا أن أحدهما أغلى من الآخر شيئاً ، وأحدهما أحمر والآخر أخضر ، فحبته بهما ، فنظر إليهما وخبرته قيمتهما ، فقال : اجعل أحسنهما كفى ، ورد الآخر إلى موضعه .

وتوفى — فيما ذكر — في موضع يدعى المثقب ، في دارحميد بن أبي غانم ، نصف الليل ؛ ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وصلى عليه ابنه صالح ، وحضر وفاته الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح ، ومن خدمه مسرور وحسين ورشيد .

وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً ، أولها ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وآخرها ليلة السبت لثلاث ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة . ٧٢٩/٣

وقال هشام بن محمد : استخلف أبو جعفر الرشيد هارون بن محمد ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، وهو يومئذ ابن اثنتين وعشرين سنة ، وتوفى ليلة الأحد غرة جمادى الأولى وهو ابن

(١) ١ ، س : « فطال » .

(٢) ٢ ، س : « يتسع » .

(٣) ٣ ، س : « أروع » .

(٤) ٤ ، س : « أفتش » .

خمس وأربعين سنة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، فلك ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وستة عشر يوماً .

وقيل : كان سنة يوم نوفي سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، أولها ثلاث بقين من ذى الحجة سنة خمسين وأربعين ومائة ، وآخرها يومان مضيا من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وكان جميلا وسيما أبيض جعدا ، وقد وخطه الشيب .

• • •

ذكر ولاية الأمصار في أيام هارون الرشيد

ولاية المدينة : إسحاق بن عيسى بن علي ، عبد الملك بن صالح بن علي ، محمد بن عبد الله ، موسى بن عيسى بن موسى ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، علي بن عيسى بن موسى ، محمد بن إبراهيم ، عبد الله بن مصعب الزبيرى ، بكار بن عبد الله بن مصعب ، أبو البختري وهب بن وهب .

ولاية مكة : العباس بن محمد بن إبراهيم ، سليمان بن جعفر بن سليمان ، موسى بن عيسى بن موسى ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، عبد الله بن قشتم ابن العباس ، محمد بن إبراهيم ، عبيد الله بن قشتم ، عبد الله بن محمد بن عمران ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ، العباس بن موسى بن عيسى ، علي بن موسى بن عيسى ، محمد بن عبد الله العثماني ، حماد البربري ، سليمان بن جعفر ابن سليمان ، أحمد بن إسماعيل بن علي ، الفضل بن العباس بن محمد .

٧٤٠/٣

ولاية الكوفة : موسى بن عيسى بن موسى ، يعقوب بن أبي جعفر ، موسى ابن عيسى بن موسى ، العباس بن عيسى بن موسى ، إسحاق بن الصباح الكندي ، جعفر بن جعفر بن أبي جعفر ، موسى بن عيسى بن موسى ، العباس بن عيسى بن موسى ، موسى بن عيسى بن موسى .

ولاية البصرة : محمد بن سليمان بن علي ، سليمان بن أبي جعفر ، عيسى ابن جعفر بن أبي جعفر ، خزيمه بن خازم ، عيسى بن جعفر ، جرير بن زياد ، جعفر بن سليمان ، جعفر بن أبي جعفر ، عبد الصمد بن علي ، مالك

ابن عليّ الخزاعي ، إسحاق بن سليمان بن عليّ ؛ سليمان بن أبي جعفر ، عيسى
ابن جعفر ، الحسن بن جميل مولى أمير المؤمنين ؛ إسحاق بن عيسى بن عليّ .
ولاية خراسان : أبو العباس الطوسي ، جعفر بن محمد بن الأشعث ،
العباس بن جعفر ، الغطريف بن عطاء ، سليمان بن راشد على الخراج ، حمزة
ابن مالك ، الفضل بن يحيى ، منصور بن يزيد بن منصور ، جعفر بن يحيى
خليفته بها ، عليّ بن الحسن بن قحطبة ، عليّ بن عيسى بن ماهان ،
هرثمة بن أعين .

• • •

ذكر بعض سير الرشيد

ذكر العباس بن محمد عن أبيه ، عن العباس ، قال : كان الرشيد يصلّي
في كلّ يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا ؛ إلا أن تعرض له علة ، وكان
يتصدق من صُلب ماله في كلّ يوم بألف درهم بعد زكاته ، وكان إذا حجّ
حجّ معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحجّ أحجّ ثلاثمائة رجل بالنفقة
الساغة والكسوة الباهرة^(١) ، وكان يقتني آثار المنصور ، ويطلب العمل بها
إلاّ في بذل المال ؛ فإنه لم يرّ خليفة قبله كان أعطى منه للمال ، ثمّ المأمون من
بعده . وكان لا يضيع عنده إحسان محسن ، ولا يؤخّر ذلك في أوّل ما يجب
ثوابه . وكان يحبّ الشعراء والشعر ، ويميل إلى أهل الأدب والفقه ، ويكره
المراء^(٢) في الدين ، ويقول : هو شيء لا نتيجة له ، وبالحرى ألا يكون فيه ثواب ،
وكان يحبّ المديح ؛ ولا سيما من شاعر فصيح ، ويشتره بالثمن الغالي .

وذكر ابن أبي حفصة أنّ مروان بن أبي حفصة دخل عليه في سنة إحدى
وثمانين ومائة يوم الأحد لثلاث^(٣) خلون من شهر رمضان ، فأنشده شعره الذي
يقول فيه :

وَسَدَّتْ بِهَارُونَ الثُّغُورُ فَأُحْكِمَتْ هـ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ الْمَرَاتِرُ

(٢) ج : د الخرائن .

(١) س : الطاهرة .

(٣) س : د لست .

وما انفكَّ مَعْقُودًا بِنَصْرِ لَوَاؤِهِ
وَكُلَّ مُلُوكِ الرُّومِ أَعْطَاهُ جِزْيَةً
لَقَدْ تَرَكَ الصَّفْصَافُ هَارُونَ صَفْصَافًا
أَنَاخَ عَلَى الصَّفْصَافِ حَتَّى امْتَبَاحَهُ
إِلَى وَجْهِهِ تَسْمُو الْعُيُونُ وَمَا سَمَتْ
تَرَى حَوْلَهُ الْأَمْلَاقَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
يَسُوقُ يَدَيْهِ مِنْ قُرَيْشٍ كِرَامُهَا (١)
إِذَا فَقَدَ النَّاسُ الْغَمَامَ تَتَابَعَتْ
عَلَى ثِقَةٍ أَلْقَتْ إِلَيْكَ أُمُورَهَا (٢)
أُمُورٌ بِمِيرَاثِ النَّبِيِّ وَلَيْسَ بِهَا
إِلَيْكُمْ تَنَاهَتْ فَاسْتَقَرَّتْ وَلَئِنَّمَا
خَلَفَتْ لَنَا الْمَهْدِيُّ فِي الْعَدْلِ وَالنَّدَى
وَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ نُجُومٌ مُضِيئَةٌ
عَلَى بَنِي سَاقِ الْحَجِيجِ تَتَابَعَتْ
فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَتَقَنْتُ أَنْ لَسْتُ بِالْعَا (٣)
وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَارِدٌ لِحِيَاضِكُمْ (٤)
حُصُونُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي كُلِّ مَازِقٍ
قَطُورًا يَهْزُونَ الْقَوَاطِعَ وَالْقَنَا
بِأَيْدِي عِظَامِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ لَاتِنِي
لِيَهْنِكُمْ الْمُلْكُ الَّذِي أَصْبَحْتَ بِكُمْ

٧٤٢/٣

٧٤٣/٣

لَهُ عَسْكَرٌ عَنْهُ تُشْطِي الْعَسَاكِرُ
عَلَى الرِّغْمِ قَسْرًا عَنْ يَدِهِ وَهُوَ صَافِرٌ
كَأَنَّ لَمْ يَدْمُنْهُ مِنَ النَّاسِ حَاضِرٌ (١)
فَكَابَرَهُ فِيهَا أَلِجْ مُكَابِرُ
إِلَى مِثْلِ هَارُونَ الْعُيُونُ النَّوَظِرُ
كَمَا حَقَّتِ الْبَدْرُ النُّجُومُ الزُّوَاهِرُ
وَكِلْتَاهُمَا بَحْرٌ عَلَى النَّاسِ زَانِحٌ
عَلَيْهِمْ بِكَفَيْكَ الْغُيُومُ الْمَوَاطِرُ (٢)
قُرَيْشٌ، كَمَا أَلْقَى عَصَاهُ الْمُسَافِرُ
فَأَنْتَ لَهَا بِالْحَزَمِ طَائِرٌ وَنَاشِرُ
إِلَى أَهْلِ صَارَتْ بِهِنَّ الْمَصَابِرُ
فَلَا الْعُرْفُ مَنُورٌ وَلَا الْحُكْمُ جَائِرُ
إِذَا غَابَ نَجْمٌ لَاحَ آخَرُ زَاهِرُ
أَوَائِلُ مِنْ مَغْرُوفِكُمْ وَأَوَاخِرُ
مَدَى شُكْرِ نِعْمَاكُمْ وَإِنِّي لَشَاكِرُ
وَدُوْ نَهَلٍ بِالرُّيِّ عَنْهُمْ صَادِرُ
صُدُورُ الْعَوَالِي وَالسُّيُوفُ الْبَوَاتِرُ
وَطُورًا بِأَيْدِيهِمْ تَهْزُ الْمَخَاصِرُ (٣)
بِهِمْ لِلْعَطَايَا وَالْمَنَايَا بَوَاوِرُ
أَسْرَتُهُ مُخْتَالَةٌ وَالْمَنَابِرُ

(٢) ج : « يسوف يديه » .

(٤) س : « أَلْقَتْ عَلَيْكَ » .

(٦) س : « بجياضكم » .

(١) : « كان لم يكن » .

(٣) : « س : « الفيوث المواتر » .

(٥) س : « وأصبحت » .

(٧) ط : « المحاضر » ، والصواب ما أثبتته من أ .

أَبُوكَ وَلِيَّ الْمُصْطَفَى دُونَ هَاشِمٍ . وَلَإِنْ رَغِمَتْ مِنْ حَاسِدِيكَ الْمَنَاحِرُ

فأعطاه خمسة آلاف^(١) دينار ، فقبضها بين يديه وكساه خلعتة ، وأمر له بعشرة من رقيق الروم ، وحمله على برذون من خاصّ مراكبه .

وذكر أنه كان مع الرشيد ابنُ أبي مریم المدنيّ ، وكان مضحكاً^(٢) له محدثاً فكيفها ، فكان الرشيد لا يصبر عنه ولا يملّ محادثته^(٣) ؛ وكان ممن قد جمع إلى ذلك المعرفة بأخبار أهل الحجاز وألقاب الأشراف ومكايد الحبان ، فيبلغ من خاصّته بالرشيد أن بوّاه منزلاً في قصره ، وخططه بحُرْمه وبطانته ومواليه وغلمانة ؛ فجاء ذات ليلة وهو نائم وقد طلع الفجر ، وقام الرشيد إلى الصلاة فألفاه نائماً ، فكشف اللحاف عن ظهره^(٤) ، ثم قال له : كيف أصبحت ؟ قال : يا هذا ما أصبحت بعد ، اذهب إلى عملك ، قال : ويلك ! قم إلى الصلاة ، قال : هذا وقت صلاة أبي الجارود ، وأنا من أصحاب أبي يوسف القاضي . فضى وتركه نائماً ، وتأهب الرشيد للصلاة ، فجاء غلامه فقال : أمير المؤمنين قد قام إلى الصلاة ، فقام فألقى عليه ثيابه ، ومضى نحوه ، فإذا الرشيد يقرأ في صلاة الصبح ، فأنهى إليه وهو يقرأ : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾^(٥) فقال ابن أبي مریم : لا أدري والله ! فما تمالك الرشيد أن ضحك في صلاته ، ثم التفت إليه وهو كالغضب ، فقال : يا ابن أبي مریم : في الصلاة أيضاً ! قال : يا هذا وما صنعت ؟ قال : قطعت على صلاتي ، قال : والله ما فعلت ؛ إنما سمعت منك كلاماً غمّني حين قلت : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ فقلت : لا أدري والله ! فعاد فضحك ، وقال : إياك والقرآن والدين ، ولك ما شئت بعدهما .

وذكر بعضُ خدام الرشيد أن العباس بن محمد أهدى غالبية إلى الرشيد ، فدخل عليه وقد حملها معه ، فقال : يا أمير المؤمنين . جعلني الله فداك ! قد جئت بك بغالية ليس لأحد مثلها ، أما ميسكها فن سرّ الكلاب التبتية

(٢) ١ ، ج : « مضحكاً » .

(٤) ٤ : س : « هه » .

(١) س وابن الأثير « عشرة آلاف » .

(٣) س : « عن محادثته » .

(٥) سورة يس ٢٢

العتيقة ، وأما عَسْبَرُهَا فمن عنبر بحر عَدَنَ ، وأما بَانُهَا فمن فلان المدنى المعروف
بمجدة عمله ، وأما مَرْكَبُهَا فلإنسان بالبصرة عالم بتأليفها ، حاذق بتركيبها ، فإن
رأى أمير المؤمنين أن يَمُنَّ علىَّ بقبولها فعل ، فقال الرشيد لخاقان الخادم وهو
على رأسه : يا خاقانُ ، أدخل هذه الغالية ، فأدخلها خاقان ، فإذا هي في
بَرْئِيَّة^(١) عظيمة من فضة ، وفيها مِلْعَقَةٌ ، فكشف عنها وابن أبي مريم حاضر ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، هَبَّهَا لِي ، قال : خذها إليك . فاغتاط العباس ،
وطار أسفاً ، وقال : ويلك ! عمدت إلى شيء منعتهُ نفسي ، وآثرتُ به
سیدی فأخذته ! فقال : أمه فاعلة إن دهن بها إلا استه ! قال : فضحك
الرشيد ، ثم وثب ابنُ أبي مريم ، فألقى طرف قميصه على رأسه ، وأدخل يده
في البَرْئِيَّة ، فجعل يخرج منها ما حملت يده ، فيضعه في استه مرة وفي
أرقاعه ومغابنه أخرى ، ثم سود بها وجهه ورأسه وأطرافه ، حتى أتى على جميع
جوارحه ، وقال لخاقان : أدخل إلى غلامی ، فقال الرشيد وما يعقل مما هو
فيه من الضحك ، ادعُ غلامه ، فدعاه ، فقال له : اذهب بهذه الباقية^(٢) ،
إلى فلانة ، امرأته ، فقل لها : اذهبي بهذا حرك إلى أن أنصرف فأنيكك . فأخذها
الغلام ومضى ، والرشيد يضحك ، فذهب به الضحك . ثم أقبل على العباس
فقال : والله أنت شيخ أحق ، تجيء إلى خليفة الله فتمدح عنده غالية !
أما تعلم أن كل شيء تمطر السماء وكل شيء تخرج الأرض له ، وكل شيء
هو في الدنيا فلك يده ، وتحت خاتمه وفي قبضته ! وأعجب من هذا أنه قبل
ملك الموت : انظر كل شيء يقول لك هذا فأنفذه ، فقل هذا تَمدح عنده
الغالية ، ويخطب في ذكرها ، كأنه بقال أو عطار أو تمار ! قال : فضحك
الرشيد حتى كاد ينقطع نَفْسُهُ . ووصل ابنُ أبي مريم في ذلك اليوم بمائة
ألف درهم .

وذكر عن زيد بن علي بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب ، قال : أراد الرشيد أن يشرب الدّواء يوماً ، فقال له ابن
أبي مريم : هل لك أن تجعلني حاجبتك غدًا عند أخذك للدواء ؟ وكل شيء

(١) البرية في الاصل : إنا من خزف . (٢) س : « الباطية » .

أَكْسَبَهُ فَهُوَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؟ قَالَ : أَفْعَلُ ، فَبَعَثَ إِلَى الْحَاجِبِ : ائْزِمْ غَدًا مِثْلَكَ ، فَإِذَا قَدْ وَلَّيْتَ ابْنَ أَبِي مَرْيَمَ الْحِجَابَةَ . وَبَكَرَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، فَوَضَعَ لَهُ الْكُرْسِيَّ ، وَأَخَذَ الرَّشِيدُ دَوَاهَهُ ، وَبَلَغَ الْخَبَرَ بِطَانَتَهُ ، فَجَاءَ رَسُولُ أُمِّ جَعْفَرٍ يَسْأَلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنْ دَوَاهِهِ ، فَأَوْصَلَهُ إِلَيْهِ ، وَتَعَرَّفَ حَالَهُ وَانصَرَفَ بِالْجَوَابِ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : أَعْلِمِ السَّيْنَةَ مَا فَعَلْتُ فِي الْإِذْنِ لَكَ قَبْلَ النَّاسِ ؛ فَأَعْلَمَهَا ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِمَالٍ كَثِيرٍ ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ يُحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، فَقَعَلَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ جَعْفَرٍ وَالْفَضْلِ ، فَقَعَلَ كَذَاكَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَرَامِكَةِ بِصِلَةٍ جَزِيلَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فَرَدَّهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ ، وَجَاءَتْ رِسْلُ الْقَوَادِ وَالْعِظَمَاءِ ؛ فَمَا أَحَدٌ سَهَّلَ إِذْنَهُ إِلَّا بَعَثَ إِلَيْهِ بِصِلَةٍ جَزِيلَةٍ ؛ فَمَا صَارَ الْعَصْرَ حَتَّى صَارَ إِلَيْهِ سِتُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ مِنَ الْعَلَّةِ ، وَنَقِيَ بَلَدَهُ مِنَ الدَّوَاهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا صَنَعْتَ فِي يَوْمِكَ هَذَا ؟ قَالَ : يَا سَيِّدِي ، كَسَبْتُ سِتِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَاسْتَكْرَهْتُهَا وَقَالَ : وَأَيْنَ ^(١) حَاصِلِي ؟ قَالَ : مَعْزُولٌ ، قَالَ : قَدْ سَوَّغْتَكَ حَاصِلَنَا ؛ فَأَهْدِ إِلَيْنَا عَشْرَةَ آلَافٍ تَفَاحَةً ، فَقَعَلَ ، فَكَانَ أَرْبَعَ مِائَةِ تَاجِرِهِ الرَّشِيدَ .

وَذَكَرَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ صَبِيحٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ ، فَإِذَا ^(٢) جَارِيَةٌ عَلَى رَأْسِهِ ، وَفِي يَدِهَا صَحِيفَةٌ ^(٣) وَمِلْحَقَةٌ فِي يَدِهَا ^(٤) الْآخَرَى ، وَهِيَ تَلْعَقُهُ أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، قَالَ : فَظَنَنْتُ إِلَى شَيْءٍ أَبْيَضَ رَقِيقٌ فَلَمْ أَدْرَ مَا هُوَ ! قَالَ : وَعَلِمَ أَنَّي أَحَبُّ أَنْ أَعْرِفَهُ ، فَقَالَ : يَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ صَبِيحٍ ، قُلْتُ : لَبِيكَ يَا سَيِّدِي ، قَالَ : تَلَدَرِي مَا هَذَا ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : هَذَا جَشِيشٌ ^(٥) الْأَرْزِ وَالْحَنْظَلَةِ وَمَاءِ نُحَالَةِ السَّمِيدِ ؛ وَهُوَ نَافِعٌ لِلْأَطْرَافِ الْمُعْوَجَّةِ وَتَشْنِيجِ الْأَعْصَابِ وَيَصْفِي الْبَشِيرَةَ ، وَيَذْهَبُ بِالْكَلْفِ ، وَيَسْمَنُ الْبَدَنَ ، وَيَجْلُو الْأَوْسَاحَ . قَالَ : فَلَمْ تَكُنْ لِي هِمَّةً حِينَ انصَرَفْتَ إِلَّا أَنْ دَعَوْتَ الطَّبَاحَ ؛ فَقُلْتُ : بَكَرٌ عَلَى كُلِّ غَدَاةٍ بِالْجَشِيشِ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَوَضَعْتَ لَهُ الصَّفَّةَ الَّتِي سَمِعْتَهَا . قَالَ : تَضْمِجُ مِنْ هَذَا فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، فَعَمِلَهُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ فَاسْتَطْبَعَتْهُ ،

(٢) س : « وإذا » .

(٤) ج ، « اليد » .

(١) س : « أين » بدون واو .

(٣) ج : « صفحة » .

(٥) الجشيش : السويق .

وعمله في اليوم الثاني فصار دونه ، وجاء به في اليوم الثالث ، فقلت : لا تُقَدِّمُهُ .

وذكر أن الرشيد اعتلّ علة ، فعالجه الأطباء ، فلم يجد من علته إفاقة ، فقال له أبو عمر الأعجمي : بالهند طبيب يقال له مَسْكَة ؛ رأيتهم يقدّمونه على كل من بالهند ؛ وهو أحد عبّادهم وفلاسفتهم ، فلو بعث إليه أمير المؤمنين لعلّ الله أن يبعث له الشفاء على يده ! قال : فوجّه الرشيد مَنْ حمله ، ووجّه إليه بصلة تعينه على سفره . قال : فقدم فعالج الرشيد فبرئ من علته بعلاجه ، فأجرى له رزقاً واسعاً وأموالاً كافية ، فبينا مَسْكَة ماراً بالخُلْد ؛ إذا هو برجل من المانيّين قد بسط كساءه ، وألقى عليه عقاقير كثيرة ، وقام يصف دواء عنده معجوناً ، فقال في صفته : هذا دواء للحمى الدائمة وحمى الغيب وحمى الربيع ، والمثلية ؛ ولوجع الظهر والركبتين والبواسير والرياح ، ولوجع المفاصل ووجع العينين ، ولوجع البطن والصدّاع والشقيقة ولتقطير البول والفالج والارتعاش ؛ فلم يدعْ علة في البدن إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاء منها ، فقال مَسْكَة لترجمانه : ما يقول هذا ؟ فترجم له ما سمع ، فتبسّم مَسْكَة ، وقال : على كل حال ملك العرب جاهل ؛ وذاك أنه إن كان الأمر على ما قال (٢) هذا ، فلم حملني من بلادى ، وقطنني عن أهلى ، وتكلّف الغليظ من مؤنّى ، وهو يجد هذا نصب عينه (٣) وبإزائه ! وإن كان الأمر ليس كما يقول هذا فلم لا يقتله ! فإن الشريعة قد أباحت دمه ودم مَنْ أشبهه ؛ لأنه إن قُتل ، فإنما هى نفس يحيا بقتلها خلق كثير ؛ وإن ترك هذا الجاهل (٤) قتل في كل يوم نفساً ، وبالحرى أن يقتل اثنين وثلاثاً وأربعاً في كل يوم ؛ وهذا فساد في التدبير ، ووهن في المملكة .

وذكر أن يحيى بن خالد بن برمك ولّى رجلاً بعض أعمال الخراج بالسّواد ، فدخل إلى الرشيد يودّعه ؛ وعنده يحيى وجعفر بن يحيى ؛ فقال الرشيد ليحيى وجعفر : أوصياه . فقال له يحيى : وقّر واعمر ، وقال له جعفر : أنصف

(١) الشقيقة : مرض يأخذ نصف الرأس والوجه . (٢) س : « كما قال » .

(٤) ج : « هذا الجاهل » .

(٣) ج : « عينه » .

وانتصف ، فقال له الرشيد : اعدل وأحسن .

وذكر عن الرشيد أنه غضب على يزيد بن يزيد الشيباني ، ثم رضى عنه ، وأذن له ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ الحمد لله الذى سهل لنا سبيل الكرامة ، وحلّ لنا^(١) النعمة بوجه لقائك ، وكشف عنا صُباة الكرب بإفضالك ، فجزاك الله فى حالِ سخطك رِضًا منيين ، وفى حال رضاك جزاء المنعمين الممتنين المتطولين ؛ فقد جعلك الله وله الحمد ، تثبتتُ تحرّجًا عند الغضب ، وتطوّل ممتنًا بالنعم ، وتعفو عن المسىء تفضلاً بالعفو .

وذكر مصعب بن عبد الله الزبيرى أن أباه عبد الله بن مصعب أخبره^(٢) أن الرشيد قال له : ما تقول فى الذين طعنوا على عثمان ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، طعن عليه ناس ؛ وكان معه ناس ؛ فأما الذين طعنوا عليه فنفروا عنه ؛ فهم^(٣) أنواع الشيع ، وأهل البدع ، وأنواع الخوارج ؛ وأما الذين كانوا معه فهم أهل الجماعة إلى اليوم . فقال لى : ما أحتاج أن أسأل بعد هذا اليوم^(٤) عن هذا .

قال مصعب : وقال أبى - وسألنى عن منزلة أبى بكر وعمر كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلت له : كانت منزلتهما فى حياته منه منزلتهما فى مماتهما ، فقال : كفيّتنى ما أحتاج إليه .

قال : ووُلّنى سلام ، أورشيد الخادم - بعض خدام الخاصة - ضياع الرشيد بالغفور والشأمة ، فتواترت الكتب بحسن سيرته وتوفيره^(٥) وحمد الناس له ، فأمر الرشيد بتقديمه والإحسان إليه ، وضمّ ما أحبّ أن يضمّ إليه من ضياع الجزيرة ومصر . قال : فقدم فدخل عليه وهو يأكل سَقَرَجَلاً قد أتى به من بلخ ؛ وهو يقشّره ويأكل منه ، فقال له : يا فلان ، ما أحسن ما انتهى إلى مولاك عنك ، ولك عنده ما تحبّ ، وقد أمرت لك بكذا وكذا ، ولّيتك كذا وكذا . فسل حاجتك ، قال : فتكلّم وذكر حسن سيرته ، وقال : أنسيتهم^(٦) ٧٥٠/٣

(٢) س : « حدثه » .

(٤) ح : « إلى هذا اليوم » .

(١) س : « رحلتنا » .

(٣) ح : « نعمهم » .

(٥) ط : « توفيره » .

والله يا أمير المؤمنين سيرة العُمَريين . قال : فغضب واستشاط ، وأخذ سفرجلة فرماه بها ، وقال : يا بن اللخناء ، العمرين ، العمرين ، العمرين ! هبنا احتملناها لعمر بن عبد العزيز ، نحتملها لعمر بن الخطاب !

وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، أن أبا بكر بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز حدثه ، عن الضحّاك بن عبد الله ، وأثنى عليه خيراً ؛ قال : أخبرني بعضُ ولد عبد الله بن عبد العزيز ، قال : قال الرشيد : والله ما أدرى ما أمر في هذا العُمَري ! أكره أن أقدم عليه وله خلف أكرههم ؛ رأيت لأحب أن أعرف طريقته ومذهبه ، وما أثق بأحد أبغثه إليه ، فقال عمر بن بزيع والفضل ابن الربيع : فتحن يا أمير المؤمنين ، قال : فأتينا ، فخرجا من العرج إلى موضع من البادية يقال له خلص ، وأخذنا معهما أدلاء من أهل العرج ؛ حتى إذا وردا عليه في منزله أتياه مع الضحى ؛ فإذا هو^(١) في المسجد ، فأناخا واحتلبهما ومن كان معهما من أصحابهما ، ثم أتياه على زى الملوكة من الرّيح والثياب والطيب ؛ فجلسا إليه وهو في مسجد له ، فقالا له : يا أبا عبد الرحمن ، نحن رسل من خلّفنا من أهل المشرق ، يقولون لك : اتق الله ربك ؛ فإذا شئت فقم . فأقبل عليهما ، وقال : ويحكمما ! فيمن ولمن ! قالوا : أنت ، فقال : والله ما أحب أنى لقيت الله بمحجمة دم امرئ مسلم ، وأنّ لى ما طلعت عليه الشمس ؛ فلما أيسا منه قالوا : فإنّ معنا شيئاً تستعين به على دهرك ، قال : لا حاجة لى فيه ، أنا عنه فى غنى ، فقالا له : إنها عشرون ألف دينار ، قال : لا حاجة لى فيها ، قالوا : فأعطها من شئت ، قال : أنما ، فأعطياها من رأيتما ، ما أنا لكما بخادم ولا عوّ . قال : فلما يشا منه ركبا واحتلبتُهما^(٢) حتى أصبحا مع الخليفة بالسّقى فى المنزل الثانى ، فوجدا الخليفة ينتظرهما ؛ فلما دخلا عليه حدّثاه بما كان بينهما وبينه ، فقال : ما أبالى ما أصنع بعد هذا . فحجّ عبد الله فى تلك السنة ، فبينا هو واقف على بعض أولئك الباعة يشترى لصبيانه ؛ إذا هارون يسعّى بين الصّفا والمروة على دابة ، إذ عرض له عبد الله

٧٥١/٣

(٢) س : « واحتلبهما » .

(١) س : « به » .

وترك مايريد ، فأتاه حتى أخذ بلجام دابته ، فأهوت إليه الأجناد والأحراس ، فكفّهم عنه هارون فكلّمه . قال : فرأيتُ دموعَ هارون ؛ وإنها لتسيل على مَعْرِفَةِ دابته ، ثم انصرف .

وذكر محمد بن أحمد مولاي بني سليم قال : حدثني الليث بن عبد العزيز الجوزجاني - وكان مجاوراً بمكة أربعين سنة - أن بعض الحجة حدثه أن الرشيد لما حجّ دخل الكعبة ، وقام على أصابعه ، وقال : يا مَنْ يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمير الصامتين ، فإن لكل مسألة منك ردّاً حاضراً ، وجواباً عتيداً ، ولكل صامت منك علمٌ محيطٌ بمواعيدك الصادقة ، وأياديك الفاضلة ؛ ورحمتك الواسعة . صلّ على محمد وعلى آل محمد ، واغفر لنا ذنوبنا وكفرّ عنا سيئاتنا . يا مَنْ لا تنصره الذنوب ، ولا تخفى عليه العيوب ، ولا تنقصه مغفرة الخطايا . يامن كبس الأرض على الماء ، وسدّ الهواء بالسّماء ، واختار لنفسه الأسماء ، صلّ على محمد ، وخير لي في جميع أمري . يا من خشعت له الأصوات بألوان اللغات يسألونك الحاجات ؛ إن من حاجتي إليك أن تغفر لي إذا توفيتني ، وصرت في لحدّي ، وتفرّق عني أهلي وولدي . اللهم لك الحمد حمداً يفضّل على كل حمد كفضلك على جميع الخلق . اللهم صلّ على محمد صلاة تكون له رضا ، وصلّ على محمد صلاة تكون له حرزاً ، واجزه عنا خير الجزاء في الآخرة والأولى . اللهم أحياناً سّعداً وتوفّقنا شهداء ، واجعلنا سعداء مرزوقين ، ولا تجعلنا أشقياء محرومين !

وذكر عليّ بن محمد عن عبد الله ، قال : أخبرني القاسم بن يحيى ، قال : بعث الرشيد إلى ابن أبي داود والذين يخدمون قبر الحسين بن عليّ في الحير ، قال : فأتيتهم ، فنظر إليّ الحسن بن راشد ، وقال : ما لك ؟ قال : بعث إليّ هذا الرجل - يعني الرشيد - فأحضرني ، ولست آمنه على نفسي ، قال له : فإذا دخلت عليه فسألك ، فقل له : الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع . فلما دخل عليه قال هذا القول ، قال : ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن ! أحضره ، قال : فلما حضر قال : ما حملك

على أن صيرت هذا الرجل في الخير ؟ قال : رحم الله من صيره في الخير ، أمرتني أم موسى أن أصيرَه فيه ، وأن أجرى عليه في كل شهر ثلاثين درهما فقال : ردوه إلى الخير ، وأجروا عليه ما أجرته أم موسى - وأم موسى هي أم المهدي ابنة يزيد بن منصور .

وذكر علي بن محمد أن أباه حدثه قال : دخلت على الرشيد في دار عون العبادي فإذا هو في هيئة الصيف ، في بيت مكشوف ، وليس فيه فرش على مقعد عند باب في الشق الأيمن من البيت ، وعليه غلالة رقيقة ، وإزار رشدي عريض الأعلام ، شديد التضريح^(١) ، وكان لا يخيش البيت الذي هو فيه ؛ لأنه كان يؤذيه ؛ ولكنه كان يدخل عليه بررد الخيش ؛ ولا يجلس فيه . وكان أول من اتخذ في بيت مقبله في الصيف سقفاً دون سقف ؛ وذلك أنه لما بلغه أن الأكاسرة كانوا يطيسون ظهور بيوتهم في كل يوم من خارج ليكشف عنهم حر الشمس ؛ فاتخذ هو سقفاً يلي^(٢) سقف البيت الذي يتقبل فيه .

٧٥٢/٣

وقال علي عن أبيه : خُبرت أنه كان في كل يوم القيظ تغار^(٣) من فيضة يعمل فيه العطار الطيب والزعفران والأفاويه وماء الورد ، ثم يدخل إلى بيت مقبله ، ويدخل معه سبع غلال قصب رشديّة تقطع النساء ، ثم تغمس الغلال في ذلك الطيب ، ويؤتى في كل يوم بسبع جوار ، فتخلع عن كل جارية ثيابها ثم تخلع عليها غلالة ، وتجلس على كرسي مثقب ، وترسل الغلالة على الكرسي فتجأله ، ثم تبخر من تحت الكرسي بالعود المدرج في العنبر أمدأ^(٤) حتى يحفّ القميص عليها ، يفعل ذلك بهن ، ويكون ذلك في بيت مقبله ، فيعيق ذلك البيت بالبخور والطيب .

وذكر علي بن حمزة أن عبد الله بن عباس بن الحسن بن عبيد الله بن علي ابن أبي طالب قال : قال لي العباس بن الحسن : قال لي الرشيد : أراك تكثر من ذكر ينسبع وصفتها ، فصفتها لي وأوجز ، قال : قلت : بكلام أربشمر ؟

(١) ضرج الثوب : صبغه بالخرقة . (٢) س : « على » .

(٣) في القاموس : « التبخار » كقولهم : « البخار » ، وفي الكلمة غير واضحة .

(٤) س : « أمدأ » .

قال : بكلام وشعر ، قال : قلت : جِدْتُهَا فِي أَصْلِ عِدْقِهَا ، وَعِدْقُهَا مَسْرَحُ شَأْنِهَا ، قال : فَتَبَسَّمْ ، فَقُلْتُ لَهُ :

يَا وَادِيَ الْقَصْرِ نِعَمَ الْقَصْرِ وَالْوَادِي مِنْ مَنَزِلٍ حَاضِرٍ إِنْ شِئْتَ أَوْ بَادِي تَرَى قَرَارِيهَ وَالْعَيْسَ وَاقِفَةً وَالضَّبَّ وَالنَّوْنَ وَالْمَلَّاحَ وَالْحَادِي

وذكر محمد بن هارون ، عن أبيه ، قال : حضرت الرشيد ، وقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين ، قد أحضرتُ ابنَ السَّامَكِ كما أمرتني ، قال : أدخله ، فدخل ، فقال له : عِظْنِي ، قال : يا أمير المؤمنين ، اتَّقِ اللَّهَ وحده لا شريك له ، واعلم أنك واقفٌ ^(١) غَدًا بين يدي الله ربك ، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما ؛ جنة أو نار . قال : فبكى هارون حتى اخضلت لحيته ، فأقبل الفضلُ على ابن السَّامَكِ ، فقال : سبحان الله ! وهل يتخالج أحداً شكٌ في أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله ! لقيامه ^(٢) بحق الله وعدله في عبادته ، وفضله ^(٣) ! قال : فلم يحفل بذلك ابن السَّامَكِ من قوله ، ولم يلتفت إليه ، وأقبل على أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا — يعني الفضل بن الربيع — ليس والله معلن ولا عندك في ذلك اليوم ، فاتقِ الله وانظر لنفسك . قال : فبكى هارون حتى أشفقنا ^(٤) عليه . وأفحيم الفضل بن الربيع فلم ينطق بحرف حتى خرجنا .

٧٥٥/٣

قال : ودخل ابن السَّامَكِ على الرشيد يوماً ؛ فبينما هو عنده إذ استسقى ماءً ، فأُتِيَ بِقَلَّةٍ مِنْ ماءٍ ؛ فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها ، قال له ابن السَّامَكِ : على رِسْلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لو مُنِعَتْ هَذِهِ الشَّرْبَةُ فَبِكَمْ كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : اشرب هنالك الله ؛ فلما شربها ، قال له : أسألك بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لو مُنِعَتْ خُرُوجُهَا مِنْ بَدَنِكَ ، فَمَاذَا كُنْتَ تَشْتَرِيهَا ؟ قال : بجميع ملكي ؛ قال ابن السَّامَكِ : إِنْ مُسَلِّكًا قِيَمَتَهُ شَرْبَةُ مَاءٍ ، لَخَدِيرٌ أَلَّا يَنَافَسَ فِيهِ . فبكى هارون ؛

(١) من : « يقف » .

(٢) من : « شفقنا » .

(١) من : « شفقنا » .

(٢) من : « شفقنا » .

فأشار الفضلُ بن الربيعُ إلى ابن السَّماك بالانصراف فانصرف .

قال : ووعظ الرشيد عبدُ الله بن عبد العزيز العمريُّ ، فتلقتى قوله بنعمٍ يا عمِّ ، فلما ولَّى لينصرف ؛ بعث إليه بألَى دينار في كيس مع الأمين والمأمون فاعترضاه بها ، وقالوا : يا عمِّ ؛ يقول لك أمير المؤمنين : خذها وانتفع بها أو فرقها ، فقال : هو أعلم بمَن يفرقها عليه ، ثم أخذ من الكيس ديناراً ، وقال : كرهت أن أجمع سوء القول وسوء الفعل . وشخص إليه إلى بغداد بعد ذلك ، فكره الرشيد مصيرَه إلى بغداد ، وجمع العُمَرَاءَ يَتِينَ ، فقال : مالي ولابن عمكم ! احتملته بالحجاز ، فشخص إلى دار مملكتي ؛ يريد أن يفسد على أوليائي ! ردّوه عني ، فقالوا : لا يقبل منا ؛ فكتب إلى موسى بن عيسى أن يرفق به حتى يرده ، فدعا له عيسى بِنُتَيَّ عشر سنين ، قد حفظ الخطب والمواعظ ، فكلّمه كلاماً كثيراً ، ووعظه بما لم يسمع العمريُّ بمثله ، ونهاه عن التعرّض لأمر المؤمنين ، فأخذ نعله ، وقام وهو يقول : ﴿ فاعترفوا بذنبيهم فسحقاً لأصحاب السَّعير ﴾ (١) .

وذكر بعضهم أنه كان مع الرشيد بالرقّة بعد أن شخص من بغداد ، فخرج يوماً مع الرشيد إلى الصَّيْد ، فعرض له رجل من النساك ، فقال : يا هارون ، اتق الله ، فقال لإبراهيم بن عثمان بن نهيك : خذ هذا الرَّجُلَ إليك حتى أنصرف ، فلما رجع دعاً بغداد ، ثم أمر أن يطعم الرجل من خاصّ طعامه ، فلما أكل وشرب دعا به ، فقال : يا هذا ، أنصفتني في المخاطبة والمساءلة ، قال : ذاك أقلّ ما يجب لك ، قال : فأخبرني : أنا شرٌّ وأخبث أم فرعون ؟ قال : بل فرعون ، قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ (٢) وقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (٣) ، قال : صدقت ؛ فأخبرني فن خير ؟ أنت أم موسى ابن عمران ؟ قال : موسى كلّم الله وصفية ، اصطنعه لنفسه ، وآتمنه على وحيه ، وكلّمه من بين خلقه ، قال : صدقت ؛ أفما تعلم أنه لما بعثه وأخاه إلى فرعون

٧٥٦/٣

(٢) سورة التازعات ٢٤ .

(١) سورة الملك ١١ .

(٣) سورة القصص ٣٨ .

قال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١) ، ذكر المفسرون أنه أمرهما أن يتكئبياه ؛ وهذا وهو في عتوه وجبريته ؛ على ما قد علمت ، وأنت جئتني وأنا بهذه الحالة التي تعلم ، أودى أكثر فرائض الله على ، ولا أعبد أحداً سواه . أقف عند أكبر حدوده وأمره ونهيه ؛ فوعظتني بأغلف الألفاظ وأشنعها وأحسن الكلام وأظفعه ؛ فلا بأدب الله تأدبت ، ولا بأخلاق الصالحين أخذت ، فما كان يؤمنك أن أسطو بك ! فإذا أنت قد عرضت نفسك لما كنت عنه غنياً . قال الزاهد : أخطأت يا أمير المؤمنين ؛ وأنا أستغفرك ؛ قال : قد غفر لك الله ؛ وأمر له بعشرين ألف درهم ، فأبى أن يأخذها ، وقال : لا حاجة لي في المال . أنا رجل سائح . فقال هرثمة - وخزّره^(٢) : ترد على أمير المؤمنين يا جاهل صلتته ! فقال الرشيد : أمسك عنه ، ثم قال له : لم نعطك هذا المال لحاجتك إليه ؛ ولكن من عادتنا أنه لا يخاطب الخليفة أحدٌ ليس من أوليائه ولا أعدائه إلا وصله ومنحه ؛ فاقبل من صلتنا ما شئت ؛ وضعها حيث أحببت . فأخذ من المال ألفي درهم ، وفرّقها على الحجاب ومن حضر الباب .

* * *

ذكر مَنْ كان عند الرشيد من النساء المهائز^(٣)

قيل : إنه تزوّج زبيدة ؛ وهي أمّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، وأعرس بها في سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهديّ ببغداد ، في دار محمد بن سليمان - التي صارت بعد للعباسة ، ثم صارت للمعتصم بالله - فولدت له محمداً الأمين ، وماتت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين .

وتزوّج أمّة العزيز أمّ ولد موسى ، فولدت له عليّ بن الرشيد .

وتزوّج أمّ محمد ابنة صالح المسكين ، وأعرس بها بالرقّة في ذي الحجة سنة سبع وثمانين ومائة . وأمّها أم عبد الله ابنة عيسى بن عليّ صاحبة دار أمّ عبد الله بالكرك التي فيها أصحاب الدبس ؛ كانت أملك من إبراهيم بن

(٢) الخزر : النظر بمؤخر العين .

(١) سورة طه ٤٤ .

(٣) المهيرة : الزوجة الحرة الغالية المهر .

المهديّ ، ثم خلعت منه فتزوَّجها الرشيد .

وتزوَّج العباسة ابنة سليمان بن أبي جعفر ، وأعرس بها في ذى الحجة سنة سبع وثمانين ومائة ، حُمِلت هي وأمّ محمد ابنة صالح إليه .

وتزوج عزيزة ابنة الغطريف ، وكانت قبله عند سليمان بن أبي جعفر فطلقها ، فخلّف عليها الرشيد ، وهي ابنة أخى الخيزران .

وتزوج الجُرَشِيَّة العُثَمِيَّة ، وهي ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان بن عفان ، وسميت الجُرَشِيَّة لأنها ولدت بِجُرَش باليمن ، وجدّة أبيها فاطمة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وعمّ أبيها عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهم .

٧٥٨/٣

ومات الرشيد عن أربع مئائير : أم جعفر ، وأم محمد ابنة صالح ، وعباسة ابنة سليمان ، والعُثَمِيَّة .

* * *

[ذكر ولد الرشيد]

وولد للرشيد من الرّجال :

محمد الأكبر وأمّه زبيدة ، وعبد الله المأمون وأمّه أم ولد يقال لها مارجل ، والقاسم المؤمن وأمّه أمّ ولد يقال لها قصف ، ومحمد أبو إسحاق المعتصم وأمّه أم ولد يقال لها ماردة ، وعليّ وأمّه أمة العزيز ، وصالح وأمّه أم ولد يقال لها رثم ، ومحمد أبو عيسى وأمّه أم ولد يقال لها عرابة ، ومحمد أبو يعقوب وأمّه أم ولد يقال لها شذرة ، ومحمد أبو العباس وأمّه أم ولد يقال لها خُبْثُ ، ومحمد أبو سليمان وأمّه أم ولد يقال لها رَوَاح ، ومحمد أبو عليّ وأمّه أمّ ولد يقال لها دواج ، ومحمد أبو أحمد وأمّه أم ولد يقال لها كَيْثَمَان .

ومن النساء : سَكِينَة وأمّها قَصِيف وهي أخت القاسم ، وأم حبيب وأمّها ماردة وهي أخت أبي إسحاق المعتصم ، وأروى أمّها حَلُوب ، وأم الحسن وأمّها عِرَابَة ، وأم محمد وهي حَمْدُونَة ، وفاطمة وأمّها غُصَص واسمها مصفى وأمّ أبيها وأمّها سَكْر ، وأم سلمة وأمّها رحيق ، وخديجة وأمّها شَجَر ، وهي أخت كريب ، وأم القاسم وأمّها خزق ، ورملة أم جعفر وأمّها حَلَى ، وأمّ عليّ أمّها أنيق ، وأم الغالية أمّها سَمْنَدَل ، وريطة وأمّها زينة .

٧٥٩/٣

[بقية ذكر بعض سير الرشيد]

ذكر يعقوب بن إسحاق الأصفهاني، قال : قال المفضل بن محمد الضبي :
وجه إلى الرشيد ؛ فما علمت إلاّ وقد جاءتني الرّسل ليلاً ، فقالوا : أجب
أمير المؤمنين ؛ فخرجت حتى صرت إليه ؛ وذلك في يوم خميس ؛ وإذا هو متكئ
ومحمد بن زبيدة عن يساره ، والمأمون عن يمينه ؛ فسلمت ، فأومأ إلىّ فجلست ،
فقال لي : يا مفضل ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال كم اسمائي :
﴿ فَسَبِّحْهُمْ ﴾^(١) ؟ قلت : ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين ، قال : وما هي ؟
قلت : الكاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والهاء والميم ، وهي للكفار ،
والياء وهي لله عزّ وجلّ . قال : صدقت ؛ هكذا أفادنا هذا الشيخ - يعني
الكسائي - ثمّ التفت إلى محمد ، فقال له : أفهمت يا محمد ؟ قال : نعم ،
قال : أعدّ عليّ المسألة كما قال المفضل ، فأعادها ، ثمّ التفت إلىّ فقال :
يا مفضل ، عندك مسألة تسألنا عنها بحضرة هذا الشيخ ؟ قلت : نعم
يا أمير المؤمنين ؛ قال : وما هي ؟ قلت : قول الفرزدق :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ^(٢)

قال : هيهات أفادناها متقدماً قبلك هذا الشيخ ؛ لنا قمرها ، يعني
الشمس والقمر كما قالوا سنّة العريّين : سنّة أبي بكر وعمر ، قال : قلت :
فأزيد في السؤال ؟ قال : زدّ ، قلت : فلمّ استحسنوا هذا ؟ قال : لأنه إذا
اجتمع اسمان من جنس واحد ، وكان أحدهما أخفّ على أفواه القائلين غلبوه
وسمّوا به الآخر ؛ فلما كانت أيام عمر أكثر من أيام أبي بكر وفتوحه أكثر ،
واسمه أخفّ غلبوه ، وسمّوا أبا بكر باسمه . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾^(٣)
وهو المشرق والمغرب . قلت : قد بقيت زيادة في المسألة ! [التفت إلى الكسائي] ^(٤)
فقال : يقال في هذا غير ما قلنا ؛ قال : هذا أوفى ما قالوا ، وتام المعنى عند
العرب . قال : ثمّ التفت إلىّ فقال : ما الذي بقي ؟ قلت : بقيت العاية التي إليها
أجرى الشاعر المفتخر في شعره ، قال : وما هي ؟ قلت : أراد بالشمس إبراهيم ، وبالقمر

٧٦٠/٣

(٢) ديوانه ٥١٩ .

(٤) من ١ .

(١) سورة البقرة ١٣٧ .

(٣) سورة الزخرف ٣٨ .

محمد أصلى الله عليه وسلم ، وبالنجوم الخلفاء الراشدين من آبائك الصالحين . قال :
 فاشرب أمير المؤمنين ؛ وقال : يا فضل بن الربيع ؛ احمل إليه مائة ألف درهم
 لقضاء دينه ، وانظر من الباب من الشعراء فيؤذن لهم ، فإذا العُمَاني ومنصور
 النمرى ، فأذن لهما ، فقال : أدن مني الشيخ ، فدنا منه وهو يقول :
 قل للإمام المقتدى بأمه ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه
 * فقد رَضِيناه فقم فسمه *

فقال الرشيد : ما ترضى أن تدعو إلى عند البيعة له وأنا جالس حتى
 تنهضني قائماً ! قال : قيام عزم يا أمير المؤمنين ، لا قيام حتم^(١) ، فقال : يؤتى
 بالقاسم ، فأتى به ، وطبطب^(٢) في أرجوزته ، فقال الرشيد للقاسم : إن هذا
 الشيخ قد دعا إلى عقد البيعة لك ، فأجزل له العطية ، فقال : حُكم
 أمير المؤمنين ، قال : وما أنا وذاك ! هات النمرى ، فدنا منه ، وأنشده :
 * ما تنقضى حسرة منى ولا جزع^(٣) *

— حتى بلغ —

٧٦١/٣ ما كان أحسن أيام الشباب وما أبقي حلاوة ذكراه التي تدعُ
 ما كنت أوفى شبابي كنه غُرته حتى مضى فإذا الدنيا له تبعُ
 قال الرشيد : لا خير في دنيا لا يُخطَر فيها ببرد الشباب^(٤) .

وذكر أن سعيد بن سلم الباهلي دخل على الرشيد ، فسلم عليه ، فأومأ إليه
 الرشيد فجلس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعراي من باهلة واقف على باب
 أمير المؤمنين ؛ ما رأيت قط أشعر منه ، قال : أما أنك استبحت هذين — يعنى
 العُماني ومنصور النمرى ، وكانا حاضريه — نُهَبي لهما أحجارك ، قال : هما
 يا أمير المؤمنين يهباني لك ؛ فيؤذن للأعرابي ؟ فأذن له ، فإذا أعراي في جُبّة

(١) : « جسم » . (٢) في الأغاني : « ومر » .

(٣) الأغاني ١٣ : ١٤١ وبقية :

* إلا ذكرت شباباً ليس يُرتجع *

(٤) الخبر في الأغاني ١٧ : ٨٠ (سأى) .

خَزَرَ ، ورداءَ يَمان ، قد شدَّتْ وسطه ثم ثناه على عاتقه ، وعمامة قد عَصَبَهَا على خَدَيْهِ ، وأَرْخَى لها عَدَبَةً ، فثَلَّ بين يدي أمير المؤمنين ، وأَلْقَيْتِ الكِرَاسِيَّ ، فجلس الكسائي والمفضل وابن سلم والفضل بن الربيع ، فقال ابنُ سلم للأعرابي : خذ في شَرَفِ أمير المؤمنين ، فاندفع الأعرابي في شعره ، فقال أمير المؤمنين : أسمعُكَ مستحسناً ، وأنكرُكَ متَّهماً عليك ؛ فإنَّ يكن هذا الشعر لك وأنت قلته من نفسك ، فقل لنا في هذين بيتين — يعني محمداً والمأمون — وهما حفافاه^(١) فقال : يا أمير المؤمنين حملتني على القدر في غير الحذر روعة الخلافة ، وبهرَّ البديهة ، ونفور القوافي عن الروية ، فيمهلني أمير المؤمنين ؛ يتألف إلى فاغراتها ، ويسكن رَوْعِي . قال : قد أمهلتك يا أعرابي ، وجعلت اعتذارك بدلاً من امتحانك ، فقال : يا أمير المؤمنين نفست الخناق ، وسهلت ميدان النفاق ، ثم أنشأ يقول :

هُمَا طُنْبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودُهَا
بَنَيْتَ بَعْدَ اللَّهِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ذَرَيْ قَبَّةِ الْإِسْلَامِ فَاهْتَزَّ عَمُودُهَا

فقال : وأنت يا أعرابي بارك الله فيك ؛ فسَلَّمْنَا ، ولا تكن مسألتك دون إحسانك ، قال : الهنيدة^(٢) يا أمير المؤمنين ، قال : فتبسَّمَ أمير المؤمنين ، وأمر له بمائة ألف درهم وسبع خلَّع .

وذكر أنَّ الرشيد قال لابنه القاسم — وقد دخل عليه قبل أن يبايع له : أنت للمأمون ببعض لحملك هذا ، قال : ببعض حظه^(٣) .

وقال للقاسم يوماً قبل البيعة له : قد أوصيتُ الأمين والمأمون بك ، قال : أمَّا أنت يا أمير المؤمنين فقد توليت النَّظَرَ لهما ، ووكلت النَّظَرَ لي إلى غيرك .

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري : قدم الرشيد مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه ابناه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فأعطى فيها العطايا وقسم

(١) حفافاه ، أي محققان به .

(٢) الهنيدة : اسم للمائة أو المائتين من الإبل .

(٣) ط : « حظه » ، وما أثبتته من أ .

في تلك السنة في رجالهم ونسائهم ثلاثة أعطية؛ فكانت الثلاثة الأعطية التي قسمها فيهم ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وفرض في تلك السنة لخمسمائة من وجوه موالى المدينة ، ففرض لبعضهم في الشرف منهم يحيى بن مسكين وابن عثمان ، وخرق^(١) مولى بنى تميم ، وكان يقرى^(٢) القرآن بالمدينة . ٧٦٣/٣

وقال إسحاق المولى : لما بايع الرشيد لولده ، كان فيمن بايع عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، فلما قدم ليباع ، قال :

لا قصراً عنها ولا بلغتُهما حتى يطولَ على يدك طوالُها

فاستحسن الرشيد ما تمثّل ، وأجزل له صلته . قال : والشعر لطريح بن إسماعيل ، قاله في الوليد بن يزيد وفي ابنه .

وقال أبو الشيص يرقى هارون الرشيد :

غَرَبَتْ في الشَّرْقِ شَمْسُ فُلْها عَيْنَانِ تَدْمَعُ

ما رَأَيْنَا قَطُّ شَمْساً غَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ

وقال أبو نواس الحسن بن هانئ :

جَرَّتْ جَوَارٍ بالسَّعْدِ والنَّحْسِ فَنَحْنُ في مَأْتَمٍ وفي عُرْسِ

الْقَلْبُ يَبْكِي والسَّنُّ ضاحِكُهُ فَنَحْنُ في وَحْشَةٍ وفي أُنْسِ

يُضْحِكُنَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ وَيُبْ كِينَا وَفَاةُ الْإِمَامِ بِالْأَمْسِ

بَدْرَانِ : بَدْر أَضْحَى بِبَغْدَادَ بِالْ خُلْدِ ، وَبَدْرُ بَطْوَسَ في رَمْسِ

وقيل : مات هارون الرشيد ، وفي بيت المال تسعمائة ألف ألف ونيّف . ٧٦٤/٣

(١) : « وخرق » .

(٢) : كذا في ١ ، وفي ط : « يقرأ » .

خلافة الأمين

وفي هذه السنة بويع لمحمد الأمين بن هارون بالخلافة في عسكر الرشيد، وعبد الله بن هارون المأمون يومئذ بمرو؛ وكان - فيما ذكر - قد كتب حَمَوِيَّه مولى المهديّ صاحب البريد بطُوسَ إلى أبي مسلم سلام، موله وخليفته ببغداد على البريد والأخبار، يعلمه وفاة الرشيد. فدخل على محمد فعزّاه وهنّاه بالخلافة، وكان أوّل الناس فعل ذلك، ثمّ قدم عليه رجاء الخادم يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة، كان صالح بن الرشيد أرسله إليه بالخبر بذلك - وقيل: [أناه الخبر بذلك] ^(١) - ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة، فأظهره ^(٢) يوم الجمعة، وستر خبره بقيّة يومه وليلته، وخاض الناس في أمره.

ولما قدم كتاب صالح على محمد الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد - وكان نازلاً في قصره بالخلد - تحوّل إلى قصر أبي جعفر بالمدينة، وأمر الناس بالحضور ليوم الجمعة، فحضرُوا وصلى بهم؛ فلما قضى صلاته صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ونعى الرشيد إلى الناس، وعزّى نفسه والناس، ووعدهم خيراً، وبسط الآمال، وآمن الأسود والأبيض، وبايعه جليّة أهل بيته وخاصّته ومواليه وقوّاده، ثمّ دخل. ووكل ببيعته على مَنْ بقى منهم عمّ أبيه سليمان بن أبي جعفر، فبايعهم، وأمر السندی بمبايعة جميع الناس من القوّاد وسائر الجند، وأمر للجند ممّن بمدينة السلام برزق أربعة وعشرين شهراً، وبخواصّ مَنْ كانت له خاصّة بهذه الشهور.

❦ ❦ ❦

[ذكر الخبر عن بدء الخلاف بين الأمين والمأمون]

وفي هذه السنة كان بدء اختلاف الحال بين الأمين ومحمد وأخيه المأمون، وعزم كل واحد منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان والدمهما هارون أخذ عليهما العمل به، في الكتاب الذي ذكرنا أنه كان كتبه عليهما وبينهما.

(١) من أ. (٢) كذا في أ، وفي ط: «فأظهر»

ذكر الخبر عن السبب الذي كان أوجب اختلاف حالهما فيما ذكرت :

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل أن الرشيد جدّ حين شخص إلى خراسان البيعة للمأمون على القواد الذين معه ، وأشهد منّ معه من القواد وسائر الناس وغيرهم أن جميع منّ معه من الجند مضمومون إلى المأمون ، وأن جميع ما معه من مال وسلاح وآلة وغير ذلك للمأمون . فلما بلغ محمد بن هارون أن أباه قد اشتدّت علته ، وأنه لمّا به ، بعث منّ يأتيه بخبره في كلّ يوم ، وأرسل بكر بن المعتمر ، وكتب معه كتباً ، وجعلها في قوائم صناديق منقورة وألبسها جلود البقر ، وقال : لا يظهرن أمير المؤمنين ولا أحد ممن في عسكره على شيء من أمرك وما توجهت فيه ، ولا ما معك ، ولو قتلت حتى يموت أمير المؤمنين ، فإذا مات فادفع إلى كلّ رجل منهم كتابه .

فلما قدّم بكر بن المعتمر طوس ، بلغ هارون قدومه ، فدعا به ، فسأله : ما أقدمك ؟ قال : بعثني محمد لأعلم له علم خبرك وآتية به ، قال : فهل معك كتاب ؟ قال : لا ، فأمر بما معه ففتش فلم يصيبوا معه شيئاً ، فهدّده بالضرب فلم يقرّ بشيء ، فأمر به فحبس وقيد . فلما كان في الليلة التي مات فيها هارون أمر الفضل بن الربيع أن يصير إلى محبس بكر بن المعتمر فيقرّره ، فإن أقرّ وإلا ضرب عنقه ، فصار إليه ، فقرّره فلم يقرّ بشيء ، ثم غشي على هارون فصاح النساء ، فأمسك الفضل عن قتله ، وصار إلى هارون ليحضره ، ثم أفاق هارون وهو ضعيف ، قد شغل عن بكر وعن غيره لحسن الموت ، ثم غشي عليه غشية ظنّوا أنها هي ، وارتفعت الضجّة ، فبعث بكر بن المعتمر برقعة منه إلى الفضل بن الربيع مع عبد الله بن أبي نعيم ، يسأله ألا يعجلوا بأمر ، ويعلمه أن معه أشياء يحتاجون إلى علمها - وكان بكر محبوساً عند حسين الخادم - فلما توفّي هارون في الوقت الذي توفّي فيه ، دعا الفضل بن الربيع ببكر من ساعته ، فسأله عما عنده ، فأنكر أن يكون عنده شيء ، وخشي على نفسه من أن يكون هارون حياً ، حتى صحّ عنده موت هارون ، وأدخله عليه ، فأخبره أن عنده كتباً من أمير المؤمنين محمد ، وأنه لا يجوز له إخراجها ، وهو على حاله في قيوده وحبسه ، فامتنع حسين الخادم من إطلاقه حتى أطلقه الفضل ، فأثامهم

بالكتب التي عنده ، وكانت في قوائم المطايخ المجلدة بجلود البقر ، فدفع إلى كل إنسان منهم كتابه . وكان في تلك الكتب كتاب من محمد بن هارون إلى حسين الخادم بخطه ، يأمره بتخليفة بسكر بن المعتمر وإطلاقه ، فدفعه إليه ، وكتاب إلى عبد الله المأمون ، فاحتبس كتاب المأمون عنده ليعثه إلى المأمون بمرو ، وأرسلوا إلى صالح بن الرشيد — وكان مع أبيه بطوس ، وذلك أنه كان أكبر من يحضر هارون من ولده — فأتاهم في تلك الساعة ، فسألهم عن أبيه هارون ، فأعلموه ، فجزع جزعاً شديداً ، ثم دفعوا إليه كتاب أخيه محمد الذي جاء به بكر . وكان الذين حضروا وفاة هارون هم الذين ولّوا أمره وغسله وتجهيزه ، وصلى عليه ابنه صالح .

وكانت نسخة كتاب محمد إلى أخيه عبد الله المأمون :

إذا ورد عليك كتاب أخيك — أعاذه الله من فقدك — عند حلول ما لا مردّ له ولا مدفع مما قد أخلف وتناسخ [في] ^(١) الأمم الخالية والقرون الماضية [فعرّ نفسك] ^(١) بما عزّاك الله به . واعلم أنّ الله جل ثناؤه قد اختار لأمر المؤمنين أفضل الدارين ، وأجزل الحظيّن فقبضه الله طاهراً زاكياً ، قد شكر سعيه ، وغفر ذنبه إن شاء الله . فقم في أمرك قيام ذي الحزم والعزم ، والنظر لأخيه ونفسه وسيلطانه وعامة المسلمين . وإياك أنّ يغلب عليك الجزع ، فإنه يُحيط الأجر ، ويُعقب الوزر . وصلوات الله على أمير المؤمنين حيّاً وميتاً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ! وخُذ البيعة عمن قبلك من قوادك وجندك وخاصتك وعامتك لأخيك ثم لنفسك ، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ؛ على الشريطة التي جعلها لك أمير المؤمنين من نسختها له وإثباتها ، فإنك مقلد من ذاك ما قللك الله وخليفته . وأعلم من قبلك رأي في صلاحهم وسدّ خللتهم والتوسعة عليهم ؛ فن أنكرته عند بيعته أو انتهته على طاعته ، فابعث إلى برأسه مع خبره . وإياك وإقالته ؛ فإن النار أولى به . واكتب إلى عمّال ثغورك وأمرأ أجنادك بما طرقتك من المصيبة بأمر المؤمنين ، وأعلمهم أنّ الله لم يرض الدنيا له ثواباً حتى قبضه إلى روحه وراحته وجنته ، مغبوطاً محموداً قائداً لجميع خلفائه إلى الجنة إن شاء الله . ومُرهم أن يأخذوا البيعة

على أجنادهم وخواصتهم وعوامتهم على مثل ما أمرتك به من أخذها على من قبلك وأعز إليهم في ضبط ثغورهم، والقوة على عدوهم. [وأعلمهم] ^(١) أننى متفقد حالاتهم ولا م شعثهم، وموسع عليهم، ولا تنى ^(٢) في تقوية أجنادى وأنصارى، ولتكن كتبك إليهم كتباً عامة، لتقرأ عليهم؛ فإن فى ذلك ما يسكنهم ويبسط أملهم. واعمل بما تأمر به لمن حضرك، أو نأى عنك من أجنادك؛ على حسب ما ترى وتشاهد؛ فإن أخاك يعرف حسن اختيارك، وصحة رأيك، وبعد نظرك؛ وهو يستحفظ الله لك، ويسأله أن يشد بك عضده، ويجمع بك أمره؛ إنه لطيف لما يشاء.

وكتب بكر بن المعتز بين يدى وإملائى فى شوال سنة ثنتين وتسعين ومائة. وإلى أخيه صالح :

بسم الله الرحمن الرحيم . إذا ورد عليك كتابى هذا عند وقوع ما قد سبق فى علم الله ونفذ من قضائه فى خلفائه وأوليائه، وجرى به سنته فى الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، فقل : ﴿ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٣)، فاحمدوا الله ما صار إليه أمير المؤمنين من عظيم ثوابه ومرافقة أنبيائه، صلوات الله عليهم، وإنا إليه راجعون. وإياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان لهم عصمة وكهفًا، وبهم رعوفاً رحيمًا؛ فشمّر فى أمرك، وإياك أن تلقى بيدىك؛ فإن أخاك قد اختارك لما استنهضك له، وهو متفقد مواقع فقدانك، فحقق ظنه ونسأل الله التوفيق. وخذ البيعة على من قبلك من ولد أمير المؤمنين وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته لمحمد أمير المؤمنين، ثم لعبد الله بن أمير المؤمنين، ثم للقاسم بن أمير المؤمنين؛ على الشريطة التى جعلها أمير المؤمنين صلوات الله عليه من فسحها على القاسم أو إثباتها، فإن السعادة واليمن فى الأخذ بعهدته، والمضى على مناهجه. وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأى فى استصلاحهم، ورد مظالمهم وتفقد حالاتهم، وأداء أرزاقهم وأعطياتهم عليهم؛ فإن شغب شاغب، أو نعر ناعر، فاسط به سطوة تجعله نكالا لما بين يديها وما خلفها

٧٦٩/٣

(١) من ١. (٢) كذا فى ١، وفى ط : « ولا آن ». (٣) سورة القصص ٨٨.

وموعظة للمتقين . واضمّم إلى الميمون بن الميمون الفضل بن الربيع وأسد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ^(١) ؛ ومُرّه بالمسير معهم فيمن معه من جنده ورباطته ، وصيّر إلى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ؛ فإنه ثقة على ما يلي ، مقبول عند العامة ، واضمّم إليه جميع جند الشرط من الروابط وغيرهم إلى من معه من جنده ، ومُرّه بالجد والتيقظ وتقديم الخزم في أمره كله ، ليله ونهاره ؛ فإن أهل العداوة والتفاق لهذا السلطان يغتمون مثل حلول هذه المصيبة . وأقِرّ حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ، ومُرّه بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين ؛ فإنه ممن لا يُعرف إلا بالطاعة ، ولا يدين إلا بها بمعاهد من الله مما قدّم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء . ومُرّ الخدم بإحضار روابطهم ممن يُسدّ بهم وبأجنادهم مواضع الحائل من عسكرك ؛ فإنهم حدّ من حدودك ، وصيّر مقدّمك إلى أسد بن يزيد بن مزيد ، وساقطك إلى يحيى بن معاذ ، فيمن معه من الجنود ، ومُرّهما بمناوبتك في كلّ ليلة ، والزم الطريق الأعظم ، ولا تعدّ ونّ المراحل ؛ فإن ذلك أرفق بك . ومُرّ أسد بن يزيد أن يتخيّر رجلاً من أهل بيته أو قوّاده ، فيصير إلى مقدمته ثم يصير أمامه لتهيئة المنازل ، أو بعض الطريق ؛ فإن لم يحضر في عسكرك بعض من سميت ، فاختر لمواضعهم من تنق بطاعته ونصيحته وهيبته عند العوام ؛ فإن ذلك لن يُعوّزك من قوّادك وأنصارك إن شاء الله . وإيّاك أن تنفذ رأياً أو تُبرم أمراً إلا برأى شيخك وبقية آباءك الفضل بن الربيع ، وأقرر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ؛ ولا تخرجن أحداً منهم من ضمن ما يلي إلى أن تُقدم على .

وقد أوصيت بكر بن المعتمر بما سبيلُك ، واعمل في ذلك بقدر ما تشاهد وترى ، وإن أمرت لأهل العسكر بعتاء أو رزق ؛ فليكن الفضل بن الربيع المتولّى لإعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه ؛ بمحضر من أصحاب الدواوين ؛ فإن الفضل بن الربيع لم يزل يتقلّد مثل ذلك لهما من الأمور . وأنفذ إلى عند وصول كتابي هذا إليك إسماعيل بن صبيح وبكر بن المعتمر على مركبيهما من البريد ؛ ولا يكون لك عرجة ولا مهلة بموضعك الذي أنت فيه حتى توجه إلى بعسكرك

٧٧١/٣ بما فيه من الأموال والخزائن إن شاء الله . أخوك يستدفع الله عنك ، ويسأله لك حسن التأييد برحمته .

وكتب بكر بن المعتمر بن يدى وإملأنى في شوال سنة ثنتين وتسعين ومائة .
ونخرج رجاء الخادم بالخاتم والقضيب والبُرْدَة ، وبنعنى هارون حين دفن
حتى قدم بغداد ليلة الخميس - وقيل يوم الأربعاء - فكان من الخبر ما قد
ذكرت قبل .

وقيل : إن نعى الرشيد لما ورد بغداد صعد إسحاق بن عيسى بن على المنبر ،
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أعظم الناس رزيةً ، وأحسن الناس بقيةً
رزؤنا ، فإنه لم يُرزأ أحدٌ كرزئنا ، فن له مثل عوضنا ! ثم نعه إلى الناس ،
وحض الناس على الطاعة .

وذكر الحسن الحاجب أن الفضل بن سهل أخبره ، قال : استقبل الرشيد
وجوه أهل خراسان ، وفيهم الحسين بن مصعب . قال : ولقينى فقال لى :
الرشيد ميتٌ أحد هذين اليومين ، وأمرُ محمد بن الرشيد ضعيف ، والأمرُ أمر
صاحبك ؛ مُدَّ يدك . فدَّ يده فبايع للمأمون بالخلافة . قال : ثم أتانى بعد
أيام ومعه الخليل بن هشام ، فقال : هذا ابن أخى ، وهو لك ثقة خذ بيعته .
وكان المأمون قد رحل من مَرَّو إلى قصر خالد بن حماد على فرسخ من
مَرَّو يريد سمرقند ، وأمر العباس بن المسيب بإخراج الناس وللحق
بالعسكر ، فمرَّ به إسحاق الخادم ومعه نعى الرشيد ، فغمَّ العباس قدومه ،
فوصل إلى المأمون فأخبره ، فرجع المأمون إلى مَرَّو ، ودخل دار الإمارة ،
دار أبى مسلم ، ونعى الرشيد على المنبر ، وشنق ثوبه ونزل ، وأمر للناس بمال ،
وبايع ل محمد ولنفسه وأعطى الجند رزق اثني عشر شهراً .

٧٧٢/١

قال : ولما قرأ الذين وردت عليهم كتبُ محمد بطُوس من القواد والجند
وأولاد هارون ؛ تشاوروا فى اللحاق بمحمد . فقال الفضل بن الربيع :
لا أدعُ مُلُكا حاضراً لآخر لا يدري ما يكون من أمره ، وأمر الناس بالرحيل ،
ففعَلوا ذلك محبةً منهم للحق بأهلهم ومنازلهم ببغداد ، وتركوا اليهود التى كانت
أخذت عليهم للمأمون ، فانتهى الخبر بذلك من أمرهم إلى المأمون بمَرَّو ،

فجمع مَن معه من قواد أبيه ، فكان معه منهم عبد الله بن مالك ، ويحيى ابن معاذ ، وشبيب بن حميد بن قحطبة ، والعلاء مولى هارون ، والعباس بن المسيّب بن زهير وهو على شرطه ، وأيوب بن أبي سمير وهو على كتابته ؛ وكان معه من أهل بيته عبدالرحمن بن عبد الملك بن صالح ، وذو الرياستين ؛ وهو عنده من أعظم الناس قدراً وأخصّهم به ، فشاورهم وأخبرهم الخبر ، فأشاروا عليه أن يلحقهم في ألني فارس جريدة ، فيردّهم . وسُمّيَ لذلك قوم ، فدخل عليه ذو الرياستين ، فقال له : إن فعلت ما أشاروا به عليك جعلت^(١) هؤلاء هدية إلى محمد^(٢) ، ولكنّ الرأي أن تكتب إليهم كتاباً ، وتوجّه إليهم رسولا ؛ فنذّرهم البيعة ، وتسألهم الوفاء ، وتحذّرهم الخنث ، وما يلزمهم في ذلك في الدنيا والدين . قال : قلت له : إن كتابك ورسلك تقوم مقامك ، فتستبرئ ما عند القوم ، وتوجّه سهل بن صاعد - وكان على قهرمته - فإنه يأملك ، ويرجو أن ينال أمله ؛ فلن يألوّك نصحاً ، وتوجّه نفولاً الخادم مولى موسى أمير المؤمنين - وكان عاقلاً . فكتب كتاباً ، ووجههما فلحقاهم بنيسابور قد رحلوا ثلاث مراحل .

فذكر الحسن بن أبي سعيد^(٣) عن سهل بن صاعد ، أنه قال [له]^(٤) : فأوصلت^(٥) إلى الفضل بن الربيع كتابته ، فقال لي : إنما أنا واحد منهم ، قال لي سهل : وشدّ على عبد الرحمن بن جبلة بالرمح ، فأمره على جنبي ، ثم قال [لي]^(٦) : قل لصاحبك : والله لو كنت حاضراً لوضعت الرمح في فيك ، هذا جوابي . قال : ونال من المأمون ، فرجعت بالخبر .

قال الفضل بن سهل : فقلت للمأمون : أعداء قد استرحّت منهم ؛ ولكن افهم عني ما أقول لك ؛ إن هذه الدولة لم تكن قطّ أعزّ منها أيام أبي جعفر ، فخرج عليه المتنع وهو يدعي الربوبية ، وقال بعضهم : طلب بدم أبي مسلم ، فتضعض العسكر بخروجه بخراسان ، فكفاه الله المؤنة^(٧) . ثم خرج بعده يوسف البرم وهو عند بعض المسلمين كافر ؛ فكفى الله المؤنة ، ثم خرج أسناذسيس

(١ - ١) ابن الأثير : « جعلوك هدية إلى أخيك » . (٢) في ط : « سعد » ، وانظر الفهرس . (٣) من ١ . (٤) كذا في ١ ، وفي ط : « لما أوصلت » . (٥) ١ : « أمره » .

يدعو إلى الكفر، فسار المهديّ من الرّيّ إلى نيسابور فكُفّي المؤنة ، ولكن ما أصنع ! أكثر عليك^(١) ! أخبرني كيف رأيت الناس حين ورد عليهم خبر رافع ؟ قال : رأيتهم اضطربوا اضطراباً شديداً ، قلت : وكيف بك وأنت نازل في أحوالك ، ويبيعك في أعناقهم ! كيف يكون اضطراب أهل بغداد ! اصبر وأنا أضمن لك الخلافة - ووضعت يدي على صدري - قال : قد فعلت ، وجعلت الأمر إليك فقم به . قال : قلت : والله لأصدُقُكَ إن عبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ ومن سمينا من أمراء الرؤساء ، إن قاموا لك بالأمر كانوا^(٢) أنفع مني لك برياستهم المشهورة . ولما عندهم من القوة على الحرب ، فن قام بالأمر كنت خادماً له حتى تصير إلى محبتك ، وترى رأيك في . فلقيتهم في منازلهم ، وذكرتهم البيعة التي في أعناقهم وما يجب عليهم من الوفاء . قال : فكأنني جئتهم بحيفة على طبق ، فقال بعضهم : هذا لا يحل . اخرج ، وقال بعضهم : من الذي يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه ! فيجئ فأخبرته ، قال : قم بالأمر ، قال : قلت : قد قرأت القرآن . وسمعت الأحاديث ، وتفقهت في الدين ، فالرأي أن تبعث إلى من بالحضرة من الفقهاء ، فتدعوهم إلى الحق والعمل به وإحياء السنة ، وتعد على اللبود ، وتردّ المظالم . ففعلنا وبعثنا إلى الفقهاء . وأكرمنا القواد والملوك وأبناء الملوك . فكنا نقول للتيمي : نقيسك مقام موسى بن كعب . وللربيعي : نقيسك مقام أبي داود خالد بن إبراهيم . ولليثمي : نقيسك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم . فكنا ندعو كل قبيلة إلى نقيب^(٣) ، وسهم ، واستمطنا الرؤوس . وقلنا لهم مثل ذلك^(٤) . وحططنا عن خراسان ربع الخراج . فحسن موقع ذلك منهم . وسرّوا به ، وقالوا : ابن أختنا . وابن عم النبي صلى الله عليه .

قال علي بن إسحاق : لما أفضت الخلافة إلى محمد . وهذا الناس ببغداد ، أصبح صبيحة السبت بعد بيعته بيوم . فأمر ببناء ميدان حول قصر أبي جعفر في المدينة للصوالة واللعب . فقال في ذلك شاعر من أهل بغداد :

(١) كذا في ١ . وفي ط : « أكبر » .

(٢) كذا في ١ وفي ط : « كان » .

(٣ - ٣) وردت العبارة في ط مضطربة ، والصواب ما أثبتته من ١ .

بَنَى آمِينَ اللَّهُ مِيدَانَا وَصَيَّرَ السَّاحَةَ بُسْتَانًا
وَكَانَتْ الْغَزْلَانُ فِيهِ بَنَانًا يُهْدَى إِلَيْهِ فِيهِ غَزْلَانَا

• • •

وفي هذه السنة شخصت أمّ جعفر من الرقة بجميع ما كان معها هنالك من الخزائن وغير ذلك في شعبان ؛ فتلقاها ابنها محمد الأمين بالأنبار في جميع مَنْ كَانَ بِبَغْدَادِ مِنَ الْوُجُوهِ ، وَأَقَامَ الْمَأْمُونُ عَلَى مَا كَانَ يَتَوَلَّى مِنْ عَمَلِ خُرَّاسَانَ وَنَوَاحِيهَا إِلَى الرَّيِّ ، وَكَاتَبَ الْأَمِينَ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ هَدَايَا كَثِيرَةً ، وَتَوَاتَرَتْ كُتُبُ الْمَأْمُونِ إِلَى مُحَمَّدٍ بِالْعَظِيمِ وَالْهَدَايَا إِلَيْهِ مِنْ طَرَفِ خُرَّاسَانَ مِنَ الْمَنَاعِ وَالْآتِيَةِ وَالْمَيْسَكِ وَالْدَوَابِّ وَالسَّلَاحِ .

وفي هذه السنة دخل هَرَمَةُ حَائِطُ سَمَرْقَنْدَ ، وَلَجَأَ رَافِعٌ إِلَى الْمَدِينَةِ الدَّخَلَةِ ، وَرَاسَلَ رَافِعَ التُّرْكُ فَوَافَوْهُ ، فَصَارَ هَرَمَةُ بَيْنَ رَافِعٍ وَالتُّرْكِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ التُّرْكُ ، فَضَعَفَ رَافِعٌ .

وَقُتِلَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ نَيْقُفُورُ مَلِكِ الرُّومِ فِي حَرْبٍ بِرُجَّانَ ، وَكَانَ مَلِكُهُ — فِيمَا قِيلَ — سَبْعَ (١١) سَنِينَ ، وَمَلِكٌ بَعْدَهُ إِسْتَبْرَاقُ بْنُ نَيْقُفُورٍ وَهُوَ مَجْرُوحٌ ، فَبَقِيَ شَهْرَيْنِ وَمَاتَ . وَمَلِكٌ مِيخَائِيلُ بْنُ جُورْجِسَ خَدَّيْتَهُ عَلَى أُخْتِهِ .

• • •

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَاوُدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ وَالِيَ مَكَّةَ .

وَأَقْرَأَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ أَخَاهُ الْقَاسِمُ بْنُ هَارُونَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَلَى مَا كَانَ أَبُوهُ هَارُونَ وَلَآءَهُ مِنْ عَمَلِ الْجَزِيرَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا خَزِيمَةَ بْنَ خَازِمٍ ، وَأَقْرَأَ الْقَاسِمُ عَلَى قَيْنَسَرِينَ وَالْعَوَاصِمِ .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من مخالفة أهل حِمَص عاملهم إسحاق بن سليمان ، ٧٧٦/٣
وكان محمد ولده إياها ، فلما خالفوه انتقل إلى سلمية ، فصرفه محمد عنهم ،
وولّى مكانه عبد الله بن سعيد الحرّشيّ ومعه عافية بن سليمان ، فحبس عدّة
من وجوههم ، وضرب مدينتهم من نواحيها بالنار ، وسأله الأمان فأجابهم ،
وسكنوا ثم هاجوا ، فضرب أيضاً أعناق عدّة منهم .

وفيهما عزل محمد أخاه القاسم عن جميع ما كان أبوه هارون ولّاه من عمل
الشام وقنسرين والعواصم والثغور ، وولّى مكانه خزيمه بن خازم ، وأمره بالمقام
بمدينة السلام .

وفي هذه السنة أمر محمد بالدعاء لابنه موسى على المنابر بالإمرة .

* * *

[ذكر تفاقم الخلاف بين الأمين والمأمون]

وفيهما مكرّ كل واحد منهما بصاحبه : محمد الأمين وعبد الله المأمون ،
وظهر بينهما الفساد .

« ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذكر أن الفضل بن الربيع فكّر بعد مقدّمه العراق على محمد منصوراً عن
طوس ، وناكثاً للعهد التي كان الرشيد أخذها عليه لابنه عبد الله ، وعلم أن
الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوماً وهو حيّ لم يَبْقَ عليه ؛ وكان في ظنّره
به عطشه ، فسعى في إغراء محمد به ، وحثّه على خلعه ، وصرف ولاية العهد من
بعده إلى ابنه موسى ؛ ولم يكن ذلك من رأى محمد ولا عزمه ، بل كان عزمه
— فيما ذكر عنه — الوفاء لأخويه : عبد الله والقاسم ، بما كان أخذ عليه
لهما والده من العهود والشروط ، فلم يزل الفضل به يصغّر في عينه شأن المأمون ، ٧٧٧/٣

ويزين له خلعه ، حتى قال له : ما تنتظر يا أمير المؤمنين بعبد الله والقاسم أخويك ! فإن البيعة كانت لك متقدمة قبلهما ، وإنما أَدْخِلَ فيها بعدك واحداً بعد واحد ، وأَدْخَلَ في ذلك من رأيه معه علي بن عيسى بن ماهان والسندی وغيرهما ممن بحضرته ، فأزال محمداً عن رأيه .

فأول ما بدأ به محمد عن رأى الفضل بن الربيع فيما دبّر من ذلك ، أن كتب إلى جميع العمال في الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم بن الرشيد ، فذكر الفضل بن إسحاق بن سليمان أن المأمون لما بلغه ما أمر به محمد من الدعاء لابنه موسى وعزله القاسم عما كان الرشيد ضم إليه من الأعمال وإقدامه إياه مدينة السلام ، علم أنه يدبّر عليه في خلعه ، فقطع البريد عن محمد ، وأسقط اسمه من الطرّز [والضرب] ^(١) .

وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار لما انتهى إليه من الخبر عن المأمون وحسن سيرته في أهل عمله وإحسانه إليهم ، بعث في طلب الأمان لنفسه ، فسارع إلى ذلك هرثمة وخرج رافع فلحق بالمأمون ، وهرثمة بعد مقيم بسمرة فأكرم المأمون رافعاً . وكان مع هرثمة في حصار رافع طاهر بن الحسين ، فلما دخل رافع في الأمان ، استأذن هرثمة المأمون في القدوم عليه ، فعبر نهر بلخ بعسكره والنهر جامد ، فتلقاه الناس ، وولاه المأمون الحرس . فأنكر ذلك كله محمد ، فبدأ بالتدبير على المأمون ؛ فكان من التدبير أنه كتب إلى العباس بن عبد الله بن مالك — وهو عامل المأمون على الرى — وأمره أن يبعث إليه بغرائب غروس الرى — مريداً بذلك امتحانه — فبعث إليه ما أمره به ، وكتب المأمون وذا الرياستين . فيبلغ ذلك من أمره المأمون ، فوجه الحسن بن علي المأموني وأردفه بالرسى ^(٢) على البريد ، وعزل العباس بن عبد الله بن مالك ؛ فذكّر عن الرسمى أنه لم ينزل عن دابته حتى اجتمع إليه ألف رجل من أهل الرى .

وجه محمد إلى المأمون ثلاثة أنفس رسلاً : أحدهم العباس بن موسى بن عيسى ، والآخر صالح صاحب المصلّى ، والثالث محمد بن عيسى بن نهيك ؛

وكتب معهم كتاباً إلى صاحب الرى؛ أن استقبلهم بالعدة والسلاح الظاهر. وكتب إلى والى قويمس ونيسابور وسرخس بمثل ذلك؛ ففعلوا. ثم وردت الرسل مَرَو، وقد أعد لهم من السلاح وضروب العدد والعتاد، ثم صاروا إلى المأمون؛ فأبلغوه رسالة محمد بمسألته تقديم موسى على نفسه؛ ويذكر له أنه سمّاه الناطق بالحق؛ وكان الذى أشار عليه بذلك على بن عيسى بن ماهان، وكان يخبره أن أهل خراسان يطيعونه؛ فردّ المأمون ذلك وأباه.

قال : فقال لى ذو الرئاستين : قال العباس بن موسى بن عيسى بن موسى : وما عليك أيها الأمير من ذلك ؛ فهذا جدّى عيسى بن موسى قد خلّع فما ضرّه ذلك ، قال : فصحت به : اسكت ؛ فإن جدّك كان فى أيديهم أسيراً ؛ وهذا بين أخواله وشيعته . قال : فانصرفوا ، وأنزل كل واحد منهم منزلاً . قال ذو الرئاستين : فأعجبني ما رأيت من ذكاء العباس بن موسى ، فخلوت به فقلت : أذهب ^(١) عليك فى فهمك وسنك أن تأخذ بحظك من الإمام -- وسُمّي المأمون فى ذلك اليوم بالإمام ولم يسم بالخلافة . وكان سبب ما سُمّي به الإمام ما جاء من خلّع محمد له ، وقد كان محمد قال للذين أرسلهم : قد سمّي المأمون بالإمام . فقال لى العباس : قد سمّيتوه الإمام ! قال : قلت له : قد يكون إمام المسجد والقبيلة ، فإن وفيتم لم يضرّكم . وإن غدرتم فهو ذاك . قال : ثم قلت للعباس : لك عندى ولاية الموسم ، ولا ولاية أشرف منها . ولك من مواضع الأعمال بمصر ما شئت .

٧٧٩ / ٣

قال : فما برح حتى أخذت عليه البيعة للمأمون بالخلافة ؛ فكان بعد ذلك يكتب إلينا بالأخبار . ويشير علينا بالرأى .

قال : فأخبرني على بن يحيى السرخسى . قال : مرّ بى العباس بن موسى ذاهباً إلى مَرَو -- وقد كنت وصفت له سيرة المأمون وحسن تدبير ذى الرئاستين واحتماله الموضع . فلم يقبل ذلك منى -- فلما رجع مرّ بى . فقلت له : كيف رأيت ؟ قال : ذو الرئاستين أكثر مما وصفت ، فقلت : صافحت

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « يذهب » .

الإمام ؟ قال : نعم ، قلت : امسح يدك على رأسى . قال : ومضى القوم إلى محمد فأخبروه بامتناعه ، قال : فألحَّ الفضل بن الربيع وعلى بن عيسى على محمد في البيعة لابنه وخلع المأمون ، وأعطى الفضل الأموال حتى بايع لابنه موسى . وسمّاه الناطق بالحق ، وأحضره على بن عيسى وولاه العراق . قال : وكان أوّل من أخذ له البيعة بشر بن السّميدع الأزديّ ، وكان وليّاً على بلد ، ثم أخذها صاحب مكة وصاحب المدينة على خواصّ من الناس قليل ، دون العامة .

قال : ونهى الفضل بن الربيع عن ذكر عبد الله والقاسم والدّعاء لهما على شيء من المنابر ، ودسّ لذكر عبد الله والبيعة فيه ، ووجه إلى مكّة كتاباً مع رسولٍ من حِجَبة البيت يقال له محمد بن عبد الله بن عثمان بن طلحة في أخذ الكتابين اللذين كان هارون كتبهما ، وجعلهما في الكعبة لعبد الله على محمد ، فقدم بهما عليه ، وتكلم في ذلك بقية الحِجَبة ، فلم يحفل بهم ، وخافوا على أنفسهم ، فلما صار بالكتابين إلى محمد قبضهما منه ، وأجازة بجائزة عظيمة ، ومزقهما وأبطاهما .

وكان محمد - فيما ذكر - كتب إلى المأمون قبل مكاشفة المأمون إياه بالخلاف عليه ، يسأله أن يتجافى له عن كُور من كُور خراسان - سَمّاها - وأن يوجه العمال إليها من قبيل محمد . وأن يحتمل توجيه رجل من قبيله يولّيه البريد عليه ليكتب إليه بخبره . فلما ورد إلى المأمون الكتاب بذلك ، كبر ذلك عليه واشتدّ ، فبعث إلى الفضل بن سهل وإلى أخيه الحسن ، فشاورهما في ذلك ، فقال الفضل : الأمرُ مُخْطِرٌ ، ولك من شيعتك وأهل بيتك بطانة ، ولم تأنيس بالمشاورة . وفي قطع الأمر دونهم وحشة ، وظهوره ^(١) قلّة ثقة ، فرأى الأمير في ذلك . وقال الحسن : كان يقال : شاور في طلب الرأى مَنْ تَثَقَّ بنصيحته ، وتألف العدو فيما لا اكتنام له بمشاورته : فأحضر المأمون الخاصة من الرؤساء والأعلام ، وقرأ عليهم الكتاب ، فقالوا جميعاً له : أيّها الأمير ،

(١) كذا في ١ ، رى ط : « ظهور » .

تساور في خطر، فاجعل لبيدتهنا حظاً من الروية، فقال المأمون: ذلك هو الخزم، وأجلهم ثلاثاً، فلما اجتمعوا بعد ذلك، قال أحدهم: أيها الأمير، قد حملت على كثرهمين، ولست أرى خطأ مدافعة بمكروهم أو لهما مخافة مكروهم آخرهما. وقال آخر: كان يقال أيها الأمير، أسعدك الله، إذا كان الأمر مخظيراً، فأعطاك من نازعت طرفاً من بغيته أمثل من أن تصير بالمنع إلى مكاشفته. وقال آخر: إنه كان يقال: إذا كان علم الأمور مغيباً عنك، فخذ ما أمكنتك من هدة^(١) يومك؛ فإنك لا تأمن أن يكون فساد يومك راجعاً بفساد غدك. وقال آخر: لئن خيفت^(٢) للذل عاقبة، إن أشد منها لئماً يبعث الإباء^(٣) من الفرقة. وقال آخر: لا أرى مفارقة منزلة سلامة؛ فلعلني أعطى معها العافية. فقال الحسن: فقد وجب حقكم باجتهادكم؛ وإن كنت من الرأي على مخالفتكم، فقال له المأمون: فناظرهم، قال: لذلك ما كان الاجتماع. وأقبل الحسن عليهم: فقال: هل تعلمون أن محمداً تجاوز إلى طلب شيء ليس له بحق؟ قالوا: نعم؛ ويحتمل ذلك لما نخاف من ضرر منعه. قال: فهل تشقون بكفه بعد إعطائه إياها، فلا يتجاوز بالطلب إلى غيرها؟ قالوا: لا، ولعل سلامة تقع من دون ما يخاف ويتوقع. قال: فإن تجاوز بعدها بالمسألة؛ أها ترونه قد توهن بما بذل منها في نفسه! قالوا: ندفع ما يعرض له في عاقبة بمدافعة محذورة عاجلة! قال: فهذا خلاف ما سمعناه من قول الحكماء قبلنا، قالوا: استصلح عاقبة أمرك باحتمال ما عرض من كره يومك، ولا تلتمس هدنة يومك بإخطار أدخلته على نفسك في غدك. قال المأمون للفضل: ما تقول فيما اختلفوا فيه؟ قال: أيها الأمير، أسعدك الله، هل يؤمن محمد أن يكون طالبك بفضل قوتك ليستظهر بها عليك غداً على مخالفتك! وهل يصبر الحازم إلى فضلة من عاجل الدعة بخاطر يعرض له في عاقبة؛ بل إنما أشار الحكماء بحمل ثقل فيما يرجون به صلاح عواقب أمورهم. فقال المأمون: بل بإيثار العاجلة صار من صار إلى فساد العاقبة في أمر دنيا وأمر آخرة. قال القوم: قد قلنا بمبلغ الرأي؛ والله يؤيد الأمير بالتوفيق. فقال: اكتب

(١) كذا في ١، وفي ط: «هدية» . (٢) كذا في ١، وفي ط: «غيت» .

(٣) كذا في ١.

يا فضلُ إليه ، فكتب :

قد بلغني كتاب أمير المؤمنين يسألني التجافى عن مواضع ستمها مما أثبتته الرشد في العقد ، وجعل أمره إلى ، وما أمرُ رآه أمير المؤمنين أحد يجوز أكثره ؛ غير أن الذي جعل إلى الطرف الذي أنا به ، لا ظنين في النظر لعامته ، ولا جاهل بما أسند إلى من أمره ، ولو لم يكن ذلك مثبتاً بالعهود والمواثيق المأخوذة ، ثم كنت على الحال التي أنا عليها من إشراف عدو مخوف الشوكة ، وعامة لا تتألف عن هضمها ، وأجناد لا يستتبع طاعتها إلا بالأموال وطرف من الإفضال - لكان في نظر أمير المؤمنين لعامته وما يجب من لم أطرافه ما يوجب عليه أن يقسم له كثيراً من عنايته ، وأن يستصلحه ببذل كثير من ماله ؛ فكيف بمسألة ما أوجبه الحق ، ووكند به مأخوذ العهد ! وإني لأعلم أن أمير المؤمنين لو علم من الحال ما علمت لم يطلع بمسألة ما كتب بمسألته إلى . ثم أنا على ثقة من القبول بعد البيان إن شاء الله .

وكان المأمون قد وجه حارسة إلى الحد ، فلا يجوز رسول من العراق حتى يوجهه مع ثقات من الأمراء^(١) ، ولا يدعه يستعلم خبراً ولا يؤثر أثراً ، ولا يستتبع بالرغبة ولا بالرهبة أحداً ، ولا يبلغ أحداً قولاً ولا كتاباً . فحصر أهل خراسان من أن يستمالوا برغبة ، أو أن تودع صدورهم رهبة ، أو يحملوا على منزل خلاف أو مفارقة . ثم وضع على مراصد الطرق ثقات من الحراس لا يجوز عليهم إلا من لا يدخل الظننة في أمره ممن أتى بجواز في مخرجه إلى دار مآبه ، أو تاجر معروف مأمون في نفسه ودينه ، ومنع الأشتات^(٢) من جواز السبل والقتل المتاجر والوغول في البلدان في هيئة الطارئة والسابعة ، وفشتشت الكتب . وكان - فيما ذكر - أول من أقبل من قبل محمد مناظراً في منعه ما كان سأل جماعة ، وإنما وجهوا ليعلم أنهم قد عاينوا وسمعوا ، ثم يلتمس منهم أن يبذلوا أو يحرموا فيكون مما قالوا حجة يحتج بها ، أو ذريعة إلى ما التمس [منها] . فلما صاروا إلى حد الرى ، وجدوا تديراً مؤبداً ، وعقداً مستحصداً متأكداً . وأخذتهم الأحراس من جوانبهم ، فحفظوا في حال ظعنهم وإقامتهم من أن يخبروا أو يستخبروا ، وكتب بخبرهم من مكانهم . فجاء الإذن في حملهم

(٢) : ١ « الأسباب » .

(١) : ١ « الأبناء » .

فحملوا محروسين ؛ لا خبرَ يصل إليهم ، ولا خبر يتطلع منهم إلى غيرهم ؛ وقد كانوا مُعَدِّين لبثّ الخبر في العامة وإظهار الحجة بالمفارقة والدعاء لأهل القوة إلى المخالفة ؛ يبذلون الأموال ، ويضمنون لهم معظم الولايات والقطائع والمنازل ؛ فوجدوا جميع ذلك ممنوعاً محسوماً ؛ حتى صاروا إلى باب المأمون . ٧٨٤/٣

وكان الكتاب النافذ معهم إلى المأمون :

أما بعد ؛ فإن أمير المؤمنين الرشيد وإن كان أفردك بالطرف ، وضمّ ما ضمّ إليك من كُور الجبل ؛ تأييداً لأمرك ، وتحصيناً لطرفك ؛ فإنّ ذلك لا يُوجب لك فضلا المال عن كفايتك . وقد كان هذا الطرف وخراجه كافياً لحدثه ، ثم تتجاوز بعد الكفاية إلى ما يفضل من رده ؛ وقد ضمّ لك إلى الطرف كوراً من أمتهات كور الأموال لا حاجة لك فيها ، فالحقّ فيها أن تكون مردودة في أهلها ، ومواضع حقها . فكتبت إليك أسألك ردّ تلك الكور إلى ما كانت عليه من حالها ؛ لتكون فضول ردها مصروفة إلى مواضعها ؛ وأن تأذن لقائم بالخبر يكون بحضرتك يؤدّي إلينا علم ما نعنّى به من خبر طرفك ؛ فكتبت تلطّ^(١) دون ذلك بما إن تمّ أمرُك عليه صبرنا الحقّ إلى مطالبتك ؛ فائن عن هملك اثن عن مطالبتك ، إن شاء الله .

فلما قرأ المأمون الكتاب كتب مجيباً له :

أما بعد ؛ فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين ، ولم يكتب فيما جهل فأكشف له عن وجهه ، ولم يسأل ما يوجبه حقّ فيلزمي الحجة بترك إجابته ؛ وإنما يتجاوز المتناظران^(٢) منزلة النصفة ما ضاقت النصفة عن أهلها ؛ فتى تجاوز متجاوز - وهي موجودة الوسع - ولم يكن تجاوزها إلّا عن نقضها واحتمال ما في تركها ؛ فلا تبعثني يابن أبي على مخالفتك وأنا مذ عن بطاعتك ، ولا على قطيعتك . وأنا على إثثار ما تحبّ من صلتك ، وارض بما حكم به الحقّ في أمرك أكن بالمكان الذي أنزلني به الحقّ فيما بيني وبينك . والسلام . ٧٨٥/٣

ثم أحضر الرّسل ، فقال : إنّ أمير المؤمنين كتب في أمر كتبت له في جوابه ، فأبلغه الكتاب ، وأعلموه أنّي لا أزال على طاعته ؛ حتى يضطروني

(١) تلطّ : تبعه . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « المتناظران » .

بترك الحقّ الواجب إلى مخالفته . فذهبوا يقولون ، فقال : قفوا أنفسكم حيث وقفنا بالقول بكم ، وأحسنوا تأدية ما سمعتم ؛ فقد أبلغتمونا من كتابنا ما عسى أن تقولوه لنا . فانصرف الرسل ولم يُثبتوا لأنفسهم حجة ، ولم يحملوا خبراً يؤدونه إلى صاحبهم ، ورأوا جداً غير مشوب بهزل ، في منع ما كُتِبَ من حقهم الواقع - بزعمهم .

فلما وصل كتاب المأمون إلى محمد وصل منه ما فظع به ، وتخطط^(١) غيظاً بما تردّد منه [في سمعه]^(٢) ، وأمر عند ذلك بما ذكرناه من الإمساك عن الدّعاء له على المنابر ؛ وكتب إليه :

أما بعد ؛ فقد بلغني كتابك غامطاً لنعمة الله عليك فيما مكّن لك من ظلمها ، متعرّضاً لحريق نار لا قبل لك بها ، ولتحطّك عن الطاعة كان أودع لك ؛ وإن كان قد تقدّم مني متقدّم ؛ فليس بخارج من مواضع فعلك إذ كان راجعاً على العامة من رعيتك ؛ وأكثر من ذلك ما يمكن لك من منزلة السلامة ، ويثبت لك من حال الهدنة ؛ فأعلمني رأيك أعمل عليه . إن شاء الله .

وذكر سهل بن هارون عن الحسن بن سهل ، أن المأمون قال لذي الرياستين : إن ولدي وأهلي ومالي الذي أفردته الرّشيد لي بحضرة محمد - وهو مائة ألف ألف - وأنا إليها محتاج ، وهي قبيلة فما ترى في ذلك ؟ وراجعته في ذلك مراراً . فقال له ذو الرياستين : أيّها الأمير ، بك حاجة إلى فضلة مالك ؛ وأن يكون أهلك في دارك وجنابك ؛ وإن أنت كتبت فيه كتاب عزمة فنحك صار إلى خلع عهده ؛ فإن فعل حمّلك ولو بالكُره على محاربتك ؛ وأنا أكره أن تكون المستفتح باب الفرقة ما أرتجه الله دونك ؛ ولكن تكتب كتاب طالب لحقك ، وتوجيه أهلك على ما لا يوجب عليه المنع نكثاً لعهدك ؛ فإن أطاع فنعمة وعافية ؛ وإن أبى لم تكن بعثت على نفسك حرباً [أو مشاقة] . فاكتب إليه ، فكتب عنه :

أما بعد ؛ فإن نظير أمير المؤمنين العامة نظر من لا يقتصر عنه على إعطاء النّصف من نفسه حتى يتجاوزها إليهم بيرة وشمسه ؛ وإذا كان ذلك رأيه في

(١) : « قلع به » . ولتحطط : انقسموا أنفسهم . (٢) من ١ .

عامته ؛ فأحرر بأن يكون على مجاوزة ذلك بصنوه وقسيم نسبه ؛ فقد تعلم
يا أمير المؤمنين حالاً أنا عليها من ثغور حلت بين لهواتها ، وأجناد لا تزال موقنة
بنشر غيبتها وبنكت آرائها ، وقلة الخرج قبيل ، والأهل والولد قبيل أمير المؤمنين ،
وما للأهل — وإن كانوا في كفاية من برّ أمير المؤمنين ، فكان لهم والدًا —
بُدّ من الإشراف والنزوع إلى كنفى . ومالى بالمال من القوة والظهير على لم
الشعث بحضرتي ، وقد وجهت لحمل العيال وحمل ذلك المال ؛ فرأى
أمير المؤمنين في إجازة فلان إلى الرقة في حمل ذلك المال ، والأمر بمعونته عليه ،
غير محرج له فيه إلى ضيقة تقع بمخالفته ، أو حامل له على رأى يكون على غير
موافقة . والسلام .

٧٨٧/٣

فكتب إليه محمد :

أما بعد ؛ فقد بلغني كتابك بما ذكرت مما عليه رأى أمير المؤمنين في عامته
فضلاً عما يجب من حقّ لذي حرّمته وخليط نفسه ، ومحلّك بين لهوات ثغور ،
وحاجتك لمحلّك بينها إلى فضلة من المال لتأييد أمرك ؛ والمال الذى سُمّي لك
من مال الله ، وتوجيهك من وجهته في حمله وحمل أهلك من قبيل أمير المؤمنين .
ولعمري ما ينكر أمير المؤمنين رأياً هو عليه مما ذكرت لعامته ، يوجب
عليه من حقوق أقربيه وعامته . وبه إلى ذلك المال الذى ذكرت حاجة في
تحصين أمور المسلمين ؛ فكان أولى به لإجراؤه منه على فرائضه ، وردّه على
مواضع حقه ؛ وليس بخارج من نفعك ما عاد بنفع العامة من رعيّتك . وأما
ما ذكرت من حمل أهلك ؛ فإن رأى أمير المؤمنين تولى أمرهم ؛ وإن كنت
بالمكان الذى أنت به من حقّ القرابة . ولم أر من حملهم على سفرهم مثل
الذى رأيت من تعريضهم بالسفر للتشتت ؛ وإن أرّ ذلك من قبيل أوجههم
إليك مع الثقة من رسل إن شاء الله . والسلام .

٧٨٨/٣

قال : ولما ورد الكتاب على المأمون ، قال : لاطّ دون حقنا يريد أن
توهن مما يمنع من قوتنا ، ثم يتمكن للوهنة من الفُرصة في مخالفتنا . فقال
له ذو الرياستين : أو ليس من المعلوم دفع الرشيد ذلك المال إلى الأمين لجمعه ،
وقبض الأمين إياه على أعين الملا من عامته ؛ على أنه يحرسه قنيّةً ، فهو

لا يترع إليها؛ فلا تأخذ عليه مضايقتها، وأمل له ما لم تضطرك جريئته إلى مكاشفته بها؛ والرأى لزوم عروة الثقة، وحسم الفرقة؛ [فإن أمسك فبنعمة] ^(١) وإن تطلع إليها فقد تعرّض لله بالمخالفة، وتعرّضت منه بالإمسك للتأييد والمعونة.

قال: وعلم المأمون والفضل أنه سيحدث بعد كتابه من الحدث ما يحتاج إلى لسمه ^(٢)، ومن الخبر ما يحتاج أن يباشره بالثقة من أصحابه، وأنه لا يحدث في ذلك حدثاً دون مواطأة رجال النباهة والأقدار من الشيعة وأهل السابقة؛ فرأى أن يختار رجلاً يكتب معه إلى أعيان أهل العسكر من بغداد؛ فإن أحدث محمد خلعاً للمأمون صار إلى دفعها، وتلطف لعلم حالات أهلها؛ وإن لم يفعل من ذلك شيئاً خنس في حقته، وأمسك عن إيصالها، وتقدم إليه في التعجيل.

٧٨٩/٣

ولما قدم أوصل الكتب، وكان كتابه مع الرسول الذي وجهه لعلم الخبر: أما بعد؛ فإن أمير المؤمنين كأعضاء البدن، يحدث العلة في بعضها؛ فيكون كرهه ذلك مؤلماً لجميعها؛ وكذلك الحدث في المسلمين، يكون في بعضهم فيصل كرهه ذلك إلى سائرهم؛ للذي يجمعهم من شريعة دينهم، ويلزمهم من حرمة أخوتهم ^(٣)، ثم ذلك من الأئمة أعظم للمكان الذي به الأئمة من سائر أممهم؛ وقد كان من الخبر ما لا أحسبه إلا سيعرب عن محنته، ويسفر عما استتر من وجهه؛ وما اختلف مختلفان فكان أحدهما مع أمر الله إلا كان أول معونة المسلمين وموالاتهم في ذات الله؛ وأنت يرحمك الله من الأمر بمرأى ومسمع؛ وبحيث إن قلت أذن لقولك؛ وإن لم تجد للقول مساعاً فأمسكت عن مخوف أقتدى فيه بك؛ ولن يضيع على الله ثواب الإحسان مع ما يجب علينا بالإحسان من حقلك، ولحظ حاز لك النصيبين أو أحدهما أمل من الإشراف لأحد الحظيئين، مع التعرض لعدمهما، فاكتب إلى برأيك، وأعلم ذلك لرسولي ليؤديه إلى عنك. إن شاء الله.

وكتب إلى رجال النباهة من أهل العسكر بمثل ذلك.

قال: فوافق قاسم الرسول بغداد ما أمر به من الكف عن الدعاء للمأمون

(١) من أ.

(٢) كذا في أ، وفي ط «علمه».

(٣) ط: «آخرتهم»، وما أثبتته من أ.

في الخطبة يوم الجمعة ، وكان بمكان الثقة من كل من كتب إليه معه ؛ فمنهم من أمسك عن الجواب وأعرب للرسول عما في نفسه ، ومنهم من أجاب عن كتابه ؛ فكتب أحدهم :

٧٩٠/٣

أما بعد فقد بلغني كتابك وللحق برهان يدل على نفسه تثبت به الحجة على كل من صار إلى مفارقتك ؛ وكفى غيباً بإضاعة حظ من حظ العاقبة ؛ لما مول من حظ عاجلة ، وأبين من الغيب إضاعة حظ عاقبة مع التعرض للنكبة والوقائع ؛ ولي من العلم بمواضع حظي ما أرجو أن يحسن معه النظر مني لنفسى ، ويضع عني مؤنة استزادتي . إن شاء الله .

قال : وكتب الرسول المتوجه إلى بغداد إلى المأمون وذى الرياستين :

أما بعد ، فإني وافيت البلدة ، وقد أعلن خليطك ببتكره ، وقدم علماً من اعتراضه ومفارقته [وأمسك عما كان يجب ذكره وتوفيته] ^(١) بحضرته ؛ ودفعت كتبك فوجدت أكثر الناس ولاية السرية ونفاة العلانية ، ووجدت المشرفين بالرعية لا يحوطون إلا عنها ولا يبالون ^(٢) ما احتملوا فيها ؛ والمنازع مختلج الرأي ، لا يجد دافعاً منه عن همته ، ولا رغباً في عامه ، والخلون بأنفسهم يحلون تمام الحدث ؛ ليسلموا من منهزم حدثهم ، والقوم على جد ، ولا تجعلوا للتواني [في أمرهم نصيباً] ^(٣) إن شاء الله والسلام .

قال : ولما قدم على محمد بن معسكر المأمون سعيد بن مالك بن قادم وعبد الله بن حميد بن قحطبة والعباس بن الليث مولى أمير المؤمنين ومنصور بن أبي مطر وكثير بن قدارة ، أطففهم وقربهم ، وأمر لمن كان قبض منهم الستة الأشهر برزق اثني عشر شهراً ، وزادهم في الخاصة والعامة ، ولمن لم يقبضها بثمانية عشر شهراً .

قال : ولما عزم محمد على خلع المأمون دعا يحيى بن سليم فشاورة في ذلك ، فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ، كيف بذلك لك مع ما قد وكّد الرشيد من بيبعته ، وتوثق بها من عهده ، والأخذ للإيمان والشرائط في الكتاب الذي

٧٩١/٣

كتبه ! فقال له محمد : إن رأى الرشيد كان فلتةً شَبَّهَها عليه جعفر بن يحيى بسحره ، واستأله برُقاه وعُتدّه ، فغرس لنا غَرْساً مكروهاً لا ينفعنا ما نحن فيه معه إلا بقطعه ، ولا تستقيم لنا الأمور إلا باجتماعه والراحة منه . فقال : أما إذا كان رأى أمير المؤمنين خلعةً ، فلا يُجَاهِرُه مجاهرةً فيستنكرها الناس ، ويستشنعها العامة ؛ ولكن تستدعى الجند بعد الجند والقائد بعد القائد ، وتؤنسه^(١) بالأنطاف والهدايا ، وتفرق ثقافته ومَن معه ، وترغبهم بالأموال ، وتستميلهم بالأطعام ؛ فإذا أوهنت قوّته ، واستفرغت رجاله ، أمرته بالقدوم عليك ؛ فإن قدم صار إلى الذى تريد منه ؛ وإن أبى كنت قد تناولته وقد كلّ حده وهيض جناحه ، وضعف ركنه وانقطع عزّه . فقال محمد : ما قَطَعَ أمراً كصريمة ، أنت مهذار خطيب ، ولست بذى رأى ، فزلّ عن هذا الرأى إلى الشيخ الموفق والوزير الناصح^(٢) ؛ قم فالحق بمدادك وأقلامك ؛ [قال يحيى : فقلت : غضب]^(٣) يشوبه صدق ونصيحة ، أشرت إلى رأى يخلطه غش وجهل . قال : فوالله ما ذهب الأيام حتى ذكر كلامه ، وقرّعه بخطئه وخرقه .

قال سهل بن هارون : وقد كان الفضل بن سهل دسّ قوماً اختارهم ممن يثق به من القواد والوجوه ببغداد ليكاتبوه بالأخبار يوماً يوماً ، فلما دسّ محمد بخلع المأمون ، بعث الفضل بن الربيع إلى أحد هؤلاء الرجال يشاوره فيما يرى من ذلك ، فعظّم الرجلُ عليه أمر نقض العهد للمأمون ، وقبّح الغدر به . فقال له الفضل : صدقت ؛ ولكن عبد الله قد أحدث الحدث الذى وجب به نقض ما أخذ الرشيد له . قال : أفتثبت الحجة عند العوام بمعلوم حديثه كما تثبت الحجة بما جدد من عهده ! قال : لا ، قال : أفحدث هذا منكم يوجب عند العامة نقض عهدكم ما لم يكن حدثه معلوماً يجب به فسْخَ عهده ! قال : نعم ، قال الرجل - ورفع صوته : بالله ما رأيتُ كالיום رأى رجل يرتاد به النظر ، يشاور فى رفع ملك فى يده بالحجة ثم يصير إلى مطالبة بالعناد والمغالبة ! قال : فأطرق الفضل ملياً ، ثم قال : صدقتى الرأى ، واحتملت ثقل الأمانة ؛ ولكن أخبرنى إن نحر أغمضنا من قالة العامة وجدنا مساعدين

(١) ابن الأثير : « وتؤنسهما » . (٢) أى الفضل بن الربيع . (٣) من .

تاريخ الطبري - ثامن

من شيعتنا وأجنادنا ، فما القول ؟ قال : أصلحك الله ، وهل أجنادك إلا من عامتك في أخذ بيعتهم وتمكن برهان الحق في قلوبهم ! أفليسوا وإن أعطوك ظاهر طاعة هم مع ما تأكد من وثائق العهد في معارفهم ؟ قال : فإن أعطونا بذلك الطاعة قال : لا طاعة دون أن تكون على تثبت من البصائر . قال : نرغبهم بتشريف حظوظهم ، قال : إذا يصيروا إلى التقبل ، ثم إلى خذلانك عند حاجتك إلى مناصحتهم . قال : فما ظنك بأجناد عبد الله ؟ قال : قوم على بصيرة من أمرهم لتقدم بيعتهم وما يتعاملون من حظّهم ، قال : فما ظنك بعامتهم ؟ قال : قوم كانوا في بلوى عظيمة من تحيف ولائهم في أموالهم ، ثم في أنفسهم صاروا به إلى الأمنية من المال والرفاعة في المعيشة ، فهم يدافعون عن نعمة حادثة لهم ، ويتذكرون بلية لا يأمنون العودة إليها . قال : فهل من سبيل إلى استفساد عظماء البلاد عليه ؛ لتكون محاربتنا إياه بالمكيدة من ناحيته ، لا بالزخرف نحوه لمناجزته ! قال : أما الضعفاء فقد صاروا له إلباً لما نالوا به من الأمان والنصفة ، وأما ذرو القوة فلم يجدوا مطعناً ولا موضع حجة ، والضعفاء السواد الأكثر . قال : ما أراك أبقيت لنا موضع رأى في اعتزالك إلى أجنادنا ، ولا تمكّن النظر في ناحيته باحتيالنا ، ثم أشد من ذلك ما قلت به وهنة أجنادنا وقوة أجناده في مخالفته . وما تسخو نفس أمير المؤمنين بترك ما لا يعرف من حقه ، ولا نفس بالمدنة مع تقدم جرى في أمره ، وربما أقبلت الأمور مشرقة بالخفاقة ، ثم تكشف عن الفلج والدرك في العاقبة . ثم تفرقا .

٧٩٣/٣

قال : وكان الفضل بن الربيع أخذ بالمراسد لثلاث تجاوز الكتب الحد ؛ فكتب الرسول مع امرأة ، وجعل الكتاب وديعة في عودٍ متفور من أعواد الأكاف ، وكتب إلى صاحب البريد بتعجيل الخبر ؛ وكانت المرأة تمضي على المسالح كالمجتازة من القرية إلى القرية ، لا تُهاج ولا تفتش . وجاء الخبر إلى المأمون موافقاً لسائر ما ورد عليه من الكتب ، قد شهد بعضها ببعض ، فقال لذي الرياستين : هذه أمور قد كان الرأي أخبر عن عيبها ، ثم هذه طوال تخبر عن أواخرها ، وكفانا أن نكون مع الحق ، ولعل كرهاً يسوق خيراً . قال : وكان أول ما دبّره الفضل بن سهل بعد ترك الدعاء للمأمون وصحة

٧٩٤/٣

الخبر به ، أن جَمَعَ الأجناد التي كان أعدّها بجنّات الرّى مع أجناد قد كان مكنها فيها ، وأجناد لاقِيَام بأمرهم ؛ وكانت البلاد أجديت بحضرتهم ؛ فأعدّ لهم من الحمولة ما يحمل إليهم من كل فجّ وسبيل ؛ حتى ما فقدوا شيئاً احتاجوا إليه ، وأقاموا بالحدّ لا يتجاوزونه ولا يطلقون يداً بسوء في عامدٍ ولا مجتاز . ثمّ أشخص طاهر بن الحسين فيمنّ ضمّ إليه من قواده وأجناده ، فسار طاهر مغزاً لا يابى على شيء ، حتى ورد الرّى ، فترظا ووكل بأطرافها . ووضع مسالحه ، وبثّ عيونه وطلّاعه ، فقال بعض شعراء خراسان :

رعى أهلَ العراقِ ومنَ عليها إمامُ العَدَلِ والمَلِكِ الرّشيدُ
بأحزَمٍ منَ مَشَى رَايَا وحَزَمًا وَكَيْدًا نَافِذًا فيما يَكِيدُ
بِدَاهِيَسَةٍ نَادٍ^(١) خنَفَقِي يَشِيبُ لِهَوْلِ صَوَلَتِهَا الوليدُ

وذكر أن محمداً وجّه عَصِمة بن حماد بن سالم إلى هَمْدَان في ألف رجل ، وولاه حرب كُور الجبل ، وأمره بالمقام بهمْدَان ، وأن يوجه مقدمته إلى ساوّة ، واستخلف أخاه عبد الرحمن بن حماد على الحرّس ، وجعل الفضلُ بن الربيع وعلى بن عيسى يلهبان محمداً ، ويبعثانه على خلع المأمون والبيّعة لابنه موسى .

* * *

وفي هذه السنة عتقد محمد بن هارون في شهر ربيع الأول لابنه موسى على جميع ما استخلفه عليه ، وجعل صاحب أمره كلّهُ على بن عيسى بن ماهان ، وعلى شُرطه محمد بن عيسى بن نهيك ، وعلى حرسه عثمان بن عيسى ابن نهيك ، وعلى خراجهِ عبد الله بن عبيدة وعلى ديوان رسائله على بن صالح صاحب المصلّى .

وفي هذه السنة وثب الروم على ميخائيل صاحب الرّوم فهرب وترهب ، وكان ملكه سنتين فيما قيل .

(١) ط : « نَاد » ، تصحيف ، صوابه من ا ، والنّاد والخنَفَقِي ، من أسماء الدوامى .

وفيهما ملك على الروم ليون القائد .

وفيهما صرف محمد بن هارون إسحاق بن سليمان عن حِمَص ، وولّاها عبد الله بن سعيد الحرّشيّ ، ومعه عافية بن سليمان ، فقتل عدّة من وجوههم ، وحبس عدّة ، وحرّق مدينتهم من نواحيها بالنار ، فسأأوه الأمان ، فأجابهم فسكنوا ثم هاجوا ، فضرب أعناق عدّة منهم .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر محمد بن هارون بإسقاط ما كان ضرب لأخيه عبد الله المأمون من الدنانير والدراهم بخراسان في سنة أربع وتسعين ومائة ؛ لأن المأمون كان أمر ألا يُثبت فيها اسم محمد ، وكان يقال لتلك الدنانير والدراهم الرباعية ، وكانت لا تجوز حيناً .

* * *

[النهي عن الدعاء للمأمون على المنابر]

وفيهما نهى الأمين عن الدعاء على المنابر في عمله كله للمأمون والقاسم ، وأمر بالدعاء له عليها ثم من بعده لابنه موسى ، وذلك في صفر من هذه السنة ، ٧٩٦/٣ وابنه موسى يومئذ طفل صغير ، فسماه الناطق بالحق ، وكان ما فعل من ذلك عن رأى الفضل بن الربيع ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

أضاعَ الخلافةَ غشُّ الوزيرِ وَفَسَقُ الأَمِيرِ ، وَجَهْلُ المَشِيرِ
فَفَضَّلُ وزيرٌ ، وَبَكَرُ مَشِيرٌ يُريدانِ ما فيه حَتَفُ الأَمِيرِ^(١)

فبلغ ذلك المأمون ، فتسمى بإمام الهدى ، وكتب بذلك .

* * *

عقد الإمرة لعلي بن عيسى

وفيهما عقد محمد لعلي بن عيسى بن ماهان يوم الأربعاء لليلة خلت من شهر ربيع الآخر على كُور الجبل كلها : نهاوند وهَمَذان وقم وأصفهان ،

(١) ذكرهما ابن الأثير ؛ وذكر بعدها ثالثاً ، ونسبها إلى بعض شعراء بغداد ؛ وقال بعده : « في عدة أبيات تركتها لما فيها من انتذف الفاحش ونقد عجبت لأبي جعفر حيث ذكرها مع ورعه وندم الابن على نكته وغدره » . والقصيدة بتأملها تأتي في ص ٣٩٦ من هذا الجزء .

حربها وخراجها ، وضمّ إليه جماعة من القواد وأمر له - فيما ذكر - بمائتي ألف دينار ، ولولده بخمسين ألف دينار ، وأعطى الجند مالا عظيماً ، وأمر له من السيوف المحلاة بألني سيف وستة آلاف ثوب للخيل ، وأحضر محمد أهل بيته ومواليه وقواده المقصورة بالشّامية يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة ، فصلّى محمد الجمعة ، ودخل وجلس لهم ابنه موسى في المحراب ، ومعه الفضل ابن الربيع وجميع من حضر ، فقرأ عليهم كتاباً من الأمين يعلمهم رأيه فيهم وحقه عليهم ، وما سبق لهم من البيعة متقدماً مفرداً بها ، ولزوم ذلك لهم ، وما أحدث عبد الله من التسمي بالإمامة ، والدعاء إلى نفسه ، وقطع ذكره في دور الضرب والطّرز ؛ وأنّ ما أحدث من ذلك ليس له ؛ ولا ما^(١) يدعى من الشروط التي شرّطت له بجائزة له . وحثهم على طاعته ، والتسلّك ببيعته .

وقام سعيد بن الفضل الخطيب بعد قراءة الكتاب ، فعارض ما في الكتاب بتصديقه والقول بمثله . ثم تكلم الفضل بن الربيع وهو جالس ، فبالغ في القول وأكثر ، وذكر أنه لا حقّ لأحد في الإمامة والخلافة إلا للأمير المؤمنين محمد الأمين ؛ وأنّ الله لم يجعل لعبد الله ولا لغيره في ذلك حظاً له ولا نصيباً . فلم يتكلّم أحد من أهل بيت محمد ولا غيرهم بشيء إلاّ محمد بن عيسى بن نهيك ونفر من وجوه الحرّس . وقال الفضل بن الربيع في كلامه : إنّ الأمير موسى ابن أمير المؤمنين قد أمر لكم يا معاشير أهل خراسان من صلّب ماله بثلاثة آلاف ألف درهم تقسم بينكم . ثم انصرف الناس ، وأقبل علىّ بن عيسى على محمد يخبره أنّ أهل خراسان كتبوا إليه يذكرون أنه إن خرج هو أطاعوه وانقادوا معه .

٧٩٧/٣

* * *

[شخص علىّ بن عيسى إلى حرب المأمون]

وفيها شخص علىّ بن عيسى إلى الرّى إلى حرب المأمون .

• ذكر الخبر عن شخصه إليها وما كان من أمره في شخصه ذلك :

ذكر الفضل بن إسحاق ، أنّ علىّ بن عيسى شخص من مدينة السلام

(١) ط : « وما » ، وما أثبتته من أ .

عشيّة الجمعة لحمس عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة ،
 شخص عشيّة تلك فيما بين صلاة الجمعة إلى صلاة العصر إلى معسكره بنهر
 بين : فأقام فيه في زهاء أربعين أنفًا ، وحمل معه قيد فضة ليقبّده المأمون بزعمه ،
 ٧٩٨/٣ وشخص معه محمد الأمين إلى النهر وان يوم الأحد لست بقين من جمادى
 الآخرة ، فعرض بها الذين ضُمنوا إلى عليّ بن عيسى ، ثم أنام ببقية يومه ذلك
 بالنهر وان ، ثم انصرف إلى مدينة السلام . وأنام عليّ بن عيسى بالنهر وان
 ثلاثة أيام ، ثم شخص إلى ما وُجّه له مسرعًا حتى نزل همدان ، فولّى عليها
 عبد الله بن حميد بن قحطبة . وقد كان محمد كتب إلى عصمة بن حماد
 بالانصراف في خاصة أصحابه وضمّ بقية العسكر وما فيه من الأموال وغير
 ذلك إلى عليّ بن عيسى ، وكتب إلى أبي دلف القاسم بن عيسى بالانضمام
 إليه فيمن معه من أصحابه : [ووجهه]^(١) معه هلال بن عبد الله الحضرمي ،
 وأمر له بالفرّض ، ثم عقد لعبد الرحمن بن جبلة الأبنوي^(٢) عليّ الديشور ،
 وأمره بالسير في بقية أصحابه ، ووجهه معه ألفي ألف درهم حملت إليه قبل
 ذلك ، ثم شخص عليّ بن عيسى من همدان يريد الرّيّ قبل ورود عبد الرحمن
 عليه ، فسار حتى بلغ الرّيّ على تعبئة ، فلقه طاهر بن الحسين وهو في أقل
 من أربعة آلاف - وقيل كان في ثلاثة آلاف وثمانمائة - وخرج من عسكر
 طاهر ثلاثة أنفس إلى عليّ بن عيسى يتقربون إليه بذلك ، فسألهم : من هم ؟
 ومن أيّ البلدان هم ؟ فأخبره أحدهم أنه كان من جند عيسى أبيه^(٣) الذي قتله
 رافع . قال : فأت من جندي ! فأمر به فضرب مائتي سوط ، واستخفّ
 بالرجلين . وانتهى الخبر إلى أصحاب طاهر ، فازدادوا جِدًّا في محاربته ونفوراً منه .
 فذكر أحمد بن هشام أنه لم يكن ورَد عليهم الكتاب من المأمون ، بأن
 تسمى بالخلافة ، إذ التّيا -- وكان أحمد على شُرطة طاهر - فقلت لطاهر :
 قد ورد عليّ بن عيسى فيمن ترى ، فإن ظهرنا له ؟ فقال : أنا عامل أمير المؤمنين
 وأقرّنا له بذلك ، لم يكن لنا أن نحاربه . فقال لي طاهر : لم يجئني في هذا

(١) تكلفه من أ ، وموضعا بياض في ط .

(٢) ط : « الأنباري » تصحيف .

(٣) ط : « ابنه » ، وسواء من أ .

شيء ، فقلت : دَعْنِي وما أريد ، قال : شَأْنُكَ ، قال : فصعدت المنبر ، فخلعت محمداً ، ودعوت للمأمون بالخلافة ، وسرنا من يومنا أو من غدٍ يوم السبت ، وكان ذلك في شعبان سنة خمس وتسعين ومائة ، فنزلنا قسطنطينة ، وهي أول مرحلة من الرّى إلى العراق . وانتهى على بن عيسى إلى برية يقال لها مشكويه ، وبيننا وبينه سبعة فراسخ ، وجعلنا مقدمتنا على فرسخين من جنده^(١) . وكان على بن عيسى ظنّ أن طاهراً إذا رآه يسلم إليه العمل ؛ فلما رأى الجند منه ، قال : هذا موضع مفازة ، وليس [موضع مقام]^(٢) . فأخذ يساره إلى رُستاق يقال له رستاق بني الرازي ؛ وكان معنا الأتراك ، فنزلنا على نهر ، ونزل قريباً منا ، وكان بيننا وبينه دكادك وجبال ؛ فلمّا كان في آخر الليل جاءني رجل فأخبرني أن على بن عيسى دخل الرّى — وقد كان كاتبهم فأجابوه — فخرجتُ معه إلى الطريق ، فقلت له : هذا طريقهم ؛ وما هنا أثر حافر ، وما يدلّ على أنه سار . وجئت إلى طاهر فأنبهته ، فقلت له : تصلى ؟ قال : نعم ، فدعا بماء فتهيأ ، فقلت له : الخبر كيت وكيت . وأصبحنا ، فقال لي : تركب ، فوقفنا على الطريق ، فقال لي : هل لك أن تجوز هذه الدكادك ؟ فأشرفنا على عسكر على بن عيسى وهم يلبسون السلاح ، فقال : ارجع ، أخطأنا ؛ فرجعنا فقال لي : أخرج أصحابنا .

٨٠٠/٣

قال : فدعوت المأمونيّ والحسن بن يونس المحاربيّ والرستميّ^(٣) ؛ فخرجوا جميعاً ؛ فكان على الميمنة المأمونيّ ، وعلى الميسرة الرستميّ ومحمد بن مصعب . قال : وأقبل على في جيشه ؛ فامتألت الصحراء بياضاً وصُفرة من السلاح والمذهب^(٤) ، وجعل على ميمنته الحسين بن عليّ ومعه أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس ، وعلى ميسرته آخر ، وكرّوا ، فهزمونا حتى دخلوا العسكر ، فخرج إليهم الساعة السّوءاء^(٥) فهزموهم .

قال : وقال طاهر لما رأى على بن عيسى : هذا ما لا قبيل لنا به ، ولكن نجعلها خارجيّة ، فقصد قصد القلب ، فجمع سبعمائة رجل من الخوارجيّة ؛

(١) ا : « من قسطنطينة » . (٢) من ا . (٣) ط : « الرهبي » ، تعريف .

(٤) ط : « والذهب » . (٥) ساعة سوءاء : شديدة .

فيهم ميكائيل وسبيل وداود سياه .

قال أحمد بن هشام : قلنا لطاهر : نذكر عليّ بن عيسى البيعة التي كانت ، والبيعة التي أخذها هو للمؤمن خاصة على معاشر أهل خراسان ، فقال : نعم ؛ قال : فعلقناهما على رُمحين ، وقمت بين الصفين ، فقلت : الأمان ! لا ترمونا ولا نرميكم ؛ فقال عليّ بن عيسى : ذلك لك ، فقلت : يا عليّ بن عيسى ، ألا تتنّى الله ! أليس هذه نسخة البيعة التي أخذتها أنت خاصة ! اتق الله فقد بلغت باب قبرك ، فقال : من أنت ؟ قلت : أحمد بن هشام - وقد كان عليّ بن عيسى ضربه أربعمائة سوط - فصاح عليّ بن عيسى : يا أهل خراسان ، من جاء به فله ألف درهم . قال : وكان معنا قوم بنخاريّة ، فرموه ، وقالوا : نقتلك ونأخذ مالك : وخرج من عسكره العباس بن الليث مولى المهديّ ، وخرج رجل يقال له حاتم الطائيّ ، فشدّ عليه طاهر ، وشدّ يديه على مقبض السيف ، فضربه فصرعه [فقتله] ^(١) ، وشدّ داود سياه على عليّ بن عيسى فصرّعه ؛ وهو لا يعرفه . وكان عليّ بن عيسى على بردون أرحل ^(٢) ، حمله عليه محمد - وذلك يكرّره في الحرب ويدلّ على الهزيمة - قال : فقال داود : «نارى استان كتيّم» . قال : فقال طاهر الصغير - وهو طاهر بن التاجيّ : عليّ بن عيسى أنت ؟ قال : نعم ، أنا عليّ بن عيسى ، وظن أنه يُهاب فلا يقدم عليه أحد ، فشدّ عليه فذبّه بالسيف . ونازعهم محمد بن مقاتل بن صالح الرأس ، فتتف محمد خُصلة من لحيته ، فذهب بها إلى طاهر وبشّره ؛ وكانت ضربة طاهر هي الفتح ، فسمّى يومئذ ذا اليمينين بذلك السبب لأنه أخذ السيف بيديه [جميعاً] ^(١) . وتناول أصحابه الشاب ليرمونا ، فلم أعلم يقتل عليّ حتى قيل : قتل والله الأمير . فتبعناهم فرسخين ، وواقفونا اثني عشرة مرّة ، كلّ ذلك نهزمهم ؛ فلحقني طاهر بن التاجيّ ، ومعه رأس عليّ ابن عيسى ؛ وكان آلى أن ينصب رأس أحمد عند المنبر الذي خملّع عليه محمد ، وقد كان عليّ أمر أن يهيا له الغداء بالرى . قال : فانصرفت فوجدت عيبة

(١) من أ .

(٢) بردون أرحل : أبيض الظهر .

على فيها دُرّاعة وجبة وغُلالة، فلبستها، وصلّيت ركعتين شكراً لله تبارك وتعالى. ووجدنا في عسكره سبعمئة كيس؛ في كل كيس ألف درهم. ووجدنا عدّة بغال عليها صناديق في أيدي أولئك البخارية الذين شتموه، وظنّوا أنه مال، فكسروا الصناديق؛ فإذا فيها خمر سوادى، وأقبلوا يفرقون القناني، وقالوا: عملنا الجحد^(١) حتى نشرب.

قال أحمد بن هشام: وجئت إلى مضرب طاهر، وقد اغتمّ لتأخرى عنه، فقال: لى البشرى! هذه خصلة من لحية على، فقلت له: البشرى! هذا رأس على. قال: فأعنت طاهر من كان بحضرته من غلمانة شكراً لله، ثم جاءوا بعلّى وقد شد الأعوان يديه إلى رجله، فحمل على خشبة كما يحمل الحمار الميت^(٢) وأمر به فلف في لبد وأتى في بئر. قال: وكتب إلى ذى الرياستين بالخبر. قال: فسارت الخريطة وبين مرّو ذلك الموضع نحو من خمسين ومائتى فرسخ؛ ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، ووردت عليهم يوم الأحد. قال ذو الرياستين: كنا قد وجّهنا هرثمة، واحتشدنا في السلاح منذاً، وسار في ذلك اليوم، وشيعه المأمون فقلت للمأمون: لا تبرح، حتى يسلم عليك بالخلافة فقد وجبت لك، ولا تأمن أن يقال: يصلح بين الأخوين، فإذا سلّم عليك بالخلافة لم يمكن أن ترجع. فتقدمت أنا وهرثمة والحسن بن سهل، فسلمنا عليه بالخلافة، وتبادر شيعة المأمون، فرجعت وأنا كالّ تعيب لم أنم ثلاثة أيام في جهاز هرثمة، فقال لى الخادم: هذا عبد الرحمن بن مذرك — وكان يلى البريد، ونحن نتوقع الخريطة لنا أو علينا — فدخل وسكت، قلت: ويلك! ما وراءك؟ قال: الفتح؛ فإذا كتاب طاهر إلى: أطل الله بقاءك؛ وكتب أعداءك، وجعل من يشنّوك فداءك؛ كتبت إليك ورأس على بن عيسى بين يدي، وخاتمه فى أصبعي؛ والحمد لله رب العالمين. فوثبت إلى دار أمير المؤمنين، فلحقنى الغلام بالسواد، فدخلت على المأمون فبشّيته، وقرأت عليه الكتاب، فأمر بإحضار أهل بيته والنقّاد وجوه الناس، فدخلوا فسلموا عليه بالخلافة، ثم ورد رأس على يوم الثلاثاء، فطيف به فى خراسان.

٨٠٣/٣

(١) ١: «العمل». (٢) بعدها فى ١: «عز عليك أبائى إن ترد هذا المورد».

وذكر الحسن بن أبي سعيد ، قال : عقدنا لظاهر سنة أربع وتسعين ومائة فاتصل عقده إلى الساعة .

وذكر محمد بن يحيى بن عبد الملك النيسابورى ، قال : لما جاء نعى على ابن عيسى وقتله إلى محمد بن زبيدة - وكان في وقته ذلك على الشطّ يصيد السمك - فقال للذى أخبره : ويلك ! دعنى ؛ فإن كوثراً قد اصطاد سمكتين وأنا ما اصطدت شيئاً بعد . قال : وكان بعض أهل الحسد يقول : ظنّ طاهر أن عليّاً يعلو عليه ، وقال : متى يقوم طاهر لحرب على مع كثرة جيشه وطاعة أهل خراسان له ! فلما قتل على تضاءل ، وقال : والله لو لقيه طاهر وحده لقاتله في جيشه حتى يغلب أو يقتل دونه .

وقال رجل من أصحاب على له بأس ونجدة في قتل على ولقاء طاهر :

لَقِينَا اللَّيْثَ مُفْتَرِساً لَدَيْهِ وَكُنَّا مَا يُنْهِنُهُنَّاهُ اللَّقَاءُ
نَخْوِضُ الْمَوْتَ وَالْغَمَرَاتِ قِدْماً إِذَا مَا كُرَّ لَيْسَ بِهِ خِفَاءُ
فَضَعِضْ رَكْبَنَا لَمَّا التَّقِينَا وَرَاحَ الْمَوْتُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَأَرَدَى كَبِشْنَا وَالرَّأْسَ مِنَّا كَانَ يَكْفُهُ كَانَ الْقَضَاءُ

٨٠٤/٣

ولما انتهى الخبر بقتل على بن عيسى إلى محمد والفضل ، بعث إلى نوفل خادم المأمون - وكان وكيل المأمون ببغداد وخازنه ، وقيّمه في أهله وولده وضياعه وأمواله - عن لسان محمد ، فأخذ منه الألف ألف درهم التي كان الرّشيد وصل بها المأمون ، وقبض ضياعه وغلاته بالسواد ، وولّى عمّالاً من قبله ، ووجه عبد الرحمن الأبنائى^(١) بالقوة والعدة فنزل همدان .

وذكر بعض من سمع عبد الله بن خازم عند ذلك يقول : يريد محمد إزالة الجبان وفلّ العساكر بتدبيره والمنكوس من تظهيره^(٢) ، هيهات ! هو والله كما قال الأول :

* قد ضيّع الله ذوداً أنت راعيها .

(١) ط : « الأنبارى » ، تحريف . (٢) ا : « عن نظره » .

ولما بايع محمد لابنه موسى ووجهه على بن عيسى، قال الشاعر من أهل بغداد
في ذلك لما رأى تشاغل محمد بلهوه وبطالته وتخليته عن تدبير على والفضل
ابن الربيع :

أضاعَ الخِلافةَ غُشُّ الوَزيزِ	وَفَسَقُ الإِمَامِ وَجَهْلُ المَشِيرِ؟
ففضلُ وزيرٍ ، وبكرُ مشيرٍ	يُرِيدَانِ ما فيه حَتْفُ الأَمِيرِ
وما ذاك إلا طَرِيقُ غُرُورٍ	وَشَرُّ المَسَالِكِ طُرُقُ الغُرُورِ
لواطُ الخليفةِ أعجوبةٌ	وَأعَجَبُ منه خِلاقُ الوَزيزِ
فهذا يَدُوسُ وهذا يَدَأُسُ	كَذَلِكَ لَعَمْرِي اخْتِلَافُ الأُمُورِ
فلو يَسْتَعِينانِ هذا بِذاك	لَكَانَا بَعْرَضَةً أَمْرٍ سَتِيرِ
ولكنَّ ذا لَجَّ في كَوْنِهِ	وَلَمْ يَشْفِ هذا دُعَاؤُ الحَمِيرِ
فَشَنَّعَ فِعْلاهُمَا مِنْهُمَا	وَصَارَا خِلَافًا كَبُولِ البَعِيرِ
وَأعَجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنَا	نَبَايِعُ لِلطُّفْلِ فِينَا الصَّغِيرِ
وَمَنْ لَيْسَ يُحْسِنُ غُسْلَ اسْتِهِ	وَلَمْ يَخْلُ مِنْ بَوْلِهِ حِجْرَ ظِيرِ
وما ذاك إلا بفضْلِ وبَكْرِ	يُرِيدَانِ نَقْضَ الكِتَابِ المُنِيرِ
وهذانِ لولا انْقِلَابُ الزَّمانِ	أَفَى العِيرِ هَذَانِ أَم في التَّنْفِيرِ
ولكنَّها فِتْنٌ كالجبالِ	تَرْفَعُ فِيهَا الوُضِيعُ الحَقِيرِ
فَصَبْرًا فِي الصبرِ خَيْرٌ كَثِيرٌ	وَإِنْ كَانَ قَدْ ضَاقَ صَدْرُ الصَّبُورِ
فِيَارِبُ فاقْبِضْهُمَا عَاجِلًا	إِلَيْكَ وَأورِذْهُم عَذَابَ السَّعِيرِ
وَتَكَلَّ بِفَضْلٍ وَأَشْيَاعِهِ	وَصَلِّبْهُمْ حَوْلَ هَذِي الجُسُورِ

° ° °

وذكر أن محمدًا لما بعث إلى المأمون في البيعة لابنه موسى ، ووجه الرسل
إليه في ذلك ، كتب المأمون جواب كتابه :

أما بعد ، فقد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين منكرًا لإبائي منزلة تَهَضَّمَنِي بها ، وأرادني على خلاف ما يعلم من الحق فيها ، ولعمري أن لورد أمير المؤمنين الأمر إلى النصفة فلم يطالب إلا بها ، ولم يوجب نكرة على تركها ، لانبسط بالحجة مطالع مقالته ؛ ولكنك محجوجًا بمفارقة ما يجب من طاعته ؛ فأما وأنا مدعين بها وهو على ترك إعمالها ، فأولى به أن يُدِيرَ الحق في أمره ؛ ثم يأخذ به ، ويعطى من نفسه ؛ فإن صرتُ إلى الحق فرَغْتُ عن قلبه ؛ وإن أبَيْتُ الحق قام الحق بمعذرتِهِ . وأما ما وعد من برّ بطاعته ، وأوعَدَ من الوطأة بمخالفته ، فهل أحدٌ فارق الحق في فعله فأبقى للمستبين موضع ثقة بقوله ! والسلام .

٨٠٦/٣

قال : وكتب إلى علي بن عيسى لما بلغه ما عزم عليه :

أما بعد ؛ فإنك في ظل دعوة لم تزل أنت وسلَمُكَ بمكان ذب عن حرمها ؛ وعلى العناية بحفظها ورعاية لحقها ، توجدون ذلك لأئمتكم ، وتعتصمون بحبل جماعتكم ، وتعطون بالطاعة من أنفسكم ، وتكونون بدءاً على أهل مخالفتكم ، وحزباً وأعواناً^(١) لأهل موافقتكم ، تؤثرونهم على الآباء والأبناء ، وتنصرفون فيما تصرفوا فيه من منزلة شديدة ورجاء ، لاترون شيئاً أبلغ في صلاحكم من الأمر الجامع لأئمتكم ؛ ولا أخرى لبواركم مما دعا إلى شتات كلمتكم ، ترون من رغب عن ذلك جائراً عن القصد وعن أمته على منهاج الحق ، ثم كنتم على أولئك سيوفاً من سيوف نيقم الله ، فكتم من أولئك قد صاروا وديعة متسبغة ، وجزراً جامدة ؛ قد سَفَتَ الرياح في وجهه ، وتداغت السباع إلى مضرعه ، غير ممهدة ولا موسد قد صار إلى أمة . وغير عاجل حظه ؛ ممن كانت الأئمة تنزلكم لذلك ؛ بحيث أنزلتم أنفسكم ، من الثقة بكم في أمورها ، والتقدمة في آثارها ؛ وأنت مستشعر دون كثير من ثقاتها وخاصتها ؛ حتى بلغ الله بك في نفسك أن كنت قريع أهل دعوتك ، والعلم القائم بمعظم أمر أئمتك^(٢) ؛ إن قلت : ادنوا دنواً وإن أشرت : أقبلوا أقبلوا وإن أمسكت وقفوا وأقروا ، وثاماً لك واستنصاحاً ، وتزداد نعمة مع الزيادة في نفسك . ويزدادون نعمة مع الزيادة لك بطاعتك ، حتى حللت المحل الذي

٨٠٧/٣

(١) ط : « وإخواناً » . (٢) ط : « أئمتك » وما أثبتته من أ .

قُرِبَتْ به من يومك ، وانقرض فيها دونه أكثر مدتك ، لا يُستظر بعدها إلا ما يكون ختام عملك من خير فيُرضى ما تقدّم من صالح فعلك ؛ أو خلاف فيُضِلّ له متقدّمٌ سعيك ؛ وقد ترى يا أبا يحيى حالاً عليها جلوت أهل نعمتك ، والولاة القائمة بحق إمامتك ؛ من طعن في عُقْدَةِ كُنْتَ القائم بشبّها ، وخبر بعهود توليت معاقد أخذها ؛ يُبدأ فيها بالأخصيين ، حتى أفضى الأمر إلى العامة من المسلمين ، بالأيمان المحرّجة والمواثيق المؤكدة . وما طلع مما يدعو إلى نشر كلمة ، وتفريق أمر أمة وشت أمر جماعة ، وتعرض به لتبديل نعمة وزوال ما وطأت الأسلاف من الأئمة ؛ ومتى زالت نعمة من ولادة أمرهم وصل زوالها إليكم في خواص أنفسهم ؛ ولن يغيّر الله ما يقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم . وليس الساعى في نشرها بيسّاعٍ فيها على نفسه دون السعى على حَمَلَتِها ، القائمين بحُرْمَتِها ؛ قد عرّضوهم أن يكونوا جَزَراً لأعدائهم ، وطُعْمة قوم تنظف غلبهم في دمائهم . ومكانك المكان الذي إن قلت رُجِعَ إلى قولك ، وإن أشرت لم تُنتهِم في نصيحتك ؛ ولك مع إثارة الحقّ الحظوة عند أهل الحقّ . ولا سواء من حظّي بعاجل مع فراق الحقّ فأوبقَ نفسه في عاقبته ، ومن أعان الحقّ فأدرك به صلاح العاقبة ؛ مع وفور الحظّ في عاجلته ، وليس لك ما تُستندعى ولا عليه ما تُستعطف ؛ ولكنه حقّ من حقّ أحسابك يجب ثوابه على ربك ، ثم على مَنْ قمت بالحقّ فيه من أهل إمامتك ؛ فإن أعجزك قول أو فعل فصر إلى الدار التي تأمن فيها على نفسك . وتحكم فيها برأيك ، وتنحاز إلى مَنْ يحسن تقبلاً لصالح فعلك ، ويكون مرجعك إلى عقدك وأموالك ؛ ولك بذلك الله ، وكفى بالله وكيلاً . وإن تعذّر ذلك بقيّة^(١) على نفسك ، فإمساكاً بيدك ، وقولاً بحقّ ، ما لم تخف وقوعه بكُرْهك ؛ فلعلّ مقتدياً بك ، ومغتبطاً بنهيك^(٢) . ثم أعلمني رأيك أعرفه إن شاء الله .

٨٠٨/٣

قال : فأقى على الكتاب إلى محمد ، فشبّ أهل النكث من الكُفّة من تلهيبه ، وأوقدوا نيرانه ، وأعان على ذلك حُمياً قُدْرته ، وتساقط طبيعته ، وردّ الرأي إلى الفضل بن الربيع لقيامه كان بمكانته . وكانت كتبُ ذي الرياستين ترد إلى الدّيسيس الذي كان يشاوره في أمره : إن

(٢) : ١ « بنهيك » .

(١) : ١ « بقيّة » .

أبى انقوم إلا عزيمة الخلاف ؛ فألطف لأن يجعلوا أمره لعل بن عيسى . وإنما خصّ ذو الرياستين عليّاً بذلك لسوء أثره في أهل خراسان ، واجتماع رأيهم على ما كرهه ؛ وإنّ العامة قائلة بحربه . فشاور الفضل الدّيس الذي كان يشاوره ، فقال : عليّ بن عيسى إن فعل فلم ترمهم بمثله ، في بعد صوبه وسخاوة نفسه ، ومكانه في بلاد خراسان في طول ولايته عليهم وكثرة صنائعه فيهم ، ثم هو شيخ الدعوة وبقيّة أهل المشايعة ؛ فأجتمعا على توجيهه عليّ ؛ فكان من توجيهه ما كان . وكان يجتمع للمأمون بتوجيهه عليّ جندان : أجناده الذين يحاربه بهم ، والعامة من أهل خراسان حرب عليه لسوء أثره فيهم ؛ وذلك رأى يكثر الأخطار به إلا في صدور رجال ضعاف الرأى لحال عليّ في نفسه ، وما تقدّم له ولستأخيه ، فكان ما كان من أمره ومقتله .

٨٠٩/٣

وذكر سهل أن عمرو بن حفص مولى محمد قال : دخلت على محمد في جوف الليل - وكنت من خاصته أصيلٌ إليه حيث لا يصل إليه أحدٌ من مواليه وحشمه - فوجدته والشمع بين يديه ، وهو يفكر ، فسلمت عليه فلم يردّ عليّ ، فعلمت أنه في تدبير بعض أموره ، فلم أزل واقفاً على رأسه حتى مضى أكثر الليل ، ثم رفع رأسه إليّ ، فقال : أحضرني عبد الله بن خازم ، فضيت إلى عبد الله ، فأحضرت ، فلم يزل في مناظرته حتى انقضى الليل ، فسمعت عبد الله وهو يقول : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تكون أوّل الخلفاء نكث عهد ، ونقض ميثاقه ، واستخفّ بيمينه ، وردّ رأى الخليفة قبله ! فقال : اسكت ، لله أبوك ! فبعد المثلث كان أفضل منك رأياً ، وأكل نظراً ؛ حيث يقول : لا يجتمع فحلان في دسجمة (١) . قال عمرو بن حفص : وسمعت محمداً يقول للفضل ابن الربيع : ويلك يا فضل ! لا حياة مع بقاء عبد الله وتعرضه ؛ ولا بد من خلعته ، والفضل بعينه على ذلك ، ويعده أن يفعل ؛ وهو يقول : فتي ذلك ! إذا غلب على خراسان وما يليها !

وذكر بعضُ خدم محمد أن محمداً لما همّ بخلع المأمون والبسطة لابنه ؛ جمع وجوه القواد ؛ فكان يعرض عليهم واحداً واحداً ، فيأبونه ؛ وربما

(١) الهجمة من الإبل : من الأربعين إلى ما زادت .

ساعده قومٌ حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم ؛ فشاوره في ذلك ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، لم ينصحك من كذبك ولم يغشك من صدقك ، لا تجرئ
القواد على الخلع فيخلعوك ، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك ،
فإن الغادر مخذول ، والناكث مفلول . وأقبل على بن عيسى بن ماهان ،
فتبسم محمد ، ثم قال : لكن شيخ هذه الدعوة ، وناب هذه الدولة لا يخالف
على إمامه ، ولا يوهين طاعته ، ثم رفعه إلى موضع لم أراه رفعه إليه فيما مضى ؛
فيقال : إنه أول القواد أجاب إلى خلع عبد الله ، وتابع محمداً على رأيه .

٨١٠/٣

قال أبو جعفر : ولما عزم محمد على خلع عبد الله ، قال له الفضل بن
الربيع : ألا تعذر إليه يا أمير المؤمنين فإنه أخوك ؛ ولعله يسلم هذا الأمر في
عافية ، فتكون قد كشفت مؤونته ، وسلمت من محاربتة ومعاندته ^(١) ! قال :
فأفعل ماذا ؟ قال : تكتب إليه كتاباً ، تستطيب به نفسه ، وتسكن وحشته ،
وتسأله الصّفح لك عما في يده ؛ فإن ذلك أبلغ في التدبير ، وأحسن في القالة
من مكائرتة بالجنود ، ومعالجته بالكيد . فقال له : أعمل في ذلك برأيك ^(٢) . فلما
حضر إسماعيل بن صُبَيْح للكتاب إلى عبد الله قال : يا أمير المؤمنين ، إن
مسألتك الصّفح عما في يديه توليد للظن ، وتقوية للتهمة ، ومعدة للحذر ؛
ولكن اكتب إليه فأعلمه حاجتك إليه ، وما تحب من قربه والاستعانة
برأيه ، وسله القدوم إليك ؛ فإن ذلك أبلغ وأحرى أن يبلغ فيما يوجب طاعته
وإجابته . فقال الفضل : القول ما قال يا أمير المؤمنين ، قال : فليكتب بما رأى ،
قال : فكتب إليه :

من عند الأمين محمد أمير المؤمنين إلى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين .
أما بعد ، فإن أمير المؤمنين روى في أمرك ، والموضع الذي أنت فيه من
ثغره ^(٣) ، وما يؤمل في قربك من المعاونة والمكانفة على ما حمّله الله ، وقلّده من
أمر عبادته وبلاده ؛ وفكر فيما كان أمير المؤمنين الرّشيد أوجب لك من الولاية ،
وأمر به من إفرادك على ما يصير إليك منها ، فرجاً أمير المؤمنين ألا يدخل عليه
وكف في دينه ، ولا تكث في يمينه ؛ إذ كان إشخاصه إياك فيما يعود على

٨١١/٣

(١) ١ : « منابذته » . (٢) ط : « رأيك » ، وما أثبتته من أ .

(٣) ط : « ثغرك » ، وما أثبتته من أ .

المسلمين نفعه ، ويصل إلى عامتهم صلاحه وفضله . وعلم أمير المؤمنين أن مكانك بالقرْب منه أسدٌ للثغور، وأصلح للجنود، وأكد^(١) لانيء ، وأردّ على العامة من مقامك ببلاد خراسان منقطعاً عن أهل بيتك ، متغيباً عن أمير المؤمنين وما يجب الاستمتاع به من رأيك وتديريك. وقد رأى أمير المؤمنين أن يولّي موسى بن أمير المؤمنين فيما يقلده من خلافتك ما يحدث إليه من أمرك ونهيك . فاقدم على أمير المؤمنين على بركة الله وعونه ، بأبسط أملٍ وأفسح رجاء وأحمد عاقبة ، وأنفذ بصيرة ؛ فإنك أولى من استعان به أمير المؤمنين على أموره ، واحتمل عنه النَّصَب فيما فيه من صلاح أهل ملته^(٢) وذمته . والسلام .

ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ ، وإلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن نهيك ، وإلى صالح صاحب المصلّى ، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى عبدالله المأمون ، وألا يدعوا وجهاً من الذين والرّفق إلا بلغوه ، وسهلوا الأمر عليه فيه ؛ وحمل بعضهم الأموال والألطف والمدايا ؛ وذلك في سنة أربع وتسعين ومائة. فتوجهوا بكتابه ؛ فلما وصلوا إلى عبد الله ، أذن لهم ، فدفعوا إليه كتاب محمد ، وما كان بعث به معهم من الأموال والألطف والمدايا .

٨١٢/٣

ثم تكلم العباس بن موسى بن عيسى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الأمير ؛ إن أذاك قد تحمّل من الخلافة ثقلًا عظيمًا ، ومن النظر في أمور الناس عبثًا جليلاً ، وقد صدقت نيّته في الخير، فأعوزه الوزراء والأعوان والكفّة في العدل ؛ وقليل ما يأنس بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ؛ وقد فرغ إليك في أموره ، وأمّلك للموازرة والمكائفة ؛ واسنا نستبطئك في برّه اتهاماً لنصرك له ، ولا نحضّك على طاعة تخوّفاً لخلافك عليه، وفي قدومك عليه أنسٌ عظيم ، وصلاح لدولته وسلطانه ؛ فأجب أيتها الأمير دعوة أخيك وآثر طاعته ، وأعنه على ما استعانك عليه في أمره ؛ فإن في ذلك قضاء الحقّ ، وصلة الرّحيم ، وصلاح الدولة ، وعزّ الخلافة . عزم الله للأمير على الرشد في أموره ، وجعل له الخيرّة والصلاح في عواقب رأيه .

(٢) ط : « بيته » .

(١) ا : « وأرد » .

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، فقال : إن الإكثار على الأمير - أيده الله - في القول خرق ، والاقتصاد في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير ؛ وقد غاب الأمير أكرمه الله عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قرب ، ومن شهد غيره من أهل بيته فلا يجد عنده غناء ، ولا يجد منه خلفاً ولا عوضاً ؛ والأمير أولى من برّ أخاه ، وأطاع إمامه ؛ فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين ، بما هو أرضى وأقرب من موافقة أمير المؤمنين ومحبة ؛ فإن القدوم عليه فضل وحط عظيم ، والإبطاء عنه وكف في الدين ، وضرر ومكروه على المسلمين .

٨١٣/٣

وتكلم محمد بن عيسى بن نَهَيْك ، فقال : أيها الأمير ؛ إنا لا نريدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشحذ نيتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين . وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته ، وتناولك فرعاً إليك في المعونة والتقوية له على أمره ، فإن تُجِب أمير المؤمنين فيما دعاك فنعمة عظيمة تتلافى بها رعيّتك وأهل بيتك ؛ وإن تقعد يغن الله أمير المؤمنين عنك ؛ ولن يضعه ذلك مما هو عليه من البرّ بك والاعتماد على طاعتك ونصيحتك .

وتكلم صاحب المصلى ، فقال : أيها الأمير ؛ إن الخلافة ثقيلة والأعوان قليل ؛ ومن يكيد هذه الدولة وينطوي على غشها والمعادلة لأوليائها من أهل الخلافة^(١) والمعصية كثير ، وأنت أنتحر أمير المؤمنين وشقيقه ، وصلاح الأمور وفسادها راجع عليك وعليه ، إذ أنت بلى عليهم ، والمشارك في سلطانه وولايته ، وقد تناولك أمير المؤمنين بكتابه . ووثق بمعاونتك على ما استعانتك عليه من أموره ، وفي إجابتك إياه إلى القدوم عليه صلاح عظيم في الخلافة ، وأنس وسكون لأهل الملة والامة . وفقى الله الأمير في أموره ، وقضى له بالذي هو أحب إليه وأنفع له !

فحميد الله المأمون وأثني عليه ، ثم قال : قد عرفتُموني من حق أمير المؤمنين أكرمه الله ما لا أنكره ، ودعيتُموني من الموازية والمعونة إلى ما أرتبه ولا أدفعه ؛ وأنا ليطاعة أمير المؤمنين مقدم ، وعلى المسارعة إلى ما سرّه ووافقه حريص ، وفي

٨١٤/٣

(١) ط : والخلافة ، وما أثبت من أ .

الرؤية تبيانُ الرأى ، وفى إعمال الرأى نصحُ الاعتزام ، والأمر الذى دعانى إليه أمير المؤمنين أمرٌ لا أتأخر عنه تثبّطاً ومدافعةً ، ولا أتقدم عليه اعتسافاً وعَجَلَةً ، وأنا فى شغلٍ من ثغور المسلمين كلبٌ عدوّ ، شديدٌ شوكته ، وإن أهملت أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والرعية ، وإن أقمت لم آمن فوت ما أحب من معونة أمير المؤمنين وموازرتة ، وإثارت طاعته ؛ فانصرفوا حتى أنظر فى أمرى ، ونصح الرأى فيما أعترز عليه من مسيرى إن شاء الله . ثم أمر بإيثارهم وإكرامهم والإحسان إليهم .

فذكر سفيان بن محمد أن المأمون لمّا قرأ الكتاب أسقط فى يده ، وتعاضلته ما ورد عليه منه ، ولم يتدرّ ما يردُّ عليه ، فدعا الفضل بن سهل ، فأقرأه الكتاب ، وقال : ما عندك فى هذا الأمر ؟ قال : أرى أن تتمسك بموضعك ، ولا تجعل عليك سبيلاً ؛ وأنت تجد من ذلك بدءاً . قال : وكيف يمكنى التمسك بموضعى ومخالفة محمد ، وعظم القواد والجنود معه ، وأكثر الأموال والخزائن قد صارت إليه ، مع ما قد فرّق فى أهل بغداد من صلاته وفوائده ! وإنما الناس مائلون مع الدّراهم ، متقادون لها ، لا ينظرون إذا وجدوها حفظاً بيعة ، ولا يرغبون فى وفاء عهد ولا أمانة . فقال له الفضل : إذا وقعت التهمة حتى الاحتراس ، وأنا لغدر محمد متخوّف ، ومن شرّهِه إلى ما فى يديك مشفق ؛ ولأن تكون فى جندك وعزك مقيماً بين ظهرائى أهل ولايتك أحرّى ؛ فإن دهمك منه أمر جرّدت له وناجزته وكابדתه ؛ فلمّا أعطاك الله الظّفَر عليه بوفائيك ونيتك ، أو كانت الأخرى فتّ محافظاً مكرماً ، غير ملقٍ بيديك ، ولا ممكن عدوك من الاحتكام فى نفسك ودمك . قال : إن هذا الأمر لو كان أتانى وأنا فى قوّة من أمرى ، وصلاح من الأمور ؛ كان خطبه يسيراً ، والاحتياال فى دفعه ممكناً ؛ ولكنّه أتانى بعد إفساد خراسان واضطراب عامرها وغامرها ، ومفارقة جبّغويه^(١) الطاعة ، والتواء خاقان صاحب التبت ، وتهيؤ ملك كابل للغارة على ما يليه من بلاد خراسان ، وامتناع ملك إدرازبند بالضريبة التى كان يؤديها ، وما لى بواحدة من هذه الأمور يدٌ ؛ وأنا أعلم أن محمداً لم يطلب قذوى

(١) ط : « علينا » ، وما أتبت من أ .

(٢) ط : « جينوية » .

إلا لشرّ يريده ، وما أرى إلا تخلية ما أنا فيه ، واللحاق بخاقان ملك الترك ، والاستجارة به وببلاده ، فبالحرى أن آمن على نفسى ، وأمتنع ممن أراد قهّرى والغدر بى .

فقال له الفضل : أيها الأمير ؛ إن عاقبة الغدر شديدة ، وتبعية الظلم والبغى غير مأمون شرّها ، وربّ مستذلّ قد عاد عزيزاً ، ومقهور قد عاد قاهراً مستطيلاً ؛ وليس النصر بالقلة والكثرة ، وحرّج^(١) الموت أيسر من حرج الذلّ والضيم ؛ وما أرى أن تفارق ما أنت فيه وتصير إلى طاعة محمد متجرّداً من قوّادك وجندك كالرأس المختزل عن بدنه ، يُجرى عليك حكمه ، فتدخل فى جملة أهل مملكته من غير أن تبلى عنزاً فى جهاد ولا قتال ؛ ولكن اكتب إلى جبهويه وخاقان ، فولّهما بلادهما ، وعدّهما التقوية كلّهما فى محاربة الملوك ، وابعث إلى ملك كابل بعض هدايا خراسان وطرفها ، وسلّمه المواعدة تجده على ذلك حريصاً ، وسلّم الملك إبرازبنده ضريبته فى هذه السنة ، وصيرها صلةً منك وصلته بها ، ثم اجمع إليك أطرافك ، واضمّم إليك من شدّ من جندك ، ثم اضرب الخيل بالخيل ، والرجال بالرجال ؛ فإن ظفرت وإلا كنت على ما تريد من اللحاق بخاقان قادراً . فعرف عبد الله صدق ما قال ، فقال : أعمل فى هذا الأمر وغيره من أمورى بما ترى ، وأنفد الكتب إلى أولئك العصاة ، فرضوا وأذعنوا ؛ وكتب إلى من كان شاذّاً عن ممرّو من القواد والجنود ، فأقدمهم عليه ، وكتب إلى طاهر بن الحسين وهو يومئذ عامل عبد الله على الرىّ ، فأمره أن يضبط ناحيته ، وأن يجمع إليه أطرافه ؛ ويكون على حدّ وعدّة من جيش إن طرقه ، أوعدوّه إن هجم عليه . واستعدّ للعرب ، وتهيأ لدفع محمد عن بلاد خراسان .

٨١٦/٣

ويقال : إن عبد الله بعث إلى الفضل بن سهل فاستشاره فى أمر محمد ، فقال : أيها الأمير ، أنظرنى فى يومى هذا أغد عليك برأى ؛ فبات يدبّر الرأى ليلته ؛ فلما أصبح غدا عليه ، فأعلمه أنه نظر فى التّجوم فرأى أنه سيغلبه ، وأنّ العاقبة له . فأقام عبد الله بموضعه ، ووطّن نفسه على محاربة محمد ومناجزته .

(١) : « جرح » .

فلما فرغ عبد الله مما أراد لإحكامه من أمر خراسان ، كتب إلى محمد :

لعبد الله محمد أمير المؤمنين من عبد الله بن هارون ؛ أما بعد ؛
فقد وصل إلى كتاب أمير المؤمنين ؛ وإنما أنا عامل من عمّاله وعون
من أعوانه ، أمرني الرشيد صلوات الله عليه بلزوم هذا الشَّغَر ، ومكايده
من كايده أهله من عدو أمير المؤمنين ؛ ولعمري إن مقامى به ، أردّ على
أمير المؤمنين وأعظم غناءً عن المسلمين من الشخوص إلى أمير المؤمنين ، وإن كنتُ
مغتبطاً بقربه ، مسروراً بمشاهدة نعمة الله عنده ؛ فإن رأيتُ أن يقرّني على عملي ،
ويعفيتني من الشخوص إليه ، فعل إن شاء الله . والسلام .

٨١٧/٣

ثم دعا العباس بن موسى وعيسى بن جعفر ومحمداً وصالحاً ؛ فدفع الكتاب
إليهم ، وأحسن إليهم في جوائزهم ، وحمل إلى محمد ما تهيأ له من أطاف
خراسان ، وسألم أن يحسنوا أمره عنده ، وأن يقوموا بعنبره .

قال سفيان بن محمد : لما قرأ محمد كتاب عبد الله^(١) ، عرف أن المأمون
لا يتابعه على القدوم عليه ، فوجه عصمة بن حماد بن سالم صاحب حرّسه ،
وأمره أن يقيم مسلحةً فيما بين هَمْدَانَ والرّي ، وأن يمنع التجار من حمل
شيء إلى خراسان من الميرة ، وأن يفتش المارة ، فلا يكون معهم كتب بأخباره
وما يريد ؛ وذلك سنة أربع وتسعين ومائة . ثم عزم على محاربته ، فدعا على
ابن عيسى بن ماهان ، فعقد له على خمسين ألف فارس ورجل من أهل
بغداد ، ودفع إليه دفاتر الجند ، وأمره أن ينتقى ويتخير من أراد على عينه ،
ويخص من أحبّ ويرفع من أراد إلى الثمانين^(٢) ، وأمكنه من السلاح وبيوت
الأموال ، ثم وجّهوا إلى المأمون .

فذكر يزيد بن الحارث ، قال : لما أراد على الشخوص إلى خراسان ركب
إلى باب أم جعفر ، فودّعها ، فقالت : يا على . إن أمير المؤمنين وإن كان
ولدي ؛ إليه تناهت شفقتي ، وعليه تكامل حنّدي ؛ فإني على عبد الله
منعطفة مشفقة ، لما يحدث عليه من مكروه وأذى ؛ وإنما ابني ملك نافس أخاه في

٨١٨/٣

سلطانه ، وغازه على ما في يده ؛ والكريم يأكل لحمه ويمنعه ^(١) غيره ، فاعرف لعبد الله حتى والده وأخوته ، ولا تجبّه بالكلام ، فإنك لست نظيره ، ولا تقتصره اقتصار العبيد ، ولا ترهقه ^(٢) بقيد ولا غل ، ولا تمنع منه جارية ولا خادماً ، ولا تعنف عليه في السير ، ولا تساوه في المسير ؛ ولا تركب قبيله ، ولا تستقل على دابتك حتى تأخذ بركابه ، وإن شتمك فاحتمل منه ، وإن سقه عليك فلا تراهه . ثم دفعت إليه قيئاً من فضة ، وقالت : إن صار في يدك بقيئه بهذا القيد . فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

وأظهر محمد خلع المأمون ، وباع لابنيه - في جميع الآفاق إلا خراسان - موسى وعبد الله ؛ وأعطى عند بيعتهما بنى هاشم والقواد والجنود والجنائز ، وسمى موسى الناطق بالحق ، وسمى عبد الله القائم بالحق . ثم خرج على بن عيسى لسبع ليال خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة من بغداد حتى عسكر بالنهر وان ، وخرج معه يشيعه محمد ، وركب القواد والجنود ، وحشرت الأسواق ، وأشخص معه الصنائع والفعلة ؛ فيقال : إن عسكره كان فرسخاً بفسطاطيه وأهبطته وأثقاله ، فذكر بعض أهل بغداد أنهم لم يروا عسكرياً كان أكثر رجلاً ، وأفره كراعاً ، وأظهر سلاحاً ، وأتم عدة ، وأكل هيئة ؛ من عسكره .

وذكر عمرو بن سعيد أن محمداً لما جاز باب خراسان نزل على فترجل ، وأقبل يوصيه ، فقال : امنع جندك من العبث بالرعيّة والغارة على أهل القرى وقطع الشجر وانتهاك النساء ؛ ولّ الرى يحيى بن على ، واضمم إليه جنداً كثيفاً ، ومره ليدفع إلى جنده أرزاقهم مما يجي من خراجها ؛ ولّ كل كورة ترحل عنها رجلاً من أصحابك ، ومن خرج إليك من جند أهل خراسان ووجوهها فأظهر إكرامه وأحسن جائزته ، ولا تعاقب أخاً بأخيه ، وضع عن أهل خراسان رُبْع الخراج ، ولا تؤمن أحداً رماك بسهم ، أو طعن في أصحابك برمح ؛ ولا تأذن لعبد الله في المقيم أكثر من ثلاثة من اليوم الذي تظهر فيه عليه ؛ فإذا أشخصته فليكن مع أثق أصحابك عندك ؛ فإن غره الشيطان فناصربك

٨١٩/٣

(٢) ط : « ترهقه » .

(١) ط : « يمنه » ، وما أثبتته من ا .

فأحرص على أن تأسره أسراً ، وإن هرب منك إلى بعض كُؤور خراسان ،
فتولّ إليه المسير بنفسك . أفهيمت كَلَّ ما أوصيك به ؟ قال : نعم ، أصلح
الله أمير المؤمنين ! قال : سير على بركة الله وعونه !

وذكر أن منجمه أنه فقال : أصحح الله الأمير ! لو انتظرت بمسيرك
صلاح القمر ؛ فإن النجوم عليه عالية ، والسعود عنه ساقطة منصرفة !
فقال لعلام له : يا سعيد ؛ قل لصاحب المقدمة بضرب بطله ويقدم علمه ؛
فإننا لا ندري ما فساد القمر من صلاحه ؛ غير أنه من نازلنا نازلناه ، ومن
وادعنا وادعنا وكشفنا عنه ؛ ومن حاربنا وقتلنا لم يكن لنا إلا إرواء^(١)
السيف من دمه . إننا لا نعتد بفساد القمر ؛ فإننا وطننا أنفسنا على صدق اللقاء
ومناجزة الأعداء .

• • •

قال أبو جعفر : وذكر بعضهم أنه قال : كنتُ فيمن خرج في عسكر
على بن عيسى بن ماهان ؛ فلما جاز حُلُون لقيته القواقل من خراسان ؛
فكان يسألنا عن الأخبار ، يستطلع علينا أهل خراسان ، فيقال له : إن طاهراً
مقيم بالريّ يعرض أصحابه ، ويرمى آله ، فيضحك ثم يقول : وما طاهر !
فويله ما هو إلا شوكة من أغصاني ، أو شرارة من ناري ، وما مثل طاهر يتولّى
على الجيوش ، ويلتصّي الحروب ؛ ثم التفت إلى أصحابه فقال : والله ما بينكم
وبين أن ينقصنا القصاص الشجر من الريح العاصف ؛ إلا أن يبلغه عبورنا
عقبة همدان ، فإن السخال لا تقوى على انطاح ، والتمالب لا صبر لها
على لقاء الأسد ؛ فإن يقيم طاهر بموضعه يكن أول معرض لضباة السيوف
وأمنة الرياح .

وذكر يزيد بن الحارث أن على بن عيسى لما صار إلى عقبة همدان
استقبل قافلة فتمت من خراسان ، فسأله عن الخبر ، فقالوا : إن طاهراً
مقيم بالريّ ، وقد استعدّ للقتل ، واتخذ آلة الحرب ، وإن المدد يترى
عليه من خراسان وما يليها من الكُؤور ؛ وإنه في كل يوم يعظم أمره ، ويكثر

(١) ط : « أروى » ، وما أثبتته من .

أصحابه ؛ وإنهم يرون أنه صاحب جيش خراسان . قال علي : فهل شخص من أهل خراسان أحد يعتد به ؟ قالوا : لا ؛ غير أن الأمور بها مضطربة ، والناس رعيون ، فأمر بطى المنازل والمسير ، وقال لأصحابه : إن نهاية القوم الرى ، فلو قد صيرناها خلف ظهورنا فست ذلك فى أعضادهم ، وانتشر نظامهم ، وتفرقت جماعتهم . ثم أنفذ الكتب إلى ملوك الديلم ورجال طبرستان وما والاها من الملوك ، يبعدهم الصلوات والجوائز . وأهدى إليهم التيجان والأسورة والسيوف المحلاة بالذهب ، وأمرهم أن يقطعوا طريق خراسان ، ويمنعوا من أراد الوصول إلى طاهر من المدد ؛ فأجابوه إلى ذلك ، وسار حتى صار فى أول بلاد الرى ، وأتاه صاحب مقدمته ، فقال : لو كنت - أبى الله الأمير - أذكت العيون ، وبعثت الطلائع ، وارتدت موضعاً تعسكر فيه ، وتتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به ؛ كان ذلك أبلغ فى الرى ، وأنس للجند . قال : لا ؛ ليس مثل ^(١) طاهر يستعد له بالمكايد والتحفظ ؛ إن حال طاهر تؤول إلى أحد أمرين : إما أن يتحصن بالرى فيبيته أهلها فيكفوننا مؤنته ، أو يخليها ويدبر راجعاً لو قربت خيولنا وعساكرنا منه . وأتاه يحيى بن علي ، فقال : اجمع متفرق العسكر ، واحذر على جنك البيات ، ولا تسرح الخيل إلا ومعها كشف ^(٢) من القوم ؛ فإن العساكر لا تساس بالتوائى ، والحروب لا تدبر بالاغترار ؛ والثقة أن تحترز ، ولا تقل : إن المحاربلى طاهر ؛ فالشارة الخفية ربما صارت ضرماً ، والثلمة من السيل ربما اغتر بها وتسهون فصارت بحراً عظيماً ؛ وقد قربت عساكرنا من طاهر ؛ فلو كان رأيه الحرب لم يتأخر إلى يومه هذا . قال : اسكت ؛ فإن طاهراً ليس فى هذا الموضع الذى ترى ؛ وإنما تتحفظ الرجال إذا لقيت أقرانها ، وتستعد إذا كان المناوئ لها أكفأها [ونظراءها] ^(٣) .

وذكر عبد الله بن مجالد ، قال : أقبل علي بن عيسى حتى نزل من الرى على عشرة فراسخ ، وبها طاهر قد سد أبوابها ، ووضع المسالح على طرقيها ، واستعد لمحاربه ؛ فشاور طاهراً أصحابه ، فأشاروا عليه أن يقيم بمدينة الرى ، ويدافع القتال ما قدر عليه إلى أن يأتيه من خراسان المدد من الخيل ، وقائد

٨٢١/٣

(١) : « لئلا » . (٢) كنف ، أى حشد . (٣) من ا .

٨٢٢/٣

يتولى الأمر دونه ، وقالوا : إن مقامك بمدينة الرّى أرفقُ بأصحابك ، وأقصر لهم على الميرة ، وأكنّ من البرّد ، وأحرّى إن دهمك قتال أن يعتصموا بالبيوت ، وتقوى على الماطلة والمطاولة ؛ إلى أن يأتيك مدد ، أو تردّ عليك قوّة من خلفك . فقال طاهر : إن الرّأى ليس ما رأيتم ؛ إن أهل الرّى لعلّ هابون ، ومن معرفته وسطوته متقون ؛ ومعه منّ قد بلغكم من أعراب البوادي وصعاليك الجبال ولقيف القرى ؛ ولست آمن إن هجم علينا مدينة الرّى أن يدعو أهلها خوفهم إلى الوثوب بنا ، ويعينوه على قتالنا ؛ مع أنه لم يكن قوم قهلاً روعبوا في ديارهم^(١) ، وتورد عليهم عسكرهم إلا وهنوا وذلوا ، وذهب عزهم ، واجترأ عليهم عدوهم . وما الرّأى إلا أن نصير مدينة الرّى قنفاً^(٢) ظهورنا ؛ فإن أعطانا الله الظّفّر ، وإلا عولنا عليها فقاتلنا في سككها ، وتحصّنا في مسّعتها إلى أن يأتينا مدد أو قوّة من خراسان . قالوا : الرّأى ما رأيّت . فنادى طاهر في أصحابه فخرجوا . فعسكروا على خمسة فراسخ من الرّى بقرية يقال لها كلواص^(٣) ؛ وأتاه محمد بن العلاء فقال : أيها الأمير ؛ إن جندك قد هابوا هذا الجيش ، وامتلأت قلوبهم خوفاً ورعباً منه ، فلو أقمت بمكانك ، ودافعت القتال إلى أن يشامتهم أصحابك ، ويأنسوا بهم ، ويعرفوا وجه المأخذ في قتالهم ! فقال : لا ؛ إني لا أوتى من قلة تجربة وحزم ؛ إن أصحابي قليل ، والقوم عظيم سوادهم كثير عددهم ، فإن دافعت القتال ، وأخرت المناجزة لم آمن أن يطلعوا على قلتنا وعورتنا ؛ وأن يستميلوا منّ معى برغبة أو رهبة ، فينفر عني أكثر أصحابي ، ويخذلني أهل الحفاظ والصبر ، ولكن ألف الرجال بالرجال ، وألحيم الخيل بالخيّل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صبر محتسب للخير ، حريص على الفوز بفضل الشهادة ؛ فإن يرزق الله الظّفّر والفالج فذلك الذى نريد ونرجو ؛ وإن تكن الأخرى ؛ فلست بأول من قاتل فقتل ، وما عند الله أجزل وأفضل .

٨٢٣/٣

وقال على لأصحابه : بادروا القوم ؛ فإن عددهم قليل ، واو زحفتم إليهم لم يكن لهم صبر على حرارة السيوف وطعن الرماح . وعبأ جندّه ميمنة

(١) : « زحمرنا على ديارهم » . (٢) : « ورا » . (٣) : « كدرص » .

وميسرة وقلباً ؛ وصيّر عشر رايات ؛ في كلّ راية ألف رجل ، وقدم الرايات راية راية ، فصيّر بين كلّ راية وراية غسّوة ، وأمّر أمراءها : إذا قاتلت الأولى فصبرت وحمت وطال بها القتال أن تُقدّم التي تليها وتؤخّر التي قاتلت حتى ترجع إليها أنفسها ، وتستريح وتنشط للمحاربة والمعاودة . وصيّر أصحاب الدروع والجواشن والخوذ أمام الرايات ، ووقف في القلب في أصحابه من أهل البأس والحفاظ والنجدة منهم .

وكتب طاهر بن الحسين كتابته وكرّس كراديسه ، وسوى صفوفه ، وجعل يمرّ بقائد قائد، وجماعة جماعة ؛ فيقول : يا أولياء الله وأهل الوفاء والشكر ؛ إنكم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل النكث والغدر ؛ إن هؤلاء ضيّعوا ما حفظتم وصغروا ما عظمتهم ، ونكثوا الأيمان التي رعيتم ؛ وإنما يطلبون الباطل ويقاتلون على الغدر والجهل ؛ أصحاب سلب ونهب ؛ فلو قد غضضتم الأبصار ، وأثبتتم الأقدام ؛ قد أنجز الله وعده ، وفتح عليكم أبواب عزه ونصره ؛ فجالدوا طواغيت الفتنة ويعاسيب الشّارعن دينكم ، ودافعوا بحكمكم باطلهم ؛ فإنما هي ساعة واحدة حتى يحكم الله بينكم وهو خير الحاكمين . وقتل قتلًا شديدًا ، وأقبل يقول : يا أهل الوفاء والصدق ؛ الصبر الصبر الحفاظ الحفاظ ! وتزاحف الناس بعضهم إلى بعض ، وثب^(١) أهل الرّى ، فغلقوا أبواب المدينة ، ونادى طاهر : يا أولياء الله ، اشتغلوا بمن أمامكم عن خلفكم ؛ فإنه لا ينبغيكم إلاّ الجدل والصدق . وتلاحسوا واقتتلوا قتالًا شديدًا ، وصبر الفريقان جميعًا ، وعلت ميمنة على ميمنة طاهر ففقتتها فضًا منكرًا ، وميسرته على ميمنته فأزالته عن موضعها . وقال طاهر : اجعلوا بأسكم وجدكم على كراديس القلب ؛ فإنكم لو فضضتم منها راية واحدة رجعت أوائلها على أواخرها . فصبر أصحابه صبرًا صادقًا ، ثم حملوا على أوائل رايات القلب فهزموهم ؛ وأكثروا فيهم القتل ؛ ورجعت الرايات بعضها على بعض ، وانقضت ميمنة على . ورأى أصحاب ميمنة طاهر وميسرته ما عمل أصحابه ، فرجعوا على من كان في وجوههم ، فهزموهم ، وانتهت الخزيمة إلى على

٨٢٤/٣

فجعل ينادى أصحابه : أين أصحاب الأسورة والأكاليل ! يا معشر الأبناء ، إلى الكوفة بعد الفرة ؛ معاودة^(١) الحرب من الصبر فيها . ورماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله ، ووضعوا فيهم السيوف يقتلونهم ويأسرونهم ، حتى حال الليل بينهم وبين الضرب ، وغنموا غنيمة كثيرة ؛ ونادى طاهر في أصحابه على : من وضع سلاحه فهو آمن ، فطرحوا أسلحتهم ، ونزلوا عن دوابهم ، ورجع طاهر إلى مدينة الرمي ، وبعث بالأسرى والرءوس إلى المأمون .

وذكر أن عبد الله بن علي بن عيسى طرّح نفسه في ذلك اليوم بين القتلى ؛ وقد كانت به جراحات كثيرة ، فلم يزل بين القتلى متشبهاً بهم يومه وليلته ؛ حتى أمن الطلب ، ثم قام فانضم إلى جماعة من قبل العسكر ، ومضى إلى بغداد ، وكان من أكابر ولده .

وذكر سفيان بن محمد أن علياً لما توجه إلى خراسان بعث المأمون إلى من كان معه من القواد يعرض عليهم قتاه رجلاً رجلاً ؛ فكلّهم يصرح بالهبة ، ويعتل بالعلل ، ليجدوا إلى الإعفاء من لقاءه ومحاربتة سبيلاً .

وذكر بعض أهل خراسان أن المأمون لما أتاه كتاب طاهر ، بخبر علي وما أوقع الله به ، قعد للناس ؛ فكانوا يدخلون فيهنّونه ويدعون له بالعز والنصر . وإنه في ذلك اليوم أعان خلع محمد ، ودعى له بالخلافة في جميع كُور خراسان وما يليها ، وسر أهل خراسان ، وخطب بها الخطباء ، وأنشدت الشعراء ، وفي ذلك يقول شاعر من أهل خراسان^(٢) :

أصبحت الأمة في غبطة	من أمر دنياها ومن دينها
إذ حفظت عهد إمام الهدى	خير بني حواء مأمونها
على شفا كانت فلما وفّت	تخلّصت من سوء تحيينها
قامت بحق الله إذ زُبرت	في ولده كتب دواوينها
ألا تراها كيف بعد الردى	وفقها الله لتزيينها !

وهي أبيات كثيرة .

(١) كذا في أ ، وفي ط : « معاودة » . (٢) كذا في أ ، وفي ط : « يقول الشاعر » .

وذكر علي بن صالح الحرقي أن علي بن عيسى لما قُتِل ، أرجف الناس ببغداد إرجافاً شديداً ، وندم محمد علي ما كان من نكثه وغدره ، ومشى القوَّاد بعضهم إلى بعض ، وذلك يوم الخميس للنصف من شوال سنة خمس وتسعين ومائة ، فقالوا : إن علينا قد قُتِل ، ولنا نشتك أن محمداً يحتاج إلى الرجال واصطناع أصحاب الصنائع ؛ وإنما يحرك الرجال أنفسهم ، ويرفعها بأسها وإقدامها ؛ فليأمر كلُّ رجل منكم جندَه بالشَّعب وطلب الأرزاق والجوائز ؛ فلعننا أن نصيب منه في هذه الحالة ما يصلحنا ، ويصلح جندنا . فانفق على ذلك رأيهم وأصبحوا ، فتوافقوا إلى باب الجسر وكبروا ، فطلبوا الأرزاق والجوائز . وبلغ الخبر عبد الله بن خازم ، فركب إليهم في أصحابه وفي جماعة غيره من قوَّاد الأعراب ، فتراموا بالنشاب والحجارة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وسمع محمد التكبير والضجيج ؛ فأرسل بعض مواليه أن يأتيه بالخبر ، فرجع إليه فأعلمه أن الجند قد اجتمعوا وشغبوا لطلب أرزاقهم . قال : فهل يطلبون شيئاً غير الأرزاق ؟ قال : لا . قال : ما أهون ما طلبوا ! ارجع إلى عبد الله ابن خازم فمره فليصرف عنهم ؛ ثم أمر لهم بأرزاق أربعة أشهر ، ورفع من كان دون الثمانين إلى الثمانين ، وأمر للقوَّاد والخواص بالصلوات والجوائز .

* * *

[توجيه الأمين عبد الرحمن بن جبلة لحرب طاهر]

وفي هذه السنة وجّه محمد المخلوع عبد الرحمن بن جبلة الأبنوي إلى همدان لحرب طاهر .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر عبد الله بن صالح أن محمداً لما انتهى إليه قتلُ علي بن عيسى بن ماهان ، واستباحة طاهر عسكره ، وجّه عبد الرحمن الأبنوي في عشرين ألف رجل من الأبناء ، وحمل معه الأموال ، وقوَّاه بالسلاح والخيول ، وأجازه بجوائز ، وولاه حُلوان إلى ما غلب عليه من أرض خراسان ، وندب معه فرسان الأبناء وأهل البأس والنَّجدة والغناء منهم ، وأمره بالإكماش في السَّير ، وتقليل اللَّبث

والتضجّع^(١)؛ حتى ينزل مدينة هَمْدَان، فيسبق طاهراً إليها، ويخندق عليه وعلى أصحابه، ويجمع إليه آلة الحرب، ويغادى طاهراً وأصحابه إلى القتال. وبسط يده وأنفذ أمره في كل ما يريد العمل به، وتقدم إليه في التحفظ والاحتباس، وترك ما عمل به على من الاغترار والتضجّع، فتوجه عبد الرحمن حتى نزل مدينة هَمْدَان، فضبط طرقها، وحصّن سورها وأبوابها، وسدّ ثلثمها، وحشر إليها الأسواق والصناعات، وجمع فيها الآلات والميّر، واستعدّ للقاء طاهر ومحاربه. وكان يحيى بن عليّ لما قُتِل أبوه هرب في جماعة من أصحابه، فأقام بين الرّى وهَمْدَان؛ فكان لا يمرّ به أحدٌ من قُتل أبيه إلا احتبسه؛ وكان يرى أن محمداً سيولّيه مكان أبيه، ويوجهه إليه الخبل والرجال؛ فأراد أن يجمع القُتل إلى أن يوافيه القوة والمدد؛ وكتب إلى محمد يستمده ويستنجده؛ فكتب إليه محمد يعلمه توجيه عبد الرحمن الأبنائى، ويأمره بالمقام موضعه؛ وتلقّى طاهر فيمن معه؛ وإن احتاج إلى قوة ورجال كتب إلى عبد الرحمن فقوّاه وأعاناه.

٨٢٨/٣

فلما بلغ طاهراً الخبر توجه نحو عبد الرحمن وأصحابه، فلما قُرب من يحيى، قال يحيى لأصحابه: إن طاهراً قد قُرب منا ومعه من تعرفون من رجال خراسان وفرسانها، وهو صاحبكم بالأمس، ولا آمن إن لقيته بمن معى من هذا القُتل أن يصدّ عنا صدعاً يدخل وهنّه على من خلّفنا، وأن يعتلّ عبد الرحمن بذلك، ويقلّدنى به العار والوهن والعجز عند أمير المؤمنين، وأن أستنجده به وأقمّت على انتظار مدده؛ لم آمن أن يمسك عنا ضناً برجاله وإبقاء عليهم، وشحاً بهم على القتل؛ ولكن نتراحف إلى مدينة هَمْدَان فنعسكر قريباً من عبد الرحمن؛ فإن استعنا به قرب منّا عونُهُ؛ وإن احتاج إلينا أعناهُ وكنّا بفنائهِ، وقتلنا معه. قالوا: الرأى ما رأيت؛ فانصرف يحيى، فلما قُرب من مدينة هَمْدَان خذله أصحابه، وتفرّق أكثر من كان اجتمع إليه، وقصد طاهر لمدينة هَمْدَان؛ فأشرف عليها، ونادى عبد الرحمن في أصحابه، فخرج على تعبئة، فصادف^(٢) طاهراً، فاقتلوا قتلاً شديداً، وصبر الفريقان جميعاً، وكثرت القُتل.

(١) التضجّع: القعود في الأمر. (٢) ط: «فصاف»، وما أتبته من أ.

والجرحى فيهم . ثم إنَّ عبد الرحمن انهزم ، فدخل مدينة هَمْدَان ، فأقام بها أياماً حتى قوى أصحابه ، واندمل جراحهم ، ثم أمر بالاستعداد ، وزحف إلى طاهر ؛ فلما رأى طاهر أعلامه وأوائل أصحابه قد طلَعوا ، قال لأصحابه : إنَّ عبد الرحمن يريد أن يترأى^(١) لكم ؛ فإذا قربتم منه قاتلكم ؛ فإن هزمتوه بادر إلى المدينة فدخلها ، وقاتلكم على خندقها ، وامتنع بأبوابها وسورها ؛ وإن هزمتكم اتسع لهم المجال عليكم ، وأمكنته سعة المعترك من قتالكم ، وقتل^(٢) من انهزم ، وولتى منكم ؛ ولكن قفوا من خندقنا وعسكرنا قريباً ؛ فإن تقارب منا قاتلناه ، وإن بعد من خندقهم قَرُبنا منه . فوقف طاهر مكانه ، وظنَّ عبد الرحمن أنَّ الهيبة بطأت به من لقائه والنهوض إليه ، فبادر قتاله فاقتتلوا قتالا شديداً ، وصبر طاهر ، وأكثر القتل في أصحاب عبد الرحمن ، وجعل عبد الرحمن يقول لأصحابه : يا معشر الأبناء ، يا أبناء الملوك والنفاس السيوف ؛ إنهم العجم^(٣) ، وليسوا بأصحاب مطاولة ولا صبر ؛ فاصبروا لهم فداكم أبى وأمى ! وجعل يمر على راية راية ، فيقول : اصبروا ؛ إنما صبرنا ساعة ، هذا أول الصبر والظَّفَر . وقاتل بيديه قتالا شديداً ، وحمل حملات منكراً ما منها حملة إلا وهو يكثر في أصحاب طاهر القتل ؛ فلا يزول أحدٌ ولا يتزحزح . ثم إنَّ رجلاً من أصحاب طاهر حمل على أصحاب عِلَم عبد الرحمن فقتله ، وزحمهم أصحاب طاهر زحمة شديدة ، فولَّوهم أكتافهم ، فوضعوا فيهم السيوف ، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى باب مدينة هَمْدَان ؛ فأقام طاهر على باب المدينة محاصراً لهم وله ؛ فكان عبد الرحمن يخرج في كل يوم فيقاتل على أبواب المدينة ، ويرى أصحابه بالحجارة من فوق السور ، واشتدَّ بهم الحصار ، وتأذى بهم أهل المدينة ، وتبرموا بالقتال والحرب ، وقطع طاهر عنهم المادَّة من كل وجه . فلما رأى عبد الرحمن ، ورأى أصحابه قد هلكوا وجهدوا ، وتخوَّف أن يشبَّ به أهل هَمْدَان أرسل إلى طاهر فسأله

٨٢٩/٣

(١) ط : « يترأى » .

(٢) ا : « وقتل » .

(٣) ط : « لعجم » ، وما أثبت من ا .

الأمان له ولمن معه ؛ فأمنه طاهر ووفى له ، واعتزل عبد الرحمن فيمن كان استأمن معه من أصحابه وأصحاب يحيى بن عليّ .

• • •

[تسمية طاهر بن الحسين ذا اليمينين]

وفي هذه السنة سُمّيَ طاهر بن الحسين ذا اليمينين .

• ذكر الخبر عن ذلك :

قد مضى الخبرُ عن السبب الذي من أجله سُمّيَ بذلك ، ونذكرُ الذي سَمَّاهُ بذلك .

ذُكر أن طاهراً لما هزم جيش عليّ بن عيسى بن ماهان ، وقتل عليّ بن عيسى ، كتب إلى الفضل بن سهل : أطال الله بقاءك ؛ وكبّت أعداءك ، وجعل من يشنؤك فداك ! كتبتُ إليك ورأس عليّ بن عيسى في حجرى ، وخاتمته في يدي ، والحمد لله ربّ العالمين . فنهض الفضل ، فسلم على المأمون بأمر المؤمنين ؛ فأمدّ المأمون طاهر بن الحسين بالرجال والنفود ، وسَمَّاهُ ذا اليمينين ، وصاحب جبل الدين ، ورفع من كان معه في دون الثمانين إلى الثمانين .

• • •

[ظهور السفيناني بالشام]

وفي هذه السنة ظهر بالشام السفينانيّ عليّ بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فدعا إلى نفسه ؛ وذلك في ذى الحجة منها ، فطرد عنها سليمان بن أبي جعفر بعد حصره إياه بدمشق . وكان عامل محمد عنها - فلم يفلت منه إلا بعد اليأس ، فوجه إليه محمد المخالوع الحسين بن عليّ بن عيسى بن ماهان ، فلم ينفذ إليه ؛ ولكنه لما صار إلى الرقة أقام بها .

• • •

[طرد طاهر عمال الأمين عن قزوين وكور الجبال]

وفي هذه السنة طرد طاهر عمال محمد عن قزوين وسائر كور الجبال .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذكر عليّ بن عبد الله بن صالح أن طاهراً لما توجه إلى عبد الرحمن

الأبناوى بهمدان، تخوف أن يثب به كثير بن قادرة - وهو بقزوين عامل من عمال محمد - في جيش كثيف إن هو خلفه وراء ظهره ؛ فلما قرب طاهر من همدان أمر أصحابه بالنزول فنزلوا . ثم ركب في ألف فارس وألف راجل ، ثم قصد قصد كثير بن قادرة ، فلما قرب منه هرب كثير وأصحابه ، وأختلى قزوين ، وجعل طاهر فيها جنداً كثيفاً ، وولاهم رجلاً من أصحابه ، وأمر أن يحارب من أراد دخولها من أصحاب عبد الرحمن الأبناوى وغيرهم .

٨٣١/٣

* * *

[ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة الأبناوى]

وفي هذه السنة قتل عبد الرحمن بن جبلة الأبناوى بأسد اباد .

• ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر عبد الرحمن بن صالح أن محمداً المخلوع لما وجه عبد الرحمن الأبناوى إلى همدان ، أتبعه بابنى الحرثى : عبد الله وأحمد ، في خيل عظيمة من أهل بغداد ، وأمرهما أن يتزلا قصر اللصوص ، وأن يسمعا ويطيعا لعبد الرحمن ، ويكونا مدداً له إن احتاج إلى عونهما . فلما خرج عبد الرحمن إلى طاهر في الأمان أقام عبد الرحمن يرى طاهراً وأصحابه أنه له مسالم ، راضٍ بعهودهم وأيمانهم ؛ ثم اغترهم وهم آمنون . فركب في أصحابه ، فلم يشعر طاهر وأصحابه حتى هجموا عليهم ، فوضعوا فيهم السيوف ، فثبت لهم رجالة أصحاب طاهر بالسيوف والتراس والنشاب ، وجشوا على الركب ، فقاتلوه كأشد ما يكون من القتال ، ودافعهم الرجال إلى أن أخذت الفرسان عدتها وأهبتها ، وصدقوهم القتال ، فاقتلوا قتالا منكرًا ، حتى تقطعت السيوف ، وتقصفت الرماح . ثم إن أصحاب عبد الرحمن هربوا ، وترجل هو في ناس من أصحابه ، فقاتل حتى قتل ، فجعل أصحابه يقاؤون له : قد أمكنك الحرب فاهرب ؛ فإن القوم قد كدوا من القتال ، وأتعبتهم الحرب ، وليس بهم حراك ولا قوة على الطلب ، فيقول : لا أرجع أبداً ، ولا يرى أمير المؤمنين وجهي منهزماً . وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، واستبيح عسكره ، وانتهى من أفلت من أصحابه إلى عسكر عبد الله وأحمد ابني الحرثى ، فدخلهم الوهن^(١) والفشل ، وامتلأت

٨٣٢/٣

(١) ط : « الوهن » ، وما أتبعه من ا .

قلوبهم خوفاً ورعباً فولتوا منهزمين لا يلوون على شيء من غير أن يلقاهم أحد ، حتى صاروا إلى بغداد ، وأقبل طاهر وقد خلت له البلاد ، يحوز^(١) بلدةً ببلدةً ، وكورةً وكورةً ، حتى نزل بقرية من قرى حُلوان يقال لها شلاشان ، فخذق بها ، وحصن عسكره ، وجمع إليه أصحابه . وقال رجل من الأبناء يرضى عبد الرحمن الأبنؤى :

ألا إنما تبكى العيونُ لفارسٍ نفى العارَ عنه بالمناصِلِ والقنا
تجلى غبارُ الموتِ عن صحنِ وجهه وقد أحرزَ العليّا من المجدِ واقتنى
فتى لا يُبالي إن دنا من مرءةٍ أصابَ مَضُونُ النفسِ أو ضيعَ الغنى
يقيمُ لأطرافِ الدّوابِلِ سوقها ولا يرهَبُ الموتَ المُتاحَ إذ أدنا

•••••

وكان العاملُ في هذه السنة على مكة والمدينة من قبل محمد بن هارون داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، وهو الذي حجّ بالناس في هذه السنة وستين قبلها وذلك سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وأربع وتسعين ومائة .

وعلى الكوفة العباس بن موسى الهادي من قبل محمد .

وعلى البصرة منصور بن المهدي من قبل محمد .

وبخراسان المأمون ، وبغداد أخوه محمد .

٨٢٢/٣

(١) كذا في أوabin الأثير وفي ط : « يحوز » .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر توجيه الأمين الجيوش لحرب طاهر بن الحسين]

فما كان من ذلك حبس محمد بن هارون أسد بن يزيد بن يزيد بن مزيد ، وتوجيه أحمد بن مزيد وعبد الله بن حميد بن قحطبة إلى حلوان لحرب طاهر .

• ذكر الخبر عن سبب حبسه وتوجيهه من ذكرت :

« ذكر عن عبد الرحمن بن وثاب أن أسد بن يزيد بن مزيد بن مزيد حدثه ، أن الفضل بن الربيع بعث إليه بعد مقتل عبد الرحمن الأبنواي . قال : فأتيته ، فلما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده رقعة قد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول : ينام نوم الظربان ؛ [ويتبته انتباه الذئب ، همه بطنه ، يخاتل الرعاء والكلاب ترصده] ^(١) . لا يفكر في زوال نعمة ، ولا يروى في إمضاء رأى ولا مكيدة ؛ قد ألهاه كأسه ، وشغله قنـدحه ، فهو يجرى في لوه ، والأيام توضع ^(٢) في هلاكه ؛ قد شمر عبد الله له عن ساقه ، وفوق له أصوب أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحنف النافذ ، والموت القاصد ، قد عبى له المنايا على متون الحبل ، وناط له البلاء في أسنة الرماح وشفار السيوف . ثم استرجع ، وتمثل بشعر البعيث :

ومجدولة جندل العنان خريدة	لها شعر جعد ووجه مقسم
وشغل نقي اللون عذب مذاقة	تضي لها الظلمات ساعة تبسم
وشديان كالحقن ، والبطن ضامر	خميض ، وجههم نار تفسر ^(٣)
لهوت بها ريل التمام ابن خالد	وأنت يسرو الرود غيظا تجرم ^(٤)

٨٣٤/٣

(١) كذا في أ ، وفي ط : « تفرغ » .

(٢) من أ .

(٣) ابن الأثير : « وجهه نار » .

(٤) كذا في أ وابن الأثير : وفي ط : « على يبرو الرود » .

أَظَلُّ أَنَاغِيَهَا وَتَحْتَ ابْنِ خَالِدٍ أُمِّيَّةَ نَهْدُ المَرْكَلَيْنِ عَشْمُ
طَوَاهُ طِرَادُ الخَيْلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ لَهَا عَارِضٌ فِيهِ الْأَسِنَّةُ تُرْزِمُ
يُقَارِعُ أَتْرَاكَ ابْنِ خَاقَانَ لَيْلَةً إِلَى أَنْ يَرَى الْإِصْبَاحَ لَا يَتَلَعَّمُ
فِيُضْبِحُ مِنْ طُولِ الطَّرَادِ ، وَجِسْمُهُ نَجِيلٌ وَأُضْحِي فِي النَّعِيمِ أَصْمِصُ
أَبَاكِرُهَا صَهْبَاءُ كَالْمَسْكِ رِيحُهَا لَهَا أَرْجٌ فِي دَنْهَا حِينَ تَرُشُمُ^(١)
فَشَنَّانَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ خَالِدٍ أُمِّيَّةَ فِي الرِّزْقِ الَّذِي اللَّهُ قَاسِمُ^(٢)

ثم التفت إلى فقال : يا أبا الحارث ، أنا وإياك نجرى إلى غاية ، إن قصرنا عنها دُئِمْنَا ، وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ؛ وإنما نحن شعب من أصل ؛ إن قوى قوتنا ؛ وإن ضعف ضعفنا ؛ إن هذا قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء ، يشاور النساء ، ويعتزم على الرؤيا ؛ وقد أمكن مسامعه من أهل اللهو والفسادة ، فهم يعدونه الظفر ، ويمتونه عقب الأيام ؛ والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل ؛ وقد خشيت والله أن نهلك بهلاكه ، ونعطب بعطبه ؛ وأنت فارس العرب وابن فارسها ؛ قد فزع إليك في لقاء هذا الرجل وأطمعه فيما قبلك أمران ؛ أما أحدهما فصدق طاعتك وفضل نصيحتك ، والثاني يُبْمَنُ تقيتك وشدة بأسك ؛ وقد أمرني لإزاحة علتك وبسط يدك فيما أحببت ؛ غير أن الاقتصاد رأس النصيحة ومفتاح السُمن والبركة ، فأنجز حوائجك ، وعجل المبادرة إلى عدوك ؛ فإني أرجو أن يُؤليكَ الله شرفَ هذا الفتح ، ويلم بك شعث هذه الخلافة والدولة . فقلت : أنا لطاعة أمير المؤمنين — أعزه الله — وطاعتك مقدم ، ولكل ما أدخل الوهن والذل على عدوه وعدوك حريص ؛ غير أن المحارب لا يعمل بالغرور ، ولا يفتتح أمره بالتقصير والخلل ؛ وإنما يملك المحارب الجنود ، وملاك الجنود المال ؛ وقد ملأ أمير المؤمنين أعزه الله أيدي مَنْ شهد العسكر من جنوده ، وتابع لهم الأرزاق الدارة والصلوات والفوائد

(١) سقط هذا البيت من ط ، وأُجِبَ من وابن الأثير وترشم ، أى تحم .

(٢) ١ ، وابن الأثير : « يقسم » .

الجزيلة ، فإن سرتُ بأصحابي وقلوبهم متطلعة إلى مَنْ خلفهم من إخوانهم لم أنتفع بهم في لقاء مَنْ أُمّى ، وقد فضل أهل السّلم على أهل الحرب ، وجاز بأهل الدّعة^(١) منازل أهل النّصب والمشقة ؛ والذي أسأل أن يؤمّر لأصحابي برزق سنة ، ويحمل معهم أرزاق سنة ، ويخصّ مَنْ لا خاصّة له منهم من أهل الغناء والبلاء ، وأبدل مَنْ فيهم من الزّمتي والضعفاء ، وأحمل ألف رجل ممّن معي على الخيل ؛ ولا أسأل عن محاسبة ما افتتحت من المدن والكور . فقال : قد اشتطت^(٢) ؛ ولا بدّ من مناظرة أمير المؤمنين . ثم ركب وركبت معه ، فدخل قبلي على محمد ، وأذن لي فدخلتُ ، فما كان بيني وبينه إلا كلمتان حتى غضب وأمر بحبسي .

٨٣٦/٣

وذكر عن بعض خاصة محمد أن أسدًا قال لمحمد : ادفع إلى ولدي عبد الله المأمون حتى يكونا أسيرين في يدي ؛ فإن أعطاني الطاعة ، وألقى إلى يديه ، وإلاّ عملت فيهما بحكمي ، وأنفذت فيهما أمرى . فقال : أنت أعراي مجنون ؛ أدعوك إلى ولاء أعنة العرب والعجم ، وأطعمك خراج كُور الجبال إلى خراسان ، وارفع منزلتك عن نظرائك من أبناء القواد والملوك ، وتدعوني إلى قتل ولدي ، وسفك دماء أهل بيتي ! إن هذا للتخرق والتخليط . وكان ببغداد ابنان لعبد الله المأمون ، وهما مع أمّهما أم عيسى ابنة موسى الهادي ، نزولا في قصر المأمون ببغداد ؛ فلما ظفر المأمون ببغداد خرجا إليه مع أمّهما إلى خراسان ؛ فلم يزالا بها حتى قدموا ببغداد ، وهما أكبر ولده .

وذكر زياد بن عليّ ، قال : لما غضب محمد على أسد بن يزيد ، وأمر بحبسه ، قال : هل في أهل بيت هذا من يقوم مقامه ؛ فإنّي أكره أن أستفسدهم مع سابقتهم^(٣) وما تقدّم من طاعتهم ونصيحتهم ؟ قالوا : نعم ؛ فيهم أحمد بن يزيد ، وهو أحسنهم طريقة ، وأصلحهم^(٤) نيّة في الطاعة ؛ وله مع هذا بأس ونجده وبصّر بسياسة الجنود ولقاء الحروب ؛ فأنفذ إليه محمد بریدًا يأمره بالقدوم عليه ؛ فذكر بكر بن أحمد ، قال : كان أحمد

(١) ط : « الدّعة » ، وما أثبت من أ . (٢) ابن الأثير : « أشطت » .

(٣) ابن الأثير : « نياتهم » . (٤) أ : « أصلحهم » .

٨٣٧/٣

متوجهًا إلى قرية تدعى إسحاقية ، ومعه نفر من أهل بيته ومواليه وحشمه ؛ فلما جاوز نهر أبان سمع صوت بريد في جوف الليل ، فقال : إن هذا لعجيب ، بريد في مثل هذه الساعة وفي مثل هذا الموضع ! إن هذا الأمر لعجيب . ثم لم يلبث البريد أن وقف ، ونادى الملاح : هل معك أحمد ابن مزيد ؟ قال : نعم ؛ فنزل فدفع إليه كتاب محمد ، فقرأه ثم قال : إني قد بلغت ضيعتي ؛ وإنما بيني وبينها ميل ؛ فدعني أقعها وقعة فأمر فيها بما أريد ثم أغدو معك ، فقال : لا ، إن أمير المؤمنين أمرني ألا أنظرك ولا أرفئك ؛ وأن أشخصك أية ساعة صادفتك فيها ؛ من ليل أو نهار . فانصرف معه حتى أتى الكوفة ، فأقام بها يومًا حتى تجمل وأخذ أهبة السفر ، ثم مضى إلى محمد .

فذكر عن أحمد ، قال : لما دخلت بغداد ، بدأت بالفضل بن الربيع ، فقلت : أسلم عليه ، وأستمع بمنزلته ومحضره عند محمد ؛ فلما أذن لي دخلت عليه ؛ وإذا عنده عبد الله بن حميد بن قحطبة ، وهو يريد على الشخص (١) إلى طاهر ، وعبد الله يشتط عليه في طلب المال والإكثار من الرجال ؛ فلما رأيته رحت بي وأخذ بيدي ، ورفعني حتى صيرني معه على صدر المجلس ، وأقبل على عبد الله يداعبه ويمازحه ، فتبسم في وجهه ، ثم قال :

إِنَّا وَجَدْنَا لَكُمْ إِذْ رَثَّ حَبْلُكُمْ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أُمَّ دُونَكُمْ وَأَبَا الْأَكْثَرُونَ إِذَا عُدَّ الْحَصَى عَدًّا وَالْأَقْرَبُونَ إِلَيْنَا مِنْكُمْ نَسْبًا

٨٣٨/٣

فقال عبد الله : إنهم لكذلك ؛ وإن منهم لسد الخلل ونكاء العدو ، ودفع معرفة أهل المعصية عن أهل الطاعة . ثم أقبل على الفضل ، فقال : إن أمير المؤمنين أجرى ذكرك ، فوصفتك له بحسن الطاعة وفضل النصيحة والشدة على أهل المعصية ، والتقدم بالرأى ، فأحب اصطناعك والتزوية باسمك ، وأن يرفعك إلى منزلة لم يبلغها أحد من أهل بيتك . والتفت إلى خادمه ، فقال : ياسرّاج ؛ مرّ دوابّي ، فلم ألبث أن أسرج له ، فضى ومضيت معه ، حتى دخلنا على محمد وهو في صحن داره ، له ساج ، فلم يزل يأمرني بالدنو حتى كدت

ألاصفه ، فقال : إنه قد كثر على تخليط ابن أخيك وتنكّره ، وطال خلافه على حتى أوحشني ذلك منه ، وولّد في قلبي التهمة له ، وصيرني لسوء المذهب وخبث الطاعة إلى أن تناولته من الأدب والحبس بما لم أحب أن أكون أتناوله به ، وقد وُصفت لي بخير ، ونُسبت إلى جميل ، فأحببت أن أرفع قدرك ، وأعلى منزلتك ، وأقدّمك على أهل بيتك ، وأن أوليّك جهاد هذه الفئة الباغية الناكثة ، وأعرضك للأجر والذواب في قتالهم ولقائهم ؛ فانظر كيف تكون ، وصحّح نيّتك ، وأعن أمير المؤمنين على اصطناعك ، وسرّه في عدوّه ينعم سرورك وتشريفك . فقلت : سأبذل في طاعة أمير المؤمنين أعزّه الله مهجتي ، وأبلغ في جهاد عدوّه أفضل ما أمّله عندي ، ورجاه من غنائى وكفائتي ، إن شاء الله . فقال : يا فضل ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : ادفع إليه دفاتر أصحاب أسد ، واضمّ إليه من شهد العسكر من رجال الجزيرة والأعراب ، وقال : أكش على أمرك ، وعجّل المسير إليه . فخرجت فانتخبنا الرجال واعترضت الدفاتر ، فبلغت عدّة من صحّحت اسمه عشرين ألف رجل . ثم توجهت بهم إلى حلوان .

٨٢٩/٣

وذكر أن أحمد بن مزيد لما أراد الشخوص دخل على محمد ، فقال : أوصني أكرم الله أمير المؤمنين ! فقال : أوصيك بخصال عدّة : إياك والبغى ، فإنه عقال النصر ، ولا تقدّم رجلاً إلا باستخارة ، ولا تشهر سيفاً إلا بعد إعدار ؛ ومهما قدّرت باللين فلا تتعبه إلى الخرق والشرّة^(١) ، وأحسن صحابة من معك من الجند ، وطالعي بأخبارك في كل يوم ، ولا تخاطر بنفسك طلب الزلفة عندي ؛ ولا تستقمها^(٢) فيما تتخوف رجوعه على ، وكن لعبد الله أخاً مضافاً ، وقريناً برّاً ، وأحسن مجامعته وصحبته ومعاشرته ، ولا تخذله إن استنصرك ، ولا تبطل عنه إذا استنصرحك ؛ ولتكن أيديكما واحدة ، وكلمتكما متفقة . ثم قال : سل حوائجك ، وعجل السراح إلى عدوك . فدعا له أحمد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، كثّر لي الدعاء ولا تقبل في قول باغ ، ولا ترفضني قبل المعرفة بموضع قدمي لك ، [ولا تنقض عليّ ما استجمع من رأي ، ومن عليّ بالصفح عن ابن أخي ، قال : ذلك لك]^(٣) . ثم بعث إلى أسد فحل قيوده وخطى

(١) من ا .

(٢) : ا : « ولا تستقمها » .

(٣) : ا : « الشدة » .

سبيله ، فقال أبو الأسد الشيباني في ذلك [يُمدح أحمد ويذكر حاله ومنزلته] ^(١) .

لِيَهْنِ أبا العباسَ رَأَى إِمَامَهُ وَمَا عِنْدَهُ مِنْهُ الْقَضَا بِحَزِيدِ
دَعَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى التَّي يُقَصِّرُ عَنْهَا ظِلُّ كُلِّ عَمِيدِ
فَبَادَرَهَا بِالرَّأْيِ وَالْحَزْمِ وَالْحِجَى وَرَأَى أَبِي الْعَبَّاسِ رَأَى سَدِيدِ

٨٤٠/٣

نَهَضَتْ بِمَا أَعْيَا الرَّجَالُ بِحِمْلِهِ وَأَنْتَ بِسَعْدِ حَاضِرٍ وَسَعِيدِ
رَدَدَتْ بِهَا لِلرَّائِدِينَ أَعْزَهُمْ وَمِثْلَكَ وَالْطَّارِفَا بِتَلِيدِ
كَفَى أَسَدًا ضَيْقَ الْكِبُولِ وَكَرْبَهَا وَكَانَ عَلَيْهِ عَاطِفًا كَبِيرِ

وَحَصَلُهُ فِيهَا كَلَيْثُ غَضَنْفِرٍ أَبِي أَشْبُلٍ عَثَلِ الذَّرَاعِ مَدِيدِ
وَذَكَرَ بَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ أَنَّ مُحَمَّدًا وَجَّهَ أَحْمَدَ بْنَ مُزَيْدٍ فِي عَشْرِينَ أَلْفَ

رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمِيدٍ بِنَ قَحْطَبَةٍ فِي عَشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ
الْأَبْنَاءِ ، وَأَمْرُهُمَا أَنْ يَنْزِلَا حُلُومًا ، وَيُدْفَعَا طَاهِرًا وَأَصْحَابَهُ عَنْهَا ؛ وَإِنْ أَقَامَ
طَاهِرٌ بِشَلَّاشَانِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي أَصْحَابِهِمَا حَتَّى يَدْفَعَاهُ ، وَيَنْصَبَا لَهُ الْحَرْبَ ،
وَتَقْدَمَ إِلَيْهِمَا فِي اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَالتَّوَادُّ وَالتَّحَابِّ عَلَى الطَّاعَةِ ؛ فَتَوَجَّهَ حَتَّى نَزَلَا
قَرِيبًا مِنْ حُلُومٍ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ خَانَقِينَ ، وَأَقَامَ طَاهِرٌ بِمَوْضِعِهِ ، وَخَنَدَقَ عَلَيْهِ
وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، وَدَسَّ الْجَوَاسِيسَ وَالْعِيُونَ إِلَى عَسْكَرِيهِمَا ؛ فَكَانُوا يَأْتُونَهُمْ
بِالْأَرَاخِيفِ ، وَيَخْبِرُونَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَضَعَ الْعِطَاءَ لِأَصْحَابِهِ ؛ وَقَدْ أَمَرَ لَهُمْ
مِنَ الْأَرْزَاقِ بِكَذَا وَكَذَا ؛ وَلَمْ يَزَلْ يَحْتَالُ فِي وَقُوعِ الْإِخْتِلَافِ وَالشَّغَبِ بَيْنَهُمْ
حَتَّى اخْتَلَفُوا ، وَانْتَفَضَ أَمْرُهُمْ ، وَقَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَأَخْلَوْا خَانَقِينَ ،
وَرَجَعُوا عَنْهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْقَوْا طَاهِرًا ، وَيَكُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قِتَالٌ . وَتَقَدَّمَ طَاهِرٌ
حَتَّى نَزَلَ حُلُومًا ؛ فَلَمَّا دَخَلَ طَاهِرٌ حُلُومًا لَمْ يَلِثْ إِلَّا بِسِيرًا حَتَّى أَتَاهُ هَرْمَةُ
ابْنِ أَعْيَنَ بِكِتَابِ الْمَأْمُونِ وَالْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ ، بِأَمْرَانِهِ بِتَسْلِيمِ مَا حَوَى مِنَ الْمَدَنِ
وَالْكَوْزِ إِلَيْهِ ، وَالتَّوَجُّهَ ^(٢) إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَسَلِمَ ذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ هَرْمَةُ بِحُلُومٍ
فَحَصَّنَهَا ، وَضَمَّ مَسَاحِدَهُ وَمَرَامِدَهُ فِي طَرَفَيْهَا وَجِبَالَهَا ، وَتَوَجَّهَ طَاهِرٌ إِلَى الْأَهْوَازِ .

٨٤١/٣

(١) من أ . (٢) ط : « ويدوجه » .

[ذكر رفع منزلة الفضل بن سهل عند المأمون]

وفي هذه السنة رفع المأمون منزلة الفضل بن سهل وقدره .

ذكر الخبر عما كان من المأمون إليه في ذلك :

ذكر أن المأمون لما انتهى إليه الخبر عن قتل طاهر على بن عيسى واستيلائه على عسكره وتسميته إياه أمير المؤمنين ؛ وسلم الفضل بن سهل عليه بذلك ، وصحّ عنده الخبر عن قتل طاهر عبد الرحمن بن جبلة الأبنائى وغلبته على عسكره ، دعا الفضل بن سهل ، فَعَقَدَ له في رَجَب من هذه السنة على المشرق^(١) ؛ من جبل هَمْدَان إلى جبل سِقِينان والتبّت طولاً ، ومن بحر فارس والهند إلى بحر الديلم وجُرْجان عَرْضاً ، وجعل عُمَاليه ثلاثة آلاف ألف درهم ، وعقد له لواء على سنان ذى شُعْبَتَيْن ، وأعطاه عَلَمًا ، وسماه ذا الرِياستين ؛ فذكر بعضهم أنه رأى سيفه عند الحسن بن سهل مكتوباً عليه بالفيضة من جانب : رياسة الحرب ، ومن الجانب الآخر : رياسة التدبير . فحمل اللواء على بن هشام ، وحمل العَلَمَ نُعَيم بن حازم ، وولّى الحسن بن سهل ديوان الخراج .

• • •

[ذكر خبر ولاية عبد الملك بن صالح على الشام]

وفي هذه السنة ولّى محمد بن هارون عبد الملك بن صالح بن على على الشام وأمره بالخروج إليها ، وفرض له من رجالها جنوداً يقاتل بها طاهراً وهرثمة .

• ذكر الخبر عن سبب توليته ذلك :

ذكر داود بن سليمان أن طاهراً لما قوى واستعلى أمره ، وهزَمَ من هزم من قوَّاد محمد وجيوشه ، دخل عبد الملك بن صالح على محمد — وكان عبد الملك محبوساً في حبس الرشيد ؛ فلما تَوَفَّى الرشيد ، وأفضى الأمر إلى محمد أمر

٨٤٢/٣

(١) ط : « الشرق » ، وما أثبتته من أ .

بتخلية سبيله ؛ وذلك في ذى القعدة سنة تسع وثلاثين ومائة ، فكان عبد الملك يشكر ذلك لمحمد ، ويوجب به على نفسه طاعته ونصيحته فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إننى أرى الناس قد طمعوا فيك وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك ، وقد بذلت سماحتك ؛ فإن أتممت على أمرك أفسدتهم وأبطرتهم ، وإن كفت أمرك عن العطاء والبذل أسخطتهم وأغضبتهم ؛ وليس تملك الجنود بالإمساك ، ولا يبق ثبوت الأموال على الإنفاق والسرف ؛ ومع هذا فإن جندك قد رعبتهم الهزائم ، ونهكتهم وأضعفتهم الحرب والوقائع ؛ وامتلأت قلوبهم هبةً لعلوهم ، ونكولاً عن لقائهم ومناهضتهم ؛ فإن سيرتهم إلى طاهر غلب بقليل ممن معه كثيرهم ، وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم ، وأهل الشام قوم قد ضرتهم الحروب ، وأدبتهم الشدائد ، وجلتهم منقاداً إلى ، مسارع إلى طاعتي ، فإن وجهنى أمير المؤمنين اتخذت له منهم جنداً تعظم نكايتهم في عدوه ، ويؤيد الله بهم أوليائه وأهل طاعته . فقال محمد : فإني موليك أمرهم ، ومقويك بما سألت من مال وعدة ، فعجل الشخوص إلى ما هنالك ؛ فاعمل عملاً يظهر أثره ، ويحمد بركته برأيك ونظرك فيه إن شاء الله . فولاه الشام والجزيرة ، واستحثه بالخروج استحثاً شديداً ، ووجهه معه كنفاً من الجند والأبناء .

• • •

وفي هذه السنة سار عبد الملك بن صالح إلى الشام ، فلما بلغ الرقة أقام بها . وأنفذ رسله وكتبه إلى رؤساء أجناد أهل الشام بجمع الرجال بها ، وإمداد محمد بهم لحرب طاهر .

• ذكر الخبر عن ذلك :

قد تقدم ذكرى سبب توجيه محمد إياه لذلك ؛ فذكر داود بن سليمان أنه لما قدم عبد الملك الرقة ، أنفذ رسالته ، وكتب إلى رؤساء أجناد الشام ووجه الجزيرة ، فلم يبق أحد ممن يرجى ويذكر بأسه وغناؤه إلا وعده وبسط له في أمله وأمنيته ، فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس ، وجماعة بعد جماعة ؛ فكان لا يدخل عليه أحد إلا أجازه وخلع عليه وحمله ؛ فأتاه أهل الشام : الزواquil والأعراب من كل فج ، واجتمعوا عنده حتى كثروا . ثم إن

بعض جند أهل خراسان نظر إلى دابة كانت أخذت منه في وقعة سليمان بن أبي جعفر تحت بعض الزواquil ، فتعلق بها ، فجرى الأمر بينهما إلى أن اختلفا ، واجتمعت جماعة من الزواquil والجند ، فتلاحموا ، وأعان كل فريق منهم صاحبه ، وتلاطموا وتضاربوا بالأيدي ، ومشى بعض الأبناء إلى بعض ، فاجتمعوا إلى محمد بن أبي خالد ، فقالوا : أنت شيخنا وفارسنا ، وقد ركب الزواquil منا ما قد بلغك ، فاجمع أمرنا وإلا استذلونا ، وطمعوا فينا ، وركبوا بمثل هذا في كل يوم . فقال : ما كنت لأدخل في شغب ، ولا أشاهدكم على مثل الحالة . فاستعد الأبناء وتهيئوا ، وأتوا الزواquil وهم غارون ، فوضعوا فيهم السيوف ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذبحوهم في رحاهم ، وتنادى الزواquil ، فركبوا خيولهم ، ولبسوا أسلحتهم ، ونشبت الحرب بينهم . وبلغ ذلك عبد الملك بن صالح ، فوجه إليهم رسولا يأمرهم بالكف ووضع السلاح ، فرموه بالحجارة ، واقتتلوا يومهم ذلك قتالا شديداً ، وأكثر الأبناء القتل في الزواquil ، فأخبر عبد الملك بكثرة من قتل — وكان مريضاً مدنفاً — فضرب يده على يد ، ثم قال : واذلته ! تستنصم العرب في دارها ومحلتها وبلادها ! فغضب من كان أمسك عن الشر من الأبناء ، ونشأ الأمر فيما بينهم ، وقام بأمر الأبناء الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ، وأصبح الزواquil فاجتمعوا بالرفقة ، واجتمع الأبناء وأهل خراسان بالرافقة ، وقام رجل من أهل حمص ، فقال : يا أهل حمص ، الحرب أهون من العطب ، والموت أهون من الذل ؛ إنكم بعدتم عن بلادكم ، وخرجتم من أقاليمكم ، ترجون الكثرة بعد القلة والعزة بعد الذلة ! ألا وفي الشر وقعة ، وإلى ^(١) حرومة الموت أنخم . إن المنايا في شوارب المسودة وقلانسهم . النفير النفير ، قبل أن ينقطع السيل ، رينزل الأمر الجليل ، ويفوت المطلب ، وينسر المذهب ^(٢) ، ويبعد العمل ، ويقرب الأجل !

٨٤٤/٣

وقام رجل من كلب في غرر ناقته ، ثم قال :

شُوبُوبُ حَرْبٍ خَابَ مِنْ يَصْلَاهَا قَدْ شَرَّعَتْ فُرْسَانُهَا قَنَاها

(١) ابن الأثير : « وفي » .

(٢) ابن الأثير : « المهرب » .

فَأَوْرَدَ اللَّهُ لَقْلَى لظَاهَا إِنْ غُمِرَتْ كَلْبٌ بِهَا لَحَاهَا
 ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ كَلْبٍ ؛ إِنَّهَا الرَّأْيَةَ السُّودَاءَ ؛ وَاللَّهُ مَا وَلَّتْ وَلَا عَدَلَتْ
 وَلَا ذَلَّ نَاصِرَهَا ^(١) ، وَلَا ضَعْفَ وَلِيَّهَا ، وَإِنِّكُمْ لَتَعْرِفُونَ مَوَاقِعَ سَيُوفِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ
 فِي رِقَابِكُمْ ، وَأَثَارَ أَسْنَتِهِمْ فِي صُدُورِكُمْ . اعْتَزَلُوا الشَّرَّ قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ ، وَتَخْطُوهُ
 قَبْلَ أَنْ يَضْطُرَّكُمْ . شَأْمُكُمْ شَأْمُكُمْ ، دَارُكُمْ دَارُكُمْ ! الْمَوْتُ الْفَلَسْطِينِي خَيْرٌ مِنْ
 الْعَيْشِ الْجَزَرِيِّ . أَلَا وَإِنِّي رَاجِعٌ ، فَمَنْ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ فَلْيَنْصِرِفْ مَعِيَ .

٨٤٥/٣

ثُمَّ سَارَ وَسَارَ مَعَهُ عَامَةُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَقْبَلَتِ الزَّوَاqِيلُ حَتَّى أَضْرَمُوا مَا كَانَ
 التَّجَارُ جَمَعُوا مِنَ الْأَعْلَافِ بِالنَّارِ ، وَأَقَامَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عِيسَى بْنُ مَاهَانَ
 مَعَ جَمَاعَةِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ وَالْأَبْنَاءِ عَلَى بَابِ الرَّافِقَةِ تَخَوُّفًا لَطُوقِ بْنِ مَالِكٍ .
 فَأَتَى طَوْقًا رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبٍ ، فَقَالَ : أَلَا تَرَى مَا لَقِيََتِ الْعَرَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ !
 انْهَضْ فَإِنَّ مِثْلَكَ لَا يَقْعُدُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، قَدْ مَدَّ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ أَعْيُنَهُمْ
 إِلَيْكَ ، وَأَمْتَدُّوا عَوْنَكَ وَنَصْرَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْ قَيْسِهَا وَلَا يَمْنِيهَا ؛
 وَلَا كُنْتُ فِي أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ لِأَشْهَدَ آخِرَهُ ؛ وَإِنِّي لِأَشَدَّ لِبَقَاءِ عَلَى قَوْيٍ ،
 وَأَنْظُرُ لِعَشِيرَتِي مَنْ أَنْ أَعْرِضَهُمْ لِلْهَلَاكِ بِسَبَبِ هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ مِنَ الْجُنْدِ وَجِهَالِ
 قَيْسٍ ، وَمَا أَرَى السَّلَامَةَ إِلَّا فِي الْإِعْتِزَالِ .

وَأَقْبَلَ نَصْرُ بْنُ شَيْثٍ فِي الزَّوَاqِيلِ عَلَى فَرَسٍ كُمَيْتٍ أَغْرَ ، عَلَيْهِ دِرَاعَةٌ
 سُودَاءٌ قَدْ رِبَطَهَا خُلْفَ ظَهْرِهِ ، وَفِي يَدِهِ رُمْحٌ وَتَرْسٌ ، وَهُوَ يَقُولُ :
 فُرْسَانُ قَيْسٍ أَضْمَدُنْ لِلْمَوْتِ لَا تُرْهِبُنِي عَنْ لِقَاءِ الْقَوْتِ
 • دَعَى التَّمَنَّى بِعَسَى وَلَكَيْتَ ^(٢) •

ثُمَّ حَمَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَصَبَرَ لَهُمُ الْجُنْدُ ، وَكَثُرَ
 الْقَتْلُ فِي الزَّوَاqِيلِ ، وَحَمَلَتِ الْأَبْنَاءُ حِمَالَتٍ ، فِي كُلِّهَا يَقْتُلُونَ وَيَجْرَحُونَ ؛ وَكَانَ
 أَكْثَرُ الْقَتْلِ وَالْبَلَاءِ فِي تِلْكَ الدَّفْعَةِ لِكَثِيرِ بْنِ قَادِرَةَ وَأَبِي الْفَيْلِ وَدَاوُدَ بْنِ مُوسَى
 ابْنِ عِيسَى الْخُرَّاسَانِي ، وَانْهَزَمَتِ الزَّوَاqِيلُ ، وَكَانَ عَلَى حَامِيَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ نَصْرُ
 ابْنِ شَيْثٍ وَعَمْرُو السُّلَمِيِّ وَالْعَبَّاسُ بْنُ زُفَرٍ .

(١) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : « نَصَرَهَا » .

(٢) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : التَّحْنَى .

وتوفّي في هذه السنة عبد الملك بن صالح .

• • •

[ذكر خلع الأمين والمبايعة للمأمون]

وفي هذه السنة خلع محمد بن هارون ، وأخذت عليه البيعة لأخيه عبد الله المأمون ببغداد .

وفيها حبس محمد بن هارون في قصر أبي جعفر مع أم جعفر بنت جعفر ابن أبي جعفر .

• ذكر الخبر عن سبب خلعه :

ذكر عن داود بن سليمان أنّ عبد الملك بن صالح لما توفّي بالرقّة ، نادى الحسين بن عليّ بن عيسى بن ماهان في الجند ، فصيّر الرّجالة في السفن والفرسان على الظهر ووصلهم ، وقوى ضعفاءهم ، ثم حملهم حتى أخرجهم من بلاد الجزيرة ؛ وذلك في سنة ست وتسعين ومائة .

وذكر أحمد بن عبد الله ، أنه كان فيمن شهد مع عبد الملك الجزيرة لما انصرف بهم الحسين بن عليّ ، وذلك في رجب من سنة ست وتسعين ومائة . وذكر أنه تلقاه الإبناء وأهل بغداد بالكرمة والتعظيم ، وضربوا له القباب ، واستقبله القواد والرؤساء والأشراف ، ودخل منزله في أفضل كرامة وأحسن هيئة ؛ فلما كان في جوف الليل بعث إليه محمد يأمره بالركوب إليه ؛ فقال للرسول : والله ما أنا بمغتن ولا بمسامر ولا مضحك ؛ ولأولييت له عملا ، ولا جرى له على يدى مال ؛ فلائى شيء يريدنى في هذه الساعة ! انصرف ؛ فإذا أصبحت غدوت إليه إن شاء الله .

فانصرف الرسول ، وأصبح الحسين قوافى باب الجسر ، واجتمع إليه الناس ، فأمر بإغلاق الباب الذى يخرج منه إلى قصر عبد الله^(١) بن عليّ وباب سوق يحيى ، وقال : يا معشر الأبناء ؛ إن خلافة الله لا تجاور بالبطر ، ونعمته

(١) ط : « عبيد الله » ، وهو عبد الله بن علي بن عيسى بن ماهان ؛ وانظر ص ٤١٢ .

لا تستصحب بالتجبر والتكبر ؛ وإن محمداً يريد أن يوتغ أديانكم ، وينكت بيعتكم ، ويفرق جمعكم ؛ وينقل عزكم إلى غيركم ؛ وهو صاحب الزواويل بالأمس ، وبالله إن طالت به مدة وراجعه من أمره قوة ، ليرجعن وبال ذلك عليكم ؛ وليعرفن ضرره ومكروهه في دولتكم ودعوتكم ؛ فاقطعوا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصرٌ إلا خذل ، ولا يمنعه مانع إلا قُتِل ؛ وما عند الله لأحد هودة ، ولا يراقب على الاستخفاف بعهوده والحنث بإيمانه . ثم أمر الناس بعبور البحر فعبروا ؛ حتى صاروا إلى سكة باب خراسان ؛ واجتمعت الحربية وأهل الأرباض مما يلي باب الشام ، [وباب الأنبار وشط الصراة مما يلي باب الكوفة] ^(١) . وتسرعت خيول من خيول محمد من الأعراب وغيرهم إلى الحسين بن علي ؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً ملياً من النهار ، وأمر الحسين مَنْ كان معه من قواده وخاصة أصحابه بالتزول إليهم بالسيف والرمح ، وصدّقوهم القتال ، وكشفوهم حتى تفرّقوا عن باب الخلد .

قال : فخلع الحسين بن عليّ محمداً يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلّت من رجب سنة ست وتسعين ومائة ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون من غد يوم الاثنين إلى الليل ، وغدا إلى محمد يوم الثلاثاء ، فوثب بعد الواقعة التي كانت بين الحسين وبين أصحاب محمد العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي على محمد ، ودخل عليه فأخرجه من قصر الخلد إلى قصر أبي جعفر ، فحبسه هناك إلى صلاة الظهر ، ثم وثب العباس بن موسى بن عيسى على أمّ جعفر فأمرها بالخروج من قصرها إلى مدينة أبي جعفر ، فأبت ، فدعا لها بكرسي ، وأمرها بالجلوس فيه ، فقنعها بالسوط وساءها ، وأغلظ لها القول ، فجلست فيه ، ثم أمر بها فأدخلت المدينة مع ابنها وولدها . فلما أصبح الناس من الغد طلبوا من الحسين بن عليّ الأرزاق وماج الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد بباب الشام ، فقال : أيها الناس ؛ والله ما أدرى بأي سبب يتأمر الحسين بن عليّ علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ! ما هو بأكبرنا سنّاً ، ولا أكرمنا حسباً ، ولا أعظمنا منزلة ، وإن فينا مَنْ لا يرضى بالدينية ، ولا يقاد بالمخادعة ؛

وإني أوتلكم نقضَ عهده، وأظهر التغيير^(١) عليه، والإنكار لفعله ؛ فمن كان رأيه رأبي فليعتزل معي .

وقام أسد الحربى، فقال : يا معشر الحربيّة، هذا يوم له ما بعده ، إنكم قد نتمّ وطال نومكم ، وتأخّرتُم فقدّم عليكم غيركم ، وقد ذهب أقوام بذكر خلع محمد وأسرّه ، فاذهبوا بذكر فكته وإطلاقه .

فأقبل شيخ كبير من أبناء الكفاية^(٢) على فرّس ، فصاح بالناس : اسكتوا ، فسكتوا ، فقال : أيّها الناس ، هل تعتدون على محمد بقطع منه لأرزاقكم ؟ قالوا : لا ، قال : فهل قصّر بأحد منكم أو من رؤسائكم وكبرائكم ؟ قالوا : ما علمنا ، قال : فهل عزل أحداً من قوّادكم ؟ قالوا : معاذ الله أن يكون فعل ذلك ! قال : فما بالكم خذلتُموه وأعتستم عدوه على اضطهاده وأسرّه ! أما والله ما قتلتُ قومٌ خليفَتهم قطّ إلا سلّط الله عليهم السيف القاتل ، والخنف الجارف ؛ انهضوا إلى خليفَتكم وادفعوا عنه ، وقاتلوا مَنْ أراد خلعه والفتك به . ونهضت الحربيّة ، ونهض معهم عامّة أهل الأرباض في المشهّرات والعُدّة الحسنة . فقاتلوا الحسين بن على وأصحابه قتالاً شديداً منذ ارتفاع النهار إلى انكسار الشمس ، وأكثروا في أصحابه الجراح ، وأمير الحسين بن على ، ودخل أسد الحربى على محمد ، فكسر قيوده وأقعده في مجلس الخلافة ؛ فنظر محمد إلى قوم ليس عليهم لباس الحرب والجند ، ولا عليهم سلاح ؛ فأمرهم فأخذوا من السلاح الذى فى الخزائن حاجتَهم ووعدهم ومناهم ، وانتهب الغوغاء بذلك السبب سلاحاً كثيراً ومتاعاً من خبزٍ وغير ذلك ؛ وأتى بالحسين بن على ، فلامه محمد على خلافه وقال له : ألم أقدم أباك على الناس ، وأوله أعنة الخيل وأملأ يده من الأموال ؛ وأشرف أقداركُم فى أهل خراسان ، وأرفع منازلكم على غيركم من القوّاد ! قال : بلى ، قال : فما الذى استحققتُ به منك أن تخلع طاعنى ، وتولّب الناس على ، وتندبهم إلى قتالى ! قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين وحسن الظن بصفحه وتفضله . قال : فإن أمير المؤمنين قد فعل ذلك بك ، وولاك الطلب بثأرك ، ومن قتل من أهل بيتك . ثم دعا له بخيلعة فخلعها

٨٤٩/٣

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « التغيير » . (٢) ١ : « الكعبة » .

عليه ، وحمله على مراكب ، وأمره بالمسير إلى حلوان ، وولاه ما وراء بابه .
 وذكر عن عثمان بن سعيد الطائي ، قال : كانت لي من الحسين بن علي^{٨٥٠/٣}
 ناحية خاصة ، فلما رضى عنه محمد ، ورد إليه قيادته ومتركته ، عبرت
 إليه مع المهنيين ، فوجدته واقفاً بباب الجسر ، فهنأته ودعوت له ، ثم قلت له :
 إنك قد أصبحت سيد العسكرين ، وثقة أمير المؤمنين ، فأشكر العفو والإقالة ،
 ثم داعبته ومازحته ، ثم أنشأت أقول :

هم قتلوه حين تمّ تمامه وصار معزاً بالندى والتمجيد
 أغر كأن البدر سنة وجهه إذا جاء بمشى في الحديد المسرد
 إذا جشأت نفس الجبان وهلت مضى قدماً بالمشرق المهند
 حلیم لدى النادى جهول لدى الوعى عكور على الأعداء قليل التزید
 فشارك أدركه من القوم إنهم رموك على عمد بشنعا مزید

فضحك ، ثم قال : ما أحرصنى على ذاك إن ساعدنى عمر ، وأيدت
 بفتح ونصر . ثم وقف على باب الجسر ، وهرب فى نفر من خدمه وماليه ،
 فنادى محمد فى الناس ، فركبوا فى طلبه ، فأدركوه بمسجد كوثر ، فلما بصر
 بالخیل نزل وقيد فرسه ، وصلى ركعتين وتحرم ، ثم لقيهم فحمل عليهم حملات
 فى محلها يهزمهم ويقتل فيهم . ثم إن فرسه عثر به وسقط ، وابتدره الناس^{٨٥١/٣}
 طعنوا وضربوا وأخذوا رأسه ، وفى ذلك يقول على بن جبلة - وقيل الحریمی^(١) :

ألا قاتل الله الألى كفروا به وفازوا برأس الهرثمى حسين
 لقد أوردوا منه قنأ صليبة بشطب يمانى ورمح ردينى
 رجا فى خلاف الحق عزاً وامرأة فالبسهُ التاميل خف حنين

وقيل : إن محمداً لما صفح عن الحسين استوزره ودفع إليه خاتمه .

وقتل الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان للنصف من رجب من هذه

(١) ط : « الخزيمى » ، بالزاي ، تحريف ، وهو أبو يعقوب إتحاق بن حسان الشاعر ،

منسوب إلى خريم بن عامر المرى . تاريخ بغداد ٦ : ٣٢٦ .

السنة في مسجد كوثر ، وهو على فرسخ من بغداد في طريق النهرين .
 وجدّ البيعة لمحمد يوم الجمعة لست عشرة خلت من رجب من هذه السنة ،
 وكان حبس الحسين محمداً في قصر أبي جعفر يومين .
 وفي الليلة التي قتل فيها حسين بن عليّ هرب الفضل بن الربيع .
 وفي هذه السنة توجه طاهر بن الحسين حين قدم عليه هزيمة من حُلوان إلى
 الأهواز ، فقتل عامل محمد عليها ، وكان عامله عليها محمد بن يزيد المهلبيّ
 بعد تقديم طاهر جيوشاً أمامه إليها قبل انفصاله إليه لحربه .

• • •

ذكر الخبر عن مقتل محمد بن يزيد المهلبيّ ودخول
 طاهر إلى الأهواز

ذكر عن يزيد بن الحارث ، قال : لما نزل طاهر شلاشان ، وجه الحسين
 ابن عمر الرستمى إلى الأهواز ، وأمره أن يسير سيراً مقتصداً ، ولا يسير إلا
 بطلائع ، ولا ينزل إلا في موضع حصين يأمن فيه على أصحابه . فلما توجه أتت
 طاهراً عيونته ، فأخبروه أن محمد بن يزيد المهلبيّ — وكان عاملاً لمحمد على الأهواز —
 قد توجه في جمع عظيم يريد نزول جندى سابور — وهو حد ما بين الأهواز
 والجل — ليحمي الأهواز ، ويمنع من أراد دخولها من أصحاب طاهر ؛ وإنه في عدة
 وقوة ، فدعا طاهر عدة من أصحابه ؛ منهم محمد بن طالوت ومحمد بن
 العلاء والعباس بن بخاراخذاه والحارث بن هشام وداود بن موسى وهادى بن
 حفص ، وأمرهم أن يكملوا السير^(١) حتى يتصل أولهم بأخر أصحاب الحسين بن
 عمر الرستمى ، فإن احتاج إلى إمداد أمدّوه ، أو لقيه جيش كانوا ظهراً له .
 فوجه تلك الجيوش ، فلم يلتقهم أحد حتى شارفوا الأهواز .

٨٥٢/٣

وبلغ محمد بن يزيد خبرهم ، فعرض أصحابه ، وقوى ضعفاءهم ، وحمل
 الرجال على البغال ، وأقبل حتى نزل سوق عسكر مكرم ، وصير العمران والماء
 وراء ظهره ، وتخوف طاهر أن يعجل إلى أصحابه ، فأمدّهم بقريش بن
 شبل ، وتوجه هو بنفسه حتى كان قريباً منهم ، وجه الحسن بن عليّ المأمونى ،

(١) أن يكملوا السير ، أى أن يسرعوا .

وأمره بمضامة قريش بن شبل والحسين بن عمر الرستمي ، وسارت تلك العساكر حتى قاربوا محمد بن يزيد بعسكر مكرم ؛ فجمع أصحابه فقال : ما ترون ؟ ٨٥٣/٣
أطاول القوم القتال وأماطلهم اللقاء ، أم أناجزهم كانت لي أم علي ؟ فوالله ما أرى أن أرجع إلى أمير المؤمنين أبداً ، ولا أنصرف عن الأهواز ، فقالوا له : الرأي أن ترجع إلى الأهواز ؛ فتتحصن بها وتغادى طاهراً القتال وتبعث إلى البصرة فتفرض بها الفروض ، وتستجيش من قدرت عليه وتابعك من قومك . فقبل ما أشاروا عليه ، وتابعه قومه ، فرجع حتى صار بسوق الأهواز . وأمر طاهر قريش بن شبل أن يتبعه ، وأن يعاجله قبل أن يتحصن بسوق الأهواز ، وأمر الحسن بن علي المأموني والحسين بن عمر الرستمي أن يسيرا بعقبه ^(١) ؛ فلأن احتاج إلى معاونتهما أعاناه . ومضى قريش بن شبل يقفو محمد بن يزيد ، كلما ارتحل محمد بن يزيد من قرية نزها قريش ؛ حتى صاروا إلى سوق الأهواز .

وسبق محمد بن يزيد إلى المدينة فدخلها ، واستند إلى العمران ، فصيروه وراء ظهره ، وعبى أصحابه ، وعزم على مواقعتهم ؛ ودعا بالأموال فصبت بين يديه ، وقال لأصحابه : من أحب منكم الجائزة والمنزلة فليعرفني أثره . وأقبل قريش بن شبل حتى صار قريباً منه ، وقال لأصحابه : الزموا مواضعكم ومصافكم ، وليكن أكثر ما قاتلتهم وأنتم مريحون ، فقاتلوهم بنشاط وقوة ؛ فلم يبق أحد من أصحابه إلا جمع بين يديه ما قدر عليه من الحجارة ، فلم يعبر إليهم محمد بن يزيد ، حتى أوهنهم بالحجارة ، وجرحهم جراحات كثيرة بالنشاب ، وعبرت طائفة من أصحاب محمد بن يزيد ، فأمر قريش أصحابه أن ينزلوا إليهم فنزلوا إليهم ، فقاتلوهم قتالاً شديداً حتى رجعوا ، وتراد الناس بعضهم إلى بعض . والتفت محمد بن يزيد إلى نفر كانوا معه من مواليه ؛ فقال : ما رأيكم ؟ قالوا : ٨٥٤/٣
فماذا ؟ قال : إني أرى من معي قد انهزم ، ولست آمن من خذلانهم ، ولا أمل رجعتهم ، وقد عزمت على النزول والقتال بنفسي ، حتى يقضى الله ما أحب ، فن أراد منكم الانصراف فليصرف ؛ فوالله لأن تبقوا أحب إلى من أن تعطبوا وتهلكوا . فقالوا : والله ما أنصفناك ، إذآ تكون أعقتنا من الرق

ورفعتنا من الضمة ، ثم أغنيتنا بعد القيلة ، ثم نخذلك على هذه الحال ؛ بل تقدم
أمامك وغوت تحت ركابك ؛ فلعن الله الدنيا والعيش بعدك . ثم نزلوا فغرقوا
دوابهم ، وحملوا على أصحاب قريش حملةً منكراً ، فأكثروا فيهم القتل ،
وشدحهم بالحجارة وغير ذلك ؛ وانتهى بعض أصحاب طاهر إلى محمد بن يزيد ،
فطعنه بالرمح فصرعه ؛ وتبادروا إليه بالضرب والطعن حتى قتلوه ؛ فقال بعض
أهل البصرة يرثيه ، ويذكر مقتله :

مَنْ ذاقَ طعمَ الرُّقَادِ مِنْ فَرَحٍ فَإِنِّي قَدْ أَضَرُّ بِى سَهْرِي
وَلَيْ فَنَى الرُّشْدِ فَافْتَقَلْتُ بِهِ قَلْبِي وَسَمْعِي وَغَرْنِي بِصَرِي^(١)
كَانَ غِيَاثًا لَدَى الْمُحُولِ فَقَدْ وَلَيْ غَمَامُ الرَّبِيعِ وَالْمَطَرِ
وَفِي الْعَيْبِنِيِّ لِلْإِمَامِ وَلَمْ^(٢) يُرْهِبُهُ وَقَعُ الْمُشْطَبِ الذِّكْرِ
مَآوَرِ رَبِّ الْمَنُونِ ذَاهِبَةً لَوْلَا خُضُوعُ الْعِبَادِ لِلْقَدَرِ
فَامِضٍ حَمِيدًا فَكُلُّ ذِي أَجَلٍ يَسْعَى إِلَى مَا سَعَيْتَ بِالْأَثَرِ

وقال بعض المهالبة ؛ وجرح في تلك الواقعة جراحات كثيرة وقطعت يده :

فَمَا لَمْتُ نَفْسِي غَيْرَ أَنِّي لَمْ أُطِقْ^(٣) حَرًّا كَمَا وَأَنَّى كُنْتُ بِالضَّرْبِ مَشْغَنًا
وَلَوْ سَلِمْتُ كَفَّائَ قَاتَلْتُ دُونَهُ وَضَارَبْتُ عَنْهُ الطَّاهِرِيَّ الْمُلْعَنًا
فَتَّى لَا يَرَى أَنْ يَخْذِلَ السِّيفُ فِي الْوَعْيِ إِذَا أَدْرَعَ الْهَيْجَاءَ فِي النِّقْعِ وَاسْتَنَى
وذكر عن الهيثم بن عدي ، قال : لما دخل ابن أبي عيينة على طاهر
فأنشده قوله :

مَنْ آتَمَتَهُ الْبِلَادُ لَمْ يَرَمَ مِنْهَا وَمَنْ أَوْحَشَتْهُ لَمْ يُقَمِ
حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

مَا سَاءَ ظَنِّي إِلَّا لَوَاحِدَةٍ فِي الصَّدْرِ مَحْصُورَةٍ عَنِ الْكَلِمِ
فَتَبَسَّ طَاهِرٌ ، ثُمَّ قَالَ : أما والله لقد ساءني من ذلك ما ساءك ، وآلني
ما آلك ؛ وانتد كنت كارهاً لما كان ، غير أن الحنف واقع ، والمنايا نازلة ،

(١) ط : « وعزى » . (٢) أ : « العتيكى » . (٣) ط : « أنى » ، وصوابه من أ .

ولا بدّ من قَطْع الأواصر والتنكّر^(١) للأقارب في تأكيد الخلافة، والقيام بحقّ الطاعة ؛ فظننّا أنه يريد محمد بن يزيد بن حاتم .

وذكر عمر بن أسد ، قال : أقام طاهر بالأهواز بعد قتله محمد بن يزيد ابن حاتم ، وأنفذ عمّاله في كدورها ، وولّى على اليمامة والبحرين وعمان مماليك الأهواز ، ومماليك عمل البصرة ، ثم أخذ على طريق البرّ متوجّهاً إلى واسط ، وبها يومئذ السندى بن يحيى بن الحرثيّ والهيثم خليفة خزيمه بن خازم ؛ فجعلت المسالحيّ والعمال تنفقوا ، مسلحة مسلحة ، وعاملاً عاملاً ، كلّما قرب طاهر منهم تركوا أعمالهم وهربوا عنها ؛ حتى قرب من واسط ، فنادى السندى بن يحيى والهيثم بن شعبة في أصحابهما ، فجمعاهم إليهما ؛ وهما بالقتال ، وأمر الهيثم بن شعبة صاحب مراكبه أن يسرج له دوابه ، فقرب إليه فرساً ، فأقبل يقسم طرفه بينهما ، واستقبلته عدّة ، فرأى المراكبيّ التغيّر والفرع في وجهه فقال : إنّ أردت الحرب فعليك بها ؛ فإنها أبسط في الرّكض ، وأقوى على السفر . فضحك ثم قال : قرب فرس الحرب ؛ فإنه طاهر ، ولا عار علينا في الحرب منه ، فتركوا واسطاً ، وهربوا عنها . ودخل طاهر واسطاً ، وتخوّف إن سبق الهيثم والسندى إلى فم الصّليح فيتحصّنوا بها . فوجه محمد بن طالوت ، وأمره أن يبادرهما إلى فم الصّليح ، ويمنعهما من دخولها إن أرادا ذلك ، ووجه قائداً من قوّاده يقال له أحمد بن المهلب نحو الكوفة ، وعليها يومئذ العباس بن موسى الهادي ؛ فلمّا بلغ العباس خبر أحمد بن المهلب خاع محمداً ، وكتب بطاعته إلى طاهر وبيعهته للمأمون ؛ ونزلت خيل طاهر فم النيل ، وغلب على ما بين واسط والكوفة ، وكتب المنصور بن المهديّ - وكان عاملاً لمحمد على البصرة - إلى طاهر بطاعته ، ورحل طاهر حتى نزل طرنايا ؛ فأقام بها يومين فلم يرهما موضعاً للعسكر ، فأمر بجسر فعقد وخندق له ، وأنفذ كتبه بالتولية إلى العمال .

وكانت بيعة المنصور بن المهديّ بالبصرة وبيعة العباس بن موسى الهادي

بالكوفة ، وبيعة المطلب بن عبد الله بن مالك بالموصل للمأمون ، وخلعهم محمداً في رجب من سنة ست وتسعين ومائة .

وقيل : إن الذي كان على الكوفة حين نزل طاهر من قبل محمد الفضل بن العباس بن موسى بن عيسى .

ولما كتب من ذكرت إلى طاهر ببيعته للمأمون وخلعهم محمداً ، أقرهم طاهر على أعمالهم ، ولحق داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي مكة والمدينة ، ويزيد بن جرير البجليّ اليَمَن ، ووجه الحارث بن هشام وداود ابن موسى إلى قصر ابن هبيرة .

• • •

[ذكر خبر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرى]

وفي هذه السنة أخذ طاهر بن الحسين من أصحاب محمد المدائن ؛ ثم صار منها إلى صرصر ، فعقد جسراً ، ومضى إلى صرصر .

• ذكر الخبر عن سبب دخوله المدائن ومصيره إلى صرصر :

ذكر أن طاهراً لما وجهه إلى قصر ابن هبيرة الحارث بن هشام وداود بن موسى ، وبلغ محمداً خبراً عاملاً بالكوفة وخلعه إياه وبيعه للمأمون ، وجهه محمد ابن سليمان القائد ومحمد بن حماد البربري ، وأمرهما أن يبيتا الحارث وداود بالقصر ، فقبل لهما : إن سلكتما الطريق الأعظم لم يخف ذلك عليهما ؛ ولكن اختصر الطريق إلى فم الجامع ، فإنه موضع سوق ومعسكر ، فانزلاه وبيتاهما إن أردتما ذلك ، وقد قربتا منهما ، فوجهتا الرجال من الياسرية إلى فم الجامع . وبلغ الحارث وداود الخبر ، فركبا في خيل مجرد ، وتهيأ للرجالة ، فعبرا من مخاضة في سُروراء إليهم ؛ وقد نزلوا إلى جنبها ، فأوقعا بهم وقعة شديدة . ووجه طاهر محمد بن زياد ونصير بن الخطاب مدداً للحارث وداود ، فاجتمعت العساكر بالجامع ، وساروا حتى لقوا محمد بن سليمان ومحمد بن حماد فيما بين نهر درقيط والجامع ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وانهزم أهل بغداد ، وهرب

محمد بن سليمان حتى صار إلى قرية شاهي ، وعبر الفرات ، وأخذ على طريق البرية إلى الأنبار ، ورجع محمد بن حماد إلى بغداد ، وقال أبو يعقوب الحريري في ذلك :

هُمَا عَدَاوًا بِالنَّكَثِ كَيَّ يَصْدَعَا بِهِ صَفَا الْحَقِّ فَانْفِضَا بِجَمْعٍ مُبَدَّدٍ
وَأَفْلَتْنَا ابْنَ الْبَرْبَرِيِّ مُضْمَرٌ مِنَ الْخَيْلِ يَسْمُو لِلْجِيَادِ وَيَهْتَدِي^(١)

وذكر يزيد بن الحارث ، أن محمد بن حماد البربري لما دخل بغداد ، وجّه محمد الخلويع الفضل بن موسى بن عيسى الهاشمي إلى الكوفة ، وولاه عليها ، وضم إليه أبا السلاسل وإياس الحرايبي وجمهورا النجاري ، وأمره بسرعة السير ، فتوجه الفضل ، فلما عبر نهر عيسى عثر به فرسه ، فتحوّل منه إلى غيره وتطيّر ، وقال : اللهم إني أسألك بركة هذا الوجه . وبلغ طاهراً الخبر ، فوجه محمد بن العلاء ، وكتب إلى الحارث بن هشام وداود بن موسى بالطاعة له ، فلقى محمد بن العلاء الفضل بقرية الأعراب ، فبعث إليه الفضل : إني سامع مطيع لطاهر ؛ وإنما كان مخرجي بالكيد مني لمحمد ؛ فخلّ لي الطريق حتى أصير إليه ، فقال له محمد : لست أعرف ما تقول ولا أقبله ولا أنكره ؛ فإن أردت الأمير طاهراً فارجع وراءك ؛ فخذ أسهل الطريق وأقصدها ، فرجع وقال محمد لأصحابه : كونوا على حذر ؛ فإنني لست آمن مكرّ هذا ؛ فلم يلبث أن كبر وهو يرى أن محمد بن العلاء قد أمّنته ، فوجهه على عدة وأهبة ؛ واقتتلوا كأشد ما يكون من القتال ، وكبأ بالفضل فرسه ؛ فقاتل عنه أبو السلاسل حتى ركب ، وقال : أذكر هذا الموقف لأمر المؤمنين . وحمل أصحاب محمد ابن العلاء على أصحاب الفضل فهزموه ، ولم يزالوا يقتلونهم إلى كوثي ، وأمير في تلك الوقعة إسماعيل بن محمد القرشي وجمهور النجاري ، وتوجه طاهر إلى المدائن ، وفيها جند كثير من خيول محمد ؛ عليهم البرمكي قد تحصن بها ، والمدد يأتيه في كل يوم ، والصّلات والخلع من قبيل محمد . فلما قرب طاهر من المدائن — وكان منها على رأس فرسخين — نزل فصلى ركعتين ، وسبح فأكثر التسبيح ، فقال : اللهم إنا نسألك نصراً كنصرك المسلمين يوم المدائن . ووجه

(١) ١ : « يسمو للحياد » .

الحسن بن عليّ المأمونيّ وقريش بن شبل ، ووجه الهادي بن حفص على مقدّمته وسار . فلما سمع أصحاب البرمكيّ صوت طبوله ، أسرجوا الدواب ، وأخذوا في تعبيتهم ، وجعل منّ في أوائل الناس ينضمّ إلى أواخرهم ، وأخذ البرمكيّ في تسوية الصفوف ؛ فكلّموا سوّى صفّاً انتقض واضطرب عليه أمرهم ، فقال : اللهمّ إنا نعوذ بك من الخذلان ؛ ثمّ التفت إلى صاحب ساقته ، فقال : خلّ سبيل الناس ؛ فإنّي أرى جنداً لا خير عندهم ؛ فركب بعضهم بعضاً نحو بغداد ، فترل طاهر المدائن ، وقدّم منها قريش بن شبل والعباس بن بخار اخذاه إلى الدرزيّجان ، وأحمد بن سعيد الحرشيّ ونصر بن منصور بن نصر بن مالك معسكران بنهر دياثي ، فتنعا أصحاب البرمكيّ من الجواز إلى بغداد ، وتقدّم طاهر حتّى صار إلى الدرزيّجان حيال أحمد ونصر بن منصور ، فسير إليهما الرجال ، فلم يجز بينهما كثير قتال حتّى انهزموا ، وأخذ طاهر ذات اليسار إلى نهر صرصر ، فعقد بها جسراً ونزلها .

٨٦٠/٣

* * *

[ذكر خبر خلع داود بن عيسى الأمين]

وفي هذه السنة خلع داود بن عيسى عامل مكة والمدينة محمداً— وهو عامله يومئذ عليهما — وبابيع للمأمون ، وأخذ البيعة بهما على الناس له ؛ وكتب بذلك إلى طاهر والمأمون ؛ ثمّ خرج بنفسه إلى المأمون .

• ذكر الخبر عن ذلك وكيف جرى الأمر فيه :

ذكر أنّ الأمين لما أفضت الخلافة إليه ، بعث إلى مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، وعزل عامل الرّشيد على مكة ؛ وكان عامله عليها محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزوميّ ، وكان إليه الصلاة بها وأحداثها والقضاء بين أهلها ؛ فعزل محمد عن ذلك كلّ بداد داود ابن عيسى ؛ سوى القضاء فإنه أقرّه على القضاء . فأقام داود والياً على مكة والمدينة لمحمد ، وأقام للناس أيضاً الحجّ سنة ثلاث وأربع وخمس وتسعين ومائة ، فلما دخلت سنة ست وتسعين ومائة ، بلغه خلع عبد الله المأمون أخاه ،

٨٦١/٣

وما كان فعل طاهر بقواد محمد ، وقد كان محمد كتب إلى داود بن عيسى بأمره بخلق عبد الله المأمون والبيعة لابنه موسى ، وبعث محمد إلى الكتائبين اللذين كان الرشيد كتبهما وعلقهما في الكعبة فأخذهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكعبة والقرشيين والفقهاء ومن كان شهد على ما في الكتائبين من الشهود - وكان داود أحدهم - فقال داود : قد علمتم ما أخذنا علينا وعليكم الرشيد من العهد والميثاق عند بيت الله الحرام حين بايعنا لابنائه ؛ لتكونن مع المظلوم منهما على الظالم ، ومع المبغي عليه على الباغي ، ومع المغدور به على الغادر ؛ فقد رأينا ورأيتم أن محمداً قد بدأ بالظلم والبغي والغدر على أخويه عبد الله المأمون والقاسم المؤتمن ، وخلصتهما وبايع لابنه الطفل ؛ رضيع صغير لم يفطم ، واستخرج الشرطين من الكعبة عاصياً ظالماً ، فحرقهما بالنار . وقد رأيت خلعه ، وأن أبايع لعبد الله المأمون بالخلافة ؛ إذ كان مظلوماً مبيعاً عليه . فقال له أهل مكة : رأينا تبعاً لرأيك ، ونحن خالعه معلنك ؛ فوعدهم صلاة الظهر ؛ وأرسل في فجاج^(١) مكة صائحاً يصيح : الصلاة جامعة ! فلما جاء وقت صلاة الظهر - وذلك يوم الخميس لسبع وعشرين ليلة خلت من رجب سنة ست وتسعين ومائة - خرج داود بن عيسى ، فصلّى بالناس صلاة الظهر ، وقد وضع له المنبر بين الركن والمقام ، فصعد فجلس عليه ، وأمر بوجوه الناس وأشرفهم فقرأوا من المنبر ؛ وكان داود خطيباً فصيحاً جهير الصوت ؛ فلما اجتمع الناس قام خطيباً ، فقال :

٨٦٢/٣

الحمد لله مالك الملك ؛ يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعزّز من يشاء ويذلّ من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمة للعالمين ، صلّى الله عليه في الأولين والآخرين . أما بعد يا أهل مكة ؛ فأنتم الأصل والفرع ، والعشيرة والأسرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم نفذ وفد الله ، وإلى قبلتكم يأتيتم المسلمون ، وقد علمتم ما أخذ عليكم الرشيد هارون رحمة الله عليه وصلاته حين بايع لابنائه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق

(١) : ١ « إلى حجاج » .

لتنصُرَنَّ المظلومَ منهما على الظالم ، والمبغىَّ عليه على الباغي ، والمغدورَ به على الغادر ؛ ألا وقد علمتم وعلمنا أن محمد بن هارون قد بدأ بالظلم والبغي والغدر ، وخالف الشروط التي أعطاهَا من نفسه في بطن البيت الحرام ؛ وقد حلَّ لنا ولكم خلعه من الخلافة وتصييرها إلى المظلومِ المبغىَّ عليه المغدور به . ألا وإني أشهدكم أني قد خلعت محمد بن هارون من الخلافة كما خلعت قلنسوتي هذه من رأسي - وخلع قلنسوته عن رأسه فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من برود حبرة مسلسلة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلبسها - ثم قال : قد بايعتُ لعبد الله عبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة لخليفتكم .

فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر، رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة ، وخلعَ محمدًا ، ثم نزل عن المنبر ، وحانت صلاة العصر ، فصلتني بالناس ، ثم جلس في ناحية المسجد ، وجعل الناس يبايعونه جماعةً بعد جماعةً ؛ يقرأ عليهم كتاب البيعة ، ويصافحونه على كفه ، ففعل ذلك أيامًا .

٨٦٣/ ٣

وكتب إلى ابنه^(١) سليمان بن داود بن عيسى وهو خليفته على المدينة ، يأمره أن يفعل بأهل المدينة مثل ما فعل هو بأهل مكة ؛ من خلعَ محمد والبيعة لعبد الله المأمون . فلما رجع جواب البيعة من المدينة إلى داود وهو بمكة ، رحل من فوره بنفسه وجماعة من ولده يريد المأمون بمَرَوْ على طريق البصرة ، ثم على فارس ، ثم على كَرْمَان ؛ حتى صار إلى المأمون بمَرَوْ ، فأعلمه ببيعته وخلعه محمدًا ومسارة أهل مكة وأهل المدينة إلى ذلك ؛ فسرَّ بذلك المأمون ، وتيمَنَ ببركة مكة والمدينة ؛ إذ كانوا أوَّل من بايعه ، وكتب إليهم كتابًا لِيَسْنَا لطيفًا يَعِدُهُم فيه الخير ، ويبسط أملهم . وأمر أن يُكتب لداود عهد على مكة والمدينة وأعمالها من الصلاة والمعاون والحباية ، وزيد له ولاية عكَّ ، وعقد له على ذلك ثلاثة ألوية ، وكتب له إلى الرى بمعونة خمسمائة ألف درهم ، وخرج داود بن عيسى مسرعًا مُغْذًا مبادرًا لإدراك الحج ، ومعه ابن أخيه العباس بن موسى ابن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وقد عقد

(١) ساقطة من ط .

المأمون للعباس بن موسى بن عيسى على ولاية الموسم ، فسار هو وعمه داود حتى نزلا بغداد على طاهر بن الحسين ، فأكرمهما وقربهما ، وأحسن معونتهما ، ووجهه معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، وقد عقد له طاهر على ولاية اليمن ، وبعث معه خيلاً كثيفة ، وضمن لهم يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري أن يستميل قومه وعشيرته من ملوك أهل اليمن وأشrafهم ؛ ليخلعوا محمداً ويباعوا عبد الله المأمون .

فساروا جميعاً حتى دخلوا مكة . وحضر الحج ، فحج بأهل الموسم العباس ابن موسى بن عيسى ؛ فلما صدروا عن الحج انصرف العباس حتى أتى طاهر ابن الحسين — وهو على حصار محمد — وأقام داود بن عيسى على عمله بمكة والمدينة ؛ ومضى يزيد بن جرير إلى اليمن ، فدعا أهلها إلى خلع محمد وبيعة عبد الله على المأمون ، وقرأ عليهم كتاباً من طاهر بن الحسين يعدّهم العدل والإنصاف ، ويرغبهم في طاعة المأمون ، ويعلمهم ما بسط المأمون من العدل في رعيته ؛ فأجاب أهل اليمن إلى بيعة المأمون ، واستبشروا بذلك ، وبايعوا للمأمون ، وخلعوا محمداً ، فسار فيهم يزيد بن جرير بن يزيد بأحسن سيرة ، وأظهر عدلاً وإنصافاً ، وكتب بإجابتهم وبيعتهم إلى المأمون وإلى طاهر ابن الحسين .

• • •

وفي هذه السنة عقد محمد في رجب وشعبان منها نكحاً من أربعائة لواء لقواد شتى ، وأمر على جميعهم على بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة بن أعين ، فساروا فالتقوا بجملتنا في رمضان على أميال من النهروان ، فهزمهم هرثمة ، وأمر على بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وبعث به هرثمة إلى المأمون ، وزحف هرثمة فنزل النهروان .

• • •

[ذكر خبر شغب الجند على طاهر بن الحسين]

وفي هذه السنة استأمن إلى محمد من طاهر جماعة كثيرة ، وشغب الجند ٨٦٥/٣

على طاهر ، ففرّق محمد فيمن صار إليه من أصحاب طاهر مالا عظيماً ، وقوّد رجالا ، وغتّف لحاهم بالغالية ، فسمّوا بذلك قوَاد الغالية .

» ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل إليه الأمر فيه :

ذكر عن يزيد بن الحارث ، قال : أقام طاهر على نهر صرّصر لما صار إليها ، وشمّر في محاربة محمد وأهل بغداد ، فكان لا يأتيه جيش إلّا هزمه ، فاشتدّ على أصحابه ما كان محمد يعطى من الأموال والكُسا ، فخرج من عسكره نحو من خمسة آلاف رجل من أهل خُرّاسان ومن التفّ إليهم ، فسُرّ بهم محمد ، ووعدهم ومناهم ، وأثبت أسماءهم في الثمانين . قال : فكثروا بذلك شهراً ، وقوّد جماعة من الحربية وغيرهم ممن تعرض لذلك وطلبه ، وعقد لهم ، ووجههم إلى دسكرة الملك والنهروان ، ووجهه إليهم حبيب بن جهم النمرى الأعرجيّ في أصحابه ؛ فلم يكن بينهم كثير قتال ، وندب محمد قوَاداً من قرّاد بغداد ، فوجههم إلى الياسرية والكوثرية والسفيتتين^(١) ، وحمل إليهم الأطعمة ، وقوَاهم بالأرزاق ، وصيّرهم رداءً لمن خلفهم ، وفرّق الخوايسيس في أصحاب طاهر ، ودسّ إلى رؤساء الجند الكتب بالإطماع والترغيب ، فشغبوا على طاهر ، واستأمن كثير منهم إلى محمد ، ومع كل عشرة أنفس منهم طبل ، فأرعدوا وأبرقوا وأجلبوا ، ودنّوا حتى أشرفوا على نهر صرصر ، فعبى طاهر أصحابه كراديس ، ثم جعل يمرّ على كل كيردوس منهم ، فيقول : لا يفرّنكم كثرة منّ ترون ، ولا يمنعكم استئمان من استأمن منهم ، فإنّ النصر مع الصديق والثبات ، والفتح مع الصبر ، وربّ فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . ثم أمرهم بالتقدّم ، فتقدّموا واضطربوا بالسيوف ملياً . ثم إن الله ضرب أكتاف أهل بغداد فولّوا منهزمين ، وأخلوا موضع عسكرهم ، فانتهب أصحاب طاهر كلّ ما كان فيه من سلاح ومال . وبلغ الخبر محمداً ، فأمر بالعطاء فوضّع ، وأخرج خزائنه وذخائره ، وفرّق الصلّات وجمع أهل الأرباض ، واعترض الناس على عيه ، فكان لا يرى أسنداً وسيّاً حسن الرواء إلا خلّع عليه وقوّده ، وكان لا يقوّد أحداً إلّا غلّفت لحيته بالغالية ؛ وهم الذين

٨٦٦/٣

يسمّون قوَاد الغالية . قال : وفرّق في قوَادِه المحدثين لكل رجل منهم خمسمائة درهم وقارورة غالية ، ولم يعط جند القواد وأصحابهم شيئاً . وأتت عيون طاهر وجواسيسه طاهراً بذلك ؛ فراسلهم وكاتبهم ، ووعدهم واستألمهم ، وأغرى أصاغرهم بأكابريهم ، فشغبوا على محمد يوم الأربعاء لست خلون من ذى الحجة سنة ست وتسعين ومائة ، فقال رجل من أبناء أهل بغداد في ذلك :

قُلْ لِلَّامِينِ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ مَا شَتَّتَ الْجَنْدَ سِوَى الْغَالِيَةِ
وطاهرٌ نفسى تقى طاهراً برسليه والعُدَّة الكافية
أضحى زمامُ المُلْكِ في كفه مُقاتلا للفِئَةِ الباغية
يا ناكثاً أَسْلَمَهُ نَكْثُهُ عُيُوبُهُ مِنْ خُبَيْثِهِ فَاشِيَةِ
قد جَاءَكَ اللَّيْثُ بِشِدَاتِهِ مُسْتَكْلِباً فِي أُسْدِ ضَارِيَةِ
فَاهْرُبْ وَلَا مَهْرَبَ مِنْ مِثْلِهِ إِلَّا إِلَى النَّارِ أَوْ الْهََاوِيَةِ

٨٦٧/٣

قال : ولما شغب الجند ، وصعب الأمر على محمد شاور قوَادَه ، فقبل له : تدارك القوم ، فتلاّف أمرك ؛ فإنّ بهم قوام ملكك ؛ وهم بعد الله أزالوه عنك أيام الحسين ، وهم ردّوه عليك ، وهم من قد عرفت نجتهم وبأسهم . فاجّ في أمرهم وأمر بقتالهم ، فوجّه إليهم التنوخي وغيره من المستأمنة والأجناد الذين كانوا معه ، فعاجل القوم القتال وراسلهم طاهر وراسلوه ؛ فأخذ رهائينهم على بذل الطاعة له ، وكتب إليهم ، فأعطاهم الأمان ، وبذل لهم الأموال ، ثم قدم فصار إلى البستان الذى على باب الأنبار يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، فنزل البستان بقوَادِه وأجناده وأصحابه ، ونزل منّ لحق بطاهر من المستأمنة من قوَاد محمد وجنده في البستان وفي الأرباض ، وألحقهم جميعاً بالثمانين في الأرزاق ، وأضعف للقواد وأبناء القواد الخواص ، وأجرى عليهم وعلى كثير من رجالهم الأموال ، ونقب أهل السجون السجون وخرجوا منها ، وفُتِنَ الناس ، ووثب على أهل الصلاح الدُّعَار والشُّطَار ، فعزّ الفاجر ، وذلّ المؤمن ، واحتلّ الصالح ، وساءت حالُ الناس إلّا من كان في

عسكر طاهر لتفقدته أمرهم ، وأخذته على أيدي سفهائهم وفساقهم ؛ واشتد
في ذلك عليهم ، وغادى القتال وراوَّحه ، حتى تواكل الفريقان ، وخربت الدار .

* * *

٨٦٨/٣ وحجَّ بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن
محمد بن عليٍّ من قبيل طاهر ، ودعا للمأمون بالخلافة ، وهو أوَّل موسم دُعيَ
له فيه بالخلافة بمكة والمدينة .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة لحق القاسم بن هارون الرشيد ومنصور بن المهدي بالمأمون من العراق ، فوجه المأمون القاسم إلى جرجان .

* * *

[ذكر خبر حصار الأمين ببغداد]

وفيهما حاصر طاهر وهرثمة وزهير بن المسيب محمد بن هارون ببغداد .
 . ذكر الخبر عما آل إليه أمر حصارهم في هذه السنة ، وكيف كان الحصار فيها :

ذكر محمد بن يزيد التميمي وغيره أن زهير بن المسيب الضبي نزل قصر رقة كلواذي ، ونصب المجانيق والعرادات^(١) واحتفر الخنادق ، وجعل يخرج في الأيام عند اشتغال الجند بحرب طاهر ، فيرمي بالعرادات من أقبل وأدبر ، ويعشير أموال التجار^(٢) ويحجبي السفن ، وبلغ من الناس كل مبلغ ؛ وبلغ أمره ظاهراً وأتاه الناس فشكوا إليه ما نزل بهم من زهير بن المسيب ، وبلغ ذلك هرثمة ، فأمدّه بالجند ، وقد كاد يؤخذ ، فأمسك عنه الناس ، فقال الشاعر من أهل الجانب الشرق - لم يعرف اسمه - في زهير وقتله الناس بالمجانيق :

٨٦٩/٣

لا تَقْرَبِ الْمَنْجَنِيْقَ وَالْحَجْرَا	فقد رَأَيْتَ الْقَتِيلَ إِذْ قُبِرَا
بَاكَرَ كَيْ لَا يَفُوْتَهُ خَيْرُ	رَاحَ قَتِيلًا وَخَلَّفَ الْخَيْرَا
مَاذَا بِهِ كَانَ مِنْ نَشَاطٍ وَمِنْ	صَحَّةِ جَسْمٍ بِهِ إِذَا ابْتَكْرَا
أَرَادَ أَلَّا يَقَالَ كَانَ لَهُ	أَمْرٌ فَلَمْ يَدْرِ مَنْ بِهِ أَمْرَا

(١) المنجنيق ، بفتح الميم وتكرس : آلة ترمى بها الحجارة (معربة) ، والعرادة : أصغر منه .

(٢) عشر القوم : أخذ العشر من أموالهم .

يا صاحبَ المنجنيقِ ما فَعَلْتَ كَفَّاكَ ، لَمْ تُبْقِيَا وَلَمْ تَذَرَا
كَانَ هَوَاهُ سَوَى الَّذِي قُدِرَا هَيْهَاتَ لَنْ يَغْلِبَ الْهَوَى الْقَدِرَا

ونزل هرثمة نهر بين ، وجعل عليه حائطاً وخندقاً ، وأعدّ المجانيق والعرّادات ، وأنزل عبيد الله بن الوضّاح الشمّاسيّة ، ونزل طاهر البُستان بباب الأنبار ، فذكر عن الحسين الخليع أنه قال : لما تولّى طاهر البُستان بباب الأنبار ، دخل محمداً أمر عظيم من دخوله بغداد ، وتفرّق ما كان في يده من الأموال ، وضاق ذرعاً ، وتحرق صدره ، فأمر ببيع كل ما في الخزائن من الأمتعة ، وضرب آنية الذهب والفضة دنائير ودراهم ، وحملها إليه لأصحابه وفي نفقاته ، وأمر حينئذ برمي الحربيّة بالنفط والنيّران والمجانيق والعرّادات ، يقتل بها المقبل والمدبر ، ففي ذلك يقول عمرو بن عبد الملك العنبري^(١) الوراق :

يا رماةَ المنجنيقِ كُلُّكُمْ غَيْرُ شَفِيقِ
ما تبالونَ صَدِيقاً كَانَ أَوْ غَيْرَ صَدِيقِ
وَيَلَكُمْ تَذَرُونَ ما تَرُونَ مُرَّارَ الطَّرِيقِ
رُبَّ خَوْذٍ ذَاتِ دَلٍّ وَهَى كَالْغَصَنِ الْوَرِيقِ
أَخْرَجَتْ مِنْ جَوْفِ دُنْيَا هَا وَمِنْ عَيْشِ أَنْبِي
لَمْ تَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بُدّاً أُبْرِزَتْ يَوْمَ الْحَرِيقِ

٨٧٠/٣

وذكر عن محمد بن منصور الباوردي ، قال : لما اشتدت شوكة طاهر على محمد ، وهزمت عساكره ، وتفرّق قواده كان فيمن استأمن إلى طاهر سعيد بن مالك بن قادم ، فلحق به ، فولّاه ناحية البغيين والأسواق هنالك وشاطئ دجلة ؛ وما اتصل به أمامه إلى جسور دجلة ، وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان في كلّ ما غلب عليه من الدور والدروب ، وأمدّه بالنفقات والفعلة والسلاح ، وأمر الحربيّة بلزومه على النواثب ، ووكل بطريق دار الرقيق وباب الشام واحداً بعد واحد ؛ وأمر بمثل الذي أمر به سعيد بن مالك ؛ وكثر الخراب

(١) أ : العنبري .

والهدم حتى درست محاسن بغداد ؛ ففي ذلك يقول العتري :

مَنْ ذَا أَصَابَكَ يَا بَغْدَادُ بِالْعَيْنِ أَلَمْ تَكُونِي زَمَانًا قُرَّةَ الْعَيْنِ !
أَلَمْ يَكُنْ فِيكَ قَوْمٌ كَانَ مَسْكَنُهُمْ وَكَانَ قَرِيبُهُمْ زِينًا مِنَ الزَّيْنِ !
صَاحَ الْغَرَابُ بِهِمْ بِالْبَيْنِ فَافْتَرَقُوا مَاذَا لَقِيتُ بِهِمْ مِنْ لَوَعَةِ الْبَيْنِ !
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ قَوْمًا مَا ذَكَرْنَهُمْ إِلَّا تَحَدَّرَ مَاءُ الْعَيْنِ مِنْ عَيْنِي
كَانُوا فَفَرَّقَهُمْ دَهْرٌ وَصَدَّعَهُمْ وَالْدَّهْرُ يَصْدَعُ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ

قال : ووكل محمد عليًا فراهسرد ؛ فيمن ضمَّ إليه من المقاتاة ، بقصر صالح وقصر سليمان بن أبي جعفر إلى قصور دجلة وما والاها ، فألح في إحراق الدُّور والدُّروب وهدمها بالمجانيق والعرادات على يدَيَّ رجلٍ كان يعرف بالسَّمَرَقَنْدِي ؛ فكان يرعى بالسَّجْنِيْق ، وفعل ظاهر مثل ذلك ؛ وأرسل إلى أهل الأرباض من طريق الأنبار وباب الكوفة وما يلها ، وكلما أجابه أهلُ ناحية خندق عليهم ، ووضع مسالحه وأعلامه ، ومنَّ أبي إجابته والدخول في طاعته ناصبه وقاتله ، وأحرق منزله ؛ فكان كذلك يغدو ويروح بقواده وفرسانه ورجاله ؛ حتى أوحشت بغداد ، وخاف الناس أن تبقى خرابًا ؛ وفي ذلك يقول الحسين الخليع :

أَتُسْرَعُ الرَّجُلَةَ إِغْدَا(١) عَنْ جَانِبِي بَغْدَادُ أَمْ مَاذَا !
أَلَمْ تَرَ الْفَتْنَةَ قَدْ أَلْفَتْ إِلَى أُولَى الْفَتَنِ شُدَّادًا
وَانْتَقَضَتْ بَغْدَادُ عُمْرَانِهَا عَنْ رَأْيٍ لَا ذَاكَ وَلَا هَذَا
هَذَا مَا وَخَرَقًا قَدْ أَبْيَدَ أَهْلُهَا عَقُوبَةَ لَادَتْ بِمَنْ لَاذَا
مَا أَحْسَنَ الْحَالَاتِ إِنْ لَمْ تَعُدْ بَغْدَادُ فِي الْقَلَّةِ بَغْدَادَا

قال : وتحت طاهر الأرباض التي حالته أهلها ومدينة أبي جعفر الشرقية ، وأسواق الكرخ والحلة وما والاها دار السكك ؛ وقبض فيها من

(١) : ما من أذكور : « الرحلة » والجملة هنا : جمع رجل .

لم ينحز^(١) إليه من بنى هاشم والقواد والموالي وغلاتهم ، حيث كانت من عمله ، فذلّوا وانكسروا وانقادوا ، وذلت الأجناد وتواكلت عن القتال ؛ إلا باعة الطريق والعرة وأهل السجون والأوباش والرعاع والطرارين^(٢) وأهل السوق . وكان حاتم بن الصقر قد أباحهم النهب ، وخرج الهرش والأفارقة ، فكان طاهر يقاتلهم لا يفر عن ذلك ولا يملكه ، ولا يني فيه فقال الحريري يذكر بغداد ، ويصف ما كان فيها :

٨٧٣/٣

قالوا : ولم يلعب الزمان بيبه	لداد وتعرّ بها عواثرها ^(٣)
إذ هي مثل العروس باطنها	مشوق للفتى وظاهرها ^(٤)
جنة خلد ودار مغبطة	قل من النائبات واترها
درت خلوف الدنيا لساكنها	وقل معسورها وعاسرها
وانفرجت بالنعيم وانتجعت	فيها بلذاتها حواضرها
فالقوم منها في روضة أنف	أشرق غيب القطار زاهرها
من غرة العيش في بلهنية	لو أن دنيا يدوم عامرها
دار ملوك رست قواعدها	فيها وقرت بها منابرها
أهل العلا والندى وأنديّة الـ	فخر إذا عُدّت مفاخرها
أفراخ نغمى في إرث مملكة	شد عراها لها أكابرها
فلم يزل والزمان ذو غير	يقدح في ملكها أصاغرها
حتى تسافت كاساً مشملة	من فتنة لا يقال عاثرها
وافترقت بعد ألفة شيعاً	مقطوعة بينها أوامرها
يا هل رأيت الأملاك ما صنعت	إذ لم يرعها بالنصح زاجرها
أورد أملاكنا نفوسهم	هوة غي أعيت مصادرها

(١) ط : « ينجز » ، تحريف . (٢) في القاموس : « الطر : الخلس » .

(٣) انظر الشعر والشعراء ٨٣١ ، ٨٣٢ ، الحيوان ١ : ٢٢٥ ، ٥ : ٢٠٤ .

(٤) كذا في ١ ، وفي ط : « يادها مهول للفتى وحاضرها » .

ما ضرها لو وَقَتْ بِمَوْثِقِهَا
ولم تسافِكِ دماءَ شيعتها
وأقنعتها الدنيا التي جُمِعَتْ
ما زال حوض الأملاك يحضره
تبغى فضولَ الدنيا مكاثرةً
تَبِيعُ ما جَمَعَ الأبوةُ لِدِ
يا هل رأيت الجنانَ زاهرةً
وهل رأيت القصورَ شارعةً
وهل رأيت القرى التي غرسَ الـ
محفوظةً بالكروم والنخل والرَّ
فإنها أصبحت خلایا من الـ
قَفراً خَلَاءَ نَعْوَى الكلابِ بها
وأصبحَ البؤسُ ما يفارقُها
بِزَنَدُورٍ واليَاسِرِيَّةِ والشَّطِ
ويا تزلجى والخيزرانية الـ
وقصرَ عبدويَّه عبرةً وهُدًى
فأين حُرَّاسُها وحارِثُها
وأين خِصيانُها وجِشوتُها
أين الجَرَادِيَّةُ الصَّقَالِبُ والـ
ينصدعُ الجندُ عن مواكبها

واستحكمت في التَّقَى بصائرُها
وتبتعت^(١) فِتيةً تكابرُها
لها ورُعْبُ النفوسِ ضائرُها
مسجورُها بالهوى وساجرُها^(٢)
حتى أُيِّحَتْ كُرُها ذَخائِرُها
أبناءً لا أربحت متاجرُها
يروقُ عينَ البصيرِ زاهرُها !
تُكِنُّ مثلَ الدُّمى مقاصرُها
أَملاكُ مخضرةً دساکِرُها
يحانِ ما يستغلُّ طائرُها
إنسانٍ قد أُدْمِيَتْ محاجرُها
يُنكِرُ منها الرسومَ زائرُها^(٣)
إلفاً لها والسُّرورُ هاجرُها
بين حيث انتهت معابرُها
عليا التي أشرفت قناطرُها^(٤)
لكلِّ نفسٍ زَكَتَ سرائِرُها
وأين مجبورُها وجابرُها !
وأين سكاُنُها وعامرُها
أَحْبِشُ تعدو هُدلاً مشافرُها
تعدو بها سُرْباً صَوامِرُها

٨٧٤/٣

٨٧٥/٣

(٢) كذا في ١ .

(٤) ١ : « أشرفت مناظرها » .

(١) كذا في ١ وفي ط : « تبتعل » .

(٣) ط : « دائرها » ، وما أثبت من ١ .

بالسند والهند والصقاليب وال
 طيراً أبابيل أرسلت عبثاً
 أين الأطباء الأبقار في روضه ال
 أين غصاراتها وكذبتها
 بالمسك والغنير اليان وال
 يرفلن في الخز والمجاسد وال
 فأين رقاصها وزامرها
 تكاد أسماهم تسك إذا
 أمست كجوف الجمار خالية
 كأنما أصبحت بساحتهم
 لا تعلم النفس ما يبايتها
 تضحى وتسمى درية غرضاً
 لأنهم الدهر وهو يرثقها
 يابؤس بغداد دار مملكة
 أمهلها الله ثم عاقبها
 بالخسف والقذف والحريق وبإل
 كم قد رأينا من المعاصي ببغدا
 حلت ببغداد وهي آمنة
 طالعها سوء من مطالعه
 رقى بها الدين واستخف بذي ال
 وخطم العبد أنف سيده

٨٧٦/٣

نوبة شيبت بها برابرها
 يقدم سودانها أحامرها
 ملك تهادى بها غرائرها
 وأين محبورها وحابرها
 يلنجوج مشبوبة مجامرها
 موثى محطومة مزامرها
 يجبن حيث انتهت حناجرها
 عارض عيدانها مزاهرها^(١)
 يسعرها بالجحيم ساعرها
 عاد ومستهم صراصيرها
 من حادث الدهر أو يباكرها
 حيث استقرت بها شرارها
 مُحْنِطُهَا مرة وباقرها
 دارت على أهلها دوائرها
 لما أحاطت بها كبايرها
 حرب التي أصبحت تساورها^(٢)
 دفهل ذو الجلال غافرها
 داهيه لم تكن تحاذرها
 وأدركت أهلها جرائرها
 فضل وعز النساءك فاجرها
 بالرغم واستعبدت حرائرها

(٢) كذا في ١.

(١) في التصويبات : « مزاهرها » .

وصار رَبُّ النجيرانِ فَاسْتَقَمُّهُم
 مِنْ يَرَّ بَغْدَادَ وَالْجَنُودُ بِهَا
 كُلُّ طَحِينٍ شَهْبَاءَ بَاسِلَةٍ
 تَلْقَى بَغْيِي الرَّدَى أَوَانِسَهَا
 وَالشَّيْخُ يَعْدُو حَزْماً كَتَائِبِهِ
 وَلِزَهْرٍ بِالْفِرْكَ مَأْسَدَةٌ
 كَتَائِبُ الْمَوْتِ تَحْتَ أَلْوِيَةِ
 يَعْلَمُ أَنَّ الْأَقْدَارَ وَاقِعَةٌ
 فَتِلْكَ بَغْدَادُ مَا يُبْنَى مِنَ الذِّ
 مُحْفُوفَةٌ بِالرَّدَى مُنْطَلَقَةٌ
 مَا بَيْنَ شَطَلِ الثَّرَاتِ مِنْهُ إِلَى
 بَارِكِ هَادِي الشَّفَرَاءِ نَافِرَةٌ
 يُحْرِفُهَا ذَا وَذَلِكَ يَهْدِمُهَا
 وَالْكَرْخُ أَمْوَانُهَا مُعْطَةٌ
 أَنْتَرَجْتَ الْحَرْبُ مِنْ سَوَاقِطِهَا
 مِنَ الْبَوَارِي تِرَاسُهَا وَمِنْ ال
 تَغْدُو إِلَى الْحَرْبِ فِي جَوَاشِنِهَا ال
 كَتَائِبُ النَّهْرَيْنِ تَحْتَ رَايَتِهِ
 لَا الرِّزْقُ تَبْغِي وَلَا الْعَطَاءُ وَلَا
 فِي كَنْزٍ دَرْبٍ وَكُلُّ نَاحِيَةٍ
 بِمِثْلِ هَامِ الرِّجَالِ مِنْ فُلُقِ الصَّ

وَابْتَزَّ أَمْرَ الدُّرُوبِ ذَاعَرُهَا
 قَدْ رَبَّقَتْ حَوْلَهَا عَسَاكِرُهَا
 تَسْقِطُ أَحْبَالُهَا زَمَاجِرُهَا
 يُرْهِتُهَا لِلْقَاءِ طَاهِرُهَا
 يُقَدِّمُ أَعْجَازَهَا يَعَاوِرُهَا
 سِرْقُومُهُ صَلْبَةٌ مَكَايِرُهَا
 أُبْرِحَ مَنْصُورُهَا وَنَاصِرُهَا
 وَقَعَا عَلَى مَا أَحَبَّ قَادِرُهَا
 لَقِيَ فِي دُورِهَا عَصَافِرُهَا
 بِالصُّغَرِ مَحْصُورَةٌ جَبَابِرُهَا
 دَجَلَةٌ حَيْثُ انْتَهَتْ مَعَابِرُهَا
 تَرَكَضُ مِنْ حَوْلِهَا أَشَاقِرُهَا
 وَيَشْتَفِي بِالنَّهَابِ شَاطِرُهَا
 يَمَسِّنُ عِيَارُهَا وَعَائِرُهَا
 آسَادُ غِيلٍ غُلْبًا تُسَاوِرُهَا
 خُوصٌ إِذَا اسْتَلَامَتْ مَغَافِرُهَا
 صُوفٌ إِذَا مَا عُدَّتْ أَسَاوِرُهَا
 سَاعِدُ طَرَارِهَا مُقَامِرُهَا
 يَحْشُرُهَا لِلْقَاءِ حَاشِرُهَا
 خَطَّارَةٌ يَسْتَهْلُ خَاطِرُهَا
 خَرَّ يَزُودُ الْمِقْلَاعِ بَائِرُهَا

كأنما فوق هامها فرق
 والقوم من تحتها لهم زجل
 بل هل رأيت السيوف مصلتة
 والخيال تستن في أزقيتها
 والنقط والنار في طرائقها
 والنهب تعدو به الرجال وقد
 معصوصبات وسط الأرقعة قد
 كل رقود الضحى مخبأة
 بيضة خدر مكنونة برزت
 تعثر في ثوبها وتعجلها
 تسأل أين الطريق والهة
 لم تجل الشمس حسن بهجتها
 يا هل رأيت الشكلى مولودة
 في إثر نعش عليه واحد
 فرغاء ينقى الشنار مربد
 تنظر في وجهه وتهتف بالك
 غرغر بالنفس ثم أسلمها
 وقد رأيت الفتیان في عرصه
 كل فتى مانع حقيقته
 باتت عليه الكلاب تنهشه
 أما رأيت الخيول جائلة
 من القطا الكدر هاج نافر
 وهي ترى بها خواطرها
 أشهرها في الأسواق شاهرها
 بالترك مسنونة خناجرها
 وهابيسا للدخان عامرها
 أبدت خلاجيلها حرائرها
 أبرزها للعيون ساترها
 لم تبد في أهلها محاجرها
 للناس منشورة غداثرها
 كبة خيل ريعت خوافرها
 والنار من خلفها تبادرها
 حتى اجتلتها حرب تباشرها
 في الطرق تسعى والجهد بأهرها
 في صدره طعنة يساورها
 يهزها بالسنان شاجرها
 كل وجارى الدموع حادرها
 مطلولة لا يخاف نائرها
 معرك معفورة مناخرها
 تشقى به في الوغى مساعرها
 مخضوبة من دم أظافرها
 بالقوم منكوبة دواثرها^(١)

تَعَثَّرُ بِالْأَوْجُهِ الْحَسَنِ مِنْ
 يَطَانٍ أَكْبَادَ فَتِيَةٍ نُجْدٍ
 أَمَا رَأَيْتِ النِّسَاءَ تَحْتَ الْمَجَا
 عِقَاتِلِ الْقَوْمِ وَالْعَجَائِزَ وَالْ
 يَحْمِلْنَ قَوْنًا مِنَ الطَّحِينِ عَلَى الْ
 وَذَاتُ عَيْشٍ ضَنْكَ وَمُقْعِسَةٌ
 تَسْأَلُ عَنْ أَهْلِهَا وَقَدْ سُلِبَتْ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْذُّهُرُ ذُو دُولٍ
 هَلْ تَرْجِعْنَ أَرْضَنَا كَمَا غَنَيْتِ
 مِنْ مُبْلَغِ ذَا الرِّيَاسَتَيْنِ رَسَا
 بِأَنَّ خَيْرَ الْوَلَاةِ قَدْ عِلِمَ الذُّ
 خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي بَرِّيَّتِهِ الْ
 سَمَتْ إِلَيْهِ آمَالُ أُمَّتِهِ
 شَامُوا حَيَا الْعَدْلِ مِنْ مَخَايِلِهِ
 وَأَحْمَدُوا مِنْكَ سِيرَةَ جَلَّتِ الْ
 وَاسْتَجْمَعَتْ طَاعَةٌ بِرْفَقِكَ لِلْمَأْ
 وَأَنْتَ سَمِعُ فِي الْعَالَمِينَ لَهُ
 فَاشْكُرْ لَذَى الْعَرْشِ فَضْلَ نِعْمَتِهِ
 وَاحْذَرُ فِدَاءَ لَكَ الرَّعِيَّةُ رَأَى
 لَا تَرْدُنَ غَمْرَةً بِنَفْسِكَ لَا
 عَلَيْكَ ضَحْضَحَاهَا فَلَا تُلْجِ الْغَمَّ
 وَالْقَصْدَ إِنَّ الطَّرِيقَ نَوْ شَعْبٍ

قَتَلِي وَغُلَّتْ دَمًا أَشَاعِرُهَا
 يَفْلِقُ هَامَاتِهِمْ حَوَافِرُهَا
 نَبِقَ تَعَادَى شُعْنًا ضَفَائِرُهَا
 مُنَسَّ لَمْ تَحْتَبِرَ مَعَاصِرُهَا
 أَكْتَفَى مَعْصُوبَةً مَهَاجِرُهَا
 تَشَدَّخُهَا صَخْرَةً تَعَاوِرُهَا
 وَابْتَنَزَ عَنْ رَأْسِهَا غَفَائِرُهَا
 يُرْجَى وَأُخْرَى تُخْشَى بَوَادِرُهَا
 وَقَدْ تَنَاهَتْ بَنَا مَصَابِرُهَا
 لَا تَأْتِي لِلنُّصْحِ شَاعِرُهَا
 أَسْ إِذَا عُدَّدَتْ مَآثِرُهَا
 حَامُونَ مُنْتَأَشُهَا وَجَابِرُهَا
 مَنْقَادَةٌ بَرُّهَا وَفَاجِرُهَا
 وَأَصْحَرَتْ بِالتَّقَى بَصَائِرُهَا
 شَكَّ وَأُخْرَى صَحَّتْ مَعَاذِرُهَا
 مَوْنٍ نَجْدِيَّهَا وَغَائِرُهَا
 وَمُقْلَةٌ مَا يَكْلُ نَاطِرُهَا
 أَوْجَبَ فَضْلَ الْمَزِيدِ شَاكِرُهَا
 أَجْنَادُ مَأْمُورِهَا وَآمِرُهَا
 يَصْدُرُ عَنْهَا بِالرَّأْيِ صَادِرُهَا
 رَةَ مَلْتَجَةً زَوَاخِرُهَا
 أَشَامَهَا وَعَثُّهَا وَجَائِرُهَا

أَصْبَحْتَ فِي أُمَّةٍ أَوَّالِهَا قَدْ فَارَقْتَ هَذَيْهَا أَوَّالِهَا
وَأَنْتَ سُرُورُهَا وَسَائِسُهَا فَهَلْ عَلَى الْحَقِّ أَنْتَ قَاسِرُهَا !
أَدَبٌ رَجَالًا رَأَيْتَ سِيرَتَهُمْ خَالَفَ حُكْمَ الْكِتَابِ سَائِرُهَا
وَأَمَدُ إِلَى النَّاسِ كَفَّ مَرَحَمَةً تُسَدُّ مِنْهُمْ بِهَا مَقَاقِرُهَا
أَمَكْذَكُ الْعَدْلُ إِذْ هَمَمْتَ بِهِ وَوَافَقَتْ مَدَّةَ مَقَادِرُهَا
وَأَبْصَرَ النَّاسُ قَصْدَ وَجْهِهِمْ وَمُلْكَتْ أُمَّةٌ أَخَايِرُهَا
تُشْرِعُ أَعْنَاقُهَا إِلَيْكَ إِذَ السَّادَاتُ يَوْمًا جَمْتُ عَشَائِرُهَا
كَمْ عِنْدَنَا مِنْ نَصِيحَةٍ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَقُرْبَى عَزَّتْ زَوَاقِرُهَا
وَحَرَمَةٍ قَرَّبَتْ أَوَاصِرُهَا مِنْكَ، وَأُخْرَى هَلْ أَنْتَ ذَاكِرُهَا !
سَعَى رَجَالٍ فِي الْعِلْمِ مَطْلِبُهُمْ رَانِحُهَا بَاكِرٌ وَبَاكِرُهَا
دُونَكَ غَرَاءَ كَالْوَذِيلَةِ لَا تُفْقَدُ فِي بِلَادَةِ سَوَائِرُهَا
لَا طَمَعًا قُلْتُهَا وَلَا بَطْرًا لِكُلِّ نَفْسٍ هَوًى يُؤَامِرُهَا
سَيَّرَهَا اللَّهُ بِالنَّصِيحَةِ وَالْإِثْقَالِ خَشِيَةً فَاسْتَدْمَجَتْ مَرَاثِرُهَا
جَاءَتْكَ تَحْكِي لَكَ الْأُمُورَ كَمَا يَنْشُرُ بَزَّ التَّجَارِ نَاشِرُهَا
حَمَلَتْهَا صَاحِبًا أَخَا ثِقَةٍ يَظَلُّ عُجْبًا بِهَا يَحَاضِرُهَا
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اسْتَأْمَنَ الْمُوَكَّلُونَ بِقَصْرِ صَالِحٍ مِنْ قَبْلِ مُحَمَّدٍ .

* * *

[ذَكَرْ خَبْرَ وَقْعَةِ قَصْرِ صَالِحٍ]

وَفِيهَا كَانَتْ الْوَقْعَةُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى أَصْحَابِ طَاهِرٍ بِقَصْرِ صَالِحٍ .

• ذَكَرَ الْخَبْرَ عَنْ هَذِهِ الْوَقْعَةِ :

ذَكَرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبٍ ، أَنَّ طَاهِرًا لَمْ يَزَلْ مُصَابِرًا مُحَمَّدًا وَجَنْدَهُ عَلَى مَا وَصَفَتْ مِنْ أَمْرِهِ ؛ حَتَّى مَلَأَ أَهْلُ بَغْدَادٍ مِنْ قِتَالِهِ ، وَأَنَّ عَلِيَّ

فراهمرد الموكل بقصوى صالح وسليمان بن أبي جعفر من قبيل محمد ، كتب إلى طاهر يسأله الأمان ، ويضمن له أن يدفع ما في يده من تلك الأموال ومن الماحية إلى الجسور وما فيها من الخنايق والعرادات إليه ؛ وأنه قبيل ذلك منه ، وأجابه إلى ما سأل ، ووجه إليه أبا العباس يوسف بن يعقوب الباذغيسي صاحب شرطه فيمن ضم إليه من قواده وذوي البأس من فرسانه ليلاً ، فسلم إليه كل ما كان محمد وكله به من ذلك ليلة السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائة . واستأمن إليه محمد بن عيسى صاحب شرطه محمد ؛ وكان يقاتل مع الأفارقة وأهل السجون والأوباس ؛ وكان محمد بن عيسى غير مذاهن في أمر محمد ؛ وكان مهيباً في الحرب ، فلما استأمن هذان إلى طاهر ، أشقى محمد على الملائك . ودخله من ذلك ما أقامه وأقعده حتى استسلم ؛ وصار على باب أم جعفر يتوقع ما يكون ؛ وأقبلت الغواة من العيارين وباعة الطرق والأجناد ؛ فاقتتلوا داخل قصر صالح وخارجه إلى ارتفاع النهار .

قال : فقتل في داخل القصر أبو العباس يوسف بن يعقوب الباذغيسي ومن كان معه من القواد والرؤساء المعدودين ، وقاتل فراهمرد وأصحابه خارجاً من القصر حتى قُتل وانحاز إلى طاهر ؛ ولم تكن وقعة قبلها ولا بعدها أشد على طاهر وأصحابه منها ، ولا أكثر قتيلًا وجريحًا معقوراً من أصحاب طاهر من تلك الوقعة ؛ فأكثرت الشعراء فيها القول من الشعر ، وذكر ما كان فيها من شدة الحرب . وقال فيها الغوغاء والزعاع ، وكان مما قيل في ذلك قول الخليل (٢) :

أَمِينَ اللَّهِ رِقَى بِاللَّهِ وَتُعْطَى الصَّبْرَ وَالنُّصْرَةَ (٣)
كَيْلِ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ كَلَالِكَ اللَّهُ ذُو الْقُدْرَةِ
لَنَا النَّصْرُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَالْكَرَّةُ لَا الْفِرَّةُ
وَلِلْمُرَاقِ أَعْدَاءُ لَكَ يَوْمُ السُّوءِ وَالِدَبْرِ
وَكَأْسٍ تَلْفِظُ الْمَوْتَ (٤)

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « الحزب » .

(٢) هو الحسين بن الضحالك ، المعروف بالخليل .

(٣) الأغاني ٧ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ المسعودي ٣ : ٤١٣ . (٤) الأغاني : « تورد الموت » .

مُسْقِينَا وَسَقِينَاهُمْ^(١) ولكن بِهِمُ الْحِرَّةُ
كَذَاكَ الْحَرْبُ أحياناً عَلَيْنَا وَلَنَا مَرَّةً

فذكر عن بعض الأبناء أن طاهراً بثّر رسالته، وكتب إلى القواد والهاشميين وغيرهم بعد أن حاز ضياعهم وغلاتهم يدعوهم إلى الأمان والدخول في خلع محمد والبيعة للمأمون؛ فلحق به جماعة، منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي وإخوته، وولد الحسن بن قحطبة ويحيى بن علي بن ماهان ومحمد بن أبي العاص^(٢)، وكتبه قوم من القواد والهاشميين في السر، وصارت قلوبهم وأهوازهم معه.

قال: ولما كانت وقعة قصر صالح أقبل محمد على اللهو والشرب، ووكل الأمر إلى محمد بن عيسى بن نهيك وإلى الهيرش؛ فوضعا مما يليهما من الدروب والأبواب وكلاءهما بأبواب المدينة والأرباض وسوق الكرخ. وقرض دجلة وباب المحول والكناسة؛ فكان لصوصها وفساقها يسلبون من قدروا عليه من الرجال والنساء والضعفاء من أهل الملة والذمة؛ فكان منهم في ذلك ما لم يبلغنا أن مثله كان في شيء من سائر بلاد الحروب.

٨٨٣/٣

قال: ولما طال ذلك بالناس، وضافت بغداد بأهلها، خرج عنها من كانت به قوة بعد الغرم القادح والمضايقة الموجعة والخطر العظيم؛ فأخذ طاهر أصحابه بخلاف ذلك، واشتد فيه، وغلظ على أهل الرّيب. وأمر محمد ابن أبي خالد بحفظ الضعفاء والنساء وتجويزهم وتسهيل أمرهم؛ فكان الرجل والمرأة إذا تخلص من أيدي أصحاب الهيرش، وصار إلى أصحاب طاهر ذهب عنه الرّوع وأمن، وأظهرت المرأة ما معها من ذهب وفضة أو متاع أو برّ؛ حتى قيل: إن مثل أصحاب طاهر ومثل أصحاب الهيرش وذويه ومثل الناس إذا تخلصوا، مثل السور الذي قال الله تعالى ذكره: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ يَسُورَهُ﴾ بِأَبْطُنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ^(٣). فلما طال على الناس ما بلدوا به ساءت حالهم، وضاقوا به ذرعاً؛ وفي ذلك يقول بعض فتيان بغداد:

(٢) الأغاني: «محمد بن العباس الطائي».

(١) الأغاني: «سقونا».

(٣) سورة الحديد ١٣.

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا
تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورِ
أَصَابَتِهَا مِنَ الْحُسَادِ عَيْنُ
فَقَوْمٌ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا
وَصَائِحَةُ تُنَادِي وَأَصْبَحًا^(١)
وَحَوْرَاءُ الْمَدَامِ ذَاتُ دَلْ
تَقَرُّ مِنَ الْحَرِيقِ إِلَى انْتِهَابِ
وَسَالِبَةُ الْغَزَالَةِ مُقْلَتَيْنِهَا
حَيَارَى كَالْهَدَايَا مُفَكِّرَاتُ
يُنَادِينَ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقُ
وَقَوْمٌ أَخْرَجُوا مِنْ ظِلِّ دُنْيَا
وَمُغْتَرِبُ قَرِيبُ الدَّارِ مُلْقَى
تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا
فَلَا وَلَدٌ يَقِيمُ عَلَى أَبِيهِ
وَمَهْمَا أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى

فَقَدْتُ غَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ^(٢)
وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
فَأَفْنَتْ أَهْلَهَا بِالْمَنْجِيقِ^(٣)
وَنَائِحَةُ تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
وَبَاكِةٌ لِفَقْدَانِ الشَّقِيقِ
مَضْمُحَةٌ الْمَجَاسِدِ بِالْخُلُوقِ
وَوَالِدَهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
مَضَاحُكُهَا كَلَالَةَ الْبُرُوقِ
عَلَيْهِنَّ الْقَلَائِدُ فِي الْحُلُوقِ
وَقَدْ فُقِدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
مَتَاعُهُمْ يُبَاعُ بِكُلِّ سَوِيقِ
بَلَا رَأْسٍ بِقَارَعَةِ الطَّرِيقِ
فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَىِّ الْفَرِيقِ
وَقَدْ هَرَبَ الصَّدِيقُ بِالصَّدِيقِ
فَأَنَّى ذَاكَرُ دَارِ الرَّقِيقِ

٨٨٤/٣

٨٨٥/٣

وذكر أن قائدًا من قواد أهل خراسان ممن كان مع ظاهر من أهل
النجدة والبأس ، خرج يومًا إلى القتال ، فنظر إلى قوم عرّاة ، لا سلاح معهم ،
فقال لأصحابه : ما يقاتلنا إلا منّ أرى ؛ استهانة بأمرهم واحتقاراً لهم ؛ فقبل
له : نعم هؤلاء الذين ترى هم الآفة ؛ فقال : أف لكم حين تنكصون عن هؤلاء
وتخيمون عنهم ، وأنتم في السلاح الظاهر ، والعدة والقوة ؛ ولكم مالكم من

(١) المسعودى ٣ : ٤١٤ ، وفيه : « بكت عيني دمًا » .

(٢) المسعودى وابن الأثير : « أصابتنا » .

(٣) المسعودى : « يا صحابي » .

الشجاعة والنجدة ! وما عسى أن يبلغ كيد من أرى من هؤلاء ولا سلاح معهم ولا عُدّة لهم ولا جُنّة تقيهم ! فأوتر قوسه وتقدّم ، وأبصره بعضهم فقصد نحوه وفي يده باريّة مُقَيَّرَة ، وتحت إبطه مَخْلَعةٌ فيها حجارة ، فجعل الخُراسانيّ كلّما رمى بسهم استر منه العيّار ، فوقع في باريّته أو قريباً منه ؛ فيأخذه فيجعله في موضع من باريّته ، قد هياّه لذلك ، وجعله شبيهاً بالجبعة . وجعل كلما وقع سهم أخذه ، وصاح : دانق ، أي ثمن النشاب دانق قد أحرزه ؛ ولم يزل تلك حالة الخُراسانيّ وحال العيّار حتى أنفذ الخُراسانيّ سهامه ، ثم حمل على العيّار ليضربه بسيفه ؛ فأخرج من مخلاته حجراً ؛ فجعله في مقلاع ورماه فما أخطأ به عينه ، ثم ثناه بآخر ؛ فكاد يصرعه عن فرسه لولا تحاميه ؛ وكرّ راجعاً وهو يقول : ليس هؤلاء بإنس ؛ قال : فحدثت أن طاهراً حدثت بحديثه فاستضحك وأعنى الخُراسانيّ من الخروج إلى الحرب ؛ فقال بعض شعراء بغداد في ذلك :

٨٨٦/٣

خَرَجَتْ هذه الحروبُ رجالاً لا لقحطانها ولا لنزار
معشراي جواشنِ الصوفِ يغدو ن إلى الحرب كالأسود الضوّاري
وعليهم مغامرُ الخوصِ تُجزيه هم عن البيض . والتّراش البوّاري
ليس يدرون ما القرارُ إذا الأيُّ طال عاذوا من القنا بالقرار
واحدٌ منهم يُشدُّ على أَل فبين عريان ماله من إزار
ويقول الفتى إذا طعن الطعنة : نخذهما من الفتى العيّار
كم شريف قد أحمَلتهُ وكم قد رفعت من مقامير طرار

٨٨٧/٣

* * *

[ذكر خبر منع طاهر الملاحين من إدخال شيء إلى بغداد]

[قال محمد بن جرير : وفي هذه السنة منع طاهر الملاحين وغيرهم من إدخال شيء إلى بغداد إلا إلى من كان من عسكرهم منهم ، ووضع الرّسيد عليهم بسبب ذلك]^(١)

• ذكر الخبر عما كان منه ومن أصحاب محمد المخلوع في ذلك

وعن السبب الذي من أجله فعل ذلك طاهر:

أما السبب في ذلك فإنه - فيما ذكر - كان أن طاهراً لما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ في قصر صالح من أصحابه ، ونالهم فيه من الجراح ما نالهم ، مَضَّهَ ذلك وشقَّ عليه ؛ لأنه لم يكن له وقعة إلا كانت له لا عليه ؛ فلما شقَّ عليه أمر بالهدم والإحراق عند ذلك ، فهدم دور مَنْ خالفه ما بين دجلة ودار الرقيق وباب الشام وباب الكوفة ، إلى النضرة وأرجاء ابن جعفر وربض حميد ونهر كرخايا والكناسة ؛ وجعل يبايت أصحاب محمد ويُدالِجهم ، ويحوى في كل يوم ناحية ، ويخندق عليها المراسد من المقاتلة ؛ وجعل أصحاب محمد ينقصون ، ويزيدون ؛ حتى لقد كان أصحاب طاهر يهدمون الدار وينصرفون ؛ فيقطع أبوابها وسقوفها أصحاب محمد ، ويكونون أضرباً على أصحابهم من أصحاب طاهر تعدياً ؛ فقال شاعر منهم - وذكر أنه عمرو بن عبد الملك الوراق العتري - في ذلك :

لنا كل يوم ثُلْمَةٌ لَا نَسُدُّهَا	يزيدون فيما يطلبون وَنَنْقُصُ
إِذَا هَدَمُوا دَارًا أَخَذْنَا سُقُوفَهَا	ونحن لِأُخْرَى غَيْرِهَا نَتَرَبِّصُ
وإن حَرَّصُوا يوماً عَلَى الشَّرِّ جُهِدَهُمْ	فغَوَاؤُنَا مِنْهُمْ عَلَى الشَّرِّ أَحْرَضُ
فقد ضَيَّقُوا مِنْ أَرْضِنَا كُلِّ وَاسِعٍ	وصار لهم أَهْلُهَا ، وَتَعَرَّضُوا
يُثِيرُونَ بِالطَّبْلِ الْقَنِيصَ فَإِنْ بَدَا	لهم وَجْهٌ صِيدَ مِنْ قَرِيبٍ تَقْنَصُوا
لقد أَفْسَدُوا شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا	علينا فما ندرى إِلَى أَيْنَ نَشْخُصُ !
إِذَا حَضَرُوا قَالُوا بِمَا يَعْرِفُونَهُ (١)	وإن يَرَوْا شَيْئاً قَبِيحاً تَخَرَّصُوا
وما قَتَلَ الْأَبْطَالُ مِثْلُ مُجَرَّبٍ	رَسُولِ الْمَنَافَا لِيَلَهُ يَتَلَصَّصُ (٢)
تَرَى الْبَطْلَ الْمَشْهُورَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ	إِذَا مَا رَأَى الْعَرِيَانَ يَوْمًا يُبْصَبُصُ

(١) المسمودى : « يصروه » .

(٢) ط : « ليلة » ، والوجه ما أثبتته من أ .

إِذَا مَرَّاهُ الشَّمْرَى مُقَرَّلاً^(١)

يَبِيعُكَ رَأْساً لِلصَّبَى بِدِرْهِمٍ

فَكَمْ قَاتِلٍ مِنَّا لِأَخَرٍ مِنْهُمْ

تَرَاهُ إِذَا نَادَى الْأَمَانَ مَبَارِزاً

وَقَدْ رَحَّصَتْ قُرَاؤُنَا فِي قِتَالِهِمْ

وقال أيضاً في ذلك :

النَّاسُ فِي الْهَدْمِ وَفِي الْإِنْتِقَالِ

يَأْتِيهَا السَّائِلُ عَنْ شَأْنِهِمْ

قَدْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ تَكْبِيرُهُمْ

اطْرَحْ بِعَيْنِكَ إِلَى جَمْعِهِمْ

لَمْ يَبْقَ فِي بَغْدَادَ إِلَّا امْرُؤٌ

لَا أُمَ تَحْمِي عَنْ حَمَاهَا وَلَا

لَيْسَ لَهُ مَالٌ سِوَى مِطْرَدٍ

هَانَ عَلَى اللَّهِ فَأَجْرَى عَلَى

إِنْ صَارَ ذَا الْأَمْرِ إِلَى وَاحِدٍ

مَا بَالُنَا نُقْتَلُ مِنْ أَجْلِهِمْ

وقال أيضاً :

وَلَسْتُ بِتَارِكٍ بَغْدَادَ يَوْمًا

إِذَا مَا الْعَيْشُ سَاعَدَنَا فَلَسْنَا

عَلَى عَقْبَيْهِ لِلْمَخَافَةِ يَنْكُصُ

فَإِنْ قَالَ إِنِّي مُرَخِّصٌ فَهُوَ مُرَخِّصٌ

بِمَقْتَلِهِ عَنْهُ الذُّنُوبُ تُمَحِّصُ

وَيُعْمِزُنَا طَوْرًا وَطَوْرًا يَخْصُصُ

وَمَا قَتَلَ الْمَقْتُولَ إِلَّا الْمُرَخِّصُ

قَدْ عَرَّضَ النَّاسُ بِقِيلٍ وَقَالَ

عَيْنُكَ تَكْفِيكَ مَكَانَ السُّوَالِ

فَالْيَوْمَ تَكْبِيرُهُمْ لِلْقِتَالِ

وَانْتَظِرِ الرُّوحَ وَعُدَّ اللَّيَالِ

حَالَفَهُ الْفَقْرُ كَثِيرُ الْعِيَالِ

خَالَ لَهُ يَحْمِي وَلَا غَيْرُ خَالَ

مِطْرَدُهُ فِي كَفِّهِ رَأْسُ مَالٍ

كَفَّيْهِ لِلشَّقْوَةِ قَتَلَ الرِّجَالَ

صَارَ إِلَى الْقَتْلِ عَلَى كُلِّ حَالٍ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَا ذَا الْحِلَالِ !

تَرَحَّلَ مَنْ تَرَحَّلَ أَوْ أَقَامَا

نُبَالِي بَعْدُ مَنْ كَانَ الْإِمَامَا

قال عمرو بن عبد الملك العتري :

لَمَّا رَأَى طَاهِرٌ أَنَّهُمْ لَا يَحْفَلُونَ بِالْقَتْلِ

وَالْهَدْمِ وَالْحَرْقِ أَمَرَ عِنْدَ ذَلِكَ بِمَنْعِ التَّجَارِ أَنْ يَجُوزُوا بِشَيْءٍ مِنَ الدَّقِيقِ وَغَيْرِهِ مِنْ

(١) : إذا ما رآه الوغد يوماً برأسه .

المتافع من ناحيته إلى مدينة أبنى جعفر والشرقية والكربخ ، وأمر بصرف سُفُن البصرة وواسط بطرنايا إلى الفرات ؛ ومنه إلى الحوّل الكبير وإلى الصّراة ، ومنها إلى خندق باب الأنبار ؛ بما كان زهير بن المسيب يُبَسِّدِرْقه إلى بغداد، وأخذَ من كلّ سفينة فيها حمولة ما بين الألف درهم إلى الألفين والثلاثة ، وأكثر وأقلّ ، وفعل عُمّال طاهر وأصحابه ببغداد في جميع طرقها مثل ذلك وأشدّ ، فغلت الأسعار ، وصار الناس في أشدّ الحصار ، فيسوا أو كثير منهم من الفرج والروح ، واغتنب مَنْ كان خرج منها ، وأسف على مقامه من أقام .

• • •

وفي هذه السنة استأمن ابن عائشة إلى طاهر ، وكان قد قاتل مع محمد حيناً بالياسرية .

• • •

[ذكر خبر وقعة الكناسة]

وفيها جعل طاهر قُوَاداً من قُوَادِه بنواحي بغداد ، فجعل العلاء بن الوضّاح الأزدي في أصحابه ومَنْ ضمّ إليه بالوضّاحية^(١) على الحوّل الكبير ، وجعل نعيم بن الوضّاح أخاه فيمن كان معه من الأتراك وغيرهم مما يلي رُبض أبي أيوب على شاطئ الصّراة ، ثم غادى القتال وراوح أشهراً ، وصبر الفريقان جميعاً ؛ فكانت لهم فيها وقعة بالكناسة ؛ باشرها طاهر بنفسه ، قُتل فيها بشرٌ كثير من أصحاب محمد ، فقال عمرو بن عبد الملك :

وَقَعَهُ	يَوْمَ	الْأَحَدِ	صَارَتْ	حَدِيثَ	الْأَبَدِ
كَمْ	جَسَدٍ	أَبْصَرْتَهُ	مُلْقَى	وَكَمْ	مِنْ جَسَدٍ
وَنَاطِرٍ	كَانَتْ	لَهُ	مَنْبِئَةً	بِالرَّصَدِ	
أَنَّهُ	سَهْمٌ	عَائِرٌ	فَشَكَ	جَوْفَ	الْكَبِدِ
وَصَاحِحٌ	يَا	وَالدِّي	وَصَاحِحٌ	يَا	وَالدِّي

(١) موضعها في ط كلمة غير واضحة وما أثبتته من أ .

وكم غريبي سابع كان متين الجلد !
 لم يفتقده أحد غير بنات البلد
 وكم فقيد بئس عز على المفتيد
 كان من النظارة الأولى شديد الحر (١)
 لو أنه عاين ما عاينه لم يعد
 لم يبق من كهل لهم فأت ولا من أمر
 وطاهر ملتهم مثل التهام الأسد
 خيم لا يبرح في الـ مرضة مثل اللبـ
 تقذف عيناه لدى الـ حرب بنار الوقد
 فقاتل قد قتلوا ألفاً ولما يزد
 وقائل أكثر بل ما لهم من عدد
 وهارب نحوهم يرهب من خوف غد
 مبهات لا تبصر ممن قد مضى من أحد
 لا يرجع الماضي إلى الـ بياقي طوال الأبد
 قلت المتلعون وفي روحه لم نبـ
 من أنت يا ويلك يا مسكين من محمد
 فقال لا من نسب دان ولا من بلد
 لم أره قط ولم أجـ له من صفـ
 وقال لا لـغى قـا تلت ولا للرشد
 إلا لشيء عاجل يصير منه في يدي

٨٩٢/٣

٨٩٣/٢

وذكر عن عمرو بن عبد الملك أن محمداً أمر زُرَيْجاً غلامه بتتبع الأموال وطلبها عند أهل الودائع وغيرهم ، وأمر الهرث بطاعته ، فكان يهجم على الناس في منازلهم ، ويبيتهم ليلاً ، يأخذ بالظنة ، فجبى بذلك السبب أموالاً كثيرة ، وأهلك خلقاً ، فهرب الناس بعلّة الحج ، وفر الأغنياء ، فقال القراطيسي في ذلك :

أظهروا الحج وما ينوونه بل من الهرث يُريدون الهرب
كم أناس أصبحوا في غبطة وكل الهرث عليهم بالعطب^(١)
كل من راد^(٢) زُرَيْج بيته لقي الدلّ ووافاه الحرب

* * *

[ذكر خبر وقعة درب الحجارة]

وفيها كانت وقعة درب الحجارة .

• ذكر الخبر عنها :

ذكر أن هذه الوقعة كانت بحضرة درب الحجارة ؛ وكانت لأصحاب محمد على أصحاب طاهر ، قُتل فيها خلق كثير ، فقال في ذلك عمرو بن عبد الملك العنري :

وقعة السبت يوم درب الحجاره قطعت قطعة من النظارة
ذاك من بعد ما تفانوا ولكن أهلكتهم غوغاؤنا بالحجارة
قديم الشورجين للقتل عمداً قال إني لكم أريد الإمارة^(٣)
فتنقساه كل لص مريب عمر السجن دهره بالشطارة
ما عليه شيء يواريه منه أيريه قائم كمثل المنارة
فتولوا عنهم وكانوا قديماً يحسنون الضراب في كل غارة

٨٩٤/٣

(١) المسعودي : « ركض الليل عليهم بالمطب » .

(٢) المسعودي : « كل من زار » . (٣) ورد البيت في طائفة وأكلته من أ .

هولاً مثلُ هولاءَ لدينا
كُلٌّ مَنْ كَانَ خَامِلاً صَارَ رَأْساً
حَامِلاً فِي يَمِينِهِ كُلُّ يَوْمٍ
أَخْرَجَتْهُ مِنْ بَيْتِهَا أُمُّ سُوءٍ
يَشْتُمُ النَّاسَ مَا يَبَالِي بِإِفْصَا
لَيْسَ هَذَا زَمَانُ حُرٍّ كَرِيمٍ
كَانَ فِيهَا مَضَى الْقِتَالُ قِتَالاً

وقال أيضاً :

٨٩٥/٣

بَارِيَّةٌ قَبِيزَتْ ظَاهِرَهَا
الْعِزُّ وَالْأَمْنُ أَحَادِيثُهُمْ
وَأَيُّ نَفْعٍ لَكَ فِي سُورِهِمْ
قَدْ قُتِلَتْ فُرْسَانُكُمْ عَنُوءَ
هَاتُوا لَكُمْ مِنْ قَائِدٍ وَاحِدٍ
يَأْيُهَا السَّائِلُ عَنْ شَأْنِنَا

• • •

[ذكر خبر وقعة باب الشماسية]

وفيها أيضاً كانت وقعة بباب الشماسية ، أسير فيها هرثمة .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان وإلى ما آل الأمر فيه :

ذكر عن علي بن يزيد^(٢) أنه قال : كان يتزل هرثمة نهر بين ، وعليه
حائط وخندق ، وقد أعد المجانيق والعرادات ، وأنزل عبيد الله بن الوضاح
الشماسية ، وكان يخرج أحياناً ، فيقف بباب خراسان مشفقاً من أهل

(١) ورد البيت في ط محرفاً والصواب ما أثبتته من أ . (٢) ط : « زيد » ، وانظر الفهرس

العسكر ، كارهها للحرب ، فيدعو الناس إلى ما هو عليه فيشتمه ، ويستخف به ؛ فيقف ساعة ثم ينصرف . وكان حاتم بن الصقر من قواد محمد ؛ وكان قد واعد أصحابه الغزاة^(١) والعتارين أن يوافوا عبيد الله بن الوضاح ليلا ، فضوا إلى عبيد الله مفاجأة وهو لا يعلم ؛ فأوقعوا به وقعة أزالوه عن موضعه ، وولّى منهزما ، فأصابوا له خيلا وسلاحا ومتاعا كثيرا ، وغلب على الشماسية حاتم ابن الصقر . وبلغ الخبر هرثة ، فأقبل في أصحابه لنصرتة ، وليرد العسكر عنه إلى موضعه ؛ فوافاه أصحاب محمد ، ونشب الحرب بينهم ، وأسّر رجل من الغزاة هرثة ولم يعرفه ، فحمل بعض أصحاب هرثة على الرجل ، فقطع يده وخلّصه ، فرّ منهزما ، وبلغ خبره أهل عسكره ، فتقوّض بما فيه ، وخرج أهله هاربين على وجوههم نحو حلوان ، وحجز أصحاب محمد الليل عن الطلب ؛ وما كانوا فيه من النهب والأسر . فحدّثت أن عسكر هرثة لم يراجع أهله يومين ، وقويت الغزاة بما سار في أيديهم .

وقيل في تلك الوقعة أشعار كثيرة ، فن ذلك قول عمرو^(٢) الوراق :

عُرْيَانُ لَيْسَ بِذِي قَمِيصٍ	يَغْدُو عَلَى طَلَبِ الْقَمِيصِ
يَعْدُو عَلَى ذِي جَوْشَنِ	يُعْمِي الْعَيُونَ مِنَ الْبَصِيصِ
فِي كَفِّهِ طَرَادَةٌ	حَمْرَاءُ تَلْمُعُ كَالْفُصُوصِ
حَرِصًا عَلَى طَلَبِ الْقِتَا	لِأَشَدِّ مِنْ حِرْصِ الْحَرِيصِ
سَلِسَ الْقِيَادِ كَأَنَّمَا	يَغْدُو عَلَى أَكْلِ الْخَبِيصِ
لَيْثًا مُغِيرًا لَمْ يَزَلْ	رَأْسًا يَعْدُ مِنَ اللَّصُوصِ
أَجْرَى وَأَثْبَتَ مَقْدَمًا	فِي الْحَرْبِ مِنْ أَسَدٍ رَهِيصِ
يَذْنُو عَلَى سَنَنِ الْهَوَا	نِ وَعَيْصُهُ مِنْ شَرِّ عَيْصِ
يَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَا	عُ عَلَى أَخَفِّ مِنَ الْقَلُوصِ
مَا لِلْكَمِيِّ إِذَا لِمَقْدُ	تَلِهَ تَعَرَّضَ مِنْ مَحْبِصِ

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « الغزاة » . وكذلك فيما يأتي .

(٢) هو عمرو بن عبد الملك العدري .

كَمْ مِنْ شُجَاعٍ فَارِسٍ قَدْ بَنَعَ بِالشَّمَنِ الرَّخِيسِ
يَدْعُو : أَلَا مَنْ يَشْتَرِي رَأْسَ الْكِمِيِّ بِكَفِّ شَيْصٍ !

وقال بعض أصحاب هرة :

يَفْنَى الزَّمَانُ وَمَا يَفْنَى قِتَالَهُمْ والدُّورُ تُهْدَمُ والأَمْوَالُ تَنْتَقِصُ
وَالنَّاسُ لَا يَسْتَطِيعُونَ الَّذِي طَلَبُوا لَا يَدْفَعُونَ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ حَرَصُوا
يَأْتُونَنَا بِحَدِيثٍ لَا ضِيَاءَ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِأَوْلَادِ الزَّنا قِصَصُ

قال : ولما بلغ طاهراً ما صنع الغزاة وحاتم بن الصقر بجديد الله بن الوضاح
وهرة اشتد ذلك عليه ، وبلغ منه ، وأمر بعقد جسر على دجاة فوق الشماسية ،
وجت أصحابه وعبائهم ، وخرج معهم إلى الجسر ، فعبروا إليهم وقتلهم
أشد القتال ، وأمدّهم بأصحابه ساعة بعد ساعة حتى ردوا أصحاب محمد ،
وأزالوهم عن الشماسية ، ورد المهاجر عبيد الله بن الوضاح وهرة .

قال : وكان محمد أعطى بنقض قصوره ومجالسه الخيزرانية بعد ظفر الغزاة
ألف درهم ، فحرقها أصحاب طاهر كلها ، وكانت السقوف مذهبية ،
وقتلوا من الغزاة والمنتهيين بشراً كثيراً ، وفي ذلك يقول عمرو الوراق :

ثَقَلَانِ وَطَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ صَبَّحْنَا صَبِيحَةَ الْإِثْنَيْنِ
جَمَعُوا جَمْعَهُمْ بَلِيلٌ وَنَادَوْا اظْلُبُوا الْيَوْمَ ثَأْرَكُمْ بِالْحُسَيْنِ
ضَرَبُوا طَبَدَهُمْ فَتَارَ إِلَيْهِمْ كُلَّ صُلْبٍ انْقَنَاءَ وَالسَّاعِدَيْنِ
يَا قَتِيلًا بِالْفَاعِ سُنْقَى عَلَى الشَّحْطِ هَوَاهُ بِطَيْبِ الْجَبَلَيْنِ (١)
مَا الَّذِي فِي يَدَيْكَ أَنْتَ إِذَا مَا طَلَحَ النَّاسُ أَنْتَ بِالْخَلَّتَيْنِ
أَوْزِيرٌ أَمْ قَائِدٌ : بَلْ بَعِيدُ أَنْتَ مِنْ ذَيْنِ مَوْضِعِ الْفَرْقَدَيْنِ
كَمْ بِصِيرٍ غَدَا بِعَيْنَيْنِ كَيْ يُبْ حَيْرَ مَا حَانَهُمْ فَعَادَ بَعَيْنِ
لَيْسَ يُخْطَرْنَ مَا يَرِيدُونَ مَا يَنْ جِدَ رَامِيَهُمْ بِسَوَى النَّاطِرَيْنِ

٨٩٨/٣

(١) المسموئى : « تطاه الخيول في الجانبين » .

سألي عنهم هم شر من أب صرت في الناس ليس غير كذيين
 شر باقي وشر ما من الناس من مضي أو رأيت في الثقلين
 قال : وبلغ ذلك من فعل طاهر محمداً ، فاشتد عليه وغمه وأحزنه ؛
 فذكر كاتب لكوثر أن محمداً قال — أو قيل على لسانه هذه الأبيات :

٨٩٩/٣

مُنيتُ بِأَشْجَعِ الثَّقَلَيْنِ قَلْباً إِذَا مَا طَالَ لَيْسَ كَمَا يَطُولُ
 لَهُ مَعَ كُلِّ ذِي بَدَنٍ رَقِيبٌ يَشَاهِدُهُ وَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ
 فَلَيْسَ بِمُعْغَلٍ أَمْراً عِنَاداً إِذَا مَا الْأَمْرُ ضَيَّعَهُ الْغُفُولُ

* * *

وفي هذه السنة ضَعُفَ أمر محمد ، وأيقن بالهلاك ، وهرب عبد الله بن
 خازم بن خزيمه من بغداد إلى المدائن ؛ فذكر عن الحسين بن الضحاك أن
 عبد الله بن خازم بن خزيمه ظهرت له التهمة من محمد والتحامل عليه من
 السفلة والغوغاء ، فهم على نفسه وماله ، فالحق بالمدائن ليلاً في السفن بعياله
 وولده ، فأقام بها ولم يحضر شيئاً من القتال .

وذكر غيره أن طاهراً كاتبه وحذّره قبض ضياعه واستئصاله ؛ فحذّره
 ونجا من تلك الفتنة وسلم ؛ فقال بعض قرائد في ذلك :

وَمَا حَبَنَ ابْنُ خَازِمٍ مِنْ رَعَايٍ وَأَوْبَاشِ الطُّغَامِ مِنَ الْأَنَامِ
 وَلَكِنْ خَافَ صَوْلَةَ ضَيْعَمِيَّ هَضُورِ الشَّدِّ مشهور الغرام
 فذاع أمره في الناس ، وشئ تجار الكرخ بعضهم إلى بعض ، فقالوا :

ينبغي لنا أن نكشف أمرنا لطاهر ونُظهر له براءتنا من المعونة عليه ، فاجتمعوا
 وكتبوا كتاباً أعلموه فيه أنهم أهل السمع والطاعة والحب له ؛ لما يبلغهم من
 إيثاره طاعة الله والعمل بالحق ، والأخذ على يد المريب ، وأنهم غير مستحلّي
 النظر إلى الحرب ؛ فضلا عن القتال ، وأن الذي يكون حربه من جانبهم ليس
 منهم ، قد ضاقت بهم طرق المسلمين ؛ حتى إن الرجال^(١) [الذين بلوا من
 حربه من جانبهم ليس منهم] ، ولا^(٢) لم بالكرخ دور ولا عقار ؛ وإنما هم

٩٠٠/٣

(٢) من أ .

(١) ط : « الرجل » .

بين طرّار وسواط ونطاف^(١) ، وأهل السجون . وإنما وأهم الحمامات والمساجد ، والتجار منهم إنما هم باعة الطريق يتجرون في محقرات [اليوم] ، قد ضاقت بهم طرق المسلمين ، حتى إن الرجل ليستقبل^(٢) المرأة في زحمة^(٣) الناس فيلثان^(٤) قبل التخلّص ؛ وحتى إن الشيخ ليسقط لوجهه ضعفاً ؛ وحتى إن الحامل الكيس في حُجْزته وكفه ليُطَرُّ منه ، وما لنا بهم يدان ولا طاقة ؛ ولا نملك لأنفسنا معهم شيئاً ؛ وإن بعضنا يرفع الحجر عن الطريق لما جاء فيه من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكيف لو اقتدرنا على مَنْ في إقامته عن الطريق ، وتخليده السجن ، وتنفيته عن البلاد وحسم الشرّ والشغب ونفي الزّعة والطّرّ والسرّاق ، وصلاح الدين والدنيا ، وحاش لله أن يحاربك منا أحد!

فذكر أنهم كتبوا بهذا قصّةً ، واتعد قوم على الانسلاخ إليه بها ، فقال لهم أهل الرأى منهم والحزم : لا تظنّوا أن طاهراً غيبى عن هذا أو قصّر عن إذكاء العيون فيكم وعليكم ؛ حتى كأنه شاهدكم ؛ والرأى ألا تشهروا أنفسكم بهذا ؛ فإننا لا نأمن إن رآكم أحد من السّفلة أن يكون به هلاككم وذهاب أموالكم ؛ والخوف من تعرّضكم لهؤلاء السّفلة أعظم من طلبكم براءة السّاحة عند طاهر خوفاً ، بل لو كنتم من أهل الآثام والذنوب لكنتم إلى صفحه وتغمّده وعفوه أقرب ، فتوكّدوا على الله تبارك وتعالى وأمسكوا . فأجابوهم وأمسكوا . وقال ابن أبي طالب المكفوف :

دَعُوا أَهْلَ الطَّرِيقِ فَعَنْ قَلِيلٍ^(٥) تَنَالَهُمْ مَخَالِبُ الْهَضُورِ
فَتَهْتِكُ حُجْبَ أَفْئِدَةٍ شِدَادٍ^(٦) وَشِيكاً مَا تَصِيرُ إِلَى الْقُبُورِ
فَإِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهُمْ جَمِيعاً بِأَسْبَابِ التَّمَنَّى وَالْفُجُورِ^(٧)

٩٠١/٣

وذكر أن الهَرش خرج ومعه الغوغاء والغزاة وليفهم حتى صار إلى جزيرة

(١) في اللسان : « الطر : القطع » وربما كان الطرار هنا هو قاطع الطريق . السواط : الضارب بالسوط ؛ والنطاف «
(٢) من ا
(٣) ط : « رحمة » ، وما أثبتته من ا
(٤) كذا في ا ، وفي ط لمة غامضة
(٥) المسعودي : « عن قريب »
(٦) المسعودي : « أكباد شداد » .
(٧) المسعودي : « اتمرّد وانفجور »

العبّاس ، وخرجت عصابة من أصحاب طاهر ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكانت ناحية لم يقاتل فيها ، فصار ذلك على الوجه بعد ذلك اليوم موضعاً للاقتال ؛ حتى كان الفتح منه ؛ وكان أول يوم قاتلوا فيه استعلت أصحاب محمد على أصحاب طاهر حتى بلغوا بهم دار أبي يزيد الشروى . وخاف أهل الأرباض في تلك النواحي مما يلي طريق باب الأنبار ؛ فذكروا أن طاهراً لما رأى ذلك وجهه إليهم قائداً من أصحابه ، وكان مشغلاً بوجه كثيرة يقاتل منها أصحاب محمد ، فأوقع بهم فيها وقعة صعبة ، وغرق في الصّراة بشر كثير ، وقتل آخرون ، فقال في هزيمة طاهر في أول [يوم] (١) عمرو الوراق :

نَادَى مُنَادِي طَاهِرٍ عِنْدَنَا يَا قَوْمُ كُفُّوا وَاجْلِسُوا فِي الْبُيُوتِ
فَسَوْفَ يَأْتِيَكُمْ غَدٌ فَاحْذَرُوا [لِثَآهَرِيَّتِ الشَّدَقِ فِيهِ عِيُوتُ] (١)
فَشَارَتِ الْغَوَاءُ فِي وَجْهِهِ بَعْدَ انْتِصَافِ اللَّيْلِ قَبْلَ الْقُنُوتِ
فِي يَوْمٍ سَبَبَ تَرَكُّوْا جَمْعَهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سُمُودًا خُفُوتُ

وقال في الوقعة التي كانت على أصحاب محمد :

كَمْ قَتِيلٌ قَدْ رَأَيْنَا مَا سَأَلْنَاهُ لِأَيْشٍ
دَارِعًا يَلْقَاهُ عُرْيَا نُبْجَهْلٍ وَبَطِيْشٍ
إِنْ تَلْقَاهُ بِرُمُحٍ يَتَلَقَّاهُ بِفَيْشٍ
حَبِشِيًّا يَقْتُلُ النَّاسَ سَ عَلَى قِطْعَةٍ خَيْشٍ
مُرْتَدٍ بِالشَّمْسِ رَاضٍ بِالْمُنَى مِنْ كُلِّ عَيْشٍ
يَحْمِلُ الْحَمْلَةَ لَا يَفْ تُلْ إِلَّا رَأْسَ جَيْشٍ
كَمَلِي أَفْرَاهِمَرْدٍ أَوْ عِلَاءٍ أَوْ قُرَيْشٍ
احْذَرِ الرَّمِيَّةَ يَاطَا هَرُّ مِنْ كَفِّ الْجُبَيْشِي

وقال أيضاً عمرو الوراق في ذلك :

ذَهَبَتْ بَهْجَةٌ بَغْدَا دَ وَكَانَتْ ذَاتَ بَهْجَةٍ
فَلَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ رَجَّةٌ مِنْ بَعْدِ رَجَّةٍ
ضَجَّتِ الْأَرْضُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُنْكَرِ ضَجَّةٍ
أَيُّهَا الْمَقْتُولُ مَا أَرَتْ عَلَى دِينِ الْحَجَّةِ
لَيْتَ يَسْغُرِي مَا الَّذِي نَزَتْ وَوَقَدْ أَذْلَجَتْ دَلَجَةً
أَلَى الْفَرْدَوْسِ وَجْهَةً تَأْمُرُ النَّارَ تَرْجَةً
حَجَرٌ أَرَدَاكَ أَمْ أَرَتْ دَيْتَ قَسْرًا بِالْأَرْجَةِ
إِنْ تَكُنْ قَاتِلَتْ بِرَأْفَةٍ فَعَلَيْنَا أَلْفَ حَجَّةٍ

وذكر عن علي بن يزيد أن بعض الخدم حدثه أن محمداً أمر ببيع ما بقي في الخزان التي كانت أُنهبَت ، فكنتم ولائها^(١) ما فيها لتسرق ، فتضايق علي محمد أمره ، وفقد ما كان عنده ، وطلب الناس الأرزاق ، فقال يوماً وقد ضجر مما يرد عليه : ودِدْتُ أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَتَلَ الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعاً^(٢) ، وأراح النَّاسَ مِنْهُمْ ؛ فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا عَدُوٌّ مِنْ مَعْنَى عَلَيْنَا ؛ أَمَا هَؤُلَاءِ فَيَرِيدُونَ مَالِي ؛ وَأَمَا أَوْلَئِكَ فَيَرِيدُونَ نَفْسِي . وذكرت أبياتاً قبل إنه قالها :

٩٠٣/٣

تَفَرَّقُوا وَدَعُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَعْوَانِ^(٣)
فَكُلُّكُمْ ذُو وَجْهِ وَخَلْقَةُ الْإِنْسَانِ^(٤)
وَمَا أَرَى غَيْرَ لِفَلَاحِ الْإِيمَانِ
وَلَسْتُ أَمْنُكَ شَيْئاً فَمَسَائِلُوا نَحْزَانِي^(٥)
فَالْوَيْلُ لِي مَا دَهَانِي^(٦) مِنْ سَاكِنِ الْبُسْتَانِ

(١) كذا في أ ، وفي ط : « فكم » .

(٢) إل عا آخر الموجود من نسخة في هذا الجزء .

(٣) السعدي : ٢ : ٤١٩ .

(٤) السعدي : « كثيرة الأعوان » .

(٥) السعدي : « الإخوان » .

(٦) السعدي : « فيا دهاني » .

قال : وضعف أمر محمد ، وانتشر جنده وارتاع في عسكره ، وأحسن من طاهر بالعلو عليه وبالظفر به .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بتوجيه طاهر إياه على الموسم بأمر المأمون بذلك .
وكان على مكة في هذه السنة داود بن عيسى .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر استيلاء طاهر على بغداد]

فمن ذلك ما كان من خلاف خزيمة بن خازم محمد بن هارون ومفارقة إياه واستئمانه إلى طاهر بن الحسين ودخول هرثمة الجانب الشرقي .

• ذكر الخبر عن سبب فراقه إياه وكيف كان الأمر في مصيره

واللدخول في طاعة طاهر :

ذكر أن السبب في ذلك كان أن طاهرًا كتب إلى خزيمة يذكر له أن الأمر إن يقطع بينه وبين محمد ولم يكن له أثر في نصرته ، لم يقصر^(١) في أمره . فلما وصل كتابه إليه شاور ثقات أصحابه وأهل بيته ، فقالوا له : نرى والله أن هذا الرجل أخذ بقفا صاحبنا ، فاحتل لنفسك ولنا ؛ فكتب إلى طاهر بطاعته ، وأخبره أنه لو كان هو النازل في الجانب الشرقي مكان هرثمة لكان يحمل نفسه له على كل هول ، وأعلمه قلة ثقته بهرثمة ، ويناشده ألا يحمله على مكروه من أمره إلا أن يضمن له القيام دونه ، وإدخال هرثمة إليه ليقطع الجسور ، ويتبع هو أمراً يؤثر رأيه ورضاه ؛ وأنه إن لم يضمن له ذلك ؛ فليس يسعه تعريضه للسفلة والغوغاء والرعاع والتلف . فكتب طاهر إلى هرثمة يلومه ويعجزه ، ويقول : جمعت الأجناد ، وأقلقت الأموال ، وأقطعتها دون أمير المؤمنين ودوني ، وفي مثل حاجتي إلى الكلف والتفقات ؛ وقد وقفت على قوم هيئة شوكتهم ، يسير أمرهم ، وقوف المحجج الهائب ؛ إن في ذلك جرماً ؛ فاستعدت للدخول ؛ فقد أحكمت الأمر على دفع العسكر وقطع الجسور ؛

٩٠٤/٣

(١) ط : د ولم ، والعبارة في ابن الأثير : « ولم يكن لك في نصرى ألا أقصر في أمرك » .

وأرجو ألا يختلف عليك في ذلك اثنان إن شاء الله .

قال : وكتب إليه هرثة : أنا عارف ببركة رأيك ، ويؤمن مشورتك ، فربما أحببت ؛ فلن أخالفك ؛ قال : فكتب طاهر بذلك إلى خزيمة .

وقد ذكر أن طاهراً لما كاتب خزيمة كتب أيضاً إلى محمد بن علي بن عيسى بن ماهان بمثل ذلك . قيل : فلما كانت ليلة الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وثب خزيمة بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى على جسر دجلة فقطعاه ، وركزا أعلامهما عليه ، وخلعا محمداً ، ودعوا لعبد الله المأمون ؛ وسكن أهل عسكر المهدي ولزموا منازلهم وأسواقهم في يومهم ذلك ؛ ولم يدخل هرثة حتى مضى إليه نفر يسير غيرهما من القواد ، فحلفوا له أنه لا يرى منهم مكروهاً ، فقبل ذلك منهم ، فقال حسين الخليل في قطع خزيمة الجسر :

٩٠٥/٣

عَلَيْنَا جَمِيعاً مِنْ خَزِيمَةٍ مِثَّةُ بِهَا أَحْمَدُ الرَّحْمَنِ نَائِرَةُ الْحَرْبِ
تَوَلَّى أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِهِ فَذَبَّ وَحَامَى عَنْهُمْ أَشْرَفَ الذَّبِّ
وَلَوْلَا أَبُو الْعَبَّاسِ مَا انْفَكَّ دَهْرُنَا يَبِيتُ عَلَى عَتَبٍ وَيَعْدُو عَلَى عَتَبٍ^(١)
خَزِيمَةٌ لَمْ يُنْكَرْ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ^(٢) إِذَا اضْطَرَبَتْ شَرْقُ الْبِلَادِ مَعَ الْغَرْبِ
أَنَاخَ بِجِسْرَيْنِ دَجَلَةَ الْقَطْعِ وَالْقَنَا شَوَارِعُ وَالْأَرْوَاحُ فِي رَاحَةِ الْعَضْبِ^(٣)
وَأُمُّ الْمَنَائِيَا بِالْمَنَائِيَا مُخِيلَةً تَفْجَعُ عَنْ خَطْبٍ ، وَتَضْحَكُ عَنْ خَطْبٍ
فَكَانَتْ كَنَارٍ مَا كَرَّتْهَا سَحَابَةٌ فَأَطْفَأَتْ اللَّهَبَ الْمُؤَلَّفُ بِاللَّهَبِ
وَمَا قَتَلَ نَفْسٍ فِي نَفْسٍ كَثِيرَةٍ إِذَا صَارَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَمْنِ وَالْخَصْبِ
بِلَاءُ أَبِي الْعَبَّاسِ غَيْرُ مَكْفَرٍ إِذَا فَرَعَ الْكَرْبُ الْمَقِيمُ إِلَى الْكَرْبِ

٩٠٦/٣

فذكر عن يحيى بن سلمة الكاتب أن طاهراً غدا يوم الخميس على المدينة الشرقية وأرباضها ، والكربخ وأسواقها ، وهدم قنطرتي الصرة العتيقة والحديثة

(١) ابن الأثير : « يبيت على عتب ويعدو على عتب » .

(٢) ابن الأثير : « لم يذكر » . (٣) ابن الأثير : « انضبط » .

واشتدّ عندهما القتال ، واشتدّ طاهر على أصحابه ، وياشر القتال بنفسه ،
وقاتل من كان معه بدار الرقيق فهزمهم حتى ألحقهم بالكرّخ ، وقاتل طاهر
بباب الكرّخ وقصر الوضاح ، فهزمهم أصحاب محمد وردّوا على وجوههم ،
ومرّ طاهر لا يابوي على أحد حتى دخل قسراً بالسيف ، وأمر مناديه فنادى
بالأمان لمن لزم منزله ، ووضع بقصر الوضاح وسوق الكرّخ والأطراف قوآداً
وجنداً في كل موضع على قدر حاجته منهم ؛ وقصد إلى مدينة أبي جعفر ، فأحاط
بها وبقصر زبيدة وقصر الخلد من لدن باب الجسر إلى باب خراسان وباب
النشام وباب الكوفة وباب البصرة وشاطئ الصّراة إلى مصبها في دجلة بالحيّين
والعدة والسلاح ، وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والميراث والأفارقة ،
ف نصب المجانيق خلف السور على المدينة وبازاء قصر زبيدة وقصر الخلد
ورمي ، وخرج محمد بأهله وولده إلى مدينة أبي جعفر ، وتفرّق عنه جماعة جنده
وخصيانه وجواريه في السكك والطرق ، لا يلوى منهم أحد على أحد ، وتفرّق
الغوغاء والسفلة ، وفي ذلك يقول عمرو الوراق :

يا طاهر الظّهر انّذي	مسانه لم	يوجد
يا سيّد بن السيّد	ن السيّد بن السيّد	السيّد
رجعت إلى أعمانها الأ	وئي غزاة	محمد
من بين نطاف وسو	اط. وبين	مقرّد
ومجرّد يابوي إلى	عيّارة	ومجرّد
ومقيّد نقب السّجو	ن فعاد غير	مقيّد
ومسوّد بالتهب سا	د وكان غير	مسوّد
ذلّوا لعزّك واستكا	نوا بعد طول	تمرّد

٩٠٧/٣

وذكر عن عليّ بن يزيد ، أنه قال : كنت يوماً عند عمرو الوراق أنا
وجماعة ، فجاء رجل ، فحدثنا بوقعة طاهر بباب الكرّخ وانهزام الناس عنه ،

فقال عمرو : ناولني قَدَحًا ، وقال في ذلك :

تُحَذِّهَا فَلِلْخَمْرِ أَسْمَاءُ^(١) لَهَا دَوَاءٌ وَلَهَا دَاءٌ
يُصْلِحُهَا الْمَاءُ إِذَا صَفَّقْتَ يَوْمًا وَقَدْ يُفْسِدُهَا الْمَاءُ
وَقَاتِلٍ كَانَتْ لَهُمْ وَقْعَةٌ فِي يَوْمِنَا هَذَا وَأَشْيَاءُ
قُلْتُ لَهُ : أَنْتَ امْرُؤٌ جَاهِلٌ فَبِكَ عَنْ الْخَيْرَاتِ إِبْطَاءُ
اشْرَبْ وَدَعْنَا مِنْ أَحَادِيثِهِمْ يَصْطَلِیحُ النَّاسُ إِذَا شَاءُوا

قال : ودخل علينا آخر ، فقال : قاتل فلان الغزاة ، وأقدم فلان ،
وانتهب فلان . قال : فقال أيضاً :

أَيُّ دَهْرٍ نَحْنُ فِيهِ مَاتَ فِيهِ الْكِبَرَاءُ
هَذِهِ السَّفَلَةُ وَالْغَوُ غَاءَ فِينَا أُمْنَاءُ
مَا لَنَا شَيْءٌ مِنَ الْأَشْءِ يَاءُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
ضَجَّتِ الْأَرْضُ وَقَدْ ضَجَّ تَ إِلَى اللَّهِ السَّمَاءُ
رُفِعَ الدِّينُ وَقَدْ هَا نَتَ عَلَى اللَّهِ الدَّمَاءُ
يَا أَبَا مُوسَى لَكَ الْخِيَرَةُ رَاتُ قَدْ حَانَ الْمَقَاءُ
هَآكِهِ صِرْفًا عُقَارًا قَدْ أَتَاكَ النُّدْمَاءُ

٩٠٨/٣

وقال أيضاً عمرو الوراق في ذلك :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تُغْضِيَ بَ جُنْدِيًا وَتَسْتَامِرْ
فَقُلْ : يَا مَعْشَرَ الْأَجْنَا دِ قَدْ جَاءَكُمْ طَاهِرٌ

* * *

قال وتحصن محمد بالمدينة هو ومن يقاتل معه ، وحصره طاهر وأخذ عليه
الأبواب ، ومنع منه ومن أهل المدينة الدقيق والماء وغيرهما .

(١) ابن الأثير : « فخطها » .

فذكر عن الحسين بن أبي سعيد أن طارقاً الخادم — وكان من خاصة محمد ، وكان المأمون بعد مقتلهم أخبره أن محمداً سأله يوماً من الأيام وهو محصور ، أو قال في آخر يوم من أيامه ، أن يطعمه شيئاً — قال : فدخلت المطبخ فلم أجد شيئاً ، فجئت إلى جرة العطارة — وكانت جارية الجوهر — فقلت لها : إن أمير المؤمنين جائع ، فهل عندك شيء ، فإني لم أجد في المطبخ شيئاً ؟ فقالت لجارية لها يقال لها بنان : أي شيء عندك ؟ فجاءت بدجاجة ورغيف ، فأتيته بهما فأكل ، وطلب ماء يشربه فلم يوجد في خزانة الشرباب ، فأمسى وقد كان عزم على لقاء هرثة ، فنا شرب ماء حتى أتى عليه .

وذكر عن محمد بن راشد أن إبراهيم بن المهدي أخبره أنه كان نازلاً مع محمد المخلوع في مدينة المنصور في قصره بباب الذهب ، لما حصره طاهر . ٩٠٩/٣ قال : فخرج ذات ليلة من القصر يريد أن يتفرج من الضيق الذي هو فيه ، فصار إلى قصر القرار — في قرن الصراة ، أسفل من قصر الخلد — في جوف الليل ، ثم أرسل إلى فصرته إليه ، فقال : يا إبراهيم ، أما ترى طيب هذه الليلة ، وحسن القمر في السماء ، وضوءه في الماء ! ونحن حيثن في شاطئ دجلة ، فهل لك في الشرب ! فقلت : شأنك ، جعلني الله فداك ! فدعا برطل نبيذ فشربه ، ثم أمر فسقيت مثله . قال : فابتدأت أغنيته من غير أن يسألني ؛ لعلمي بسوء خلقه ، فغنت ما كنت أعلم أنه يحبه ، فقال لي : ما تقول فيمن يضرب عليك ؟ فقلت : ما أحوجني إلى ذلك ؛ فدعا بجارية متقدمة عنده يقال لها ضعف ، فتطيرت من اسمها ؛ ونحن في تلك الحال التي هو عليها ، فلما صارت بين يديه ، قال : تغني ، فغنت بشعر النابغة الجعدي :

كُتِبَ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرَجَ بِالْدَمِّ^١

قال : فاشتد ما غنت به عليه ، وتطايبر منه ، وقال لها : غني غير هذا ، فغنت :

أَبْكَى فِرَاقَهُمْ عَيْنِي وَأَرْقَاهَا^(١) إِنَّ التَّفَرُّقَ لِلْأَحْبَابِ بَكَاءُ
مَا زَالَ يَعْدُو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَفَانَوْا وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَدَاءُ

فَقَالَ لَهَا : لَعْنُكَ اللَّهُ ! أَمَا تَعْرِفِينَ مِنَ الْغَنَاءِ شَيْئًا غَيْرَ هَذَا ! قَالَتْ :
يَا سَيِّدِي ، مَا تَغْنَيْتِ إِلَّا بِمَا ظَنَنْتِ أَنَّكَ تَحِبُّهُ ، وَمَا أَرَدْتَ مَا تُكْرَهُهُ ، وَمَا هُوَ
إِلَّا شَيْءٌ جَاءَنِي . ثُمَّ أَخَذَتْ فِي غَنَاءٍ آخَرَ :

٩١٠/٣

أَمَّا وَرَبُّ السُّكُونِ وَالْحَرَكَ
مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا^(٢) دَارَتْ نَجُومُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكَ
إِلَّا لِنَقْلِ النِّعَمِ مِنْ مَلِكٍ عَانٍ بِحُبِّ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ
وَمُلْكُ ذِي الْعَرْشِ دَائِمٌ أَبَدًا لَيْسَ بِفَانٍ وَلَا بِمَشْرُكٍ

فَقَالَ لَهَا : قَوْمِي غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكَ ! قَالَ : فَقَامَتْ . وَكَانَ لَهُ قَدْحٌ بَلُورٍ
حَسَنُ الصَّنْعَةِ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَسْمِيهِ زُبَّ رُبَاحٍ ، وَكَانَ مَوْضُوعًا بَيْنَ يَدَيْهِ ،
فَقَامَتْ الْجَارِيَةُ مَنْصَرِفَةً فَتَعَثَّرَتْ بِالْقَدْحِ فَكَسَرَتْهُ — قَالَ إِبْرَاهِيمُ : وَالْعَجَبُ
أَنَا لَمْ نَجْلِسْ مَعَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ قَطُّ إِلَّا رَأَيْنَا مَا نَكْرَهُ فِي مَجْلِسِنَا ذَلِكَ — فَقَالَ لِي :
وَيْحَكَ يَا إِبْرَاهِيمُ ! مَا تَرَى مَا جَاءَتْ بِهِ هَذِهِ الْجَارِيَةُ ؛ ثُمَّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ
الْقَدْحِ ! وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ أَمْرِي إِلَّا وَقَدْ قَرُبُ ، فَقُلْتُ : يَطِيلُ اللَّهُ عَمْرَكَ ، وَيَعِزُّ
مُلْكُكَ ، وَيَدِيمُ لَكَ ، وَيَكْبِتُ عَدُوَّكَ . فَمَا اسْتَمَّ الْكَلَامَ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا مِنْ
دِجْلَةٍ : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^(٣) ، فَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، مَا سَمِعْتَ
مَا سَمِعْتُ ! قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، مَا سَمِعْتُ شَيْئًا — وَقَدْ كُنْتُ سَمِعْتُ — قَالَ :
تَسْمَعُ حَسًّا ! قَالَ : فَدَنَوْتُ مِنَ الشَّطِّ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا ، ثُمَّ عَاوَدْنَا الْحَدِيثَ ،
فَعَادَ الصَّوْتُ : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ ، فَوُثِّبَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ
مَغْتَمًّا ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ بِالْمَدِينَةِ ، فَمَا كَانَ بَعْدَ هَذَا إِلَّا لَيْلَةُ أَوَّلَيْتَانِ
حَتَّى حَدَثَ مَا حَدَثَ مِنْ قَتْلِهِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَحَدِ لَسْتُ — أَوَّلَ أَرْبَعٍ — خَلَرْنَ
مِنْ صَفَرٍ ، سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ .

٩١١/٣

(١) ابن الأثير : « أَبْكَى فِرَاقَهُمْ عَيْنِي فَأَرْقَاهَا » .

(٢) ابن الأثير : « وَمَا » . (٣) سورة يوسف : ٤١ .

وذكر عن أبي الحسن المدائني ؛ قال : لما كان ليلة الجمعة لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، دخل محمد بن هارون مدينة السلام هارباً من القصر الذي كان يقال له الخُلْد ، مما كان يصل إليه من حجارة المنجنيق ، وأمر بمجالسه وبُسطه أن تحرق فأحرقت ، ثم صار إلى المدينة ؛ وذلك لأربع عشرة شهراً ، منذ ثارت الحرب مع طاهر إلا اثني عشر يوماً .

• • •

[ذكر الخبر عن قتل الأمين]

وفي هذه السنة قتل محمد بن هارون .

• ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر عن محمد بن عيسى الجُلُودي أنه قال : لما صار محمد إلى المدينة ، وقرّ فيها ، وعلم قوّاده أنه ليس لهم ولا له فيها عُدّة للحصار ، وخافوا أن يُظفّر بهم ؛ دخل على محمد حاتم بن الصقر ومحمد بن إبراهيم بن الأغلب الإفريقي وقوّاده ، فقالوا : قد آلت حالك وحالتنا إلى ما ترى ؛ وقد رأينا رأياً نعرضه عليك ؛ فانظر فيه واعتزم عليه ؛ فإنّا نرجو أن يكون صواباً ، ويجعل الله فيه الخير إن شاء الله . قال : ما هو ؟ قالوا : قد تفرّق عنك الناس ، وأحاط بك عدوك من كلّ جانب ، وقد بقي من خيلك معك ألف فرس من خيارها وجيادها ؛ ففرى أن نختر من^(١) قد عرفناه بمحبّتك من الأبناء سبعمائة رجل ، فنحملهم على هذه الخيل ونخرج ليلاً على باب من هذه الأبواب فإن الليل لأهله ؛ ولن يثبت لنا أحد إن شاء الله ؛ فنخرج حتى نلحق بالجزيرة والشأم فتفرض الفروض ، وتجي الخراج ، وتصير في مملكة واسعة ، ومُلك جديد ، فيسارع إليك الناس ، وينقطع عن طلبك الجنود ، وإلى ذلك ما قد أحدث الله عزّ وجلّ في مسكّر الليل والنهار أموراً . فقال لهم : نعم ما رأيتم ؛ واعتزم على ذلك .

٩١٢/٣

وخرج الخبر إلى طاهر ؛ فكتب إلى سليمان بن أبي جعفر ، وإلى محمد بن

(١) ابن الأثير : « من » .

عيسى بن نهيك، وإلى السندی بن شاهك : والله لن لم تُقرّوه وتردّوه عن هذا الرأي لا تركت لكم ضيعة إلا قبضتها ، ولا تكون لي هبة إلا أنفستكم . فدخلوا على محمد ، فقالوا : قد بلغنا الذي عزمَ عليه ؛ فنحن نذكرك الله في نفسك ! إن هؤلاء صعاليك ، وقد بلغ الأمر إلى ما ترى من الحصار ، وضاق عليهم المذهب ، وهم يرون ألا أمان لهم على أنفسهم وأموالهم عند أخيك وعند طاهر وهرثمة لما قد انتشر عنهم من مباشرة الحرب والجد فيها ، ونسنا نأمن إذا برزوا بك ، وحصلت في أيديهم أن يأخذوك أسيراً ، ويأخذوا رأسك فيقتربوا بك ، ويجعلوك سبب أمانهم ؛ وضربوا له فيه الأمثال .

قال محمد بن عيسى الجلودى : وكان أبى وأصحابه قعوداً في رواق البيت الذي شُيِّدَ وسليمان وأصحابه فيه . قال : فلما سمعوا كلامهم ، ورأوا أنه قد قبله خافة أن يكون الأمر على ما قالوا له ؛ همّوا أن يدخلوا عليهم فيقتلوا سليمان وأصحابه ؛ ثم بدا لهم وقالوا : حَرِّبْ من داخل ، وحَرِّبْ من خارج . فكنتموا وأمسكوا .

قال محمد بن عيسى : فلما نكت ذلك في قلب محمد ، ووقع في نفسه ما وقع منه ، أضرب عما كان عزم عليه ، ورجع إلى قبول ما كانوا بذلوا له من الأمان والخروج ؛ فأجاب سليمان والسندی ومحمد بن عيسى إلى ما سألوهم من ذلك ، فقالوا : إنما غايتك اليوم السلامة واللّهو ، وأخوك يتركك حيث أحببت ، ويفردك في موضع ، ويجعل لك كل ما يصلحك وكل ما تحب وتهوى ؛ وليس عليك منه بأس ولا مكروه . فركن إلى ذلك ، وأجابهم إلى الخروج إلى هرثمة .

قال محمد بن عيسى : وكان أبى وأصحابه يكرهون الخروج إلى هرثمة ؛ لأنهم كانوا من أصحابه ، وقد عرفوا مذهبهم ، وخافوا أن يجهزهم ولا يخصهم ، ولا يجعل لهم مراتب ، فدخلوا على محمد فقالوا له : إذ أبيت أن تقبل منا ما أشرنا عليك - وهو الصواب - وقبلت من هؤلاء المداهين ، فالخروج إلى

طاهر خير لك من الخروج إلى هرثمة . قال محمد بن عيسى : فقال لم : ويحكم ! أنا أكره طاهراً ؛ وذلك أنى رأيت في منامى كأنى قائم على حائط من أجبر شاهق في السماء ، عريض الأساس وثيق ، لم أر حائطاً يشبهه في الطول والعرض والوثاقة ، وعلى سوادى ومنطقتى وسينى وقلنسوتى وخفتى ؛ وكان طاهر في أصل ذلك الحائط ، فما زال يضرب أصله حتى سقط الحائط وسقطت ، ونذرت قلنسوتى من رأسى ، وأنا أتطير من طاهر ، وأستوحش منه ، وأكره الخروج إليه لذلك ؛ وهرثمة مولانا وبمترلة الوالد ، وأنا به أشد أنساً وأشد ثقة .

وذكر عن محمد بن إسماعيل ، عن حفص بن أرميايل ، أن محمداً لما أراد أن يعبر من الدار بالقرار إلى منزل كان في بستان موسى — وكان له جسر في ذلك الموضع — أمر أن يفرش في ذلك المجلس ويطيب . قال : فكثت ليلتى أنا وأعوانى نتخذ الروائح والطيب ونكثب^(١) التفاح والرمان والأترج ، ونضعه في البيوت ؛ فسهرت ليلتى أنا وأعوانى ؛ ولما صليت الصبح دفعت إلى عجوز قطعة بخور من عنبر ، فيها مائة مثقال كالبطيخة ، وقلت لها : إني سهرت ونعست نعاساً شديداً ؛ ولا بد لي من نومة ، فإذا نظرت إلى أمير المؤمنين قد أقبل على الجسر ، فضعى هذا العنبر على الكانون . وأعطيتها كانوناً من فضة صغيراً عليه جمر ، وأمرتها أن تنفخ حتى تحرقها كلها ، ودخلت حراقة فمنت ، فما شعرت إلا وبالعجوز قد جاءت فزعة حتى أيقظتني ، فقالت لي : قم يا حفص ؛ فقد وقعت في بلاء ، قلت : وما هو ؟ قالت : نظرت إلى رجل مقبل على الجسر منفرد ، شبه الجسم بجسم أمير المؤمنين ، وبين يديه جماعة وخلفه جماعة ؛ فلم أشك أنه هو ؛ فأحرق العنبر ، فلما جاء ، فإذا هو عبد الله بن موسى ، وهذا أمير المؤمنين قد أقبل . قال : فشتمتها وعنتتها . قال : وأعطيتها أخرى مثل تلك لتحرقها بين يدي ، ففعلت ؛ وكان هذا من أوائل الإدبار .

وذكر على بن يزيد ، قال : لما طال الحصار على محمد ، فارقه سليمان بن أبي جعفر وإبراهيم بن المهدي ومحمد بن عيسى بن نهيك ، ولحقوا جميعاً

(١) نكثب . تبع .

بعسكر المهديّ ، ومكث محمد محصوراً في المدينة يوم الخميس ويوم الجمعة والسبت . وناظر محمدُ أصحابه ومنَ بقيَ معه في طلب الأمان ؛ وسألهم عن الجهة في النجاة من طاهر ؛ فقال له السندی : والله يا سيدي ؛ لئن ظفر بنا المأمون لعلّني رَغِمَ منا وتَعَسَّ جدودنا ؛ وما أرى فرجاً إلا هرثمة . قال له : وكيف بهرثمة ؛ وقد أحاط الموت بي من كلِّ جانب ! وأشار عليه آخرون بالخروج إلى طاهر وقالوا : لو حلفتَ له بما يتوثقُ به منك أنك مفوضٌ إليه ملكك ؛ فلعلّه كان سيرُكُنُّ إليك . فقال لهم : أخطأتُم وجهه الرأى ، وأخطأتُ في مشاورتكم ؛ هل كان عبد الله أخى لو جهد نفسه وولىّ الأمور برأيه بالغاً عشر ما بلغه له طاهر ! وقد حصّته وبَحِثَ عن رأيه ، فما رأيته يميل إلى غدر به ؛ ولا طمع فيما سواه ؛ ولو أجاب إلى طاعتي ، وانصرف إلىّ ثم ناصبني أهلُ الأرض ما اهتممت بأمر ؛ ولوددت أنه أجاب إلى ذلك ، فنحتة خزانتي وفوّضت إليه أمري ، ورضيت أن أعيش في كنفه ؛ ولكنّي لا أطمع في ذلك منه . فقال له السندی : صدقتَ يا أميرَ المؤمنين ؛ فبادر بنا إلى هرثمة ؛ فإنه يرى ألاّ سبيلَ عليك إذا خرجت إليه من الملاك ؛ وقد ضمن إلىّ أنه مقاتل دونك إن همّ عبد الله بقتلك ؛ فاخرج ليلاً في ساعة قد نَوِّمَ الناس فيها ؛ فإنّي أرجو أن يغيبني على الناس أمرُنا .

وقال أبو الحسن المدائنيّ : لما همّ محمد بالخروج إلى هرثمة ، وأجابه إلى ما أراد ، اشتدّ ذلك على طاهر ، وأبى أن يرفّه عنه ويدّعه يخرج ، وقال : هو في حيزي والجانب الذي أنا فيه ، وأنا أخرجته بالحصار والحرب ؛ حتى صار إلى طلب الأمان ؛ ولا أرضى أن يخرج إلى هرثمة دوني ؛ فيكون الفتح له .

ولما رأى هرثمةُ والقوّاد ذلك ، اجتمعوا في منزل خزيمة بن خازم ؛ فصار إليهم طاهر وخاصّة قواده ، وحضرهم سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندی بن شاهك ، وأداروا الرأى بينهم ، ودبّروا الأمر ، وأخبروا طاهراً أنه لا يخرج إليه أبداً ، وأنه إن لم يجسّب إلى ما سأل لم يؤمن أن يكون الأمر في أمره شلّ في أيام الحسين بن عليّ بن عيسى بن ماهان ؛ فقالوا له : تاريخ الطبري - ثامن

يخرج ببذنه إلى هرثمة - إذ كان يأمن به ويتق بناحيته ، وكان مستوحشاً منك ، ويدفع إليك الخاتم والقضيب والبُرْدَة - وذلك الخلافة - ولا تفسد هذا الأمر واغتنمه إذ يستره الله . فأجاب إلى ذلك ورضى به . ثم قيل : إن الهَرِثَ لما علم بالخبر ، أراد التقرب إلى طاهر ، فخبّره أنّ الذي جرى بينهم وبينه مكر ، وأنّ الخاتم والبردة والقضيب تحمل مع محمد إلى هرثمة . فقبل طاهر ذلك منه ، وظنّ أنه كما كتب به إليه ، فاغتاز وكسّمَن حول قصر أم جعفر وقصور الخُلْد كناء بالسلاح ومعهم العتَل والقووس ، وذلك ليلة الأحد لحمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، وفي الشهر السرياني خمسة وعشرون من أيلول .

فذكر الحسن بن أبي سعيد، قال : أخبرني طارق الخادم ، قال : لما همّ محمد بالخروج إلى هرثمة عطش قبل خروجه ، فطلبتُ له في خزانة شرايه ماء فلم أجده . قال : وأسسى فبادر يُريد هرثمة للوعْد الذي كان بينه وبينه ؛ ولبس ثياب الخلافة ؛ دَرَاة وطيلساناً والفلنسوة الطويلة ، وبين يديه شمعة . فلما انتهينا إلى دار الحرس من باب البصرة ، قال : اسقني من جباب الحرس ، فناولته كوزاً من ماء ، فعافه لُزهوكته^(١) فلم يشرب منه ؛ وصار إلى هرثمة . فوثب به طاهر ، وأكن له نفسه في الخُلْد ؛ فلما صار إلى الحرّاقة^(٢) ؛ خرج طاهر وأصحابه فرموا الحرّاقة بالسهام والحجارة ، فالوا ناحية الماء ، وانكفأت الحرّاقة ؛ فغرق محمد وهرثمة ومن كان فيها ، فسبح محمد حتى عبر وصار إلى بستان موسى ، وظنّ أن غرقه إنما كان حيلة من هرثمة ، فعبّر دجلة حتى صار إلى قرب الصّراة ، وكان على المسلحة إبراهيم بن جعفر البلخيّ ومحمد بن حميد هو ابن أخى شكلة أم إبراهيم بن المهدي - وكان طاهر ولاه وكان إذا ولّى رجلاً من أصحابه خُرّاسانياً ضم إليه قوماً - فعرّفه محمد بن حميد وهو المعروف بالطاهري ؛ وكان طاهر يقدّمه في الولايات ، فصاح بأصحابه فزّلوا ، فأخذوه ، فبادر محمداً لمّا ، فأخذ بساقيه فجذبه ، وحمل على

٩١٧/٣

(١) الزدوكة : الرائحة الكريهة .

(٢) الحرّاقة : نوع من السفن ؛ فيها مراى نيران يرى بها .

يرُدُّونَ ، وألقى عليه لآزار من أزر الجند غير مفتول ؛ وصار به إلى منزل إبراهيم بن جعفر البلخي ، وكان ينزل بباب الكوفة ، وأردف رجلا خلفه يسكه لثلا يسقط ، كما يفعل بالأسير .

فذكر عن الحسن بن أبي سعيد ، أن خطّاب بن زياد حدثه أن محمداً وهرثمة لما غرقا ، بادر طاهر إلى بُستان مؤنسة ، بإزاء باب الأنبار ، موضع معسكره لثلا يستهم بغرق هرثمة . قال : فلما انتهى طاهر — ونحن معه في الموكب والحسن ابن عليّ المأمونيّ والحسن الكبير الخادم للرّشيد — إلى باب الشام ، لحقنا محمد بن حميد ، فترجل ودنا من طاهر ، فأخبره أنه قد أمر محمداً ، ووجه به إلى باب الكوفة إلى منزل إبراهيم البلخي . قال : فالتفت إلينا طاهر ، فأخبرنا الخبر ، وقال : ما تقولون ؟ فقال له المأمونيّ : «مَكُنْ» ، أي لا تفعل فعّل حسين ابن عليّ . قال : فدعا طاهر بمولّى له يقال له قريش الدندانيّ ، فأمره بقتل محمد . قال : واتّبعه طاهر يريد باب الكوفة إلى الموضع .

٩١٨/٣

وأما المدائنيّ فإنه ذكر عن محمد بن عيسى الجلوديّ ، قال : لما نهيتا للخروج — وكان بعد عشاء الآخرة من ليلة الأحد — خرج إلى صحن القصر ، فقعّد على كرسيّ ، وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود ؛ فدخلنا عليه ، فقمنا بين يديه بالأعمدة . قال : فجاء كتلة الخادم ، فقال : يا سيّدی ، أبو حاتم يقرئك السلام ، ويقول : يا سيّدی وافيت للميعاد لحملك ، ولكنّي أرى ألا تخرج الليلة ؛ فإني رأيتُ في دجلة على الشطّ أمراً قد رابني ، وأخاف أن أغلب فتؤخذ من يدي أو تذهب نفسك ؛ ولكن أقيم بمكانك حتى أرجع ثم أستعدّ ثم آتيك القابلة فأخرجك ؛ فإن حُوربت حاربتُ دونك ومعى عدّتي . قال : فقال له محمد : ارجع إليه ، فقل له : لا تبرح ؛ فإني خارج إليك الساعة لا محالة ، ولست أقيم إلى غد . قال : وقلق وقال : قد تفرّق عني الناس ومنّ عليّ بابي من الموالى والحرس ، ولا آمن إن أصبحت وانتهى الخبر بتفريقهم إلى طاهر أن يدخل عليّ فيأخذني . ودعا بفرس له أدهم محذوف أغرّ محجل ، كان يسميه الزهرى^(١) ، ثم دعا بابنيه فضمّتهما إليه ، وشمّهما وقبلهما ،

(١) السعديّ : « الزهرى » .

٩١٩/٣

وقال : أستودعكما الله ؛ ودمعتُ عيناه ، وجعل يمسح دموعه بكمّته ، ثم قام فوثب على الفرس ، وخرجنا بين يديه إلى باب القصر ؛ حتى ركبنا دوابنا ؛ وبين يديه شمعة واحدة . فلما صرنا إلى انطاقيات ممّا يلي باب خراسان ، قال لي أبي : يا محمد ، ابسط يدك عليه ؛ فإنّي أخاف أن يضربه إنسان بالسيف ؛ فإن ضُرب كان الضرب بكِ دونهُ . قال : فألقيتُ عِنانَ فرسي بين معرفته ، وبسطت يدي عليه حتى انتهينا إلى باب خُراسان ، فأمرنا به ففتح ، ثم خرجنا إلى المشرعة ، فإذا حَرّاقَة هرثمة ، فرقيّ إليها ، فجعل الفرس يتلكأ وينفر ، وضربه بالسوط وحمله عليها ، حتى ركبها في درجلة ، فنزل في الحرّاقَة ، وأخذنا الفرس ، ورجعنا إلى المدينة ، فدخلناها وأمرنا بالباب فأغلق ؛ وسمعنا الواعية ، فصعدنا على القبة التي على الباب ؛ فوقفنا فيها نسمع الصوت .

فذكر عن أحمد بن سلام صاحب المظالم أنه قال : كنت فيمن ركب مع هرثمة من القواد في الحرّاقَة ، فلما نزلها محمد قمنا على أرجلنا إعظاماً ، وجشّى هرثمة على ركبتيه ، وقال له : يا سيدي ، ما أقدر على القيام لمكان النُقُرس الذي بي ، ثم احتضنه وصيّره في حِجره ، ثم جعل يقبّل يديه ورجليه وعينيّه ، ويقول : يا سيدي ومولاي وابن سيدي ومولاي . قال : وجعل يتصفّح وجوهنا ، قال : ونظر إلى عبيد الله بن الوضّاح ، فقال له : أيّهم أنت ؟ قال : أنا عبيد الله بن الوضّاح ، قال : نعم ، فجزاك الله خيراً ، فاشكرني لما كان منك من أمر الثايج ! ولو قد لقيت أخى أبقاه الله لم أدعُ أن أشكره عنده ، وسألته مكافأتك عنّي . قال : فبينما نحن كذلك — وقد أمر هرثمة بالحرّاقَة أن تُدفع — إذ شدّ علينا أصحاب طاهر في الزّواريق والشّدّوات^(١) وعطّطوا^(٢) وتعلّموا بالسكّان^(٣) ، فبعضٌ يقطع السكّان ، وبعضٌ ينقب الحرّاقَة ، وبعضٌ يرمي بالآجر والنشاب . قال : فتقبّبت الحرّاقَة ، فدخلها الماء فغرقت ، وسقطت هرثمة إلى الماء ، فأخرجه ملاح ؛ وخرج كل واحد منا على حيلة ؛ ورأيت

٩٢٠/٣

(١) الشّدّوات : ضرب من السفن ؛ واحده شذاة .

(٢) العططة : تتابع الأصوات واختلافها .

(٣) السكّان : ذنب السفينة الذي به تعدل .

محمدًا حين صار إلى تلك الحال قد شقّ عليه ثيابه ، ورمى بنفسه إلى الماء .
قال : فخرجت إلى الشطّ ، فعلقني رجل من أصحاب طاهر ؛ ففضي بي إلى
رجل قاعد على كرسيّ من حديد على شطّ دجلة في ظهر قصر أمّ جعفر ،
بين يديه نار توقد ، فقال بالفارسية : هذا رجل خرج من الماء ممن غرق من
أهل الحرّاقة ، فقال لي : مَنْ أَنْتَ ؟ قلت : من أصحاب هرّمة ؛ أنا أحمد
ابن سلام صاحب شرطة مولى أمير المؤمنين ، قال : كذبت فاصدقني ،
قال : قلت . قد صدقتك ، قال : فما فعل المخاوع ؟ قلت : قد رأيته حين شقّ
عليه ثيابه ، وقذف بنفسه في الماء قال : قدّموا دابتي ؛ فقدموا دابته ،
فركب وأمر بي أن أجنّب . قال : فجعل في عنقي حبل وجنّبت ؛ وأخذ
في درب الرشديّة ، فلما انتهى إلى مسجد أسد بن المرزبان ، انبهرت من
العدوّ فلم أقدر أن أعدهو ، فقال الذي يجنّبي : قد قام هذا الرجل ؛ وليس
يعدهو ، قال : انزل ، فحُدّ رأسه ، فقلت له : جعلت فداك ! لِمَ تقتلني وأنا رجل
علىّ من الله نعمة ، ولم أقدر على العدوّ ، وأنا أفدى نفسي بعشرة آلاف
درهم . قال : فلما سمع ذكر العشرة آلاف درهم ، قلت : تحبّسني عندك
حتى تصبح وتدفع إليّ رسولا حتى أرسله إلى وكيل في منزلي في عسكر المهديّ ،
فإن لم يأتك بالعشرة آلاف فاضرب عنقي . قال : قد أنصفت ، فأمر بحمل ،
فحملت ردّقا لبعض أصحابه ، فضي بي إلى دار صاحبه ، دار أبي صالح
الكاتب ؛ فأدخلني الدار ، وأمر غلمانه أن يحتفظوا بي ، وتقدّم إليهم ، وأوعز
وتفهّم مني خبر محمد ووقوعه في الماء ، ومضى إلى طاهر ليخبره خبره ؛ فإذا هو
إبراهيم البلخيّ . قال : فصيرتني غلمانه في بيت من بيوت الدار فيه بوار
ووسادتان أو ثلاث — وفي رواية حُصِر مُدْرَجَة — قال : فقعدت في البيت ،
وصيروا فيه سراجا ، وتوثّقوا من باب الدار ، وقعدوا يتحدثون . قال : فلما ذهب
من الليل ساعة ؛ إذا نحن بحركة الخيل قدقوا الباب ، ففتح لهم ، فدخلوا وهم
يقولون : « يسّر زبيدة » . قال : فأدخل عني رجل عريان عليه سراويل وعمامة
مثلثم بها ، وعلى كتفيه خربة خلقة ؛ فصيروه معي ، وتقدّموا إلى مَنْ في
الدار في حفظه ، وخلفوا معهم قوماً آخرين أيضاً منهم .

قال : فلما استقرّ في البيت حسّر العمامة عن وجهه ؛ فإذا هو محمد ، فاستعبرت واسترجعت فيما بيني وبين نفسي . قال : وجعل بنظر إلى ، ثم قال : أيهم أنت ؟ قال : قلت : أنا مولاك يا سيدي ، قال : وأيّ الموالى ؟ قلت : أحمد بن سلام صاحب المظالم ، فقال : وأعرفك بغير هذا ، كنت تأتيني بالرقّة ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كنت تأتيني وتلطفني كثيراً ، لست مولاي بل أنت أخي ومنّي . ثم قال : يا أحمد ، قلت : لبّيك يا سيدي ؛ قال : ادن مني وضمتني إليك ، فإني أجدّ وحشة شديدة . قال : فضممتني إلى ، فإذا قلبه يخفق خفقاً شديداً كاد أن يفرّج عن صدره فيخرج . قال : فلم أزل أضمه إلى وأسكنه . قال : ثم قال : يا أحمد ، ما فعل أخي ؟ قال : قلت : هو حيّ ، قال : قبح الله صاحب يريدكم ما أكذبه ! كان يقول : قد مات ، شبه المعتذر من محاربته ؛ قال : قلت : بل قبح الله وزراءك ! قال : لاتقلّ لوزرائي إلّا خيراً . فإلهم ذنب ؛ ولست بأول من طلب أمراً فلم يقدر عليه . قال : ثم قال : يا أحمد ، ما تراهم يصنعون بي ؟ أتراهم يقتلونني أو يفنون لي بأيمانهم ^(١) ؟ قال : قلت : بل يفنون لك يا سيدي . قال : وجعل يضمّ على نفسه الحرقّة التي على كتفيه ، ويضمها ويمسكها بعضده يمينه ويسرة . قال : فزعت مبطنه كانت علىّ ثم قلت : يا سيدي ، ألتق هذه عليك . قال : ويحك ! دعني ، هذا من الله عزّ وجلّ ، لي في هذا الموضع خير .

٩٢٢/٣

قال : فبينما نحن كذلك : إذ دقّ باب الدار ، ففتّح ، فدخل علينا رجل عليه سلاحه ، فتطلّع في وجهه مستبشاً له ، فلما أثبتته معرفة ، انصرف وغلّق الباب ؛ وإذا هو محمد بن حميد الطاهريّ ، قال : فعلمت أن الرجل مقتول . قال : وكان بقيّ علىّ من صلاتي الوتر ، فخفت أن أقتل معه ولم أوتر ، قال : فقامت أوتر ، فقال لي : يا أحمد ، لا تتباعد مني ، وصلّ إلى جانبي ، أجدّ وحشة شديدة . قال : فاقتربت منه ؛ فلما انتصف الليل أو قارب ، سمعت حركة الخيل ، ودقّ الباب ، ففتّح ، فدخل الدار قوم من العجم بأيديهم السيوف مسلّة ، فلما رأهم قام قائماً ، وقال : إنّ الله وإنّا إليه راجعون ! ذهبت والله

(١) ابن الأثير : « بأيمانهم » .

نفسى فى سبيل الله ! أما من حيلة ! أما من مغيب ! أما من أحد من الأبناء ! ٩٢٣/٣
 قال : وجاءوا حتى قاموا على باب البيت الذى نحن فيه ، فأحجموا عن الدخول ،
 وجعل بعضهم يقول لبعض : تقدّم ، ويدفع بعضهم بعضاً . قال : فقمْتُ
 فصرتُ خلف الحَصْر المدرّجَة فى زاوية البيت : وقام محمد ، فأخذ بيده وسادة ،
 وجعل يقول : ويحككم ! إني ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن
 هارون ، وأنا أخو المأمون ، الله الله فى دمي ! قال : فدخِل عليه رجل منهم
 يقال له خمارويه - غلام لقريش الدندانيّ مولى طاهر - فضربه بالسيف
 ضربة وقعت على مقدّم رأسه ؛ وضرب محمد وجهه بالسادة التي كانت فى
 يده ، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده فصاح خمارويه : قتلنى قتلنى - بالفارسية
 قال : فدخِل منهم جماعة ، فخنّسه واحد منهم بالسيف فى خاصرته ، وركبوه
 فذبحوه ذبحاً من قفاه ، وأخذوا رأسه ، ففَضُّوا به إلى طاهر ، وتركوا جثته .
 قال : ولما كان فى وقت السحر جاءوا إلى جُثَّتِه فأدرجوها فى جُلٍّ ، وحملوها .
 قال : فأصبحت فقيل لى : هات العشرة آلاف درهم وإلا ضربنا عنقك .
 قال : فبعثت إلى وكيلى فأتاني ، فأمرته فأتاني بها ، فدفعتها إليه . قال : وكان
 دخول محمد المدينة يوم الخميس ، وخرج إلى دجلة يوم الأحد .

وذكر عن أحمد بن سلام فى هذه القصة أنه قال : قلت لمحمد لما دخل
 على البيت وسكن : لاجزى الله وزراءك خيراً ، فإنهم أوردوك هذا المورد !
 فقال لى : يا أخى ؛ ليس بموضع عتاب . ثم قال : أخبرنى عن المأمون أخى ،
 أحيُّ هو ؟ قلت : نعم . هذا القتال عمن إذا ! هو إلا عنه ! قال : فقال لى :
 أخبرنى يحيى أخو عامر بن إسماعيل بن عامر - وكان يلى الخبر فى عسكر
 هرثمة - أن المأمون مات ، فقلت له : كذب . قال : ثم قلت له : هذا الإزار
 الذى عليك إزار غايظ فالبس إزارى وقميصى هذا فإنه ليتن ، فقال لى : مَنْ
 كانت حاله مثل حالى فهذا له كثير . قال : فلقتنه ذكر الله والاستغفار ، فجعل
 يستغفر . قال : وبيننا نحن كذلك ، إذ هدّة تكاد الأرض ترجف منها ؛
 وإذا أصحاب طاهر قد دخلوا الدار وأرادوا البيت ، وكان فى الباب ضيق ،
 فنامهم محمد بمِجَنَّة كانت معه فى البيت ؛ فها وصلوا إليه حتى عرقبوه ، ثم

هجموا عليه ، فحزوا رأسه . واستقبلوا به طاهراً ، وحملوا جُثته إلى بستان مؤنسة إلى معسكره ؛ إذ أقبل عبد السلام بن العلاء صاحب حرس هَرَمَة فأذن له - وكان عبر إليه على الجسر الذي كان بالشَّامِسيَّة - فقال له : أخوك يقرئك السلام ، فما خبرك ؟ قال : يا غلام ؛ هات الطس ، فجاءوا به وفيه رأس محمد ، فقال : هذا خبري فاعلمه . فلما أصبح نصب رأس محمد على باب الأنبار ، وخرج من أهل بغداد للنظر إليه ما لا يحصى عددهم ، وأقبل طاهر يقول : رأس المخلوع محمد .

وذكر محمد بن عيسى أنه رأى المخلوع على ثوبه قَمَلَة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : شيء يكون في ثياب الناس ، فقال : أعوذ بالله من زوال النعمة ! فقتل من يومه .

وذكر عن الحسن بن أبي سعيد أن الجنديين : جند طاهر وجند أهل بغداد ، ندموا على قتل محمد ، لما كانوا يأخذون من الأموال .

وذكر عنه أنه ذكر أن الخزائن التي كان فيها رأس محمد ورأس عيسى ابن ماهان ورأس أبي السرايا كانت إليه . قال : فنظرت في رأس محمد ؛ فإذا فيه ضربة في وجهه ، وشعر رأسه ولحيته صحيح لم يَتَحَاتْ (١) منه شيء ، ولونُه على حاله . قال : وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع البُرْدَة والقضيب والمصلتي - وهو من سعف مبطن - مع محمد بن الحسن بن مصعب ابن عمه ، فأمر له بألف ألف درهم ، فرأيت ذا الرِّياستين ، وقد أدخل رأس محمد على ترس ييده إلى المأمون ، فلما رآه سجد .

قال الحسن : فأخبرني ابن أبي حمزة ، قال : حدثني عليّ بن حمزة العلويّ ، قال : قدم جماعة من آل أبي طالب على طاهر وهو بالبستان حين قتل محمد بن زبيدة ونحن بالخضرة ، فوصلهم ووصلنا ، وكتب إلى المأمون بالإذن لنا أو لبعضنا ، فخرجنا إلى مَرَوْ ، وانصرفنا إلى المدينة ، فهنئونا بالنعمة ، ولقينا مَنْ بها من أهلها وسائر أهل المدينة ، فوصفنا لهم قَتْلَ محمد ، وأن طاهر بن الحسين دعا مولّي يقال له قريش الدندانيّ ، وأمره بقتله . قال : فقال لنا شيخ منهم :

(١) ط : « ينجاب » ؛ تحريف .

كيف قلت ! فأخبرته ، فقال الشيخ : سبحان الله ! كنا نروى هذا أن قريشاً يقتله ؛ فذهبنا إلى القبيلة ، فوافق الاسم الاسم !

وذكر عن محمد بن أبي الوزير أن علي بن محمد بن خالد بن برمك أخبره أن إبراهيم بن المهدي لما بلغه قتل محمد ، استرجع وبكى طويلاً ، ثم قال :

عُوجَا بِمَعْنَى طَلِي دَائِرٍ^(١) بِالْخُلْدِ ذَاتِ الصَّخْرِ وَالْأَجْرِ
وَالْمَرَمَرِ الْمَسْنُونِ يُطْلَى بِهِ^(٢) وَالْبَابِ بَابِ الذَّهَبِ النَّاصِرِ ٩٢٦/٣
عُوجَا بِهَا فَاسْتَيْقِنَا عِنْدَهَا عَلَى يَقِينٍ قُدْرَةَ الْقَادِرِ
وَأَبْلَغَا عَنِّي مَقَالاً إِلَى الْإِلَهِ حَوَّلَى عَلَى الْمَأْمُورِ وَالْأَمْرِ
قَوْلَا لَهُ : يَا بَنَ وَلِيَّ الْهَدَى^(٣) طَهَّرْ بِلَادَ اللَّهِ مِنْ طَاهِرٍ
لَمْ يَكْفِهِ أَنْ حَزَّ أَوْدَاجَهُ^(٤) ذَبَحَ الْهَدَايَا بِمُدَى الْجَازِرِ
حَتَّى أَتَى يَسْحَبُ أَوْصَالَهُ فِي شَطْنٍ يُفْنِي مَدَى الْمَاسِرِ^(٥)
قَدْ بَرَدَ الْمَوْتُ عَلَى جَنْبِهِ وَطَرَفُهُ مِنْكِسَرُ النَّاطِرِ
قال : وبلغ ذلك المأمون فاشتد عليه .

وذكر عن المدائني أن طاهراً كتب إلى المأمون بالفتح :

أما بعد ، فالحمد لله المتعالى ذى العزة والجلال ، والمملك والسلطان ، الذى إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .
كان فيما قدّر الله فأحكم ، ودبر فأبرم ، انتكاثُ المخلوع ببيعته ، وانتقاضه بعهد ، وارتكاسه فى فتنه ، وقضاؤه عليه القتل بما كسبت يده . وما الله بظلام للعبيد . وقد كتبت إلى أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - فى

(١) ابن الأثير : « الطلل الدائر » . (٢) ابن الأثير : « المرمر المنسوب » .

(٣) ابن الأثير : « يابن أبي الناصر » . (٤) ابن الأثير : « أوصاله » .

(٥) ط : « مدى الشابر » ، وما أثبت من ابن الأثير .

لإحاطة جند الله بالمدينة والخلد^(١) ، وأخذهم بأفواهها وطرقها ومسالكها في دجلة نواحي أرقعة مدينة السلام وانتظام المسالحي حوالها وحده ربي السفن والزواريق بالعرادات والمقاتلة ، إلى ما واجه الخلد وباب خراسان ، تحفظاً بالمخاوع ، وتخوفاً من أن يروغ مراغماً ، ويسلك مسلماً يجذب به السبيل إلى إثارة فتنة ، وإحياء أثارة^(٢) ، أو يهايج قتالا بعد أن حصّره الله عز وجل وخذله ، ومتابعة الرّسل بما يعرض عليه هرثة بن أعين مولى أمير المؤمنين ، ويسألني من تخلية الطريق له في الخروج إليه واجتماعي وهرثة بن أعين ، لتتناظر في ذلك ، وكراهتي ما أحدث وراءه من أمره بعد إرهاب الله إياه ، وقطعه رجاءه من كل حيلة ومتعلق ، وانقطاع المنافع عنه ، وحيل بينه وبين الماء ؛ فضلا عن غيره ؛ حتى همّ به خدمته وأشباعه من أهل المدينة ومنّ نجا معه إليها ، وتحزّبوا على الوثوب به للدفع عن أنفسهم والنجاة بها ، وغير ذلك مما فسّرت لأمر المؤمنين أطال الله بقاءه مما أرجو أن يكون قد أناه .

٩٢٧/٣

وإني أخبر أمير المؤمنين أني رويت فيما دبّر هرثة بن أعين مولى أمير المؤمنين في المخلوع ، وما عرّض عليه وأجابه إليه ، فوجدت الفتنة في تخلصه من موضعه الذي قد أنزله الله فيه بالذلة والصغار وصيّره فيه إلى الضيق والحصار تزدد ، ولا يزيد أهل التّربص في الأطراف إلا طمعاً وانتشاراً ، وأعلمت ذلك هرثة بن أعين ، وكراهتي ما أطمعه فيه وأجابه إليه ؛ فذكر أنه لا يرى الرجوع عما أعطاه ، فصادرتـ بعد يأس من انصرافهـ عن رأيه ، على أن يقدم المخلوع رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه وقضييته قبل خروجه ؛ ثم أخلّي له طريق الخروج إليه ؛ كراهة أن يكون بيني وبينه اختلاف نصير منه إلى أمر يطمع الأعداء فينا ، أو فراق القلوب بخلاف ما نحن عليه من الائتلاف والاتفاق على ذلك ، وعلى أن نجتمع لميعادنا عشية السبت .

٩٢٨/٣

فتوجّهت في خاصة ثقتي الذين اعتمدت عليهم ، وأثق بهم ، بربط الجأش ، وصدق البأس ، وصحة المناصحة ؛ حتى طالعت جميع أمر كل

(١) المدينة ، أي بغداد ؛ وهي مدينة السلام . والخلد : قصر بناء المنصور بها ؛ ثم بنيت حواله منازل ، فصارت محلة كبيرة عرفت بالخلد . (٢) اثارة : العداوة والشحناء .

من كنت وكلت بالمدينة والخلد برّاً وبحراً، والتقدمة إليهم في التحفظ والتيقظ والحراسة والحذر، ثم انكفأت إلى باب خراسان، وكنت أعددت حرّاقات وسفناً؛ سوى العدة التي كانت لأركبها بنفسى لوقت ميعادى بينى وبين هرثمة، فنزلتها في عدة ممن كان ركب معى من خاصة ثقاتى وشاكريتى^(١)، وصيرت عدة منهم فرساناً ورجالة بين باب خراسان والمشرعة^(٢) وعلى الشطّ.

وأقبل هرثمة بن أعين حتى صار بقرب باب خراسان مِعِداً مستعداً؛ وقد خاتلنى بالرسالة إلى المخلوع إلى أن يخرج إليه إذا وافى المشرعة، ليحمله قبل أن أعلم، أو يبعث إلى الرداء والسيف والقضيب؛ على ما كان فارقتى عليه من ذلك. فلما وافى خروج المخلوع على من وكلت بباب خراسان، نهضوا عند طلوعه عليهم ليعرفوا الطابع لأمرى كان أناهم، وتقدّمتى إليهم إلاّ يدعّو أحداً يجوزهم إلا بأمرى. فبادرهم نحو المشرعة، وقرب هرثمة إليه الحرّاقة، فسبق الناكث أصحابى إليها، وتأخر كوثر^(٣)، فظفر به قريش مولاي، ومعه الرداء والقضيب والسيف، فأخذه وما معه، فنقر أصحاب المخلوع عند ما رأوا من إرادة أصحابى منع مخلوعهم من الخروج، فبادر بعضهم حرّاقة هرثمة، فتكفأت بهم حتى أغرقت في الماء ورسبت، فانصرف بعضهم إلى المدينة، ورى المخلوع عند ذلك بنفسه من الحرّاقة في دجلة متخلّصاً إلى الشطّ، نادماً على ما كان من خروجه، ناقضاً للعهد، داعياً بشعاره، فابتدعه عدة من أوليائى الذين كنت وكناتهم بما بين مشرعة باب خراسان وركن الصراة، فأخذوه عنوة قهراً بلا عهد ولا عقد؛ فدعا بشعاره، وعاد في نكثته، فعرض عليهم مائة حبة، ذكر أن قيمة كل حبة مائة ألف درهم، فأبوا إلا الوفاء لخليفتهم أبقاه الله، وصيانة لدينهم، ولإيثاراً للحقّ الواجب عليهم، فتعلقوا به، قد أسلمه^(٤) الله وأفرده؛ كلّ يرغبه، ويريد أن يفوز بالخطوة عندى دون صاحبه؛ حتى اضطربوا فيما بينهم، وتناولوه

٩٢٩/٣

(١) الشاكري: الأجير والمستخدم، معرب «جاكر».

(٢) المشرعة: مورد الشاربة.

(٣) كوثر خادم الأيمن.

(٤) أسلمه، أى غذله.

بأسيا فهم منازعةً فيه ، وتشاحاً عليه^(١) ، إلى أن أُتيح له مَغِيطٌ^(٢) لله ودينه ورسوله وخليفته ، فأتى عليه وأتاني الخبر بذلك ، فأمرت بحمل رأسه إلى^(٣) ، فلما أتيت به تقدّمت إلى من كنت وكالت بالمدينة والحُلْد وما حواليتها وسائر مَنْ في المسالِح ، في لزوم مواضعهم ، والاحتفاظ بما يليهم ، إلى أن يأتيهم أمرى . ثم انصرفت . فأعظم الله لأمر المؤمنين الصنع والفتح عليه وعلى الإسلام به وفيه . فلما أصبحت هاج الناس واختلفوا في المخلوع ، فصدّق بقتله ، ومكذب وشاك وموقن ، فرأيت أن أطرح عنهم الشبهة في أمره ، فضيت برأسه ، لينظروا إليه فيصبح بعينهم ، وينقطع بذلك بَعْل^(٤) قلوبهم ، ودخلُ التياث المستشرفين للفساد^(٥) ، والمستوفزين للفتنة ، وغدوت نحو المدينة فاستسلم مَنْ فيها ، وأعطى أهلها الطاعة ، واستقام لأمر المؤمنين شرقى ما يلي مدينة السلام وغربيته وأرباعه^(٥) وأرباضه وزواحيه ؛ وقد وضعت الحرب أوزارها وتلافى بالسلام والإسلام أهله ؛ وبعدد الله الدغل^(٦) عنهم ، وأصارهم ببركة أمير المؤمنين إلى الأمن والسكون والدعة والاستقامة والاعتباط ؛ والصنّع من الله جلّ وعزّ والخيرة ، والحمد لله على ذلك .

٩٣٠/٣

فكتبت إلى أمير المؤمنين حفظه الله ، وليس قبلي داعٍ إلى فتنة ؛ ولا متحرّك ولا ساعٍ في فساد ، ولا أحد لإسماع مطيع باخع حاضر ؛ قد أذاقه الله حلاوة أمير المؤمنين ودعة ولايته ؛ فهو يتقلب في ظلها ، يغدو في متجره ويروح في معاشه ؛ والله وليّ ما صنع من ذلك ، والمتمسّم له ، والمالن بالزيادة فيه برحمته .

وأنا أسأل الله أن تهنّئ أمير المؤمنين نعمته ، ويتابع له فيها مزيدة ويؤزعه عليها شكره ؛ وأن يجعل منته لديه متوالية دائماً متواصلة ؛ حتى يجمع الله له خير الدنيا والآخرة ، ولأوليائه وأنصار حقه ولجماعة المسلمين ببركته وبركة ولايته ويؤمن خلافته ، إنه وليّ ذلك منهم وفيه ، إنه سميع لطيف لما يشاء .

(١) تشاحا على الأمر ؛ أى لا يريد أن يفوتها . (٢) ط : « مغيطاً » ، وهو خطأ .

(٣) البعل : الدهش والاضطراب . (٤) الدغل : ما داخل المرء من فساد في عقل

أو جسم . والالتياث : الاختلاط والالتفاف . واستشرى إلى الشيء : رفع بصره إليه .

(٥) كانت بغداد مقسمة أرباعاً . (٦) الدغل : الفساد .

وكتب يوم الأحد لأربع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

وذكر عن محمد المخاوع أنه قبل مقتله، وبعد ما صار في المدينة، ورأى الأمر قد تولّى عنه ، وأنصاره يتسللون فيخرجون إلى طاهر ، قعد في الجناح الذى كان عمله على باب الذهب - وكان تقدم فى بنائه قبل ذلك - وأمر بإحضار كل من كان معه فى المدينة من القواد والجند، فجمعوا فى الرحبة ، فأشرف عليهم ، وقال :

الحمد لله الذى يرفع ويضع ، ويعطى ويمنع ، ويقبض ويبسط ؛ وإليه المصير . أحمدّه على نوائب الزّمان ، وخذلان الأعوان ، وتشتت الرجال ، وذهاب الأموال ، وحلول النوائب ، وتوقد المصائب ؛ حمداً يندخّر لى به أجزل الجزاء ، ويرفدنى أحسن العزاء . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما شهد لنفسه ، وشهدت له ملائكته ، وأنّ محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسلمين ، صلى الله عليه وسلم . آمين رب العالمين .

أما بعد يا معشر الأبناء ، وأهل السبق إلى الهدى ، فقد علمتم غفلتى كانت أيام الفضل بن الربيع وزير على ومشير ، فادّت به الأيام^(١) بما لزمى به من الندامة فى الخاصة والعامة ، إلى أن نبهتمونى فانبهت ، واستعنتمونى فى جميع ما كرهتهم من نفسى وفيكم ، فبذلت لكم ما حواه ملكى ، ونالته مقدرتى ، ممّا جمعته وورثته عن آبائى ، فقوّدت^(٢) من لم يجز ، واستكفيت من لم يكف ، واجتهدت - علم الله - فى طلب رضاكم بكل ما قدرت عليه ، واجتهدت - علم الله - فى مساءتى فى كل ما قدرتم عليه ؛ من ذلك توجيهى إليكم على بن عيسى شيخكم وكبيركم وأهل الرأفة بكم والتحنن عليكم ؛ فكان منكم ما يطول ذكره ؛ فغفرت الذنب ، وأحسنst واحتملت ، وعزيت نفسى عند معرفتى بشروء^(٣) الظفر ، وحرصى على مقامكم مسلحة بجلوان مع ابن كبير صاحب دعوتكم ، ومن على يدى أبيه كان فخركم ، وبه تمت طاعتكم : عبد الله بن حميد بن قحطبة ، فصرتم من التأتب عليه إلى ما لا طاقة

(١) ماتت به الأيام : طاولته .

(٢) قوّدت ، أى اتخذته قائداً .

(٣) ظ : « يشدّ » .

له به ، ولا صبر عليه . يقودكم رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً ، إلى عامدين ^(١) ، وعلى سيّدكم متوثبين مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين . ثم وثبت مع الحسين على ، فخلعتموني وشتتموني ، وانتهبتموني وجبستموني ، وقيدتموني ؛ وأشياء منعتموني من ذكرها ؛ حققت قلوبكم وتلكتوا طاعتكم أكبر وأكثر . فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ، ورضى بقدره ؛ والسلام .

وقيل : لما قُتل محمد ، وارتفعت النائرة ، وأعطى الأمان الأبيض والأسود ، وهذا الناس ، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة ، فصلّى بالناس ، وخطبهم خطبة بليغة ، نزع فيها من قوارع القرآن ؛ فكان مما حفظ من ذلك أن قال : الحمد لله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعزّز من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير . في آي من القرآن أتبع بعضها بعضاً ، وحضّ على الطاعة ولروم الجماعة ، ورغبهم في التمسك بحبل الطاعة . وانصرف إلى معسكره .

وذكر أنه لما صعد المنبر يوم الجمعة ، وحضره من بني هاشم والقوّاد وغيرهم جماعة كثيرة ، قال :

الحمد لله مالك الملك ، يؤتيه من يشاء ، ويعزّز من يشاء ، ويذلّ من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كلّ شيء قدير . لا يصلحُ عملَ المفسدين ، ولا يهدي كيده الخائنين ؛ إنّ ظهور غلبتنا لم يكن من أيدينا ولا كيدنا ، بل اختار الله للخلافة إذ جعلها عماداً لدينه ، وقواماً لعباده ، وضبط الأطراف وسدّ الثغور ، وإعداد العُدّة ، وجمع النعم ، وإنفاذ الحكم ، ونشر العدل ، وإحياء السنة ؛ بعد إذ بَالَ البَطَالَات ، والتلذذ بموبق الشهوات . والمُخْلَدُ إلى الدنيا مستحسنٌ لداعي غرورها ، محتلبٌ دِرّة نعمتها ، أليفٌ لزهرة روضتها ، كليفٌ بروثق بهجتها . وقد رأيتم من وفاء موعود الله عز وجل لمن بغى عليه ، وما أحلّ به من بأسه ويقمته ، لما تكب عن عهده ، وارتكب معصيته ، وخالف أمره ، وغيره ناهيه ، وعظته مردية ؛ فتمسكوا بوثائق ^(٣) عصم الطاعة ، واسلكوا مناحي سبيل الجماعة ، واحذروا مصارع أهل الخلاف

والمعصية ؛ الذين قلدحوا زناد الفتنة ، وصدعوا شَعَب الألفة ، فأعقبهم الله
خسار الدنيا والآخرة .

• • •

ولما فتح طاهر بغداد كتب إلى أبي إسحاق المعتصم — وقد ذكر بعضهم
أنه إنما كتب بذلك إلى إبراهيم بن المهدي ، وقال الناس : كتبه إلى أبي إسحاق المعتصم :
أما بعد ، فإنه عزيز على أن أكتب إلى رجل من أهل بيت الخلافة
بغير التأمير ؛ ولكنه بلغني أنك تميل بالرأى ، وتُصغى بالهوى ، إلى الناكث
الخلوع ؛ وإن كان كذلك فكثير ما كتبتُ به إليك ، وإن كان غير ذلك
فالسalam عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . وكتب في أسفل الكتاب
هذه الأبيات :

ركوبك الأمر ما لم تُبلْ فرصتهُ جهلٌ ورأيتُكَ بالتَّغْرِيرِ تَغْرِيرُ^(١)
أقبحُ بدنياً ينالُ المُخْطِئُونَ بها^(٢) حَطَّ المُصِيبِينَ والمَغْرُورُ مغرورُ^(٣)

• • •

[وثوب الجند بطاهر بن الحسين بعد مقتل الأمين]

وفي هذه السنة وثب الجند بعد مقتل محمد بطاهر ، فهرب منهم وتغيَّب
أياماً حتى أصلح أمرهم .

٩٣٤/٣

• ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به وإلى ما آل أمره وأمرهم :
'ذكر عن سعيد بن حميد ؛ أنه ذكر أن أباه حدثه ؛ أن أصحاب طاهر

(١) المقد ٤ : ٢٤٢ ، ورواية البيت فيه :

رُكُوبُكَ الهولَ ما لمْ تُلْغِ فَرْصَتَهُ جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْرِيرُ
(٢) المقد : « يصيب المخطئون » .
(٣) بعدها ن الفد :

فازرَعُ صواباً وَخُذَ بالحِزْمِ حَيْطَتَهُ فلنْ يُدَمِّمْ لَأهلِ الحِزْمِ تدبيرُ
فإن ظفرتَ مصيباً أو هلكْتَ به فأنْتَ عند ذوى الألبابِ معذورُ
وإن ظفرتَ على جهلٍ ففُزْتَ بِهِ قالوا : جهولُ أعانتَهُ المقاديرُ

بعد مقتل محمد بخمسة أيام ، وثبوا به ؛ ولم يكن في يديه مال ، فضايق به أمره ، وظنّ أن ذلك عن مواطأة من أهل الأرباض إياهم ، وأنهم معهم عليه ، ولم يكن تحرك في ذلك من أهل الأرباض أحد ، فاشتدت شوكة أصحابه ، وخشى على نفسه ، فهرب من البستان ، وانتهبوا بعض متاعه ، ومضى إلى عتقر قوف^(١) . وكان قد أمر بحفظ أبواب المدينة وباب القصر على أمّ جعفر ، وموسى وعبد الله ابني محمد ، ثم أمر بتحويل زُبَيْدة وموسى وعبد الله ابني محمد معها من قصر أبي جعفر إلى قصر الحُلَند ، فحوّلوا ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول ، ثم مضى بهم من ليلتهم في حرّاقة إلى هُمَينِيا على الغري من الزاب الأعلى ، ثم أمر بحمل موسى وعبد الله إلى عمّهما بخراسان على طريق الأهواز وفارس .

قال : ولما وثب الجند بطاهر ، وطلبوا الأرزاق ، أحرقوا باب الأنبار الذي على الخندق وباب البستان ، وشهروا السلاح ، وكانوا كذلك يومئهم ومن الغد ، ونادوا موسى : يا منصور . وصوب الناس إخراج طاهر موسى وعبد الله ؛ وقد كان طاهر انحاز ومنّ معه من القوّاد ، وتعباً لقتالهم ومحاربتهم ، فلما بلغ ذلك القوّاد والوجوه صاروا إليه واعتذروا ، وأحالوا على السفهاء والأحداث ، وسألوه الصّقْح عنهم وقبول عذرهم والرضا عنهم ، وضمنوا له ألاّ يعودوا لمكرهه له ما أقام معهم . فقال لهم طاهر : والله ما خرجتُ عنكم إلا لوضع سيفي فيكم ، وأقسم بالله لئن عدّتم لمثلها لأعودنّ إلى رأيي فيكم ، ولأخرجنّ إلى مكروهمكم ؛ فكسرهم بذلك ، وأمر لهم برزق أربعة أشهر ؛ فقال في ذلك بعض الأبناء :

٩٣٥/٣

آلِي الْأَمِيرُ - وَقَوْلُهُ وَفَعَالُهُ	حَقٌّ - بِجَمْعِ مَعَاشِرِ الزُّعَارِ
إِنْ هَاجَ هَاتِجُهُمْ وَشَغَبَ شَاغِبٌ	مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْأَقْطَارِ
أَلَّا يَنْظُرَ مَعَشَرًا مِنْ جَمْعِهِمْ	إِمَهَالَ ذِي عَدَلٍ وَذِي إِنْظَارِ
حَتَّى يُنْيَخَ عَلَيْهِمْ بِعَظِيمَةٍ	تَدْعُ الدِّيارَ بِبَلَاغِ الْآثَارِ

فذكر عن المدائني أن الجند لما شَغَبُوا، وانحاز طاهر، ركب إليه سعيد ابن مالك بن قادم ومحمد بن أبي خالد وهبيرة بن خازم ؛ في مشيخة من أهل الأرباض، فحلفوا بالمنعظة من الأيمان، أنه لم يتحرك في هذه الأيام أحد من أبناء الأرباض، ولا كان ذلك عن رأيهم، ولا أرادوه، وضمنوا له صلاح نواحيهم من الأرباض، وقيام كل إنسان منهم في ناحيته بكل ما يجب عليه؛ حتى لا يأتيه من ناحية أمر يكرهه. وأتاه عميرة - أبو شَيْخ بن عميرة الأسدي - وعلى ابن يزيد؛ في مشيخة من الأبناء، فلقوه بمثل ما لقيه به ابن أبي خالد وسعيد ابن مالك وهبيرة، وأعلموه حسن رأي من خلفهم من الأبناء ولين طاعتهم له، وأنهم لم يدخلوا في شيء مما صنع أصحابه في البستان. فطابت نفسه إلا أنه قال لهم: إن القوم يطلبون أرزاقهم، وليس عندى مال. فضمن لهم سعيد ابن مالك عشرين ألف دينار، وحملها إليه، فطابت بها نفسه، وانصرف إلى معسكره بالبستان. وقال طاهر لسعيد: إني أقبلها منك على أن تكون على ديننا، فقال له: بل هي إنما صلة وقليل لغلالمك وفيما أوجب الله من حقك. فقبلها منه، وأمر للجند برزق أربعة أشهر، ففرضوا وسكنوا.

٩٣٦/٣

قال المدائني: وكان مع محمد رجل يقال له السمرقندي، وكان يرى عن مجانيق كانت في سفن من باطن دجلة؛ وربما كان يشتد أمر أهل الأرباض على من يلازمهم من أصحاب محمد في الخنادق، فكان يبعث إليه، فيجىء به فيرميهم - وكان رامياً لم يكن حجره يخطئ - ولم يقتل الناس يومئذ بالحجارة كما قيل؛ فلما قتل محمد قطع الجسر، وأحرقت المجانيق التي كانت في دجلة يرى عنها، فأشفق على نفسه، وتخوف من بعض من وتره أن يطلبه، فاستخفى، وطلبه الناس، فتكارى بغلا، وخرج إلى ناحية خراسان هارباً، فضى حتى إذا كان في بعض الطريق استقبله رجل فعرفه؛ فلما جازه قال الرجل للمكارى: ويحك! أين تذهب مع هذا الرجل! والله لأن ظفر بك معه لتقتلن، وأهون ما هو مصيبك أن تحبس. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! قد والله عرفت اسمه، وسمعت به قتله الله! فانطلق المكارى إلى أصحابه - أو مسلحة انتهى إليها - فأخبرهم خبره. وكانوا من أصحاب كند غوش من أصحاب هرثمة،

فأخذوه وبعثوا به إلى هرثمة ، وبعث به هرثمة إلى خزيمه بن خازم بمدينة السلام ، فدفعه خزيمه إلى بعض مَنّ وتره فأخرجه إلى شاطئ دجلة من الجانب الشرق فصَلَبَ حيًّا ، فذكروا أنه لما أرادوا شدّه على خشبته ، اجتمع خلق كثير ، فجعل يقول قبل أن يشدّوه : أنتم بالأمس تقولون : لا قِطْعَ الله يا سمرقندي يدك ، واليوم قد هيأتم حجاركم ونُشَابَكُمْ لَترْمُونِي ! فلما رفعت الخشبة أقبل الناس عليه رميًا بالحجارة والنشاب وطعنًا بالرماح حتى قتلوه ، وجعواوا يرمونه بعد موته ، ثم أحرقوه من غد ، وجاءوا بنار ليحرقوه بها ، وأشعلوها فلم تشتعل ، وألقوا عليه قصبًا وحطبًا ، فأشعلوها فيه ، فاحترق بعضه ، وتمزقت الكلاب بعضه ؛ وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من صفر .

٩٣٧/٣

* * *

ذكر الخبر عن صفة محمد

ابن هارون وكنيته وقدر ما ولى ومبلغ عمره

قال هشام بن محمد وغيره : وليّ محمد بن هارون وهو أبو موسى يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقتل ليلة الأحد لست بقين من صفر سنة سبع وتسعين ومائة . وأمه زبيدة ابنة جعفر الأكبر بن أبي جعفر ؛ فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام . وقد قيل : كانت كنيته أبا عبد الله .

وأما محمد بن موسى الخوارزمي فإنه ذكر عنه أنه قال : أتت الخلافةُ محمد بن هارون للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وحجّ بالناس في هذه السنة التي ولى فيها داود بن عيسى بن موسى ، وهو على مكة وأبو البختری على ولايته ، وبعد ولايته بعشرة أشهر وخمسة أيام وجّه^(١) عصمة ابن أبي عصمة إلى ساوة ، وعقد ولايته لابنه موسى بولاية العهد ثلاث خلون من شهر ربيع الأول ؛ وكان على شرطه على بن عيسى بن ماهان .

وحجّ بالناس سنة أربع وتسعين ومائة على بن الرشيد ، وعلى المدينة إسماعيل بن العباس بن محمد ، وعلى مكة داود بن عيسى ، وكان بين أن

٩٣٨/٣

عقد لابنه إلى التقاء على بن عيسى بن ماهان وظاهر بن الحسين وقتل على بن عيسى بن ماهان سنة خمس وتسعين ومائة، سنة ثلاثه أشهر وتسعة وعشرون يوماً. قال : وقتل المخلوع ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم ، قال : فكانت ولايته مع الفتنة أربع سنين وسبعة أشهر وثلاثة أيام .

ولما قتل محمد ووصل خبره إلى المأمون في خريطة من طاهر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة أظهر المأمون الخبر ، وأذن للقواد فدخلوا عليه . وقام الفضل بن سهل فقرأ الكتاب بالخبر ، فهنئ بالظفر ، ودعوا الله له . وورد الكتاب من المأمون بعد قتل محمد على طاهر وهرثة بخلع القاسم بن هارون ، فأظهرها ذلك ، ووجهها كتبهما به ، وقرئ الكتاب بخلعه يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين ومائة ، وكان عمر محمد كله - فيما بلغني - ثمانياً وعشرين سنة .

وكان سبباً أنزع أبيض صغير العينين أقي ، جميلاً ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين . وكان مولده بالرصافة .

• • •

وذكر أن طاهراً قال حين قتله :

قَتَلْتُ الْخَلِيفَةَ فِي دَارِهِ وَأَنْهَيْتُ بِالسَّيْفِ أَمْوَالَهُ

وقال أيضاً :

مَلَكَتُ النَّاسَ قَسْرًا وَاقْتَدَارًا وَقَتَلْتُ الْجَبَابِرَةَ الْكِبَارًا^(١)
وَوَجَّهْتُ الْخِلَافَةَ نَحْوَ مَرَوْ إِلَى الْمَأْمُونِ تَبْتَدِيرًا ابْتِدَارًا

• • •

ذكر ما قيل في محمد بن هارون ومرثيته

فما قيل في هجائه :

لِمَ نُبَكِّيكِ لِمَاذَا ؟ لِلطَّرَبِ ! يا أبا موسى وَتَرَوِيجَ اللَّعِبِ
وَلِتَرْكِ الخُمُسِ فِي أَوقَاتِهَا حَرَصاً مِنْكَ عَلَى مَاءِ الْعِنَبِ
وَسَنِيْفِ أَنَا لَا أَبْكِي لَهُ وَعَلَى كَوثَرِ لَا أَحْشَى الْعَطَبِ
لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ مَا حَدَّ الرِّضَا لَا وَلَا تَعْرِفُ مَا حَدَّ الْغَضَبِ
لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ لِلْمُلْكِ وَلَمْ تُعْطِكَ الطَّاعَةَ بِالْمُلْكِ الْعَرَبِ
أَيُّهَا الْبَاكِي عَلَيْهِ لَا بَكَتْ عَيْنٌ مَنِ أَبْكَاكِ إِلَّا لِلْعَجَبِ
لِمَ نُبَكِّيكِ لِمَا عَرَّضْنَا لِلْمَجَانِيْقِ وَطَوْرًا لِلْسَّلَبِ
وَلِقَوْمٍ صَيَّرُونَا أَعْبَادًا لَهُمْ يَنْزُوعًا عَلَى الرَّأْسِ الذَّنْبِ^(١)
فِي عَذَابٍ وَحْصَارٍ مُجْهِدٍ سَدَّدَ الطَّرِيقَ فَلَا وَجْهَ طَلَبِ^(٢)
زَعَمُوا أَنَّكَ حَيٌّ حَاشِرٌ كُلُّ مَنْ قَالَ هَذَا قَدْ كَذَبَ
لَيْتَ مَنْ قَدْ قَالَهُ فِي وَحْدَةٍ^(٣) مِنْ جَمِيعٍ ذَاهِبٌ حَيْثُ ذَهَبَ
أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا قَتْلَهُ فَإِذَا مَا أَوْجَبَ الْأَمْرَ وَجَبَ
كَانَ وَاللَّهِ عَلَيْنَا فِتْنَةً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَكَتَبَ

وقال عمرو بن عبد الملك الوراق يبكى بغداد ، ويهجو طاهراً ويعرض به :

مَنْ ذَا أَصَابَكَ يَا بَغْدَادُ بِالْعَيْنِ أَلَمْ تَكُونِي زَمَانًا قَرَّةَ الْعَيْنِ !
أَلَمْ يَكُنْ فِيكَ أَقْوَامٌ لَهُمْ شَرَفٌ بِالصَّالِحَاتِ وَبِالْمَعْرُوفِ يَلْقَوْنِي
أَلَمْ يَكُنْ فِيكَ قَوْمٌ كَانَ مَسْكَنُهُمْ وَكَانَ قَرِيبُهُمْ زِينًا مِنَ الزَّيْنِ
صَاحَ الزَّمَانُ بِهِم بِالْبَيِّنِ فَانْقَرَضُوا مَاذَا الَّذِي فَجَعَلْتَنِي لَوْعَةُ الْبَيِّنِ

(١) ط : « يبدو » . (٢) ابن الأثير : « فلا وجه الطلب » .

(٣) ابن الأثير : « ليته قد قال في وجده » .

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ قَوْمًا مَا ذَكَرْتَهُمْ
كَانُوا فَفَرَّقَهُمْ دَهْرٌ وَصَدَّعَهُمْ
كَمْ كَانَ لِي مُسَعِدٌ مِنْهُمْ عَلَى زَمَنِي
لِلَّهِ دُرٌّ زَمَانٌ كَانَ يَجْمَعُنَا
يَا مَنْ يُخَرِّبُ بَغْدَادًا لِيَعْمَرَهَا
كَانَتْ قُلُوبُ جَمِيعِ النَّاسِ وَاحِدَةً
لَمَّا أَشْتَهُمْ فَرَّقَتْهُمْ فِرْقًا

إِلَّا تَحَدَّرَ مَاءُ الْعَيْنِ مِنْ عَيْنِي
وَالدَّهْرُ يَصْدَعُ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ
كَمْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى الْمَعْرُوفِ مِنْ عَوْنٍ
أَيْنَ الزَّمَانُ الَّذِي وَلَّى وَمِنْ أَيْنِ !
أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ
عَيْنًا ، وَلَيْسَ لَكُنِ الْعَيْنِ كَالَّذِينَ
وَالنَّاسُ طُرًّا جَمِيعًا بَيْنَ قَلْبَيْنِ

وذكر عمر بن شبثة أن محمد بن أحمد الهاشمي حدثه ، أن لبانة ابنة عليّ ابن المهدي قالت :

أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالَى وَالرُّوحِ وَالتُّرْسِ^(١)
أَبْكِي عَلَى هَالِكٍ فَجَعْتُ بِهِ^(٢) أَرْمَلَتِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ^(٣)

وقد قيل إن هذا الشعر لابنة عيسى بن جعفر ، وكانت مُمْلِكَةً بِمُحَمَّد .
وقال الحسين بن الضحّاك الأشقر ، مولى باهلة ، يرثي محمداً ، وكان من
نُدَمَائِهِ ، وكان لَا يَصْدَقُ بِقَتْلِهِ ، وَيَطْمَعُ فِي رَجُوعِهِ :

يَا خَيْرَ أَمْرِئِيهِ وَإِنْ زَعَمُوا إِنِّي عَلَيْكَ لَمُنَّبَتٌ أَصِفُ^(٤)
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لِي كِبْدًا حَرَّى عَلَيْكَ وَمُقْلَةً تَكِفُ
وَلَنْ شَجِيئَتِي بِمَا رَزَنْتُ بِهِ^(٥) إِنِّي لَأُضْمِرُ فَوْقَ مَا أَصِفُ
هَلَّا بَقِيَتْ لَسَدٌ فَاقْتِنَا أَبَدًا ، وَكَانَ لَغِيرِكَ التَّلَفُ !

(١) المسعودي ٣ : ٤٢٤ .
(٢) بعده في المسعودي :

يَا مَالِكًا بِالْعَرَاءِ مَطْرَحًا خَانَتَهُ أَشْرَاطُهُ مَعَ الْحَرِيسِ

(٤) انظر الأغاني ٧ : ١٤٨ .

(٥) ابن الأثير : « لما رزنت » .

فلقد خلقتَ خلائفاً ملقوا
لاباتَ رهطكَ بعدَ هفوتهم
هتكوا بِحُرمتِكَ التي هتكتَ
وثبتَ أقاربكَ التي خذلتَ^(١)
لم يفعلوا بالشطِّ إذ حضروا
تركوا حريمَ أبيهم نفلًا
أبدتَ مُخلخلها على دهنٍ
سلبتَ معاجرهم واجتلبتَ^(٢)
فكأنهم خِلالَ مُنتهبٍ
ملكٌ نخونَ ملكه قدرًا^(٣)
هياتَ بعدك أن يدومَ لنا
لا هيَّبوا صُحفًا مشرقةً
أبعدَ عهدِ الله تقاتله
فستعرفونَ غدًا بعاقبةَ
يا من يُخونُ نومه أرقًا
قد كنتَ لي أملًا غنيتُ به
مرجَ النظامِ وعادَ منكرونا
فالشمْلُ منتشرٌ لفقدك والدَّ

ولسوفَ يُعوزُ بعدك الخلفُ
إنِّي ليرَهطُكَ بعدها شنيفُ
حرمَ الرسولِ ودونها السُجفُ
وجميعها بالذلِّ معترفُ
ما تفعلُ الغيرانةُ الآنِفُ
والمُحصناتُ صواريخُ هُتِفُ
أبكارهنَّ ورنتِ النصفُ^(٤)
ذاتُ النقابِ ونوزعُ الشنفُ
دُرٌّ تكشفُ دونه الصدْفُ
قوهي وسرفُ الدهرِ مُختلفُ
عزٌّ وأن يَبقى لنا شرفُ
للغادرينَ وتحتها الجدفُ
والقتلُ بعدَ أمانِهِ سرفُ
عزُّ الإلهِ فأوردوا وقفوا
هدتِ الشجونُ وقلبه لَهْفُ
فمضى وحلَّ محلُّه الأسفُ
عرفًا وأنكرَ بعدك العُرفُ^(٥)
نِيا سُدَى والبالُ منكسِفُ^(٦)

٩٤٢/٣

- (١) ابن الأثير : « وابت أقاربك » .
(٢) النصف : « المتوسطة العمر » .
(٣) ابن الأثير : « واختلت » .
(٤) ابن الأثير : « ملك تخوف نظمه قدر » .
(٥) ابن الأثير : « أرقا » .
(٦) ابن الأثير : « بلسه » .
(٧) ابن الأثير : « والهاب » .

وقال أيضاً يرثيه :

إِذَا ذُكِرَ الْأَمِينُ نَعَى الْأَمِينَا
وما برحت منازلُ بين بَصْرَى
عراضُ الْمَلِكِ خَاوِيَةٌ تَهَادَى
تَخَوَّنَ عِزُّ مَا كَانَتْهَا زَمَانُ
فَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعِ
فَلَمْ أَرَ بَعْدَهُمْ حُسْنًا سِوَاهُمْ
فَوَا أَسْفَا وَإِنْ شَمَّتِ الْأَعَادِي
أَضَلَّ الْعُرْفَ بَعْدَكَ مُتَبِعُوهُ
وَكُنْ إِلَى جَنَابِكَ كُلَّ يَوْمٍ
هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي هَوَتْ الْمَعَالِي
سَتَدْبُ بَعْدَكَ الدُّنْيَا جَوَارًا
فَقَدْ ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ
تَعْقِدُ عِزُّ مُتَصِلٍ بِكِسْرَى

وقال أيضاً يرثيه :

أَسْفَا عَلَيْكَ سَلَكَ أَقْرَبُ قَرَبَةٍ

مِنِّي وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَزِيدُ

وقال عبد الرحمن بن أبي الهداهد يرثي محمداً :

يَا غَرْبُ جُودِي قَدْ بُتُّ مِنْ وَدْمَةٍ
أَلَوْتُ بِدُنْيَاكَ كَفُّ نَائِبَةٍ
أَصْبَحَ لِلْمَوْتِ عِنْدَنَا عِلْمٌ
مَا اسْتَنْزَلَتْ دَرَّةُ الْمَنُونِ عَلَى
خَلِيفَةِ اللَّهِ فِي بَرِيئَةٍ

فَقَدْ فَقَدْنَا الْعَزِيزَ مِنْ دِيَمَةٍ
وَصِرْتُ مُغْضًى لَنَا عَلَى نِقْمَةٍ
يَضْحَكُ مِنِّي الْمَنُونُ مِنْ عِلْمَةٍ
أَكْرَمَ مِنْ حُلٍّ فِي ثَرَى رَحِمَةٍ
تَقْصُرُ أَيْدِي الْمُلُوكِ عَنْ شِمَمَةٍ

٩٤٤/٣

يَفْتَر عَنْ وَجْهِ سَنَا قَمَرٍ
 زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ مِنْ جَوَانِبِهَا
 مَنْ سَكَتَتْ نَفْسُهُ لِمَضْرَعِهِ
 رَأَيْتُهُ مِثْلَ مَا رَأَاهُ بِهِ
 كَمْ قَدْ رَأَيْنَا عَزِيزَ مَمْلَكَةٍ
 يَا مَلِكًا لَيْسَ بَعْدَهُ مَلِكٌ
 جَادَ وَحِيًّا الَّذِي أَقَمْتَ بِهِ
 لَوْ أَحْجَمَ الْمَوْتُ عَنْ أَخِي ثِقَةً
 أَوْ مَلِكٍ لَا تُرَامُ سَطَوْتُهُ
 خَلَّدَكَ الْعِزُّ مَا مَرَى سَدَفٌ
 أَصْبَحَ مُلْكُ إِذَا انْتَرَتْ بِهِ
 أَثَرُ ذَوِ الْعَرْشِ فِي عِدَاكَ كَمَا
 لَا يُبْعَدُ اللَّهُ سُورَةً تَلِيَتْ
 مَا كُنْتَ إِلَّا كَحُلْمٍ ذِي حُلْمٍ
 حَتَّى إِذَا أَطْلَقْتَهُ رَفَدْتَهُ
 وَقَالَ أَيْضًا يَرِثُهُ :

٩٤٥/٣

يَنْشَقُّ عَنْ نُورِهِ دُجَى ظُلْمَةٍ
 إِذْ أُولِغَ السَّيْفُ مِنْ نَجِيعِ دِمَةٍ
 مِنْ عُمَمِ النَّاسِ أَوْ ذَوَى رَحِمَةٍ
 حَتَّى تَذُوقَ الْأَمْرَ مِنْ سَقَمَةٍ
 يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ خَدَمِهِ
 لَخَائِمِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أُمَمَةٍ
 سَحَّ غَزِيرُ الْوَكَيْفِ مِنْ دِيَمَةٍ
 أَمْوِيَّ فِي الْعِزِّ مَسْتَوَى قَدَمِهِ
 إِلَّا مُرَامَ الشَّيْمِ فِي أَجَمَةٍ
 أَوْ قَامَ طِفْلُ الْعَشَى فِي قَدَمِهِ
 يَقْرَعُ سِنَّ الشُّقَاةِ مِنْ نَدَمِهِ
 أَثَرٌ فِي عَادِهِ وَفِي إِرْمِهِ
 لَخَيْرٍ دَاعٍ دَعَاهُ فِي حَرَمِهِ
 أَوْلَجَ بَابَ السُّرُورِ فِي حُلْمِهِ
 عَادَ إِلَى مَا اعْتَرَاهُ مِنْ عَدَمِهِ

سُقِيتَ الْغَيْثَ يَا قَصَرَ الْقَرَارِ
 فَصِيرَتْ مَلُوحًا بِدِخَانِ نَارِ
 وَأَيْنَ مَزَارُهُمْ بَعْدَ الْمَزَارِ
 أَرَى أَطْلَالَهُمْ سَوْدَ اللَّيَارِ!
 يَصُونُ عَلَى الْمُلُوكِ بِخَيْرِ جَارِ
 لَنَا وَالْغَيْثَ يَمْنَحُ بِالْقَطَارِ

أَقُولُ وَقَدْ دَنُوتُ مِنَ الْفِرَارِ
 رَمْتِكَ يَدُ الزَّمَانِ بِسَهْمِ عَيْنِ
 أَبْنَى لِي عَنْ جَمِيعِكَ آيْنَ حَلُّوا
 وَأَيْنَ مُحَمَّدٌ وَابْنَاهُ مَا لِي
 كَأَنَّ لَمْ يَوْنَسُوا بِأَنْبَاسِ مُلْكِ
 إِمَامٍ كَانَ فِي الْحِدْثَانِ عَوْنًا

لَقَدْ تَرَكَ الزَّمَانُ بَنِي أَبِيهِ
أَضَاعُوا شَمْسَهُمْ فَجَرَتْ بَنَحْسٍ
وَأَجَلُوا عَنْهُمْ قَمَرًا مُنِيرًا
وَلَوْ كَانُوا لَهُمْ كَفَرًا وَمِثْلًا
أَلَا بَانَ الْإِمَامُ وَوَارثَاهُ
وَقَالُوا الْخُلْدُ بَيْعٌ فَقُلْتُ ذَلَالٌ
كَذَلِكَ الْمَلِكُ يُتْبَعُ أَوْلِيهِ

وقال مقدّس بن صفيّ يرثيه :

خَلِيلِي مَا أَتَيْتَكَ بِهِ الْخُطُوبُ
تَدَلَّتْ مِنْ شِمَارِيخِ الْمَنَايَا
خِلَالَ مَقَابِرِ الْبُسْتَانِ قَبْرِ
لَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَهُ عَلَى مَنْ
عَلَى أَمْثَالِهِ الْعِبَرَاتُ تُذَرَى
وَمَا أَذْخَرْتَ زُبَيْدَةً عَنْهُ دَمْعًا
دَعَا مُوسَى ابْنَهُ لِبُكَاءِ دَهْرٍ
رَأَيْتُ مَشَاهِدَ الْخُلَفَاءِ مِنْهُ
لِيَهْنِكَ أَتَنَى كَهْلٌ عَلَيْهِ
أُصِيبَ بِهِ الْبَعِيدُ فَخَرَّ حُزْنًا
أُنَادَى مِنْ بَطُونِ الْأَرْضِ شَخْصًا
لَنْ نَعْتَ الْحُرُوبُ إِلَيْهِ نَفْسًا

وَقَدْ غَمَرَتْهُمْ سُودُ الْبَحَارِ
فَصَارُوا فِي الظَّلَامِ بِلَا نَهَارٍ
وَدَاسَتْهُمْ خِيُولُ بَنِي الشَّرَارِ
إِذَا مَا تَوَجَّوْا نَيْجَانَ عَارٍ
لَقَدْ ضَرَمَا الْحَشَا مَنَابِتَارَ
يَصِيرُ بِيَانَعِيهِ إِلَى صَغَارِ
إِذَا قُطِعَ الْقَرَارُ مِنَ الْقَرَارِ

٩٤٦/٣

فَقَدْ أَعْطَيْتَكَ طَاعَتَهُ النَّحِيبُ
مَنَايَا مَا تَقُومُ لَهَا الْقُلُوبُ
يُجَاوِرُ قَبْرَهُ أَسَدٌ غَرِيبُ
لَهُ فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ نَصِيبُ
وَتُهْتَكُ فِي مَاتِمَةِ الْجُيُوبُ
تُخَصُّ بِهِ النَّسِيبَةُ وَالنَّسِيبُ
عَلَى مُوسَى ابْنِهِ دَخَلَ الْحَزِيبُ
خَلَاءَ مَا بِسَاحَتِهَا مُجِيبُ
أَذُوبُ ، وَفِي الْحَشَا كَيْدُ تَذُوبُ
وَعَايِنَ يَوْمَهُ فِيهِ الْمُرِيبُ
يَحْرُكُهُ النَّدَاءُ فَمَا يُجِيبُ
لَقَدْ فُجِعَتْ بِمُصْرَعِهِ الْحُرُوبُ

وقال خزيمه بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

لخَيْرِ إِمَامٍ قَامَ مِنْ خَيْرِ عُصَرٍ وَأَفْضَلِ سَامٍ فَوْقَ أَعْوَادِ مِنْبَرٍ^(١)
لِوَارِثِ عِلْمِ الْأَوَّلِينَ وَفَهْمِهِمْ^(٢) وَلِلْمَلِكِ الْمَأْمُونِ مِنْ أُمِّ جَعْفَرٍ
كَتَبْتُ وَعَيْنِي مُسْتَهْلٌ^(٣) دُمُوعُهَا إِلَيْكَ ابْنِ عَمِّي مِنْ جُفُونِي وَمَحْجَرِي
وَقَدْ مَسَّنِي خُسرٌ وَذُلٌّ كَأَيِّ وَأَرْقَ عَيْنِي يَا بِنَّ عَمِّي تَفَكَّرِي
وَهَمْتُ لِمَا لَاقَيْتُ بَعْدَ مُصَابِيهِ فَأَمْرِي عَظِيمٌ مِنْكَرٌ جِدٌّ مِنْكَرٍ
سَأَشْكُو إِلَيْكَ لَاقِيَتُهُ بَعْدَ فَقْدِهِ إِلَيْكَ شَكَاءُ الْمُسْتَهَامِ الْمُقْتَهَرِ^(٤)
وَأَرْجُو لِمَا قَدْ مَرُّ بِي مُذْ فَقَدْتُهُ فَأَنْتَ لِبَشَى خَيْرٍ رَبٌّ مَغْفِرٍ
أَنْى طَاهِرٌ لَا طَهَرَ اللَّهُ طَاهِرًا فَمَا طَاهِرٌ فِيمَا أَتَى بِمَطْهَرٍ
فَأَخْرَجَنِي مَكْشُوفَةَ الْوَجْهِ حَاسِرًا وَأَنْهَبَ أَمْوَالِي وَأَحْرَقَ آذْرِي^(٥)
يَعِزُّ عَلَى هَارُونَ مَا قَدْ لَقِيْتُهُ وَمَا مَرَّبِي مِنْ نَاقِصِ الْخَلْقِ أَعُورِ^(٦)
فَإِنْ كَانَ مَا أَسْدَى بِأَمْرِ أَمْرَتِهِ^(٧) صَبِرْتُ لِأَمْرٍ مِنْ قَدِيرٍ مَقْدَرٍ
تَذَكَّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرَابَتِي فَدِينُكَ مِنْ ذِي حُرْمَةٍ مَتَذَكَّرٍ

وقال أيضاً يرثيه :

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبُّ الْعِزَّةِ الصَّمَدِ مَاذَا أَصِيبْنَا بِهِ فِي صُبْحَةِ الْأَحَدِ
وَمَا أَصِيبَ بِهِ الْإِسْلَامُ قَاطِبَةً مِنْ التَّضَعُّعِ فِي رَكْنِيهِ وَالْأَوْدِ
مَنْ لَمْ يُضْبَبْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يُصْبَحْ بِمَهْلِكَةِ وَالْهَمِّ فِي صُعْدِ
فَقَدْ أَصِيبَتْ بِهِ حَتَّى تَبَيَّنَ فِي عَقْلِي وَدِينِي وَفِي دُنْيَايَ وَالْجَسَدِ
يَا لَيْلَا يَشْتَكِي الْإِسْلَامُ مُدَّتَهَا وَالْعَالَمُونَ جَمِيعًا آخِرَ الْأَيِّدِ

(١) المسعودي ٣ : ٤٢٤ ، وفيه : « وأفضل راق » .

(٢) المسعودي : « ووارث » .

(٣) المسعودي : « تستهل » .

(٤) ابن الأثير : « المستضم المقتر » .

(٥) ابن الأثير : « آذري » .

(٦) المسعودي : « وما ذلتي » .

(٧) ابن الأثير : « ما أبني لأمر » .

غدرت بالملك الميمون طائره
سارت لآلئيه المنايا وهى ترهبه
بشورجين وأغتسام يقودهم
فصادفوه وحيداً لا معين له
فجرعوه المنايا غير متمتع
يلقى الوجوه بوجه غير مبتذل
واحسرتا وقريش قد أحاط به
فما تحرك بل ما زال منتصباً
حتى إذا السيف وافى وسط مفرقة
وقام فاعتلقت كفاه لبتة
فاحتزه ثم أهوى فاستقل به
فكاد يقتله لو لم يكاثره
هذا حديث أمير المؤمنين وما
لا زلت أندبه حتى المات وإن
وذكر عن الموصلى أنه قال : لما بعث طاهر برأس محمد إلى المأمون بكى
ذو الرياستين ، وقال : سل علينا سيوف الناس وألستهم ؛ أمرناه أن يبعث
به أسيراً فبعث به عقيراً ! وقال له المأمون : قد مضى ما مضى فاحتل في
الاعتذار منه ؛ فكتب الناس فأطالوا ، وجاء أحمد بن يوسف بشبر من
قرطاس فيه :

أما بعد ؛ فإن الخلو ع كان قسم أمير المؤمنين في النسب واللحمة ، وقد
فرق الله بينه وبينه في الولاية والحرمه ، لفارقه عصم الدين ، وخروجه من الأمر
الجامع للمسلمين ؛ يقول الله عز وجل حين اقتص علينا نبأ ابن نوح : ﴿ إِنَّهُ
أَتَيْسَ مَنْ أَهْلَكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ ^(١) ، فلا طاعة لأحد في معصية

الله ، ولا قطيعة إذا كانت القطيعة في جنب الله . وكتابى إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع ، وردّاه رداء نكته ، وأحصد^(١) لأمر المؤمنين أمره ، وأنجز له وعده ، وما ينتظر من صادق وعده حين ردّ به الألفة بعد فرقتها ، وجمع الأمة بعد شتاتها ، وأحيا به أعلام الإسلام بعد دروسها .

° ° °

ذكر الخبر عن بعض سير المخلوع محمد بن هارون

ذكر عن حميد بن سعيد ، قال : لما ملك محمد ، وكتبه المأمون ، وأعطاه بيعته ، طلب الخِصيان وابتاعهم ، وغالَى بهم ، وصيرهم لخلوته في ليله ونهاره ، وقوام طعامه وشرابه ، وأمره ونهيه ؛ وفرض لهم فرضاً ساهم الجرادية ، وفرضاً من الحبشان ساهم الغرابية ، ورفض النساء الحرائر والإماء حتى رُمى بهنّ ؛ ففى ذلك يقول بعضهم :

٩٥١/٣

ألا يا مُزْمِنَ المثنوى بطوس^(٢) عزيباً ما يُفادى بالنفوس
لقد أبقيت للخصيان بعلا^(٣) تحمّل منهم شوم البسوس
فأما نوفلُ فالشأنُ فيه وفى بدرٍ ، فإلك من جليس !
وما العصمى بشارٌ لديه^(٤) إذا ذكروا بذى سهم تحسيس
وما حسنُ الصغير أخس حالاً لديه عند مخترق الكسوس
لهم من عمره شطرٌ وشطرٌ يُعاقِرُ فيه شرب الخندريس
وما للغانيات لديه حظٌ سوى التقطيب بالوجه العبوس
إذا كان الرئيس كذا سقيماً فكيف صلاحنا بعد الرئيس !
فلو علمَ المقيمُ بدارِ طوس لَعَزَّ على المقيم بدارِ طوس
قال حميد : ولما ملك محمد وجهه إلى جميع البلدان في طلب المنهين
وضسّهم إليه ، وأجرى لهم الأرزاق ، ونافس في ابتياع قره الدواب ، وأخذ

(١) أحصد أمره : أحكه وقواه . (٢) ابن الأثير : « ألا أيها المثنوى » .

(٣) ابن الأثير : « هتلا » والمقل في الأصل : الفتى من النعام .

(٤) ابن الأثير : « وما للعصمى شئ لديه » .

الوحوش والسباع والطيّر وغير ذلك ؛ واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقواده ، واستخفّ بهم ، وقسم ما في بيوت الأموال وما بحضرته من الجوهر في خصيانه وجلسائه ومحدثيه ، وحمل إليه ما كان في الرقة من الجوهر والخزائن والسلاح ، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولطوه ولعبه بقصر الحُلند والخيزرانية وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلّى ورقة ككلاوذي وباب الأنبار وبنوورى^(١) والهوب ؛ وأمر بعمل خمس حَرَاقات في دجلة على خِلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، وأنفق في عملها مالا عظيماً ، فقال أبو نواس بمدحه :

سَخَّرَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا	لَمْ تُسَخَّرْ لِصَاحِبِ الْمِخْرَابِ ^(٢)
فَإِذَا مَا رَكَابُهُ سِرْنُ بَرٍّ	سَارَ فِي الْمَاءِ رَاكِبًا لَيْثُ غَابٍ
أَسَدًا بَاسِطًا ذِرَاعِيهِ يَهُوَى ^(٣)	أَهْرَتِ الشَّدَقِ كَالْحِجَابِ الْإِنْيَابِ
لَا يِعَانِيهِ بِاللَّجَامِ وَلَا السَّوْ	طٍ وَلَا غَمَزِ رَجُلِهِ فِي الرِّكَابِ
عَجِبَ النَّاسُ إِذْ رَأَوْكَ عَلَى صُوبِ	رَقَةٍ لَيْثٍ تَمَرُّ مَرَّ السَّحَابِ ^(٤)
سَبَّحُوا إِذْ رَأَوْكَ سِرْتٍ عَلَيْهِ	كَيْفَ لَوْ أَبْصَرُواكَ فَوْقَ الْعُقَابِ
ذَاتِ زَوْرٍ وَمُنْسَرٍ وَجَنَاحِ	بَيْنَ تَشَقُّقِ الْعُبَابِ بَعْدَ الْعُبَابِ
تَسْبِقُ الطَّيْرُ فِي السَّمَاءِ إِذَا مَا اسد	تَعَجَّلُوها بِجَيْثَةٍ وَذَهَابِ
بَارَكَ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ وَأَبْقَا	هُ وَأَبْقَى لَهُ رِذَاءَ الشَّيَابِ ^(٥)
مَلِكٌ تَقْصُرُ الْمَدَائِحُ عَنْهُ	هَاشِمِيٌّ مَوْفِقٌ لِلصَّوَابِ

وذكر عن الحسين بن الضحّاك ، قال : ابنتي الأمير سفينة عظيمة ، أنفق عليها ثلاثة آلاف ألف درهم ، واتخذ أخرى على خلقة شيء يكون في البحر يقال له الدُّلْفِين^(٦) ، فقال في ذلك أبو نواس الحسن بن هانئ :

(١) في ط من غير نقط ؛ وانظر النهرس .

(٢) الديوان : « يعدو » .

(٣) ديوانه ١١٦ .

(٤) الديوان : « بارك الله للأمين » .

(٥) الديوان : « يمر » .

(٦) في القاموس : « الدلفين ، بالضم : دابة بحرية تنجى العريق » .

قد ركب الدلفين بدر الدجى مقتحماً في الماء قد لججا^(١)
 فأشرق دجلة في حسنه وأشرق الشيطان واستبها^(٢)
 لم تر عيني مثله مركباً أحسن إن سار وإن أحنجا
 إذا استحشنته مجاديفه أعنق فوق الماء أو هم لجا^(٣)
 خص به الله الأمين الذي أضحي بتاج الملك قد توجا

وذكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما المغنّي الكوفي أنه قال : كان
 العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر من رجالات بني هاشم جنداً
 وعقلاً وصنيعاً ، وكان يتخذ الخدم ، وكان له خادم من آثار خدّمه عنده
 يقال له منصور ، فوجد الخادم عليه ، فهرب إلى محمد ، وأتاه وهو يقصر أم جعفر
 المعروف بالقرار ، فقبله محمد أحسن قبول ، وحظي عنده حظوة عجيبة .
 قال : فركب الخادم يوماً في جماعة خدم كانوا لمحمد يقال لهم السّيافة ، فرّ
 بباب العباس بن عبد الله ؛ يريد بذلك أن يرى خدم العباس هيئته وحاله التي
 هو عليها . وبلغ ذلك الخبر العباس ، فخرج محضراً^(٤) في قميص حاسراً ،
 في يده عمود عليه كيمخت ، فلحقه في سويقة أبي الورد ، فعلق بلجامه ،
 ونازعه أولئك الخدم ، فجعل لا يضرب أحداً منهم إلا أوهنه ، حتى تفرقوا
 عنه ، وجاء به يقوده حتى أدخله داره . وبلغ الخبر محمد ، فبعث إلى داره
 جماعة ، فوقفوا حياها^(٥) ، وصف العباس غلمانته ومواليه على سور داره ، ومعهم
 الترس والسهم ، فقام أحمد بن إسحاق : فعفنا والله النار أن تحرق منازلنا ،
 وذلك أنهم أرادوا أن يحرقوا دار العباس . قال : وجاء رشيد الهاروني ، فاستأذن
 عليه فدخل إليه ، فقال : ما تصنع ! أتدري ما أنت فيه وما قد جاءك ! لو
 أذن لهم لاقتلعوا دارك بالأسنة ، ألسن في الطاعة ! قال : بلى ، قال : فقم
 فاركب . قال : فخرج في سواده ، فلما صار على باب داره ، قال : يا غلام ! هلم دابتي

٩٥٤/٣

(٢) ط : « السكان » ، والصواب ما أثبت من الديوان .

(٤) محضراً ، أي مسرعاً .

(١) ديوانه ١١٧ .

(٣) الديوان : « عرجا » .

(٥) ط : « أعياها » .

فقال رشيد : لا ولا كرامة ! ولكن تمضي راجلاً . قال : فضي ، فلما صار إلى الشارع نظر ؛ فإذا العالمون قد جاءوا ، وجاءه الجلودى والإفريقى وأبو البط وأصحاب الهرش . قال : وجعل ينظر إليهم ، وأنا أراه راجلاً ورشيداً راكب . قال : وبلغ أم جعفر الخبر ، فدخلت على محمد ، وجعلت تطلب إلى محمد ، فقال لها : نُسيتُ من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم أقتله ! وجعلت تلح عليه ، فقال لها : والله إنى لأظنى سأسطو بك . قال : فكشفت شعرها . وقالت : ومن يدخل على وأنا حاسر ! قال : فيينا محمد كذلك - ولم يأت العباس بعد - إذ قدم صاعد الخادم عليه بقتل على بن عيسى بن ماهان ، فاشتغل بذلك ، وأقام العباس في الدّهلز عشرة أيام ، ونسيه ثم ذكره ، فقال : يُحبس في حُجرة من حُجَر داره ، ويدخل عليه ثلاثة رجال من مواليه من مشايخهم يتخذونه ، ويُجعل له وظيفة في كل يوم ثلاثة ألوان . قال : فلم يزل على هذه الحال حتى خرج حسين بن على بن عيسى بن ماهان ، ودعا إلى المأمون ، وحبس محمد . قال : فرّ إسحاق بن عيسى بن على ومحمد بن محمد المعبدي بالعباس بن عبد الله وهو في منطرة ، فقال له : ما قعودك ؟ اخرج إلى هذا الرجل - يعنيان حسين بن على - قال : فخرج فأقى حسيناً ، ثم وقف عند باب الجسر ، فترك لأم جعفر شيئاً من الشّم إلا قاله ، وإسحاق بن موسى يأخذ البيعة للمأمون . قال : ثم لم يكن إلا يسيراً حتى قتل الحسين ، وهرب العباس إلى نهر بين إلى حرّمة ، ومضى ابنه الفضل بن العباس إلى محمد ، فسعى إليه بما كان لأبيه ، ووجه محمد إلى منزله ، فأخذ منه أربعة آلاف ألف درهم وثلاثمائة ألف دينار ، وكانت في قماقم في بئر ، وأنسوا قسّمين من تلك القماقم ، فقال : ما بقى من ميراث أبي سوى هذين القمّمين ، وفيهما سبعون ألف دينار . فلما انقضت الفتنة وقُتل محمد رجع إلى منزله فأخذ القمّمين وجعلهما ... (١)

وحجّ في تلك السنة ، وهى سنة ثمان وتسعين ومائة .

٩٥٦/٣

قال أحمد بن إسحاق : وكان العباس بن عبد الله يحدث بعد ذلك ؛

(١) عباس بن أحمد ط .

فيقول : قال لي سليمان بن جعفر ونحن في دار المأمون : أما قتلت ابنك بعد ؟
فقلت : يا عم ، جعلت فداك ! ومن يقتل ابنه ! فقال لي : اقتله ؛ فهو الذي
سعى بك وبمالك فأفقرك .

وذكر عن أحمد بن إسحاق بن برصوما ، قال : لما حُصِر محمد وضغطة
الأمر ، قال : ويحكم ! ما أحد يستراح إليه ! فقيل له : بلى ، رجل من
العرب من أهل الكوفة ، يقال له وضّاح بن حبيب بن بديل التميمي ؛ وهو
بقيّة من بقايا العرب ، وذو رأي أصيل ، قال : فأرسلوا إليه ، قال : قدم
علينا ، فلمّا صار إليه قال له : إني قد خُبرت بمذهبك ورأيك ، فأشِرّ علينا
في أمرنا ، قال له : يا أمير المؤمنين ، قد بطل الرأي اليوم وذهب ؛ ولكن
استعمل الأراجيف ؛ فإنها من آلة الحرب ؛ فنصب رجلا كان ينزل دُجيلا يقال
له بكير بن المعتمر ؛ فكان إذا نزلت بمحمد نازلة وحادثه هزيمة قال له :
هات ؛ فقد جاءنا نازلة ، فيضع له الأخبار ، فإذا مشى الناس تبينوا بطلانها .
قال أحمد بن إسحاق : كأنني أنظر إلى بكير بن المعتمر شيخ عظيم الخلق .

وذكر عن العباس بن أحمد بن أبان الكاتب ، قال : حدثنا إبراهيم بن
الجراح ، قال : حدثني كوثر ، قال : أمر محمد بن زُبَيْدة يوماً أن يفرّش له
على دكان في الخُلْد ، فيسط له عليه بساط زَرَعِي ، وطُرح عليه نمارق
وفرش مثله ، وهَيَّئَ له من آفية الفضة والذهب والجواهر أمر عظيم ، وأمر قيّمة
جواريه أن تهَيَّئَ له مائة جارية صانعة ، فتصعد إليه عشراً عشراً ، بأيديهن
العيدان يغنين بصوت واحد ؛ فأصعدت إليه عشراً ، فلما استوين على الدكان
اندفعن فغنين :

٩٥٧/٣

هُم قَتَلُوهُ كَيَّ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرَتْ يَوْمًا بِكِسْرَى مَرَازِبُهُ^(١)

قال : فتأفف من هذا ، ولعنها ولعن الجوارى ، فأمر بهنّ فأنزلن ، ثم لبث
هنيهة وأمرها أن تصعد عشراً ، فلما استوين على الدكان اندفعن فغنين :

(١) من أبيات الوليد بن عقبة ، يخاطب بها بني هاشم حين قتل عثمان . الكامل ٢ : ٢٨ .

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَّاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ^(١)
يَعِجِدِ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَلْطُمْنَ قَبْلَ نَبْلِجِ الْأَسْحَارِ

قال : فضجِر وفعل مثل فَعَلْتُهُ الأولى ، وأطرق طويلا ، ثم قال :
أصعدي عشراً ، فأصعدتهن ، فلما وقفن على الدكان ، اندفعن يغنين بصوت
واحد :

كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرَّجَ بِالْدَّمِ^(٢)

قال : فقام من مجلسه ، وأمر بهدم ذلك المكان تطهيراً مما كان .

وذكر عن محمد بن عبد الرحمن الكندي ، قال : حدثني محمد بن دينار ،
قال : كان محمد المخالوع قاعداً يوماً ، وقد اشتد عليه الحصار ، فاشتد
اغتمامه ، وضاق صدره ؛ فدعا بندمائه والشراب ليتسلَّى به ، فأُتي به ، وكانت
له جارية يتحفظها من جواريه ، فأمرها أن تُغْنِي ، وتناول كأساً ليشربه ؛
فحبس الله لسانها عن كل شيء ، فغنت :

كَلَيْبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرَّجَ بِالْدَّمِ

فرماها بالكأس الذي في يده ، وأمر بها فطُرحت للأسد ، ثم تناول
كأساً أخرى ، ودعا بأخرى فغنت :

هُمْ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرَتْ يَوْمًا بِكِسْرَى مَرَاثِيَهُ

فرمى وجهها بالكأس ، ثم تناول كأساً أخرى ليشربها ، وقال لأخرى :
غَنِّي ، فغنت :

• قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي^(٣) •

(١) للربيع بن زياد ، ديوان الحماسة ٢ بشرح التبريزي ٣ : ٣٧ .

(٢) للناطقة الجعدى ، ديوانه ١٤٣ . (٣) بقيته :

• فَإِذَا رَمَيْتُ يَصِيْبِي سَهْمِي •

س أبيات للحارث بن ولة الذهل . ديوان الحماسة بشرح التبريزي ١ : ١٩٩ .

قال : فرمى وجهها بالكأس ، ورمى الصبينة برجله ، وعاد إلى ما كان فيه من همته ، وقتل بعد ذلك بأيام يسيرة .

وذكر عن أبي سعيد أنه قال : ماتت فطيم - وهي أم موسى بن محمد بن هارون المخاوع - فجزع عليها جزعاً شديداً ، وبلغ أم جعفر ، فقالت : احملوني إلى أمير المؤمنين ، قال : فحميت إليه ، فاستقبلها ، فقال : يا سيدتي ، ماتت فطيم ، فقالت :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ لَا يَذْهَبُ بِكَ اللَّهْفُ فَنِي بَقَائِكَ مِمَّنْ قَدْ مَضَى خَلْفُ^(١)
عَوِضْتَ مُوسَى فَهَانَتْ كُلُّ مَرْزِيَّةٍ مَا بَعْدَ مُرْسِي عَلَى مَفْقُودَةٍ أَسَفُ

وقالت : أعظم الله أجرك ، ووفر صبرك ، وجعل العزاء عنها ذخرك !

وذكر عن إبراهيم بن إسماعيل بن هاني ، ابن أخي أبي نواس ، قال : حدثني أبي قال : هجا عمك أبو نواس مُضَرَّ في قصيدته التي يقول فيها : ٩٥٩/٣

أَمَّا قَرِيْشٌ فَلَا افْتِخَارَ لَهَا إِلَّا التَّجَارَاتُ مِنْ مَكَاسِبِهَا^(٢)
وَأَنَّهَا إِنْ ذَكَرْتَ مَكْرُمَةً جَاءَتْ قَرِيْشٌ تَسْعَى بِغَالِبِهَا
إِنَّ قُرَيْشًا إِذَا هِيَ انْتَسَبَتْ كَانَ لَهَا الشُّطْرُ مِنْ مَنَاسِبِهَا

قال : يريد أن أكرمها يُغَالِب . قال : فبلغ ذلك الرشيد في حياته ، فأمر بحبسه ، فلم يزل محبوساً حتى ولي محمد ، فقال بمدحه ، وكان انقطاعه إليه أيام إمارته ، فقال :

تَذَكَّرْ أَمِينَ اللَّهِ وَالْعَهْدُ يُدَكِّرُ مُقَامِي وَإِنْشَادِيكَ وَالنَّاسُ حُضُرُ^(٣)
وَنَشْرَى عَلَيْكَ الدَّرَّ يَادِرْ هَاشِمٍ فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا عَلَى الدَّرِّ يُنْشِرُ
أَبُوكَ الَّذِي لَمْ يَمْلِكِ الْأَرْضَ مِثْلُهُ وَعَمُّكَ مُوسَى عَدْلُهُ الْمُتَخَيَّرُ
وَجَدُّكَ مَهْدِيُّ الْهَدَى وَشَقِيقُهُ أَبُو أُمِّكَ الْأَدْنَى أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ

(١) المسعودي ٣ : ٤٠٣ ، وفيه : « عما قد مضى » .

(٢) ديوانه ١٠٦ .

(٣) ديوانه ١٥٧ .

وما مثل منصوريك : منصور هاشم ومنصور قحطان إذا عُدَّ مفخر
فمن ذالذي يرى بسهميك في العلا وعبد مناف والدالك وحيمر

قال : فتغنت بهذه الأبيات جارية بين يدي محمد ، فقال لها : لمن
الأبيات ؟ فقيل له : لأبي نواس ، فقال : وما فعل ؟ فقيل له : محبوب ،
فقال : ليس عليه بأس . قال : فبعث إليه إسحاق بن فیراشة وسعيد بن جابر
أخا محمد من الرضاة ، فقالا : إن أمير المؤمنين ذكرك البارحة فقال :
ليس عليه بأس ، فقال أبياتا ، وبعث بها إليه ، وهي هذه الأبيات :

أرقت وطار عن عيني النعاس ونام السامرون ولم يؤاسوا^(١)
أمين الله قد ملكت ملكا عليك من التقى فيه لباس^(٢)
ووجهك يستهل ندى فيحيا به في كل ناحية أناس
كان الخلق في تمثال روح له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن السجن بأس وقد أرسلت : ليس عليك بأس

فلما أنشده قال : صدق ، على به ، فجيء به في الليل ، فكسرت
قيوده ، وأخرج حتى أدخل عليه ، فأنشأ يقول :

مرجبا مرجبا بخير إمام صيغ من جوهر الخلافة نعتا^(٣)
يا أمين الإله يكلوك الله مقيما وظاعنا حيث سرتنا
إنما الأرض كلها لك دار فلك الله صاحب حيث كننا^(٤)

(١) ديوانه ١٠٧ .

(٢) بعده في الديوان :

تسأس من الساء بكل صنغ وأنت به تسأس كما تسأس

(٣) ديوانه ١١٤ ، وفيه : « محتاج » .

(٤) الديوان : « صاحب » وذكر بعده :

نبي المهادي بردا ورسلا وشبهه التفسير عديا وسكتا

قال : فخلع عليه ، وخلّى سبيله ، وجعله في ندمائه .

وذكر عن عبد الله بن عمرو التميمي ، قال : حدثني أحمد بن إبراهيم الفارسي ، قال : شرب أبو نواس الخمر ، فرُفِعَ ذلك إلى محمد في أيامه ، فأمر بحبسه ، فحبسه الفضل بن الربيع ثلاثة أشهر ، ثم ذكره محمد ، فدعا به وعنده بنو هاشم وغيرهم ، ودعا له بالسيف والنّطع يهدّده بالقتل ، فأنشده أبو نواس هذه الأبيات :

تَذَكَّرْ أَمِينَ اللَّهِ وَالْعَهْدُ يُذَكَّرُ *

الشعر الذي ذكرناه قبل ، وزاد فيه :

تَحَسَّنَتِ الدُّنْيَا بِحُسْنِ خَلِيفَةٍ هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ الدَّهْرُ مُقْمِرُ
إِمَامٌ يَسُوُسُ النَّاسَ سَبْعِينَ حِجَّةً عَلَيْهِ لَهُ مِنْهَا لِبَاسٌ وَمِثْرُ
يُشِيرُ إِلَيْهِ الْجَوْدُ مِنْ وَجَنَاتِهِ وَيَنْظُرُ مِنْ أَعْطَافِهِ حِينَ يَنْظُرُ
أَيَا خَيْرِ مَأْمُولٍ يَرْجَى ، أَنَا امْرُؤُ رَهِينُ أَسِيرٍ فِي سُجُونِكَ مُقْفِرُ
مَضَى أَشْهُرٌ لِي مُذْ حَبَسْتُ ثَلَاثَةً كَأَنِّي قَدْ أَذْنِبْتُ مَا لَيْسَ يُغْفَرُ
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَذْنِبْ فَفِيمَ تَعَقُّبِي ! وَإِنْ كُنْتُ ذَا ذَنْبٍ فَعَفْوُكَ أَكْثَرُ

قال : فقال له محمد : فإن شربتها؟ قال : دمي لك حلال يا أمير المؤمنين ، فأطلقه . قال : فكان أبو نواس يشتمها ولا يشربها وهو قوله :

* لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيًّا *

وذكر عن مسعود بن عيسى العبدى ، قال : أخبرني يحيى بن المسافر القزويني ، قال : أخبرني دحييم غلام أبي نواس ؛ أن أبا نواس عتب عليه محمد في شرب الخمر ، فخطب به - وكان الفضل بن الربيع خال - يستعرض أهل السجن ويتنادمهم ويتقدمهم - ردشيل في حبيب الزنادقة ، فرأى فيه أبو نواس - ولم يكن يعرفه - فقال له : يا شاب ، أنت بين الزنادقة ، قال : وماذا ، قال : فناداهم في المسجد الكبير : قال : أنا أكبركم في هذا المسجد .

قال : فلعلك ممن يعبد الشمس ؟ قال : إني لأتجنب القعود فيها بغضاً لها ،
 قال : فبأي جرم حبست ؟ قال : حبست بتهمة أنا منها برىء ، قال : ليس
 إلا هذا ؟ قال : والله لقد صدقتك . قال : فجاء إلى الفضل ، فقال له :
 يا هذا ، لاتحسنون جوار نعم الله عز وجل ! أيحبسُ الناس بالتهمة !
 قال : وما ذاك ؟ فأخبره بما ادّعى من جُرمه ، فتبسم الفضل ، ودخل على
 محمد ، فأخبره بذلك ، فدعا به ، وتقدم إليه أن يحتنب الخمر والسكر ، قال :
 نعم ، قيل له : فبعهد الله ! قال : نعم ، قال : فأخرج ، فبعث إليه فتيان من قريش
 فقال لهم : إني لا أشرب ، قالوا : وإن لم تشرب فأنيسنا بحديثك ، فأجاب ،
 فلما دارت الكأس بينهم ، قالوا : ألم ترتج لها ؟ قال : لا سبيل والله إلى شربها ،
 وأنشأ يقول :

٩٦٣/٣

أيُّها الرائيحان باللوم لوماً لا أذوق المدام إلا شميماً^(١)
 نالني بالملام فيها إمام لا أرى في خلافه مستقيماً^(٢)
 فاصرفاها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديماً
 إن حظي منها إذا هي دارت^(٣) أن أراها وأن أشم النسيماً
 فكأنني وما أحسن منها قعدى يزبن التحكيماً
 كل عن حملة السلاح إلى الحر^(٤) بـ فأوصي المطيق ألا يقيماً

وذكر عن أبي الورد السبعي أنه قال : كنت عند الفضل بن سهل
 بخراسان ، فذكر الأمين ، فقال : كيف لا يستحل قتال محمد وشاعره
 يقول في مجاسه :

ألا سقني خمرًا وقل لي هي الحرُّ ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر^(٥)
 قال : فبلغت التهمة شديداً ، فأسر الفضل بن الربيع فأخذ أبا نواس

تحيته .

(١) البيت في نسخة أخرى :
 لا أذوق المدام إلا شميماً

(٢) البيت في نسخة أخرى :
 لا أرى في خلافه مستقيماً

(٣) البيت في نسخة أخرى :
 إن حظي منها إذا هي دارت

(٤) البيت في نسخة أخرى :
 كل عن حملة السلاح إلى الحر

(٥) البيت في نسخة أخرى :
 ألا سقني خمرًا وقل لي هي الحر

وذكر كامل بن جامع عن بعض أصحاب أبي نواس ورواته ، قال :
كان أبو نواس قال أبياتاً بلغت الأمين في آخرها :

وقد زادتني تيبهاً على الناس. أننى أراي أغناهم إذا كنتُ ذا عُسْرِ^(١)
ولَوْ لم أنلُ فخراً لكانت صيانتى^(٢) فمى عن جميع الناس حَسْبى من الفخر^(٣)
ولا يطمعن في ذلك منى طامع ولا صاحبُ التاج المحجبُ في القصرِ

قال : فبعث إليه الأمين— وعنده سليمان بن أبي جعفر— فلما دخل عليه ،
قال : يا عاضنَ بَطْطُرَ أمّة العاهرة ! يا ابن اللخناء— وشتمه أقبح الشتم— أنت
تكسب بشعرك أوساخ أيدى اللثام ، ثم تقول :

• ولا صاحبُ التاج المحجبُ في القصر •

أما والله لانتلت منى شيئاً أبداً . فقال له سليمان بن أبي جعفر : والله
يا أمير المؤمنين ، وهو من كبار الثنوية ، فقال محمد : هل يشهد عليه بذلك شاهد ؟
فاستشهد سليمان جماعة ، فشهد بعضهم أنه شرب في يوم مطير ، ووضع
قَدَحَه تحت السماء ، فوقع فيه القطر ، وقال : يزعمون أنه يتزل مع كل
قطرة ملك ، فكم ترى أنى أشرب الساعة من الملائكة ! ثم شرب ما في القَدَحِ ،
فأمر محمد بحبسه ، فقال أبو نواس في ذلك :

يَا رَبَّ إِنَّ الْقَوْمَ قد ظَلَمُونِي وَبِإِلَاقَتِرَافٍ تَعَطَّلِ حَبْسُونِي
وإلى الجُحُودِ بِمَا عَرَفْتَ خِلَافَهُ مِنِّي إِلَيْهِ بِكَيْدِهِمْ نَسَبُونِي
ما كان إلا الجَرِيُّ في مَيْدَانِهِمْ في كُلِّ جَرِيٍّ والمخافةُ ديني
لا العذرُ يَقْبَلُ لي فَيَفَرِّقَ شَاهِدِي مِنْهُمْ ولا يَرْضَوْنَ حَلْفَ يَمِينِي
ولكان كثرُ كان أُولَى مَحْبِسًا في دار مَنَقَصَةٍ ومنزل هُونِ
أَمَّا الْأَمِينُ فَلَسْتُ أَرْجُو دَفْعَهُ عَنِّي ، فَمَنْ لِي الْيَوْمَ بِالْمَأْسُونِ !

(١) ديوانه ١٤٧ رثية : « وإن كنت دافقاً » (٢) الديوان : « ولم لم أرت » .

(٣) الديوان : سؤال النام . »

قال : وبلغت المأمونَ أبياته ، فقال : والله لئن لحقته لأغنيته غنى لا يؤمله ،
قال : فمات قبل دخول المأمون مدينة السلام .

قال : ولما طال حبسُ أبي نواس ، قال في حبسه - فيما ذكر - عن دِعامَة :

إِحْمَدُوا اللَّهَ جَمِيعاً يَا جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ
ثُمَّ قُولُوا لَا تَمَلُّوا رَبَّنَا أَبْقِ الْأَمِينَا
صَبْرَ الْخَصِيَّانَ حَتَّى صَبَرَ التَّغْنِيَنَ دِينَا
فَاقْتَدَى النَّاسُ جَمِيعاً بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

قال : وبلغت هذه الأبيات أيضاً المأمون وهو بخراسان ، فقال : إني
لأنوكفهُ أن يهرب إلى .

وذكر يعقوب بن إسحاق ، عمن حدّثه ، عن كوثر خادم المخلوع ، أن محمداً
أرق ذات ليلة ، وهو في حرّبه مع طاهر ، فطلب من يسامره فلم يقرب
إليه أحد من حاشيته ، فدعا حاجبه ، فقال : ويلك ! قد خطرت بقلبي خطرات
فأحضرتني شاعراً ظريفاً أقطع به بقيّة ليلتي ، فخرج الحاجب ، فاعتمد
أقرب من بحضرته ، فوجد أبا نواس ، فقال له : أجب أمير المؤمنين ، فقال
له : لعلك أردت غيري ! قال : لم أرد أحداً سواك . فأثابه به ، فقال : من
أنت ؟ قال : خادمك الحسن بن هاني ، وطلبك بالأمس ، قال : لا تُرْع ؛
إنه عرضت بقلبي أمثال أحببت أن تجعلها في شعر ، فإن فعلت ذلك أجزت
حكمتك فيما تطلب ، فقال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قولهم : عفا الله
عما سلف ، وبشس والله ما جرّى فرسي ، واكسرى عوداً على أنفك ،
وتمتني أشهى لك . قال : فقال أبو نواس . حكمتي أربع وصائف متدودات ،
فأمر بإحضارهن . فقال :

فَقَدَتِ طُولَ اعْتِلَالِكَ وَمَا أَرَى فِي مِطَالِكَ
لَقَدْ أَرَدْتُ جَفَائِي وَقَدْ أَرَدْتُ وَصَالِكَ

ما ذا أردت بهذا ! تمنعني أشهى لك

وأخذ بيد وصيفة فعزلها ، ثم قال :

قد صَحَّتِ الْإِيمَانُ مِنْ حَلْفِكَ وَصَحَّتْ حَتَّى مَتُّ مِنْ حَلْفِكَ
بِاللَّهِ يَا سَتِي احْنِي مَرَّةً ثُمَّ اكْسِرِي عُودًا عَلَى أَنْفِكَ

ثم عزل الثانية ، ثم قال :

فَدَيْتُكَ مَاذَا الصَّلَفُ وَشَتَمْتُ أَهْلَ الشَّرَفِ !
صَلِي عَاشِقًا مَدْنَفًا قَدْ اعْتَبَ مِمَّا اقْتَرَفَ
وَلَا تَذْكُرِي مَا مَضَى عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ

٩١٧/٣

ثم عزل الثالثة ، وقال :

وَبَاعِثَاتٍ إِلَى فِي الْغَلَسِ أَنْ ائْتِنَا وَاحْتَرُسْ مِنَ الْعَسَسِ
حَتَّى إِذَا نَوْمَ الْعُدَاةُ وَلَمْ أَخْشَ رَقِيْبًا وَلَا سَنَا قَبَسِ
رَكِبْتُ مُهْرِي وَقَدْ طَرِبْتُ إِلَى حُورٍ حِسَانٍ نَوَاعِمِ لُغَسِ
فَجِئْتُ وَالصَّبْحُ قَدْ نَهَضَتْ لَهُ فَبِئْسَ وَاللَّهِ مَا جَرَى فَرَسِي

فقال : خذهن لا بارك الله لك فيهن !

وذكر عن الموصلي ، عن حسين خادم الرشيد ، قال : لما صارت الخلافة إلى محمد هتيء له منزل من منازل على الشط ، بفرش أجود ما يكون من فرش الخلافة وأسواه ، فقال : يا سيدي ؛ لم يكن لأبيك فرش يباهى به الملوك والوفود الذين يردون عليه أحسن من هذا ؛ فأحببت أن أفرشه لك ، قال : فأحببت أن يفرش لي في أول خلافتي المرداج ، وقال : مزقوه ، قال : فرأيت والله الخدم والفراشين قد صبروه ممزقاً وفرقوه .

وذكر عن محمد بن الحسن . قال : حدثني أحمد بن محمد البرمكي أن إبراهيم بن المهدي غنى محمد بن زبيدة :

هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الْقَبِيلَ وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ^(١)

فطرب محمد . وقال : أوقروا زورقه ذهباً .

وذكر عن علي بن محمد بن إسماعيل ، عن مخارق ، قال : إني لعند محمد بن زُبَيْدَة يوماً ماطرًا ، وهو مصطبج ، وأنا جالس بالقرب منه ، وأنا أغنى وليس معه أحد ، وعليه جبة وشئ ؛ لا والله مارأيت أحسن منها . فأقبلت أنظر إليها ، فقال : كأنك استحسنتها يا مخارق ! قلت : نعم يا سيدي ؛ عليك لأن وجهك حسن فيها ، فأنا أنظر إليه وأعوذك . قال : يا غلام ، فأجابه الخادم ، قال : فدعا بجبة غير تلك ، فلبسها وخلع التي عليه علي ، ومكثت هنيهة ثم نظرت إليه ، فعاودني بمثل ذلك الكلام ، وعاودته ، فدعا بأخرى حتى فعل ذلك بثلاث جباب ظهرت بينها . قال : فلما رآها علي ندم وتغير وجهه ، وقال : يا غلام ، اذهب إلى الطباخين فقل لهم : يطبخوا لنا مصلية ، ويجيدوا صنعتها ، وأتني بها الساعة ، فما هو إلا أن ذهب الغلام حتى جاء الحيوان ، وهو لطيف صغير ، في وسطه غصارة ضخمة ورغيفان ، فوضعت بين يديه ، فكسر لقمة فأهوى بها إلى الصحيفة ، ثم قال : كُلْ يا مخارق ، قلت : يا سيدي . أعفني من الأكل ، قال : لست أعفيك فكل ، فكسرت لقمة ، ثم تناولت شيئاً ، فلما وضعته في فمي ، قال : لعنك الله ! ما أشرهك ! نفصتها علي وأفسدتها ، وأدخلت يدك فيها ؛ ثم رفع الغصارة بيده ، فإذا هي في حجرى ، وقال : قم لعنك الله ! فقممت ، وذاك الودك والمرق يسيل من الجباب ، فخلعتها وأرسلت بها إلى منزلي ، ودعوت القصارين والوشائين ، فجهدت جهدى أن تعود كما كانت فما عادت .

وذكر عن البحري أبي عباد ، عن عبيد الله بن أبي غسان ، قال : كنت عند محمد في يوم شات شديد البرد ؛ وهو في مجلس له مفرد مفروش بفرش ؛ قلما رأيت أرفع قيمة مثله ولا أحسن ، وأنا في ذلك اليوم طوي ثلاثة أيام ولياليهن إلا من النبذ ؛ والله لا أستطيع أن أتكلّم ولا أعقل ، فنهض نهضة

(١) لأبي صخر الهذلي ، أمال القائل ١ : ١٤٠ .

البول، فقلت لخادم من خدم الخاصة : ويلك ! قد والله مت ، فهل من حيلة إلى شيء تلقيه في جوفى يبرد عني ما أنا فيه ! فقال : دعني حتى أحتال لك وأنظر ما أقول ، وصدق مقالتي . فلما رجع محمد وجلس نظر الخادم إلى نظرة ، فبسم ، فرآه محمد ، فقال : مم تبسمت ؟ قال : لا شيء يا سيدي ، فغضب . قال البحري : فقال : شيء في عبيد الله بن أبي غسان لا يستطيع أن يشم رائحة البطيخ ولا يأكله ، ويجزع منه جزعاً شديداً . فقال : يا عبيد الله هذا فيك ؟ قال : قلت : إني والله يا سيدي ، ابتليت به ، قال : ويحك ! مع طيب البطيخ وطيب ريحه ! قال : فقلت : أنا كذا . قال : فتعجب ثم قال : عليّ ببطيخ ، فأتيت منه بعدة ، فلما رأيته أظهرت القشعريرة منه ، وتنجست . قال : خذوه ، وضعوا البطيخ بين يديه ، قال : فأقبلت أريه الجزع والاضطراب من ذلك ، وهو يضحك ، ثم قال : كل واحدة ، قال : فقلت : يا سيدي ، تقتلني وترمي بكل شيء في جوفى وتهيج عليّ العلل ، الله الله في ! قال : كل بطيخة ولك فرش هذا البيت ، عليّ عهد الله بذلك وميثاقه ، قلت : ما أصنع بفرش بيت ، وأنا أموت إن أكلت ! قال : فتأبست ، وألح عليّ ، وجاء الخادم بالسكاكين فقطعوا بطيخة ، فجعلوا يحشونها في في ، وأنا أصرخ وأضطرب ، وأنا مع ذلك أبلغ ، وأنا أريه أنني بكره أفعل ذلك وألطم رأسي ، وأصبح وهو يضحك ، فلما فرغت تحول إلى بيت آخر ، ودعا الفرّاشين ، فحملوا فرش ذلك البيت إلى منزلي ، ثم عاودني في فرش ذلك البيت في بطيخة أخرى ، ثم فعل كفعله الأول ، وأعطاني فرش البيت ؛ حتى أعطاني فرش ثلاثة أبيات ، وأطعمني ثلاث بطيخات ، قال : وحسنت والله حالي ، واشتد ظهري .

٩٧٠/٣

قال : وكان منصور بن المهدي يريه أنه ينصح له . فجاء وقد قام محمد يتوضأ . وعلمت أن محمداً سيعقبني بشر ندامة على ما خرج من يديه ؛ فأقبل على منصور ومحمد غائب عن المجلس ، وقد بلغه الخبر ، فقال : يا ابن الناعلة ، تخدع أمير المؤمنين . فتأخذ متاعه ! والله لقد هممتُ أفعل وأفعل . فقالت : يا سيدي ، قد كان ذاك ؛ وكان السبب فيه كذا وكذا . فإن أحييت أن

تقتلني فتأثم فتأثمك ، وإن تفضلت فأهل^١ لذلك أنت ، ولست أعود . قال :
 فإني أفضّل عليك . قال : وجاء محمد ، فقال : افرشوا لنا على تلك البركة ،
 ففرشوا له عليها ، فجلس وجلسنا وهي مملوءة ماء ، فقال : يا عم ، اشتيت^٢
 أن أصنع شيئاً ؛ أرى بعبيد الله إلى البركة وتضحك منه . قال : يا سيدي
 إن فعلت هذا قتلته لشدة برد الماء وبرد يومنا هذا ؛ ولكني أدلك على شيء
 خيرت به ، طيب ، قال : ما هو ؟ قال : تأمر به يُشَدَّ في تحت ، ويُطرح
 على باب المتوضأ ، ولا يأتي باب المتوضأ أحد إلا بال على رأسه . فقال : طيب
 والله ، ثم أتى بتخت فأمر فشُدَّ دت فيه ، ثم أمر فحمِلت وألقيت على باب
 المتوضأ ، وجاء الخدم فأرخوا الرباط^(١) عني ، وأقبلوا يرونه أنهم يبولون على^٣
 وأنا أصرخ ، فكث بذلك ما شاء الله وهو يضحك . ثم أمر بي فحمِلت وأريته
 أني تنظفت وأبدلت ثيابي وجاوزت عليه .

٩٧١/٣

وذكر عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع عن أبيه - وكان
 حاجب الخلع - قال : كنت قائماً على رأسه ، فأتى بغداد فتغدى وحده ،
 وأكل أكلاً عجيبيّاً ، وكان يوماً يعدّ للخلفاء قله على هيئة ما كان يُهيأ لكل
 واحد منهم يأكل من كل طعام ، ثم يؤتى بطعامه . قال : فأكل حتى فرغ
 ثم رفع رأسه إلى أبي العنبر - خادم كان لأمه - فقال : اذهب إلى المطبخ ،
 فقل لهم يهيئون لي بزماورد ، ويتركونه طويلاً لا يقطعونه ، ويكون حشوه
 شحوم الدجاج والسمن والبقل والبيض والجبن والزيتون والجوز ، ويكثر
 منه ويعجلونه ؛ فما مكث إلا يسيراً حتى جاءوا به في خوان مربع ، وقد جعل
 عليه الزماورد الطوال ، على هيئة القبة العبدصمديّة ، حتى صير أعلاها
 بزماوردة واحدة ، فوضع بين يديه ، فتناول واحدة فأكلها ، ثم لم يزل كذلك
 حتى لم يُبقِ على الخوان شيئاً .

وذكر عن عليّ بن محمد أن جابر بن مصعب حدثه ، قال : حدثني
 غارق ، قال : مرّت بي ليلة ما مرّت بي مثلها قطّ ، إني لفي منزلي بعد ليل ؛

(١) ط : « الرباط » ، تحريف .

إذ أتاني رسول محمد - وهو خليفة - فركض بي ركضاً ، فأنتهى بي إلى داره ، فأدخلت فإذا إبراهيم بن المهدي قد أرسل إليه كما أرسل إليّ ، فوافينا جميعاً ، فأنتهى إلى باب مَقْصُرٍ إلى صحن ، فإذا الصحن مملوء شمعاً من شمع محمد العظام ، وكان ذلك الصحن في نهار ، وإذا محمد في كُرْجٍ ، وإذا الدار مملوءة وصائف وخدماء ، وإذا اللعابون يلعبون ، ومحمد وسطهم في الكُرْج يرقص فيه ، فجاءنا رسول يقول : قال لكما : قُومَا في هذا الموضع على هذا الباب مما يلي الصحن ، ثم ارفعا أصواتكما معبّراً ومقصّراً عن السورنای ، واتبعاه في لحنه قال : وإذا السورنای والحواری واللعايون في شيء واحد :

هذي دنائير تنساني وأذكرها •

تبع الزّمار . قال : فوالله ما زلت وإبراهيم قائمين نقولها ، نشقّ بها حلوقنا حتى انقلق الصبح ، ومحمد في الكُرْج ما يسأله ولا يملّه حتى أصبح يدنو منا ، أحياناً نراه ، وأحياناً يحول بيننا وبينه الحواری والخدم .

وذكر الحسين بن فراس مولى بني هاشم ، قال : غزا الناس في زمان محمد على أن يردّ عليهم الخمس ، فرُدّ عليهم ، فأصاب الرجل ستة دنائير ، وكان ذلك مالا عظيماً .

• • •

وذكر عن ابن الأعرابي ، قال : كنت حاضر الفضل بن الربيع ، وأتيت بالحسن بن هاني ، فقال : رُفِعَ إلى أمير المؤمنين أنك زنديق ، فجعل يبرأ من ذلك ويحلف ، وجعل الفضل يكرّر عليه ، وسأله أن يكلم الخليفة فيه ، ففعل وأطلقه ، فخرج وهو يقول :

أهلي أتيتكم من القبر	والناس محتبسون للحشر
لولا أبو العباس ما نظرت	عيني إلى ولدٍ ولا وفير
فالله ألبسني به نعماً	شغلّت حسابتها يدَي شكري
لقيتها من مفهم فهم	فمددتها بأناملٍ عشر

وذكر عن الرياشي أن أبا حبيب الموشى حدثه ، قال : كنت مع مؤنس ابن عمران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع ببغداد ، فقال لي مؤنس : لو دخلنا على أبي نواس ! فدخلنا عليه السجن ، فقال لمؤنس : يا أبا عمران، أين تريد؟ قال : أردت أبا العباس الفضل بن الربيع ، قال : فتبلغه رقعة أعطيكمها ؟ قال : نعم ، قال : فأعطاه رقعة فيها :

ما من يدٍ في الناسٍ واحدةٍ إلا أبو العباسٍ مولاها
نامَ الثقاتُ على مضاجعهم وسرى إلى نفسي فأحياها
قد كنتُ خفتُك ثم أمني من أن أخافك خوفاً الله
فَعَفَوْتَ عَنِّي عَفْوَ مُقْتَدِرٍ وَجَبْتَ لَهُ نَقْمٌ فَأَلْغَاها

قال : فكانت هذه الأبيات سببَ خروجه من الحبس .

وذكر عن محمد بن خلاد الشروي ، قال : حدثني أبي قال : سمع محمد شعر أبي نواس وقوله :

• أَلَا سَقْنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ •

وقوله :

اسقنيها يا ذُفَافَهْ مُزَّةَ الطَّعْمِ سُلَافَهْ
ذَلَّ عِنْدِي مَنْ قَلَاها لِرَجَاءٍ أَوْ مَخَافَهْ
مَثَلًا مَا ذَلَّتْ وَضَاعَتْ بَعْدَ هَارُونَ الْخِلَافَهْ

قال : ثم أنشد له :

فَجَاءَ بِهَا زَيْتِيَّةٌ ذَهْبِيَّةٌ فَلَمْ نَسْتَطِعْ دُونَ السُّجُودِ لَهَا صَبْرًا ٩٧٤/٣

قال : فحبسه محمد على هذا ، وقال : إيه ! أنت كافر ، وأنت زنديق .

فكتب في ذلك إلى الفضل بن الربيع :

أَنْتَ يَا بَنَ الرَّبِّيعِ عَلَّمْتَنِي الْخِيَةَ
 فَارْعَوِي بَاطِلِي وَأَقْصِرْ جَهَنَّمَ
 لَوْ تَرَانِي شَبَّهْتَ بِي الْحَسَنَ الْبَصَّ
 بِرُكُوعٍ أَزِينُهُ بِسُجُودٍ
 فَادْعُ بِي لَا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي
 لَوْ رَأَاهَا بَعْضُ الْمُرَائِينَ يَوْمًا
 رَ وَعَوَّدْتَنِيهِ وَالْخَيْرُ عَادَةٌ
 لِي وَأَظْهَرْتُ رَهْبَةً وَزَهَادَةً
 رَى فِي حَالِ نُسْكِهِ وَقِتَادَةٍ
 وَاصْفِرَارٍ مِثْلِ اصْفِرَارِ الْجَرَادَةِ
 فَتَأَمَّلْ بِعَيْنِكَ السَّخَادَةَ
 لَاشْتَرَاهَا يُعْدُّهَا لِلشَّهَادَةِ

خلافة المأمون عبد الله بن هارون

٩٧٥/٣

وفي هذه السنة وضعت الحرب - بين محمد وعبد الله ابني هارون الرشيد - أوزارها ، واستوسق الناس بالمشرق والعراق والحجاز لعبد الله المأمون بالطاعة .

وفيها خرج الحسن الهيرث في ذي الحجة منها يدعو إلى الرضى من آل محمد - بزعمه - في سفلة الناس ، وجماعة كثيرة من الأعراب ؛ حتى أتى النبل ، فجبي الأموال ، وأغار على التجار ، وانتهب القرى ، واستاق المواشي .

وفيها ولّى المأمون كل ما كان طاهر بن الحسين افتتحه من كدور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن الحسن بن سهل أخا الفضل ابن سهل ؛ وذلك بعد مقتل محمد المخلوع ودخول الناس في طاعة المأمون .

وفيها كتب المأمون إلى طاهر بن الحسين ، وهو مقيم ببغداد بتسليم جميع ما بيده من الأعمال في البندان كلّها إلى خلفاء الحسن بن سهل ، وأن يشخص عن ذلك كلّهُ ^(١) إلى الرقة ، وجعل إليه حرب نصر بن شيبث ، وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب .

وفيها قدم على بن أبي سعيد العراق خليفة للحسن بن سهل على خراجها ، فدافع طاهر علياً بتسليم الخراج إليه ؛ حتى وقى الجند أرزاقهم ، فلما وقاهم سلم إليه العمل .

وفيها كتب المأمون إلى هرتمة يأمره بالشخص إلى خراسان .

• • •

رحب بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي .

٩٧٦/٣

(١) ط : « آتاه » .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث المشهورة

فمن ذلك قدوم الحسن بن سهل فيها بغداد من عند المأمون، وإليه الحرب والحراج، فلما قدمها فرّق عماله في الكُور والبلدان.

وفيهما شخص طاهر إلى الرقة في جمادى الأولى، ومعه عيسى بن محمد بن أبي خالد. وفيها شخص أيضاً هرثمة إلى خراسان.

وفيهما خرج أزهر بن زهير بن المسيّب إلى الهرش، فقتله في الحرم.

وفيهما خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة يدعو إلى الرضى من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة، وهو الذي يقال له ابن طباطبا، وكان القيم بأمره في الحرب وتديرها بقيادة جيوشه أبو السرايا، واسمه السرى بن منصور، وكان يذكر أنه من ولد هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان.

• • •

ذكر الخبر عن سبب

خروج محمد بن إبراهيم بن طباطبا

اختلف في ذلك، فقال بعضهم: كان سببُ خروجه صرف المأمون طاهر ابن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان التي فتحها وتوجيهه إلى ذلك الحسن بن سهل؛ فلما فعل ذلك تحدث الناس بالعراق بينهم أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون، وأنه قد أنزله قصرًا حجب به عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة، وأنه يُبَرِّم الأمور على هواه، ويستبد بالرى دونه. فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ووجوه الناس، وأنفوا من

٩٨٧/٣

غلبة الفضل بن سهل على المأمون ، واجتمعوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتن في الأمصار ؛ فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا الذي ذكرت .

وقيل كان سبب خروجه أن أبا السرايا كان من رجال هرة ، فطلبه بأرزاقه وأختره بها ، فغضب أبو السرايا من ذلك ، ومضى إلى الكوفة فباع محمد بن إبراهيم وأخذ الكوفة ، واستوسق له أهلها بالطاعة ، وأقام محمد بن إبراهيم بالكوفة ، وأتاه الناس من نواحي الكوفة والأعراب وغيرهم .

[ذكر الوقعة بين أهل الكوفة وزهير بن المسيب]

وفيهما وجه الحسن بن سهل زهير بن المسيب في أصحابه إلى الكوفة — وكان عامل الكوفة يومئذ حين دخلها ابن طباطبا سليمان بن أبي جعفر المنصور من قبل الحسن بن سهل ، وكان خليفة سليمان بن أبي جعفر بها خالد بن مجتل الضبّي — فلما بلغ الخبر الحسن بن سهل عنت سليمان وضعفه ، ووجه زهير بن المسيب في عشرة آلاف فارس وراجل ؛ فلما توجه إليهم وبلغهم خبر شخوصه إليهم تهيئوا للخروج إليه ؛ فلم تكن لهم قوة على الخروج ، فأقاموا حتى إذا بلغ زهير قرية شامى خرجوا فأقاموا حتى إذا بلغوا القنطرة أتاها زهير ، فنزل عشية الثلاثاء صعبنا ، ثم واقعهم من الغد فهزموه واستباحوا عسكره ، وأخذوا ما كان معه من مال وسلاح ودواب وغير ذلك يوم الأربعاء .

٩٧٨/٣

فلما كان من غد اليوم الذي كانت فيه الوقعة بين أهل الكوفة وزهير ابن المسيب — وذلك يوم الخميس ليلة خلت من رجب سنة تسع وتسعين ومائة — مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجأة ؛ فذكر أن أبا السرايا سمعه ، وكان السبب في ذلك — فيما ذكر — أن ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير من المال والسلاح والدواب وغير ذلك منعه أبا السرايا ، وحظره عليه ؛ وكان الناس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه فسمه ؛ فلما مات ابن طباطبا أقام أبو السرايا مكانه غلاما أمردا حدثا يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ فكان أبو السرايا هو الذي ينفذ

الأمور ، ويولتي مَنْ رَأَى ، ويعزل من أحب ؛ وإليه الأمور كلها ، ورجع زهير من يومه الذي هُزِمَ فيه إلى قصر ابن هبيرة ، فأقام به . وكان الحسن بن سهل قد وجّه عبدوس بن محمد بن أبي خالد المروزي إلى النيل حين وجّه زهير إلى الكوفة ، فخرج بعد ما هُزِمَ زهير عبدوس يريد الكوفة بأمر الحسن بن سهل ؛ حتى بلغ الجامع هو وأصحابه ، وزهير مقيم بالقصر ، فتوجه أبو السرايا إلى عبدوس ، فواقعه بالجامع ، يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من رجب فقتله ، وأسر هارون بن محمد بن أبي خالد ، واستباح عسكره . وكان عبدوس — فيما ذكر — في أربعة آلاف فارس ، فلم يفلت منهم أحد ، كانوا بين قتيل وأسير : وانتشر الطالبيون في البلاد ، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة ، ونقش عليها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (١) ، ولما بلغ زهيراً قتل أبي السرايا عبدوساً وهو بالقصر ، انحاز بمن معه إلى نهر الملك .

٩٧٩/٣

ثم إن أبا السرايا أقبل حتى نزل قصر ابن هبيرة بأصحابه ، وكانت طلائعه تأتي كوثى ونهر الملك ، فوجه أبو السرايا جيوشاً إلى البصرة وواسط فدخلوهما ، وكان بواسط ونواحيها عبد الله بن سعيد الحرشي والياً عليها من قبل الحسن بن سهل ، فواقعه جيش أبي السرايا قريباً من واسط فهزموه ، فانصرف راجعاً إلى بغداد ، وقد قتل من أصحابه جماعة وأسر جماعة . فلما رأى الحسن بن سهل أن أبا السرايا ومن معه لا يلقون له عسكراً إلا هزموه ، ولا يتوجهون إلى بلاد إلا دخلوها ؛ ولم يجد فيمن معه من القوادس يكفيه حربه ؛ اضطرب إلى هزيمة — وكان هزيمة حين قدم عليه الحسن بن سهل العراق والياً عليها من قبل المأمون . سلم ما كان بيده من الأعمال ، وتوجه نحو خراسان مغاضباً للحسن ، فسار حتى بلغ خلوان — فبعث إليه السنادي وصالحاً صاحب المصطفى يسأله الانصراف إلى بغداد لحرب أبي السرايا ، فامتنع وأبى . وانصرف الرسول إلى الحسن بآياته ؛ فأعاد إليه السنادي بكتب لطيفة ، فأجاب ، وانصرف إلى

٩٨٠/٣

بغداد ، فقدمها في شعبان ؛ فتهياً للخروج إلى الكوفة : وأمر الحسن بن سهل على بن أبي سعيد أن يخرج إلى ناحية المدائن وواسط والبصرة ، فتهيأوا لذلك . وبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة ، فوجه إلى المدائن ، فدخلها أصحابه في رمضان ، وتقدم هو بنفسه وبمن معه حتى نزل نهر صرصر مما يلي طريق الكوفة في شهر رمضان . وكان هرثمة لما احتبس قدومه على الحسن ببغداد أمر المنصور بن المهدي أن يخرج فيعسكر بالياسرية إلى قدوم هرثمة ، فخرج فعسكر ، فلما قدم هرثمة خرج فعسكر بالسليتين بين يدي منصور ، ثم مضى حتى عسكر بنهر صرصر بإزاء أبي السرايا ، والنهر بينهما ؛ وكان على ابن أبي سعيد معسكراً بكاملواذي ، فشخص يوم الثلاثاء بسد السطير بيوم ، ووجه مقدمته إلى المدائن ، فقاتل بها أصحاب أبي السرايا غداة الخميس إلى الليل قتالاً شديداً . فلما كان الغد غلبا وأصحابه على القتال فانكشف أصحاب أبي السرايا وأخذ ابن أبي سعيد المدائن . وبلغ الخبر أبا السرايا وأخذ ابن أبي سعيد المدائن ؛ فلما كان ليلة السبت الخمس تحسبون من شوال رجع أبو السرايا من نهر صرصر إلى قصر ابن هبيرة فنزل به ، وأصبح هرثمة فجداً في طلبه ، فوجد جماعة كثيرة من أصحابه فقتلهم ، وبعث برءوسهم إلى الحسن بن سهل ، ثم صار هرثمة إلى قصر ابن هبيرة ؛ فكانت بينه وبين أبي السرايا وقعة قتل فيها من أصحاب أبي السرايا خلق كثير ، فانهاز أبو السرايا إلى الكوفة ، فوثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبين على دور بني العباس ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة ، فانتهبوها وخرّبوها وأخرجوهم من الكوفة ، وعملوا في ذلك عملاً قبيحاً ، واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس فأخذوها . وكان هرثمة - فيما ذكر - يخبر الناس أنه يريد الحج ؛ فكان قد حبس من يريد الحج من خراسان والحبان والجزيرة وحاج بغداد وغيرهم ؛ فلم يدع أحداً يخرج ، رجا أن يأخذ الكوفة ، ووجه أبو السرايا إلى مكة والمدينة من يأخذهما ، ويقم الحج للناس .

وكان الزالى على مكة والمدينة داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وكان الذي وجهه أبو السرايا إلى مكة

حسين بن حسن الأفطس بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والذي وجهه إلى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فدخلها ولم يقاتله بها أحد ، ومضى حسين بن حسن يريد مكة فلما قرب منها وقف هنيهة لمن فيها . وكان داود بن عيسى لما بلغه توجيه أبي السرايا حسين بن حسن إلى مكة لإقامة الحج للناس جمع موالى بني العباس وعبيد حوائطهم ، وكان مسرور الكبير الخادم قد حج في تلك السنة في مائتي فارس من أصحابه ، فتعب الحرب من يريد دخول مكة وأخذها من الطالبين ، فقال لداود بن عيسى : أقم لي شخصك أو شخص بعض ولدك ، وأنا أكفيك قتالهم ، فقال له داود : لا أستحل القتال في الحرم ، والله لئن دخلوا من هذا الفج لأخرجن من هذا الفج الآخر ، فقال له مسرور : تسلم ملكك وسلطانك إلى عدوك ومن لا يأخذه فيك لومة لائم في دينك ولا حرمك ولا مالك ! قال له داود : أي ملك لي ! والله لقد أقمتم معهم حتى شتخت فما ولوني ولاية حتى كبرت سني ، وفنى عمري ، فولتوني من الحجاز ما فيه القوت ؛ إنما هذا الملك لك وأشباهك ؛ فقاتل إن شئت أو دَعُ . فانحاز داود من مكة إلى ناحية المشاش ، وقد شد أثقاله على الإبل ، فوجه بها في طريق العراق ، وافتعل كتاباً من المأمون بتولية ابنه محمد بن داود على صلاة الموسم ، فقال له : اخرج فصل بالناس الظهر والعصر بمنى ، والمغرب والعشاء ، وبت بمنى ، وصل بالناس الصبح ، ثم اركب دوابك فانزل طريق عرفة ، وخذ على يسارك في شعب عمرو ؛ حتى تأخذ طريق المشاش ، حتى تلحقني ببستان ابن عامر . ففعل ذلك ، وافترق الجمع الذي كان داود بن عيسى معهم بمكة من موالى بني العباس وعبيد الحوائط ، وقت ذلك في عضد مسرور الخادم ، وخشى أن قاتلهم أن يميل أكثر الناس معهم ؛ فخرج في أثر داود راجعاً إلى العراق ، وبقى الناس بعرفة ؛ فلما زالت الشمس وحضرت الصلاة ، تدافعها قوم من أهل مكة ، فقال أحمد بن محمد بن الوليد الرديـء— وهو المؤذن وقاضى الجماعة والإمام بأهل المسجد الحرام : إذ^(١) لم تحضر الولاية—لقاضى مكة محمد بن عبد الرحمن

٩٨٢/٣

٩٨٢/٣

الخزرجي: تقدم فاخطب بالناس ، وصل بهم الصلاتين ؛ فلذلك قاضي البلد . قال : فلمن أخطبُ وقد هرب الإمام ؛ وأطل هؤلاء القوم على الدخول ! قال : لا تدع لأحد ، قال له محمد : بل أنت فتقدم واخطب ، وصل بالناس ، فأبى ؛ حتى قدموا رجلاً من عُرُض أهل مكة ، فصلى بالناس الظهر والعصر بلا خطبة ، ثم مضوا فوقفوا جميعاً بالموقف من عَرَفة حتى غربت الشمس ، فدفع الناس لأنفسهم من عرفة بغير إمام ، حتى أتوا مزدلفة ، فصلت بهم المغرب والعشاء رجل أيضاً من عُرُض الناس وحسين بن حسن يتوقف بسرف يرهب أن يدخل مكة ، فيُدفع عنها ويقا تل دونها ، حتى خرج إليه قوم من أهل مكة ممن يميل إلى الطالبيين ، ويتخوف من العباسيين ، فأخبروه أن مكة ومنى وعَرَفة قد خلت ممن فيها من السلطان ، وأنهم قد خرجوا متوجهين إلى العراق . فدخل حسين بن حسن مكة قبل المغرب من يوم عرفة ، وجميع من معه لا يبلغون عشرة ، فطافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة ، ومضوا إلى عرفة في الليل ، فوقفوا بها ساعة من الليل ، ثم رجع إلى مُزدلفة فصلت بالناس الفجر ، ووقف على قُرَح ، ودفع بالناس منه .

٩٨٤/٣

وأقام بمنى أيام الحج ، فلم يزل مقبلاً حتى انقضت سنة تسع وتسعين ومائة ، وأقام محمد بن سليمان بن داود الطالبى بالمدينة السنة أيضاً ، فانصرف الحاج ومن كان شهد مكة والموسم ، على أن أهل الموسم قد أفاضوا من عَرَفة بغير إمام .

وقد كان هرثة لما تخوف أن يفوته الحج - وقد نزل قرية شاهی - واقع أبا السرايا وأصحابه في المكان الذي واقعه فيه زهير ، فكانت الهزيمة على هرثة في أول النهار ، فلما كان آخر النهار كانت الهزيمة على أصحاب أبي السرايا ، فلما رأى هرثة أنه لم يصر إلى ما أراد ، أقام بقرية شاهی ، ورد الحاج وغيرهم ، وبعث إلى المنصور بن المهدي فأتاه بقرية شاهی ، وصار يكاتب رؤساء أهل الكوفة ، وقد كان على بن أبي سعيد لما أخذ المدائن توجه إلى واسط فأخذها ، ثم إنه توجه إلى البصرة فلم يقدر على أخذها حتى انقضت سنة تسع وتسعين ومائة .

ثم دخلت سنة مائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر الخبر عن هرب أبي السرايا وما آل إليه أمره]

فما كان فيها من ذلك هرب أبي السرايا من الكوفة ودخول هرثمة إليها .
 ذكر أن أبا السرايا هرب هو ومن معه من الطالبيين من الكوفة ليلة الأحد
 لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم من سنة مائتين ، حتى أتى القادسية . ودخل منصور
 ابن المهدي وهرثمة الكوفة صبيحة تلك الليلة ، وآمنوا أهلها ، ولم يعرضوا لأحد
 منهم ، فأقاموا بها يومهم إلى العصر ، ثم رجعوا إلى معسكرهم ، وخلقوا بها
 رجلاً منهم يقال له غسان بن أبي الفرج أبو إبراهيم بن غسان صاحب حرس
 صاحب خراسان ، فترل في الدار التي كان فيها محمد بن محمد وأبو السرايا .

٩٨٥/٣

ثم إن أبا السرايا خرج من القادسية هو ومن معه حتى أتوا ناحية واسط ،
 وكان بواسط علي بن أبي سعيد ، وكانت البصرة بيد العلويين بعد ، فجاء
 أبو السرايا حتى عبر دجلة أسفل من واسط ، فأتى عبدة سي ، فوجد بها
 مالا كان حُميل من الأهواز ، فأخذه ثم مضى حتى أتى السوس ، فترلوا ومن
 معه ، وأقام بها أربعة أيام ، وجعل يعطى الفارس ألفاً والراجل خمسمائة ، فلما
 كان اليوم الرابع أتاهم الحسن بن علي الباذغيسي المعروف بالمأموني . فأرسل
 إليهم : اذهبوا حيث شئتم ، فإنه لا حاجة لي في قتالكم ، وإذا خرجتم من عملي
 فلست أتبعكم . فأبى أبو السرايا إلا القتال ، فقاتلهم ، فهزمهم الحسن ، واستباح
 عسكرهم ، وجرح أبو السرايا جراحة شديدة ، فهرب ، واجتمع هو ومحمد بن
 محمد وأبو الشوك ، وقد تفرق أصحابهم ، فأخذوا ناحية طريق الجزيرة يريدون
 منزل أبي السرايا برأس العين ؛ فلما انتهوا إلى جلولاء عثر بهم ، فأتاهم حماد
 الكندي غوثاً فأخذهم ، فجاء بهم إلى الحسن بن سهل ، وكان مقيماً بالنهر وآن

حين طردته الحربية ، فقدم بأبي السرايا ، فنضرب عنقه يوم الخميس لعشر
 خلون من ربيع الأول . وذكروا أن الذي تولّى ضرب عنقه هارون بن محمد بن
 أبي خالد ، وكان أسيراً في أيدي أبي السرايا . وذكروا أنه لم يروا أحداً عند
 القتل أشدّ جزعاً من أبي السرايا ، كان يضطرب بيديه ورجليه ، ويصبح
 أشدّ ما يكون من الصباح ؛ حتى جعل في رأسه جبل ، وهو في ذلك يضطرب
 ويلتوى ويصيح ؛ حتى ضربت عنقه . ثم بعث برأسه فطيف به في عسكر
 الحسن بن سهل ، وبعث بجسده إلى بغداد ، فصُلِبَ نصفين على الجسر ،
 في كلّ جانب نصف ، وكان بين خروجه بالكوفة وقتله عشرة أشهر .

وكان عليّ بن أبي سعيد حين عبر أبو السرايا توجه إليه ، فلما فاته توجه
 إلى البصرة فافتتحها . والذي كان بالبصرة من الطالبين زيد بن موسى بن جعفر بن
 محمد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب ومعه جماعه من أهل بيته ،
 وهو الذي يقال له زيد النار - وإنما سمي زيد النار لكثرة ما حرق من الدور
 بالبصرة من دور بني العباس وأتباعهم ؛ وكان إذا أتى برجل من المسوّدة كانت
 عقوبته تحده أن يحرقه بالنار - وانتهبوا بالبصرة أموالاً ، فأخذ عليّ بن أبي سعيد
 أسيراً . وقيل إنه طلب الأمان فأمنه . وبعث عليّ بن أبي سعيد من كان
 معه من التواد عيسى بن يزيد الجلوديّ ورفقاءه بن جديّل وحمديّ بن عليّ بن
 عيسى بن ماهان وهارون بن المسيّب إلى مكة والمدينة واليمن ، وأمرهم بمحاربة
 من بها من الطالبين . وقال التميميّ في قتل الحسن بن سهل أبا السرايا :

ألم ترَ ضربةَ الحسن بن سهلٍ بسيفك يا أميرَ المؤمنينَ
 أدارتَ مروءَ رأسِ أبي السرايا وأبقتَ عيبرةً للعابرينا

وبعث الحسن بن سهل محمد بن محمد حين قتل أبو السرايا إلى المأمون بخراسان .

• • •

[ذكر الخبر عن خروج إبراهيم بن موسى باليمن]

وفي هذه السنة خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن
 حسين بن عليّ بن أبي طالب باليمن .

• ذكر الخبر عنه وعن أمره :

وكان إبراهيم بن موسى - فيما ذكر - وجماعة من أهل بيته بمكة حين خرج أبو السرايا وأمره وأمر الطالبين بالعراق ما ذكر . وبلغ إبراهيم بن موسى خبرهم ، فخرج من مكة مع مَن كان معه من أهل بيته يريد اليمن ، وإلى اليمن يومئذ المقيم بها من قبل المأمون إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . فلما سمع بإقبال إبراهيم بن موسى العاوي وقربه من صنعاء ، خرج منصرفاً عن اليمن ، في الطريق التجديدية بجميع مَن في عسكره من الخليل والرجل ، وتخلّى لإبراهيم بن موسى بن جعفر اليمن وكره قتاله ، وبلغه ما كان من فعل عمه داود بن عيسى بمكة والمدينة ؛ ففعل مثل فعله ، وأقبل يريد مكة ؛ حتى نزل المشاش ، فعسكر هناك ، وأراد دخول مكة ، فمنعه مَن كان بها من العلويين ، وكانت أم إسحاق بن موسى بن عيسى متوارية بمكة من العلويين ، وكانوا يطلبونها فتوارت منهم ، ولم يزل إسحاق بن موسى معسكراً بالمشاش ، وجعل مَن كان بمكة مستخفياً يتسللون من رءوس الجبال ، فأتوا بها ابنها في عسكره . وكان يقال لإبراهيم بن موسى : الجزار ؛ لكثرة مَن قتل باليمن من الناس وسبى وأخذ من الأموال .

٩٨٨/٣

* * *

[ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الأفطس بمكة]

وفي هذه السنة في أول يوم من الحرم منها بعد ما تفرق الحاج من مكة جلس حسين بن حسن الأفطس خلف المقام على نُصرة مثنية ، فأمر بثياب الكعبة التي عليها فجردت منها حتى لم يُبق عليها من كسوتها شيئاً ، وبقيت حجارة مجردة ، ثم كساها ثوبين من قنز رقيق ، كان أبو السرايا وجه بهما معه مكتوب عليهما : أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد ، لكسوة بيت الله الحرام ، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ، لتطهر من كسوتهم . وكتب في سنة تسع وتسعين ومائة .

ثم أمر حسين بن حسن بالكسوة التي كانت على الكعبة فقسمت بين أصحابه من العلويين وأتباعهم على قدر منازلهم عنده ، وعمد إلى ما في خزانة

الكعبة من مالٍ فأخذه ، ولم يسمع بأحد عنده وديعة لأحد من ولد العباس وأتباعهم إلا هجم عليه في داره ؛ فإن وجد من ذلك شيئاً أخذه وعاقب الرجل ؛ وإن لم يجد عنده شيئاً حبسه وعذبه حتى يفقدى نفسه بقدر طوله ، ويقرّ عند الشهود أن ذلك للمسودة من بني العباس وأتباعهم ، حتى عمّ هذا خلقاً كثيراً .

وكان الذى يتولى العذاب لهم رجلاً من أهل الكوفة يقال له محمد بن مسلمة ، كان ينزل في دار خالصة عند الخنّاطين ؛ فكان يقال لها دار العذاب ، وأخافوا الناس ؛ حتى هرب منهم خلق كثير من أهل النعم ، فتعقبوهم بهدم دورهم حتى صاروا من أمر الحرم ، وأخذ أبناء الناس في أمر عظيم ، وجعلوا يحكمون الذهب الرقيق الذى في رموس أساطين المسجد ، فيخرج من الأسطوانة بعد التعب الشديد قدر مثقال ذهب أو نحوه ، حتى عمّ ذلك أكثر أساطين المسجد الحرام ، وقلعوا الحديد الذى على شبابيك زمزم ، ومن خشب الساج ، فبيع بالثمن الخسيس . فلما رأى حسين بن حسن ومن معه من أهل بيته تغيير الناس لهم بسيرتهم ، وبلغهم أن أبا السرايا قد قُتل ، وأنه قد طرد من الكوفة والبصرة وكور العراق من كان بها من الطالبين ، ورجعت الولاية بها لولد العباس ، اجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب — وكان شيخاً وداعاً محبباً في الناس ، مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة ، وكان يروى العلم عن أبيه جعفر بن محمد ، وكان الناس يكتبون عنه ، وكان يظهر تميّناً وزهداً — فقالوا له : قد تعلم حالك في الناس ، فأبرز شخصك نبايع لك بالخلافة ؛ فإنك إن فعلت ذلك لم يختلف عليك رجلان ؛ فأبى ذلك عليهم ، فلم يزل به ابنه عليّ بن محمد بن جعفر وحسين بن حسن الأفطس حتى غلبا الشيخ على رأيه ؛ فأجابهم . فأقاموه يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لست خلون من ربيع الآخر ، فبايعوه بالخلافة ، وحشروا إليه الناس من أهل مكة والمجاورين ، فبايعوه طوعاً وكرهاً ، وسمّوه بإمرة المؤمنين ، فأقام بذلك أشهراً ، وليس له من الأمر إلا اسمه ، وابنه عليّ وحسين بن حسن وجماعة منهم أسوأ ما كانوا سيرة ، وأقبح ما كانوا فعلاً ، فوثب حسين بن حسن على امرأة من قريش من بني فهر — وزوجها رجل من بني غزوم ، وكان لها

٩٨٩/٣

٩٩٠/٣

جمال بارع - فأرسل إليها لتأتيه ، فامتعت عليه ، فأخاف زوجها وأمر بطلبها فتوارت منه ، فأرسل ليلاً جماعة من أصحابه فكسروا باب الدار ، واغتصبوها نفسها ، وذهبوا بها إلى حسين ، فلبثت عنده إلى قرب خروجه من مكة ، فهربت منه ، ورجعت إلى أهلها وهم يقاتلون بمكة . ووثب علي بن محمد بن جعفر على غلام من قریش ، ابن قاض بمكة يقال له إسحاق بن محمد ، وكان جميلاً بارعاً في الجمال - فاقتحم عليه بنفسه نهراً جهاراً في داره على الصفا مشرفاً على المسعى ، حتى حملة على فرسه في السرج . وركب علي بن محمد على عجز الفرس ، وخرج به يشق السوق حتى أتى بئر ميمون - وكان ينزل في دار داود بن عيسى في طريق منى - فلما رأى ذلك أهل مكة ومن بها من المجاورين ، خرجوا فاجتمعوا في المسجد الحرام ، رغلت الدكاكين ، ومال معهم أهل الطواف بالكعبة ؛ حتى أتوا محمد بن جعفر بن محمد ، وهو نازل دار داود ، فقالوا : والله لنخلعنك ولنقتلنك ، أو تردن إلينا هذا الغلام الذي ابنك أخذه جهرة . فأغلق باب الدار ، وكلسهم من الشباك الشارع في المسجد ، فقال : والله ما علمت ، وأرسل إلى حسين بن حسن يسأله أن يركب إلى ابنه علي فيستقذ الغلام منه . فأبى ذلك حسين ، وقال : والله إنك لتعلم أني لا أقوى على ابنك ، ولو جئت لقاتلني وحاربي في أصحابه . فلما رأى ذلك محمد قال لأهل مكة : آمنوني حتى أركب إليه وأخذ الغلام منه . فآمنوه وأذنوا له في الركوب ، فركب بنفسه حتى صار إلى ابنه ، فأخذ الغلام منه وسلمه إلى أهله . قال : فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أقبل إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي مقبلاً من اليمن حتى نزل المشاش ، فاجتمع العلويون إلى محمد بن جعفر بن محمد ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين ، هذا إسحاق بن موسى مقبلاً إلينا في الخيل والرجال ، وقد رأينا أن نخندق خندقاً بأعلى مكة ، وتبرز شخصك ليراك الناس ويحاربوا معك . وبعثوا إلى من حولهم من الأعراب ، ففرضوا لهم ، وخندقوا على مكة ليقاتلوا إسحاق بن موسى من ورائه ، فقاتلهم إسحاق أياماً . ثم إن إسحاق كره القتال والحرب ، وخرج يريد العراق ، فلقه ورقاء بن جميل في أصحابه ومن كان معه من أصحاب الجنادي ، فقالوا : اجمع معنا إلى مكة ونحارب كتيبة القتال . فراجع معهم حتى أتوا مكة

٩٩١/٣

٩٩٢/٥

فنزّلوا المشاش . واجتمع إلى محمد بن جعفر من كان معه من غوغائها ، ومن سودان أهل المياه ، ومن فرض له من الأعراب ، فبعثهم ببئر ميمون ، وأقبل إليهم إسحاق بن موسى وورقاء بن جميل بمن معه من القواد والخذ ، فقاتلهم ببئر ميمون ، ف وقعت بينهم قتلى وجراحات . ثم رجع إسحاق وورقاء إلى معسكرهم ، ثم عاودهم بعد ذلك بيوم فقاتلهم ، فكانت الهزيمة على محمد بن جعفر وأصحابه ، فلما رأى ذلك محمد ، بعث رجالاً من قريش فيهم قاضي مكة يسألون لهم الأمان ؛ حتى يخرجوا من مكة ، ويذهبوا حيث شاءوا ، فأجابهم إسحاق وورقاء بن جميل إلى ذلك ، وأجلّوهم ثلاثة أيام ، فلما كان في اليوم الثالث ، دخل إسحاق وورقاء إلى مكة في جمادى الآخرة وورقاء الوالى على مكة للجنادى ، وتفرّق الطالبيون من مكة ، فذهب كل قوم ناحية ؛ فأما محمد بن جعفر فأخذ ناحية جدّة ، ثم خرج يريد الجحفة ، فعرض له رجل من موالى بنى العباس يقال له محمد بن حكيم بن مروان ، قد كان الطالبيون انتهبوا داره بمكة ، وعذبّوه عذاباً شديداً ؛ وكان يتوكل لبعض العباسيين بمكة لآل جعفر بن سلمان ، فجمع عبيد الخواطر من عبيد العباسيين حتى لحق محمد بن جعفر بين جدّة وعُسْفان ، فانتهب جميع ما معه مما خرج به من مكة ، وجرّده حتى تركه في سراويل ، وهمّ بقتله ، ثم طرح عليه بعد ذلك قميصاً وعمامة ورداء ودرهمات يتسبّب بها ، فخرج محمد بن جعفر ٩٩٣/٣ حتى أتى بلاد جهينة على الساحل ، فلم يزل مقبلاً هنالك حتى انقضى الموسم ، وهو في ذلك يجمع الجموع . وقد وقع بينه وبين هارون بن المسيّب إلى المدينة وقعت عند الشجرة وغيرها ، وذلك أن هارون بعث ليأخذه ، فلما رأى ذلك أتاه بمن اجتمع حتى بلغ الشجرة ، فخرج إليه هارون فقاتله ، فهزم محمد بن جعفر ، وفقيست عينه بنشابة ، وقُتل من أصحابه بشر كثير ، فرجع حتى أقام بموضع الذى كان فيه ينتظر ما يكون من أمر الموسم ، فلم يأت من كان وعده . فلما رأى ذلك وانقضى الموسم ، طلب الأمان من الجلودى ومن رجاء ابن عم الفضل بن سهل ، وضمن له رجاء على المأسون وعلى الفضل بن سهل ألاّ يُسْهَج ، وأن يُوقَى له بالأمان ، فقبل ذلك ورضيّه ، ودخل به إلى مكة ، يوم الأسد بداء النحر الأخير ثمانية أيام اجتمع من ذى الطيبة ، وأمر محمد بن جعفر

ذكر الخبر عن أمر إبراهيم والعقيلي الذي ذكرنا أمره

ذكر أن أبا إسحاق بن هارون الرشيد حج بالناس في سنة مائتين ، فسار حتى دخل مكة ، ومعه قواد كثير ، فيهم حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان ، وقد استعمله الحسن بن سهل على اليمن ، ودخلوا مكة ، وبها الجلودى في جنده وقواده ، ووجه إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد العاوى من اليمن راجلاً من ولد عقيل بن أبى طالب ، وأمره أن يحج بالناس ، فلما صار العقيلي إلى بستان ابن عامر ، بلغه أن أبا إسحاق بن هارون الرشيد قد ولى الموسم ، وأن معه من القواد والجنود مالا قبيل لأحد به ، فأقام ببستان ابن عامر ، فترت به قافلة من الحاج والتجار ، فيها كسوة الكعبة وطيبها ، فأخذ أموال التجار وكسوة للكعبة وطيبها ، وقدم الحاج والتجار مكة عراة مسلمين ، فبلغ ذلك أبا إسحاق بن الرشيد وهو نازل بمكة في دار القوارير ، فجمع إليه القواد فشاورهم ، فقال له الجلودى - وذلك قبل التروية بيومين أو ثلاثة : أصلح الله الأمير ! أنا أكفيهم ، أخرج إليهم في خمسين من نخبة أصحابي ، وخمسين أنتخبهم من سائر القواد . فأجابوه إلى ذلك ، فخرج الجلودى في مائة حتى صبح العقيلي وأصحابه ببستان ابن عامر ، فأحرق بهم ، فأسر أكثرهم وهرب من هرب منهم يسعى على قدميه ، فأخذ كسوة الكعبة إلا شيئاً كان هرب به من هرب قبل ذلك بيوم واحد ، وأخذ الطيب وأموال التجار والحاج ، فوجته به إلى مكة ، ودعا بمن أسير من أصحاب العقيلي ، فأمر بهم ففُشَّع كل رجل منهم عشرة أسواط ، ثم قال : اعزبوا يا كلاب النار ؛ فوالله ما قتلكم وعير ، ولا فى أسركم جمال . وخلصي سبيلتهم ، فرجعوا إلى اليمن يستطعمون فى الطريق حتى هلك أكثرهم جوعاً وعرياً .

وخالف ابن أبى سعيد على الحسن بن سهل ، فبعث المأمون بسراج الخادم ، وقال له : إن وضع على يده فى يد الحسن أو شريكه إلى بمرو وإلا فاضرب عنقه . فاضرب إلى المأمون مع هزيمة من الموت .

فى جند سنة خمس مائة وثمانين . وفى سنة ثمان مائة وثمانين . وفى سنة ثمان مائة وثمانين . وفى سنة ثمان مائة وثمانين .

ذكر الخبر عن شخوص هرثمة إلى المأمون وما آل
إليه أمره في مسيره ذلك

«ذكر أن هرثمة لما فرغ من أمر أبي السرايا ومحمد بن محمد العلوي ،
ودخل الكوفة ، أقام في معسكره إلى شهر ربيع الأول ؛ فلما أهل الشهر خرج
حتى أتى نهر صرصر ، والناس يرون أنه يأتي الحسن بن سهل بالمدائن ؛
فلما بلغ نهر صرصر خرج على عقربوف ، ثم خرج حتى أتى البردان ،
ثم أتى النهران ، ثم خرج حتى أتى إلى خراسان ؛ وقد أئتم كتب المأمون في
غير منزل ، أن يرجع فيلبي الشام أو الحجاز ، فأبى وقال : لا أرجع حتى ألقى
أمير المؤمنين ؛ لإدلالاً منه عليه ؛ لما كان يعرف من نصيحته له ولآبائه ، وأراد
أن يعرف المأمون ما يدبر عليه الفضل بن سهل ، وما يكتم عنه من الأخبار ،
وآلاً بدعه حتى يرده إلى بغداد ، دار خلافة آبائه وملكهم ليتوسط سلطانه ،
ويُشرف على أطرافه . فعلم الفضل ما يريد ، فقال للمأمون : إن هرثمة قد
أنغل عليك البلاد والعباد^(١) ، وظاهر عليك عدوك ، وعادى وليك ، ودمس
أبا السرايا ، وهو جندي من جنده حتى عمل ما عمل ، ولو شاء هرثمة ألا يفعل
ذلك أبو السرايا ما فعله . وقد كتب إليه أمير المؤمنين عدة كتب ؛ أن يرجع
فيلبي الشام أو الحجاز فأبى ، وقد رجع إلى باب أمير المؤمنين عاصياً مشاقاً ،
يُظهر القول الغليظ ، ويتواعد بالأمر الجليل ، وإن أطلق هذا^(٢) كان
مفسدة لغيره . فأشرب^(٣) قلب أمير المؤمنين عليه .

٩٩٧/٣

وأبطأ هرثمة في المسير فلم يصل إلى خراسان حتى كان ذو القعدة ؛ فلما
بلغ مرو خشي أن يكتم المأمون قدومه ، فضرب بالطبول^(٤) لكي يسمعها
المأمون ، فسمعها فقال : ما هذا ؟ قالوا : هرثمة قد أقبل يُرعد ويبرق ، وظن
هرثمة أن قوله المقبول . فأمر بإدخاله ، فلما أدخل - وقد أشرب قلبه ما

٩٩٨/٣

(١) أنغل عليك البلاد : أقدمها . وفي ابن الأثير : « أنغل » .

(٢) كما في ابن الأثير : « وفي رواية : « هذا » .

(٣) ابن الأثير : « فاشرب » .

(٤) ابن الأثير : « فاشرب » .

أشرب - قال له المأمون : مالتَ أهل الكوفة والعلويّين وداهنت ودّست إلى أبي السرايا حتى خرج وعمل ما عمل ؛ وكان رجلاً من أصحابك ؛ ولو أردت أن تأخذهم جميعاً لفعلت ؛ ولكنك أرخيت خناقتهم ، وأجريت لهم رستهم . فذهب هرّمة لبتكلم ويعتذر ، ويدفع عن نفسه ما قُرف به فلم يُقبّل ذلك منه ، وأمرَ به فوجيٌّ على أنفه ^(١) ، وديس بطنه ، وسُحب من بين يديه . وقد تقدّم الفضل بن سهل إلى الأعوان بالغلظ عليه والتشديد حتى حبس ، فكث في الحبس أياماً ، ثم دسوا إليه فقتلوه وقالوا له : إنه مات .

• • •

[ذكر الخبر عن وثوب الحربية ببغداد]

وفي هذه السنة هاج الشعب ببغداد بين الحربية والحسن بن سهل .

• ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان :

ذكر أن الحسن بن سهل كان بالمدائن حين شخص هرّمة إلى خراسان ، ولم يزل مقبلاً بها إلى أن اتصل بأهل بغداد والحربية ما صُنِعَ به ، فبعث الحسن ابن سهل إلى عليّ بن هشام -- وهو والي بغداد ، من قبله : أن أمطل الجند من الحربية والبغداديين أرزاقهم ، ومنهم ولا تُعطهم . وقد كان الحسن قبل ذلك اتّعدّهم أن يعطيهم أرزاقهم ، وكانت الحربية حين خرج هرّمة إلى خراسان وثبوا وقالوا : لا نرضى حتى تطرد الحسن بن سهل عن بغداد ؛ وكان من عماله بها محمد بن أبي خالد وأسد بن أبي الأسد ، فوثبت الحربية عليهم فطردوهم ، وصيروا إسحاق بن موسى بن المهدي خليفة للمأمون ببغداد ؛ فاجتمع أهل الجانبين على ذلك ، ورضوا به ، فدنس الحسن إليهم ، وكاتب قوادهم حتى وثبوا من جانب عسكر المهدي ، وجعل يعطي الجند أرزاقهم لسته أشهر عطاء نزرّاً ؛ فحوّل الحربية إسحاق إليهم ، وأنزلوه على دُجِيل .

٩٩٩/٣

وجاء زهير بن المسيّب فنزل في عسكر المهدي ، وبعث الحسن بن سهل علىّ بن هشام ، فجاء من الجانب الآخر ، حتى نزل نهر صرصر ، ثم جاء هو

(١) ابن الأثير : « وشرب أنفه » .

ومحمد بن أبي خالد وقوادهم ليلاً ؛ حتى دخلوا بغداد ، فنزل على بن هشام دارَ العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي على باب المحول لثمان خلون من شعبان ؛ وقبل ذلك ما كان الحربية حين بلغهم أن أهل الكرخ يريدون أن يدخلوا زهيراً وعلى بن هشام ، شدوا على باب الكرخ فأحرقوه ، وأنهبوا من حدة قصر الوضاح إلى داخل باب الكرخ إلى أصحاب القراطيس ليلة الثلاثاء ، ودخل على بن هشام صبيحة تلك الليلة ، فقاتل الحربية ثلاثة أيام على قنطرة الصراة العتيقة والحديدة والأرحاء .

ثم إنه وعد الحربية أن يعطيهم رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلة ، فسأله أن يجعل لهم خمسين درهماً لكل رجل لينفقوها في شهر رمضان ، فأجابهم إلى ذلك ، وجعل يعطي ، فلم يتم لهم إعطاءهم ؛ حتى خرج زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ، الخارج بالبصرة المعروف بزيد النار ؛ كان أفلت من الحبس عند علي بن أبي سعيد ، فخرج في ناحية الأنبار ومعه أخو أبي السرايا في ذي القعدة سنة مائتين ، فبعثوا إليه ، فأخذه ، فأبى به علي بن هشام ، فلم يلبث إلا جمعة حتى هرب من الحربية ، فنزل نهر صرصر ، وذلك أنه كان يكذبهم ، ولم يف لهم بإعطاء الخمسين ؛ إلى أن جاء الأضحى ؛ وبلغهم خبر هزيمة وما صنع به ، فشدوا على علي فطردوه .

١٠٠٠/٣

وكان المتولى ذلك والقائم بأمر الحرب محمد بن أبي خالد ؛ وذلك أن علي ابن هشام لما دخل بغداد كان يستخف به ، فوقع بين محمد بن أبي خالد وبين زهير بن المسيب إلى أن قتله زهير بالسوط . فغضب محمد من ذلك ، وتحول إلى الحربية في ذي القعدة ، ونصب لهم الحرب ، واجتمع إليه الناس فلم يقتل بهم علي بن هشام حتى أخرجه من بغداد ؛ ثم اتبعه حتى هزمهم من نهر صرصر .

* * *

وفي هذه السنة وجّه المأمون رجاء بن أبي الضحاك وفر ناس الخادم لإشخاص علي بن موسى بن جعفر بن محمد ومحمد بن جعفر .

وَأُحْصِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلِدُ الْعَبَّاسِ ؛ فَبَلَغُوا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مَا بَيْنَ ذِكْرِ
وَأَنْتَى .

* * *

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَتِ الرُّومُ مَلِكَهَا لِيُونَ^(١) ، فَكَانَ قَدْ مَلَكَ عَلَيْهِمْ سَبْعَ
سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرَ ، وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمْ مِيخَائِيلُ بْنُ جُورْجِسَ^(٢) ثَانِيَةً .

وَفِيهَا قَتَلَ الْمَأْمُونُ يَحْيَى بْنَ عَامِرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ يَحْيَى أَغْلَظَ لَهُ ، ١٠٠١/٣
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْكَافِرِينَ ؛ فَقَتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ .
وَأَقَامَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبُو إِسْحَاقَ بْنِ الرَّشِيدِ .

(١) ابن الأثير : « ليون » .

(٢) ابن الأثير : « جورجيس » .

ثم دخلت سنة إحدى ومائتين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ولاية منصور بن المهدي ببغداد]

فما كان فيها من ذلك مراودة أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة وامتناعه عليهم ؛ فلما امتنع من ذلك راودوه على الإمرة عليهم ، على أن يدعوا للمأمون بالخلافة ؛ فأجابهم إلى ذلك .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

قد ذكرنا قبل ذلك سبب إخراج أهل بغداد على بن هشام من بغداد . ويُذكر عن الحسن بن سهل أن الخبر عن إخراج أهل بغداد على بن هشام من بغداد لما اتصل به وهو بالمدائن ، انهزم حتى صار إلى واسط ؛ وذلك في أول سنة إحدى ومائتين .

وقد قيل إن سبب إخراج أهل بغداد على بن هشام من بغداد ، كان أن الحسن بن سهل وجه محمد بن خالد المروزي بعد ما قُتل أبو السرايا ، أفسده ^(١) وولّى على بن هشام الجانب الغربي من بغداد وزهير بن المسيّب يلي الجانب الشرقي ، وأقام هو بالخيزرانية ، وضرب الحسن عبد الله بن علي بن عيسى ابن ماهان حداثاً بالسياط ، فغضب الأبناء ، فشغب الناس ، فهرب إلى برّسخا ثم إلى باسلاما ، وأمر بالأرزاق لأهل عسكر المهدي ، ومنع أهل الغربي ، واقتل أهل الجانيين ، ففرّق محمد بن أبي خالد على الحريّة مالا ، فهزم على ابن هشام ، فانهزم الحسن بن سهل بانهزام على بن هشام . فلحق بواسط ، فتبعه محمد بن أبي خالد بن الهندوان مخالفاً له ؛ وقد تولّى القيام بأمر الناس ، وولّى سعيد بن الحسن بن قحطبة الجانب الغربي ونصر بن حمزة بن مالك الشرقي ، وكنفه ببغداد منصور بن المهدي وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع .

١٠٠٢/٣

(١) كذا وردت العبارة في أصول ط ، وفيها غموض .

وقد قيل إن عيسى بن محمد بن أبي خالد قدم في هذه السنة من الرقة ، وكان عند طاهر بن الحسين ، فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن ، فضيّا حتى انتهيا ومنّ معهما من الحربيّة وأهل بغداد إلى قرية أبي قريش قرب واسط ، وكان كلما أتيا موضعاً فيه عسكر من عساكر الحسن فيكون بينهما فيه وقعة ، تكون الهزيمة فيه على أصحاب الحسن .

ولما انتهى محمد بن خالد إلى دير العاقول ، أقام به ثلاثاً ، وزهير بن المسيّب حينئذ مقيم بإسكاف بني الجُنَيد ، وهو عامل الحسن على جوختي مقيم في عمله ؛ فكان يكتب قوَاد أهل بغداد . فبعث ابنه الأزهر ، فضي حتى انتهى إلى نهر النهروان ، فلقى محمد بن أبي خالد ، فركب إليه ، فأثاه بإسكاف ، فأحاط به فأعطاه الأمان ، وأخذه أسيراً ، فجاء به إلى عسكره بدير العاقول ، وأخذ أمواله ومتاعه وكلّ قليل وكثير وجد له . ثم تقدّم محمد بن أبي خالد ، فلما صار إلى واسط بعث به إلى بغداد ، فحبسه عند ابن له مكفوف ، يقال له جعفر ؛ فكان الحسن مقيماً بجرجرايا ، فلم يلب بلغه خبر زهير ، وأنه قد صار في يد محمد بن أبي خالد ارتحل حتى دخل واسط ، فنزل بقم الصّْلح ، ووجه محمد من دير العاقول ابنه هارون إلى النيل وبها سعيد بن الساجور الكوفي ، فهزمه هارون ، ثم تبعه حتى دخل الكوفة ، فأخذها هارون ، وولّى عليها . وقدم عيسى ابن يزيد الجلوديّ من مكة ، ومعه محمد بن جعفر ، فخرجوا جميعاً حتى أتوا واسط في طريق البرّ ، ثم رجع هارون إلى أبيه ، فاجتمعوا جميعاً في قرية أبي قريش ليدخلوا واسط ، وبها الحسن بن سهل ، فتقدّم الحسن بن سهل ، فنزل خلف واسط في أطرافها .

وكان الفضل بن الربيع مخفياً من حين قتل المخلوع ، فلما رأى أن محمد ابن أبي خالد قد بلغ واسط بعث إليه يطلب الأمان منه ، فأعطاه إياه وظهر . ثم تعباً محمد بن أبي خالد للقتال ، فتقدّم هو وابنه عيسى وأصحابهما ، حتى صاروا على ميلين من واسط ، فوجّه إليهم الحسن أصحابه وقواده ، فاقتلوا قتالا شديداً عند أبيات واسط . فلما كان بعد العصر هبت ريح شديدة وغبرة حتى اختلط القوم بعضهم ببعض ، وكانت الهزيمة على أصحاب محمد بن

أبي خالد ، فثبت للقوم فأصابته جراحات شديدة في جسده ، فانهزم هو وأصحابه هزيمة شديدة قبيحة ، فهزم أصحابه الحسن ؛ وذلك يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة إحدى ومائتين .

فلما بلغ محمد فم الصلح خرج عليهم أصحاب الحسن ^(١) فصافتهم للقتال ، فلما جنّهم الليل ، ارتحل هو وأصحابه حتى نزلوا المبارك ؛ فأقاموا به ؛ فلما أصبحوا غداً عاينهم أصحاب الحسن فصافوهم ، واقتتلوا . ١٠٠٤/٣

فلما جنّهم الليل ارتحلوا حتى أتوا جبيل ، فأقاموا بها ، ووجه ابنه هارون إلى النيل ، فأقام بها ، وأقام محمد بجرّ جرايا ، فلما اشتدت به الجراحات خلف قواده في عسكره ، وحمّله ابنه أبو زنبيل حتى أدخله بغداد ليلة الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر ، فدخل أبو زنبيل ليلة الاثنين ، ومات محمد بن أبي خالد من ليّاته من تلك الجراحات ، ودفن من ليّته في داره سرّاً .

وكان زهير بن المسيّب محبوساً عند جعفر بن محمد بن أبي خالد ، فلما قدم أبو زنبيل أتى خزيمه بن خازم يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الآخر ، فأعلمه أمر أبيه ، فبعث خزيمه إلى بني هاشم والقواد وأعلمهم ذلك ، وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد بن أبي خالد ، وأنه يكفيهم الحرب . فرضوا بذلك ، فصار عيسى مكان أبيه على الحرب ، وانصرف أبو زنبيل من عند خزيمه حتى أتى زهير بن المسيّب ، فأخرجه من حبسه ، فضرب عنقه . ويقال : إنه ذبحه ذبحاً وأخذ رأسه ، فبعث به إلى عيسى في عسكره ، فنصبه على رمح وأخذوا جسده ، فشدّوا في رجليه حبلاً ، ثم طافوا به في بغداد ، ومروا به على دوره ودور أهل بيته عند باب الكوفة ، ثم طافوا به في الكرخ ، ثم ردّوه إلى باب الشام بالعشي ؛ فلما جنّهم الليل طرحوه في دجلة ، وذلك يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الآخر . ١٠٠٥/٣

ثم رجع أبو زنبيل حتى انتهى إلى عيسى فوجّهه عيسى إلى فم الصّرة . وبلغ الحسن بن سهل موت محمد بن أبي خالد ، فخرج من واسط حتى

(١) ابن الأثير : « وأتاهم الحسن » .

انتهى إلى المبارك، فأقام بها. فلما كان جمادى الآخرة وجّه حميد بن عبد الحميد الطوسي ومعه عركو الأعرابي وسعيد بن الساجور وأبو البطّ ومحمد بن إبراهيم الإفريقي، وعدة سواهم من القوّاد، فلقوا أبا زنبيل بفهم الصّراة فهزموه، وانحاز إلى أخيه هارون بالنّيل، فالتقوا عند بيوت النّيل، فاقتتلوا ساعة، فوقعت الهزيمة على أصحاب هارون، وأبى زنبيل، فخرجوا هاربين حتى أتوا المدائن؛ وذلك يوم الاثنين لخمسة بـتّين من جمادى الآخرة.

ودخل حميد وأصحابه النّيل فانتهبوها ثلاثة أيام؛ فانتهبوا أموالهم وأمتعتهم، وانتهبوا ما كان حولهم من القرى؛ وقد كان بنو هاشم والقوّاد حين مات محمد بن أبي خالد تكلّموا في ذلك؛ وقالوا: نصير بعضنا خليفة ونخاع المأمون، فكانوا يتراضون في ذلك؛ إذ بلغهم خبر هارون وأبى زنبيل وهزيمتهم، فجعلوا فيما كانوا فيه، وأرادوا منصور بن المهديّ على الخلافة؛ فأبى ذلك عليهم، فلم يزالوا به حتى صيروه أميراً خليفة للمأمون ببغداد والعراق، وقالوا: لا نرضى بالمجوسيّ ابن المجوسيّ الحسن بن سهل، ونطرده حتى يرجع إلى خراسان.

وقد قيل: إن عيسى بن محمد بن أبي خالد لما اجتمع إليه أهل بغداد، وساعده على حرب الحسن بن سهل، رأى^(١) الحسن أنه لا طاقة له بعيسى، فبعث إليه وهب بن سعيد الكاتب، وبذل له المصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد وولاية أيّ النواحي أحب، فطلب كتاب المأمون بذلك بخطّه، فردّ الحسن بن سهل وهباً بإجابته، فغرق وهب بين المبارك وجبّيل؛ فكتب عيسى إلى أهل بغداد: إني مشغول بالحرب عن جباية الحجاج، فولّوا رجلاً من بني هاشم، فولّوا منصور بن المهديّ، وعسكر منصور بن المهديّ بكمّلوا ذى، وأرادوه على الخلافة فأبى، وقال: أنا خليفة أمير المؤمنين حتى يقدم أو يولّي من أحب، فرضى بذلك بنو هاشم والقوّاد والحمد؛ وكان القيسم بهذا الأمر خزيمة بن خازم، فوجّه القوّاد في كل ناحية، وجاء حميد الطوسي من فوره في طلب بني محمد حتى انتهى إلى المدائن، فأقام بها يومه، ثم انصرف إلى النّيل.

(١) ابن الأثير: «علم».

فلما بلغ منصوراً خبره خرج حتى عسكر بكتلواذى ، وتقدم يحيى بن على بن عيسى بن ماهان إلى المدائن .

ثم إن منصوراً وجهه إسحاق بن العباس بن محمد الهاشمي من الجانب الآخر ، فعسكر بنهر صرصر ، ووجهه غسان بن عباد بن أبي الفرج أبا إبراهيم بن غسان صاحب حرس صاحب خراسان ناحية الكوفة ، فتقدم حتى أتى قصر ابن هبيرة ، فأقام به . فلما بلغ حميداً الخبر لم يعلم غسان إلا وحميد قد أحاط بالقصر ، فأخذ غسان أسيراً ، وسلب أصحابه ، وقتل منهم ؛ وذلك يوم الاثنين لأربع خلون من رجب .

١٠٠٧/٣

ثم لم يزل كل قوم مقيمين في عساكرهم ؛ إلا أن محمد بن يقطين بن موسى كان مع الحسن بن سهل ، فهرب منه إلى عيسى ، فوجهه عيسى إلى منصور ، فوجهه منصور إلى ناحية حميد ؛ وكان حميد مقيماً بالنيل إلا أن له خيلاً بالقصر .

وخرج ابن يقطين من بغداد يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان حتى أتى كوثى . وبلغ حميداً الخبر ، فلم يعلم ابن يقطين حتى أتاه حميد وأصحابه إلى كوثى ، فقاتلوه فهزموه ، وقتلوا من أصحابه ، وأسروا ، وغرق منهم بشر كثير ، وانتهب حميد وأصحابه ما كان حول كوثى من القنرى وأخذوا البقر والغنم والحمير وما قلدروا عليه من حلتى ومتاع وغير ذلك ؛ ثم انصرف حتى النيل ، وراجع ابن يقطين ، فأقام بنهر صرصر .

وفي محمد بن أبي خالد قال أبو الشداخ :

هَوَى خَيْلُ الْأَبْنَاءِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْبَحَ مِنْهَا كَاهِلُ الْعِزِّ أَخْضَعَا
فَلَا تَشْمَتُوا يَا آلَ سَهْلٍ بِمَوْتِهِ فَإِنَّ لَكُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَصْرَعَا

وأحصى عيسى بن محمد بن أبي خالد ما كان في عسكره ، فكانوا مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً بين فارس وراجل ؛ فأعطى الفارس أربعين درهماً ، والراجل عشرين درهماً .

١٠٠٨/٣

[ذكر خبر خروج المطوعة للنكير على الفساق]

وفي هذه السنة تجردت المطوعة^(١) للنكير على الفساق ببغداد، ورئيسهم خالد الدريوش وسهل بن سلامة الأنصاري أبو حاتم من أهل خراسان .
* ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله فعلت المطوعة ما ذكرت :

كان السبب في ذلك أن فساق الحريّة والسطار الذين كانوا ببغداد والكربلاء آذوا الناس أذى شديداً ، وأظهروا الفسق وقطع الطريق وأخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق ؛ فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل ، فيأخذون ابنه ، فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع ؛ وكانوا يسألون الرجل أن يقرضهم أو يصلحهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم ؛ وكانوا يجتمعون فيأتون القرى ، فيكاثرون أهلها ، ويأخذون ما قدروا عليه من متاع ومال وغير ذلك ؛ لا سلطان يمنعهم ، ولا يقدر على ذلك منهم ؛ لأن السلطان كان يعتز بهم^(٢) ، وكانوا بظنهم ، فلا يقدر أن يمنعهم من فسق يركبونه ، وكانوا يحبون المارة في الطرق وفي السفن وعلى الظهر ويخفرون البساتين ، ويقطعون الطرق علانية ، ولا أحد يعدو عليهم ، وكان الناس منهم في بلاء عظيم ؛ ثم كان آخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قُطْرَبِل ، فانتهبوها علانية ، وأخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك ، وأدخلوها ببغداد ، وجعلوا يبيعونها علانية ، وجاء أهلها فاستعدوا السلطان عليهم ، فلم يمكنه إعادتهم^(٣) عليهم ، ولم يرد عليهم شيئاً مما كان أخذ منهم ، وذلك آخر شعبان .

فلما رأى الناس ذلك وما قد أخذ منهم ؛ وما بيع من^(٤) متاع الناس في أسواقهم . وما قد أظهروا من الفساد في الأرض والظلم والبغي وقطع الطريق ، وأن السلطان لا يعير عليهم ، قام صُلحاء كل ربض وكل دَرَب ، فحشوا بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنما في الدَرَب الفاسق والفساق إلى العشرة ، وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم ؛ فإذا اجتمعتم حتى يكون أمركم واحداً^(٥) ، لقمعتم هؤلاء

(١) ابن الأثير : « المطوعة الأمر بالمردوف والنهي عن المنكر » . (٢) ابن الأثير : « يفرهم » .

(٣) إعادتهم ؛ أي نصرهم ، وفي ط : « تعديهم » .

(٤) ط : « من بيع متاع الناس » ، وأثبت ما في الحواشي . (٥) ط : « واحد » .

الفُسّاق ، وصاروا لا يفعلون ما يفعلون من إظهار الفسق بين أظهركم .

فقام رجل من ناحية طريق الأنبار يقال له خالد الدريوش ، فدعا جيرانه وأهل بيته وأهل محلته على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأجابوه إلى ذلك ، وشدّ على مَنْ يليه من الفساق والشطار ، فمنعهم مما كانوا يصنعون ، فامتنعوا عليه ، وأرادوا قتاله ، فقاتلهم فهزمهم وأخذ بعضهم ، فضربهم وجبسهم ورفعهم إلى الساطان ؛ إلا أنه كان لا يرى أن يُغَيَّر على السلطان شيئاً ، ثم قام من بعده رجلٌ من أهل الحريّة ، يقال له سهل بن سلامة الأنصاريّ من أهل خُرّاسان ؛ يكنى أبا حاتم ؛ فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعمل بكتاب الله جلّ وعزّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلّق مصحفاً في عنقه ، ثم بدأ بجيرانه وأهل محلته ، فأمرهم ونهاهم فقبِلوا منه ، ثم دعا الناس جميعاً إلى ذلك ؛ الشريف مثهم والوضيع ؛ بنى هاشم ومَنْ دونهم ، وجعل له ديواناً يثبت فيه اسم من أتاه منهم ، فبايعه على ذلك ، وقاتل مَنْ خالفه وخالف ما دعا إليه كائناً من كان ؛ فأناه خلق كثير ، فبايعوا .

١٠١٠/٣

ثمّ إنه طاف ببغداد وأسواقها وأرباضها وطرقها ، ومنع كلّ من يخفرو ويحبي المارّة والمختلفة ، وقال : لا خفارة في الإسلام — والخفارة أنه كان يأتي الرجل بعض أصحاب البساتين فيقول : بستانك في خفّرى ، أدفع عنه من أراد به سوء ، ولى في عنقك كلّ شهر كذا وكذا درهماً ، فيعطيه ذلك شائياً وآيياً — فقوى على ذلك إلا أن الدريوش خالفه ، وقال : أنا لا أعيبُ على السلطان شيئاً ولا أغيّره ، ولا أقاتله ، ولا أمره بشيء ولا أنهاه . وقال سهل بن سلامة : لكنّي أقاتل كلّ من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان ؛ سلطاناً أو غيره ؛ والحق قائم في الناس أجمعين ، فن بايعني على هذا قبلته ، ومن خالفني قاتلته . فقام في ذلك سهل يوم الخميس لأربع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين في مسجد طاهر بن الحسين ؛ الذي كان بناه في الحريّة .

وكان خالد اللريوش قام قبله بيومين أو ثلاثة ، وكان منصور بن المهديّ مقيماً بعسكره بجبّيل ، فلما كان من ظهور سهل بن سلامة وأصحابه ما كان ، وبلغ ذلك منصوراً وعيسى - وإنما كان عظيم أصحابهما الشّطار ، ومن لاخير فيه - كسرهما ذلك ، ودخل منصور بغداد .

وقد كان عيسى يكتب الحسن بن سهل ، فلما بلغه خبر بغداد ، سأل الحسن بن سهل أن يعطيه الأمان له ولأهل بيته ولأصحابه ؛ على أن يعطي الحسن أصحابه وجنده وسائر أهل بغداد رزق ستة أشهر إذا أدركت له الغلّة ، فأجابته الحسن ، وارتحل عيسى من معسكره ، فدخل بغداد يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من شوال ، وتقوّضت جميع عساكرهم ، فدخلوا بغداد ، فأعلمهم عيسى ما دخل لهم فيه من الصّلاح ، فرضوا بذلك .

ثم رجع عيسى إلى المدائن ، وجاء يحيى بن عبد الله ، ابن عمّ الحسن بن سهل ، حتى نزل دير العاقول ، فوكلوه السواد ، وأشركوا بينه وبين عيسى في الولاية ، وجعلوا لكلّ عدّة من الطّسّاسيج^(١) وأعمال بغداد . فلما دخل عيسى فيما دخل فيه - وكان أهل عسكر المهديّ مخالفين له - وثب المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ يدعو إلى المأمون وإلى الفضل والحسن ابني سهل ؛ فامتنع عليه سهل بن سلامة ، وقال : ليس على هذا بايعتني .

وتحوّل منصور بن المهديّ وخزيمة بن خازم والفضل بن الربيع - وكانوا يوم تحوّلوا بايعوا سهل بن سلامة على ما يدعّو إليه من العمل بالكتاب والسنّة - فنزلوا بالحربية فراراً من المطلب ، وجاء سهل بن سلامة إلى الحسن ، وبعث إلى المطلب أن يأتيه ، وقال : ليس على هذا بايعتني ، فأبى المطلب أن يجيئه ، فقاتله سهل يومين أو ثلاثة قتالا شديداً ؛ حتى اصططح عيسى والمطلب ، ففدس عيسى إلى سهل من اغتاله فضربه ضربة بالسيف ؛ إلا أنها لم تعمل فيه ؛ فلما اغتيل سهل رجع إلى منزله ، وقام عيسى بأمر الناس ، فكفّوا عن القتال .

وقد كان حميد بن عبد الحميد مقيماً بالنيل ، فلما بلغه هذا الخبر

(١) الطّوج : الناحية ، مغرب .

دخل الكوفة ، فأقام بها أياماً . ثم إنه خرج منها حتى أتى قصر ابن هبيرة ، فأقام به ، واتخذ منزلاً وعمل عليه سوراً وحنديقاً ؛ وذلك في آخر ذي القعدة ، وأقام عيسى ببغداد يعرض الجند ويصحتهم ، إلى أن تدرك الغلة ، وبعث إلى سهل بن سلامة فاعتذر إليه مما كان صنع به ، وبايعه وأمره أن يعود إلى ما كان عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وأنه عونه على ذلك ، فقام سهل بما كان قام به أولاً من الدعاء إلى العمل بالكتاب والسنة .

* * *

[ذكر خبر البيعة لعلی بن موسى بولاية العهد]

وفي هذه السنة جعل المأمون علی بن موسى بن جعفر بن محمد بن علی بن حسين بن علی بن أبي طالب رضي الله عنه ولي عهد المسلمين والخليفة من بعده ، وسماه الرضي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضر ، وكتب بذلك إلى الآفاق .

• ذكر الخبر عن ذلك وعما كان سبب ذلك وما آل الأمر فيه إليه :

ذكر أن عيسى بن محمد بن أبي خالد ، بينما هو فيما هو فيه من عرض أصحابه بعد منصرفه من عسكره إلى بغداد ، إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل يُعلمه أن أمير المؤمنين المأمون قد جعل علی بن موسى بن جعفر بن محمد ولي عهده من بعده ؛ وذلك أنه نظر في بني العباس وبني علی ، فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أورع ولا أعلم منه ؛ وأنه سمّاه الرضي من آل محمد ، وأمره بطرح لبس الثياب السود ولبس ثياب الخضر ؛ وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقواد وبني هاشم بالبيعة له ، وأن يأخذهم بلبس الخضر في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم ، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك .

١٠١٣/٢٣

فلما أتى عيسى الخبر دعا أهل بغداد إلى ذلك على أن يعجل لهم رزق شهر ، والباقي إذا أدركت الغلة ، فقال بعضهم : نبايع ونلبس الخضر ، وقال

بعضهم : لا نبايع ولا نلبس الخُضرة ، ولا نُخرج هذا الأمر من ولد العباس ؛ وإنما هذا دسيس من الفضل بن سهل ، فكثروا بذلك أياماً . وغضب ولد العباس من ذلك ، واجتمع بعضهم إلى بعض ، وتكلموا فيه ، وقالوا : نولئى بعضنا ، ونخلع المأمون ؛ وكان المتكلم في هذا والمختلف والمتقلد له إبراهيم ومنصور ابنا المهديّ .

* * *

[ذكر الدعوة لمبايعة إبراهيم بن المهديّ وخلع المأمون]

وفي هذه السنة بايع أهل بغداد إبراهيم بن المهديّ بالخلافة وخلعوا المأمون .
* ذكر السبب في ذلك :

قد ذكرنا سبب إنكار العباسيين ببغداد على المأمون ما أنكروا عليه ، واجتماع من اجتمع على محاربة الحسن بن سهل منهم ؛ حتى خرج عن بغداد . ولما كان من بيعة المأمون لعلّ بن موسى بن جعفر - وأمره الناس بلبس الخُضرة ما كان ، وورود كتاب الحسن على عيسى بن محمد بن أبي خالد يأمره بذلك ، وأخذ الناس به ببغداد ، وذلك يوم الثلاثاء لحمس بقيين من ذى الحجة - أظهر العباسيون ببغداد أنهم قد بايعوا إبراهيم بن المهديّ بالخلافة ، ومن بعده ابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهديّ ؛ وأنهم قد خلعوا المأمون ، وأنهم يعطون عشرة دنانير كل إنسان ، أول يوم من المحرم أول يوم من السنة المستقبلية . فقبل بعض ولم يقبل بعض حتى يعطى ؛ فلما كان يوم الجمعة وأرادوا الصلاة أرادوا أن يجعلوا إبراهيم خليفة للمأمون مكان منصور ، فأمروا رجلاً يقول حين أذن المؤذن : إنا نريد أن ندعو للمأمون ومن بعده لإبراهيم يكون خليفة ؛ وكانوا قد دسّوا قوماً ، فقالوا لهم : إذا قام يقول : ندعو للمأمون ، فقوموا أنتم فقولوا : لا نرضى إلا أن نبايعوا لإبراهيم ومن بعده لإسحاق ، وتخلعوا المأمون أصلاً ، ليس نريد أن تأخذوا أموالنا كما صنع منصور ، ثم تجاسوا في بيوتكم . فلما قام من يتكلم أجابه هؤلاء ، فلم يُصلّ بهم تلك الجمعة صلاة الجمعة ، ولا خطب أحد ، إنما صلى الناس أربع ركعات ثم انصرفوا ؛ وذلك يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة إحدى ومائتين .

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن خضرداذبه وهو والي طبرستان اللارز والشيرز^(١) من بلاد الديلم ، وزادهما في بلاد الإسلام ، وافتتح جبال طبرستان ، وأنزل شهریار بن شسروین عنها ، فقال سلام الخاسر :

إنا لنأملُ فتحَ الرومِ والصَّينِ بمن أدال لنا من مُلكِ شسروين^(٢)
فاشدُّ يدَيْك بِعبدِ اللَّهِ إِنَّ لَهُ^(٣) مع الأمانةِ رأى غيرُ موهونٍ

وأشخص مازيار بن قارن إلى المأمون ، وأسر أبا ليلي ملك الديلم بغير عهد في هذه السنة .

وفيها مات محمد بن محمد صاحب أبي السرايا .

وفيها تحرَّك بابك الخرمي في الجاويذانية أصحاب جاويذان بن مهمل ، صاحب البذا ، وادّعى أن رُوح جاويذان دخلت فيه ، وأخذ في العيث والفساد .

وفيها أصاب أهل خراسان والري وإصبهان مجاعة ، وعزّ الطعام ، ووقع الموت .

• • •

وحجّ بالناس فيها إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي :

(٢) ط : « أدل » .

(١) ابن الأثير : « البلاد والشير » .

(٣) ط : « لعبد الله » .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر خبربيعة إبراهيم بن المهدي]

فمما كان فيها من ذلكبيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي بالخلافة ،
وتسميتهم إياه المبارك . وقيل لأنهم بايعوه في أول يوم من المحرم بالخلافة ،
وخلعوا المأمون ؛ فلمّا كان يوم الجمعة صعد إبراهيم المنبر ؛ فكان أول من
بايعه عبّيد الله بن العباس بن محمد الهاشمي ، ثم منصور بن المهدي ، ثم سائر
بنّي هاشم ، ثم القوّاد . وكان المتولّي لأخذ البيعة المطلب بن عبد الله بن مالك ؛
وكان الذي سعى في ذلك وقام به السندي وصالح صاحب المصلّي ومنجّاب
ونصير الوصيف وسائر الموالي ؛ إلا أن هؤلاء كانوا الرؤساء والقادة غضباً منهم
على المأمون حين أراد إخراج الخلافة من ولد العباس إلى ولد عليّ ، ولتركة
لباس آبائه من السّواد ولبسه الخضر .

ولما فرغ من البيعة وعد الجند أن يعطيهم أرزاق سنة الأشهر ، فدافعهم
بها ، فلما رأوا ذلك شغبوا عليه ، فأعطاهم مائتي درهم لكل رجل ، وكتب
لبعضهم إلى السّواد بقيمة بقيّة ما لهم حنطة وشعير . فخرجوا في قبضها فلم
يمروا بشيء إلا انتهبوه ، فأخذوا النّصيبين جميعاً ؛ نصيب أهل البلاد ونصيب
السلطان . وغلب إبراهيم مع أهل بغداد على أهل الكوفة والسّواد كله ، وعسكر
بالمدائن . وولّى الجانب الشرقي من بغداد العباس بن موسى الهادي والجانب
الغربي إسحاق بن موسى الهادي . وقال إبراهيم بن المهدي :

ألم تعلموا يا آل فهير بأنّي شريئتُ بنفسى دُونكم في المهالك

• • •

[خبر تحكيم مهدي بن علوان الحروري]

وفي هذه السنة حكم مهدي بن علوان الحروري ، وكان خروجه
ببُزرجسابور ، وغلب على طساسيج هنالك . وعلى نهر بوق والراذانيّين . وقد ١٠١٧/٣
قيل : إن خروج مهدي كان في سنة ثلاث ومائتين في شوال منها ، فوجّه
إليه إبراهيم بن المهديّ أبا إسحاق بن الرشيد في جماعة من القوادر ، منهم
أبو البطّ وسعيد بن الساجور ، ومع أبي إسحاق غلمان له أترك ؛ فذكر عن
شُبَيْل صاحب السلب ، أنه كان معه وهو غلام ، فلحقوا الشّرة ، فطعن رجل
من الأعراب أبا إسحاق ، فحامي عنه غلام له تركي ، وقال له : أشناس
مرّاً ، أي اعرفني ، فسماه يومئذ أشناس ؛ وهو أبو جعفر أشناس ؛ وهُزم
مهديّ إلى حوَلَايا .

وقال بعضهم : إنما وجّه إبراهيم إلى مهديّ بن علوان الدهقانيّ الحروريّ
المُطَلَّب ، فسار إليه ، فلما قرب منه أخذ رجلاً من قعد الحرورية يقال له
أقْدَى ، فقتله ، واجتمعت الأعراب فقاتلوه فهزموه حتى أدخلوه بغداد :

وفي هذه السنة وثب أخو أبي السرايا بالكوفة ، فبيّض ، واجتمعت إليه
جماعة ، فلقية غسان بن أبي الفرج في رَجَب فقتله ، وبعث برأسه إلى إبراهيم
ابن المهديّ .

• • •

ذكر الخبر عن تبييض أخى أبي السرايا وظهوره بالكوفة

ذكر أن الحسن بن سهل أتابه وهو مقيم بالمبارك في معسكره كتاب المأمون ١٠١٨/٣
بأمره بلبس الخضر ، وأن يبايع نعلّي بن موسى بن جعفر بن محمد بولاية العهد
من بعده ، ويأمره أن يتقدّم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها ، فارتحل حتى نزل
سمّر ، وكتب إلى حميد بن عبد الحميد أن يتقدّم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها
من ناحية أخرى ، ويأمره بلباس الخضر ، ففعل ذلك حميد . وكان سعيد بن

الساجور وأبو البطّ وغسان بن أبي الفرج ومحمد بن إبراهيم الإفريقيّ وعِدّة من قوَاد حُميد كاتبوا إبراهيم بن المهديّ ، على أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة . وكان قد تباعد ما بينهم وبين حميد ، فكانوا يكتبون إلى الحسن بن سهل يخبرونه أن حُميدًا يكتب إبراهيم ، وكان يكتب فيهم بمثل ذلك ، وكان الحسن يكتب إلى حُميد يسأله أن يأتيه فلم يفعل ، وخاف إن هو خرج إلى الحسن أن يثب الآخرون بعسكره ؛ فكانوا يكتبون إلى الحسن أنه ليس يمنعه من إتيانك إلاّ أنه مخالف لك ، وأنه قد اشترى الضياع بين الصّراة وسُورا والسواد . فلما ألحّ عليه الحسن بالكُتب ، خرج إليه يوم الخميس لحمس خلون من ربيع الآخر ، فكتب سعيد وأصحابه إلى إبراهيم يعلمونه ، ويسألون أن يبعث إليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد ، حتّى يدفعوا إليه القصر وعسكر حميد ؛ وكان إبراهيم قد خرج من بغداد يوم الثلاثاء حتّى عسكر بكتلّواذي يريد المدائن ، فلما أتاه الكتاب وجّه عيسى إليهم .

فلما بلغ أهل عسكر حميد خروج عيسى ونزوله قرية الأعراب على فرسخ من القصر تهيّئوا للهرب ؛ وذلك ليلة الثلاثاء ، وشدّ أصحاب سعيد وأبي البطّ والفضل بن محمد بن الصباح الكنديّ الكوفيّ على عسكر حميد ؛ فانهبوا ما فيه ، وأخذوا حُميد — فيما ذكر — مائة بدرة أوّالا ومتاعاً . وهرب ابن حُميد ومعاذ بن عبد الله ، فأخذ بعضهم نحو الكوفة وبعض نحو النيل ؛ فأما ابن حُميد ، فإنه انحدر بجوارى أبيه إلى الكوفة ، فلما أتى الكوفة اكترى بغالا ثم أخذ الطريق ، ثم لحق بأبيه بعسكر الحسن ، ودخل عيسى القصر وسلمه له سعيد وأصحابه ، وصار عيسى وأخذه منهم ؛ وذلك يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الآخر . وبلغ الحسن بن سهل وحميد عنده ، فقال له حميد : ألم أعلمك بذلك ! ولكن خُدت ، وخرج من عنده حتّى أتى الكوفة ، فأخذ أموالا له كانت هنالك ومتاعاً . وولّى على الكوفة العباس بن موسى بن جعفر العلويّ ، وأمره بلباس الخضر ، وأن يدعّر للمأمون ومن بعده لأخيه عليّ بن موسى . وأعانه بمائة ألف درهم ، وقال له : قاتل عن أخيك ، فإن أهل الكوفة يُجيبونك إلى ذلك ؛ وأنا معك .

فلما كان الليل خرج حميد من الكوفة وتركه ، وقد كان الحسن وجهه حكيمًا الحارثي حين بلغه الخبر إلى النيل ، فلما بلغ ذلك عيسى وهو بالقصر نهيًا هو وأصحابه ، حتى خرجوا إلى النيل ؛ فلما كان ليلة السبت لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر طلعت حمرة في السماء ، ثم ذهب الحمرة ، وبقي عمودان أحمران في السماء إلى آخر الليل ، وخرج غداة السبت عيسى وأصحابه من القصر إلى النيل ، فواقعهم حكيم ، وأتاهم عيسى وسعيد وهم في الوقعة ، فانهزم حكيم ، ودخلوا النيل .

١٠٢٠/٣

فلما صاروا بالنيل ، بلغهم خبر العباس بن موسى بن جعفر العلوي ، وما يدعو إليه أهل الكوفة ، وأنه قد أجابه قوم كثير منهم ، وقال له قوم آخرون : إن كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك فلا حاجة لنا في دعوتك ، وإن كنت تدعو إلى أخيك أو بعض أهل بيتك أو إلى نفسك أجبتك . فقال : أنا أدعو إلى المأمون ثم من بعده لأخي ؛ ففقد عنه الغالية من الرافضة وأكثر الشيعة . وكان يظهر أن حميداً يأتيه فيعينه ويقويه ، وأن الحسن يوجه إليه قومًا من قبله مددًا ، فلم يأتهم منهم أحد ، وتوجه إليه سعيد وأبو البط من النيل إلى الكوفة ؛ فلما صاروا بدير الأعور ، أخذوا طريقًا يخرج بهم إلى عسكر هرثة عند قرية شاهی .

فلما التأم إليه أصحابه ، خرجوا يوم الاثنين لليائتين خلت من جمادى الأولى . فلما صاروا قرب القنطرة خرج عليهم علي بن محمد بن جعفر العلوي ، ابن المايح له بمكة . وأبو عبد الله أخو أبي السرايا ومعهم جماعة كثيرة ، وجههم مع علي بن محمد ابن عمه صاحب الكوفة العباس بن موسى بن جعفر ، فقاتلهم ساعة ، فانهزم علي وأصحابه حتى دخلوا الكوفة ، وجاء سعيد وأصحابه حتى نزلوا الحيرة ؛ فلما كان يوم الثلاثاء غدوا فقاتلهم مما يلي دار عيسى بن موسى ، وأجابهم العباسيون ومواليهم ، فخرجوا إليهم من الكوفة ، فاقتلوا يومهم إلى الليل ، وشعارهم : «يا إبراهيم يا منصور ، لاطاعة للمأمون» ، وعليهم السواد ، وعلى العباس وأصحابه من أهل الكوفة الخضرة .

١٠٢١/٣

فلما كان يوم الأربعاء اقتتلوا في ذلك الموضع ، فكان كل فريق منهم إذا

ظهروا على شيء أحرقوه. فلما رأى ذلك رؤساء أهل الكوفة، أتوا سعيداً وأصحابه، فسألوه الأمان للعباس بن موسى بن جعفر وأصحابه؛ على أن يخرج من الكوفة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم أتوا العباس فأعلموه، وقالوا: إن عامة من معك غوغاء، وقد ترى ما يلقي الناس من الحرق والنهب والقتل؛ فخرج من بين أظهرنا، فلا حاجة لنا فيك. فقبل منهم، وخاف أن يسلموه، وتحول من منزله الذي كان فيه بالكُناسة، ولم يعلم أصحابه بذلك، وانصرف سعيد وأصحابه إلى الحيرة، وشد أصحاب العباس بن موسى على من بقي من أصحاب سعيد وموالي عيسى بن موسى العباسي، فهزموهم حتى بلغوا بهم الخندق، ونهبوا ربض عيسى بن موسى، فأحرقوا الدور، وقتلوا من ظهروا به. فبعث العباسيون ومواليهم إلى سعيد يعلمونه بذلك، وأن العباس قد رجع عما كان طلب من الأمان. فركب سعيد وأبو البط وأصحابهما حتى أتوا الكوفة عتمة، فلم يظفروا بأحد منهم ينتهب إلا قتلوه، ولم يظهروا على شيء مما كان في أيدي أصحاب العباس إلا أحرقوه؛ حتى بلغوا الكُناسة، فكثوا بذلك عامة الليل حتى خرج إليهم رؤساء أهل الكوفة، فأعلموهم أن هذا من عمل الغوغاء، وأن العباس لم يرجع عن شيء. فانصرفوا عنهم.

فلما كان غداة الخميس لحس خلون من جمادى الأولى، جاء سعيد وأبو البط حتى دخلوا الكوفة، ونادى مناديتهم: أمن الأبيض والأسود؛ ولم يعرضوا لأحد من الخلق إلا بسبيل خير، وولّوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي، من أهلها. فكتب إليهم إبراهيم بن المهدي يأمرهم بالخروج إلى ناحية واسط، وكتب إلى سعيد أن يستعمل على الكوفة غير الكندي، لميله إلى أهل بلده؛ فولّاها غسان بن أبي الفرج، ثم عزله بعد ما قتل أبا عبد الله أخا أبي السرايا، فولّاها سعيد ابن أخيه الهول، فلم يزل والياً عليها حتى قدمها حميد ابن عبد الحميد، وهرب الهول منها، وأمر إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد ابن أبي خالد أن يسير إلى ناحية واسط على طريق النيل، وأمر ابن عائشة الهاشمي ونعيم بن خازم أن يسيرا جميعاً، فخرجا مما يلي جُوحى، وبذلك تاريخ الطبري - ثامن

أمرهما ، وذلك في جمادى الأولى . ولحق بهما سعيد وأبو البط والإفريقى حتى عسكروا بالصيابة قرب واسط ؛ فاجتمعوا جميعاً في مكان واحد ، وعليهم عيسى بن محمد بن أبى خالد ، فكانوا يركبون حتى يأتوا عسكر الحسن وأصحابه بواسط في كل يوم ، فلا يخرج إليهم من أصحاب الحسن أحد ، وهم متحصّنون بمدينة واسط .

ثم إن الحسن أمر أصحابه بالتهيؤ للخروج للقتال ، فخرجوا إليهم يوم السبت لأربع بقين من رجب ، فاقتتلوا قتالا شديداً إلى قريب الظهر . ثم وقعت الهزيمة على عيسى وأصحابه ، فانهزموا حتى بلغوا طرنايا والتيل ، وأخذ أصحاب الحسن جميع ما كان في عسكرهم من سلاح ودواب وغير ذلك .

١٠٢٣/٣

* * *

[ظفر إبراهيم بن المهديّ بسهل بن سلامة المطوعى]

وفي هذه السنة ظفر إبراهيم بن المهديّ بسهل بن سلامة المطوعى فحبسه وعاقبه .

• ذكر الخبر عن سبب ظفره به وحبسه إياه :

ذكر أن سهل بن سلامة كان مقيماً ببغداد ، يدعو إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يزل كذلك حتى اجتمع إليه عامة أهل بغداد ونزلوا عنده ؛ سوى من هو مقيم في منزله ، وهواه ورأيه معه ؛ وكان إبراهيم قد همّ بقتاله قبل الواقعة ، ثم أمسك عن ذلك ، فلمّا كانت هذه الواقعة وصارت الهزيمة على أصحاب عيسى ومن معه أقبل على سهل بن سلامة ، فدخل إليه وإلى أصحابه الذين بايعوه على العمل بالكتاب والسنة ، والأطاعة لخلق في معصية الخلق ؛ فكان كل من أجابه إلى ذلك قد عمل على باب داره ترجاً بحصره وأجره . ونصب عليه السلاح والمصاحف ؛ حتى بلغوا قرب باب الشام ؛ سرى من أجابه من أهل الكرخ وسائر الناس ؛ فلما رجع عيسى من الهزيمة إلى بغداد ، أقبل هو وإخوته وجماعة أصحابه نحو سهل

ابن سلامة ؛ لأنه كان يذكّرهم بأسوأ أعمالهم وفعلهم ، ويقول : الفسّاق (١) ؛ لم يكن لهم عنده اسم غيره ، فقاتلوه أياماً ؛ وكان الذى تولى قتاله عيسى ابن محمد بن أبى خالد ؛ فلماً صار إلى الدّروب التى قرب سهل أعطى أهل الدّروب الألف درهم والألفين درهماً ؛ على أن يتنحوا له عن الدّروب ، فأجابوه إلى ذلك ؛ فكان نصيب الرجل الدرهم والدرهمين ونحو ذلك ؛ فلما كان يوم السبت لحمس بقين من شعبان تهيئوا له من كل وجه ، وخذّله أهل الدّروب حتى وصلوا إلى مسجد طاهر بن الحسين وإلى منزله ؛ وهو بالقرب من المسجد ؛ فلما وصلوا إليه اختفى منهم ، وألقى سلاحه ، واختلط بالنظارة ، ودخل بين النساء فدخلوا منزله .

فلماً لم يظفروا به جعلوا عليه العيون ؛ فلماً كان الليل أخذوه فى بعض الدّروب التى قرب منزله ، فأتوا به إسحاق بن موسى الهادى — وهو ولى العهد بعد عمّه إبراهيم بن المهديّ وهو بمدينة السلام — فكلّمه وحاجّته ، وجمع بينه وبين أصحابه ، وقال له : حرّضت عايينا الناس ، وعبت أمرنا ! فقال له : إنما كانت دعوتى عباسيّة ؛ وإنما كنت أدعو إلى العمل بالكتاب والسنة ؛ وأنا على ما كنت عليه أدعوكم إليه الساعة . فلم يقبلوا ذلك منه . ثم قالوا له : اخرج إلى الناس ، فقل لهم : إن ما كنت أدعوكم إليه باطل . فأخرج (٢) إلى الناس وقال : قد علمتم ما كنت أدعوكم إليه من العمل بالكتاب والسنة ، وأنا أدعوكم إليه الساعة . فلما قال لهم هذا وجئوا عنقه . وضربوا وجهه ؛ فلما صنعوا ذلك به قال : المغرور من غررتموه يا أصحاب الحربيّة ؛ فأخذ فأدخل إلى إسحاق ، فقيّده ، وذلك يوم الأحد . فلما كان ليلة الاثنين خرجوا به إلى إبراهيم بالمدائن ؛ فلما دخل عليه كلمه بما كلم به إسحاق ، فردّ عليه مثل ما ردّ على إسحاق . وقد كانوا أخذوا رجلاً من أصحابه يقال له محمد الرواعى ، فضربه إبراهيم ، وتنفّ لحبته ، وقيّده وحبسه ؛ فلما أخذ سهل ابن سلامة حبسه أيضاً ، وادّعوا أنه كان دفع إلى عيسى ، وأن عيسى قتله ؛

(١) ابن الأثير : « ويسمى الفسّاق » ،

(٢) ابن الأثير : « فخرج » .

ولإنما أشاعوا ذلك تخوفاً من الناس أن يعلموا بمكانه فيخرجوه ؛ فكان بين خروجه وبين أخذه وجسه اثنا عشر شهراً .

* * *

[ذكر خير شخص المأمون إلى العراق]

وفي هذه السنة شخص المأمون من مَرَوَ يريد العراق .

• ذكر الخبر عن شخصه منها :

‘ذكر أن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد العلويّ أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخوه ، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار ، وأنّ أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء ؛ وأنهم يقولون إنه مسحور مجنون ، وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمته إبراهيم بن المهديّ بالخلافة . فقال المأمون : إنهم لم يبايعوا له بالخلافة ؛ وإنما صيروه أميراً يقوم بأمرهم ، على ما أخبره به الفضل ، فأعلمه أن الفضل قد كذّبه وغشّه ، وأن الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن بن سهل ، وأنّ الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكانى ومكان بيعتك لى من بعدك ، فقال : ومنّ يعلم هذا من أهل عسكرى ؟ فقال له : يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدّة من وجوه أهل العسكر ، فقال له : أدخلهم علىّ حتى أسألتهم عما ذكرت ، فأدخلهم عليه ؛ وهم يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وموسى وعليّ بن أبي سعيد — وهوابن أخت الفضل — وخلف المصرى ، فسألهم عما أخبره ، فأبوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ؛ ألا يعرض لهم ، فضمن ذلك لهم ، وكتب لكل رجل منهم كتاباً بخطه ، ودفعه إليهم ، فأخبروه بما فيه الناس من الفتن ، وبيّنوا ذلك له ، وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليه وقوّاده عليه فى أشياء كثيرة ، وبما موّه عليه الفضل من أمر هرثمة ، وأنّ هرثمة إنما جاءه لينصحه وليبين له ما يعمل عليه ، وأنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته ، وأنّ الفضل دسّ إلى هرثمة منّ قتله ، وأنه أراد

نصحه ؛ وأن طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعته ما أبلى ، وافتتح ما افتتح ، وقاد إليه الخلافة مزمومة ، حتى إذا وطأ الأمر أخرج من ذلك كله ، وصير في زاوية من الأرض بالرقّة ، قد حُظرت عليه الأموال حتى ضعف أمره فشغب عليه جنده ، وأنه لو كان على خلافتك ببغداد لضبط الملاك ، ولم يجترأ عليه بمثل ما اجترأ به على الحسن بن سهل ، وأن الدنيا قد تفتت من أقطارها ، وأن طاهر بن الحسين قد تنوَّى في هذه السنين منذ قتل محمد في الرقة ، لا يُستعان به في شيء من هذه الحروب ؛ وقد استعين بمن هو دونه ١٠٢٧/٣ أضعافاً ، وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد في بني هاشم والموالى والقواد ، والجند لو رأوا عزتك سكنوا إلى ذلك ، وبخَعُوا بالطاعة (١) .

فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ؛ فلما أمر بذلك علم الفضل بن سهل ببعض ذلك من أمرهم ، فتعتهم حتى ضرب بعضهم بالسياط وحبس بعضاً ، ونسف لحي بعض ؛ فعاوده على بن موسى في أمرهم ، وأعلمه ما كان من ضمانه لهم ؛ فأعلمه أنه يدارى ما هو فيه . ثم ارتحل من مَرَّو فلما أتى سرخس شدّ قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام ، فضربوه بالسيوف حتى مات ؛ وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنتين ومائتين . فأخذوا . وكان الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم أربعة نفر : أحدهم غالب المسعودي الأسود ، وقسطنطين الرومي ، وفرج الديلمي ، وموفقي الصقلي ، وقتلوه وله ستون سنة ؛ وهربوا . فبعث المأمون في طلبهم ، وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار ، فجاء بهم العباس بن المهيم بن بزرجمهر الدينوري ، فقالوا للمأمون : أنت أمرتنا بقتله ، فأمر بهم فضربت أعناقهم . وقد قيل : إن الذين قتلوا الفضل لما أخذوا ساءلهم المأمون ؛ فمنهم من قال : إن علي بن أبي سعيد ، ابن أخت الفضل دسّهم ، ومنهم من أنكر ذلك . وأمر بهم فقتلوا . ثم بعث إلى عبد العزيز بن عمران وعلي وموسى وخلف فساءلهم فأنكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك ؛ فلم يقبل ذلك منهم وأمر بهم فقتلوا ، وبعث برءوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط ، وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل ، وأنه قد صيره مكانه . ووصل الكتاب بذلك إلى الحسن

١٠٢٨/٣

(١) بخَعُوا بالطاعة ؛ أي خضعوا وأقروا بالحق له .

في شهر رمضان ، فلم يزل الحسن وأصحابه حتى أدركت الغلة وجبى بعض الخراج ، ورحل المأمون من سرّخس نحو العراق يوم الفطر . وكان إبراهيم ابن المهدي بالمدائن وعيسى وأبو البطّ وسعيد بالنيل وطربايا يراوون القتال ويغادونه ؛ وقد كان المطلب بن عبد الله بن مالك بن عبد الله قديم من المدائن ، فاعتلّ بأنه مريض ، وجعل يدعو في السرّ إلى المأمون ؛ على أن المنصور بن المهدي خليفة المأمون ، ويخلعون إبراهيم ، فأجابه إلى ذلك منصور وخزيمة بن خازم وقواد كثير من أهل الجانب الشرقي ، وكتب المطلب إلى حميد وعليّ ابن هشام أن يتقدّما فينزل حميد نهر صرصر وعليّ النهر وان ؛ فلما تحقق عند إبراهيم الخبر خرج من المدائن إلى بغداد ، فنزل زكّذ ورد يوم السبت لأربع عشرة خلت من صفر ، وبعث إلى المطلب ومنصور وخزيمة ، فلما أتاهم رسوله اعتلّوا عليه ؛ فلما رأى ذلك بعث إليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد وإخوته ؛ فأما منصور وخزيمة فأعطوا بأيديهما ، وأما المطلب فإن مواله وأصحابه قاتلوا عن منزله حتى كثر الناس عليهم ، وأمر إبراهيم مناديا فنادى : من أراد النهب فليأت دار المطلب ، فلما كان وقت الظهر وصلوا إلى داره ، فانتهبوا ما وجدوا فيها ، وانتهبوا دور أهل بيته ، وطلبوه فلم يظفروا به ، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من صفر .

١٠٢٩/٣

فلما بلغ حميدا وعليّ بن هشام الخبر بعث حميد قائدا فأخذ المدائن ، وقطّعت الجسر ، ونزل بها ، وبعث عليّ بن هشام قائدا فنزل المدائن ، وأتى نهرد يالى فقطّعه ، وأقاموا بالمدائن ، وندم إبراهيم حيث صنع بالمطلب ما صنع ، ثم لم يظفر به .

* * *

وفي هذه السنة تزوّج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل .

وفيهما زوّج المأمون عليّ بن موسى الرضيّ ابنته أم حبيب ، وزوّج محمد ابن عليّ بن موسى ابنته أم الفضل .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد، فدعا لأخيه
بعد المأمون بولاية العهد .

وكان الحسن بن سهل كتب إلى عيسى بن يزيد الجلودى : وكان
بالبصرة فوافى مكة في أصحابه ، فشهد الموسم ، ثم انصرف ومضى إبراهيم بن
موسى إلى اليمن ، وكان قد غلب عليها حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان .

تم دخلت سنة ثلاث ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[موت علي بن موسى الرضى]

ذكر أن مما كان فيها موت علي بن موسى بن جعفر

ذكر الخبر عن سبب وفاته :

١٠٢٠/٣ ذكر أن المأمون شخص من سرّخص حتى صار إلى طوس ، فلما صار بها أقام بها عند قبر أبيه أياماً . ثم إن علي بن موسى أكل عنباً فأكثر منه ، فمات فجأة ؛ وذلك في آخر صفر ؛ فأمر به المأمون فدفن عند قبر الرشيد ، وكتب في شهر ربيع الأول إلى الحسن بن سهل يعلمه أن علي بن موسى بن جعفر مات ، ويعلمه ما دخل عليه من الغم والمصيبة بموته ؛ وكتب إلى بني العباس والموالي وأهل بغداد يعلمهم موت علي بن موسى ، وأنهم إنما نقموا بيعته له من بعده ؛ ويسألهم الدخول في طاعته . فكتبوا إليه وإلى الحسن جواب الكتاب بأغلظ ما يكتسب به إلى أحد . وكان الذي صلتى على علي بن موسى المأمون (١) .

• • •

ورحل المأمون في هذه السنة من طوس يريد بغداد ، فلما صار إلى الرى أسقط من وظيفتها ألف درهم .

وفي هذه السنة غلبت السوداء على الحسن بن سهل ، فذكر سبب ذلك أنه كان مرض مرضاً شديداً ، فهاج به من مرضه تغيير عقله ، حتى شدّ في الحديد وحبس في بيت . وكتب بذلك قواد الحسن إلى المأمون ، فأتاهم

(١) ابن الأثير : « وكان مولد علي بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة » .

جواب الكتاب أن يكون على عسكريه دينار بن عبدالله، ويعلمهم أنه قادم على أثر كتابه .

• • •

[خبر حبس إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد]

وفي هذه السنة ضرب إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد وحبسه .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

١٠٣١/٣ ذكر أن عيسى بن محمد بن أبي خالد كان يكتب حميداً والحسن ؛ وكان الرسول بينهم محمد بن محمد المعبدي الهاشمي ، وكان يظهر لإبراهيم الطاعة والنصيحة ، ولم يكن يقاتل حميداً ولا يعرض له في شيء من عمله ؛ وكان كلما قال إبراهيم : تهياً للخروج لقتال حميد ، يعتل عليه بأن الجند يريدون أرزاقهم ، ومرة يقول : حتى تُدرك الغلة ؛ فما زال بذلك حتى إذا توثق مما يريد مما بينه وبين الحسن وحميد فارقهم ، على أن يدفع إليهم إبراهيم بن المهدي يوم الجمعة لانسلاخ شوال . وبلغ الخبر إبراهيم ؛ فلما كان يوم الخميس ، جاء عيسى إلى باب الجسر ، فقال للناس : إني قد سألت حميداً ، وضمنت له ألا أدخل عمله ، وضمن لي ألا يدخل علي . ثم أمر أن يُخفّر خندق بباب الجسر وباب الشام ، وبلغ إبراهيم ما قال وما صنع . وقد كان عيسى سأل إبراهيم أن يصلّي الجمعة بالمدينة ، فأجابه إلى ذلك ، فلما تكلم عيسى بما تكلم به ، وبلغ إبراهيم الخبر وأنه يريد أخذه حذر .

وذكر أن هارون أخا عيسى أخبر إبراهيم بما يريد أن يصنع به عيسى ؛ فلما أخبره ، بعث إليه أن يأتيه حتى يناظره في بعض ما يريد ، فاعتل عليه عيسى ، فلم يزل إبراهيم يعيد إليه الرسل حتى أتاه إلى قصره بالرصافة ، فلما دخل عليه حجب الناس ، وخلا إبراهيم وعيسى ، وجعل يعاتبه ، وأخذ عيسى يعتذر إليه مما يعتبه به ، وينكر بعض ما يقول ؛ فلما قرّره بأشياء أمر به فضرب . ثم إنه حبسه وأخذ عدة من قواده فحبسهم ، وبعث إلى منزله ، فأخذ أم ولده

وصبياناً له صغاراً ؛ فحبسهم ؛ وذلك ليلة الخميس ليلة بقيت من شوال .
 ١٠٣٢/٣ وطلب خليفة له يقال له العباس فاخفى . فلما بلغ حبس عيسى أهل بيته
 وأصحابه ، مشى بعضهم إلى بعض ، وحرّض أهل بيته وإخوته الناس على إبراهيم
 واجتمعوا ؛ وكان رأسهم عباس خليفة عيسى ، فشدوا على عامل إبراهيم على
 الجسر فطردوه ، وعبر إلى إبراهيم فأخبره الخبر ، وأمر بتقطع الجسر فطردوا كل
 عامل كان لإبراهيم في الكرخ وغيره ؛ وظهر الفساق والشطار ، ففعدوا في
 المسالح . وكتب عباس إلى حميد يسأله أن يقدم إليهم حتى يسلموا إليه بغداد ؛
 فلما كان يوم الجمعة صلّوا في مسجد المدينة أربع ركعات ، صلّى بهم المؤذن
 بغير خطبة .

* * *

[ذكر خبر خلع أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي]

وفي هذه السنة خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي ، ودعوا للمأمون بالخلافة .
 « ذكر الخبر عن سبب ذلك :

قد ذكرنا قبل ما كان من إبراهيم وعيسى بن محمد بن أبي خالد وحبس
 إبراهيم إياه ، واجتمع عباس خليفة عيسى وإخوة عيسى على إبراهيم ، وكتبهم
 إلى حميد يسألونه المصير إليهم ليُسلموا بغداد إليه ؛ فذكر أن حميداً لما
 أتاه كتابهم ، وفيه شرط منهم عليه أن يعطى جند أهل بغداد ؛ كل رجل منهم
 خمسين درهماً ، فأجابهم إلى ذلك ، وجاء حتى نزل صرصر بطريق الكوفة
 يوم الأحد ، وخرج إليه عباس وقواد أهل بغداد ، فلقوه غداة الاثنين ،
 فوعدهم ومناهم ، وقبلوا ذلك منه ، فوعدهم أن يضع لهم العشاء يوم السبت في
 ١٠٣٣/٣ الياسرية ، على أن يصلّوا الجمعة فيدعوا للمأمون ، ويخلعوا إبراهيم ؛ فأجابوه
 إلى ذلك . فلما بلغ إبراهيم الخبر أخرج عيسى وإخوته من الحبس ، وسأله
 أن يرجع إلى منزله ، ويكفيه أمر هذا الجانب ، فأبى ذلك عليه .

فلما كان يوم الجمعة بعث عباس إلى محمد بن أبي رجا الفقيه ، فصلّى
 بالناس الجمعة ، ودعا للمأمون ، فلما كان يوم السبت جاء حميد إلى الياسرية

فعرض حميد جند أهل بغداد ، وأعطاهم الخمسين التي وعدهم ، فسألوه أن ينقصهم عشرة عشرة ، فيعطيتهم أربعين أربعين درهماً لكل رجل منهم ؛ لما كانوا تشاء موا به من على بن هشام حين أعطاهم الخمسين . فغدر بهم ، وقطع العطاء عنهم ، فقال لهم حميد : لا بل أزيدكم وأعطيكم ستين درهماً لكل رجل . فلما بلغ ذلك إبراهيم دعا عيسى فسأله أن يقاتل حميداً ، فأجابه إلى ذلك ، فخلّى سبيله ، وأخذ منه كُفلاء ، فكلم عيسى الجند أن يعطيهم مثل ما أعطى حميد ؛ فأبوا ذلك عليه ؛ فلما كان يوم الاثنين عبر إليهم عيسى وإخوته وقواد أهل الجانب الشرقي ، فعرضوا على أهل الجانب الغربي أن يزيدوهم على ما أعطى حميد ، فشتموا عيسى وأصحابه ، وقالوا : لا نريد إبراهيم . فخرج عيسى وأصحابه حتى دخلوا المدينة ، وأغلَقوا الأبواب ، وصعدوا السور ، وقاتلوا الناس ساعة . فلما كثر عليهم الناس انصرفوا راجعين ؛ حتى أتوا باب خراسان ، فركبوا في السفن ، ورجع عيسى كأنه يريد أن يقاتلهم ، ثم احتال حتى صار في أيديهم شبه الأسير ، فأخذه بعض قواده فأتى به منزله ، ورجع الباقيون إلى إبراهيم فأخبروه الخبر ، فاغتم لذلك غمّاً شديداً ؛ وقد كان المطلب ابن عبد الله بن مالك اختفى من إبراهيم ، فلما قدم حميد أراد العبور إليه فأخذه المعبر ، فذهب إلى إبراهيم فحبسه عنده ثلاثة أيام أو أربعة ، ثم إنه خلّى عنه ليلة الاثنين ليلة خلت من ذي الحجة .

* * *

[ذكر خبر اختفاء إبراهيم بن المهدي]

في هذه السنة اختفى إبراهيم بن المهدي ، وتغيّب بعد حربٍ بينه وبين حميد بن عبد الحميد ، وبعد أن أطلق سعد بن سلامة من حبسه .

* ذكر الخبر عن اختفائه والسبب في ذلك :

« ذكر أن سهل بن سلامة كان الناس يذكرون أنه مقتول ، وهو عند إبراهيم محبوس ؛ فلما صار حميد إلى بغداد ودخلها أخرجه إبراهيم . وكان

يدعو في مسجد الرصافة كما كان يدعو ، فإذا كان الليل رده إلى حبسه ؛ فكث بذلك أياماً ، فأتاه أصحابه ليكونوا معه ، فقال لهم : الزموا بيوتكم ، فلمّا أرزأ هذا - يعنى إبراهيم - فلما كان ليلة الاثنين ليلة خلت من ذى الحجة خلّى سبيله ، فذهب فاختنى ، فلما رأى أصحاب إبراهيم وقواده أن حميداً قد نزل في أرحاء عبد الله بن مالك ، تحوّل عامتهم إليه ، وأخذوا له المدائن ؛ فلماً رأى ذلك إبراهيم ، أخرج جميع منّ عنده حتى يقاتلوا ، فالتفوا على جسر نهر ديبالى ، فاقتتلوا ، فهزمهم حميد ، ففقطعوا الجسر ، فتبعهم أصحابه حتى أدخلوهم بيوت بغداد ، وذلك يوم الخميس لانسلاخ ذى القعدة .

فلما كان يوم الأضحى أمر إبراهيم القاضي أن يصلّى بالناس في عيساباذ ، فصلّى بهم فانصرف الناس ، واختفى الفضل بن الربيع ، ثم تحوّل إلى حميد ، ثم تحوّل على بن ريطة إلى عسكر حميد ، وجعل الهاشميون والقوادم يلحقون بحميد واحداً بعد واحد ؛ فلما رأى ذلك إبراهيم أسقط في يديه ، فشقّ عليه . وكان المطلب يكتب حميداً على أن يأخذ له الجانب الشرقى ، وكان سعيد ابن الساجور وأبو البطّ وعبدويه وعدة معهم من القواد يكتبون على بن هشام ، على أن يأخذوا له إبراهيم ؛ فلماً علم إبراهيم بأمرهم وما اجتمع عليه كل قوم من أصحابه ، وأنهم قد أحدقوا به ، جعل يُنذّرهم ؛ فلما جنته الليل اختفى ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة ثلاث ومائتين ، وبعث المطلب إلى حميد يعلمه أنه قد أحدق بدار إبراهيم هو وأصحابه ؛ فإن كان يريد فليأتته .

١٠٣٥/٣

وكتب ابن الساجور وأصحابه إلى على بن هشام ، فركب حميد من ساعته ؛ وكان نازلاً في أرحاء عبد الله ، فأتى باب الجسر ، وجاء على بن هشام حتى نزل نهر بَيْتَن ، وتقدّم إلى مسجد كَوَثَر ، وخرج إليه ابن الساجور وأصحابه ، وجاء المطلب إلى حميد ، فلقوه بباب الجسر ، فقرّبهم ووعدهم ونبأهم أن يُعلم المأمون ما صنعوا ، فأقبلوا إلى دار إبراهيم ، وطلبوه فيها فلم يجدوه ، فلم يزل إبراهيم متواريّاً حتى قدم المأمون وبعد ما قدم حتى كان من أمره ما كان .

وقد كان سهل بن سلامة حيث اختفى وتحوّل إلى منزله وظهر ، وبعث إليه حميد ، فقرّبه وأدناه ، وحمله على بغل ، وردّه إلى أهله ؛ فلم يزل مقيماً حتى قدم المأمون ، فأتاه فأجازه ووصله ، وأمره أن يجلس في منزله .

• • •

وفي هذه السنة انكسفت الشمس يوم الأحد لليلتين بقينا من ذى الحجة حتى ذهب ضوءها ، وكان غاب أكثر من ثلثيها ، وكان انكسافها ارتفاع النهار ، فلم يزل كذلك حتى قرب الظهر ثم انجلت . فكانت أيام إبراهيم بن المهدي كلها سنة وأحد عشر شهراً واثنى عشر يوماً .

وغلب على بن هشام على شرقي بغداد وحميد بن عبد الحميد على غربيها ، وصار المأمون إلى همدان في آخر ذى الحجة

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي .

ثم دخلت سنة أربع ومائتين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

• • •

[خبر قدوم المأمون إلى بغداد]

فمما كان فيها من ذلك قدوم المأمون العراق ، وانقطاع مادة الفتن ببغداد .

• ذكر الخبر عن مقدمه العراق وما كان فيه بها عند مقدمه :

١٠٣٧/٣ ذكر عن المأمون أنه لما قدم جرجان أقام بها شهراً ، ثم خرج منها ، فصار إلى الري في ذي الحجة ، فأقام بها أياماً ، ثم خرج منها ، فجعل يسير المنازل ، ويقيم اليوم واليومين حتى صار إلى النهروان ؛ وذلك يوم السبت ، فأقام فيه ثمانية أيام ، وخرج إليه أهل بيته والقواد وجوه الناس ، فسلموا عليه ؛ وقد كان كتب إلى طاهر بن الحسين من الطريق وهو بالرقّة ، أن يوافيه إلى النهروان ، فوافاه بها ، فلما كان السبت الآخر دخل بغداد ارتفاع النهار ، لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة أربع ومائتين ، ولباسه ولباس أصحابه ؛ أقيبتهم وقلانسهم وطراداتهم وأعلامهم كلُّها الخضرة . فلما قدم نزل الرصافة ، وقدم معه طاهر ، فأمره بتزول الخيزرانية مع أصحابه ، ثم تحول فنزل قصره على شطّ دجلة ، وأمر حميد بن عبد الحميد وعليّ بن هشام وكلّ قائد كان في عسكره أن يقيم في عسكره ؛ فكانوا يختلفون إلى دار المأمون في كلّ يوم ؛ ولم يكن يدخل عليه أحد إلّا في الثياب الخضر ، ولبس ذلك أهل بغداد وبنو هاشم أجمعون ، فكانوا يخرقون كلّ شيء يروّنه من السواد على إنسان إلّا القلنسوة ؛ فإنه كان يلبسها الواحد بعد الواحد على خوف ووجل ؛ فأما قباء أو علم فلم يكن أحد يجترئ أن يلبس شيئاً من ذلك ولا يحمله . فكشوا بذلك ثمانية أيام ؛ فتكلم في ذلك بنو هاشم وولد العباس خاصة ، وقالوا له :

يا أمير المؤمنين ، تركت لباس آبائك وأهل بيتك وذولتهم ، ولبست الخضرة .
وكتب إليه في ذلك قوَاد أهل خراسان .

وقيل إنه أمر طاهر بن الحسين أن يسأله حوائجه ، فكان أول حاجة سأله
أن يطرح لباس الخضرة ، ويرجع إلى لبس السواد وزيّ دولة الآباء ؛ فلما رأى
طاعة الناس له في لبس الخضرة وكراهتهم لها ، وجاء السبب قعد لم وعليه
ثياب خضُر ، فلما اجتمعوا عنده دعا بسواد فلبسه ، ودعا بخلعة سواد
فألبسها طاهراً ، ثم دعا بعدة من قوَادِه ، فألبسهم أقبية وقلانس سوداً^(١) ؛ فلما
خرجوا من عنده وعليهم السواد ، طرح سائر القواد والخدم لبس الخضرة ، ولبسوا
السواد ، وذلك يوم السبت لسبع بقين من صفر .

وقد قيل : إن المأمون لبس الثياب الخضراء بعد دخوله بغداد سبعة وعشرين ،
ثم مزقت .

وقيل : إنه لم يزل مقيماً ببغداد في الرصافة حتى بنى منازل على شطّ دجلة
عند قصره الأول ؛ وفي بستان موسى .

و ذكر عن إبراهيم بن العباس الكاتب ، عن عمرو بن مسعدة ، أن أحمد
ابن أبي خالد الأحول قال : لما قدمنا من خراسان مع المأمون وصرنا في عقبة
حُلوان — وكنت زميله — قال لي : يا أحمد ، إني أجِد رائحة العراق ، فأجبتُ
بغير جوابه ، وقلت : ما أخلقه ! قال : ليس هذا جوابي ، ولكني أحسبك
سهوت أو كنت مفكراً ، قال : قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فيم فكرت ؟
قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، فكرت في هجيمنا على أهل بغداد وليس
معنا إلا خمسون ألف درهم ، مع فتنة غلبت على قلوب الناس ، فاستعذبوها ،
فكيف يكون حالنا إن هاج هائج ، أو تحرك متحرك ! قال : فأطرق ملياً ،
ثم قال : صدقت يا أحمد ، ما أحسن ما فكرت ؛ ولكني أخبرك ؛ الناس
على طبقات ثلاث في هذه المدينة : ظالم ، ومظلوم . ولا ظالم ولا مظلوم ؛ فأما
الظالم فليس يتوقع إلا عفونا وإمساكنا ، وأما المظلوم فليس يتوقع أن ينتصف
إلا بنا ، ومن كان لا ظالماً ولا مظلوماً فبيته يسعه . فوالله ما كان إلا كما قال .

(١) ط : « سواد » ، وما أثبتته من أ .

وأمر المأمون في هذه السنة بمقاسمة أهل السواد على الخمسين ؛ وكانوا يقاسمون على النصف ، واتخذ القفيز الملقب^(١) - وهو عشرة مكابيك بالملكوك الهاروني - كيلا مرسلًا .

* * *

وفي هذه السنة واقع يحيى بن معاذ بابك ، فلم يظفر واحد منهما بصاحبه . وولّى المأمون صالح بن الرشيد البصرة ، وولّى عبيد الله بن الحسن^(٢) بن عبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب الحرّمين .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن .

(١) ابن الأثير : « الملحم » .

(٢) ابن الأثير : « الحسين » .

ثم دخلت سنة خمس ومائتين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث *

• • •

[ولاية طاهر بن الحسين خراسان]

فمن ذلك تولية المأمون فيها طاهر بن الحسين من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق ؛ وقد كان قبل ذلك ولّاه الجزيرة والشرط وجانبى بغداد ومعاون السواد ، وقعد للناس .

• ذكر الخبر عن سبب توليته :

وكان سبب توليته إياه خراسان والمشرق ، ما ذكر عن حماد بن الحسن ، عن بشر بن غياث المريسى ، قال : حضرتُ عبدالله المأمون أنا وثمانية ومحمد ابن أبي العباس وعليّ بن الهيثم ، فتناظروا في التشيع ، فنصر محمد بن أبي العباس الإمامة ، ونصر عليّ بن الهيثم الزيدية ، وجرى الكلام بينهما ؛ إلى أن قال محمد لعلّى : يا نبطى ، ما أنت والكلام ! قال : فقال المأمون - وكان متكئاً - فجلس : الشتم عى ، والبذاء لؤم ؛ إنا قد أبحنا الكلام ، وأظهرنا المقالات ، فمن قال بالحق حمدناه ، ومن جهل ذلك وقَفناه ، ومن جهل الأمرين حكّمنا فيه بما يجب ؛ فاجعلا بينكما أصلاً ، فإنّ الكلام فروغ ؛ فإذا افرغتم شيئاً رجعتُم إلى الأصول . قال : فإنّا نقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وذكرنا الفرائض والشرائع في الإسلام ، وتناظرا بعد ذلك فأعاد محمد لعلّى بمثل المقالة الأولى ، فقال له عليّ : والله لولا جلالةُ مجلسه وما وهب الله من رأفته ، ولولا ما نهى عنه لأعرقْتُ جبينك ؛ وبحسبك من جهلك غُسْلُك المنبر بالمدينة :

قال : فجلس المأمون - وكان متكئاً - فقال : وما غُسْلُك المنبر ؟
المتصبر منى في أمرك أو لتقصير المنصور كان في أمر أبيك ؟ لولا أن الخليفة

• من هذا تبدأ المقابلة على نسخة د .

إذا وهب شيئاً استحي أن يرجع فيه لكان أقرب شئ بيبي وبينك إلى الأرض رأسك ، قم وإياك ما عدت .

١٠٤١/٣

قال : فخرج محمد بن أبي العباس ، ومضى إلى طاهر بن الحسين - وهو زوج أخته - فقال له : كان من قصتي كيت وكيت ؛ وكان يحجب المأمون على النيذ فتح الخادم ، ويأسر يتولى الخيل ، وحسين يسقى ، وأبو مريم غلام سعيد الجوهري يختلف في الحوائج . فركب طاهر إلى الدار ؛ فدخل فتح ، فقال : طاهر بالبواب ؛ فقال : إنه ليس من أوقاته ، ائذن له : فدخل طاهر فسلم عليه ، فردّ عليه السلام ، وقال : اسقوه رطلا ، فأخذه في يده اليمنى ، وقال له : اجلس ، فخرج فشربه ثم عاد ، وقد شرب المأمون رطلا آخر ، فقال : اسقوه ثانياً ، ففعل كفعله الأول ، ثم دخل ، فقال له المأمون : اجلس ، فقال يا أمير المؤمنين ؛ ليس لصاحب الشرطة أن يجلس بين يدي سيده ، فقال له المأمون : ذلك في مجلس العامة ، فأما مجلس الخاصة فطلق ، قال : وبكى المأمون ، وتغرغرت عيناه ، فقال له طاهر : يا أمير المؤمنين ؛ لم تبكى لا أبكى الله عينيك ! فوالله لقد دانت لك البلاد ، وأذن لك العباد ، وصرت إلى المحبة في كل أمرك . فقال : أبكى لأمر ذكره ذل ، وستره حزن ، ولن يخلو أحد من شجتن ؛ فتكلمت بحاجة إن كانت لك ، قال : يا أمير المؤمنين ، محمد بن أبي العباس أخطأ فأقلبه عثرته ، وارض عنه . قال : قد رضيت عنه ، وأمرت بصلته ، ورددت عليه مرتبته ؛ ولولا أنه ليس من أهل الأنس لأحضرته .

١٠٤٢/٣

قال : وانصرف طاهر ، فأعلم ابن أبي العباس ذلك ، ودعا بهارون بن جبغويه^(١) ؛ فقال له : إن للكتاب عشيرة ، وإن أهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض ؛ فخذ معك ثلثمائة ألف درهم ، فأعط الحسين الخادم مائتي ألف ، وأعط كاتبه محمد بن هارون مائة ألف ، وسلّمه أن يسأل المأمون : لم بكى ؟ قال : ففعل ذلك ، قال : فلما تغدّى قال : يا حسين اسقني ، قال : لا والله

(١) ط : « جبغويه » ، تصحيف ، وفي ابن الأثير : « جيمونه » .

لأَسْقِينَكَ أَوْ تَقُولُ لِي : لِمَ بَكَيْتَ حِينَ دَخَلَ عَلَيْكَ طَاهِر ؟ قَالَ : يَا حُسَيْن ، وَكَيْفَ عُسْنَيْتَ بِهَذَا حَتَّى سَأَلْتَنِي عَنْهُ ! قَالَ : لَعَنَتِي بِذَاكَ ، قَالَ : يَا حُسَيْنُ هُوَ أَمْرٌ إِنْ خَرَجَ مِنْ رَأْسِكَ قَتَلْتُكَ ، قَالَ : يَا سَيِّدِي ، وَمَتَى أَخْرَجْتُ لَكَ سِرًّا ! قَالَ : إِنِّي ذَكَرْتُ مُحَمَّدًا أَخِي ، وَمَا نَالَهُ مِنَ الذَّلَّةِ ، فَخَنَقْتَنِي الْعَبْسَةَ فَاسْتَرَحْتُ إِلَى الْإِفَاضَةِ ، وَلَنْ يَفُوتَ طَاهِرًا مَنِّي مَا يَكْرَهُ . قَالَ : فَأَخْبِرْ حُسَيْنَ طَاهِرًا بِذَاكَ ؛ فَرَكِبَ طَاهِرٌ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الثَّنَاءَ مَنِّي لَيْسَ بِرَخِيصٍ ، وَإِنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدِي لَيْسَ بِضَائِعٍ ، فغِيَّبَنِي عَنْ عَيْنِهِ ، فَقَالَ لَهُ : سَأَفْعَلُ ، فَبَكَرْتُ إِلَى غَدَا . قَالَ : فَرَكِبَ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا نَمَتُ الْبَارِحَةَ ، فَقَالَ : لِمَ وَبِحُكِّ ! فَقَالَ : لِأَنَّكَ وَلَيْتَ غَسَّانَ خُرَاسَانَ ، وَهُوَ وَمَنْ مَعَهُ أَكَلَتْهُ رَأْسُ ، فَأَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ عَلَيْهِ خَارِجَةٌ مِنْ التَّرِكِ فَتُصْطَلِمَهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ فَكَّرْتُ فِيهَا فَفَكَّرْتُ فِيهِ ، قَالَ : فَمَنْ تَرَى ؟ قَالَ : طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : وَيْلَكَ يَا أَحْمَدُ ! هُوَ وَاللَّهِ خَالِعٌ ، قَالَ : أَنَا الضَّامِنُ لَهُ ، قَالَ : فَأَنْفِذْهُ ، قَالَ : فَدَعَا بِطَاهِرٍ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَعَقَدَ لَهُ ؛ فَشَخَصَ مِنْ سَاعَتِهِ ، فَتَزَلَّ فِي بَسْتَانِ خَلِيلِ بْنِ هَاشِمٍ ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ١٠٤٢/٣ مَا أَقَامَ فِيهِ مِائَةَ أَلْفٍ . فَأَقَامَ شَهْرًا ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ عَشْرَةُ آلَافٍ أَلْفٍ ، الَّتِي تَحْمَلُ إِلَى صَاحِبِ خُرَاسَانَ .

قَالَ أَبُو حَسَانَ الزُّيَادِيُّ : وَكَانَ قَدْ عَقَدَ لَهُ عَلَى خُرَاسَانَ وَالْجِبَالِ مِنْ حُلَوَانٍ إِلَى خُرَاسَانَ ، وَكَانَ شَخْصُهُ مِنْ بَغْدَادَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سِتَّةَ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ ، وَقَدْ كَانَ عَسْكَرٌ قَبْلَ ذَلِكَ بِشَهْرَيْنِ ، فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي عَسْكَرِهِ . قَالَ أَبُو حَسَانَ : وَكَانَ سَبَبُ وَلايَتِهِ — فِيمَا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ — أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمُطَوَّعِيَّ جَمَعَ جَمُوعًا بَنِيْسَابُورَ لِيُقَاتِلَ بِهِمُ الْخُرُورِيَّةَ بِغَيْرِ أَمْرٍ إِلَى خُرَاسَانَ ، فَتَخَوَّفُوا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِأَصْلِ عَمَلِهِ عَلَيْهِ . وَكَانَ غَسَّانُ بْنُ عُبَادٍ يَتَوَلَّى خُرَاسَانَ مِنْ قِبَلِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَهْلٍ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ .

وَذَكَرَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ أَنَّ طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى خُرَاسَانَ وَوَلَايَتِهِ لَهَا ، نَدَبَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ سَهْلٍ لِلْخُرُوجِ إِلَى مُحَارَبَةِ نَصْرِ بْنِ شَيْثٍ ، فَقَالَ :

حاربتُ خليفة ، وسقتُ الخلافة إلى خليفة ، وأمر بمثل هذا ! وإنما كان ينبغي أن توجه لهذا قائداً من قوادى ؛ فكان سبب المصارمة بين الحسن وطاهر .

قال : وخرج طاهر إلى خراسان لما تولّاها ، وهو لا يكلم الحسن بن سهل ، ف قيل له في ذلك ، فقال : ما كنت لأحلّ عقدة عقدها لي في مصارمته .

١٠٤٤/٣

* * *

وفي هذه السنة ورد عبد الله بن طاهر بغداد منصرفاً من الرقة ، وكان أبوه طاهر استخلفه عليها ، وأمره بقتال نصر بن شبث ، وقدم يحيى بن معاذ فولّاه المأمون الجزيرة .

وفيهما ولّى المأمون عيسى بن محمد بن أبي خالد أرمينية وأذربيجان ومحاربة بابل .

وفيهما مات السريّ بن الحكم بمصر ، وكان واليها .

وفيهما مات داود بن يزيد عامل السند ، فولّاه المأمون بشر بن داود على أن يحمل إليه في كل سنة ألف ألف درهم .

وفيهما ولّى المأمون عيسى بن يزيد الجلودى محاربة الزطّ .

وفيهما شخص طاهر بن الحسين إلى خراسان في ذى القعدة ، وأقام شهرين حتى بلغه خروج عبد الرحمن النيسابورى المطوعى بنيسابور ، فشخص ووافى التغمغر غزيرة أشروسنة .

وفيهما أخذ فرج الرختجى عبد الرحمن بن عمار النيسابورى .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن ، وهو والى الحرمين .

ثم دخلت سنة ست ومائتين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك تولية المأمون داود بن ماسجور محاربة الزطّ وأعمال البصرة وكُور دجلة واليمامة والبحرين .

وفيهما كان المدّ الذي غرق منه السواد وكَسَّكر وقطيعه أم جعفر وقطيعه العباس وذهب بأكثرها .

وفيهما تَنَكَّبَ بابك بعيسى بن محمد بن أبي خالد .

[ولاية عبد الله بن طاهر على الرقة]

وفيهما ولَّى المأمون عبد الله بن طاهر الرقة لحرب نصر بن شَبَّث ومُضَر .

• ذكر الخبر عن سبب توليته إياه :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن يحيى بن معاذ كان المأمون ولأه الجزيرة؛ فمات في هذه السنة ، واستخلف ابنه أحمد على عمله ، فذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، أن المأمون دعا عبد الله بن طاهر في شهر رمضان ، فقال بعض : كان ذلك في سنة خمس ومائتين ، وقال بعض : في سنة ست . وقال بعض : في سنة سبع . فلما دخل عليه ، قال : يا عبد الله أستخير الله منذ شهر ، وأرجو أن يخبر الله لي ، ورأيت الرجل يصف ابنه ليظريه لرأيه فيه ، وليرفعه ، ورأيتك فوق ما قال أبوك فيك ، وقد مات يحيى ابن معاذ ، واستخلف ابنه أحمد بن يحيى ، وليس بشيء ، وقد رأيت توليتك مُضَر ومحاربة نصر بن شَبَّث ، فقال : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن يجعل الله الخيرة لأمر المؤمنين والمسلمين .

قال : فعقد له ، ثم أمر أن تقطع جبال القصارين عن طريقه ، وتُنحَى عن الطرقات المظال ، كيلا يكون في طريقه ما يردّ لواءه ، ثم عقد له لواء

مكتوباً عليه بصُفْرَةٍ ما يكتب على الألوية ؛ وزاد فيه المأمون : « يا منصور » ،
 وخرج معه الناس فصار إلى منزله ؛ ولما كان من غدٍ ركب إليه الناس ،
 وركب إليه الفضل بن الربيع ؛ فأقام عنده إلى الليل ؛ فقام الفضل ، فقال
 عبد الله : يا أبا العباس ، قد تفضلت وأحسن ، وقد تقدّم أبى وأخوك إلى
 ألا أقطع أمراً دونك ، وأحتاج أن أستطلع رأيك ، وأستضيء بمشورتك ؛ فإن
 رأيت أن تقيم عندي إلى أن نُفطر فافعل .

فقال له : إن لي حالات ليس يمكنني معها الإفطار ها هنا . قال : إن
 كنت تكره طعام أهل خراسان فابعث إلى مطبخك يأتون بطعامك ، فقال له :
 إن لي ركعات بين العشاء والعَتَمَة ، قال : ففي حفظ الله ؛ وخرج معه إلى
 صحن داره يشاوره في خاصّ أموره .

وقيل : كان خروج عبد الله الصحيح إلى مَضر ؛ لقتال نصر بن شبث
 بعد خروج أبيه إلى خراسان ، بستة أشهر .

• • •

[وصية طاهر إلى ابنه عبد الله]

وكان طاهر حينَ ولى ابنه عبد الله ديار ربيعة ، كتب إليه كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

عليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه
 وحفظ رعيّتك ، والزّم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر
 إليه ؛ وموقوف عليه ، ومستول عنه ؛ والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ،
 وينجّيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه ؛ فإنّ الله قد أحسن إليك وأوجب
 عليك الرّافة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام
 بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وببئسهم ، والحقن
 لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وإدخال الرّاحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك
 بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومُساثلك عنه ، ومُشيبك عليه بما قدّمت

وَأَخَّرْتَ ؛ ففَرَّغْ لذلِكَ فِكْرَكَ وَعَقْلَكَ وَبَصْرَكَ وَرُؤْيَيْكَ ، وَلَا يَذْهَبْ هَلِكٌ ^(١) عَنْهُ ذَاهِلٌ ، وَلَا يَسْخَعُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ ، وَمِيْلَاكُ شَأْنِكَ ، وَأَوَّلُ مَا يُوَفِّقُكَ اللَّهُ بِهِ لِرَشْدِكَ .

وَلِيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَلْزِمُ بِهِ نَفْسَكَ ، وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ فَعَالِكَ ؛ الْمَوَاطَبَةُ عَلَى مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا بِالنَّاسِ قَبْلَكَ فِي مَوَاقِيتِهَا عَلَى سَنَنِهَا ؛ فِي إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ لَهَا ، وَافْتِتَاحِ ذِكْرِ اللَّهِ فِيهَا . وَتِرْتِلُ فِي قِرَاءَتِكَ ، وَتَمَكُّنُ فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ وَتَشْهَدُ فِيهَا لِرَبِّكَ نَبِيَّتُكَ ^(٢) .

وَاحْضِضْ عَلَيْهَا جَمَاعَةَ مَنْ مَعَكَ وَتَحْتَ يَدِكَ ، وَادَّأَبْ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا تَتَأَمَّرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْتَهِي عَنِ الْمُنْكَرِ . ثُمَّ اتَّبِعْ ذَلِكَ الْأَخْذَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَثَابَةَ عَلَى خُلَاتِقِهِ ، وَاقْتِنَاءَ آثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ وَتَزَوُّمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ؛ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، وَاتِّمَامِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ قُمْ فِيهِ بِمَا يَحِقُّ لِلَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَا تَمِيلْ عَنِ الْعَدْلِ فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ لِقُرْبِ مَنْ النَّاسُ أَوْ بَعِيدَ . وَآثَرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ ، وَالِدَيْنِ وَحَمَلَتَهُ ، وَكِتَابَ اللَّهِ وَالْعَامِلِينَ بِهِ ؛ فَإِنْ أَفْضَلَ مَا تَزَيَّنَّ بِهِ الْمَرْءُ الْفَقْهُ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَالطَّلَبَ لَهُ ، وَالْحَثَّ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِمَا يَتَقَرَّبُ فِيهِ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالْقَائِدُ لَهُ ، وَالْأَمْرُ بِهِ ، وَالنَّاهِي عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمُؤَبِّقَاتِ كُلِّهَا . وَبِهَا مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَزْدَادُ الْعِبَادُ مَعْرِفَةً بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِجْلَالًا لَهُ ، وَدُرُكًا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَا فِي الْمَعَادِ ؛ مَعَ مَا فِي ظَهْوَرِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْقِيرِ لِأَمْرِكَ ، وَالْهَيْبَةِ لِسُلْطَانِكَ ، وَالْأَنْسَةِ بِكَ وَالثِّقَةِ بِعَدْلِكَ .

وَعَلَيْكَ بِالْاِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعًا ، وَلَا أَحْضَرَ ^(٣) أَمْنًا ، وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْ الْقَصْدِ ، وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ . وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْفِيقِ . وَالتَّوْفِيقُ مَقَادٌ إِلَى السَّعَادَةِ . وَقَوَامُ الدِّينِ وَالسَّنَنِ الْهَادِيَةِ بِالْاِقْتِصَادِ ،

(١) ذَهَلَتْ عَلَى الشَّيْءِ : غَفِلَتْ ، وَقَدْ يَتَعَدَّى بِغَسَبٍ .

(٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَلِيَصْدُقَ فِيهِ رَأْيُكَ وَنَبِيِّكَ » .

(٣) ابْنُ الْأَثِيرِ : « أَخْصَرُ » .

فآثره في دنياك كلها ، ولا تقصّر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ، ومعالم الرشد فلا غاية للاستكثار من البرّ والسعي له ؛ إذا كان يُطلب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه في دار كرامته .

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العزّ ، ويحصّن من الذنوب ، وإنك لن تحوط نفسك ومنّ يليك ، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه ، فأنه واحتدّ به ، تمّ أمورك ، وتزدد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك .

وأحسن الظنّ بالله عزّ وجلّ تستقمّ لك رعيّتك ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلّها تستدم به النعمة عليك ؛ ولا تُنهض^(١) أحداً من الناس فيما تولّيه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ؛ فإنّ إيقاع التهم بالبرّاء^(٢) والظنون السيئة بهم مأثم . واجعل من شأنك حسن الظنّ بأصحابك ، واطرد عنهم سوء الظنّ بهم ، وارفضه عنهم يُعنك^(٣) ذلك على اصطناعهم ورياضتهم . ولا يجدنّ عدو الله الشيطان في أمرك مغمزاً ، فإنه إنما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغمّ في سوء الظنّ ما ينغصك لذادة عيشك .

١٠٥٠/٣

واعلم أنك تجد بحسن الظنّ قوةً وراحة ، وتكفي به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى محبتك والاستقامة في الأمور كلّها لك . ولا يمنعك حسن الظنّ بأصحابك والرأفة برعيّتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأموال الأولياء ، والحياطة للرعيّة والنظر فيما يقيمها ويصلحها ؛ بل لتكن المباشرة لأموال الأولياء والحياطة للرعيّة والنظر في حوائجهم وحمل مؤناتهم آثر عندك مما سوى ذلك ؛ فإنه أقوم للدين ، وأحب للسنة .

وأخلص نيّتك في جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ، ومجزئ بما أحسن ، ومأخوذ بما أساء ؛ فإن الله جعل الدين حرزاً وعزاً ، ورفع من اتبعه وعزّه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى . وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم ، وما استحقّوه . ولا تعطلّ ذلك ولا تهاون به . ولا تؤخّر عقوبة أهل العقوبة ؛ فإنّ في تفريطك

(٢) ابن الأثير : « بالبداء » .

(١) ابن الأثير : « ولا تهجن » .

(٣) ابن الأثير : « ينعك » .

فى ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك .

واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب الشبهة والبعدات ،
يسلم لك دينك ، وتقم لك مروءتك . وإذا عاهدت عهداً فف به ، وإذا
وعدت الخير فأنجزه ؛ وأقبل الحسنة ، وادفع بها ، واغمض عن عيب كل
١٠٥١/٣ ذى عيب من رعيته ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهله ،
وأقص أهل النعمة ؛ فإن أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها تقرب
الكذوب والجرأة على الكذب ؛ لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنعمة
خاتمها ؛ لأن النعمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا
يستقيم لمطيعها أمر .

وأحب أهل الصدق والصلاح ، وأعن الأشراف بالحق ، وواصل
الضعفاء ، وصل الرّحم ، وابتنع بذلك وجه الله وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه
والدار الآخرة .

واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك
من ذلك لرعيته ؛ وأنعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى
تتهى بك إلى سبيل الهدى . واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوفاق والحلم ،
وإيمانك والحدة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله .

وإياك أن تقول إننى مسلط أفعل ما أشاء ؛ فإن ذلك سريع فيك إلى نقص
الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له . وأخلص لله النية فيه واليقين به ؛
واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة
١٠٥٢/٣ وحلول النعمة إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط
لهم فى الدولة إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله .
ودع عنك شره نفسك . ولتكن ذخائك وكذكرك التى تدخر وتكثر البر والتقوى
والمعدلة واستصلاح الرعية ، وعمارة بلادهم ، والتفقد لأمرهم ، والحفظ
لدهماتهم ، والإغاثة للمهوفهم .

واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت فى الخزائن لا تثمر ؛ وإذا كانت
فى إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وربت ، وصالححت

به العامة ، وتزيت الولاة ، وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العز والمسنعة ؛ فليكن كثر خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعييتك من ذلك حصصهم ، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم ؛ فإنك إذا فعلت ذلك قررت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعييتك وملك أقدر ، وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب أنفساً لكل ما أردت .

١٠٥٣/٣

فاجهد^(١) نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ، ولتعظم حسبتك^(٢) فيه ؛ فإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه ، واعرف للشاكرين شكرهم وأنبهم عليه . وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك ؛ فإن التهاون يوجب التفريط ، والتفريط يورث البوار . وليكن عمالك لله وفيه تبارك وتعالى ، وارح الثواب ؛ فإن الله قد أسبغ عليك نعمته في الدنيا ، وأظهر لديك فضلته ؛ فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد يزدك الله خيراً وإحساناً ، فإن الله يشيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ؛ وقض الحق فيما حمل من النعم ، والبس من العافية والكرامة . ولا تحقر ذنباً ، ولا تمايلن حاسداً ، ولا ترحمن فاجراً ، ولا تصلن كنفوراً ، ولا تداهنن عدواً ، ولا تصدقن تماماً ، ولا تأمنن غداراً ؛ ولا توالين فاسقاً ، ولا تتبعن غاوي^(٣) ، ولا تحمدن مرائياً ، ولا تحقرن إنساناً ، ولا تردن سائلاً فقيراً ، ولا تجبن^(٤) باطلاً ، ولا تلاحظن مضحكاً ، ولا تخلفن وعداً ، ولا ترهبن فجعراً^(٥) ، ولا تعملن غضباً ، ولا تأتين بذخاً ، ولا تمشين مَرَحاً^(٦) ، ولا تركبن سفهاً ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عياناً^(٧) . ولا تغمضن عن الظالم رهبة أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدنيا . وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة :

١٠٥٤/٣

-
- (١) ابن الأثير : « واجهد » .
 (٢) ابن الأثير : « ولا تنسين عادياً » .
 (٣) ابن الأثير : « ولا تنسين عادياً » .
 (٤) ابن الأثير : « ولا تنسين عادياً » .
 (٥) ابن الأثير : « ولا تنسين عادياً » .
 (٦) ابن الأثير : « ولا تنسين عادياً » .
 (٧) ابن الأثير : « ولا تدفع الأيام عياناً » .

ولا تُدخلنَّ في مشورتك أهل الدقة^(١) والبخل ، ولا تسمعنَّ لهم قولاً ؛ فإنَّ ضررهم أكثر من منفعتهم . وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح . واعلم أنك إذا كنت حريصاً كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ؛ وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ؛ فإن رعيتك إنما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ، ويدوم صفاء أولياتك لك بالإفضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه ، وأن العاصي بمنزلة خزي ؛ وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٢) ؛ فسهل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظاً ونصيباً ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فاعدهه لنفسك خلقاً ، وارض به عملاً ومذهباً .

١٠٥٥/٣

وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبتهم ، وأدرر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم في معاشهم ؛ ليذهبَ بذلك الله فاقنتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً ، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وإنصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته ؛ فزایل مكروه إحدى البائتين باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به تلقى إن شاء الله نجاحاً وصلاً وفلاحاً .

واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذى تعتدل عليه الأحوال فى الأرض ، وبإقامة العدل فى القضاء والعمل ، تصلح الرعية ، وتأمّن السبل ، وينتصف المظلوم ، يأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ، ويؤدّى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل فى القضاء .

واشتدّ فى أمر الله ، وتورّع عن التطفّ^(٣) وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وأبعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسّم ، ولتسكن ريحك ، ويقرّ جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، واسدد فى منطقتك ، وأنصف الخصم ،

١٠٥٦/٣

(١) ابن الأثير : « أهل الدقة » .

(٢) سورة التباين ١٦ .

(٣) التطف : العيب والفساد ، وفى ابن الأثير « النقص » .

وقف عند الشبهة ، وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحدٍ من رعيّتك محابة ولا محاماة ، ولا لوم لائمه ، وثبتت وتأنّت ، وراقب وانظر ، وتدبّر وتفكر ، واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسأط الحقّ على نفسك^(١) ، ولا تُسرعن إلى سفك دم — فإن الدماء من الله بمكان عظيم — انتهاكاً لها بغير حقها .

وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعيّة، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة، ولأهله سعة^(٢) ومنّعة ، ولعدوّه وعدوهم كسباً وغيظاً ، ولأهل الكفر من معاهدتهم^(٣) ذلاً وصغاراً، فوزّعه بين أصحابه بالحقّ والعدل ، والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، وعن غنى لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصّتك . ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ، ولا تكلفن أمراً فيه شطط . وأحمل الناس كلّهم على مرّ الحق ؛ فإنّ ذلك أجمع لألفتهم^(٤) وألزم لرضا العامة . واعلم أنّك جعلت بولايتك خزانة وحافظاً وراعياً ، ولما تُمّتي أهل عملك رعيّتك ؛ لأنك راعيهم وقيّمهم ؛ تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم ، وتنفقه في قوام أمرهم وصلاتهم ، وتقويم أودهم ؛ فاستعمل عليهم في كُور عملك ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ، ووسّع عليهم في الرزق ؛ فإنّ ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل ، ولا يصرفنك عنه صارف ؛ فإنك متى آثرته وقُمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربّك ، وحسن الأحداث في أعمالك ، واحترزت النصيحة^(٥) من رعيّتك ، وأعنت على الصلاح ، فدرت الخيرات ببلك ، وفشت العمارة بناحيّتك ، وظهر الخصب في كُورك ، فكثّر خراجك ، وتوفّرت أموالك ، وقويت بذلك على ارتباط جندك ، وإرضاء العامة بإقامة^(٦) العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضى العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها

١٠٥٧/٣

(١) ابن الأثير : « فسلط الحق على نفسك » .

(٢) ابن الأثير : « توسعة » .

(٣) ابن الأثير : « من معانديهم » .

(٤) ابن الأثير : « لأنهم » .

(٥) ابن الأثير : « المحبة » .

(٦) ابن الأثير : « يا فاضة » .

ذا عدل وقوة ، وآلة وعدة ، فنافس في هذا ولا تقدم عليه شيئاً تحمد مغبة
أمرك إن شاء الله .

واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب
إليك بسيرتهم وأعمالهم ؛ حتى كأنك مع كل عامل في عمله ، معين لأمره
كأنه . وإن أردت أن تأمره بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ؛ فإن
رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فأمره ؛
ولا فتوقف عنه . وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ؛ فإنه ربما
نظر الرجل في أمر من أمره قد واتاه^(١) على ما يهوى ، فقواه^(٢) ذلك وأعجبه ،
وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ، ونقض عليه أمره .

فاستعمل الخزم في كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر
استخارة ربك في جميع أمورك ، وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك ؛
وأكثر مباشرته بنفسك ؛ فإن لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي
أخرت . واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا أخرت عمله اجتمع
عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تعرض عنه ؛ فإذا أمضيت لكل يوم
عمله أرحمت نفسك وبدتك ، وأحكمت أمور سلطانتك .

وانظر أحرار الناس وذوي الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم
وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ؛ فاستخلصهم
وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل
مؤنتهم ، وأصلح حالهم ؛ حتى لا يجدوا خللتهم^(٣) مساً . وأفرد نفسك للنظر في
أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك . والمحقر الذي
لا علم له بطلب حقه ؛ فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح
من رعيّتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله
أمرهم . وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت
المال اقتداءً بأمر المؤمنين أعزّه الله ، في العطف عليهم ، والصلة لهم ، ليصلح

(١) ابن الأثير : « أتاه » .

(٢) ابن الأثير : « فأغواه » .

(٣) الخلة : الحاجة .

الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة . وأجّر للأضرّاء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية^(١) على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقوّاماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ما لم يؤدّ ذلك إلى سرف في بيت المال . واعلم أنّ الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيتهم لم يرضهم ذلك ، ولم تطيب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولائهم طمعاً في نيل الزيادة ، وفصل الرفق منهم ، وربما يرم^(٢) المتصفح لأموار الناس لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه منها ما يناله به مؤنة ومشقة ؛ وليس من يرغب في العدل ، ويعرف محاسن أموره في العاجل وفصل ثواب الآجل ؛ كالذي يستقبل ما يقربه إلى الله ، ويلتمس رحمته به . وأكثر الإذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك^(٣) ، واخفض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، ولين لهم في المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجمودك وفضلك ؛ وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر غير مكدر ولا منان ؛ فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله .

١١٦٠/٣

واعبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأُمم البائدة ؛ ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه ؛ واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ، ودعا إلى سخط الله . واعرف ما يجمع محاللك من الأموال وينفقونها منها . ولا تجمع حراماً ، ولا تنفق إسرافاً ، وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم . وليكن هواك اتباع السن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليتها ؛ وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سرّ ، وإعلامك ما فيه من النقص ؛ فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك .

وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ؛ فوقت لكل رجل منهم في كل

(٢) ابن الأثير : « تبرم » .

(١) ابن الأثير : « الجراية » .

(٣) ابن الأثير : « حراسك » .

يوم وقتاً يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامره ، وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك ، وكرر النظر إليه والتدبير له ؛ فما كان موافقاً للحزم والحق فأمضه واستخر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه ، والمسألة عنه .

ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من أحد منهم إلاّ الوفاء والاستقامة والعاون في أمور أمير المؤمنين ، ولا ترضعن المعروف إلاّ على ذلك .

وتفهم كتابي إليك ، وأكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ؛ وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله رضاً ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ؛ وللذمة والملة عدلاً وصلاًحاً .

وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك^(١) ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ؛ حتى يجعلك أفضل مثلك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسأهم ذكراً ، وأمرأ ، وأن يهلك عدوك ومن نأواك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك وسأوسه ، حتى يستعلي أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه قريب مجيب .

* * *

وذكر أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه ، وتدارسوه وشاع أمره ؛ حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه ، فقال : ما بقى أبو الطيّب شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلاّ وقد أحكمته ، وأوصى به وتقدم ؛ وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال .

وتوجه عبد الله إلى عمله فسار بسيرته ، واتبع أمره وعمل بما عهد إليه .

(١) ابن الأثير : « وكلاءك » .

وفي هذه السنة ولّى عبد الله بن طاهر إسحاق بن إبراهيم الجسرّين ، وجعله خليفته على ما كان طاهر أبوه استخلفه فيه من الشرط وأعمال بغداد ؛ وذلك حين شخص إلى الرقة للحرب نصر بن شبث .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن ؛ وهو والى الحرمين .

ثم دخلت سنة سبع ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر خروج عبد الرحمن بن أحمد العلوي باليمن]

فمن ذلك خروج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عك من اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم .

• ذكر الخبر عن سبب خروجه :

وكان السبب في خروجه أن العمال باليمن أساءوا السيرة ، فبايعوا عبد الرحمن هذا ، فلما باغ ذلك المأمون وجهه إليه دينار بن عبد الله في عسكر كثيف ، وكتب معه بأمانه ، فحضر دينار بن عبد الله الموسم وحج ، فلما فرغ من حجة سار إلى اليمن حتى أتى عبد الرحمن ، فبعث إليه بأمانه من المأمون ؛ فقبل ذلك ، ودخل ووضع يده في يد دينار ، فخرج به إلى المأمون ، فنع المأمون عند ذلك الطالبين من الدخول عليه ، وأمر بأخذهم بلبس السواد ؛ وذلك يوم الخميس لليلة^(١) بقيت من ذى القعدة .

• • •

[ذكر الخبر عن وفاة طاهر بن الحسين]

وفى هذه السنة كانت وفاة طاهر بن الحسين .

• ذكر الخبر عن وفاته :

ذكر عن مطهر بن طاهر ، أن وفاة ذى اليمينين كانت من حمى وحرارة أصابته ، وأنه وجد في فراشه ميتاً .

(١) ابن الأثير : « لليلتين » .

وذكر أن عمّيه عليّ بن مصعب وأخاه أحمد بن مصعب ، صارا إليه
يعودانه ، فسألا الخادم عن خبره - وكان يغلس^(١) بصلاة الصّبح - فقال
الخادم : هونا ثم لم ينتبه ، فانتظراه ساعة ، فلما انبسط الفجر ، وتأخّر عن
الحركة في الوقت الذي كان يقوم فيه للصلاة ، أنكرا ذلك ، وقالا للخادم :
أيقظنه ، فقال الخادم : لست أجسرُ على ذلك ، فقالا له : اطرق لنا لندخل
إليه ، فدخلوا فوجداه ملتفّاً في دُواج^(٢) ، قد أدخله تحته ، وشده عليه من
عند رأسه ورجليه ، فحركاه فلم يتحرك ، فكشفا عن وجهه فوجداه قد مات .
ولم يعلما الوقت الذي توفّي فيه ، ولا وقف أحد من خدمه على وقت وفاته ؛
وسألا الخادم عن خبره وعن آخر ما وقف عليه منه ؛ فذكر أنه صلى المغرب
والعشاء الآخرة ، ثم التفت في دُواجه . قال الخادم : فسمعتُه يقول بالفارسية
كلاماً وهو «دِرْ مَرْدِي وَيَنْدَ» ؛ تفسيره أنه يحتاج في الموت أيضاً
إلى الرّجّلة .

١٠٦٤/٣

وذكر عن كلثوم بن ثابت بن أبي سعد - وكان يكنى أبا سعدة -
قال : كنت على برّيد خراسان ، ومجلسي يوم الجمعة في أصل المنبر ، فلما
كان في سنة سبع ومائتين ، بعد ولاية طاهر بن الحسين بسنتين ، حضرت الجمعة ،
فصعد طاهر المنبر ، فخطب ، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدّعاء
له ، فقال : اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك ، واكفها مؤونة
منّ بغى فيها ، وحشد عليها ، بلمّ الشعث ، وحقن الدّماء ، وإصلاح ذات
البين . قال : فقلت في نفسي : أنا أوّل مقتول ؛ لأنّي لا أكمّ الخبر ؛ فانصرفت
واغتسلت بغسل الموتى ، وائتررت بإزار الموتى ، ولبست قميصاً ، وارتديت
رداء ، وطرحت السواد ، وكتبت إلى المأمون . قال : فلما صلى العصر دعاني ،
وحدث به حادث في جفن عينه وفي مآقه ، فخرّ ميتاً . قال : فخرج طلحة
ابن طاهر ، فقال : ردّوه ردّوه - وقد خرجت - فردّوني ، فقال : هل كتبت

(١) يغلس بالصّبح : يصلي في النّس : وهو آخر طلعة ليل .

(٢) الدّواج : كرمات وغراب .

بما كان ؟ قلت : نعم ، قال : فاكتب بوفاته ، وأعطاني خمسمائة ألف ومائتي ثوب ، فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بالجيش .

قال : فوردت الخريطة على المأمون بخلعه غدوة ، فدعا ابن أبي خالد فقال له : اشخص : فأت به — كما زعمت ، وضمنت — قال : أبيت ليلتي ، قال : لا لعمري لا تبئت إلا على ظهرك . فلم يزل يناشده حتى أذن له في المبيت . قال : ووافت الخريطة بموته ليلاً ، فدعاه فقال : قد مات ، فن ترى ؟ قال : ابنه طلحة ، قال : الصواب ما قلت ، فاكتب بتوليته . فكتب بذلك ، وأقام طلحة والياً على خراسان في أيام المأمون سبع سنين بعد موت طاهر ، ثم توفي ، وولى عبد الله خراسان — وكان يتولى حرب بابك — فأقام بالدينور ، ووجه الجيوش ، ووردت وفاة طلحة على المأمون ؛ فبعث إلى عبد الله يحيى بن أكرم يعزيه عن أخيه ويهنئه بولاية خراسان ، وولى على بن هشام حرب بابك . وذكر عن العباس أنه قال : شهدت مجلساً للمأمون ، وقد أتاه نعي الطاهر ، فقال : للبدن وللهم ! الحمد لله الذي قدّمه وأخّرنا .

وقد ذكر في أمر ولاية طلحة خراسان بعد أبيه طاهر غير هذا القول ؛ والذي قيل من ذلك ، أن طاهراً لما مات — وكان موته في جمادى الأولى — وثب الجند ، فانهبوا بعض خزائنه ، فقام بأمرهم سلام الأبرش الحصى ، فأمر فأعطوا رزق ستة أشهر . فصيّر المأمون عمله إلى طلحة خليفة لعبد الله بن طاهر ؛ وذلك أن المأمون ولى عبد الله في قول هؤلاء بعد موت طاهر عمل طاهر كله — وكان مقيماً بالرقّة على حرب نصر بن شبث — وجمع له مع ذلك الشام ، وبعث إليه بعهدده على خراسان وعمل أبيه ؛ فوجه عبد الله أخاه طلحة بخراسان ، واستخلف بمدينة السلام إسحاق بن إبراهيم ، وكاتب المأمون طلحة باسمه ، فوجه المأمون أحمد بن أبي خالد إلى خراسان للقيام بأمر طلحة ، فشخص أحمد إلى ما وراء النهر ، فافتتح أشروسنة ، وأسر كاوس بن خاراخره وابنه الفضل ، وبعث بهما إلى المأمون ، ووهب طلحة لابن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألني ألف ، ووهب لإبراهيم بن العباس كاتب أحمد بن أبي خالد خمسمائة ألف درهم .

١٠٦٥/٣

١٠٦٦/٣

وفي هذه السنة غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز
من الحنطة بالهاروني أربعين درهماً إلى الخمسين بالقفيز الملعج .

وفي هذه السنة ولَّى موسى بن حفص طبرستان والرويان ودُنْباوند .

• • •

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو عيسى بن الرشيد .

تم دخلت سنة ثمان ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك مصير الحسن بن الحسين بن مصعب من خراسان إلى كرمان ممتنعاً بها ، ومصير أحمد بن خالد إليه حتى أخذه ، فقدم به على المأمون ، فعفا عنه .

وفيهما ولّى المأمون محمد بن عبد الرحمن المخزومي قضاء عسكر المهدي في المحرم .

وفيهما استعفى محمد بن سماعة القاضي من القضاء فأعفى ، وولّى مكانه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة .

وفيهما عزل محمد بن عبد الرحمن عن القضاء بعد أن وليه فيها في شهر ربيع الأول ، وولّيه بشر بن الوليد الكندي ، فقال بعضهم :

يا أيها الملك الموحدُ ربُّهُ	قاضيكَ بشرُ بنُ الوليدِ حِمَارُ	١٠٦٧/٣
ينفي شهادةً من يدينُ بما به	نطقَ الكتابُ وجاءتِ الأخبارُ	
وبعدُ عدلاً من يقولُ بأنَّهُ	شيخٌ يحيطُ بجسمه الأقطارُ	

ومات موسى بن محمد المخلوع في شعبان ، ومات الفضل بن الربيع في ذي القعدة .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالح بن الرشيد .

ثم دخلت سنة تسع ومائتين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[خبر الظفر بنصر بن شيبث]

فمن ذلك ما كان من حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شيبث وتضييقه عليه ؛ حتى طلب الأمان ، فذكر عن جعفر بن محمد العامري أنه قال : قال المأمون لثُمَامَة : ألا تدلّني على رجل من أهل الجزيرة له عقل وبيان ومعرفة ، يؤدّي عني ما أوجته به إلى نصر بن شيبث ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، رجل من بني عامر يقال له جعفر بن محمد ، قال له : أحضرني ، قال جعفر : فأحضرت ثُمَامَة ، فأدخلني عليه ، فكلّمتني بكلام كثير ، ثم أمرني أن أبلغه نصر بن شيبث . قال : فأتيت نصيراً وهو بكفر عزّون بسروج ، فأبلغته رسالته ، فأذعن وشرط شروطاً ، منها ألا يظاً له بساطاً . قال : فأتيت المأمون فأخبرته ، فقال : لا أجيبه والله إلى هذا أبداً ، ولو أفضيت إلى بيع قميصي حتى يظاً بساطي ؛ وما باله ينفر منّي ! قال : قلت : لجرّمه وما تقدّم منه ، فقال : أترأه أعظم جرماً ؟ عندي من الفضل بن الربيع ومن عيسى بن أبي خالد ! أتدري ما صنع بي الفضل ! أخذ قوادي وجنودى وسلاحى وجميع ما أوصى به لي أبي ، فذهب به إلى محمد وتركني بمرو وحيداً فريداً وأسلمني ، وأفسد على أخي ؛ حتى كان من أمره ما كان ؛ وكان أشدّ علىّ من كلّ شيء . أتدري ما صنع بي عيسى بن أبي خالد ! طرد خليفتي من مدينتي ومدينة آبائي ، وذهب بخراجي وفيتي ، وأخرب علىّ ديارى ، وأفعد إبراهيم خليفة دوق ، ودعاها باسمي . قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في الكلام فأتكلم ؟ قال : تكلم ، قلت : الفضل بن الربيع رضي عنكم ومولاكم ، وحال سلفه حالكم . وحال سلفكم حاله ، ترجع عليه بضروب كلّها تردّك إليه ، وأما عيسى بن أبي خالد فرجل

١٠٦٨/٣

من أهل دولتك ، وسابقته وسابقة مَن مضى من سلفه سابقتهم ^(١) ترجع عليه بذلك ؛ وهذا رجل ^(٢) لم تكن له يد قطّ فيُحتملُ عليها ، ولا لمن مضى من سلفه ؛ إنما كانوا من جند بني أمية . قال : إن كان ذلك كما تقول ، فكيف بالحنق والغيط ؛ ولكني لست أقنع عنه حتى يبطأ بساطي ، قال : فأثبت نصراً فأخبرته بذلك كله ، قال : فصاح بالخليل صيحة فجالت ، ثم قال : ويلي عليه ! هو لم يقوَ على أربعمائة ضفدع تحت جناحه — يعني الزط — يقوى على حلبة العرب !

فذكر أن عبد الله بن طاهر لما جاده القتال وحصره وبلغ منه ، طلب الأمان فأعطاه ، وتحول من معسكره إلى الرقة سنة تسع ومائتين ، وصار إلى عبد الله بن طاهر ، وكان المأمون قد كتب إليه قبل ذلك بعد أن هزم عبد الله ابن طاهر جيوشه كتاباً يدعو به إلى طاعته ومفارقة معصيته ، فلم يقبل ، فكتب عبد الله إليه — وكان كتاب المأمون إليه من المأمون كتبه عمرو بن مسعدة :

أما بعد ؛ فإنك يا نصر بن شبث قد عرفت الطاعة وعزها وبرد ظلمها وطيب مررتها وما في خلافتها من الندم والخسار ، وإن طالبت مدة الله بك ، فإنه إنما يُعلى لمن يلتمس مظاهر الحجة عليه لتقع عبرته بأهلها على قدر إصرارهم ^(٣) . واستحقاقهم . وقد رأيت إذكارك وتبصيرك لما رجوت أن يكون لما أكتب به إليك موقع منك ؛ فإن الصدق صدق والباطل باطل ؛ وإنما القول بمخارجه وبأهله الذين يُعصون به ، ولم يعاملك من عمال أمير المؤمنين أحد أنفع لك في مالك ودينك ونفسك ، ولا أحرص على استنقاذك والانتياش لك من خطائك مني ؛ فبأيّ أول أو آخر أو سيطرة أو إمرة لإقدامك يا نصر على أمير المؤمنين ! تأخذ أمواله ، وتتولى دونه ما ولّاه الله ، وتريد أن تبيت آمناً أو مطمئناً ، أو وادعاً أو ساكناً أو هادئاً ! فوعالم السر والظهر ، لمن لم تكن للطاعة مراجعاً وبها خانعاً ، لتستوبلن وختم العاقبة ؛ ثم لأبدأن بك قبل كل عمل ، فإن قرون الشيطان ^(٤) ، إذا لم تُقطّع كانت في الأرض فتنة وفساداً

(٢) ابن الأثير : « وأما نسر فرجل » .

(٤) ف . « الشياطين » .

(١) ابن الأثير : « معروفة » .

(٣) ف . « احترارهم » .

كبيراً ، ولأطاناً بمن معي من أنصار الدولة كواهل رعايا أصحابك ، ومن تأشَّب^(١) إليك من أداني البلدان وأقاصيها وطغامها وأوباشها ، ومن انضوى إلى حوزتك من خُراب الناس ، ومن لفظه بلده ، ونفته عشيرته ؛ لسوء موضعه فيهم . وقد أعذَرَ من أنذَرَ . والسلام .

١٠٧١/٣

وكان مقام عبد الله بن طاهر على نصر بن شبث محارباً له — فيما ذكر — خمس سنين حتى طلب الأمان ؛ فكتب عبد الله إلى المأمون يعلمه أنه حصره وضيق عليه ، وقتل رؤساء من معه ، وأنه قد عاذ بالأمان وطلبه ، فأمره أن يكتب له كتاب أمان ، فكتب إليه ، أماناً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ؛ فإن الإعذار بالحق حجة الله المقرون بها النصر ، والاحتجاج بالعدل دعوة الله الموصول بها العز ؛ ولا يزال المَعذِر بالحق ، المحتج بالعدل في استفتاح أبواب التأييد ، واستدعاء أسباب التمكين ؛ حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين ، ويمكِّن وهو خير الممكِّنين ؛ ولست تعدو أن تكون فيما لهجت به أحد ثلاثة : طالب دين ، أو ملتمس دنيا ، أو متهوراً يطلب الغلبة ظلماً ؛ فإن كنت للدين تسخى بما تصنع ، فأوضح ذلك لأمر المؤمنين يغتنم قبوله إن كان حقاً ، فلعمري ما همته الكبرى ، ولا غايته القصوى إلا الميل مع الحق حيث مال ، والزوال مع العدل حيث زال ؛ وإن كنت للدنيا تقصد ، فأعلم أمير المؤمنين غايته فيها ؛ والأمر الذي تستحقها به ؛ فإن استحققتها وأمكنه ذلك فعله بك . فلعمري ما يستجيز منع خلق ما يستحقه وإن عظم ، وإن كنت متهوراً فسبك في الله أمير المؤمنين مؤنتك ، ويعجل ذلك^(٢) ، كما عجل كفايته مؤن قوم سلكوا مثل طريقك كانوا أقوى يداً ، وأكثر جنداً ، وأكثر جمعاً وعدداً ونصراً منك ؛ فيما أصرهم إليه من مصارع الخاسرين . وأنزل بهم من جوائح الظالمين . وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وضمانه لك في دينه وذمته الصريح عن موالف جرائمك ، ومتقدّمات جرائمك ، وإنزالك ما تستأهل من منازل العز والرفعة إن أثبت وراجعت ؛ إن شاء الله . والسلام .

١٠٧٢/٣

(٢) ف : « ويعجل في ذلك » .

(١) ف : « ومن إليك » .

ولما خرج نصر بن شيث إلى عبد الله بن طاهر بالأمان هدم كيسوم
وخرّبها .

• • •

وفي هذه السنة ولّى المأمون صدقة بن عليّ المعروف بـزريق أرمينية وأذربيجان
ومحاربة بابل ، وانتدب للقيام بأمره أحمد بن الجعيد بن فرزندى الإسكافى ،
ثم رجع أحمد بن الجعيد بن فرزندى إلى بغداد ، ثم رجع إلى الحرّمية ، فأسره
بابل ، فولّى إبراهيم بن الليث بن الفضل التجيبى أذربيجان .

• • •

وحجّ بالناس فى هذه السنة صالح بن العباس بن محمد بن عليّ ، وهو ١٠٧٢/٣
والى مكة .

وفىها مات ميخائيل بن جورجس صاحب الروم ، وكان ملكه تسع
سنين ، وملك الروم عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل .

ثم دخلت سنة عشر ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك وصول نصر بن شُبَّث فيها إلى بغداد ، وجَّه به عبدالله بن طاهر إلى المأمون ، فكان دخوله إليها يوم الاثنين لسبع خلون من صفر ، فأنزله مدينة أبي جعفر ووكل به من يحفظه .

• • •

[ذكر الخبر عن ظفر المأمون بابن عائشة ورفقائه]

وفيها ظهر المأمون على إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، الذى يقال له ابن عائشة ومحمد بن إبراهيم الأفریقی ومالك بن شاهى وفرج البَغَوَارَى وَمَنْ كَانَ معهم مَنْ كَانَ يسعى فى البيعة لإبراهيم بن المهديّ ، وكان الذى أطلعه عليهم وعلى ما كانوا يسعون فيه من ذلك عمران القَطَرَبَشَى ؛ فأرسل إليهم المأمون يوم السبت — فيما ذكر — لخمس خلون من صفر سنة عشر ومائتين ؛ فأمر المأمون بإبراهيم بن عائشة أن يقام ثلاثة أيام فى الشمس على باب دار المأمون ، ثم ضربه يوم الثلاثاء بالسَّيَاط ، ثم حبسه فى المطبق ، ثم ضرب ^(١) مالك بن شاهى وأصحابه ، وكتبوا للمأمون أسماء مَنْ دخل معهم فى هذا الأمر من القَوَاد والجند ^(٢) وسائر الناس ، فلم يعرض المأمون لأحد ممن كتبوا له ؛ ولم يأمن أن يكونوا قد قذفوا ^(٣) أقراماً برأء ، وكانوا اتَّعلوا أن يقطعوا الجسر إذا خرج الجند يَتَلَقَوْنَ نصر بن شُبَّث ، فغُمِرَ بهم فأُخِذوا ، ودخل نصر بن شُبَّث بعد ذلك وحده ؛ ولم يوجَّه إليه أحدٌ من الجند ، فأُنزل عند إسحاق بن إبراهيم ، ثم حوّل إلى مدينة أبي جعفر .

١٠٧٤/٣

• • •

(٢) ف : « ومن الجند » .

(١) م : « وضرب » .

(٣) م : « قرفوا قوماً » .

[ذكر خبر الظفر بإبراهيم بن المهدي]

وفيهما أخذ إبراهيم بن المهدي ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الآخر ، وهو متنقب مع امرأتين في زى امرأة ؛ أخذه حارس أسود ليلاً ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ وأين تردن في هذا الوقت ؟ فأعطاه إبراهيم - فيما ذكر - خاتم ياقوت كان في يده ، له قدر عظيم ؛ ليخْلِيهن^(١) ، فلما نظر الحارس إلى الخاتم استراب بهن^٢ ، وقال : هذا خاتم رجل له شأن ، فرفعهن إلى صاحب المسلحة ، فأمرهن أن يُسفرن ، فتمنع إبراهيم ، فحبذه صاحب المسلحة ، فبدت لحيته ، فرفعه إلى صاحب الجسر فعرفه ؛ فذهب به إلى باب المأمون ، فأعلم به ؛ فأمر بالاحتفاظ به في الدار ؛ فلما كان غداة الأحد أقعد في دار المأمون لينظر إليه بنو هاشم والقواد والجند ، وصبروا المقنعة التي كان متنقباً بها في عنقه ، والملحقة التي كان ملتحفاً بها في صدره ، ليراه الناس ويعلموا كيف أخذ . فلما كان يوم الخميس حوَّله المأمون إلى منزل أحمد بن أبي خالد فحبسه عنده ، ثم أخرجه المأمون معه حيث خرج إلى الحسن بن سهل بواسط ، فقال الناس : إن الحسن كلمه فيه ، فرضى عنه وخلص سبيله ، وصيره عند أحمد بن أبي خالد ، وصبر معه أحمد بن^(٢) يحيى بن معاذ وخالد بن يزيد بن مزيد يحفظانه ؛ إلا أنه موسع عليه ، عنده أمه وعياله ، ويركب إلى دار المأمون ، وهؤلاء معه يحفظونه .

* * *

[ذكر خبر قتل ابن عائشة]

وفي هذه السنة قتل المأمون إبراهيم بن عائشة وصلبه .

• ذكر الخبر عن سبب قتله إياه :

كان السبب في ذلك أن المأمون حبس ابن عائشة ومحمد بن إبراهيم الأفرقي ورجلين من الشُّطَّار ، يقال لأحدهما أبو مسمار ولآخر عمار ، وفرج البغوارى ومالك بن شاهي وجماعة معهم ممن كان سعي في البيعة لإبراهيم ؛ بعد أن

(١) ف : « ليخليه » . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « ابن يحيى » .

ضُربوا بالسياط ما خلا عَمَّاراً ، فإنه أومن لما كان من إقراره على القوم في المطبق ، فرفع بعض أهل المطبق أنهم يريدون أن يشغَبُوا وينقبُوا السجن — وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدّوا باب السجن من داخل فلم يدْعُوا أحداً يدخل عليهم — فلما كان الليل وسمعوا شغبهم ، بلغ المأمونَ خبرهم ، فركب إليهم من ساعته بنفسه ، فدعا بهؤلاء الأربعة فضرب أعناقهم صبراً ، وأسمعه ابن عائشة شتماً قبيحاً ، فلما كانت الغداة صُلبوا على الجسر الأسفل ، فلما كان من الغداة يوم الأربعاء أنزل إبراهيم بن عائشة ، فكفّن وصلى عليه ، ودفن في مقابر قریش ، وأنزل ابن الأفریقی فدفن في مقابر الخيزران وترك الباقيون .

١٠٧٦/٣

* * *

[العفو عن إبراهيم بن المهدي]

وذكر أن إبراهيم بن المهدي لما أخذ صير به إلى دار أبي إسحاق بن الرشيد — وأبو إسحاق عند المأمون — فحُمِلَ رديفاً لفرج التركي ؛ فلما أدخل على المأمون قال له : هيه يا إبراهيم ! فقال : يا أمير المؤمنين ، وليّ الثأر محكم في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الاغترار بما مُدّ له من أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه ؛ وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ؛ كما جعل كلّ ذي ذنب دونك ، فإن تعاقب فبحقك ، وإن تعف فبفضلك ، قال : بل أعفو يا إبراهيم ، فكبر ثم خرّ ساجداً .

وقيل إن إبراهيم كتب بهذا الكلام إلى المأمون وهو مخنّف ، فوقع المأمون في حاشية رقعته : « القُدرة تذهب الحفيظة ، والندم توبة ، وبينهما عفو الله ، وهو أكبر ما نسأله » ، فقال إبراهيم يمدح المأمون (١) :

يا خيرَ من ذَمَلَتْ يمانيةً به (٢) بعد الرسول لآيسر ولطامع (٣)
وأبرّ من عبَدَ الإله على التقى عيناً وأقوله بحقٍ صادع
عسلُ الفوارعِ ما أُطِعتَ فإن تُهَجَّج فالصَّابُ يُمَزَجُ بالسَّامِ الناقع

١٠٧٧/٣

(١) الأغاني : ١٠ : ١١٧

(٢) ابن الأثير : « رقلت » .

(٣) الأغاني « أو طامع » ابن الأثير : « أو طامع » .

- متيقظاً حذراً وما يخشى العدى
 مثلت قلوب الناس منك مخافةً
 بآبى وأُمى فديةً وبنيهما^(١)
 ما ألين الكنف الذى بوأتني
 للصالحات أخاً جُعِلت وللتقى
 نفسى فداؤك إذ تنصّل معاذرى
 أملاً لفضلك والقواضل شيعةً
 فبدلت أفضل ما يضيّق ببذله
 وعفوت عمن لم يكن عن مثله
 إلّا العلو عن العقوبة بعدما
 فرحت أطفالا كأفراخ القطا
 وعطفت أصيرةً على كما وعى
 الله يعلم ما أقول فإنها
 ما إن عصيتك والغواة تقودنى^(٢)
 حتى إذا عليقت حبال شقوى
 لم أذر أن لئل جرّى غافراً
 ردّ الحياة على بعد ذهابها
 أحياء من ولاك أطول مدة
 كم من يد لك لم تحدثني بها
- نُبّهان من وسّات ليل الهاجع^(٣)
 وتبيت تكلوهم بقلب خاشع
 من كل مُعضلةٍ وربّ واقع^(٤)
 وطناً وأمرع رتعه للرائع
 وأباً رموفاً للفقير القانع
 وألوذُ منك بفضل حلمٍ واسع^(٥)
 رفعت بناءك بالمحلّ اليافع^(٦)
 وسع النفوس من الفعّال البارع
 عفوّ، ولم يشفع إليك بشافع
 ظفرت يدك بمستكين خاضع
 وعويل عانسة كقوس النازع
 بعد انهياض الوشى عظم الظالع^(٧)
 جهد الألية من حنيف راعم
 أسبابها إلا بينة طائع
 يردى إلى حفر المهالك هائع^(٨)
 فوقفت أنظر أى حتف صارعى
 ورع الإمام القادر المتواضع
 ورمى عنورك فى الوتين بقارطع
 نفسى إذا آنت إلى مطامعى
- ١٠٧٨/٣
 ١٠٧٩/٣
 ١٠٨٠/٣

(١) ابن الأثير : « وسنان » .
 (٢) ابن الأثير : « وذنّب واقع » .
 (٣) ابن الأثير : « للمحل » .
 (٤) الف : « حكم » ، س : « خاشع » .
 (٥) لم يرد فى رواية الأغاني .
 (٦) الأغاني : « على حفر » .
 (٧) ابن الأثير : « وسنان » .

أَسَدَيْتَهَا عَفْوًا إِلَى هَنِيئَةٍ فَشَكَرْتُ مُصْطَنَعًا لِأَكْرَمِ صَانِعٍ
إِلَّا يَسِيرًا عِنْدَ مَا أَوْلَيْتَنِي وَهُوَ الْكَثِيرُ لَدَى غَيْرِ الضَّائِعِ
إِنْ أَنْتَ جَدْتَ بِهَا عَلَى تَكُنْ لَهَا أَهْلًا ، وَإِنْ تَمْنَعُ فَاعْدِلْ مَانِعٍ
إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْخِلَافَةَ حَازَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ^(١)
جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَيْكَ جَامِعُ أَمْرِهَا وَحَوَى رِذَاؤُكَ كُلَّ خَيْرٍ جَامِعِ

١٠٨١/٣ فذكر أن المأمون حين أنشده إبراهيم هذه القصيدة، قال: أقول ما قال يوسف لإخوته: ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٢)

• • •

[ذكر الخبر عن بناء المأمون ببوران]

وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل في رمضان منها .

• ذكر الخبر عن أمر المأمون في ذلك وما كان في أيام بنائه :

« ذكر أن المأمون لما مضى إلى قم الصلح إلى معسكر الحسن بن سهل ، حمل معه إبراهيم بن المهدي ، وشخص المأمون من بغداد حين شخص إلى ما هنالك للبناء ببوران ، راكباً زورقاً ، حتى أرسى^(٣) على باب الحسن ؛ وكان العباس بن المأمون قد تقدم أباه على الظَّهْرِ ، فتلَقَّاهُ الحسن خارجاً عسكره في موضع قد اتخذ له على شاطئ دجلة ، بُنِيَ له فيه جوسق ؛ فلما عاينه العباس ثنى رجله لينزل ، فحلف عليه الحسن ألا يفعل ، فلما ساواه ثنى رجله الحسن لينزل ، فقال له العباس : بحق أمير المؤمنين لا تنزل ؛ فاعتنقه الحسن وهو راكب . ثم أمر أن يقدم إليه دابته ، ودخلا جميعاً منزل الحسن ، ووافى المأمون في وقت العشاء ، وذلك في شهر رمضان من سنة عشر ومائتين ، فأفطر هو والحسن والعباس — ودينارين عبد الله قائم على رجله — حتى فرغوا من الإفطار ،

١٠٨٢/٣

(٢) سورة يوسف ٩٢ .

(١) الأغاني : « قسم الفضائل » .

(٣) أرسى د : « أرقأ » .

وغلّسوا أيديهم ، فدعا المأمون بشارب ، فأتى بجام ذهب فصُبَّ فيه وشرب ،
 ومدَّ يده بجام فيه شراب إلى الحسن ؛ فتباطأ عنه الحسن ؛ لأنه لم يكن يشرب
 قبل ذلك ؛ فغمز دينار بن عبد الله الحسن ، فقال له الحسن : يا أمير المؤمنين ،
 أشربه بإذنك وأمرك ؟ فقال له المأمون : لولا أمرى لم أمدد يدي إليك ، فأخذ
 الجلام فشربه . فلما كان في الليلة الثانية ، جمع بين محمد بن الحسن بن سهل
 والعباسة بنت الفضل ذى الرئاستين ، فلما كان في الليلة الثالثة دخل على بوران ،
 وعندها حمدونة وأمّ جعفر وجدتها ؛ فلما جلس المأمون معها نثرت عليها
 جدتها ألف درّة كانت في صينية ذهب ، فأمر المأمون أن تُجمع ، وسألها
 عن عدد ذلك الدرّ كم هو ؟ فقالت : ألف حبّة ، فأمر بعدّها فنقصت
 عشراً ، فقال : منْ أخذها منكم فليردّها ، فقالوا : حسين زجلة ، فأمره
 بردّها ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما نُشر لناخذها ، قال : ردّها فإنّي أخلفها
 عليك ، فردّها . وجمع المأمون ذلك الدرّ في الآنية كما كان ، فوضع في
 حجرها ، وقال : هذه نحلّتك ^(١) ، وسلكى حوائجك ؛ فأمسكت . فقالت
 لها جدتها : كلّمتى سيدك ، وسليه حوائجك فقد أمرك ، فسألته ^(٢) الرضا
 عن إبراهيم بن المهدي ، فقال : قد فعلت ، وسألته الإذن لأمر جعفر في الحجّ ،
 فأذن لها . وألبستها أم جعفر البدنة الأموية ؛ وابتنى بها في ليلته ، وأوقد
 في تلك الليلة شمعة عنبر ؛ فيها أربعون منّا في تور ^(٣) ذهب . فأنكر المأمون
 ذلك عليهم ، وقال : هذا سرّف ؛ فلما كان من الغد دعا بإبراهيم بن المهديّ
 فجاء يمشى من شاطئ دجلة ، عليه مِبْطَنَةٌ ملحَم ، وهو معتمّ بعمامة ،
 حتّى دخل ؛ فلما رُفِعَ السرّ ^(٤) عن المأمون رمى ^(٥) بنفسه ، فصاح المأمون :
 يا عمّ ، لا بأس عليك ، فدخل فسلم عليه تسليم الخلافة ، وقبّل يده ، وأنشد
 شعره ، ودعا بالخلع فخلع عليه خلعة ثانية ، ودعا له بمركب وقلّده سيفاً ،
 وخرج فسلم الناس ، وردّ إلى موضعه .

١٠٨٣/٣

(١) د ، ف : « لحبك » .
 (٢) ف : « فقالت » .
 (٣) التور في الأصل : إناء يشرب فيه .
 (٤) ف : « فلما دخل ورفع السر » .
 (٥) س : « أرمى بنفسه » .

وذُكر أن المأمون أقام عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوماً بعد له في كل يوم لجميع مَنْ معه جميع ما يُحتاج إليه ، وأن الحسن خلع على القواد على مراتبهم ، وحملهم ووصلهم ؛ وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم . قال : وأمر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه أن يدفع إلى الحسن عشرة آلاف ألف من مال فارس ، وأقطع الصلح^(١) فحمِلت إليه على المكان ؛ وكانت معدة عند غسان بن عباد ، فجلس الحسن فقرقها في قواده وأصحابه وحشمه وخدمه ؛ فلما انصرف المأمون شيعه الحسن ، ثم رجع إلى قم الصلح .

فذكر عن أحمد بن الحسن بن سهل ، قال : كان أهلنا يتحدثون أن الحسن بن سهل كتب رقاعاً فيها أسماء ضياعه ، ونثرها على القواد وعلى بني هاشم ؛ فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها .

١٠٨٤/٣

وذكر عن أبي الحسن علي بن الحسين بن عبد الأعلى الكاتب ، قال : حدثني الحسن بن سهل يوماً بأشياء كانت في أم جعفر ، ووصف رجاحة عقلها وفهمها ، ثم قال : سأها يوماً المأمون بقم الصلح حيث خرج إلينا عن النفقة على بُوران ، وسأل حمدونة بنت غَضِيض عن مقدار ما أنفقت في ذلك الأمر . قال : فقالت حمدونة : أنفقت خمسة وعشرين ألف ألف ، قال : فقالت أم جعفر : ما صنعت شيئاً ، قد أنفقت ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف درهم . قال : وأعدنا له شمعتين من عَنبر ، قال : فدخل بها ليلاً ، فأوقدتا بين يديه ؛ فكثُر دخانهما ، فقال : ارفعوهما قد أذاذا الدخان ، وهاتوا الشمع . قال : ونحلتها أم جعفر في ذلك اليوم الصلح قال : فكان سبب عود الصلح إلى ملكي ، وكانت قبل ذلك لي ، فدخل علي يوماً حميد الطوسي فأقرأني أربعة أبيات امتدح بها ذا الرياستين ، فقلت له : ننفذها لك ذي الرياستين ، وأقطعك الصلح في العاجل إلى أن تأتي مكافأتك

(١) الصلح ، بالكسر وإثاء المهملة : كورة فوق واسط ، لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقي يسمى قم الصلح . بها كانت منازل الحسن بن سهل ، وكانت للحسن هناك منازل وقصور أخفى عليها الروان فلا يعرف لها مكان . ياتوب .

من قبله . فأقطعت إياها ، ثم ردّها المأمون على أمّ جعفر ففتحها بُوران .
 وروى علىّ بن الحسين أنّ الحسن بن سهل كان لا ترفع الستور عنه ،
 ولا يرفع الشمع من بين يديه حتى تطلع الشمس ويتبينها إذا نظر إليها . وكان
 متطيّراً يحبّ أن يقال له إذا دخل عليه : انصرفنا من فرح وسرور ، ويكره
 أن يذكر له جنازة أو موت أحد . قال : ودخلتُ عليه يوماً فقال له قاتل : إن
 علىّ بن الحسين أدخل ابنه الحسن اليوم الكتاب ، قال : فدعالي وانصرف ،
 فوجدت في منزلي عشرين ألف درهم هبةً للحسن وكتاباً بعشرين ألف درهم .
 قال : وكان قد وهب لي من أرضه بالبصرة ما قوم بخمسين ألف دينار ،
 فقبضه عنيّ بغا الكبير ، وأضافه إلى أرضه .

وذكر عن أبي حسان الزياتي أنه قال : لما صار المأمون إلى الحسن بن
 سهل ، أقام عنده أياماً بعد البناء ببُوران ، وكان مقامه في مسيره وذهابه
 ورجوعه أربعين يوماً . ودخل إلى بغداد يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت^(١)
 من شوال .

وذكر عن محمد بن موسى الخوارزمي أنه قال : خرج المأمون نحو الحسن
 ابن سهل إلى فم الصلح لثمان خلون من شهر رمضان ، ورحل من فم الصلح
 لتسع بقين من شوال سنة عشر ومائتين .
 وهلك حميد بن عبد الحميد يوم الفطر من هذه السنة ؛ وقالت جاريته
 عندل :

مَنْ كَانَ أَصْبَحَ يَوْمَ الْفَطْرِ مُغْتَبِطاً فَمَا غَبِطْنَا بِهِ وَاللَّهِ مُحَمَّدُ
 أَوْ كَانَ مُنْتَظِراً فِي الْفَطْرِ سَيِّدَهُ فَإِنْ سَيِّدَنَا فِي التَّرْبِ مَلْحُودُ

* * *

وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن طاهر مصر ؛ واستأمن إليه عبيد الله بن
 السريّ بن الحكم .

(١) س : « مضت » .

ذكر الخبر عن سبب شخص عبد الله بن طاهر من الرقة إلى مصر

وسبب خروج ابن السرى إليه في الأمان

«ذكر أن عبد الله بن طاهر لما فرغ من نصر بن شبث العُقَيْلِيَّ ، وجهه إلى المأمون فوصل إليه ببغداد كتب المأمون يأمره بالمصير إلى مصر ؛ فحدثني أحمد بن محمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ، أنه كان يومئذ بمصر ، وأن عبد الله بن طاهر لما قَرَّبَ منها ، وصار منها على مرحلة ، قدَّم قائداً من قواده إليها ليرتاد لعسكره موضعاً يعسكر فيه ، وقد خندق ابن السرى عليها خندقاً ، فاتصل الخبر بابن السرى عن مصير القائد إلى ما قرب منها ، فخرج بمن استجاب له من أصحابه إلى القائد الذي كان عبد الله بن طاهر وجهه لطلب موضع معسكره ؛ فالتقى (١) جيش ابن السرى وقائد عبد الله وأصحابه وهم في قلعة ، فجال القائد وأصحابه جولةً ، وأُبرِدَ القائد إلى عبد الله يريد أن يخبره بخبره وخبر ابن السرى ، فحمل رجاله على البغال ؛ على كل بغل رجلين بالثمن وأدواتهما ، وجَسَبُوا (٢) الخيل ، وأسرعوا السير حتى لحقوا القائد وابن السرى . فلم تكن من عند الله وأصحابه إلا حملة واحدة حتى انهزم (٣) ابن السرى وأصحابه ، وتساقطت عامة أصحابه - يعني ابن السرى - في الخندق ، فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض في الخندق كان أكثر ممن قتله الجند بالسيف . وانهزم ابن السرى ، فدخل القسطنطينية ، وأغاث على نفسه وأصحابه ومن فيها (٤) الباب ، وحاصره عبد الله بن طاهر ؛ فلم يعاوده ابن السرى الحرب بعد ذلك حتى خرج إليه في الأمان .

١٠٨٧/٣

وذكر عن ابن ذى القلمين ، قال : بعث ابن السرى إلى عبد الله بن طاهر لما ورد مصر وماله من دخولها بألف ووصيفة ؛ مع كل وصيف ألف دينار في كيس حرير ، وبعث بهم ليلاً . قال : فرد ذلك عليه عبد الله وكتب إليه : لو قبلت هديتك نهاراً لقبليتها ليلاً ؛ بل أنتم بهديتكم تنفرون .

(٢) يقال : جنب الفرس ، أى قادها إلى جنبه .

(٤) ف : « فيه » .

(١) س : « والتقى » .

(٣) س : « فانهزم » .

أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً
وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١١﴾ قال : فحينئذ طلب الأمان منه ، وخرج إليه .

وذكر أحمد بن حفص بن عمر ، عن أبي السمراء ، قال : خرجنا مع
الأمير عبد الله بن طاهر متوجهين إلى مصر ؛ حتى إذا كنا بين الرملة ودمشق ؛
إذا نحن بأعرابي قد اعترض ؛ فإذا شيخ فيه بقية على بعير له أورق ، فسلم
علينا فرددنا عليه السلام . قال أبو السمراء : وأنا وإسحاق بن إبراهيم الرافقي
وإسحاق بن أبي ربيع ، ونحن نساير الأمير ، وكنا يومئذ أفره من الأمير
دواب ، وأجود منه كساً . قال : فجعل الأعرابي ينظر في وجوهنا ، قال :
فقلت : يا شيخ ؛ قد ألححت في النظر ، أعرفت شيئاً أم أنكرته ؟ قال :
لا والله ما عرفتك قبل يوم هذا ، ولا أنكرتكم لسوء أراه فيكم ؛ ولكني رجل
حسن القراسة في الناس ، جيد المعرفة بهم ، قال : فأشرت له إلى إسحاق بن
أبي ربيع ، فقلت : ما تقول في هذا ؟ فقال :

أَرَى كَاتِباً دَاهِيَ الْكِتَابَةِ بَيْنَ عَلَيْهِ وَتَأْدِيبُ الْعِرَاقِ مُنِيرُ
لَهُ حَرَكَاتٌ قَدْ يَشَاهِدُنْ أَنَّهُ عِلْمٌ بِتَقْسِيطِ الْخَرَجِ بِصِيرُ

ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الرافقي ، فقال :

وَمُظْهِرٌ نُسَلِّ مَا عَلَيْهِ ضَمِيرُهُ يُحِبُّ الْهَدَايَا ، بِالرِّجَالِ مَكُورُ
إِخَالُ بِهِ جُبْنًا وَبُخْلًا وَشِيمَةٌ تُخْبِرُ عَنْهُ أَنَّهُ لَوْزِيرُ

١٠٨٩/٣

ثم نظر إلى وأنا سأ يقول :

وَهَذَا نَدِيمٌ لِلْأَمِيرِ وَمُوْنِسُ يَكُونُ لَهُ بِالْقَرَبِ مِنْهُ سُرُورُ
إِخَالُهُ لِلْأَشْعَارِ وَالْعِلْمِ رَاوِيًا (٢) فَبَغِضُ نَدِيمٍ مَرَّةً وَسَمِيرُ

(١) سورة النمل ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) ابن الأثير : « وأحبب للشعر والعلم راوياً » .

ثم نظر إلى الأمير وأنشأ يقول :

وهذا الأمير المرتجى سببُ كَفِّهِ فَمَا إِنْ لَهُ فِيمَنْ رَأَيْتُ نَظِيرُ^(١)
عليه رِداءٌ من جمالٍ وهيبَةٍ ووجهٌ بإدراكِ النجاحِ بِشِيرُ
لَقَدْ عُصِمَ الْإِسْلَامُ مِنْهُ بِدَائِدِ^(٢) به عاشَ معروفٌ وماتَ نَكِيرُ
ألا إِنَّمَا عَبْدُ الْإِلَهِ بْنُ طَاهِرٍ لَنَا وَالِدٌ بَرٌّ بَنَّا ، وَأَمِيرُ

قال : فوق ذلك من عبدالله أحسن موقع ، وأعجبه ما قال الشيخ ، فأمر له بخمسمائة دينار ، وأمره أن يصحبه . ١٠٩٠/٣

وذكر عن الحسن بن يحيى الفهرى ، قال : لقينا البُطَيْنَ الشاعر الحمصي ، ونحن مع عبدالله بن طاهر فيما بين سَلَمِيَّةَ وَحِمْنَصَ ، فوقف على الطريق ، فقال لعبد الله بن طاهر :

مَرْحَبًا مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بَابِنِ ذِي الْجَوْدِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ
مَرْحَبًا مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بَابِنِ ذِي الْغُرَّتَيْنِ فِي الدَّعَوَتَيْنِ
مَرْحَبًا مَرْحَبًا بَيْنَ كَفِّهِ الْبَحْ رُ إِذَا فَاضَ مُزْبِدَ الرَّجَوَيْنِ
مَا يُبَالِي الْمَأْمُونُ أَيْدُهُ إِلَّا هُ إِذَا كُنْتُمَا لَهُ بَاقِيَيْنِ
أَنْتَ غَرْبٌ وَذَاكَ شَرْقٌ مَقِيمًا أَيُّ فَتَقٍ آتَى مِنَ الْجَانِبَيْنِ
وَحَقِيقٌ إِذْ كُنْتُمَا فِي قَدِيمٍ لَزُرَيْقٍ وَمُصْعَبٍ وَحُسَيْنِ
أَنْ تَنَالَا مَا نَلْتُمَاهُ مِنَ الْمَجْ دِ وَأَنْ تَعْلُوا عَلَى الثَّقَلَيْنِ

قال : من أنت ثكلتك أمك ! قال : أنا البُطَيْنَ الشاعر الحمصي ، قال : اركب يا غلام وانظر كم بيتاً ؟ قال : قال : سبعة ، فأمر له بسبعة آلاف درهم أو بسعمائة دينار ، ثم لم يزل معه حتى دخلوا مصر والإسكندرية ، حتى انخفض به وبدايته مخرج ، فأتى فيه بالإسكندرية . ١٠٩١/٣

• • •

(٢) ابن الأثير : « بنى بنا » .

(١) ابن الأثير : « في العالمين نظير » .

[ذكر الخبر عن فتح عبد الله بن طاهر الإسكندرية]

وفي هذه السنة فتح عبدالله بن طاهر الإسكندرية - وقيل كان فتحه إياها في سنة إحدى عشرة ومائتين - وأجلّى من كان تغلب عليها من أهل الأندلس عنها .

* ذكر الخبر عن أمره وأمرهم :

حدثني غير واحد من أهل مصر ، أنّ مراكب أقبلت من بحر الروم من قبيل الأندلس ، فيها جماعة كبيرة أيام شغل الناس قبيلهم بفتنة الجروى وابن السرى ، حتى أرسوا مراكبهم بالإسكندرية ، ورئيسهم يومئذ رجل يدعى أبا حفص ؛ فلم يزالوا بها مقيمين حتى قدم عبدالله بن طاهر مصر . قال لي يونس بن عبد الأعلى : قدم علينا من قبيل المشرق ^(١) فتى حدث - يعنى عبدالله بن طاهر - والدنيا عندنا مفتونة ، قد غلب على كلّ ناحية من بلادنا غالب ، والناس منهم في بلاء ؛ فأصلح الدنيا ، وأمن البرى ، وأخاف السقيم ؛ واستوسقت له الرعية بالطاعة . ثم قال : أخبرنا عبدالله بن وهب ، قال : أخبرني ١٠٩٢/٣ عبدالله بن لهيعة ، قال : لا أدري رفعه إلى قبيل أم لا فلم نجد فيها قرأنا من الكتب أن الله بالمشرق جنداً لم يقطع عليه أحد من خلقه إلا بعثهم عليه ، وانتقم بهم ^(٢) منه - أو كلاماً هذا معناه - فلما دخل عبدالله بن طاهر بن الحسين مصر ، أرسل إلى من كان بها من الأندلسيين ، وإلى من كان انضوى إليهم ، يؤذنه بالحرب إن ^(٣) هم لم يدخلوا في الطاعة ، فأخبروني أنهم أجابوه إلى الطاعة ، وسألوه الأمان ، على أن يرتحلوا من الإسكندرية إلى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الإسلام ، فأعطاهم الأمان على ذلك ؛ وأنهم رحلوا عنها ، فزاولوا جزيرة من جزائر البحر ؛ يقال لها ترېبش ، فاستوطنوها وأقاموا بها ، وفيها بقايا أولادهم إلى اليوم .

• • •

(٢) ف : « فانتقم » .

(١) ف : « المشرق » .

(٣) ف : « يؤذنه » .

[ذكر الخبر عن خروج أهل قمّ على السلطان]

وفي هذه السنة خلع أهل قمّ السلطان ومنعوا الخراج .

• ذكر الخبر عن سبب خلعهم السلطان ومآل أمرهم في ذلك :

ذكر أن سبب خلعهم إياه كان أنهم كانوا استكثروا ما عليهم من الخراج ، وكان خراجهم ألفي ألف درهم ، وكان المأمون قد حطّ عن أهل الرّى حين دخلها منصرفاً من خراسان^(١) إلى العراق ، ما قد ذكرت قبل ، فطمع أهل قمّ من المأمون في الفعل بهم في الحطّ عنهم والتخفيف مثل الذي فعل من ذلك بأهل الرّى ، فرفعوا إليه يسألونه الحطّ ، ويشكون إليه ثقله عليهم ، فلم يجيبهم المأمون إلى ما سألوه ، فامتنعوا^(٢) من أدائه ، فوجّه المأمون إليهم على بن هشام ، ثم أمده بعجّيف بن عنبسة ، وقدم قائد حميد يقال له محمد بن يوسف الكح بعرض^(٣) من خراسان ، فكتب إليه بالمصير إلى قمّ لحرب أهلها مع على بن هشام ، فحاربهم على فظفر بهم ، وقتل يحيى بن عمران وهدم سور قمّ ، وجباها سبعة آلاف ألف درهم بعد ما كانوا يتطلّمون من ألفي ألف درهم .

١٠٩٣/٣

• • •

ومات في هذه السنة شهر يار ، وهو ابن شروين ، وصار في موضعه ابنه سابور ، فنازعه مازيار بن قارن فأسره وقتله ، وصارت الجبال في يدي مازيار ابن قارن .

وحجّ بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد وهو يومئذ والي مكة .

(١) س : « عن خراسان » .

(٢) س : « وامتنعوا » .

(٣) كذا في أ : وفي ط : « بقوص »

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[أمر عبيد الله بن السري]

فمن ذلك خروج عبيد الله بن السري إلى عبدالله بن طاهر بالأمان ،
ودخول عبد الله بن طاهر مصر - وقيل إن ذلك في سنة عشر ومائتين -
وذكر بعضهم أن ابن السري خرج إلى عبد الله بن طاهر يوم السبت
لخمس بقين من صفر سنة إحدى عشرة ومائتين ، وأدخل بغداد لسبع بقين من
رجب سنة إحدى عشرة ومائتين ، وأنزل مدينة أبي جعفر ، وأقام عبدالله بن
١٠٩٤/٣ طاهر بمصر والياً عليها وعلى سائر الشام والجزيرة ؛ فذكر عن طاهر بن خالد
ابن نزار الغساني ، قال : كتب المأمون إلى عبد الله بن طاهر وهو بمصر حين
فتحها في أسفل كتاب له :

أخي أنت ومولاي ومن أشكر نعماءه
فما أحببت من أمر فإني الدهر أهواه
وما تكره من شيء فإني لست أرضاه
لك الله على ذلك لك الله لك الله

وذكر عن عطاء صاحب مظالم عبدالله بن طاهر ، قال : قال رجل من
إخوة المأمون للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد
أبي طالب ، وكذا كان أبوه قبله . قال : فدفع المأمون ذلك وأنكره ، ثم عاد
بمثل هذا القول ، فدرس إليه رجلاً ثم قال له : امض في هيئة القراء والنسك
إلى مصر ، فادع جماعة من كبرائها إلى القاسم بن إبراهيم بن طابطا ، واذكر
مناقبه وعلمه وفضائله ، ثم صر بعد ذلك إلى بعض بطانة عبدالله بن طاهر ،
ثم اتته فادعاه ورغبه في استجابته له ، والبحث عن دفين نيته بحثاً شافياً ،
واثنى بما تسمع^(١) منه . قال : ففعل الرجل ما قال^(٢) له ، وأمره به ؛ حتى إذا

(٢) ف : « قاله » .

(١) ف : « تسمعه » .

دعا جماعة من الرؤساء والأعلام ، قعد يوماً بباب عبد الله بن طاهر ، وقد ركب إلى عبيد الله بن السري بعد صلحه وأمانه ، فلما انصرف قام إليه الرجل ، فأخرج من كتمه رقعة فدفعها إليه ^(١) ، فأخذها بيده ؛ فهاهو إلا أن دخل فخرج الحاجب إليه ، فأدخله عليه وهو قاعد على بساطه ؛ ما بينه وبين الأرض غيره ، وقد مدّ رجله ، وخفّاه فيهما ، فقال له : قد فهمت ما في رقعتك من جملة كلامك ، فهات ما عندك ، قال : ولي أمانتك وذمة الله مذك (٢) ؟ قال : لك ذلك ، قال : فأظهر له ما أراد ، ودعاه إلى القاسم ، وأخبره بفضائله وعلمه وزهده ، فقال له عبد الله : أتُنصِفني ؟ قال : نعم ، قال : هل يجب شكر الله على العباد ؟ قال : نعم ، قال : فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الإحسان والمنّة والتفضل ؟ قال : نعم ، قال : فتجىء إلى وأنا في هذه الحالة التي ترى ، لي خاتم في المشرق جائز وفي المغرب كذلك ؛ وفيما بينهما أمرى مطاع ، وقولى مقبول ، ثم ما التفت يميني ولا شمالي وورائي وقد أُمي إلا رأيت نعمة لرجل أنعمها عليّ ، ومنّة ختم بها رقبتي ، ويداً لائحة بيضاء ابتدأتني بها تفضلاً وكرماً ، فتدعوني إلى الكفر بهذه النعمة وهذا الإحسان ، وتقول : أغدر بمن كان أولاً لهذا وآخر ، واسم في إزالة خيط عنته وسفك دمه ! تراك لو دعوتني إلى الجنة عياناً من حيث أعلم ؛ أكان الله يحب أن أغدر به ، وأكفر إحسانه ومنّته ، وأنكث بيعته ! فسكت الرجل ، فقال له عبد الله : أما إنه قد بلغني أمرك ، وتالله ما أخاف عليك إلا نفْسَك ؛ فارحل عن هذا البلد ؛ فإن السلطان الأعظم إن بلغه أمرك — وما آمنُ ذلك عليك — كنت الجاني على نفسك ونفس غيرك . فلما أيسر الرجل مما عنده جاء إلى المأمون ، فأخبره الخبر ، فاستبشر وقال : ذلك غرس يدي ، وإنك أدبني ، وتربّ تلقى ، ولم يُظهر من ذلك لأحد شيئاً ، ولا علم به عبد الله إلا بعد موت المأمون .

وذُكر عن عبد الله بن طاهر أنه قال وهو محاصر بمصر عبيد الله بن السري :

(١) ف : « عبد الله بن طاهر » .

(٢) س : « لك » .

بَكَرَتْ تُسَبِّلُ دَمْعًا أَنْ رَأَتْ وَشَكَ بَرَّاحِي
وَتَبَدَّلَتْ صَقِيلًا يَمْنِيًا بِوِشَاحِي
وَتَسَادَيْتُ بِسَبِيرٍ لِيُغْدُوَ وَرَوَّاحِ
زَعَمْتُ جَهْلًا بِأَنِّي تَعِبْتُ غَيْرُ مُرَاحِ
أَقْصِرِي عَنِّي فَإِنِّي سَالِكُ قَصْدِ فَلَاحِي
أَنَا لِلْمَأْمُونِ عَبْدٌ مِنْهُ فِي ظِلِّ جَنَاحِ
إِنْ يُعَافِ اللَّهُ يَوْمًا فَقَرِيبٌ مُسْتَرَاحِي
أَوْ يَكُنْ هُلُكُ فَقُولِي بِعَوِيلٍ وَصِيَا حِ
حَلًّا فِي مَصْرٍ قَتِيلٌ وَدَعِي عَنْكَ التَّلَاحِي

وذكر عن عبد الله بن أحمد بن يوسف أن أباه كتب إلى عبد الله بن طاهر عند خروج عبيد الله بن السري إليه يهنئه بذلك الفتح :

بلغني أعز الله الأمير ما فتح الله عليك ، وخروج ابن السري إليك ؛
فالحمد لله الناصر لدينه ، المعز لدولة خليفته على عبادته ، المذل لمن عَشَدَ عنه
وعن حقه ، ورغب عن طاعته . ونسأل الله أن يظاھر له النعم ، ويفتح له بلدان
الشرك ، والحمد لله على ما وليك به مذ طعنت لوجهك ؛ فإننا ومن قبلنا
نتذاكر سيرتك في حربك وسلمك ، ونكثر التعجب لما وفقت له من الشدة
واليان في مواضعهما ، ولا نعلم سائس جند ورعية عدل بينهم عدلك ، ولا
عفا بعد القدرة عمن آسفه وأصغنه عفوك ؛ ولَقَلَّ ما رأينا ابن شرف لم يُلْقَ
بيده متكلا على ما قدَّمَتْ له أبوتَه ، ومن أوتى حظًا وكفاية وسلطانًا
وولاية لم يخلد إلى ما عفا حتى يخل بمساماة ما أمامه . ثم لا نعلم سائسًا
استحقَّ التَّشْجِيعَ لحسن السيرة وكفَّ معرَّةَ الأتباع استحقاقك . وما يستجيز
أحد من قبلنا أن يقدم عليك أحدًا يهوى عند الحاجة ^(١) والنازلة المعضلة ^(٢)

(١) س : « الحاجة » ، ف : « الحاجة » .

(٢) ف : « والمعضلة » .

فليهنك منّة الله ومزيده ، ويسوّغك^(١) الله هذه النعمة التي حوّاها لك باخافضة
على ما به تمت لك ؛ من التمسك بحبل إمامك ومولاك ومولى جميع المسلمين ،
وملاك وإيّانا العيش ببقائه .

وأنت^(٢) تعلم أنك لم تنزل عندنا وعند من قبلنا مكرّمًا مقدّمًا معظّمًا ؛ وقد
زادك الله في أعين الخاصة والعامة جلاله وبجّاله ؛ فأصبحوا يرجونك لأنفسهم ،
ويُعدّونك لأحداثهم ونوائبهم ؛ وأرجو أن يوفّقك الله لمحابه كما وفق لك
صنعه وتوفيقه ؛ فقد أحسنت جوار النعمة فلم تطغك ، ولم تزد إلا تدلّلاً
وتواضعًا ؛ فالحمد لله على ما أنالك وأبلاك ، وأودع فيك . والسلام .

• • •

وفي هذه السنة قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين مدينة السلام من المغرب ،
فتلّقاه العباس بن المأمون وأبو إسحاق المعتصم وسائر الناس ، وقدم معه بالمتغلبين
على الشام كابن السرج وابن أبي الجهمّل وابن أبي الصفر .

ومات موسى بن حفص ، فولى محمد بن موسى طبرستان مكان أبيه .
وولى حاجب بن صالح الهند فهزمه بشر بن داود ، فانحاز إلى كرمستان .
وفيها أمر المأمون منادياً فنادى^(٣) : برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير ،
أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة صالح بن العباس وهو والي مكة .
وفيها مات أبو العتاهية الشاعر .

(٢) من « رمالك »

(١) من « وسوّغك »

(٣) ف : « ينادى »

١٠٩٩/٣

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائتين

ذكر الخبير عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه المأمون محمد بن حميد الطوسي إلى بابك
لمحاربته^(١) على طريق الموصل وتقويته إياه، فأخذ محمد بن حميد يعلى بن
مرة ونظراءه من المتغلبة بأذربيجان، فبعث بهم إلى المأمون.

وفيهما خلع أحمد بن محمد العمري المعروف بالأحمر العين باليمن.

وفيهما ولّى المأمون محمد بن عبد الحميد المعروف بأبي الرازي اليمن.

وفيهما أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن أبي طالب عليه
السلام، وقال: هو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
وذلك في شهر ربيع الأول منها.

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد.

(١) م : « ومحاربته » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خلْع عبد السلام وابن جليس بمصر في القيسية واليانسة ووثوبهما بها .

وفيهما مات طلحة بن طاهر بخراسان .

وفيهما ولّى المأمون أخاه أبا إسحاق الشام ومصر ، ولّى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم ، وأمر لكل واحد منهما ومن عبد الله^(١) بن طاهر بخمسمائة ألف دينار .

وقيل : إنه لم يفرق في يوم من المال مثل ذلك .

* * *

[ذكر الخبر عن ولاية غسان بن عباد السند]

وفيهما ولّى غسان بن عباد السند .

* ذكر الخبر عن سبب توليته إياه السند :

وكان السبب في ذلك — فيما بلغني — أن بشر بن داود بن يزيد خالف المأمون ، وجبى الخراج فلم يحمل إلى المأمون شيئاً منه ؛ فدُكر أن المأمون قال يوماً لأصحابه : أخبروني^(٢) عن غسان بن عباد ؛ فإني أريده لأمر جسيم — وكان قد عزم على أن يوليّه السند لما كان من أمر بشر بن داود — فتكلم من حضر ، وأطنبوا^(٣) في مدحه ، فنظر المأمون إلى أحمد بن يوسف وهو ساكت ، فقال له : ما تقول يا أحمد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ذاك^(٤) رجل محاسنه أكثر من مساويه ؛ لا تصرف به إلى طبقة إلا انتصف منهم ؛ فهما تخوفت

(٢) ف : « خبروني » .

(١) س وابن الأثير : « ولعبد الله » .

(٤) س وابن الأثير : « ذلك » .

(٣) ف : « فأطنبوا » .

عليه ؛ فإنه لن يأتي أمراً يُعتذر منه ؛ لأنه قسم أيامه بين أيام الفضل ، فجعل لكل خلق نوبة ، إذا نظرت في أمره لم تدرأي حالاته أعجب ! إما هداه إليه عقله ؛ أم إما اكتسبه بالأدب ، قال : لقد مدحتّه على سوء رأيك فيه ! قال : ١١٠١/٣
لأنّه فيما قلت ^(١) كما قال الشاعر :

كني شكراً بما أشدّيت أنّي مدحتك في الصديق وفي عداي ^(٢)

قال : فأعجب المأمون كلامه ، واسترجع أدبه .

* * *

وحيّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد .

(٢) ابن الأثير : « صدقتك » .

(١) بعدها في ابن الأثير : « فيه » .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مقتل محمد بن حميد الطوسي ، قتله بابك بهشتنادر ، (يوم السبت لخمس ليل^١) بقين من شهر ربيع الأول ، ورفض عسكره ، وقتل جمعا كثيرا ممن كان معه .
وفيهما قُتل أبو الرازي باليمن .

وفيهما قُتل عمير بن الوليد الباذغيمى عامل أبي إسحاق بن الرشيد بمصر بالحواف في شهر ربيع الأول ، فخرج أبو إسحاق إليها فافتتحها ، وظفر بعد السلام وابن جليس ، فقتلها فضرب المأمون بن الحرورى وردة إلى مصر .
وفيهما خرج بلال الضبائى انشارى ، فشخص المأمون إلى العكث ، ثم رجع إلى بغداد ، فوجه عباسا ابنه في جماعة من القواد ، فيهم على بن هشام وعُجيف وهارون بن محمد بن أبي خالد ، فقتل هارون بلالا .

١١٠٢/٣

وفيهما خرج عبد الله بن طاهر إلى الدینور ، فبعث المأمون إليه إسحاق ابن إبراهيم ويحيى بن أكرم يخيرانه بين خراسان والجلال وأرمينية وأذربيجان ، ومحاربة بابك ، فاختر خراسان ، وشخص إليها .
وفيهما تحرك جعفر بن داود التميمى ، فظفر به عزيز مولى عبد الله بن طاهر ، وكان هرب من مصر فرودا إليها .

وفيهما ولّى على بن هشام الجبل وقم وإصبهان وأذربيجان .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة إسحاق بن العباس بن محمد .

(١ - ١) « يوم الخميس ليلال » .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر خبر شخص المأمون لحرب الروم]

وفي هذه السنة شخص المأمون من مدينة السلام لغزو الروم ، وذلك يوم السبت - فيما قيل - لثلاث بقين من المحرم - وقيل كان ارتحاله من الشامية إلى البصرة يوم الخميس بعد صلاة الظهر ، لست بقين من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين - واستخلف حين رحل عن مدينة السلام عليها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، وولّى مع ذلك السواد وحلوان وكوردجلة . فلما صار المأمون بتكريت قدم عليه محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله ، من المدينة في صفر ليلة الجمعة من هذه السنة ، ولقيته بها فأجازه ، وأمره أن يدخل بابتته أم الفضل ١١٠٣/٣ وكان زوجها منه ؛ فأدخلت عليه في دار أحمد بن يوسف التي على شاطئ دجلة ، فأقام بها ؛ فلما كان أيام الحج خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة ، ثم أتى منزله بالمدينة ؛ فأقام بها ، ثم سلك المأمون طريق الموصل ؛ حتى صار إلى منبج ، ثم إلى دابق ، ثم إلى أنطاكية ، ثم إلى المصيصة ؛ ثم خرج منها إلى طرسوس ، ثم دخل من طرسوس إلى بلاد الروم للنصف من جمادى الأولى . ورحل العباس بن المأمون من ملطية ؛ فأقام المأمون على حصن يقال له قرة ؛ حتى فتحه عسوة ؛ وأمر بهدمه ؛ وذلك يوم الأحد لأربع بقين من جمادى الأولى ؛ وكان قد افتتح قبل ذلك حصناً يقال له ماجدة ؛ فنزل على أهلها .

وقيل إن المأمون لما أناخ على قرة ، فحارب أهلها طلبوا الأمان ، فأمنهم المأمون ، فوجه أشناس إلى حصن سندس ، فأتاه يرئيسه ، ووجه عجيناً وجعفرأ

الخياط إلى صاحب حصن سنان ، فسمع وأطاع .

* * *

وفي هذه السنة انصرف أبو إسحاق بن الرشيد من مصر ، فلتقى المأمون قبل دخوله الموصل ، ولقيه مَسْوِيل وعباس ابنه برأس العين .
وفيها شخص المأمون بعد خروجه من أرض الروم إلى دمشق .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد .

١١٠٤/٣

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[عود إلى ذكر غزو المأمون أرض الروم]

فمن ذلك كرم المأمون إلى أرض الروم .

• ذكر السبب في كرمه إليها :

اختلف في ذلك، فقيل : كان السبب فيه ورود الخبر على المأمون بقتل ملك الروم قومًا من أهل طرسوس والمتصصة ؛ وذلك — فيما ذكر — ألف وستائة . فلما بلغه ذلك شخص حتى دخل أرض الروم يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، فلم يزل مقيمًا فيها إلى النصف من شعبان .

وقيل : إن سبب ذلك أن توفيل بن ميخائيل كتب إليه ، فبدأ بنفسه ، فلما ورد الكتاب عليه لم يقرأه ، وخرج إلى أرض الروم ، فوافاه رسل توفيل بن ميخائيل بأذنة ، ووجه بخمسمائة رجل من أسارى المسلمين إليه ؛ فلما دخل المأمون أرض الروم ، ونزل على أنطيوخا ، فخرج أهلها على صلح وصار إلى هرقلية ، فخرج أهلها إليه على صلح ، ووجه أخاه أبا إسحاق ، فافتتح ثلاثين حصنًا ومطيرة . ووجه يحيى بن أكرم من طروانة ، فأغار وقتل وحرق ، وأصاب سبيًا ورجع إلى العسكر . ثم خرج المأمون إلى كيسوم ، فأقام بها يومين أو ثلاثة ، ثم ارتحل إلى دمشق .

وفي هذه السنة ظهر عبّادوس الفهرى ، فوثب بمن معه على عمّال أبي إسحاق ، فقتل بعضهم ؛ وذلك في شعبان ، فشخص المأمون من دمشق يوم الأربعاء لأربع عشرة بقيت من ذى الحجة إلى مصر .

وفيها قدم الأفشين من بركة منصرفًا عنها ، فأقام بمصر .

وفيهما كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم يأمره بأخذ الجند بالتكبير إذا صلّوا ، فبدعوا بذلك في مسجد المدينة والرّصافة يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان من هذه السنة ، حين قضوا الصلاة ، فقاموا قياماً ، فكبروا ثلاث تكبيرات ، ثم فعلوا ذلك في كلّ صلاة مكتوبة .

وفيهما غضب المأمون على عليّ بن هشام ، فوجّه إليه عُجيف بن عنبسة وأحمد بن هشام ، وأمر بقبض أمواله وسلاحه .

وفيهما ماتت أمّ جعفر ببغداد في جمادى الأولى .

وفيهما قدم غسان بن عباد من السّند ، وقد استأمن إليه بشر بن داود المهلبى ، وأصلح السند ، واستعمل عليها عمران بن موسى البرمكى^(١) ، فقال الشاعر :

سيفُ غسانَ رَوْنَقُ الحربِ فيه وسامُ الحُتُوفِ في ظُبَيْتِه
فإذا جرّه إلى بلدِ السند فآلَقَى المَقَادَ بِشَرِّ إِلِه
مُقَسِّمًا لا يعودُ ما حجَّ لا مُصَلٍّ وما رى جَمَرَتَيْهِ
غَادِرًا يَخْلَعُ المُلُوكَ ويغتَا لُ جُنُودًا تَأْوِي إلى ذِرْوَتَيْهِ
فرجع غسان إلى المأمون ، وهرب جعفر بن داود القمى إلى قم ، وخلع بها .
وفى هذه السنة كان البَرْد الشديد .

١١٠٦/٣

وحجّ بالناس — في قول بعضهم — في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس . وفى قول بعضهم : حجّ بهم في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، وكان المأمون ولأه الأيمن ، وجعل إليه ولاية كُتْلَ بَدْعَ يدخلها حتى يدخل إلى اليمن ، فخرج من دمشق حتى قدم بغداد ، فصلى بالناس بها يوم القسطن ، فخص من بغداد يوم الاثنين ليلة خلّت من ذى القعدة ، وأقام الحج للناس .

(١) ابن الأثير : « المكي »

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ظَفَرُ الأَفْشِيَيْنِ فيها بِالْبَيْتِ^(١) ؛ وهى من أرض مصر ، ونزل أهلها بأمان على حُكْمِ المأمون ، قُرِئَ كتاب فتحها لليلة بقيت من شهر ربيع الآخر .

وورد المأمون فيها مصر في المحرم ، فأُتِيَ بعبدوس الفهرى فضرب عنقه ، وانصرف إلى الشام .

• • •

[ذكر الخبر عن قتل على وحسين ابني هشام]

وفيهما قتل المأمون ابني هشام علياً وحُسَيْنًا بأَذَنَةٍ في جمادى الأولى .

• ذكر الخبر عن سبب قتله علياً :

وكان سبب ذلك ؛ أن المأمون لَلَّذَى بلغه من سوء سيرته في أهل عمله الذى كان المأمون ولاً— وكان ولاه كُور الجبال— وقتله الرجال ، وأخذ الأموال ؛ فوجّه إليه عَجِيف ، فأراد أن يقتلك به ويلحق ببابك ، فظفر به عَجِيف ، فقدم به على المأمون ، فأمر بضرب عنقه ، فتولى قتله ابن الخليل . وتولى ضربَ عُنُقِ الحسين محمد بن يوسف ابن أخيه بأَذَنَةٍ ، يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ثم بعث رأس على بن هشام إلى بغداد وخراسان ، فطيف به ، ثم رُدَّ إلى الشام والجزيرة فطيف به كورة كورة ، فقدم به دمشق في ذى الحجة ، ثم ذهب به إلى مصر ، ثم أُلْقِيَ بعد ذلك في البحر . وذكر أن المأمون لما قتل على بن هشام ، أمر أن يكتب رقعة وتعلّق على رأسه ليقرأها الناس ؛ فكتب :

(١) ابن الأثير : « بالبيت » .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين كان دعا عليّ بن هشام فيمن دعا من أهل خراسان أيام الخلع ، إلى معاونته والقيام بحقه ، وكان فيمن أجاب وأسرع الإجابة ، وعاون فأحسن المعاونة . فرعى أمير المؤمنين ذلك له واصطنعه ^(١) ، وهو يظنّ به تقوى الله وطاعته والانتهاه إلى أمر أمير المؤمنين في عمل إن أسند إليه في حسن السيرة وعفاف الطعمة ^(٢) ، وبدأه أمير المؤمنين بالإفضال عايه ، فولاه الأعمال السنية ، ووصله بالصلوات الجزيلة التي أمر أمير المؤمنين بالنظر في قدرها ، فوجدها أكثر من خمسين ألف ألف درهم ، فقدّ يده إلى الخيانة والتضييع لما استرعاه من الأمانة ، فباعده عنه وأقصاه ، ثم استقال أمير المؤمنين عثرته فأقاله إياها ، وولاه الجبل وأذربيجان وكور أرمينية ، ومخاربة أعداء الله الحرّمية ، على ألا يعود لما كان منه ؛ فعاود أكثر ما كان بتقديمه الدينار والدّهرم على العمل لله ودينه ، وأساء السيرة وعسف الرعيّة وسفك الدماء المحرّمة ، فوجه أمير المؤمنين عجيف بن عنبسة مباشراً لأمره ، وداعياً إلى تلافى ما كان منه ؛ فوثب بعجيف يريد قتله ، فتوى الله عجيفاً بنيته الصادقة في طاعة أمير المؤمنين ؛ حتى دفعه عن نفسه ، ولو تمّ ما أراد بعجيف لكان في ذلك ما لا يستدرك ولا يستقال ؛ ولكنّ الله إذا أراد أمراً كان مفعولاً . فلما أمضى أمير المؤمنين حكم الله في عليّ بن هشام ، رأى ألا يؤاخذ من خلفه بذنبه ، فأمر أن يجرى لولده ولعياله ولمن اتصل بهم ومن كان يجرى عليهم مثل الذي كان جارياً لهم في حياته ؛ ولولا أن عليّ بن هشام أراد العظمى بعجيف ، لكان في عداد من كان في عسكره من خالف وخان ، كعيسى بن منصور ونظرائه . والسلام :

وفي هذه السنة دخل المأمون أرض الروم ، فأناخ على لؤلؤة مائة يوم ، ثم رحل عنها وخلف عليها عجيفاً ، فاخذعه أهلها وأسروه ؛ فكث أسيراً في أيديهم ثمانية أيام ، ثم أخرجوه ، وصار توفيل إلى لؤلؤة ، فأحاط بعجيف ، فصرف المأمون الجنود إليه ، فارتحل توفيل قبل موافاتهم ، وخرج أهل لؤلؤة إلى عجيف بأمان .

(١) اصطنعه : اختاره لخاصة أمره . (٢) الثعمة : المأكلة ووجه الكسب .

[كتاب توفيل إلى المأمون ورّد المأمون عليه]

وفيها كتّبت توفيل صاحب الرّوم إلى المأمون يسأله الصلح، وبدأ بنفسه في كتابه، وقدم بالكتاب الفضل وزير توفيل يطلب الصلح، وعرض الفدية . وكانت نسخة كتاب توفيل إلى المأمون :

أما بعد، فإن اجتماع المختلفين على حظّهما أوّلى بهما في الرّأي مما عاد بالضرر عليهما ؛ ولست حريّاً أن تدع لحظّ يصل إلى غيرك حظّاً تحوزّه إلى نفسك، وفي علمك كافٍ عن إخبارك؛ وقد كنت كتبت إليك داعياً إلى المسالمة، راغباً في فضيلة المهادنة، لتضع أوزار الحرب عنا، ونكون كل واحد لكل واحد وليّاً وحزباً، مع اتصال المرافق والفسّح^(١) في المتاجر، وفكّ المستأمر، وأمن الطرق والبَيْضَة؛ فإن أبيت فلا أدب لك في الحمّر^(٢)، ولا أزخرف لك في القول؛ فإنّي لخائض إليك غمارها، آخذ عليك أسداها^(٣)؛ شأنٌ خيلها ورجالها، وإن أفعل فبعد أن قدّمت المَعذرة، وأقمت بيني وبينك عمائم الحجّة. والسلام .

فكتب إليه المأمون :

أما بعد ؛ فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة، ودعوتٍ إليه من الموادّعة، وخلطت فيه من اللّين والشدة؛ مما استعظفت به؛ من شرح المتاجر واتصال المرافق، وفكّ الأسارى، ورفع القَتْل والقتال، فلولاً ما رجعت إليه من أعمال التّوّدة والأخذ بالحظّ في تقليب الفكرة، وألاًّ أعتقد الرّأي في مستقبله إلا في استصلاح ما أوتره في معتبه، بلعلت جواب كتابك خيلاً تحمل رجالاً

(١) الفسح : جمع فحة أو هي السعة .

(٢) الحمّر، بالتحريك : كل ما وارك من شجر أو بناء أو غيره . وخمر كفجر : توارى ومن أمثال العرب : « يدب له الضراء ويمشي الحمّر » . والضراء كسحاب : الشجر الملتف في الوادي ؛ يقال : توارى الصيد في ضراء، وقلان يمشي الضراء ؛ إذا مشي مستخفياً فيما يوارى من الشجر، مثل يضرب للرجل يختل صاحبه .

(٣) الأسداد : جمع سد وهو الحاجز .

من أهل البأس والتجدة والبصيرة ينازعونكم عن شُكلكم^(١) ويتقرَّبون إلى الله
بدمائكم ؛ ويستقلُّون في ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ، ثم أوصل إليهم من
الأمداد ، وأبلغ لهم كافياً من العُدَّة والعتاد ، هم أظلماً إلى موارد المنايا منكم إلى
السلامة من مخوف معرفتهم عليكم ؛ موعدهم لإحدى الحسينين : عاجل غلبة ،
أو كريم منقلب ؛ غير أني رأيت أن أتقدِّم إليك بالموعظة التي يثبت الله بها
عليك الحجة ؛ من الدعاء لك ولمن معك إلى الوجدانية والشرعية الخنيفية ؛ فإن
أبيتَ ففدية توجب ذمَّة ، وتُسبِّب نَظرة ، وإن تركتَ ذلك ، ففي يقين المعاينة
لنعوتنا ما يُغني عن الإبلاغ في القول والإغراق في الصفة . والسلام على من
اتبع الهدى .

١١١١/٣

* * *

وفيها صار المؤمنون إلى سَكَنُوس .

وفيها بعث عليّ بن عيسى القميّ جعفر بن داود القميّ فضرب أبو إسحاق
ابن الرّشيد عنقه .

وحجّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن عليّ .

(١) الكل - الموت وإهلاك .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من شخوص المأمون من سَلَغُوس إلى الرِّقَّة ، وقتله بها ابنُ أخت الداري .

وفيهما أمر بتفريغ الرَّاغفة لينزلها حشمه ، فضجَّ من ذلك أهلها فأعفاهم .
وفيهما وجَّه المأمون ابنه العباس إلى أرض الروم ، وأمره بتزول الطُّوانة
وبنائها ، وكان قد وجَّه السَّعَلَةَ والفروض ، فابتدأ البناء ، وبنائها ميلاً في ١١١٢/٣
ميل ، وجعل سورَها على ثلاثة فراسخ ، وجعل لها أربعة أبواب ، وبنى على
كلِّ باب حصناً ، وكان توجيهه ابنه العباس في ذلك في أوَّل يوم من
جمادى .

وكتب إلى أخيه أبي إسحاق بن الرِّشيد ؛ أنه قد فرض على جُند دمشق
وحمص والأردن وفلسطين أربعة آلاف رجل ، وأنه يجرى على الفارس مائة
درهم ، وعلى الرَّاجل أربعين درهماً ، وفرضَ على مصر فَرَضاً ، وكتب إلى
العباس بِمَنْ "فَرَضَ" على قِنَسَرين والجزيرة ، وإلى إسحاق بن إبراهيم بمن فرض
على أهل بغداد وهم ألفا رجل ، وخرج بعضهم حتى وافى طُوانة ونزلها مع العباس .

• • •

[ذكر خبر المنة بالقرآن]

وفي هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في استحقاق الفضاة
والمحدثين ، وأمر بإشخاص جماعة منهم إليه إلى الرِّقَّة ، وكان ذلك أوَّل كتاب
كتب في ذلك ، ونسخة كتابه إليه :

أما بعد : فإن حقَّ الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة
دين الله الذي است حفظهم ، وموارث النبوة التي أورثهم ، وأثر العلم الذي
أسودعهم : ولنعلم بالحق في رعيته والتشجيع لطاعة الله فيهم ، والله

يسأل أمير المؤمنين أن يوقفه لعزيمة الرشد وصريمته^(١) والإقساط فيما ولّاه الله من رعيته برحمته ومنته . وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حسّو الرعية وسفلة العامة ممن لا نظّره ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته والاستضاءء بنور العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله، وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به. ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله ، وقصور أن يقدرُوا الله حقّ قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا بينه وبين خلقه ، لضعف آرائهم ونقص عقولهم وجفائهم عن التفكّر والتذكر ؛ وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا مجتمعين ، واتفقوا غير متعاجمين ، على أنه قديم أول لم يخلقه الله ويُحدِثه ويخترعه ، وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه الذي جعله لما في الصدور شفاءً ، وللمؤمنين رحمةً وهدى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ۖ ﴾^(٢) ، فكلُّ ما جعله الله فقد خلقه ، وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ﴾^(٣) ، وقال عز وجل : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾^(٤) ، فأخبر أنه قصص لأُمور أحدثه بعدها وتلا به متقدّمها ، وقال : ﴿ الرَّاءُ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾^(٥) ، وكل محكم مفصل فله محكم مفصل ، والله محكم كتابه ومفصله ؛ فهو خالقه ومبتدعه .

١١١٣/٣

١١١٤/٣

ثم هم الذين جادلوا بالباطل فدعوا إلى قولهم ، ونسبوا أنفسهم إلى السنة ، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته مبطل قولهم ، ومكذب دعواهم ، يرد عليهم قولهم ونجّلتهم . ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة ، فاستطالوا بذلك على الناس ، وغرّوا به الجهال حتى مال قوم من أهل السمّت الكاذب ، والتخشع لغير الله ، والتشّيف لغير الدين إلى موافقتهم عليه ، ومواطأتهم على سبي آرائهم ، تزينا

(١) الصريمة : العزيمة وقطع الأمر ، وفي ف : « صريمة » .

(٢) سورة الزخرف ٣

(٣) سورة الأنعام ١

(٤) سورة هود ١ ، ٢ .

(٥) سورة طه ٩٩ .

بذلك عندهم وتصنعاً للرياسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم ، فقبلت بتزكيتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دغل دينهم ، ونغل أديهم ، وفساد نيّاتهم و يقينهم . وكان ذلك غايتهم التي إليها أجزوا ، وإياها طلبوا في متابعتهم والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ، ودرّسوا ما فيه ، أولئك الذين أصمّتهم الله وأعمى أبصارهم ، ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^(١) .

فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شرّ الأمة ورعوس الضلالة ، المتقوصون من التوحيد حظاً ، والمخسوسون من الإيمان نصيباً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق في أولياته ، والهائل على أعدائه ؛ من أهل دين الله ، وأحقّ من يستهم في صدقه ، وتطرح شهادته ، لا يوثق بقوله ولا عمله ؛ فإنه لا عمل إلا بعد يقين ، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام ، وإخلاص التوحيد ، ومن عصى عن رُشدّه وحظّه من الإيمان بالله ويتوحيده ؛ كان عمّا سوى ذلك من عمله والقصد في شهادته أعمى وأضلّ سبيلاً . ولعمرُ أمير المؤمنين إن أحجى^(٢) الناس بالكذب في قوله ، وتخرّص الباطل في شهادته ، من كذب على الله ووجهه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وإنّ أولاهم بردّ شهادته في حكم الله ودينه من ردّ شهادة الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطله .

فاجمع من بحضرتك من القضاة ، وأقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون ، في خلق الله القرآن وإحداثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ، ولا واثق فيما قلده الله ، واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده و يقينه ؛ فإذا أقرّوا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه ، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة . فمرهم بنص^(٣) من يحضروهم من الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك إثبات شهادة من لم يقرّ أنه مخلوق محدث ولم يره ، والامتناع من توقيعها

(٢) أحجى : أحق وأجدر .

(١) سورة محمد ٢٤

(٣) نصه : استقصى سألت عن الشيء .

عنده . واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسائلهم ؛ والأمر لهم بمثل ذلك ؛ ثم أشرف عليهم وتفقّد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر في الدين والإخلاص للتوحيد ^(١) ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك . إن شاء الله .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ومائتين .

وكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم في إشخاص سبعة نفر ، منهم محمد ابن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم مستمل يزيدي بن هارون . ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب أبو خيثمة ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن الذوّرق ، فأشخصوا إليه ، فامتحنهم وسألهم عن خلق القرآن ، فأجابوا جميعاً إن القرآن مخلوق ، فأشخصهم إلى مدينة السلام وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره ، فشهروا أمرهم وقولهم بخضرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث : فأقرؤا بمثل ما أجابوا به المأمون ، فخلّى سبيلهم . وكان ما فعل من ذلك إسحاق بن إبراهيم بأمر المأمون .

١١١٧/٣

وكتب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن إبراهيم :

أما بعد ، فإنّ من حق الله على خلفائه في أرضه ، وأمنائه على عباده ، الذين ارتضاهم لإقامة دينه ، وحملهم رعاية ^(٢) خلقه وإمضاء حكمه وسنّته ^(٣) والائتمام بعدله في بريته ، أن يُجهدوا لله أنفسهم ، وينصحوا له فيما است حفظهم وقلدهم ، ويدلوا عليه — تبارك اسمه وتعالى — بفضل العلم الذي أودعهم : والمعرفة التي جعلها فيهم ، ويهدوا إليه من زاععه ، ويردّوا من أدبر عن أمره ، وينتهجوا لرعاياهم سمّت نجاتهم ^(٤) ، ويفقههم ^(٥) على حدود إيمانهم وسبيل فوزهم وعصمتهم ويكشفوا لهم منطيات أمورهم ومشتبهاتها عندهم ، بما يدفعون الرّيب ^(٦) عنهم ، ويعود بالضياء والبيّنة على كافيتهم ، وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم ، إذ كان جامعاً لقنون مصانهم ، ومنتظماً لحظوظ عاجلتهم

(٢) ف : « وجعلهم رعاة » .

(٤) ف : « سبل نجاته » .

(٦) ف : « ما يدعون به الريب » .

(١) ف : « للتوحيد » .

(٣) سن : « سنّه » .

(٥) س : « ويفقههم » .

وآجلتهم ، ويتذكروا ما الله مُرصدٌ من مساء لثمتهم عما حُمِّلوه ، ومجازاتهم بما^(١) أسلفوه وقدموا عنده ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله وحده ، وحسبه الله وكفى به . ومما بيته أمير المؤمنين برويته ، وطالعه بفكره ، فتيبنَ عظيم خطره ، ١١١٨/٣ وجليل ما يرجع في الدين من وكفه^(٢) ، وضرره ، ما ينال المسلمون^(٣) بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماماً لهم ، وأثراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفية محمد صلى الله عليه وسلم باقية لهم ، واشتباهاه على كثير منهم ؛ حتى حسن عندهم ، وتزيين في عقولهم ألا يكون مخلوقاً ، فتعرّضوا بذلك لدفع خلق الله الذي بان^(٤) به عن خلقه ، وتفرّد بجلالته ؛ من ابتداع^(٥) الأشياء كلها بحكمته وإنشائها بقدرته ، والتقدّم عليها بأوليته^(٦) التي لا يُبلّغ أولها ، ولا يدرك مداها ؛ وكان كل شيء دونه خلقاً من خلقه ، وحدثاً هو المحدث له ؛ وإن كان القرآن ناطقاً به ودالاً عليه ، وقاطعاً للاختلاف فيه ، وضاهوا به قول النصارى في دعائهم في عيسى بن مريم : إنه ليس بمخلوق ؛ إذ كان كلمة الله ، والله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(٧) ، وتأويل ذلك أنا خلقناه كما قال جلّ جلاله : ﴿ وَجَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾^(٨) وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾^(٩) ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(١٠) فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الملائق التي ١١١٩/٣ ذكرها في شية الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾^(١١) ، فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ، ولا يحاط إلا بمخلوق ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾^(١٢) وقال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ ﴾^(١٣)

(١) س : « عما أسلفوه » .

(٢) س : « المسلمين » .

(٣) ف : « بابتداع » .

(٤) ف : « بازليته » .

(٥) (٨) سورة الأعراف ١٨٩ .

(٦) (١٠) سورة الأنبياء ٣٠ .

(٧) (١٢) سورة القیامة ١٦ .

(٨) (١١) سورة البروج ٢١-٢٢ .

(٩) (١٣) سورة الأنبياء ٢ .

وقال : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ ^(١) ،
وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم أنهم قالوا : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٢) ،
ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي
جَاءَ بِهِ مُوسَى ﴾ ^(٣) ، فسمى الله تعالى القرآن قرآنًا وذكرًا وإيمانًا ونورًا وهديًا
ومباركًا وعربيًا وقصصًا ، فقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ ^(٤) ، وقال : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى
أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ ^(٥) ، وقال : ﴿ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ
سُورٍ مِثْلِهِ مُقْتَرَيَاتٍ ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ^(٧) فجعل له أولًا وآخرًا ، ودل عليه أنه محدود مخلوق
وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن التلثم في دينهم ، والخرج في
أمانتهم ^(٨) ، وسهلوا السبيل لعدو الإسلام ، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على
قلوبهم ^(٩) حتى عرفوا ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده ،
وشبهوه ^(١٠) به ، والاشتباه أولى بخلقه . وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه
المقالة حظًا في الدين ، ولا نصيبًا من الإيمان واليقين ، ولا يرى أن يحل أحدًا
منهم محل الثقة في أمانة ، ولا عدالة ولا شهادة ^(١١) ، ولا صدق في قول ولا
حكاية ، ولا تولية لشيء من أمر الرعية ، وإن ظهر قصد بعضهم ، وعرف
بالسداد مسدد فيهم ؛ فإن الفروع مردودة إلى أصولها ، ومحمولة في الحمد
والنم عليها ؛ ومن كان جاهلًا بأمر دينه النبي أمره الله به من وحدانيته
فهو بما سواه أعظم جهلا ، وعن الرشد في غيره أعشى وأضل سبيلا .

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحاق القاضي كتاب

١١٢٠/٣

(١) سورة الأنعام ٢١ .

(٢) سورة الأنعام ٩١ .

(٣) سورة يوسف ٣ .

(٤) سورة هود ١٣ .

(٥) س : « أماناتهم » .

(٦) س : « وشهدوا » .

(٧) سورة الأنعام ٩١ .

(٨) سورة الإسراء ٨٨ .

(٩) سورة فصلت ٤٢ .

(١٠) ف : « أنفسهم » .

(١١) ف : « ولا أمانته ولا عدالته ولا شهادته » .

أمير المؤمنين بما كتب به إليك، وانصصها عن^(١) علمهما في القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شيء من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده ، وأنه لا توحيد^(٢) لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق^(٣)، فإن قالاً بقول أمير المؤمنين في ذلك، فتقدم إليهما في امتحان من يحضر مجالسهما بالشهادات على الحقوق، ونصهم عن قولهم في القرآن؛ فمن لم يقل منهم إنه مخلوق أبطلاً شهادته ، ولم يقطعا حكماً بقوله ؛ وإن ثبت عفاؤه بالقصد والسداد في أمره . وافعل ذلك بمن في سائر عملك من القضاة ، وأشرف عليهم إشرافاً يزيد الله به ذا البصيرة في بصيرته ، ويمنع المرتاب من إغفال دينه ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون منك في ذلك. إن شاء الله .

قال : فأحضر إسحاق بن إبراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وأحضر أبا حسان الزيادي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن أبي مقاتل والفضل ابن غانم والذبيال بن الهيثم وسجادة والقواريري وأحمد بن حنبل وقتيبة وسعدويه الواسطي وعلي بن الجعد وإسحاق بن أبي إسرائيل وابن الهرث وابن علقمة الأكبر ويحيى بن عبد الرحمن العمري وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب - كان قاضي الرقة - وأبا نصر التمار وأبا معمر القطيعي ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب وابن الفسرخان، وجماعة منهم النضر بن شميل وابن علي بن عاصم وأبو العوام الززاز وابن شجاع وعبد الرحمن بن إسحاق؛ فأدخلوا جميعاً على إسحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتين حتى فهموه ، ثم قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ فقال : قد عرفت مقالتي لأمر المؤمنين غير مرة ؛ قال : فقد تجدّد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال : أقول : القرآن كلام الله ، قال : كم أسألك عن هذا، أم مخلوق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ، قال : ما القرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال : فمخلوق ؟ قال : ليس بخالق ، قال : ليس أسألك عن هذا، أم مخلوق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استعهدت أمير المؤمنين ألا أتكلم

(١) ف : « ولا توحيد » .

(٢) ف : « على » .

(٣) م : « ليس بمخلوق » .

فيه ، وليس عندي غير ما قلت لك . فأخذ إسحاق بن إبراهيم رقعةً كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقفه عليها ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله أحداً فرداً ، لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، قال : نعم ؛ وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ، فقال للكاتب : اكتب ما قال .

ثم قال لعلّي بن أبي مقاتل : ما تقول يا علي ؟ قال : قد سمعتُ كلامي لأمر المؤمنين في هذا غير مرة وما عندي غير ما سمع ، فامتنحه بالرقعة فأقر بما فيها ، ثم قال : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله ؛ وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا . فقال للكاتب : اكتب مقالته .

ثم قال للذيال نجواً من مقالته لعلّي بن أبي مقاتل ، فقال له مثل ذلك . ثم قال لأبي حسان الزياتي : ما عندك ؟ قال : سل عما شئت ، فقرأ عليه الرقعة ووقفه عليها ، فأقر بما فيها ، ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كل شيء ، وما دون الله مخلوق ، وأمر المؤمنين إمامنا وبسببه سمعنا عامة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، وقد قلده الله أمرنا ، فصار يقيم حجنا وصلاتنا ، ونؤدي إليه زكاة أموالنا ، ونجاهد معه ، ونرى إمامته إمامة ، إن أمرنا انتصرنا ، وإن نهانا انتهينا ؛ وإن دعانا أجبنا . قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعاد عليه أبو حسان مقالته ، قال : إن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكون مقالة أمير المؤمنين ولا يأمر بها الناس ولا يدعوهم إليها ؛ وإن أخبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول ، قلت ما أمرتني به ؛ فإنك الثقة المأمون فيما أبلغتني عنه من شيء ؛ فإن أبلغتني عنه بشيء صرت إليه ، قال : ما أمرني أن أبلغك شيئاً . قال عليّ ابن أبي مقاتل : قد يكون قوله كاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الفرائض والموارث ، ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندي إلا السمع والطاعة ، فرني آتمر ، قال : ما أمرني أن أمرك^(١) ؛ وإنما أمرني أن أمتحنك^(٢) .

١١٢٢/٣

(٢) ١ : « امتحنكم » .

(١) ١ : « أمركم » .

ثم عاد إلى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام (١) الله ، قال : أخلق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها ، فامتحنته بما في الرقعة (٢) ، فلما أتى على « ليس كمثله شيء » ، قال : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (٣) وأمسك عن لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر ، فقال : أصلحك الله ! إنه يقول : سميع من أذن ، بصير من عين ، فقال إسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله (٤) : « سَمِيعٌ بَصِيرٌ » ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدرى ، هو كما وصف نفسه .

ثم دعا بهم رجلا رجلا ، كلهم يقول : القرآن كلام الله ، إلا هؤلاء النفر : قتيبة وعبيد الله بن محمد بن الحسن وابن علية الأكبر وابن البكاء وعبد النعم ابن إدريس ابن بنت رهب بن منبه والمظفر بن مروج ، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه ، ولا يعرف بشيء منه ، إلا أنه دس في ذلك الموضع ، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة ، وابن الأحمر ، فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال : القرآن مجعول لقول الله تعالى : « إِنَّا بَعَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا » (٥) والقرآن محدث لقوله : « قَا يَا أَيُّهُمْ مِنْ ذِكْرِ مِّنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ » (٦) قال له إسحاق : فالجوعول مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول مخلوق ، ولكنه مجعول ، فكذب مقالته .

فلما فرغ من امتحان القوم : وكتب مقالاتهم (٧) اعترض ابن البكاء الأصغر ، فقال : أصلحك الله ! إن هذين القاضيين أئمة ، فلو أمرتهما فأعادا الكلام ! قال له إسحاق : هما ممن يقوم بحجة أمير المؤمنين ، قال : فلو أمرتهما أن يُسمعانا مقالاتهما ، لنحكى ذلك عنهما ! قال له إسحاق : إن شهدت

١١٢٥/٣

(١) س : « قال : « القرآن » .

(٢) ف : « بالرقعة وما فيها » .

(٣) سورة الشورى ١١ .

(٤) ف : « قوله » .

(٥) سورة النور ٣ .

(٦) سورة الأنبياء ٢ .

(٧) ف : « مقالهم » .

عندهما بشهادة ، فستعلم مقاتلتهما إن شاء الله .

فكتب مقالة القوم رجالاً رجلاً^(١) ، ووجهت إلى المأمون ، فكث القوم تسعة أيام ، ثم دعا بهم وقد ورد كتاب المأمون^(٢) جواب كتاب إسحاق بن إبراهيم في أمرهم ، ونسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ؛ فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جواب كتابه كان إليك ، فيأذهب إليه متصنعة أهل القبلة وملتمسو الرئاسة ، فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة من القول في القرآن ، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم وإحلالهم محالهم . تذكر لحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن ابن إسحاق عند ورود كتاب أمير المؤمنين مع من أحضرت ممن كان ينسب إلى الفقه ، ويعرف بالجلوس للحديث ، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعاً كتاب أمير المؤمنين ، ومسألتك إياهم عن اعتقادهم في القرآن ، والدلالة لهم على حظهم ، وإطباقهم على نفي التشبيه واختلافهم في القرآن ، وأمرك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالإمساك عن الحديث والفتوى^(٣) في السر والعلانية ، وتقدمك إلى السندی وعباس مولى أمير المؤمنين بما تقدمت به فيهم إلى القاضيين بمثل ما مثل لك أمير المؤمنين من امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود ، وبث الكتب إلى القضاة في النواحي من عملك بالقدوم عليك ، لتحملهم وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين ، وتشبثك في آخر الكتاب أسماء من حضر ومقاتلاتهم ، وفهم أمير المؤمنين ما اقتضت .

١١٢٦/٣

وأمير المؤمنين بحمد الله كثيراً كما هو أهله ، ويسأله أن يصلّي على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ويرغب إلى الله في التوفيق لطاعته ، وحسن المعونة على صالح نيته برحمته . وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن ، ومارجع إليك فيه كل امرئ منهم ، وما شرحت^(٤) من مقاتلهم .

فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد في نفي التشبيه ، وما أمسك عنه من أن القرآن

(٢) ف : « أمير المؤمنين » .

(٤) س : « وشرحت » .

(١) ب : « رجل رجل » .

(٣) ف : « الفتوى » .

مخلوق، وادعى من تركه الكلام في ذلك واستعهاده أمير المؤمنين؛ فقد كذب بشر في ذلك وكفر، وقال الزور والمنكر، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك ولا في غيره عهد ولا نظر أكثر من إخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص، والقول بأن القرآن مخلوق، فادع به إليك، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك، وأنصحه عن قوله في القرآن، واستتب منه؛ فإن أمير المؤمنين يرى أن تستيب من قال بمقالته؛ إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح، والشرك المحض عند أمير المؤمنين؛ فإن تاب منها فأشهر أمره، وأمسك عنه؛ وإن أصر على شركه، ودفع أن يكون القرآن مخلوقاً بكفره وإلحاده، فاضرب عنقه، وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه؛ إن شاء الله.

وكذلك إبراهيم بن المهدي فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشراً؛ فإنه كان يقول بقوله. وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ؛ فإن قال: إن القرآن مخلوق فأشهر أمره واكشفه؛ وإلا فاضرب عنقه وابعث إلى أمير المؤمنين برأسه؛ إن شاء الله.

وأما علي بن أبي مقاتل، فقل له: ألسن القائل لأمر المؤمنين: إنك تُحِلُّ وتُحَرِّم، والمكَلِّم له بمثل ما كلمته به؛ مما لم يذهب عنه ذكره! وأما الذي قال بن الهيثم؛ فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الأنبار^(١) وفيما يستولى^(٢) عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين أبي العباس ما يشغله؛ وأنه لو كان مقتفياً آثار سلفه، وسالكاً مناهجهم، ومحتذياً سبيلهم^(٣)، لما خرج إلى الشرك بعد إيمانه.

وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العوام، وقوله إنه لا يحسن الجواب في القرآن، فأعلمه^(٤) أنه صبي في عقله لا في سنه، جاهل، وأنه إن كان^(٥) لا يحسن الجواب في القرآن فسيُحَسِّنُه إذا أخذهُ التَّأْدِيبُ، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك؛ إن شاء الله.

وأما أحمد بن حنبل وما تكتب عنه؛ فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف

(٢) س : « استولى » .

(٤) س : « فاعلم » .

(١) س : « بالأنبار » .

(٣) س : « سبلهم » .

(٥) ف : « أنكر » .

فحوى تلك المقالة وسبيلته فيها ، واستدلّ على جهله وآفته بها .

وأما الفضل بن غانم ؛ فأعلمه أنه لم يخفّ على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر ، وما اكتسب من الأموال في أقلّ من ستة ، وما شجّر بينه وبين المطّلب ابن عبد الله في ذلك ؛ فإنه منّ كان شأنه شأنه ، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته ، فليس بمستنكر^(١) أن يبيع إيمانه طمعاً فيهما ، وإثارةً لعاجل نفعهما ، وأنه مع ذلك القائل لعليّ بن هشام ما قال ، والمخالف له فيما خالفه فيه ؛ فما الذي حال به عن ذلك ونقله إلى غيره !

١١٢٨/٣

وأما الزّياديّ ، فأعلمه أنه كان متحلاً ، ولا كأولّ دعيّ كان في الإسلام خولف فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جديراً أن يسلك مسلكه ، فأنكر أبو حستان أن يكون مولّى لزياد أو يكون مولّى لأحد من الناس ؛ وذُكر أنه إنما نسب إلى زياد لأمر من الأمور .
وأما المعروف بأبي نصر التمار ؛ فإن أمير المؤمنين شبهه خُصّاسة عقله بخُصّاسة متجره .

وأما الفضل بن انفَرَّ خان ، فأعلمه أنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن أخذ الودائع التي أودعها إياه عبد الرحمن بن إسحاق وغيره تربُّصاً بمن استودعه ، وطمعاً في الاستكثار لما صار في يده ، ولا سبيلَ عليه عن تقادم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقلّ لعبد الرحمن بن إسحاق : لا جزاك الله خيراً عن تقويتك^(٢) مثل هذا واتّمانك^(٣) إياه ، وهو معتقد للشرك منسلخ من التوحيد .

وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبي معمر ؛ فأعلمهم أنهم مشاغل بأكل الرّبا عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحلّ محاربتهم في الله ومحاهدتهم إلا لإربابهم ، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم ، لاستحلّ ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شرّاً ، وصار للنصارى مثلاً !

١١٢٩/٣

وأما أحمد بن شجاع ؛ فأعلمه أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه

(٢) ف : « تقويتكم » .

(١) ف : « مستنكر » .

(٣) س : « وإيمانك » .

ما استخرجته من المال الذي كان استحلّه من مال عليّ بن هشام ؛ وأنه تمتن الدينار والدرهم دينه .

وأما سعدويه الواسطيّ ، فقل له : قبح الله رجلا بلغ به التصنّع للحديث ، والتزين به ، والحرص على طلب الرئاسة فيه ؛ أن يتمنى وقت المحنة ، فيقول بالتقرب بها متى يمتحن ، فيجلس للحديث !

وأما المعروف بسجادة ، وإنكاره أن يكون سمع ممتن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأن^(١) القرآن مخلوق ، فأعلمه أنه في شغله بإعداد النوى وحكته لإصلاح سجاده وبالودائع التي دفعها إليه عليّ بن يحيى وغيره ما^(٢) أذهله عن التوحيد وأهلاه ، ثم سله عما كان يوسف بن أبي يوسف ومحمد ابن الحسن يقولانه ؛ إن كان شاهدهما وجالسهما .

وأما القواريريّ ؛ ففما تكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات ، ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه ؛ وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أنه يتولّى لجعفر بن عيسى الحسنيّ مسائله ، فتقدّم إلى جعفر بن عيسى في رفضه ، وترك الثقة به والاستئمان إليه .

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمريّ ؛ فإن^(٣) كان من ولد عمر بن الخطاب ، فجوابه معروف .

وأما محمد بن الحسن بن عليّ بن عاصم ، فإنه لو كان مقتدياً بمن مضى من سلفه ، لم ينتحل النحلة التي حُكيت عنه ، وإنه بعدُ صبيّ يحتاج إلى تعلم . وقد كان أمير المؤمنين وجهه إليك المعروف بأبي مسهر بعد أن نصّه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن ، فجمعهم عنها وبلّج فيها ، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف ، فأقرّ ذمّاً ، فأنصصه عن إقراره ؛ فإن كان متبياً عليه فأشهر ذلك وأظهره ؛ إن شاء الله .

ومن لم يرجع عن شركه ممتن سميت لأمر المؤمنين في كتابك ، وذكره

(١) ف : « من أن » . (٢) ف : « فإ » . (٣) ف : « فإنه » .

أمير المؤمنين لك ، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا ؛ ولم يقل إن القرآن مخلوق ، بعد بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي فاحملهم أجمعين (١) موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين ، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في طريقهم ؛ حتى يؤدّيهم إلى عسكر أمير المؤمنين ، ويُسَلِّمهم إلى مَنْ يؤمّن بتسليمهم إليه ، لينصّبهم أمير المؤمنين ؛ فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعاً على السيف ، إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله .

وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابه هذا في خريطة بُنداريّة ؛ ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطيّة ، معجلاً به ، تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ بما أصدر من الحكم ورجاء ما اعتمد ، وإدراك ما أمّل من جزيل ثواب الله عليه ؛ فأنفذ لما أتاك من أمر المؤمنين ، وعجّل لإجابة أمير المؤمنين بما يكون منك في خريطة بُنداريّة مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه إن شاء الله .

١١٣١/٣

وكتب سنة ثمان عشرة ومائتين .

فأجاب القوم كلّهم حين أعاد القول عليهم إلى أن القرآن مخلوق ، إلا أربعة نفر ؛ منهم أحمد بن حنبل وسجّادة والقواريريّ ومحمد بن نوح المضرّوب . فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشُدّوا في الحديد ؛ فلما كان من الغد دعا بهم جميعاً يساقون في الحديد ، فأعاد عليهم الحنة ، فأجابه سجّادة إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر بإطلاق قيئده وخلّى سبيله ، وأصرّ الآخرون على قولهم ؛ فلما كان من بعد الغد عاودهم أيضاً ، فأعاد عليهم القول ، فأجاب القواريريّ إلى أن القرآن مخلوق ، فأمر بإطلاق قيده ، وخلّى سبيله ، وأصرّ أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على قولهما ، ولم يرجعا ، فشُدّا جميعاً في الحديد ، ووُجّها إلى طرَسُوس ، وكتب معهما كتاباً بإشخاصهما ، وكتب كتاباً مفرداً بتأويل القوم فيما أجابوا إليه . فكشوا أياهما ، ثمّ دعا بهما فإذا كتاب قد ورد من المأمون على إسحاق بن إبراهيم ، أن قد فهم أمير المؤمنين ما أجاب القوم إليه ، وذكر سليمان بن يعقوب صاحب الخبر أن بشر بن الوليد تأوّل الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ (٢)

١١٣٢/٣

وقد أخطأ التأويل ؛ إنما عني الله عز وجل بهذه الآية مَنْ كان^(١) معتقداً للإيمان ،
مظهراً للشرك^(٢) ، فأما مَنْ كان معتقداً للشرك مظهراً للإيمان ؛ فليس هذه^(٣)
له . فأشخصهم جميعاً إلى طَرَسُوس ؛ ليقموا بها إلى خروج أمير المؤمنين
من بلاد الروم .

فأخذ إسحاق بن إبراهيم من القوم الكُفلاء ليوافدوا العسكر بطَرَسُوس ،
فأشخص أبا حسان وبشر بن الوليد والفضل بن غانم وعلي بن أبي مقاتل
والذيال بن الهيثم ويحيى بن عبد الرحمن العمري وعلي بن الجعد وأبا العوام
وسجادة والقواريري وابن الحسن بن علي بن عاصم وإسحاق بن أبي إسرائيل
والنضر بن شميل وأبا نصر التمار وسعدويه الواسطي ومحمد بن حاتم بن ميمون
وأبا معمر وابن الهرث وابن الفرثخان وأحمد بن شجاع وأبا هارون بن البكاء .
فلما صاروا إلى الرقة بلغتهم وفاة المأمون ؛ فأمر بهم عبيسة بن إسحاق - وهو
والى الرقة - أن يصيروا إلى الرقة ، ثم أشخصهم إلى إسحاق بن إبراهيم بمدينة
السلام مع الرسول المتوجه بهم إلى أمير المؤمنين ، فسلمهم إليه ، فأمرهم إسحاق
بلزوم منازلهم ، ثم رخص لهم بعد ذلك في الخروج ، فأما بشر بن الوليد
والذيال وأبو العوام وعلي بن أبي مقاتل ؛ فإنهم شخصوا من غير أن يؤذن لهم
حتى قدموا ببغداد ، فلقوا من إسحاق بن إبراهيم في ذلك أذى ، وقدم الآخرون
مع رسول إسحاق بن إبراهيم ؛ فحلى سبيلهم .

١١٣٢/٣

• • •

[كتب المأمون إلى عماله ووصيته في كتبه]

وفي هذه السنة نُفِذَتْ كُتُبُ المأمون إلى عماله في البلدان : من عبد الله
عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبي إسحاق بن
أمير المؤمنين الرشيد . وقيل إن ذلك لم يكتبه المأمون كذلك ؛ وإنما كتب
في حال إفاقة من غَشِيَتْهُ أَصَابَتُهُ في مرضه بالبدندون^(٣) ، عن أمر المأمون إلى

(١ - ٢) من : « معتقداً للإيمان مظهراً للشرك » . (٢) ف : « هذا » .

(٣) في ياقوت : « بدنلون » ، بفتحين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون : قرية
بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الفخر ، مات بها المأمون ، فقتل إلى طرسوس ، ودفن بها .

العباس بن المأمون ، وإلى إسحاق وعبد الله بن طاهر ؛ أنه إن حدث به حدث الموت في مرضه هذا ، فالخليفة من بعده أبو إسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد . فكتب بذلك محمد بن داود ، وختم الكتب وأنفذها .

فكتب أبو إسحاق إلى عماله : من أبي إسحاق أخيه أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين .

فورد كتاب من أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد إلى إسحاق بن يحيى بن مُعَاذ عامله على جند دمشق يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، عنوانه : من عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد : أما بعد ؛ فإن أمير المؤمنين أمر بالكتاب إليك في التقدم إلى عمالك في حسن السيرة وتخفيف المئونة وكف الأذى عن أهل عملك ، فتقدم إلى عمالك في ذلك أشد التقدم ، وكتب إلى عمال الخراج بمثل ذلك . وكتب إلى جميع عماله في أجناد الشام ؛ جند حِمَاص والأردن وفلسطين بمثل ذلك ؛ فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة بقية من رجب صلى الجمعة إسحاق بن يحيى بن مُعَاذ في مسجد دمشق ، فقال في خطبته بعد دعائه لأمر المؤمنين : اللهم وأصلح الأمير أخا المؤمنين والخليفة من بعد أمير المؤمنين أبا إسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد .

١١٣٤/٣

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المأمون]

وفي هذه السنة توفى المأمون .

• ذكر الخبر عن سبب المرض الذي كانت فيه وفاته :

ذكر عن سعيد العلاف القارئ ، قال : أرسل إلى المأمون وهو ببلاد الروم — وكان دخلها من طرسوس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقية من جمادى الآخرة — فحملت إليه وهو في البستان ؛ فكان يستقرئ ، فدعاني يوماً ، فجلست فوجدته جالساً على شاطئ البستان ، وأبو إسحاق النخعي جالس عن يمينه ، فأمرني فجلست نحوه منه ؛ فإذا هو وأبو إسحاق مدليان

أرجلها في ماء البَدَدْتُون ، فقال : يا سعيد ، دَلَّ رجليك في هذا الماء ١١٣٥/٣ وذقه ؛ فهل رأيت ماء قط أشد برداً ، ولا أعذب ولا أصنى صفاء منه ! ففعلت وقلت : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت مثل هذا قط ، قال : أى شيء يطيب أن يؤكل ويشرب هذا الماء عليه ؟ فقلت : أمير المؤمنين أعلم ، فقال : رُطَب الآزاد^(١) ؛ فبينما هو يقول هذا إذا سمع وقع لحْم البريد فالتفت ، فنظر فإذا بغالٌ من بغال البريد ، على أعجازها حقائب فيها الألفاف ، فقال لحادم له^(٢) : اذهب فانظر : هل في هذه الألفاف رُطَب ؟ فانظرو ، فإن كان آزاد فأت به ؛ فجاء يسعى بسلتين فيهما رطب آزاد ، كأنما جُنِي من النخل تلك الساعة ؛ فأظهر شكرًا لله تعالى ؛ وكثر تعجبنا منه ، فقال : ادن فكل ، فأكل هو وأبو إسحاق ، وأكلت معهما ، وشربنا جميعًا من ذلك الماء ؛ فما قام منا أحد إلا وهو محموم ؛ فكانت منية المأمون من تلك العلة ؛ ولم يزل المعنصم عليلاً حتى دخل العراق ، ولم أزل عليلاً حتى كان قريباً .

ولما اشتدت بالمأمون علته بعث إلى ابنه العباس ، وهو يظن أن لن يأتيه ، فأتاه وهو شديد المرض متغير العقل ، قد نُفِذت الكتب بما نُفِذت له^(٣) في أمر أبي إسحاق بن الرشيد ، فأقام العباس عند أبيه أياماً ، وقد أوصى قبل ذلك إلى أخيه أبي إسحاق .

١١٣٦/٣

وقيل : لم يوص إلا والعباس حاضر ، وانقضاة والفقهاء والقواد والكتاب ؛ وكانت وصيته : هذا ما أشهد عليه عبدالله بن هارون أمير المؤمنين بمحضرة مَنْ حضره ؛ أشهدهم جميعاً على نفسه أنه يشهد ومَنْ حضره أن الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه ، ولا مدبر لأمره غيره ، وأنه خالق وما سواه مخلوق ، ولا يخلو القرآن أن يكون شيئاً له مثل ؛ ولا شيء مثله تبارك وتعالى ، وأن الموت حق ، والبعث حق ، والحساب حق ، وثواب المحسن الجنة وعقابيا المسيء النار ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد بلغ عن ربِّه شرايع دينه ، وأدبى نصيحته إلى أمته ؛ حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه أخصل الصلاة

(١) ذكره الجواليقي في المصنف ٣٤ (٢) انه : « نغلام من غلمانه » .

(٣) ف : « فيه من » .

صلاة على أحد من ملائكته المقربين وأنبيائه والمرسلين ، وأنى مقرّ مذنب ، أرجو وأخاف ؛ إلا أنتى إذا ذكرت عفو الله رجوت ؛ فإذا أنا مت فوجهوني وغمضوني ، وأسبغوا وضوئي وطهورى ، وأجيدوا كفننى ؛ ثم أكثروا حمد الله على الإسلام ومعرفة حقه عليكم فى محمد ؛ إذ جعلنا من أمته المرحومة ، ثم أضجعوني على سريري ، ثم عجلوا بى ؛ فإذا أنتم وضعتوني للصلاة ؛ فليتقدّم بها من هو أقربكم بى نسباً ، وأكبركم سنّاً ، فليكبّر خمساً ، يبدأ فى الأولى فى أولها بالحمد لله والثناء عليه والصلاة على سيدتى وسيد المرسلين جميعاً ، ثم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ؛ الأحياء منهم والأموات ، ثم الدعاء للذين سبقونا بالإيمان ، ثم ليكبّر الرابعة ، فيحمد الله ويهلّله ويكبّره ويسلم فى الخامسة ، ثم أقدّوني فأبلغوا بى حفرتى ، ثم لينزل أقربكم إلى قرابة ، وأودّكم محبة ، وأكثروا من حمد الله وذكره ، ثم ضعّوني على شق الأيمن واستقبلوا بى القبلة ، وحلّوا كفنّى عن رأسى ورجلى ، ثم سدّوا اللحد باللّبن ، واحشّوا تراباً على^(١) ، واخرجوا عنى وخلّوني وعملى ؛ فكلّكم لا يغنى عنى شيئاً ، ولا يدفع عنى مكروهاً ، ثم قفوا بأجمعكم فقولوا^(٢) خيراً إن علمتم ، وأمسيكوا عن ذكر شرّ إن كنتم عرّفتم ، فلمنى مأخوذ من بينكم بما تقولون وما تلفظون به ، ولا تدعّوا باكيةً عندى ؛ فإن المعول عليه يعذب . رحم الله امرأ اتعظ وفكر فيما حتم الله على جميع خلقه من الفناء ، وقضى عليهم من الموت الذى لا بدّ منه ، فالحمد لله الذى توحدّ بالبقاء ، وقضى على جميع خلقه الفناء . ثم لينظر ما كنتُ فيه من عزّ الخلافة ؛ هل أغنى ذلك عنى شيئاً إذ جاء أمر الله ! لا والله ، ولكن أضعيف علىّ به الحساب ، فيا ليت عبد الله بن هارون لم يكن بشراً ، بل ليته لم يكن خلقاً ! يا أبا إسحاق ، ادنْ منى ، واتعظ بما ترى ، وخذ بسيرة أخيك فى القرآن ، واعمل فى الخلافة إذا طوّقكها الله عمل المرید لله ، الخائف من عقابه وعذابه ؛ ولا تغترّ بالله ومهلته^(٣) ؛ فكان قد نزل بك الموت . ولا تغفل أمر الرعية . الرعية الرعية ! العوام العوام ! فإن المُلْك بهم ويتعهّدك^(٤) المسلمين والمنفعة لهم . الله الله فى غيرهم من المسلمين !

١١٣٧/٣

١١٣٨/٣

(٢) س : « وقولوا » .

(١) ث : « اترايا » .

(٤) ف : « وتمهلك » .

(٣) مر وابن الأثير : « ترموا » .

ولا يُنهيَنَّ إليك أمر فيه صلاح للمسلمين^(١)، ومنفعة لهم إلا قدَّمته وآثرته على غيره من هواك، وخذ من أقويائهم لضعفائهم، ولا تحمل عليهم في شيء، وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم، وقربهم وتأتهم، وعجل الرحلة عنِّي، والقدوم إلى دارملكك بالعراق، وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت. والخُرُمِيَّة فأغزهم ذا حزامه وصرامة وجلد، وأكسفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرَّجالة؛ فإن طالَّت مدتهم فتجرَّد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك، وأعمل في ذلك عمل مقدَّم النية فيه، راجياً ثواب الله عليه. واعلم أنَّ العِظَة إذا طالَّت أوجبت على السامع لها الموصى بها الحجة؛ فاتق الله في أمرك كله، ولا تُفْتِنَنَّ.

ثم دعا أبا إسحاق بعد ساعة حين اشتدَّ به الوجع، وأحسَّ بمجيء أمر الله فقال له: يا أبا إسحاق، عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومنَّ بحق الله في عبادته، ولتؤثرنَّ طاعته على معصيته؛ إذ أنا^(٢) نقلتها من غيرك إليك؟ قال: اللهم نعم، قال: فانظر من كنت تسمعنِّي أقدمه على لساني فأضعف له التقدمة؛ عبد الله بن طاهر أقره على عمله ولا تهجه، فقد عرفت الذي سلف منكما أيام حياتي وبحضرتي، استعطفه بقلبك، وخصَّته ببرك، فقد عرفت بلاءه وغشاه عن أخيك. وإسحاق بن إبراهيم فأشركه في ذلك؛ فإنه أهلٌ له. وأهل بيتك، فقد علمت أنه لا بقيةَ فيهم وإن كان بعضهم يظهر الصيانة لنفسه. عبد الوهاب عليك به من بين أهلك، فقدَّمه عليهم، وصير أمرهم إليه. وأبو عبد الله بن أبي داود فلا يفارقك، وأشركه في المشورة في كلِّ أمرك؛ فإنه موضع لذلك منك، ولا تتخذنَّ بعدى وزيراً تلقى إليه شيئاً؛ فقد علمت ما نكبتني به يحيى بن أكرم في معاملة الناس وخبث صيرته^(٣) حتى أبان الله ذلك منه في صحبة مني، ففصرتُ إلى مفارقتك! قالياً له غير راضٍ بما صنع في أموال الله وصدقاته، لا جزاء الله عن الإسلام خيراً! وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه،

(١) ف: «المسلمين».

(٢) من رايين الكثير: «لذا».

(٣) ف: «سريره».

فأحسن صحبتهم ، وتجاوز عن سيئهم ، وأقبل من محسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها ، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى . اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . اتقوا الله واعملوا له ، اتقوا الله في أموركم كلها . أستودعكم ^(١) الله ونفسي وأستغفر الله مما سلف ، وأستغفر الله مما كان مني ، إنه كان غفاراً ، فإنه ليَعْلَمُ كيف ندمي على ذنوبي ، فعليه توكلت من عظيمها ^(٢) ، وإليه أنيب ولا قوة إلا بالله ، حسبي الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة !

١١٤٠/٣

* * *

ذكر الخبر عن وقت وفاته والموضع الذي دفن فيه ومن صلى عليه ومبلغ سنه وقدّر مدة خلافته

قال أبو جعفر ^(٣) : وأما وقت وفاته ، فإنه اختلف فيه ، فقال بعضهم : توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب بعد العصر سنة ثمان عشرة ومائتين .

وقال آخرون : بل توفي في هذا اليوم مع الظهر ، ولما توفي حمله ابنه العباس وأخوه أبو إسحاق محمد بن الرشيد إلى طرسوس ، فدفناه ^(٤) في دار كانت لحاقان خادم الرشيد ، وصلى عليه أخوه أبو إسحاق المعتصم ، ثم وكلا ^(٥) به حرساً من أبناء أهل طرسوس وغيرهم مائة رجل ، وأُجْزِيَ على كل رجلٍ منهم تسعون درهماً .

وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ؛ وذلك سوى سنتين كان دُعيَ له فيهما بمكة وأخوه الأمين محمد بن الرشيد محصور ببغداد .

ركان ولد للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

(١) ابن الأثير : ف : « أستودعكم » . (٢) س : « عظيمها » .

(٣) من ف : (٤) س : « دفناه » .

(٥) ف : « وكلا » .

وكان يكنى - فيما ذكر ابن الكلبي - أبا العباس .

وكان ربعة^(١) أبيض جميلاً ، طويل اللحية ، قد وخطه الشيب^(٢) . وقيل كان أسمر تعلوه صفرة ، أحنى أعين^(٣) ، طويل اللحية رقيقها ، أشيب ، ضيق الجبهة ، بخدة خال أسود .

واستُخلف يوم الخميس لخمس ليال بقين من المحرم .

• • •

ذكر بعض أخبار المأمون وسيرته

ذكر عن محمد بن الهيثم بن عدى ، أن إبراهيم بن عيسى بن برهثة بن المنصور ، قال : لما أراد المأمون الشخص إلى دمشق هيأت له كلاماً ، مكث فيه يومين وبعض آخر ، فلما مثلت بين يديه قلت : أطل الله بقاء أمير المؤمنين ، في أدوم العز وأسبغ الكرامة ، وجعلني من كل سوء فداه ! إن من أمسى وأصبح يتعرف من نعمة الله ، له الحمد كثيراً عليه برأى أمير المؤمنين أئده الله فيه ، وحسن تأنيسه له ، تحقيق بأن يستديم هذه النعمة ، ويلتمس الزيادة فيها بشكر الله وشكر أمير المؤمنين ، مد الله في عمره عليها . وقد أحب أن يعلم أمير المؤمنين أئده الله أنى لا أرغب بنفسى عن خدمته أئده الله بشيء من الحفظ والدة ، إذ كان هو أئده الله يستجشتم خشونة السفر ونصب الظعن ، وأولى الناس بمواساته في ذلك وبذل نفسه فيه أنا ، لما عرفني الله من رأيه ، وجعل عندي من طاعته ومعرفة ما أوجب الله من حقه ، فإن رأى أمير المؤمنين أكرمه الله أن يكرمنى بلزوم خدمته ، والكيونة معه فعل . فقال لي مبتدئاً من غير تروية : لم يعزم أمير المؤمنين في ذلك على شيء ، وإن استصحب أحداً من أهل بيتك بدأ بك ، وكنت المقدّم عنده في ذلك ، ولا سيما إذ أنزلت نفسك بحيث أنزلك أمير المؤمنين من نفسه ، وإن ترك ذلك فمن غير قلاء لمكانك ، ولكن بالحاجة إليك . قال : فكان والله ابتداءه أكثر من ترويتي .

(١) يقال : فلان ربعة ويردح ، أى ما بين الطويل والقصير .

(٢) وخطه الشيب ، أى خالطه وفشا فيه ، أو استوى سواده وبياضه .

(٣) رجلى أحنى ، أى فى نظيره احديداً . وأعين : واسع العين .

وذكر عن محمد بن علي بن صالح السرخسي، قال: تعرّض رجلٌ للمأمون بالشّام مراراً، فقال له: يا أمير المؤمنين، انظر لعرب الشّام كما نظرت لعجم أهل خراسان! فقال: أكثرت عليّ يا أخا أهل الشّام؛ والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلّا وأنا أرى أنه لم يبقَ في بيتٍ مالى درهم واحد؛ وأما اليمن فوالله ما أحببْتُها ولا أحببْتُني قط؛ وأما قُضاعة فسادتُها تنتظر السفيانى وخروجَه فتكونُ من أشياعه، وأما ربيعة فساخطةٌ على الله منذ بعث نبيّه من مُضَرٍّ؛ ولم يخرج اثنان إلّا خرج أحدهما شاربياً، اعزُبْ فعل الله بك!

وذُكر عن سعيد بن زياد أنه لما دخل على المأمون بدمشق قال له: أرني الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم، قال: فأريته، قال: فقال: إني لأشتهي أن أدري أىّ شيء هذا العِشاء على هذا الخاتم؟ قال: فقال له أبو إسحاق: حلّ العقد حتى تدري ما هو، قال: فقال: ما أشكّ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم عقد هذا العقد، وما كنت لأحلّ عقداً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال للوائق: خذه فضعه على عينك؛ لعلّ الله أن يشفيك. قال: وجعل المأمون يضعه على عينه ويبكي.

١١٤٢/٣

وذُكر عن العيصيّ صاحب إسحاق بن إبراهيم، أنه قال: كنت مع المأمون بدمشق، وكان قد قلّ المالُ عنده حتى ضاق، وشكا ذلك إلى أبي إسحاق المعتصم، فقال له: يا أمير المؤمنين، كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعة. قال: وكان حمل إليه ثلاثون ألف ألف من خراج ما يتولاه له، قال: فلما وردَ عليه ذلك المال، قال المأمون ليحيى بن أكرم: اخرج بنا ننظر إلى هذا المال، قال: فخرجا حتى أصبحنا، ووقفا ينظرانه؛ وكان قد هبَّتْ بأحسن هيئة، وحلَّيتْ أبا عيرَه، وألبست الأحلاس الموشاة والحلال المصبغة وقلَّدت العِهَنَ، وجعلت البدر بالحرير الصبني الأحمر والأخضر والأصفر، وأبدت رموسها. قال: فنظر المأمون إلى شيء حسن، واستكثر ذلك، فعظم في عينه، واستشرقه الناس ينظرون إليه، ويعجبون منه، فقال المأمون ليحيى: يا أبا محمد، بنصرف أصحابنا هؤلاء الذين تراهم الساعة خائبين إلى منازلهم،

وتنصرف بهذه الأموال قد ملكناها دونهم ! إنا إذاً للثام . ثم دعا محمد بن يزداد ، فقال له : وقع لآل فلان بألف ألف ، ولآل فلان بمثلها ، ولآل فلان بمثلها . قال : فوالله إن^(١) زال كذلك حتى فرّق أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب ، ثم قال : ادفع الباقي إلى المعلّى يعطى جندنا . قال العيشي : فجئت حتى قمت نصب عينه ، فلم أردّ طرفي عنها ، لا يلحظني إلا رآني بتلك الحال . فقال : يا أبا محمد ، وقع لهذا بخمسين ألف درهم من الستة الآلاف ألف ؛ لا يختلس ناظري . قال : فلم يأت على ليلتان حتى أخذت المال .

وذكر عن محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ؛ أنه كان بالبصرة رجلاً من بني تميم ، وكان شاعراً ظريفاً خبيثاً منكرراً ؛ وكنت أنا والى البصرة ، آنسُ به وأستحليه ؛ فأردتُ أن أخدعه وأستزله ، فقلت له : أنت شاعر وأنت ظريف ، والمأمون أجودُ من السحاب الحافل والريح العاصف ؛ فما يمنعك منه ؟ قال : ما عندي ما يُقْلُنِي ، قلت : فأنا أعطيك نجيباً فارهاً ، ونفقةً سابعة ، وتخرج إليه وقد امتدحتّه ؛ فإنك إن حظيتَ ببقائه ، صرّتَ إلى أمنيّتك . قال : والله أيها الأمير ما إخالك أبعدت ؛ فأعدّ لي ما ذكرت . قال : فدعوتُ له بنجيب فاره ، فقلت : شأنك به فامتطه ؛ قال : هذه إحدى الحسنيّين ، فما بال الأخرى ! فدعوتُ له بثلاثمائة درهم ، وقلت : هذه نفقتك ؛ قال : أحسبك أيها الأمير قصّرتَ في النفقة ، قلت : لا ، هي كافية ، وإن قصّرتَ عن السّرف . قال : ومتى رأيتَ في أكابر سعد سرفاً حتى تراه في أصاغرها ! فأخذ النجيب والنفقة ، ثم عمل أرجوزه ليست بالطويلة ، فأشده فيها وحذف منها ذكرى والثناء على — وكان ماردآ — فقلت له : ما صنعتَ شيئاً . قال : وكيف ؟ قلت : تأتي الخليفةَ ولا تُشْنِي على أميرك ! قال : أيها الأمير أردتُ أن تخدعني فوجدتني خداعاً ، ولمثلها ضرب هذا المثل : « من ينسك العير ينسك نيباً كآ » ؛ أما والله ما لكرامتي حملتني على نجيبك ، ولا جدّدتُ لي بمالك الذي ما رame أحد قطّ إلا جعل الله خدّه الأسفل ؛ ولكن لأذكرك

(١) ف : « لم يزل » .

في شعري وأمدحك عند الخليفة ، أفهم هذا . قلت : قد صدقت ، فقال :
 أمّا إذْ أبديتَ ما في ضميرك ، فقد ذكرتُك ، وأثّنتُ عليك ، فأنشدني
 ما قلتَ ، فأنشدني ، فقلت : أحسنتُ ؛ ثم ودّعني وخرج فأتى الشام ،
 وإذا المأمون بسلّغوس . قال : فأخبرني . قال : بينا أنا في غزاةٍ قرّة^(١) ،
 قد ركبْتُ نجيبِي ذاك ، ولبستُ مقطّعاتي ، وأنا أروم العسكر ؛ فإذا أنا
 بكهل على بغلٍ فارهِ ما يُقرّر قراره ، ولا يدرك خطاه . قال : فلتقاني مكافحة
 ومواجهة ، وأنا أردّد نشيد أرجوزي ، فقال : سلام عليكم — بكلام جهّوري
 ولسان بسيط — فقلت : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، قال : قف إن
 شئت ، فوقفت فتضوّعتُ منه رائحة العنبر والمسك الأذفر ، فقال : ما أولك ؟
 قلت : رجل من مُضَرّ ، قال : ونحن من مُضَرّ ، ثم قال : ثمّ ماذا ؟
 قلت : رجلٌ من بني تميم ، قال : وما بعد تميم ؟ قلت : من بني سعد ، قال :
 هيه ، فما أقدمك هذا البلد ؟ قال : قلت : قصّدتُ هذا الملك الذي ما سمعت
 بمثله أُندي رائحةً ، ولا أوسع راحةً ، ولا أطولَ باعاً ، ولا أمدّ يفاعاً^(٢) منه .
 قال : فما الذي قصّدتَه به ؟ قلت : شعر طيب يلذّ على الأفواه ، وتقتفيه
 الرواة ، ويحلّو في آذان المستمعين ، قال : فأنشدني ، فغضبتُ وقلت :
 يا ركيك ، أخبرتُك أنّي قصّدتُ الخليفة بشعر قلّته ، ومديح حبّرتُه ، تقول :
 أنشدنيهِ ! قال : فتغافل والله عنها ، وتطأ من لها ، وألغى عن جوابها ،
 قال : وما الذي تأمل منه ؟ قلت : إن كان على ما ذُكر لي عنه فألف
 دينار ، قال : فأنا أعطيك ألفَ دينار إن رأيتُ الشعرَ جيّداً والكلام عذباً
 وأضع عنك العناء ، وطول التّرداد ؛ ومنى تصلُّ إلى الخليفة وبينك وبينه عشرة
 آلاف راحٍ ونابل ! قلت : فلي الله عليك أن تفعل ! قال : نعم لك
 الله على أن أفعل ، قلت : ومعك الساعة مال ؟ قال : هذا بغلي وهو خير
 من ألف دينار ، أنزلُ لك عن ظهره ، قال : فغضبتُ أيضاً وعارضني
 فنزّق سعد وخفّة أحلامها ، فقلت : ما يساوي هذا البغل هذا النّجيب ! قال :

١١٤٦/٣

١١٤٧/٣

فدع عنك البغل ، ولك الله على أن أعطيك الساعة ألف دينار ، قال :
فأنشدته :

مأمون يا ذا المن الشريفة^(١) وصاحب المرتبة المنيفة
وقائد الكتبية الكثيفة هل لك في أرجوزة ظريفة
أطرف من فقه أبي حنيفة لا والذي أنت له خليفة
ما ظلمت في أرضنا ضعيفة أميرنا مؤنته خفيفة
وما اجتبي شيئاً سوى الوظيفة فالذنب والنعجة في سفيفة
• واللص والتاجر في قטיפفة •

قال : فوالله ما عدا أن أنشدته ، فإذا زهاء عشرة آلاف فارس قد سدوا
الأفق ، يقولون : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ! قال :
فأخذني أفكلك^(٢) ، ونظر إلى بتلك الحال ، فقال : لا بأس عليك أي
أخي ، قلت : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ! أتعرف لغات العرب ؟
قال : إى لعمر الله ، قلت : فن جعل الكاف منهم مكان القاف ؟ قال :
هذه حمير ، قلت : لعن الله ، ولعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم !
فضحك المأمون ، وعلم ما أردت ، والتفت إلى خادم إلى جانبه ، فقال : أعطه
ما معك ، فأخرج إلى كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار . فقال : هاك ، ثم
قال : السلام عليك ، ومضى فكان آخر العهد به .
وقال أبو سعيد الخزوي :

هل رأيت النجوم أغنت عن الماء مون شيئاً أو ملكه المأسوس^(٣)
خلفوه بعرضتي طرسوس مثل ما خلفوا أباه بطوس
وقال علي بن عبيدة الريماني :
ما أقلّ الدموع للمأمون لست أرضى إلا دماً من جفوني

(١) ابن الأثير : « المنزة الشريفة » . (٢) الأفكلك : الرعدة .

(٣) المسمودى ، ٤ : ٤٥ ، وفيه : « المأسوس » .

وذكر أبو موسى هارون بن محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي أن عليّ ابن صالح حدثه ، قال : قال لي المأمون يوماً : أبلغني رجلاً من أهل الشام ، له أدب ، يجالسني ويحدثني ، فالتفتُ ذلك فوجدته ، فدعوته فقلت له : إني مدخلك على أمير المؤمنين ، فلا تسأله عن شيء حتى يبتدئك ، فإني أعرفُ الناس بمسألتكم يا أهل الشام ، فقال : ما كنت متجاوزاً ما أمرتني به . فدخلت على المأمون ، فقلت له : قد أصبت الرجل يا أمير المؤمنين ، فقال : أدخله ، فدخل فسلم ، ثم استنداه — وكان المأمون على شغله من الشراب — فقال له : إني أردتك لمجالستي ومحدثي ، فقال الشامي : يا أمير المؤمنين ؛ إن المجلس إذا كانت ثيابه دون ثياب جلسه دخله لذلك غضاضة ، قال : فأمر المأمون أن يخلع عليه ؛ قال : فدخلني من ذلك ما الله به أعلم ، قال : فلما خلع عليه ، ورجع إلى مجلسه ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن قلبي إذا كان متعلقاً بعيالي لم تنتفع بمحادثتي ، قال : خمسون ألفاً تحمّل إلى منزله ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، وثالثة ، قال : وما هي ؟ قال : قد دعوت بشيء يحول بين المراء وعقله ؛ فإن كانت مني هنة فاعتفروها ، قال : وذلك ؟ قال عليّ : فكان الثالثة جلستُ عنى ما كان بي .

وذكر أبو حشيشة محمد بن عليّ بن أمية بن عمرو ، قال : كنا قدّام أمير المؤمنين المأمون بدمشق ، فغنى علّويه :

بَرِثْتَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي أَتَاكَ بِهِ الْوَاشْوَانُ عَنِّي كَمَا قَالُوا (١)
وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْكَ سَرِيعَةً إِلَى ، تَوَاصَوْا بِالنَّمِيمَةِ وَاحْتَالُوا

فقال : يا علّويه ، لمن هذا الشعر ؟ فقال : للقاضي ، قال : أيّ قاضٍ ويحك ! قال : قاضى دمشق ، فقال : يا أبا اسحاق ، اعزله ، قال : قد عزلته ، قال : فيُحضّر الساعة . قال : فأحضر شيخ مخضوب قصير ؛ فقال له المأمون : من تكون ؟ قال : فلان ابن فلان الفلاني ، قال : تقول الشعر ؟ قال : قد كنت أقوله ، فقال : يا علّويه ، أنشده الشعر ، فأنشده ، فقال :

(١) الشعر والخبر في الأغاني ١١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هذا الشعرُ لك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ونساؤه طوالق وكل ما يملك في سبيل الله إن كان قال الشعر منذ ثلاثون سنة إلا في زُهد أو معاتبة صديق ، فقال : يا أبا إسحاق اعزله ، فما كنت أولي رقاب المسلمين من يبدأ في هزله بالبراءة من الإسلام . ثم قال : اسقوه ؛ فأتيَ بقدر فيه شراب ، فأخذه وهو يرتعد ، فقال : يا أمير المؤمنين ما ذقته قط ، قال : فلعلك تريد غيره ! قال : لم أذق منه شيئاً قط ، قال : فحرام هو ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أولي لك ! بها نجوت ، اخرج . ثم قال : يا علّويه ، لا نقل : « برئت من الإسلام » ، ولكن قل :

حُرْمْتُ منائِ منك إن كان ذا الذي أتاك به الواشون عني كما قالوا

قال : وكنتا مع المأمون بدمشق ، فركب يريد جبل الثلج ، فرّ بركة ١١٥١/٣ عظيمة من برك بني أمية ، وعلى جوانبها أربع سرّوات ، وكان الماء يدخلها سيحاً ، ويخرج منها ؛ فاستحسن المأمون الموضع ، فدعا ببزما ورد ورطل ، وذكر بني أمية ، فوضع منهم وتنقصهم ؛ فأقبل علّويه على العود ، واندفع يغنى :

أولئك قومي بعد عز وثروة تفانوا فإلاً أذرف العين أكمدًا

فضرب المأمون الطعام برجله ، ووثب وقال لعلّويه : يابن الفاعلة ، لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلا في هذا الوقت ! فقال : مولاكم زرياب عند موالى يركب في مائة غلام ؛ وأنا عندكم أموت من الجوع ! فغضب عليه عشرين يوماً ، ثم رضى عنه .

قال : وزرياب مولى المهدي ، صار إلى الشام ثم صار إلى المغرب ، إلى بني أمية هناك .

وذكر السليطي أبو علي ، عن حمارة بن عَقِيل ، قال : أنشدتُ المأمون قصيدةً فيها مديح له ، هي مائة بيت ؛ فأبتدئ بصدر البيت فيبادرنى إلى قافيته .

كما قفَّيْتُهُ ، فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، ما سمعها مني أحد قط ، قال : هكذا ينبغي أن يكون ؛ ثم أقبل على ، فقال لى : أما بلغك أن عمر بن أبى ربيعة أنشد عبد الله بن العباس قصيدته التى يقول فيها .

• تشبُّطٌ غدًا دارُ جيراننا •

فقال ابنُ العباس

١١٥٢/٣

• وللدارُ بعد غد أبعد ^(١) •

حتى أنشده القصيدة ، يقفَّيها ابن عباس ! ثم قال : أنا ابنُ ذاك .

وذُكر عن أبى مروان كازر بن هارون ، أنه قال : قال المأمون :

بعثتُكَ مُرتادًا ففرتَ بِنَظَرَةٍ وأَغفلتَنِي حَتَّى أَسأتُ بِكَ الظَّنَّ
فَناجيتَ مَنْ أَهْوَى وَكنتُ مَباعِدًا فَياليتَ شِعْرى عَن دُنُوكَ ما أَغْنى !
أَرى أَثَرًا مِنْهُ بِعَيْنِكَ بَيِّنًا لَقَدْ أَخَذَتَ عَيْنَكَ مِنْ عَيْنِهِ حُسْنًا

قال أبو مروان : وإنما عوَّل المأمون فى قوله فى هذا المعنى على قول العباس

ابن الأحنف ، فإنه اخترع :

إِن تَشَقَّ عَيْنِي بِهَا فَقَدْ سَعِدْتُ عَيْنُ رَسُولِي ، وَفُزْتُ بِالْخَبَرِ ^(٢)
وَكَلَّمَا جَاءَنِ الرَّسُولُ لَهَا رَدَدْتُ عَمْدًا فى طَرْفِهِ نَظْرِي
تَظْهَرُ فى وَجْهِهِ مُحاسِنُهَا قَدْ أَثَرْتُ فِيهِ أَحْسَنَ الْأَثَرِ
خُذْ مَقْلَتِي يَا رَسُولُ عَارِيَةً فَانْظُرْ بِهَا وَاحْتَكِمْ عَلَى بَصَرِي

قال أبو العتاهية : وجَّهَ إلى المأمون يومًا ، فصرتُ إليه ، فألفيته مطرقًا مفكرًا ، فأحجمتُ عن الدنوِّ منه فى تلك الحال ؛ فرفع رأسه ، فنظر إلى وأشار بيده ؛ أن ادنُ ، فدنوتُ ثم أطرق مليًّا ، ورفع رأسه ، فقال : يا أبا إسحاق ؛ شأنُ النفسِ المللِ وحُبُّ الاستطراف ؛ تأنس بالوحدة كما تأنس بالألفة ، قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، ولى فى هذا بيت ، قال : وما هو ؟ قلت :

١١٥٣/٣

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُقَسَّمَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ^(١)

وذكر عن أبي نزار الضرير الشاعر أنه قال : قال لي علي بن جبلة : قلت لحميد بن عبد الحميد : يا أبا غانم ، قد امتدحت أمير المؤمنين بمدح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض ؛ فاذا كرتي له ، فقال : أنشدني ، فأنشدته ، فقال : أشهد أنك صادق ؛ فأخذ المديح فأدخله على المأمون ، فقال : يا أبا غانم ، الجواب في هذا واضح ، إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثواباً بمدحه ؛ وإن شاء جمعنا بين شعره فيك وفي أبي دلف القاسم بن عيسى ؛ فإن كان الذي قال فيك وفيه أجود من الذي مدحتنا به ضربنا ظهره ، وأطلقنا حبسه ، وإن كان الذي قال فينا أجود أعطيت به بكل بيت من مديحه ألف درهم ، وإن شاء ألقناه . فقلت : يا سيدي ، ومن أبو دلف ! ومن أنا حتى يمدحنا بأجود من مديحك ! فقال : ليس هذا الكلام من الجواب عن المسألة في شيء ، فاعرض ذلك على الرجل . قال علي بن جبلة : فقال لي حميد : ما ترى ؟ قلت : الإقالة أحب إلي ، فأخبر المأمون ، فقال : هو أعلم ، قال حميد : فقلت لعل بن جبلة : إلى أي شيء ذهب في مدحك أبا دلف^(٢) وفي مدحك لي ؟ قال : إلى قولي في أبي دلف :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ مَغْزَاهُ وَمُحْتَضَرِهِ
فَإِذَا وَئِيَ أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وإلى قولي فيك :

لَوْ لَا حَمِيدٌ لَمْ يَكُنْ حَسِبُ يُعَدُّ وَلَا نَسَبُ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي عَزَّتْ بَعِزَّتِهِ الْعَرَبُ

قال : فأطرق حميد ساعة ، ثم قال : يا أبا الحسن ، لقد انتقد عليك أمير المؤمنين . وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحملان وخلعة وخادم ، وبلغ ذلك

(١) البيت والخبر في المسموذي ٤ : ١٧ .

(٢) الأغاني : « أي شيء يعني من مدائحك » .

أَبَا دُلَافٍ فَأُضْعِفْ لِي الْعُطْيَةَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا فِي سِتْرٍ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ إِلَى أَنْ حَدَّثْتُكَ يَا أَبَا نَزَارٍ بِهَذَا ^(١) .

قال أبو نزار : وَظَنَنْتُ أَنَّ الْمَأْمُونِ تَعَقَّدَ عَلَيْهِ هَذَا الْبَيْتُ فِي أَبِي دُلَافٍ :

١١٥٥/٣ تَحَدَّرَ مَاءُ الْجُودِ مِنْ صُلْبِ آدَمَ فَأَثْبَتَهُ الرَّحْمَنُ فِي صُلْبِ قَائِمٍ ^(٢)

وَذَكَرَ عَنْ سَالِحِ بْنِ رَزِينَ الْخَزَاعِيِّ ، ابْنِ أَخِي دُعْبَلٍ ، قَالَ : هَجَا دُعْبَلُ الْمَأْمُونَةَ ، فَقَالَ :

وَيَسُومُنِي الْمَأْمُونُ خُطَّةً عَارِفٍ أَوْ مَا رَأَى بِالْأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ ^(٣)

يُوفِي عَلَى هَامِ الْخُلَافِ مِثْلَ مَا يُوفِي الْجِبَالَ عَلَى رُؤُوسِ الْقَرَدِ ^(٤)

وَيَجِلُّ فِي أَكْنَافٍ كُلِّ مَمْنَعٍ حَتَّى يُذَلَّلَ شَاهِقًا لَمْ يُضْعَدِ ^(٥)

إِنَّ التُّرَاتِ مُسَهَّدٌ طُلَّابُهَا فَكَفَفْتُ لُعَابَكَ عَنْ لَعَابِ الْأَسْوَدِ

فَقِيلَ لِلْمَأْمُونِ : إِنْ دُعْبَلًا هَجَاكَ ، فَقَالَ : هُوَ يَهْجُو أَبَا عَبَّادٍ لَا يَهْجُوَنِي .

يُرِيدُ حُدَّةَ أَبِي عَبَّادٍ ، وَكَانَ أَبُو عَبَّادٍ إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ كَثِيرًا مَا يَضْحَكُ الْمَأْمُونُ ، وَيَقُولُ لَهُ : مَا أَرَادَ دُعْبَلُ مِنْكَ حِينَ يَقُولُ :

١١٥٦/٣ وَكَأَنَّهُ مِنْ دَيْرٍ هِرْزَلٍ مَفْلِتٍ حَرِدٌ يَجُرُّ سِلَاسِلَ الْأَقْيَادِ ^(٦)

(١) الخبَر والشعر في الأغاني ١٨ : ١٠٥ (سأسي) والشعر والشعراء ٨٤٠ .

(٢) س : « من ظهر آدم » .

(٣) ديوانه ٦٩ والشعر والشعراء ٨٢٦ ، وفيه « خطبة عاجز » .

(٤) الديوان : « يوفى على رؤوس الخلائق » . والقردود : المكان الغليظ المرتفع .

(٥) بعده في الشعر والشعراء .

لَأَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ مُسَيِّفُهُمْ فَقَدْتُ أَخَاكَ وَشَرَفُوكَ بِمَقْعَدِ

(٦) دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم ؛ وذكره الثعالبي في المضاف المنسوب

٥٢٨ ، وقال : « يضرب به المثل لمجتمع المجانين . ويقال للمجنون : كأنه من دير هزقل ، وذلك أنه

مأوى المجانين بإحدى الديار ، يشدون هناك ويداونون . والخبَر كما في معجم البلدان ٤ : ١٨١ ،

١٨٢ : « غضب أبو عبيد ثابت بن يحيى كاتب المأمون يوماً على بعض كتابه ، فرواه بدواة كانت

بين يديه ، فلما رأى الدم يسيل ، ندب وقال : صدق الله عز وجل : « والذين إذا ما غضبوا هم

يتجاوزون » ؛ فبلغ ذلك المأمون ، فأنته وعتب عليه ، وقال : وبحك ! أنت أحد أعضاء المملكة وكتاب

الخليفة ، ما تحسن أن تقرأ آية من كتاب الله ! فقال : بلى يأمر المؤمنين ، إني لأقرأ من سورة =

وكان المأمون يقول لإبراهيم بن شكلة إذا دخل عليه : لقد أوجعك دِعبِل حين يقول :

إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُضْطَلَعًا بِهَا فَلَتَصْلُحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِمُخَارِقِ
وَلَتَصْلُحَنَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَزُلْزُلِ وَلَتَصْلُحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِلْمَارِقِ
أَنْبَى يَكُونُ وَلَا يَكُونُ وَلَمْ يَكُنْ لِيَنَالَ ذَلِكَ فَاسِقٌ عَنْ فَاسِقِ !

وذكر محمد بن الهيثم الطائي أن القاسم بن محمد الطيفوري حدثه ، قال :
شكا اليزيدي إلى المأمون خلعة أصابته ، ودنسنا لحقه ، فقال : ما عندنا في
هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغت به ما تريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن
الأمر قد ضاق عليّ ، وإن غرّماي قد أرهقوني . قال : فرم نفسك أمراً
تنال به نفعا فقال : لك منادمون فيهم من إن حرّكته نلت منه ما أحبّ ،
فأطلق لي الحيلة فيهم ، قال : قل ما بدالك ، قال : فإذا حضروا وحضرت
فمرّ فلانا الخادم أن يوصل إليك رقعي ؛ فإذا قرأتها ، فأرسل إلى : دخولك
في هذا الوقت متعذر ؛ ولكن اختر لنفسك من أحببت . قال : فلما علم
أبو محمد بجلبوس المأمون واجتماع ندائه إليه ، وتيقن أنهم قد ثملوا من شرّ بهم ،
أتى الباب ، فدفع إلى ذلك الخادم رُقعة قد كتبها ، فأوصلها له إلى المأمون ،
فقرأها فإذا فيها :

يَا خَيْرَ إِخْوَانِي وَأَصْحَابِي هَذَا الطَّقِيلُ لَدَى الْبَابِ
خَبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ فِي لَذَّةٍ يَضْبُو إِلَيْهَا كُلُّ أَوَّابِ
فَصَيِّرُونِي وَاحِدًا مِنْكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا لِي بَعْضَ أَتْرَابِي

== واحدة ألف آية وأكثر ؛ فضحك المأمون وقال : من أي سورة ؟ قال : من أيها شئت ؛ فازداد ضحكة
وقال : قد شئت من سورة الكوثر ؛ وأمر بإخراجه من ديوان الكتابة ، فبلغ ذلك دعبلا الشاعر : فقال :

أَوَّلِي الْأُمُورِ بِضِيعَةٍ وَفَسَادِ أَمْرٌ يَدْبُرُهُ أَبُو عَبَّادِ
خَرَقَ عَلَى جِلْسَائِهِ بَدَوَانِهِ وَمُضْمَخٌ وَمُرْمَلٌ بِمَدَادِ
فَكَانَهُ مِنْ دِيرٍ هَزَقَلَ مُفْلِتٌ حَرْدٌ يَجْرُ سِلَاسِلَ الْأَقْيَادِ

وانظر ديوان دعبل ٧١ .

قال : فقرأها المأمون على مَنْ حضره ، فقالوا : ما ينبغي أن يدخل هذا الطفيلي على مثل هذه الحال . فأرسل إليه المأمون : دخولك في هذا الوقت متعذر ، فاختبر نفسك مَنْ أحببت تناديه ، فقال : ما أرى لنفسى اختياراً غير عبد الله بن طاهر ، فقال له المأمون : قد وقع اختياره عليك ، فصر إليه ، قال : يا أمير المؤمنين ، فأكونُ شريك الطفيلي^(١) قال : ما يمكن ردّ أبي محمد عن أمرين ؛ فإن أحببت أن تخرج ، وإلا فافتد نفسك ، قال : فقال : يا أمير المؤمنين ، له على عشرة آلاف درهم ، قال : لا أحسب ذلك يقنعه منك ومن مجالستك ، قال : فلم يزل يزيدُه عشرة عشرة ، والمأمون يقول له : لا أرضى له بذلك ، حتى بلغ المائة ألف . قال : فقال له المأمون : فعجلتها له ، قال : فكتب له بها إلى وكيله ، ووجه معه رسولا ، فأرسل إليه المأمون : قبضْ هذ في هذه الحال أصلح لك من منادمته على مثل حاله ، وأنفع عاقبة .

١١٥٨/٣

وذُكر عن محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال : أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد ، قال : دخلتُ على المأمون ، ومعى بيتان للحسين بن الضحاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أحب أن تسمع مني بيتين ، قال : أنشدتهما ، قال : فأنشده صالح :

حَمِدْنَا اللَّهَ شُكْرًا إِذْ حَبَّانَا بِنَصْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(١)
فَأَنْتَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا جَمَعْتَ سَمَاحَةً وَجَمَعْتَ دِينَا

فاستحسنهما المأمون ، وقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ قلت : لعبدك يا أمير المؤمنين الحسين بن الضحاك ، قال : قد أحسن ، قلت : وله يا أمير المؤمنين ما هو أجود من هذا ، قال : وما هو ؟ فأنشدته :

أَبْجَلُ فَرْدُ الْحُسَيْنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ عَلِيٌّ ، وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوَى فَرْدٍ^(٢) !
رَأَى اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلَكُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

١١٥٩/٣

وذُكر عن عُمارة بن عَتِيل ، أنه قال : قال لي عبد الله بن أبي السَّمَط :

علمت أن المأمون لا يبصر الشعر ، قال : قلت : ومن ذا يكون أعلم منه !
فوالله إنك لمرانا نُنشدُه أولَ البيت فيسبقنا إلى آخره ، قال : أنشدته بيتا
أجدت فيه ، فلم أره تحرّك له ، قال : قلت : وما الذي أنشدته ؟ قال :
أنشدته :

أضحى إمام الهدى المأمونُ مشغولاً^(١) بالدين والناس بالدنيا مشاغِلُ

قال : فقلت له : إنك والله ما صنعت شيئاً ، وهل زدت على أن جعلته
عجوزاً في عُرْبِها ، في يدها سُبُحتُها ! فمن القائمُ بأمر الدنيا إذا تشاغل
عنها ، وهو المطوق بها ! هلاً قلت فيه كما قال عمك جرير في عبد العزيز
ابن الوليد :

فَلَا هُوَ فِي الدُّنْيَا مُضِيعُ نَصِيئِهِ^(٢) وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلُهُ

فقال : الآن علمتُ أني قد أخطأت .

وذُكِرَ عن محمد بن إبراهيم السَّيَّارِ^(٣) قال : لما قدِمَ العتّابيُّ على المأمون
مدينة السلام أذن له ، فدخل عليه ، وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصليّ - وكان
شيخاً جليلاً - فسلم عليه ، فردّه عليه السلام ، وأدناه وقرّبه حتى قرّب منه ،
فقبل يده ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسأله عن حاله ، فجعل
يجيبه بلسانٍ طلقٍ ، فاستظرف^(٤) المأمون ذلك . فأقبل عليه بالمداعبة والمزاح ،
فظنّ الشيخ أنه استخفّ به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الإيساس قبل الإيناس^(٥)
قال : فاشتبه على المأمون الإيساس ، فنظر إلى إسحاق بن إبراهيم ، ثم قال :
نعم ، يا غلام ألف دينار^(٦) ؛ فأتي بها ، ثم صبّت بين يدي العتّابيّ ، ثم

(١) ابن الأثير : أمير الخدي .

(٢) ديوانه ٤٣٥ ، وفي ابن الأثير : « بضيع » .

(٣) في الأغاني : « اليساري » . (٤) الأغاني : « فاستظرف » .

(٥) كذا في أصول الطبري ؛ وفي الميداني : « الإيناس قبل الإيساس » ، قال في شرحه :
« يقال : آند ، أي أوتته في الأنس ، وهو نقيض أوحشه . والإيساس : الرقيق بالناقة عند الطلب ؛
وهو أن يقال : يس يس - يضرب في المداواة عند الطلب » .

(٦ - ٦) الأغاني : « فاشتبه على المأمون قوله ، فنظر إلى إسحاق مستفهماً ، فأومأ إليه ،
وعزّه على معناه حتى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينار » .

أخذوا في المفاوضة والحديث، وغمز^(١) عليه إسحاق بن إبراهيم، فأقبل لا يأخذ العتابي في شيء إلا عارضه إسحاق بأكثر منه، فبقى متعجباً، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إيدن لي في مسألة هذا الشيخ عن اسمه ، قال : نعم ، سله ، قال : يا شيخ ، مَنْ أَنْتَ ؟ وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس ، واسمى كل بصل ، قال : أما النسبة^(٢) فعروفة ، وأما الاسم فنكر ، وما كل بصل من الأسماء ؟ فقال له إسحاق : ما أقل^(٣) إنصافك ! وما كل ثوم من الأسماء ! البصل أطيب من الثوم^(٤) ، فقال العتابي : لله درك ! ما أحجك^(٥) ! يا أمير المؤمنين ، ما رأيتُ كالشيخ قط ، أتأذن لي في صلته بما وصلني به أمير المؤمنين ، فقد والله غلبني ! فقال المأمون : بل هذا موفرٌ عليك ، ونأمر له بمثله ، فقال له إسحاق : أما إذا أقررت بهذه فتوهمتني تجدني ، فقال : والله ما أظنك إلا الشيخ الذي يتناهى^(٦) إلينا خبره من العراق ، ويعرف بابن الموصلي ! قال : أنا حيث ظننت ، فأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما : أما إذ اتفقنا على الصلح والمودة ، فقوموا فانصرفا متنادمين ، فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده^(٧) .

١١٦١/٣

وذُكر عن محمد بن عبد الله بن جشم الربيعي أن^(٨) حُمارة بن عقيل قال : قال لي المأمون يوماً وأنا أشرب عنده : ما أخبثك يا أعرابي ! قال : قلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ وهمتني نفسي ، قال : كيف قلت : قالت مُفدأةٌ كما أن رأيتُ أَرَقِي والهم يَعتادُنِي من طيفِهِ لَحْمٌ نَهَبْتَ مالكَ في الأذنينِ آصِرَةً وفي الأبعادِ حتى حَفَكَ العَدَمُ

(١) غمز عليه ، أى أشار .
(٢-٣) الأغاني : « ما أقل إنصافك ، أنتكر أن يكون اسمي كل بصل ، واسمك كل ثوم ، وكل ثوم من الأسماء ، أوليس البصل أطيب من الثوم ! » .

(٤) ما أحجك ، أى ما أقوى حججك .

(٥) الأغاني : « تناهى » .

(٦) الخبر في الأغاني ١٣ : ١١١ ، ١١٢ .

(٧) الخبر في الأغاني ٢٠ : ١٨٤ ، ١٨٥ (سأسى) ، عن محمد بن عبد الله ، وصدوره : « حدثني عمارة قال : رحت إلى المأمون ، فكان ربما قرب إلى الشيء من الشراب أشربه بين يديه ، وكان يأمرني بكتب كثير مما أقول ، فقال لي يوماً : كيف قلت : قالت مفدأة . . . ؟ قال : هي امرأتى نظرت إلى وقد اختقرت ، وساءت حالى ، قال : فكيف قلت ، فأشدته » .

فاطلب إليهم ترى ما كنت من حسن تسدي إليهم فقد باتت لهم صرماً^(١)
فقلت عذلك قد أكثرت لا يمتني^(٢) ولم يمت حاتم هزلاً ولا هرم
١١٦٢/٣

فقال لي المأمون : أين رميت بنفسك إلى هرم بن منان سيد العرب وحاتم
الطائي ! فعلا كذا وفعل كذا^(٣) ، وأقبل ينثال على بفضلهما ، قال : فقلت :
يا أمير المؤمنين ، أنا خير منهما ، أنا مسلم وكانا كافرين ، وأنا رجل من
العرب .

وذكر عن محمد بن زكرياء بن ميمون الفرغاني ، قال : قال المأمون
لمحمد بن الجهم : أنشدني ثلاثة أبيات في المديح والهجاء والمرائي ؛ ولك بكل
بيت كورة ، فأنشده في المديح :
يجود بالنفس إذ ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود^(٤)
وأنشده في الهجاء :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر^(٥)
وأنشده في المرائي :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر^(٦)
وذكر عن العباس بن أحمد بن أبان بن القاسم الكاتب ، قال : أخبرني
الحسين بن الضحاك ، قال : قال لي علويته : أخبرك أنه مر بي مرة ما أيسر
من قسمي معه لولا كرم المأمون ؛ فإنه دعا بنا ؛ فلما أخذ فيه التبيذ ؛ قال :
غنوني ، فسبقتي بخارق ، فاندفع فغنني صوتاً لابن سريج في شعر جرير :

(١) الأغاني : « حرم » . (٢) الأغاني : « قلت عاذل » .

(٣-٤) الأغاني : « قال : فنظر إلى المأمون مقضباً ، وقال : لقد علت همتك أن ترق بنفسك
إلى هرم ، وقد خرج من ماله في إصلاح قومه » .

(٤) لمسلم بن الوليد من ديوانه ١٦٤ ، من قصيدة يملح فيها داود بن يزيد بن حاتم بن خالد
ابن المهلب ؛ وروايته فيه : « إذ أنت الضنين بها » . (٥) لمسلم ، ملحق ديوانه ٣٢١ .

(٦) لمسلم ، ملحق ديوانه ٣٢٠ .

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالذَّيْرَيْنِ أَرْقَنِي صوتُ الدَّجَاجِ وَضَرْبُ النُّوْاقِيْسِ^(١)
فَقُلْتُ لِلرُّكْبِ إِذْ جَدَّ الْمَسِيرُ بِنَا يَا بَعْدَ يَبْرَيْنَ مِنْ بَابِ الْفَرَادِيْسِ !

قال : فَحُسِّنَ لِي أَنْ تَغْنِيَتْ ، وَكَانَ قَدَمُ بَآلِخُرُوجٍ إِلَى دِمَشْقٍ يَرِيدُ الثَّغْرَ :
الْحَيْنُ سَاقٍ إِلَى دِمَشْقٍ وَمَا كَانَتْ دِمَشْقُ لِأَهْلِهَا بِلْدَا^(٢)

فَضْرَبَ بِالْقَدَحِ الْأَرْضَ ، وَقَالَ : مَا لَكَ ! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا غَلَامُ ،
أَعْطِ مَخَارِقًا ثَلَاثَةَ آلَافِ دَرْهَمٍ ، وَأَخِذْ بِيَدِي فَأَقِمْتُ وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَانِ ، وَهُوَ
يَقُولُ لِلْمَعْتَصِمِ : هُوَ وَاللَّهُ آخِرُ خُرُوجٍ ، وَلَا أَحْسَبُنِي أَنْ أَرَى الْعِرَاقَ أَبَدًا ،
فَكَانَ وَاللَّهُ آخِرَ عَهْدِهِ بِالْعِرَاقِ عِنْدَ خُرُوجِهِ كَمَا قَالَ .

(١) ديوانه ٣٢٠ ، وفيه : « وقرع بالنواقيس » .

(٢) من أصوات الأغاني ١١ : ٣٥٨ ، وفيه : « لأهلنا بلدا » ويَعْدُهُ :

قَادَتْكَ نَفْسُكَ فَاسْتَعْدَتْ لَهَا وَأُرِيتَ أَمْرَ غَوَايَةِ رَشْدَا

١١٦٤/٣

خلافة أبي إسحاق

المعتصم محمد بن هارون الرشيد

وفي هذه السنة بُويع لأبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهديّ ابن عبد الله المنصور بالخلافة ؛ وذلك يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين . وذكُر أن الناس كانوا قد أشفقوا من منازعة العباس بن المأمون له ^(١) في الخلافة ^(٢) ، فليَمُّوا من ذلك .

ذكُر أن الجند شغبوا لَمَّا بُويع لأبي إسحاق بالخلافة ، فطلبوا العباس ونادوه باسم الخلافة ، فأرسل أبو إسحاق إلى العباس فأحضره ، فبايعه ثم خرج إلى الجند ، فقال : ما هذا الحبّ البارد ! قد بايعتُ عمي ؛ وسلّمت الخلافة إليه ؛ فسكن الجند .

وفيها أمر المعتصم بهدم ما كان المأمون أمر بينائه ببطّوانة ، وحمل ما كان بها من السلاح والآلة وغير ذلك مما قدّر على حمله ، وأحرق ما لم يقدر على حمله ؛ وأمر بصرف مَنْ كان المأمون أسكن ذلك ^(٣) من الناس إلى بلادهم .

وفيها انصرف المعتصم إلى بغداد ، ومعه العباس بن المأمون ، فقدمها - فيما ذكر - يوم السبت مستهلّ شهر رمضان .

• • •

١١٦٥/٣

وفيها دخل - فيما ذكر - جماعة كثيرة من أهل الجبال من هَمَّذَان وأصبهان وماسبذان وميهرجانتقدق في دين الخرميّة ؛ وتجمّعوا ، فعسكروا في عمل هَمَّذَان ؛ فوجّه المعتصم إليهم عساكر ؛ فكان ^(٣) آخر عسكر وجهه إليهم

(١ - ١) س : « إياه » .

(٢) ف : « أسكنه من الناس ذلك » .

(٣) ف : « كان » .

عسكر وجهه مع إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، وعقد له على الجبال في شوال
في هذه السنة ، فشخص إليهم في ذى القعدة ، وقرئ كتابه بالفتح يوم
التروية ، وقتل^(١) في عمل هَمْدَان ستين ألفاً ، وهرب باقيهم إلى بلاد الروم .

• • •

وحجَّ بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد ، وضحت أهلُ
مكة يوم الجمعة ، وأهل بغداد يوم السبت .

• • •

تم بحمد الله الجزء الثامن من تاريخ الطبرى
ويليه الجزء التاسع ، وأوله :
ذكر حوادث سنة تسع عشرة ومائتين

فهرس الموضوعات

السنة السابعة والأربعون بعد المائة

- ذكر الأخبار عن الأحداث التي كانت فيها . . . ٧
 ذكر الخبر عن مهلك عبد الله بن علي بن عباس . . . ٧ - ٩
 ذكر خبر البيعة للمهدي وخلع عيسى بن موسى . . . ٩ - ٢٥
 أخبار متفرقة . . . ٢٥ - ٢٦

. . .

السنة الثامنة والأربعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٢٧

. . .

السنة التاسعة والأربعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٢٨

. . .

السنة الخمسون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٢٩
 ذكر خبر خروج أستاذ ميس . . . ٢٩ - ٣٢
 أخبار متفرقة . . . ٣٢

. . .

السنة الحادية والخمسون بعد المائة

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها . . .
 ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور عمر بن حفص عن السند ٣٣
 وتوليته إياه لإفريقية واستعماله على السند هشام بن عمرو . ٣٣ - ٣٦

ذكر خبر بناء المنصور الرضاقة	٣٧ - ٣٩
أمر عقبة بن سلم	٣٩ - ٤٠
أخبار متفرقة	٤٠

* * *

السنة الثانية والخمسون بعد المائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها	٤١
-------------------------------------	----

* * *

السنة الثالثة والخمسون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٤٢ - ٤٣
-----------------------------------	---------

* * *

السنة الرابعة والخمسون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٤٤ - ٤٥
-----------------------------------	---------

* * *

السنة الخامسة والخمسون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٤٦ - ٤٧
ذكر الخبر عن سبب عزل المنصور محمد بن سليمان بن علي	٤٧ - ٤٩
أخبار متفرقة	٤٩

* * *

السنة السادسة والخمسون بعد المائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها	٥٠
ذكر الخبر عن مقتل عمرو بن شداد	٥٠
أخبار متفرقة	٥١

* * *

السنة السابعة والخمسون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٣ — ٥٢

.

السنة الثامنة والخمسون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٤

ذكر الخبر عن تولية خالد بن برمك الموصل ٥٤ — ٥٦

أخبار متفرقة ٥٦ — ٥٧

ذكر الخبر عن حبس ابن جريج وعباد بن كثير والثوري ٥٨ — ٥٩

ذكر الخبر عن وفاة أبي جعفر المنصور ٥٩ — ٦٢

ذكر الخبر عن صفة أبي جعفر المنصور ٦٢

ذكر الخبر عن بعض سيره ٦٢ — ١٠٢

ذكر أسماء ولده ونسائه ١٠٢

ذكر الخبر عن وصاياه ١٠٢ — ١٠٨

أخبار متفرقة ١٠٨ — ١٠٩

خلافة المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله

ابن العباس

ذكر الخبر عن صفة العقد الذي عقد للمهدي بالخلافة حين

مات والده المنصور بمكة ١١٠ — ١١٥

أخبار متفرقة ١١٥

.

السنة التاسعة والخمسون بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث ١١٦ — ١١٧

ذكر الخبر عن سبب تحويل المهدي الحسن بن إبراهيم

من المطبق إلى نصير ١١٧ — ١٢٠

أخبار متفرقة ١٢٠ — ١٢٣

.

السنة الستون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٢٤
- ذكر خروج يوسف البرم ١٢٤
- ذكر خبر خلع عيسى بن موسى ويعة موسى الهادي ١٢٨ — ١٢٤
- أخبار متفرقة ١٢٨ ، ١٢٩
- ذكر خبر ردّ نسب آل بكرة وآل زياد ١٢٩ ، ١٣٠
- نسخة كتاب المهديّ إلى والي البصرة وردّ آل زياد إلى نسبهم ١٣٠ — ١٣٢
- أخبار متفرقة ١٣٢ — ١٣٤
- . . .

السنة الحادية والستون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٣٥ — ١٣٦
- ذكر السبب الذي من أجله تغيرت منزلة أبي عبيد الله عند المهديّ ١٣٧ — ١٤٠
- أخبار متفرقة ١٤٠ ، ١٤١
- . . .

السنة الثانية والستون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان بها من الأحداث ١٤٢
- خبر مقتل عبد السلام الخارجي ١٤٢
- أخبار متفرقة ١٤٢ ، ١٤٣
- . . .

السنة الثالثة والستون بعد المائة

- ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها ١٤٤
- ذكر خبر غزو الروم ١٤٤ — ١٤٧
- عزل عبد الصمد بن عليّ عن الجزيرة وتولية زفر بن الحارث ١٤٧ ، ١٤٨
- أخبار متفرقة ١٤٨ ، ١٤٩
- . . .

السنة الرابعة والستون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٥٠ ، ١٥١

* * *

السنة الخامسة والستون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

غزوة هارون بن المهدي الصائفة ببلاد الروم . . . ١٥٢ ، ١٥٣

أخبار متفرقة ١٥٣

* * *

السنة السادسة والستون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ١٥٤

ذكر الخبر عن غضب المهدي على يعقوب . . . ١٥٤ - ١٦٢

أخبار متفرقة ١٦٢ ، ١٦٣

* * *

السنة السابعة والستون بعد المائة

ذكر الأحداث التي كانت فيها ١٦٤ - ١٦٦

* * *

السنة الثامنة والستون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ١٦٧

* * *

السنة التاسعة والستون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ١٦٨

ذكر الخبر عن خروج المهدي إلى ماسبذان . . . ١٦٨

ذكر الخبر عن موت المهدي ١٦٨ - ١٧١

تاريخ الطبري - ثامن

- ذكر الخبر عن الموضع الذى دُفن فيه ومن صلى عليه . . . ١٧١
- ذكر بعض سير المهدي وأخباره . . . ١٧٢ - ١٨٦
- خلافة الهادي . . . ١٨٧ - ١٩١
- ذكر بقية الخبر عن الأحداث الى كانت سنة تسع وستين ومائة . . .
- ذكر خروج الحسين بن علي بن الحسن بفخ . . . ١٩٣ - ٢٠٣
- أخبار متفرقة . . . ٢٠٣ ، ٢٠٤
- * * *

السنة السبعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٢٠٥
- ذكر الخبر عن وفاة موسى الهادي . . . ٢٠٥ - ٢٠٧
- ذكر الخبر عما كان من خلع الهادي للرشيدي . . . ٢٠٧ - ٢١٣
- ذكر الخبر عن وقت وفاته ومبلغ سنه وقدر ولايته ومن صلى عليه . . . ٢١٣ ، ٢١٤
- ذكر أولاده . . . ٢١٤
- ذكر بعض أخباره وسيره . . . ٢١٤ - ٢٢٩
- خلافة هارون الرشيد . . . ٢٣٠ - ٢٣٣
- أخبار متفرقة . . . ٢٣٣ ، ٢٣٤
- * * *

السنة الحادية والسبعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٢٣٥
- * * *

السنة الثانية والسبعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٢٣٦
- * * *

السنة الثالثة والسبعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٣٧
 ذكر الخبر عن وفاة محمد بن سليمان ٢٣٧ ، ٢٣٨
 ذكر خبر وفاة الخيزران أم الهادي والرشد ٢٣٨
 أخبار متفرقة ٢٣٨

* * *

السنة الرابعة والسبعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٣٩

* * *

السنة الخامسة والسبعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٤٠
 ذكر الخبر عن البيعة للأمين ٢٤٠ ، ٢٤١
 أخبار متفرقة ٢٤١

* * *

السنة السادسة والسبعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٤٢
 ذكر الخبر عن مخرج يحيى بن عبد الله وما كان من أمره ٢٤٢ - ٢٥١
 ذكر الفتنة بين اليمانية والنزارية ٢٥١ ، ٢٥٢
 ذكر الخبر عن سبب تولية الرشيد جعفرًا مصر وتولية جعفر
 عمر بن مهران إياها ٢٥٢ - ٢٥٤
 أخبار متفرقة ٢٥٤

* * *

السنة السابعة والسبعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٥٥

* * *

السنة الثامنة والسبعون بعد المائة

٢٥٦	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٢٥٧ - ٢٦٠	ولاية الفضل بن يحيى على خراسان وسيرته لها
٢٦٠	أخبار متفرقة
* * *	

السنة التاسعة والسبعون بعد المائة

٢٦١	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
* * *	

السنة الثمانون بعد المائة

٢٦٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٢٦٢ - ٢٦٥	ذكر الخبر عن العصبية التي هاجت بالشام
٢٦٥ - ٢٦٧	أخبار متفرقة
* * *	

السنة الحادية والثمانون بعد المائة

٢٦٨	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
* * *	

السنة الثانية والثمانون بعد المائة

٢٦٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
* * *	

السنة الثالثة والثمانون بعد المائة

٢٧٠ ، ٢٧١	ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها
* * *	

السنة الرابعة والثمانون بعد المائة

٢٧٢	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
* * *	

السنة الخامسة والثمانون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٧٣ ، ٢٧٤
* * *

السنة السادسة والثمانون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٧٥
ذكر حج الرشيد وكتابه العهد لأبنائه ٢٧٥ - ٢٨١
ذكر الشرط الذى كتب عبد الله أمير المؤمنين بخط يده فى
الكعبة ٢٨١ - ٢٨٣
نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال ٢٨٣ - ٢٨٦
* * *

السنة السابعة والثمانون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٨٧
ذكر الخبر عن إيقاع الرشيد بالبرامكة ٢٨٧ - ٢٩٤
ذكر الخبر عن مقتل جعفر ٢٩٥ - ٣٠٠
ما قيل فى البرامكة من الشعر ٣٠٠ - ٣٠٢
ذكر الخبر عن غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح ٣٠٢ - ٣٠٧
ذكر الخبر عن دخول القاسم بن الرشيد أرض الروم ٣٠٧
ذكر الخبر عن نقض الروم الصلح ٣٠٧ - ٣١٠
خبر مقتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك ٣١٠ - ٣١٢
أخبار متفرقة ٣١٢
* * *

السنة الثامنة والثمانون بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣١٣
ذكر غزو إبراهيم بن جبريل الصائفة ٣١٣
أخبار متفرقة ٣١٣
* * *

السنة التاسعة والثمانون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣١٤ .
 ذكر خبر شخوص الرشيد إلى الرى ٣١٤ - ٣١٧ .
 أخبار متفرقة ٣١٧ ، ٣١٨ .

* * *

السنة التسعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣١٩ .
 خبر ظهور خلاف رافع بن ليث ٣١٩ ، ٣٢٠ .
 فتح الرشيد هرقلة ٣٢١ ، ٣٢٢ .
 أخبار متفرقة ٣٢٢ .

* * *

السنة الحادية والتسعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣٢٣ ، ٣٢٤ .
 ذكر الخبر عن سبب عزل الرشيد على بن عيسى وسخطه عليه ٣٢٤ - ٣٢٨ .
 خبر شخوص هرثة بن أعين إلى خراسان والياً عليها . . . ٣٢٨ - ٣٣٢ .
 كتاب هرثة إلى الرشيد فى أمر على بن عيسى ٣٣٢ - ٣٣٥ .
 الجواب من الرشيد ٣٣٥ - ٣٣٧ .
 أخبار متفرقة ٣٣٧ .

* * *

السنة الثانية والتسعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣٣٨ .
 ذكر الخبر عن مسير الرشيد إلى خراسان ٣٣٨ ، ٣٣٩ .
 أخبار متفرقة ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

* * *

السنة الثالثة والتسعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣٤١ .
 ذكر الخبر عن وفاة الفضل بن يحيى ٣٤١ .

٣٤٢ ، ٣٤١	ذكر الخبر عن مقام الرشيد بطوس
٣٤٦ — ٣٤٢	ذكر الخبر عن موت الرشيد
٣٤٧ ، ٣٤٦	ذكر ولاية الأمصار في أيام الرشيد
٣٥٩ — ٣٤٧	ذكر بعض سير الرشيد
٣٦٠ ، ٣٥٩	ذكر من كان عند الرشيد من النساء والمهاجر
٣٦٠	ذكر ولد الرشيد
٣٦٤ — ٣٦١	ذكر بقية سير الرشيد
٣٦٤	خلافة الأمين
٣٧٣ — ٣٦٤	ذكر الخبر عن بدء الخلاف بين الأمين والمأمون
٣٧٣	أخبار متفرقة
* * *	

السنة الرابعة والتسعون بعد المائة

٣٧٤	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٣٨٧ — ٣٧٤	ذكر تفاقم الخلاف بين الأمين والمأمون
٣٨٨ ، ٣٨٧	أخبار متفرقة
* * *	

السنة الخامسة والتسعون بعد المائة

٣٨٩	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٣٨٩	النهى عن الدعاء للمأمون على المنابر
٣٨٩	عقد الإمرة لعلی بن عيسى
٤١٢ — ٣٩٠	شخص علي بن عيسى لحرب المأمون
٤١٥ — ٤١٢	توجيه الأمين عبد الرحمن بن جبلة لحرب طاهر بن الحسين
٤١٥	تسمية طاهر بن الحسين ذا اليمينين
٤١٥	ظهور السفيناني بالشام

- طرد طاهر عمال الأمين عن قزوين وكور الجبال . . . ٤١٥ ، ٤١٦
 ذكر قتل عبد الرحمن بن جبلة الأبنأوى . . . ٤١٦ ، ٤١٧
 أخبار متفرقة . . . ٤١٧

• • •

السنة السادسة والتسعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٤١٨
 ذكر توجيه الأمين الجيوش لحرب طاهر بن الحسين . . . ٤١٨ — ٤٢٣
 ذكر رفع منزلة الفضل بن سهل عند المأمون . . . ٤٢٤
 ذكر خبر ولاية عبد الملك بن صالح على الشام . . . ٤٢٤ — ٤٢٨
 ذكر خلع الأمين والمبايعه للمأمون . . . ٤٢٨ — ٤٣٢
 ذكر الخبر عن مقتل محمد بن يزيد المهلبى ودخول طاهر إلى
 الأهواز . . . ٤٣٢ — ٤٣٦
 ذكر خبر استيلاء طاهر على المدائن ونزوله بصرصر . . . ٤٣٦ — ٤٣٨
 ذكر خبر خلع داود بن عيسى الأمين . . . ٤٣٨ — ٤٤١
 ذكر خبر شغب الجند على طاهر بن الحسين . . . ٤٤١ — ٤٤٤
 أخبار متفرقة . . . ٤٤٤

• • •

السنة السابعة والتسعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٤٤٥
 ذكر خبر حصار الأمين ببغداد . . . ٤٤٥ — ٤٥٤
 ذكر خبر وقعة قصر صالح . . . ٤٥٤ — ٤٥٨
 ذكر خبر منع طاهر الملاحين من إدخال شىء إلى بغداد . . . ٤٥٨ — ٤٦١
 ذكر خبر وقعة الكناسة . . . ٤٦١ — ٤٦٣
 ذكر خبر وقعة درب الحجارة . . . ٤٦٣ — ٤٦٤

- ذكر خبر وقعة باب الشماسية ٤٦٤ — ٤٦٧
 أخبار متفرقة ٤٦٧ — ٤٧١
 . . .

السنة الثامنة والتسعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٧٢
 ذكر خبر استيلاء طاهر على بغداد ٤٧٢ — ٤٧٨
 ذكر الخبر عن قتل الأمين ٤٧٨ — ٤٩٥
 وثوب الجند بطاهر بن الحسين بعد مقتل الأمين ٤٩٥ — ٤٩٨
 ذكر الخبر عن صفة محمد بن هارون وكنيته وقدر ما ولى ومبلغ
 عمره ٤٩٨ — ٤٩٩
 ذكر ما قيل في محمد بن هارون وورثته ٥٠٠ — ٥٠٨
 ذكر الخبر عن بعض سير المخلوع محمد بن هارون ٥٠٨ — ٥٢٦
 خلافة المأمون عبد الله بن هارون ٥٢٧
 أخبار متفرقة ٥٢٧
 . . .

السنة التاسعة والتسعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٢٨
 ذكر الخبر عن سبب خروج محمد بن إبراهيم بن طباطبا ٥٢٨ — ٥٣٣
 . . .

السنة المائتان

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ذكر الخبر عن أبي السرايا وما آل إليه أمره ٥٣٤ ، ٥٣٥
 ذكر الخبر عن خروج إبراهيم بن موسى باليمن ٥٣٥ ، ٥٣٦
 ذكر ما فعله الحسين بن الأفتطس بمكة ٥٣٦ — ٥٤٠

- ذكر الخبر عن إبراهيم العقيلي ٥٤١
- ذكر الخبر عن شخص هزيمة إلى المأمون وما آل إليه أمره في
- مسيره ذلك ٥٤٢ ، ٥٤٣
- ذكر وثوب الحريرية ببغداد ٥٤٣ ، ٥٤٤
- أخبار متفرقة ٥٤٤ ، ٥٤٥

* * *

السنة الحادية بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٤٦
- ولاية منصور بن المهدي ببغداد ٥٤٦ — ٥٥٠
- ذكر خبر خروج المطوعة للتكبير على الفساق ٥٥٠ — ٥٥٤
- ذكر البيعة لعلی بن موسى بولاية العهد ٥٥٤ ، ٥٥٥
- ذكر الدعوة لمبايعة إبراهيم بن المهدي بالخلافة ٥٥٥ ، ٥٥٦
- أخبار متفرقة ٥٥٦

* * *

السنة الثانية بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٥٧
- ذكر الخبر عنبيعة إبراهيم بن المهدي ٥٥٧
- ذكر خبر خروج مهدي بن علوان الحروري ٥٥٨
- ذكر الخبر عن تبيض أخى أبي السرايا وظهوره بالكوفة ٥٥٨ — ٥٦٢
- ظفر إبراهيم بن المهدي بسمل بن سلامة المطوعي ٥٦٢ — ٥٦٤
- ذكر شخص المأمون إلى العراق ٥٦٤ — ٥٦٦
- أخبار متفرقة ٥٦٦ ، ٥٦٧

* * *

السنة الثالثة بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٦٨ .
 موت علي بن موسى الرضى ٥٦٨ .
 خبر حبس إبراهيم بن المهدي عيسى بن محمد بن أبي خالد . ٥٦٩ ، ٥٧٠
 ذكر خبر خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي ٥٧٠ ، ٥٧١
 ذكر خبر اختفاء إبراهيم بن المهدي ٥٧١ — ٥٧٣
 أخبار متفرقة ٥٧٣

* * *

السنة الرابعة بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٧٤ .
 خبر قدوم المأمون إلى بغداد ٥٧٤ — ٥٧٦
 أخبار متفرقة ٥٧٦

* * *

السنة الخامسة بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٧٧ .
 ذكر ولاية طاهر بن الحسين خراسان ٥٧٧ — ٥٨٠
 أخبار متفرقة ٥٨٠

* * *

السنة السادسة بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٨١ .
 ذكر ولاية عبد الله بن طاهر الرقة ٥٨١ ، ٥٨٢
 ذكر وصية طاهر بن الحسين إلى ابنه ٥٨٢ — ٥٩١
 أخبار متفرقة ٥٩٢

* * *

السنة السابعة بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٩٣ .
 ذكر خبر خروج عبد الرحمن بن أحمد باليمن . . . ٥٩٣ .
 ذكر خبر وفاة طاهر بن الحسين ٥٩٣ - ٥٩٥ .
 أخبار متفرقة ٥٩٦ .

* * *

السنة الثامنة بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٩٧ .

* * *

السنة التاسعة بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٩٨ .
 خبر الظفر بنصر بن شيبث ٥٩٨ - ٦٠٠ .
 أخبار متفرقة ٦٠١ .

* * *

السنة العاشرة بعد المائتين

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦٠٢ .
 ذكر الخبر عن ظفر المأمون بابن عائشة ورفقائه . . . ٦٠٢ .
 ذكر خبر الظفر بإبراهيم بن المهدي ٦٠٣ .
 ذكر خبر قتل ابن عائشة ٦٠٣ ، ٦٠٤ .
 العفو عن إبراهيم بن المهدي ٦٠٤ - ٦٠٦ .
 ذكر خبر بناء المأمون ببوران ٦٠٦ - ٦٠٩ .
 ذكر الخبر عن سبب شخوص عبد الله بن طاهر من الرقة إلى مصر وسبب خروج ابن السريّ إليه في الأمان . . ٦١٠ - ٦١٢ .
 ذكر فتح عبد الله بن طاهر الإسكندرية ٦١٣ .

ذكر الخبر عن خروج أهل قمّ على السلطان ٦١٤
 أخبار متفرقة ٦١٤

* * *

السنة الحادية عشرة بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦١٥
 أمر عبيد الله بن السريّ ٦١٥ — ٦١٨
 أخبار متفرقة ٦١٨

* * *

السنة الثانية عشرة بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦١٩

* * *

السنة الثالثة عشرة بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦٢٠
 ذكر الخبر عن ولاية غسان بن عباد السند ٦٢٠ ، ٦٢١
 أخبار متفرقة ٦٢١

* * *

السنة الرابعة عشرة بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦٢٢

* * *

السنة الخامسة عشرة بعد المائتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ذكر خبر شخوص المأمون لحرب الروم ٦٢٣ ، ٦٢٤
 أخبار متفرقة ٦٢٤

* * *

السنة السادسة عشرة بعد المائتين

٦٢٥	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٦٢٥	عود إلى ذكر غزو المأمون أرض الروم
٦٢٥ - ٦٢٧	أخبار متفرقة

* * *

السنة السابعة عشرة بعد المائتين

٦٢٧	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٦٢٧ ، ٦٢٨	ذكر الخبر عن قتل عليّ وحسين ابني هشام
٦٢٩ ، ٦٣٠	كتاب توفيل إلى المأمون ورد المأمون عليه
.	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثامنة عشرة بعد المائتين

٦٣١	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٦٣١ - ٦٤٥	ذكر خبر المحنة بالقرآن
٦٤٥ ، ٦٤٦	كتب المأمون إلى عماله ووصيته في كتبه
٦٤٦ - ٦٥٠	ذكر الخبر عن وفاة المأمون
	ذكر الخبر عن وقت وفاته والموضع الذى دفن فيه ومن صلى عليه ومبلغ سنه وقدر مدة خلافته
٦٥٠ - ٦٦٦	ذكر بعض أخبار المأمون وسيره
٦٦٧	خلافة أبي إسحاق المعتصم محمد بن هارون الرشيد
٦٦٧	أخبار متفرقة

طبع بمطابع دار المعارف
